

جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه
حاشية
محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق
الدكتور عبد الحميد هندوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

المجلد الأول

المحتوى:

مؤول سورة الفاتحة - الى آخر سورة الاعراف

منشورات
مكتبة دار العلوم
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مستشارات محمد رجاويش بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الخريف - شارع البحتري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3976-2



9 782745 139764

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لفضيلة الدكتور/ عبد الحميد هنداي

الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب والفرقان، وأصلى وأسلم على حامل
لواء الفصاحة والبيان، محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان.

وبعد، فهذا كتاب فى التفسير قلّ أن تجد مثله، فهو قصد ووسط بين
المختصرات والمطولات، يوضح العبارة بأيسر إشارة، ويجمع الكثير من المعانى بقليل من
الألفاظ الدوائى، ويلخص الأقوال، ويرجح المقال على المقال، ويشير إلى أسرار الإعجاز
بشيء من الإيجاز، ويرد الأقوال المتحلة من الفلاسفة والمعتزلة، وينافح عن كلام رب
العالمين برد كلام المبطلين والغالين.

وقد كتبه مصنفه بعد تردد وتأخر، لكنه عزم عليه كما يقول لما لم يجد "فى
التفسير مختصرًا يغنى، وكتابًا يقرب ويدنى".

وبالحق كان كتابه سدًا لهذه الثغرة، فكان مختصرًا يغنى، وكتابًا يقرب ويدنى؛
فهو على اختصاره يغنى عما سواه من المطولات، وعلى وجازة إشارته يقرب المعنى
البعيد ويدنيه، وكان من خير ما قدر لهذا الكتاب أنه حاز الفضل من جهتين:
من جهة مصنفه (الإيجى) - رحمه الله - فى حسن تصنيفه والعناية بتأليفه، وتحرير
مسائله العقدية واللغوية والبلاغية.

ثم من جهة محشّيه (الغزنوى) - رحمه الله - الذى خدّم هذا الكتاب خدمة جليلة
لا تقل عن خدمة مصنفه الأصلى بل تزيد، حيث إنه قد انبرى لما فات المصنف أن ينبّه
عليه مما يخالف عقيدة السلف أو ما وقع فيه المصنف نفسه من باب الخطأ والزلل فى
مخالفة عقيدة السلف الصالح (رضوان الله عليهم جميعًا) فانبرى لذلك الشيخ الغزنوى -
رحمه الله - وقد كان سنّيًا سلفيًا واضح المذهب مقتديا بالإمامين ابن تيمية وابن القيم -
رحمهم الله تعالى جميعًا - ويكثر النقل عنهما؛ فخلّص الكتاب مما قد يشوبه أو يشينه من

المخالفات فأصبح بحمد الله تعالى بارئاً، وصفاه من الكدر فصار بمنة الله تعالى عسلاً
مصفى ولبناً خالصاً سائغاً للشاربين، وهذا من فضل الله ورحمته للعالمين.

هذا، وقد عهدت إلى دار الكتب العلمية بتحقيق هذا السفر العظيم، غير أني
قد انتابتني الشواغل والموانع دون إتمامه فقام على إتمام تخريجه وتصحيحه ومراجعته
جماعة من الأفاضل، واقتصر دورى فيه على النظر فيه ومراجعته والتعليق على بعض
مواضعه والتقدم له، والله أسأل أن ينفع به، وأن يجزل المثوبة لكل من ساعد فيه أو قدم
فيه جهداً مشكوراً، وأسأله سبحانه أن يجزل لنا المثوبة عليه في الدنيا والآخرة، إنه مولى
ذلك والقادر عليه.

وكتب

راجي عفو ربه الغفور

عبد الحميد بن أحمد بن يوسف هنداوى

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو محمد بن صفى الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالسلام وقيل: عبدالله، معين الدين الحسينى الصفوى الإيجى الشيرازى الشافعى. وذكر نفسه هو فى مقدمة كتابه فقال: "وأنا أخرج الخلق إلى رحمة ربه (معين بن صفى) أدركهما الله بلطفه الجليّ والخفيّ".

مولده:

ولد الإيجى سنة ٨٣٢هـ الموافق ١٤٢٩م تقريباً.

موطنه:

نشأ الإيجى فى بلدة "إيج" بنواحى شيراز، وإليهما ينسب.

وإيج "بالجيم": بلدة كثيرة البساتين والخيرات أقصى بلاد فارس، وأهل فارس يسمونها إيك. ويبدو أنها بلدة يعنى أهلها بالعلم والعلماء، فقد نسب إليها عدة من المؤلفين والعلماء، منهم عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجى، بل نسب إليها كبار المحدثين، وينسب إليها أبو محمد عبدالله بن محمد الإيجى النحوى؛ روى عن ابن دريد فأكثر.

وشيراز: بالكسر وآخره زاي: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهى قصبة بلاد فارس، وهى مما استجد عمارتها واختطاطها فى الإسلام، وبها جماعة من التابعين مدفونون، وهى فى وسط بلاد فارس، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء فى كل فن.

أبوه:

هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الإيجى صفى الدين أبو الفضل الحسينى العجمى الصوفى الشافعى المتوفى بمكة سنة ٨٦٤هـ، له حاشية على شرح التبادكانى لمنازل السائرين، ولقد بدأ الأب فى كتابة تفسير سورة الأنعام، فكتب نبذاً ثم ترك، وقال لابنه: أنت مأمور بذلك.

ولما كان الأب له مشاركة فى العلوم الشرعية كان لذلك تأثير على الابن، بل كان الأب سبباً لإكمال الابن كتاب التفسير كما سبق.

اجتهاده العلمى:

لقد انشغل الإيجى بجوانب متعددة من الفروع العلمية، وبرع فى بعضها ومما يدل على ذلك الأوصاف التى وصف بها فى ترجمته فقد وصف بأنه مفسر ومحدث ونسب إلى مذهب الشافعى.

١- التفسير:

لقد انشغل الإيجى بعلم التفسير، ووقف على كتب عدة فى جمعه لمادة تفسيره، وله كتب فى التفسير منها: تفسير سورة الفاتحة، جامع البيان فى تفسير القرآن وهو الذى نقدم له.

ومما يدل على براعته فى التفسير أنه يجمع فى تفسير الآية أقوالاً كثيرة بأوجز عبارة وألطف إشارة، وهذا لا يستطيعه إلا من كان بالتفسير خبيراً وبطرق المفسرين وعباراتهم بصيراً، حتى قال عن نفسه كما فى مقدمة تفسيره: "ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى فى هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد فى كثير منها".

٢- الحديث:

كان الإيجى معظماً للحديث النبوى غير معرض عنه، وله مشاركة بالتأليف فى علم الحديث إذ له شرح الأربعين النووية.

وتجده يعيب على من لا يقدم الأخبار النبوية؛ فيقول فى مقدمة التفسير "وكثيراً تجد الزمخشري ومن يحدو حدوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فى الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية، وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض، لكن المسلك فى تفسيرنا هذا الاعتماد على المعانى الثابتة عن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم".

٣- اعتقاده:

لقد حمل الإيجى حملة شديدة على الفلسفة والفلاسفة؛ إذ كان مبغضاً لها ومحذراً منها معظماً للنصوص الشرعية، بل ألف كتاباً سماه: "تهافت الفلاسفة". ويقول فى تفسير سورة البقرة آية ٧٤ فى حديثه عن بعض الأمور المردودة: "نعم لمن

يتبع الفلسفة أن يتمحل التَّمَحُلُ^(١) في أمثال ذلك والله تعالى بمحض فضله قد عصمنا منه".

وكان له موقف من الاعتزال عمومًا ومن الزمخشري خصوصًا، فيقول في مقدمة التفسير: "كتاب موفى فيه الحكمة والمعرفة، مصفى عن الاعتزال والفلسفة".

ويقول: "إن قرع سمعك شيء يخالف الكشف ومن تبعه فلا تعجل إلى الرد إنكاراً، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم ناراً".

ومع تعظيمه للنصوص الشرعية وموقفه من الاعتزال والفلسفة ونقله الكثير عن السلف إلا أننا نجد عنده آثاراً صوفية ربما كان سببها كون أبيه صوفيًا، ومن أمثال ذلك ما تجده في كلامه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في مقدمة التفسير، ولقد أجاد الغزنوي صاحب الحاشية في بيان خطأ ما صنع، والتحذير مما فيه وقع، وأحيانًا يمشى في تفسير آيات أسماء الله وصفاته على طريقة الأشاعرة، وربما ينقل في تفسيرها قول السلف مُتَّبِعًا إياه بكلام الأشاعرة، فتراه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ من سورة البقرة يقول: "لا يرضيه" جاريًا مجرى الأشاعرة في تأويل الصفات إلى السبعة التي يشتونها، فيقولون معنى الحب: الرضا مخالفين بذلك طريقة السلف، ومثال جمعه بين طريقة السلف وطريقة الأشاعرة قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ من سورة البقرة: "مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكل علمه إلى الله تعالى أو تقديره: يأتهم بأسه".

وجدير بالذكر أن الغزنوي صاحب الحاشية أشار في مواضع كثيرة إلى طريقة السلف في فهم آيات أسماء الله وصفاته وأن هذه الطريقة هي التي يجب اتباعها إلا أنه لم يتتبع كل موضع يحتاج إلى هذا التنبيه.

مذهبه:

وصفه من ترجموا له بأنه كان شافعيًا ونقل هو عن مذهب الشافعي في تفسيره.

لغته:

مع كونه نشأ ببلاد فارس إلا أنه عني بعلوم العربية واجتهد في إتقانها، فضمن

(١) التمحُل: المعادة.

تفسيره كلاماً عن الإعراب وتوجيهات نحوية مما يدل على أن له في علوم العربية باعاً، ولكن ليس كل ما تبغيه تجده فقد ظهر في عباراته جانب من الضعف اللغوي والركاكة في الأسلوب وعذره في ذلك أنه ليس من العرب الأصلاء وإنما هو أعجمي، وكفى بالمرء نبلاً أن تعد معاييه.

وفاته:

توفي الإيجي في ٩٠٦هـ وقيل: ٩٠٥هـ الموافق تقريباً ١٥٠٠م. ووقع على غلاف طبعة باكستان لكتاب التفسير (٨٣٢-٨٩٤هـ) وعلى طبعة الشيخين شاكر والفقهي (٨٣٢-٩٠٥هـ).

كتبه:

لقد أشرنا إلى بعضها آنفاً في طيات حديثنا ولكن ها نحن نذكر ما وقفنا على نسبتها له:

١- تفسير سورة الفاتحة.

٢- جامع البيان في تفسير القرآن، وبعضهم يسميه: جوامع التبيان في تفسير القرآن (وهو ما نقدم له بهذه المقدمة).

٣- تحافت الفلاسفة.

٤- شرح الأربعين النووية.

٥- شعب الإيمان.

٦- حاشية على التلويح للتفتازاني.

٧- بيان المعاد الجسماني والروح.

جامع البيان

اسمه وتوثيق نسبته للمؤلف:

ذكر المترجمون للإيجي أن له كتابا في التفسير لكنهم اختلفوا في تسمية الكتاب، فسماه في الأعلام: جامع البيان في تفسير القرآن، وكذا قال هو في مقدمة التفسير كما في الأصل الذي رجعنا إليه، بينما سماه في الضوء اللامع جوامع التبيان في تفسير القرآن وكذا قال في كشف الظنون وفي هداية العارفين.

مصادره في التفسير:

أشار المؤلف في مقدمة تفسيره أنه رجع في التفسير إلى الكتب الآتية:

* تفسير عماد الدين بن كثير.

* معالم التزويل لمحبي السنة البغوى.

* الكشف للزمخشري.

* شروح الكشف:

- شرح الطيبي (وهو المسمى فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب).

- الكشف (ولعله لعمر بن عبدالرحمن الفارسي القزويني ٥٧٤٥هـ).

- شرح المحقق التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر).

* الوسيط للواحدى.

* مدارك التزويل للنسفى.

* أنوار التزويل للبيضاوى.

وأشار في بعض المواطن إلى نقله عن كتب أخرى كما ترى في نقله عن ابن جرير

في تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة.

والأحاديث المذكورة فمعظمها من الصحاح الستة.

بعض الرموز في التفسير:

استخدم المؤلف بعض الرموز في تفسيره بغية الاختصار فقال في المقدمة: "وكل

معنى ذكرنا فيه بصيغة "أو" فما هو إلا للسلف، وما ذكرنا بقليل فأكثره من مخترعات المتأخرين، ما ظفرنا فيه بنقل".

كما أنه استعمل الرمز "تع" إشارة إلى كلمة "تعالى" التي يثنى بها على الله سبحانه

وتعالى، وقد قمنا بكتابتها "تعالى" دون رمز لعدم اللبس على القارئ.

(رح) يقصد بها رحمه الله.

ومن الرموز المتكررة في التفسير حرف العين النسخ "ع" وكان يضعها على هامش الأصل ويشير بها إلى نهاية الركوع، ووقع هذا تبعاً للتقسيم على الركوعات، وهو تقسيم يقوم على اعتبار المعنى، وكل عدد من الآيات يسمى ركوعاً، ثم تكون السورة عشرين أو أربعين أو ثمانين ركوعاً، وكتب مع العين عدة أرقام أغلب الظن أنه يقصد بها الآتى:

١- رقم يكتب أعلى العين يعنى به ترتيب الركوع داخل السورة.

٢- رقم يكتب داخل العين وهو عدد آيات ذلك الركوع.

٣- رقم يكتب أسفل الركوع يعنى به ترتيب الركوع داخل الجزء.

حاشية التفسير:

صاحب الحاشية:

هو محمد بن عبدالله الغزنوى توفى عام ١٢٩٦ هـ هكذا وجدنا ذكره على غلاف الأصل الذى رجعنا إليه، ولم نقف له على ترجمة، لكن من خلال حاشيته ندرك جانباً هاماً من حياته العلمية وهو سعة اطلاعه كما هو واضح من كثرة المصادر التى اعتمد عليها فى الحاشية كما يتجلى لنا منهجه فى الاعتقاد حيث نبه كثيراً على عقيدة السلف وأكثر النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن تلميذه ابن القيم.

بعض موارده فى الحاشية:

أكثر الغزنوى فى حاشيته من النقل عن مصادر كثيرة مستعملاً فى الإشارة إليها رموزاً واختصارات فمنها:

* كبير: يقصد به مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازى، وكان يقول أحياناً: قال الرازى، ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "كبير" بما فى مفاتيح الغيب للرازى فوجدناها هى هى.

* فتح: يقصد به فتح القدير للشوكانى، وهناك نص فى كلامه فى تفسير سورة المائدة على أنه فتح القدير للشوكانى.

ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "فتح" بما فى فتح القدير فوجدناها واحدة.

* معالم: يقصد به معالم الترتيل للبعوى.

* وجيز: لم نقف على كتاب في التفسير بهذا الاسم إلا الوجيز في التفسير لعلى بن أحمد بن محمد بن علي الإمام أبي الحسن الواحدى.
إلا أنه وقع في التفسير الذى تقدم له في سورة التوبة آية ٦٠ في الحاشية: "لكن قال المصنف في الوجيز".

* در منتشر: وهو الدر المنثور للسيوطى.

* صراح: لم نقف إلا على صراح اللغة لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المشتهر بجمالى، وهو ترجمة الصحاح بالفارسية، فرغ منها سنة ٦٨١هـ.
* تبصير الرحمن: لعله تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن في التفسير للشيخ زين الدين على بن أحمد بن على بن أحمد الأموى الحنبلى توفى سنة ٧١٠هـ.

* كمالين: لعله يقصد الكمالين على الجمالين في التفسير حاشية لعمر بن عبد الجليل البغدادى الحنفى المتوفى سنة ١١٩٤هـ.

* فتح البيان: لم نهند إلى كتاب يحمل هذا العنوان.

* البحر: هو البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى.

* لباب التأويل، الخازن: ، لباب: عدة رموز يقصد بها تفسير الخازن الموسم بلباب التأويل في معانى الترتيل.

* شيخ الإسلام ابن تيمية: يقصد بذلك كتبه.

* منه / ١٢ منه: وهذه إشارة من الغزنوى صاحب الحاشية إلى أن هذا من حاشية المصنف.

ومما يدل على ذلك قول الشيخين أحمد شاكر وحامد الفقى على غلاف طبعتهما إن ما كتب بجواره (منه) فهو من كلام المؤلف.

ويؤكد ذلك قول المؤلف في مقدمة التفسير: "وأما الأحاديث المذكورة في تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة، وتجد تخرجها مسطوراً في الحاشية عليها"، وقوله: "وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة أو أومأت إليه بإشارة لطيفة دقيقة وفي كثير من المواضع أوضحته في الحاشية".

وقد نبه صاحب الحاشية على ذلك بقوله في تفسير سورة البقرة آية ٢٥٣ في الحاشية:

"وقد ذكر المصنف في الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة".
ووقع في الحاشية في تفسير الآية ٢٥٨ من سورة البقرة: "اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما في أكثر التفاسير" مما يدل على أن من الحواشي ما هو من قلم المصنف.
* ١٢: وقع في نهاية كثير من الحواشي هذا الرقم منفرداً أو مضافاً إليه رمز أحد الكتب أو مضافاً إليه كلمة (منه) ولم نقف على ما نستطيع به الجزم بمعنى هذا الرقم.
* ج: لم نهند إلى معنى هذا الرمز.

* رض: يعني رضى الله عنه.
* رح: أحياناً يقصد بها -رحمه الله- وفي بعض المواضع لم نهند لمعناها.
* م: وقع هذا الرمز في آخر بعض الحواشي فقد يكون اختصاراً لـ "محمد الغزنوي" أو لـ "منه".

* قاضي: هو القاضي البيضاوي صاحب أنوار التتريل.

الأصل الذي اعتمدنا عليه:

اعتمدنا على الطبعة التي أصدرتها دار نشر الكتب الإسلامية بـلاهور - باكستان وكتب على غلافها:

"جامع البيان في تفسير القرآن للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الحسيني الإيجي الشافعي رحمه الله (٨٣٢هـ - ٨٩٤هـ) علق عليه محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى (١٢٩٦هـ)، حققه وصححه منير أحمد" الطبعة الثالثة الصفر المظفر ١٤٠٦هـ، نوفمبر ١٩٨٥م. وجاء في خاتمة الطبع اسم لعله اسم الكاتب وهو "عبدالرؤف ثاقب خوشنويس".

مصادر الترجمة:

الضوء اللامع للسخاوي (٣٧/٨).

معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٥٣/١٠).

الأعلام للزركلي (٢٩٥/٣)، (١٩٥/٦).

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين بذيّل كشف الظنون لإسماعيل باشا

البغدادى (٢٢٣/٦)، (٥٣٢/٥).

- كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٦١٠)، (٢/١٠٧٧)، (١/٣٣٩)، (٢/٢٠٠٢).
 معجم البلدان لياقوت الحموى "إيج" (١/٣٤٢)، "شيراز" (٣/٤٣١-٤٣٢).
 تاج العروسى للزبيدي "أيج" (٢/٥).
 مفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده) (٢/٥٨-٨٦).
 إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادى (٤/٣٨٢).
 اللباب فى تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير الجزرى (١/٩٦-٩٧).

منهج التحقيق:

- ١- قمنا بتقسيم الآيات حسب الركوعات التي كتبت بهامش التفسير، بحيث نورد مجموعة من الآيات هي الركوع الذي قسم بهامش التفسير ثم نورد تفسيرها.
- ٢- ما كان من تخريج للحديث وقد خرج فى الحاشية أتبعنا بعده كلامنا بذكر تعقيب أو حكم على الصحة أو تخريج بين [].
- ٣- أبقينا على لغة المؤلف حتى لو كانت ركيكة أحياناً أو ضعيفة وكذلك فى كلام المعلق.
- ٤- أبقينا على رموز المعلق وما عرفناه منها ذكرناه سابقاً وما لم نعرفه فعسى أن يهتدى له أحد بعدنا.
- ٥- ما رمز أمامه بـ (*) فهو من تعليقاتنا.
- ٦- ما كتبناه تعليقاً على الحواشى وضعناها فى موضعه بين معكوفتين [].

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة للمفسر رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأظهره على الدين كله فالحق أحقُّ ،
والباطل أزهق^(١) ؛ أنزل معه كتاباً قطع أعناق^(٢) العتاق السَّبَق ، وأبكم به البلغاء من
العرب العرباء^(٣) طبقاً^(٤) بعد طبق ، شهد محكم آياته القديمة بأن المُنزَّل حق غير
مختلق ، ودل مضمون سوره العظيمة على أن رسوله صادق مصدق ، فصلَّ يا رب
وسلم على سيدي سرى ليلاً إلى السبع^(٥) الطباق فخرق ؛ وبلغت بلاغة كتابه نحواً لا
يسبق ؛ بل شأواً^(٦) لا يلحق ؛ ثم على آله مظاهر أَلطاف الله وأفضاله الذين كل منهم
في سماء الشرف قمر إذا اتسق^(٧) .

أما بعد؛ فلما أن رأيت هم أبناء العصر قاصرة ، ومساعيهم وإن جدوا في الطلب
فاترة ، قنعوا عن الحقيقة بالبحار ، ومالوا عن التطويل إلى الإيجاز ، ولعمري يكاد أن يعد
ذلك من علو همتهم ، وقوة فهمتهم^(٨) ؛ لأنهم أرادوا حوز^(٩) العلوم بأسرها ، وقصدوا

-
- (١) أحقُّ : أثبت . أزهق : محا . [استعمل أزهق بمعنى زهق ، من تناوب فعل وأفعل]
(٢) أعناق : جمع عنق وهو ظاهر ؛ أو من أعنقت الدابة إذا سارت سيراً واسعاً فسيحاً ،
والعَنَقُ - بفتح العين والنون - هو السير السريع . العتاق : جمع العتيق أي : الكريم
والخيار من كل شيء ، يقال : فرس عتيق سبق ما يتراهن عليه المتسابقون .
(٣) أي : العرب الخالص ، والتركيب من قبيل " ليل أليل " .
(٤) الطبق : الحال ، أي : حالاً بعد حال .
(٥) السموات طباق ؛ لأن بعضها فوق بعض . صراح
(٦) الشأو : الأمر الغاية ؛ يقال : فلان بعيد الشأو أي : عالي الهمة .
(٧) اتسق : اجتمع وامتلاً .
(٨) النهضة : الحاجة ، بلوغ الهمة والشهوة في الشيء .
(٩) الحوز أي : الجمع .

جمع الفنون حبرها وسيرها^(١)، وقد علموا بالتجارب أن الخطب خطير ، والعمر قصير ،
والعوائق^(٢) متلاطمة الأمواج ، والبواقي متراكمة الأفواج ، فلو استطلعوا على طلل
المطولات لوقعوا في فئات الشتات ، ويعرض الكل في معرض الفوات ، وما رأيت في
التفسير مختصرا يغني وكتابا يقرب ويديني — أردت^(*) أن أتعرض لهذا مع قلة البضاعة
وقصور الباع خصوصا في تلك الصناعة ؛ حين كان القلب مشغوبا بكشف وجوه
غمار^(٣) أسرار نكات الكشاف^(٤)؛ والفؤاد مشغوبا^(٥) باستخراج فرائد الفوائد عن
زخار بحار كلام الأعلالي والأشراف ، وقد كان الزمان يرافق بالموافقة ، والإخوان في
ميدان الفضل على المسابقة ، وكانت مرآة الدهن مصفاة عن صداء الفتور ، ومراقبة
الفضل مبرأة عن طراء الكسور ؛ تحول خيول الفهم من غير غائلة^(٥) الوهم في
معتركهم ، وتحول^(٦) على درك الطرائد في مدركهم ومتركهم ؛ لكن قد استنصت^(٧)
وعادت عواد عن الإقدام على هذا المرام مدة مديدة من الأيام ؛ مع أنه قد صدرت

-
- (١) يقال: فلان حسن الحبر والسير أي : جميل حسن الهيئة، وفي الحديث : " يخرج رجل من
النار قد ذهب حبره وسيره " قال الفراء : أي لونه وهيبته [الحديث في النهاية لابن
الأثير (٣٣٣/٢)]. وقال الأصمعي : أي الجمال والبهاء . صراح
- (٢) العوائق : الموانع، البواقي : الشرور والدواهي .
- (*) جواب "لما" في قوله: فلما أن رأيت همم أبناء العصر قاصرة....
- (٣) جمع غامر أي : الأرض الخراب ، قيل له ذلك لأن الماء قد غمره فلا تمكن زراعته ،
وهو فاعل بمعنى مفعول ؛ كما يقال : " سر كاتم وماء دافق " .
- يقصد كشاف الزمخشري وهو تفسير الموسوم بـ(الكشاف عن حقائق التزئيل وعيون
الأفاويل في وجوه التأويل) وهو على أجل كتب التفسير عناية ببلاغة القرآن وأسراره.
- (٤) يقال : شعف بفلان أي : شغف به/ ١٢ .
- (٥) غائلة : الداهية ، الشر : الفساد/ ١٢ .
- (٦) يقال : خال فلان على أهله ، إذا دبر أمورهم وكفاهم .
- (٧) قد استنصت أي : وقفت منصتا .

إشارة قدسية تتضمن الالتزام؛ فكم من مرة عزمت وأبت المقادير ، ونويت وعرضت المعاذير حتى لازمني رفيق التوفيق ، وجاورني فناء بيت الله العتيق ، وكحل عيني برؤية أهل الله ، ونلت زوارف الفيض من بذل الله ؛ أنار في أعشاب كبدي تلك الخامدة ، وأدار في دار خلدي تلك الجامدة فاستخرت الله تعالى في الملتمزم والمستجار حتى ألقى في روعي أن لا ضرر ولا ضرار في ذاك الاتجار ، ثم صرفت الهمة والعزيمة ، وأحكمت النية والصريمة ، ونهضت الجناح ، وأجبت "حي" على الفلاح " ، ورفضت غوائل الشواغل ، ونفضت دوح الأوائل ، فجنيت ثمرة طيبة الطعم والريح ، وأحظيت -بحمد الله- بالقدح لا بالسفيح^(١) ؛ فهذا قد تم تفسير لاح النور من خلاله ، وفاح المسك من أذياله ، قد حل عقد المغلقات بما قيد ، وبيض وجه المشكلات بما سود ، يمجج رونق التحقيق في حواشيها ، ويقول المتأمل اللبيب: لله درُّ واشيها ، من مطالعه شمس أنوار التبيان قد طلعت ، وإيم الله إنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، كتاب موفى فيه الحكمة والمعرفة ، مصفى عن الاعتزال والفلسفة ، في كل سطر حقائق استلفت أكثرها -بوجه حسن- عن السلف ، ودقائق أبحثها من غير بخل على الخلف ، تعرضت فيه لكلام السلف بوجه يعلم منه كيفية مطابقته مع الآية ، وأعرضت عن احتمالات لا تجانسه دراية ، ولا توانسه رواية ، لا تستصغر قدر نجمه^(٢) لصغر حجمه ؛ فإنك تراه من بعيد ؛ وإنما هو بين الوشوح^(٣) وحيد ؛ وما ذلك كله إلا لأني وسمته^(*) لمن صناديد الخافقين عبيده إن قبل ؛ بل أملاك الأفلاك جنوده لو سأل ، الذي خلق الخلق له^(٤) ،

(١) السفيح : قدح من قدام الميسر لا نصيب له .

(٢) النجم هنا بمعنى الأصل ، يقال : ليس لهذا الحديث نجم أي : أصل .

(٣) جمع : وشاح ؛ شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر .

(*) ما كان ينبغي له أن يتجه هذه الوجهة إذ الأعمال الصالحات إنما يتوجه بها إلى رب

البريات ، فما باله يسمه متوجها به وجه النبي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه!!
لعله يشير إلى خبر "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو خبر باطل ، والله تعالى يقول:
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦) . [كشف الخفاء للعجلوني

(٢١٢٣) ط. المكتبة العصرية بتحقيقنا].

ولولاه لكان آدم بعد في وِلَه، الهاشمي المستل من سلالة عدنان ، الأبطحي المنزل عليه القرآن، الناسخ للأديان، صَلَّ وَسَلَّم وبارك عليه يا ربي المعبود، وأنزله المقام المحمود الموعود، فيا شفيع^(١) العصاة توسل الخلق بمثل هذا إلى ذي سلطان لمال أو جاه؛

(١) هذا الذي قاله المصنف رحمه الله ودعا به خلاف ما شرعه الله لعباده ، ومخالف لما جاء به الأدلة ، ومستلزم لدخول من عمل به في باب من أبواب الشرك ، ونوع من أنواع الكفر ؛ لأن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد المختصة بالله تعالى ، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيداً للمطلوب ؛ قال الله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ ﴿ وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال سبحانه : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ (الإسراء: ١١٠)؛ فهذه البينات دلت على أن الدعاء مطلوب الله ﷻ من عباده ؛ وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادة ؛ فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غير الله تعالى !؟ قال سبحانه : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (الجن: ١٨)، وقال تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ (الرعد: ١٤)، وقال سبحانه ناعياً على من يدعو غيره ضارباً له الأمثال : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ (الأعراف: ١٩٤)، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ (سبأ: ٢٢)؛ فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحاً لا يبقى عنده ريب لمرتاب ؛ قال الله سبحانه : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (غافر: ٦٠)؛ ومع هذا كله فقد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة ؛ أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والحاكم مرفوعاً : " الدعاء هو العبادة " (صحيح، انظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وفي رواية : " مخ العبادة " ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية المذكورة (ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣). فأقل مفاد الحديث أن الدعاء عبادة كاملة مؤكدة ، فمن دعا غير الله ﷻ =

وإليك -رسول الله- هذا وسيلتي ، ومالي سؤل سوى القبول والقرب من الله؛ فخذ
بيدي؛ إني هائم في مهالك البعاد ، ولا تنهر سائلك فإنك أنت الرسول الجواد

يا من ألوذ به فيما أوّله ومن أعوذ به فيما أحاذره

أنت ملاذي بك ألوذ وأنت عيادي بك أعوذ، أعوذ من خزيك وكشف سترك ومن
نسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك.

ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى في هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد
في كثير منها ؛ نعم قد ترى فيها أحياناً معاني لم تلق فيه ؛ وما ذلك إلا لأن مطابقتها

= طالباً منه أمراً من أمور التي لا يقدر عليه إلا الله فقد عبد غير الله تعالى ؛ ولم يبعث الله
رسله ولا أنزل كتبه إلا لإخلاص توحيده وإفراده تعالى بالعبادة ، وكذلك الاستعاذة
لا يجوز إلا به تعالى؛ لأن المستعاذ به هو الله وحده ، رب الفلق رب الناس الذي لا
ينبغي الاستعاذة إلا به؛ ولا يستعاذ بأحد من خلقه . وقد أمر تعالى في كتابه : ﴿ قل
أعوذ برب الفلق ﴾ (الفلق: ١) و: ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ (الناس: ١)؛ وأخير أن من
استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقاً، وهو الطغيان . واحتج أهل السنة على المعتزلة في
أن كلام الله غير مخلوق بأن النبي ﷺ استعاذ بقوله ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و " أعوذ
بكلمات الله التامات " [أخرجه البخاري في "الأنبياء"، (٣٣٧١)]؛ وهو لا يستعيز
بمخلوق أبداً ؛ فاللهم إني أبرأ إليك من صنيع المصنف ؛ كيف نفى بل ولاذ ما عدا عبد
الله ورسوله ﷺ ؟ وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله ﷺ ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون .
وما أريد بهذا البيان إلا تحذير الأحياء وتنبههم ألا يغتروا بأمثال هذه الكلمات التي
صدرت ممن ليسوا بمعصومين وظن الغالب أنها غفلة منهم وعدم تيقظ وزلة ؛ لا
مقصد لهم إلا تعظيم جانب النبوة ؛ ولو نبهوا لتنبهوا ورجعوا وأقروا بالخطأ ، وليس مرادي
إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ ذكر فإن الذكرى تنفع
المؤمنين ، وما علينا إلا البلاغ المبين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

مع ظاهر الآية لا تخلو عن شبهة، على أنها غير منقولة عن السلف وقليلاً ترى بعض المعاني المنقول(*) قد ترك فيه لما أن تطبيقه مع الآية متعسر أو متعذر؛ وكثيراً تجد الرخصي ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول ﷺ في الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمریض؛ لكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم، وما نقلنا فيه شيئاً إلا بعد اطلاع وتبعية تام؛ فأعتمد على نقل الشيخ الناقد في علم الرواية "عماد الدين بن كثير"؛ فإنه في تفسيره قد تفحص عن تصحيح الرواية؛ وتجسس عن عجزها^(١) وبجربها؛ ولو وجدت مخالفة بين تفسيره وتفسير "محيي السنة الإمام البغوي" الذي هو من سرة المحدثين ومهرة المحققين - تتبع كتب القوم الذين لهم يد في التصحيح ثم بعد الاطلاع كتبت ما رجحوا، لكن أعتد قليلاً على كلام "ابن كثير"؛ فإنه متأخر معتن في شأن التصحيح، و"محيي السنة" في تفسيره ما تعرض لهذا؛ بل قد يذكر فيه من المعاني والحكايات ما اتفقت كلمة المتأخرين على ضعفه؛ بل على وضعه.

وأما الأحاديث المذكورة في تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة، وتجد تخريجها مسطوراً في الحاشية عليها.

وكل معنى ذكرنا فيه بصيغة "أو" فما هو إلا للسلف، وما ذكرنا بقليل فأكثره من مختصرات المتأخرين؛ ما ظفرنا فيه بنقل.

وأما وجه الإعراب فما اخترت إلا الأظهر، والذي ذكرت فيه وجهين أو وجوهاً فلنكتة لا تخفى على المتأدب، فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشف ومن تبعه فلا

(*) قدم (المنقول) وهو نائب فاعل (ترك).

(١) عجزها وبجربها، أي: عيوبها وأحزائها.

تعجل إلى الرد إنكاراً، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم ناراً، مع أني لا أدعي عدم الخطأ والخطل^(١) والسهو والزلل، نعم، اجتهدت غاية الاجتهاد في تنقيح الكلام، وللمجتهد أجر وإن حرم إصابة المرام، ثم إن مأخذ كتابي هذا : "المعالم"، و"الوسيط"، و"تفسير ابن كثير"، و"النسفي"، و"الكشاف" مع شروحه : "الطبي"، و"الكشف" و"شرح المحقق التفتازاني" - و"تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي".

وأدرجت فيه ما سمح به الخاطر الفاتر أو سنع للنظر القاصر، وقلما تجد آية إلا وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة، أو أومأت إليه بإشارة لطيفة دقيقة، وفي كثير من المواضع أوضحت في الحاشية، وقد تعرضت فيها لوجوه أخر من المعاني والإعراب، فللمبتدئ حظ كثير من هذا التفسير وللعالم حظوظ.

وسميته : "جامع البيان في تفسير القرآن"، وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه : "معين بن صفي" أدركهما الله بلطفه الجلي والخفي، وكان بين ابتدائه وانتهائه(*) سنتان وثلاثة أشهر حين بلغ سني أربعين.

والله أسأل أن يجعل ما تعبت فيه سبباً ينجيني، وذخيرة تسرني لا تشجيني، وهو حسب من توكل عليه، ومعين من فوض الأمر إليه، إنه هو العطوف الرحيم، الرعوف الكريم.

(١) الخطل : الخطأ، الكلام الكثير الفاسد.

(*) في الأصل (ن): إتمامه.

سورة الفاتحة

مكية وهي سبع آيات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١﴾ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ، أى : متبركاً باسم مسمى لهذا اللفظ الجامع لجميع صفات الكمال
أقرأ أو مستعيناً به كما في: كتبت بالقلم ، ﴿الرَّحْمَنُ﴾^(١) : الموصوف بصفة إرادة

(١) اعلم أن الرحمة صفة من صفات الله أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه ووصفه بها رسوله
صلى الله عليه وسلم وأما قول القائل: الرحمة ضعف وخور في الطبيعة وتألم على
المرحوم. فهذا باطل أما أولاً فلأن الضعف والخور مذموم من الآدميين والرحمة ممدوحة
وقد قال تعالى : " وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " (البلد: ١٧)، وقد نهى الله عباده
عن الوهن والحزن فقال تعالى : " وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ " (آل عمران: ١٣٩)، وندبهم إلى الرحمة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في
الحديث الصحيح : "لا تترع الرحمة إلا من شقي" [حديث حسن، أخرجه أحمد وأبو
داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً، وانظر صحيح الجامع
(٧٤٦٧)] وقال: "من لا يرحم لا يُرحم" [أخرجه البخاري في "الأدب" (٥٩٩٧)،
ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)]، وقال الراحمون: "يرحمهم الرحمن، ارحموا من في
الأرض يرحمكم من في السماء" [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، وانظر
صحيح الجامع (٣٥٢٢)]، ومحال أن يقول لا يترع الضعف والخور إلا من شقي ولكن
لما كانت تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور كما في رحمة النساء ونحو ذلك =

الخير لجميع الخلائق ولا يطلق إلا على الله تعالى ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ : بالمؤمنين ويطلق على غيره ، ﴿الْحَمْدُ﴾ ، ثناء على مستحسن اختياري نفسه أو أثره تعظيماً لمن قام به ، ﴿لِلَّهِ﴾ ، أي : حقيقته مختصة به ، ﴿رَبِّ﴾ : مالك ، ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ، المخلوقات بأسرها أو الجن والإنس أو هما والمملك ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، كرر تعليلاً بأنه الحقيق بالحمد ، ﴿مَالِكِ﴾ ، بالألف ودونه من المَلِكِ والمَلِكِ ، ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ : يوم الجزاء متفرد بالحكم ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، نخصك بأقصى غاية التذلل وطلب المعونة لما أثنى عليه كأنه حضر بين يديه فخاطبه(*) وهو إخبار من جميع العباد الذين هو فرد منهم أدرج عبادته في عبادتهم لعلها تقبل ببركتها أو المراد الحاضرون لاسيما إن كان في جماعة وقيل: النون للتعظيم فإنه إذا كان في العبادة

= ظن الغالط أنها كذلك مطلقاً. وأيضاً فلو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك لم يجب أن تكون في حق الله مستلزمة لذلك كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تزويه الله عنه وكذلك الوجود والقيام بالنفس فينا يستلزم احتياجه إلى خالق يجعلنا موجودين والله موزه في وجوده مما يحتاج إليه وجودنا فنحن وصفاتنا وأفعالنا مقرونون بالحاجة إلى الغير والحاجة لنا أمر ذاتي لا يمكن أن نخلو عنه وهو سبحانه الغني له أمر ذاتي لا يمكن أن يخلو عنه فهو بنفسه حي قيوم واجب الوجود ونحن بأنفسنا محتاجون فقراء فإذا كانت ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وما اتصفنا به من الكمال من العلم والقدرة وغير ذلك هو مقرون بالحاجة والحدوث والإمكان لم يجب أن لا يكون لله ذات ولا صفات ولا أفعال ولا يقدر ولا يعلم لكون ذلك ملازماً للحاجة فينا فكذلك الرحمة وغيرها إذا قدر أنه في حقنا ملازم لحاجة وضعف لم يجب أن يكون في حق الله تعالى ملازماً لذلك رسالة شيخ الإسلام أبي العباس رحمة الله عليه .

(*) يشير إلى نكتة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في (إياك نعبد).

فجاءه عريض ، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ : ثبتنا على الطريق الحق وهو دين الله أو الإسلام ، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، من الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والصالحين أو قوم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل تغيير دينهم أو آل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهوبدل الكل ، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ، صراط غير الذين أردت العقوبة عليهم أو المراد منهم اليهود ، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ : الذين عدلوا عن الطريق والمراد منهم النصارى وقيل المراد من الأول الفساق ومن الثاني الكفار . يستحب لمن قرأها أن يقول بعدها بسكتة " آمين " أى : استجب .

سورة البقرة مدنية

وهي مائتان وست وثمانون آية وأربعون ركوعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ
وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

﴿الم﴾: أوائل مثل هذه السورة مما استأثر الله بعلمه وهو المنقول عن الخلفاء
الأربعة وغيرهم أو أسماء السور أو أقسام أقسم بها لشرفها لأنها مباني كتبه المنزل أو أنا
الله أعلم ، ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾: أي : هذا القرآن مصدر بمعنى المفعول ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:
لا شك أنه من عند الله لو تأمل عاقل فيه لا يشك وقيل بمعنى النهي أي: لا ترتابوا ،
﴿هُدًى﴾: بيان ونور ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الصائرين إلى الإيمان وترك الشرك أو مزيد هداية
لهم ، ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾: أي ما هو غائب كأمر الآخرة
والقدر أو محمد عليه الصلاة والسلام من غير رؤيته ، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ ، يعدلون
أركان الصلوات الخمس أو يواظبون عليها ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: أعطيناهم
يصرفون في الخير أو المراد الزكاة ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: هذا في
مؤمني أهل الكتاب أو عام كالأول ، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ سائر الكتب ،
﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾: الدار الآخرة ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لا يشكون أصلاً ، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ من هذه

صفته ، ﴿عَلَى هُدًى﴾: أي: مستقر ومستعل على بيان ونور ﴿مَنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بمطالبهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ستروا الحق وهجروا التوحيد ﴿سَوَاءٌ﴾: مصدر وصف به ﴿عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتُهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: تخويفك وعدمه فهو مبتدأ وسواء خبره والهمزة وأم مجردتان^(٢) لمعنى الاستواء في علم المستفهم كأنه^(٣) قيل في جواب أنذرهم أم لا المستويان في علمك مستويان في عدم النفع ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، جملة مفسرة ومؤكدة^(٤) ، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ، أي : طبع واستوثق بضرب الخاتم على قلوبهم ، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ ، أي : مواضعه^(٥) أو أطلق مجازاً على العضو وكذا البصر ووجد السمع لأنه مصدر والمسموع ليس إلا الصوت

(١) الكفر على أربعة أنحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر به ، وكفر الجحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود قال الله تعالى : " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " (البقرة: ٨٩)، وكفر العناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة وحذار حسبة^(*) لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً
(*) كذا في الأصل، وقد ذكره القرطبي في التفسير (٣١٦/٦) ط. دار الفكر، بلفظ: "أو حذار مسبة".

وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء في أنه من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له / ١٢ معالم .

(٢) عن معني الطلب / ١٢ .

(٣) كأنه سأل ربه أنذرهم أم لا فأجابته / ١٢ .

(٤) مؤكدة لجملة قبلها وهي قوله "سواء عليهم" إلخ / ١٢ منه.

(٥) يعني يحذف المضاف / ١٢

بخلاف المعقولات والمبصرات فإنها أنواع من الجواهر والأعراض ، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: غطاء والحاصل أنه أحدث فيهم شيئاً يبرهم على حب الكفر لا يفقهون الحق ولا يسمعون ولا يبصرون ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝١١٠ يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝١١١ فِي قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ۝١١٢ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوْا فِى الْاَرْضِ قَالُوْا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ ۝١١٣ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُوْنَ ۝١١٤ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ ءَامِنُوْا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوْا اَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السّٰفِهَآءُ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ السّٰفِهَآءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝١١٥ وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا قَالُوْا ءَامَنَّا وَاِذَا خَلَوْا اِلٰى شَيْطٰنِهِمْ قَالُوْا اِنَّا مَعَكُمْ اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُوْنَ ۝١١٦ اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُدْهُمْ فِى طُغْيٰنِهِمْ يَعْمَهُوْنَ ۝١١٧ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوْا الضَّلٰلَةَ بِالْهٰدٰى فَمَا رَجَبَتْ تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَ ۝١١٨ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِىٓ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ اُضْءَاتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمٰتٍ لَا يَبْصُرُوْنَ ۝١١٩ صُمُّۢكُمْ عَمٰى فَهُمْ لَا يَرْجِعُوْنَ ۝١٢٠ اَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِىهِ ظُلُمٰتٌ وَرَعْدٌ وَنَبَقٌ يُجْعَلُوْنَ اَصْبٰعُهُمْ فِىْ ءَاذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِيْنَ ۝١٢١ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا اُضْءَا لَهُمْ مِّنْشَآءٍ فِىهِ وَاِذَا اُظْلِمَ عَلَيْهِمْ قَامُوْا وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَاَبْصَرِهِمْ اِنْ اَلَّ اللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝١٢٢﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: حقيقة لأن قلوبهم لا تطابق لسانهم نزلت في المنافقين ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: يظهرون الإيمان ويطنون الكفر ويعتقدون أنه ينفعهم ^(١) عند الله كنفعهم عند بعض المؤمنين كما قال تبارك وتعالى : " يوم يبعثهم الله جميعاً " الآية (المتحفة: ١٨)، أو يعملون عمل المخادع أو المراد من مخادعة الله مخادعة رسوله ، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: دائرة الخداع راجعة إليهم في الدنيا أيضاً مفتضحون ولا يحسبون لغفلتهم ، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق ، ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: كلما كفروا بآية ازدادوا مرضاً ونفاقاً ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم ومن قرأ " يكذبون " بالتشديد فمعناه بتكذيبهم آيات الله ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: للمنافقين ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعصية وإظهار أسرار المؤمنين مع الكفار ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: أى : على الهدى ندارى الفريقين المؤمنين والكافرين ونصطليح معهم ونريد الإصلاح بينهم وبين أهل الكتاب ، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾: ردهم أبلغ رد لتعريضهم على المؤمنين في قولهم إنما نحن مصلحون ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾: المهاجرون والأنصار أو مؤمنو أهل الكتاب ، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الهمة للإنكار واللام ^(٢) للناس والسفه خفة رأى وهذا قول سرهم فيما بينهم فأفضحهم الله ، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا﴾ ^(٣): صادفوا ﴿الَّذِينَ

(١) أي : الخداع / ١٢ منه .

(٢) أي : لام السفهاء لام عهد ، أي : الناس .

(٣) حديث لقي ابن أبي وأصحابه أبا بكر وعمر وعلياً - رضي الله عنهم - وقال لأصحابه "انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم !؟ فأخذ بيد أبي بكر وقال: مرحباً بالصادق سيد بني تميم وشيخ الإسلام ، ثم أخذ بيد عمر وقال: مرحباً بسيد بني عدى الفاروق

آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ: خلوت بفلان وإلى فلان إذا انفردت معه وشياطينهم سادتهم أو أصحابهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: في الدين ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: نلعب بالمؤمنين ، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يجازيهم جزاء استهزائهم أو يرجع وباله إليهم أو يعاملهم معاملة المستهزئ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يُفْتَحُ لهم بابٌ في الجنة فإذا انتهوا إليه سدَّ عنهم ورُدُّوا إلى النار ، ﴿وَيَمْدُهُمْ﴾: يملأ لهم ويمهلهم فحذف اللام أو يزيدهم ويقويهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: تجاوزهم عن الحد ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحIRON والعمة في البصيرة والعمى في البصر ، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ، أسند إليها وهو لأربابها لمشاكلة التجارة الفاعل من حيث إنها سبب الربح والخسران ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: لطرق التجارة ﴿مَثَلُهُمْ﴾^(١) كمثل الذي استوقد نارا:

= القوى في دينه ، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى أصحابه فرحاً مستهزئاً فترل " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون " ذكره غير واحد من المفسرين ورواه الشعي والواحدى عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الشيخ بن حجر العسقلاني هو سلسلة الكذب والكلبي متهم بالكذب والسدي الصغير كذاب وأبو صالح ضعيف وآثار الوضع ظاهرة عليه إذ سورة البقرة نزلت أوائل الهجرة وتزوج [إشارة إلى استبعاد قوله: "وختنه".] فاطمة في السنة الثانية من الهجرة / ١٢.

(١) ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء ولأن المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأناً عظيماً في إبراز خفية المعاني ورفع أستار محجبات الدقائق ولهذا استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر من ذلك في مخاطباته ومواظله، =

أى : حالهم كحال الذين أوقدوا ، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ : النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ ، وأمنوا ما يخافون ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ، المراد من إيقادها فبقوا في ظلمة وخوف ، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُنْصِرُونَ﴾ : جمع الظلمة لكثرةها ، ثم إن المنافقين بإظهار الإيمان آمنوا في الدنيا وإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف ، أو المراد بإيمانهم أولاً ثم كفرهم ثانياً ، فيكون إذهاب النور في الدنيا كما قال تعالى : " ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا " الآية (المنافقون: ٣) ، وهذا منقول عن كثير من السلف ، ﴿صُمٌّ﴾ : أى : هم عن قبول الحق صم ، ﴿بِكُمْ﴾ : عن قول الحق ، ﴿عُمِّي﴾ : لا يبصرونه ، فهذا فذلكة^(١) التمثيل فالضمير للمنافقين أو للمستوقدين والمعنى لما أذهب نورهم أدهشتهم الظلمة بحيث اختلت حواسهم ، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ : إلى الهدى الذي باعوه ، ﴿أَوْ كَصِيبٍ﴾ : كأصحاب مطر أو سحاب وهو مثل آخر وأو للتساوي كجالس الحسن أو ابن سيرين ، أي : أنت مخير في التمثيل بأيهما شئت ، وقال بعض المفسرين : إن هذين مثلاً لقومين أي : مثل بعضهم هذا ومثل بعضهم هذا فإنهم لا يخلون عن أحد هذين المثليين ، ﴿مَنْ السَّمَاءِ﴾ : من جميع جوانب السماء لا من أفق دون أفق وفهم هذا من السماء المعرف أو من السحاب ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ : في المطر أو السحاب ظلمة تكاثف المطر والغمامة والليل وهي فاعل الظرف ، ﴿وَرَعْدٌ﴾ : ملك موكل بالسحاب فيطلق على صوته أو صوت يسمع من السحاب ﴿وَبَرْقٌ﴾ : نار تخرج من السحاب أو لمعان صوت الملك أو نار طارت من فيه إذا اشتد غضبه ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾ : أناملهم ﴿فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ : شدة صوت الرعد ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ : مخافة الهلاك ،

= قال ابن جرير: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال تعالى : " رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت " (الأحزاب: ١٩) ، وقال تعالى : " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (الجمعة: ٥) .

(١) أي : خلاصة التمثيل / ١٢ .

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: لا يفوتونه كما لا يفوت الحاط به المحيط به لا ينجيهم الخداع ، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾: يأخذ بسرعة ﴿أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾: أضاء لازم أو متعدد ، أي : أضاء لهم ممشى ﴿مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ وكذلك أظلم لازم أو متعدد ، ﴿فَاقْمُوا﴾: وقفوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم يوميض البرق ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فليحذروا شبهة^(١) القرآن والإيمان بالصيب وما فيه من شبه المبطلين واعتراضاتهم بالظلمات وما فيه من الوعيد والأحوال وذكر النار والحساب بالرعد وما فيه من الوعد والآيات الباهرة بالبرق وتصائمهم عن الوعيد بحال من يهوله الرعد فيسد أذنه مع أنه لا خلاص عنها ويدل عليه قوله تعالى : " والله محيط بالكافرين " واهتزازهم لما ظهر لهم من غنمية وراحة يطمح عليه أبصارهم بمشيهم في ضوء البرق وتحيرهم في الأمر وتوقفهم حين عروض شبهة أو بلاء ومحنة بتوقفهم إذا أظلم ثم نبه بقوله: " ولو شاء الله لذهب " إلخ على أن السمع والبصر والتوسل إلى الفلاح وهم صرفوهما إلى الحظوظ العاجلة

(١) شبه القرآن إلخ الأولى والأمثل أن يجعل التمثيلين من المركبة دون المفرقة فلا يتكلف لكل واحد شيء يقدر شبهه به فنقول في الأول حيرة المنافقين وشدة الأمر عليهم بما يكابده من إطفاء ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل الأليل، وفي الثاني شبه حالهم بحال من أخذته السماء بانتساج المطر الهالك مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب الأسود وتواتر الرعد القاصف والبرق الخاطف وهم الصواعق الحارقة المحرقة في أثناء ذلك قلق واضطراب من خوف الهلاك متشبثين بما لا يدفع عنهم الموت كالغريق ولو قلت لا يطمئن قلبي إلا بأن يتكلف ويتكفل لكل واحد شيئاً يقدر شبهه به فاستمع يمكن شبه القرآن ودين الإسلام بالصيب فإنه يحيى القلوب كالمطر يحيى الأرض بعد موتها إلى آخر ما في التفسير / ١٢ وحيز .

وسدوهما عن الفوائد الحقيقية ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه قادر مطلق .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١١١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١١٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴿

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام للمؤمن والكافر والمنافق ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: وحدوه ، ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: اخترعكم من غير سبق مثال ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، عطف على مفعول خلق ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(١)﴾ ، أي : اعبدوا ربكم راجين أن تنحطوا في سلك المتقين، أو خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى أو خلقكم لكي تتقوا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾: بساطاً غير حزنة غليظة ، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾: قبة مضروبة عليكم ، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان تقدم ﴿رِزْقًا﴾: مرزوقاً أو من للتبعض ورزقاً مفعول له ﴿لَكُمْ﴾: صفة رزقاً على الأول ومفعول المصدر على الثاني ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا^(٢)﴾: أمثالاً تعبدوهم كعبادة الله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ والحال أنكم من أهل العلم، أو تعلمون أن

(١) وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال بلى قال فما عملت قال شمرت واجتهدت قال فذلك التقوى / ١٢ تفسير ابن كثير .

(٢) قوله أنداداً و الند المثل المناد و ناددت الرجل أي: خالفته خص بالمخالف المائل في الذات والصفات كما خص المساوي للمائل في القدر وتسميته ما يعبد المشركون من دون الله أنداداً وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولأنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهمهم وشنع عليهم بأن جعلوا لله أنداداً لمن يتمتع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل :

أرباباً واحداً أم ألف رب أدين إذ تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

١٢ بيضاوي .

أن الأنداد لا تماثله بوجه ، «وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَادْعُوا» : أي : القرآن ، «عَلَى عَبْدِنَا» : محمد عليه الصلاة والسلام «فَأْتُوا بِسُورَةٍ» : طائفة من القرآن معبر عنها بسورة كذا «مَنْ مِثْلِهِ» : مثل القرآن في البلاغة والإخبار عن الغيب ، «وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ» : واستعينوا بأعوانكم أو اهتكم ، «مَنْ دُونِ اللَّهِ» : أي : ادعوا من شئتم غير الله ، وقيل : ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه علامة العجز ، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» : إنه من كلام البشر ، «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» : فيما مضى «وَلَنْ تَفْعَلُوا» : بعده أبداً وهذه معجزة أخرى «فَاتَّقُوا» : احذروا واتقوا بالإيمان «النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا» : ما يوقد به النار «النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» : حجارة الكبريت فتكون أشد^(١) وأتقن وأظلم وهو قول كثير^(٢) من السلف وقيل حجارة الأصنام ، «أُعِدَّتْ» : النار والحجارة «لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ» : البشارة خير سار يظهر أثر السرور في البشارة^(٣) «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» : عملاً بلا رياء ، أو كل ما حسنه الشرع «أَنَّ لَهُمْ» : بأن لهم «جَنَّاتٍ» : دار الثواب وهي سبعة^(٤) «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا» : تحت أشجارها وغرفها «الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا» مبتدأ من الجنات «مِنْ ثَمَرَةٍ» : بيان تقدم كرايت منك أسداً^(٥) «رَزَقًا» : مرزوقاً «قَالُوا هَذَا» : مثل «الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ» : في

(١) فيه رد على القاضي حيث قال إنه إبطال المقصود إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لخبها

بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت / ١٢ .

(٢) كابن عباس وابن مسعود وعلي بن الحسين وجعفر وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) قيل الصحيح أن كل خير يغير البشارة من خير أو شر بشارة لكن أكثر استعماله في

الخير وقد صرح بذلك سيبويه هذا في المنهية ورجح صاحب الوجيز هذا القول / ١٢ .

(٤) جنة الفردوس وعدن ونعيم ودار الخلد ودار السلام وجنة المأوى وعليون / ١٢ منه .

(٥) كأنه انتزع منه الأسد لكماله في الشجاعة / ١٢ [ويسمى في البلاغة بالتهجيد] .

الدنيا أو في الجنة ، ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾: في الهيئة واللون دون المقدار والطعم فأين طعم فواكه الجنة من الدنيا؟! أو يشبه بعضها بعضًا من جميع الوجوه إذ طعم فواكه الجنة متقاربة عطف على قالوا مقررة للحملة ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: نساء وجوار مطهرة مما يستقذر ويذم منهن كالحيض وندس الطبع ، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١): ليس لهم خوف فوات نعمة.

ولما قالت الجهلة: الله أجل من أن يضرب الأمثال بالصيب والمستوقد وبيت العنكبوت والذباب فترلت^(٢) ، ﴿إِنَّ^(٣) اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾: لا يستنكف^(٤) من ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: أن يبين شيئًا ﴿مَّا﴾ أي: أي مثل ﴿بِعُوضَةٍ﴾: صغار البق عطف بيان لثلاً ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الصغر والحقارة كجناحها^(٥) أو في الكبر كالذباب ،

(١) الخلود المكث الطويل المتناهي أو غير المتناهي وإطلاقه على المتناهي بطريق الحقيقة أو المجاز قولان / ١٢ منه .

(٢) وبين أن لا دخل لحقارة المثل في الممثل وذلك من ديدن الأدباء من العرب العرباء/ ١٢ وجيز .

(٣) ثم إنه تعالى لما دفع عنهم بالدليل ريهم المبهم في القرآن وأردف كما هو عادة كلام الله حال المتقين بحال الشاك أخذ يفحمهم بأن لا مطعن في لبعض [كذا بالأصل] آياته الذي هو الأمثال هو ريهم لمعين فقال : " إن الله لا يستحي " الآية / ١٢ م .

(٤) لا يترك المثل ترك من لا يستحي [كذا بالأصل] أن يمثل بأمثال البعوضة لحقارتها فإن 'الحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وفي الحديث (إن الله حيي كريم) الحديث/ ١٢ منه . [صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، وانظر صحيح الجامع (١٧٥٧)].

(٥) كما تقول: فلان شحيح جاهل فيقول السامع: نعم وفوق ذلك قال الإمام الرازي: هو قول أكثر المحققين/ ١٢ منه .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْمَثَلُ «الْحَقُّ»: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره «مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا: أي شيء «أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا»: نصب على التمييز أو الحال ، «يُضِلُّ بِهِ»: بالمثل «كَثِيرًا»: من الكفار ، أي : إضلال كثير وضع الفعل موضع المصدر جواب (١) ماذا ، «وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا»: من المؤمنين ، «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»: الخارجين عن حد الإيمان ، «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ»: يفسدون ويتركون «عَهْدَ اللَّهِ»: هو قوله: "ألست بربكم" (الأعراف: ١٧٢)، أو عدم كتمان شيء نزل من عند الله في الكتب «مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ»: تأكيد العهد من الآيات في الكتب «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ»: أي: كقطع الأرحام والقربابات أو أعم كالإعراض عن موالاته المؤمنين والتفرقة بين الآيات في التصديق وهو بدل من ضمير به ، «وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ»: بأنواع المعاصي ، «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»: باشتراء الفساد والعقاب بالصلاح والثواب ، «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ»: معناه التعجب أي : أخبروني على أي حال تكفرون ، «وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا»: ترابًا أو نطفًا في أصلاب الآباء ، «فَأَحْيَاكُمْ»: بخلق الحياة فيكم أو في الأرحام، ومعنى الفاء في الثاني أظهر ، «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ»: في الدنيا ، «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ»: عند نفخ الصور ، «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»: بعد الحشر لجزاء العمل.

«هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ»: لاجل انتفاعكم «مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» لكي تنتفعوا به وتعتبروا، جميعًا حال من ما ، «ثُمَّ اسْتَوَى (٢) إِلَى السَّمَاءِ» ، قصد وارتفع إليه

(١) أي أراد الله بهذا إضلال كثير وهداية كثير / ١٢ منه .

(٢) قال أبو العالية الرياحي: استوى إلى السماء أي : ارتفع، نقله البخاري عنه في صحيحه ورواه محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن ربيع بن أنس، وقال البغوي: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن : ارتفع إلى السماء وقال الخليل بن أحمد في ثم استوى إلى =

فخلق السماء بعد خلق الأرض لكن دحوها متأخر هكذا ذكره ابن عباس وفيه إشكال سنذكره في سورة (النازعات) والأولى أن ثم للتراخي الرتبة لا الزماني على أن فيه أيضاً ما ستقف عليه ، ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: الضمير للسماء لأنه في معنى الجمع عدلهن مصونة عن العوج والفتور ، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١): بدل أو تفسير ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن بالعلم يصح الخلق ويحكم الفعل.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْبِيَائُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ

= السماء: ارتفع رواه أبو عمر ابن عبد البر في شرح الموطأ له كل هذا نقله الذهبي في كتاب العلل له / ١٢.

(١) قد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن ما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وأنها سبع سموات وأن الأرض سبع أرضين ولم يأت في التزييل ولا في السنة المطهرة تصريح بأن فيهن من يعقل من العوالم والأروام وأنبيائهم والآثار عن الصحابة ومن بعدهم إن جاءت بسند صحيح لا تصلح للاحتجاج على ذلك فكيف بما لم يصح سنده أو صح ولكن لم يتابع عليه أو توبع ولكن لم يساعده نص من الله ورسوله / ١٢ فتح .

أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢١﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَٰذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾

﴿وَأَذِ﴾: أي : واذكر إذ ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾: مطلق الملائكة أو ملائكة^(١) الأرضين وهو تعداد نعمة ثالثة عامة^(٢) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: يعني آدم هو خليفة الله في أرضه ينفذ قضاء الله وأحكامه أو المراد من الخليفة البديل ، أي : من الجن والملائكة فإنهما كانا سكان الأرض حينئذ أو المراد قوم يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن كقوله تعالى: "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" (الأنعام: ١٦٥)، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما فعله^(٣) الجن قبلهم وهو تعجب واستكشاف^(٤) عما خفي عليهم من الحكمة ، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾: نعبدك^(١) عن

(١) هذا مذهب ابن عباس وبعض آخر / ١٢ منه .

(٢) فإن الأولى بينت بقوله : " كنتم أمواتاً " ، والثانية بقوله : " خلق لكم ما في الأرض جميعاً " / ١٢ منه .

(٣) قاسوا حال الإنس على حال الجن، وعن كثير من السلف أنه تعالى قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة له ذرية يفسدون ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً / ١٢

وجيز .

(٤) لا اعتراض على الله / ١٢ .

السوء ، ﴿بِحَمْدِكَ﴾: متلبسين به ، ﴿وَتَقْدُسُ﴾: نظهر نفوسنا عن المعاصي ،
 ﴿لَكَ﴾: لأجلك أو نقدسك عما أضاف إليك الكفرة فاللام زائدة ، ﴿قَالَ إِنِّي
 أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من المصلحة أو بأن أجعل فيهم الأنبياء والصديقين
 والشهداء أو أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس ، ﴿وَعَلَّمَ﴾^(٢) آدَمَ الْأَسْمَاءَ: خلق
 في قلبه علماً ﴿كُلُّهَا﴾^(٣): اسم كل شيء حتى القصعة^(٤) والقصيعة^(٥) ، ﴿ثُمَّ
 عَرَضَهُمْ﴾: الضمير للمسميات إذ التقدير أسماء المسميات والتذكير لتغليب العقلاء
 ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتَيْنُونِي﴾: أخبروني ﴿بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ﴾ تبكيت وتنبيه لهم على
 قصورهم ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦): أنكم أحقاء بالخلافة أو لن يخلق الله تعالى خلقاً
 أعلم منكم فإن الملائكة قالوا ذلك بينهم ، ﴿قَالُوا﴾ إقراراً بالعجز ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ،
 صدروا الكلام به استعذاراً عن الجرأة في الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ، ﴿لَا عِلْمَ
 لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾: الذي لا يخفي عليه خافية ﴿الْحَكِيمُ﴾^(٧):

-
- (١) قال الحسن: نقول سبحانه الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى
 الآدميين وعليها يرزقون / ١٢ معالم .
- (٢) قال في الكشف: وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل واشتقاقه
 من الأدمة وغيرها تعسف / ١٢ فتح .
- (٣) قال في المظهر: وعندني أن الله علم آدم الأسماء الإلهية كلها، ثم رجع هذا بكلام
 طويل وهو غير راجح مع ما فيه من البعد والتكلف ولم يقل به أحد من المفسرين ويأباه
 ظاهر النظم وسياقه / ١٢ فتح .
- (٤) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة / ١٢ معالم .
- (٥) حتى مصغر الأشياء / ١٢ منه .
- (٦) فإنكم إذا كنتم لا تعلمون أسماء ما عرضت عليكم وأنتم تشاهدونه فمن أين لكم علم
 بأنكم أحقاء بخلافتي؟ كذا قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .
- (٧) وفي الآية من الدلالة على شرف العلم وجلالة محله وإفاقته على سائر الكمالات وإن لم
 يكن علماً متعلقاً بذات الله وصفاته كما لا يخفى / ١٢ وجيز .

القاضي العدل، أو المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة ، ﴿قَالَ﴾: لما ظهر عجزهم ﴿يَا آدَمُ أَتَيْتُكَ﴾: أعلمهم ، ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ، قال: أنت جبريل، أنت ميكائيل حتى وصل الغراب ، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وظهر فضل آدم عليه السلام عليهم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾: استفهام توبيخ فإن الأدب التوقف لأن يبين ، ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١): ما غاب فيهما عن الخلق ، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أى: أعلم ما تظهرونه بالستكم وما تخفونه في أنفسكم، فلا يخفى عليّ شيء من قولكم علانية أتجعل فيها من يفسد فيها وسراً لن يخلق الله خلقاً أكرم^(٢) عليه منا وما أسر إبليس من الكبر في نفسه ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ عطف على "وإذ قال" ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: السجود حقيقي طاعة لله وتعظيماً لآدم وهو مشروع قبل الخناء^(٣) لا وضع جبهة أو السجود لله وآدم قبله وقد ضعفهما^(٤) بعض العلماء ، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه من نوع من الملائكة المسمين بالجن وضح عن الحسن رضي الله عنه أنه ليس^(٥) منهم ، ﴿أَبَى﴾: امتنع ، ﴿وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾ ، في سابق علم الله أو صار^(٦) ، ﴿مِنَ

(١) وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والأرض رد لما يتكلفه كثير من العباد من الاطلاع

على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان وأهل الرمل والسحر والشعوذة/ ١٢ .

(٢) كذا فسر السلف / ١٢ وجيز .

(٣) ويرده قوله تعالى : " فقعدوا له ساجدين " / ١٢ منه .

(٤) الإمام الرازي وأطال في ترييفهما / ١٢ منه .

(٥) وما في سورة الكهف من قوله تعالى : " كان من الجن ففسق عن أمر ربه " يؤيد

ذلك/ ١٢ وجيز .

(٦) صار كافراً لأنه استكبر واعترض على الله وأيضاً أمره الله بالسجود لا في ضمن العموم

فامتنع وأبى وذلك كفر / ١٢ منه .

الكَافِرِينَ ﴿١﴾ ، أو كان كافرًا من الجن فأسلم وعمل عمل الملك ثم كفر ، ﴿وَقُلْنَا﴾ ، بعد سجود الملائكة ، ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ، دار الخلد وقيل بستانًا في الأرض ، ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ ، أكلا ، ﴿رَغَدًا﴾ ، واسعًا ، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ، أي : مكان من الجنة ، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ، بالأكل والأصح أنها شجرة معينة لا تتعين ^(١) عندنا ، ﴿فَتَكُونَا﴾ ، عطف على "تقربا" أو جواب النهي ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ : الذين وضعوا أمر الله تعالى غير موضعه ، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ : الضمير للشجرة ، أي : حملهما على الزلة بسببها أو للجنة أي فبعدهما عن الجنة ، ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ : من النعيم والكرامة ، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ : انزلوا على الأرض جمع الضمير لأنهما أصلا الإنس فكأنهما الجنس أو المراد هما والشيطان ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ : أي : متعادين والعداوة بين ذريتهما لقوله تعالى : " قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو " (طه: ١٢٣) ، أو بين المؤمنين والشيطان ، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ : موضع قرار ، ﴿وَمَتَاعٌ﴾ : تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ : الموت وقيل القيامة ، ﴿فَتَلَقَى﴾ : تلقى ﴿آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ : ومن قرأ برفع كلمات ونصب آدم فمعناه بلغته وهي : " ربنا ظلمنا أنفسنا " الآية (الأعراف: ٢٣) ، أو غيرها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ : رجع عليه بالرحمة ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ : يقبل التوبة ويكثر إعانتهم عليها ﴿الرَّحِيمُ﴾ : المبالغ في الرحمة ، ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كبرر للتأكيد وليترتب عليه قوله ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ : يا بني آدم ، ﴿مِنِّي هُدًى﴾ : أنبياء والبيان ، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ : أقبل على الهدى وقبل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حين يشتد الأمر على العصاة ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا ، والشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قسيم لمن تبع ، أي :

(١) وليس في السنة الصحيحة ما دل على تعيينها وعند كثير من السلف إنها الكرم وعند

كفروا بالآيات المنزلة جنائاً وكذبوا لساناً، أو كفروا بالله وكذبوا بالآيات ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِقَائِلِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنْهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿

﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٢) أي : أولاد يعقوب هيجهم بذكر أبيهم ، أي : يا بني العبد المطيع لله ﴿اذْكُرُوا﴾: احفظوا ولا تنسوا، أو اشكروا ، ﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ

(١) قوله تعالى : " خالدون " ولما بين أن لا خوف ولا حزن على تابع الهدى وغضب الله دائم على الكافر المكذب نادى أهل الكتاب الباقيين المعاندين وعد عليهم نعمه ووعدهم بالإيفاء وأوعدهم بالمخالفة وهم أولى الخلق باتباع الهدى / ١٢ وحيز .

(٢) واعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهني عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتزهد عنها كَلَامُ الْبُلْغَاءِ فَضْلاً عَنْ كَلَامِ الرَّبِّ =

.....

- سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تأخره وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن مازال يتزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لتزوله منذ نزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية لتزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحریم أمر كان حلالاً وتحليل أمر كان حراماً وإثبات أمر لشخص أو أشخاص تناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحيثاً في عبادة وحيثاً في معاملة ووقتاً في ترغيب ووقتاً في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطوراً في أمر دنيا وتارة في أمر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية وإذا كانت أسباب التزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها باعتبار نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا الأمر لا بد منه وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين الآيات رجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجدته تكلفاً محضاً وتعسفاً بيناً انقده في قلبه ما كان عليه في عافية وسلامة هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن في المصحف فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك ومن شك في هذا - وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم - رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب التزول المطلعين على حوادث النبوة فإنه ينثليج صدره ويزول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة فضلاً =

= عن المطولة فإنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل " اقرأ باسم ربك الذي خلق " (العلق: ١)، وبعده " يأياها المدثر " (المدثر: ١)، " يأياها المزمّل " (المزمّل: ١)، وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف وإذا كان الأمر هكذا فأني معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزل الله متأخراً وتأخر ما أنزل الله متقدماً فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه من تصدى لذلك من الصحابة وما أقل نفع مثل هذا و أنزر ثمرته وأحقر فائدته بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاداته وإلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً وأخرى هجاءً وحيناً تشبيهاً وحيناً رثاءً وغير ذلك من الأنواع المتخالفة فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك وناسب بين الإنشاء الكائن في العزى والإنشاء الكائن في إلهنا وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصاباً في عقله متلاعباً بأوقاته عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله وإذا كان مثل هذا بهذه المترلة وهو ركوب الأحموق في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي فأنزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد يأتي بفنون مختلفة وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين فضلاً عن المقامات فضلاً عن جميع ما قاله مادام حياً وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعثر في ساحاتها =

عَلَيْكُمْ: فلق البحر وجعل الأنبياء فيهم وإنجاءهم من فرعون وغيرها ولا شك أن
نعمة الآباء نعمة الأبناء ، «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي» في محمد عليه الصلاة والسلام أو في
امثل أمري ، «أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ» : ارضى عنكم وأدخلكم الجنة ، أو بالقبول والثواب ،
«وَأَيَّايَ فَارْهَبُونَ» خصوصاً في نقض العهد ، «وَعَامِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ» ، أي :
القرآن «مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ» فإنكم تجدون محمداً مكتوباً عندكم في التوراة
والإنجيل ، «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» : أول فوج يكفر بما أنزلت من أهل
الكتاب ، «وَلَا تَشْتَرُوا» : لا تستبدلوا ، «بِآيَاتِي» : بالإيمان بها «ثَمَنًا قَلِيلًا» :
الدنيا بخدافيرها ، أو ما يصيب العلماء من السفلة فإنهم عينوا كل سنة للعلماء شيئاً
فخافوا إن أسلموا يفوت ذلك عنهم وتفوت الرياسة^(١) أيضاً ، فكتموا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم ، «وَأَيَّايَ فَاتَّقُونَ» : أي : فاحشون لا فوات الرياسة ، «وَلَا تَلْبِسُوا
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» ، أي : لا تخطوه ، فإن علماء اليهود يزيدون في آيات الله ما
يشتهون ، «وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ» ، عطف على المنهي ، أو وأن تكتموا الحق فالواو للجمع ،
أي : لا تجمعوا^(٢) بينهما ، «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» بأنكم تكتمون^(٣) وتلبسون ، «وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ» أي : صلاة المسلمين ، «وَأَتُوا الزَّكَاةَ» ، أي : زكواتهم والمراد طاعة الله
تعالى والإخلاص ، «وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» أي : كونوا مع المؤمنين في أحسن

= كثير من المحققين وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع
بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف
ناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف :

فدع عنك نهياً صريحاً في حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل

(١) كذا فسر به الحسن البصري وسعيد بن جبير / ١٢ منه .

(٢) أي : بين تلك الخصلتين القبيحتين / ١٢ .

(٣) والكتمان والإلباس في حال العلم بهما أقبح / ١٢ منه .

أعمالهم وهو الصلاة ، عبر عن الصلاة بالركوع لأن صلاة اليهود ليس فيها ركوع ،
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ : بالإيمان ، **﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾** : تتركوها من البر
كالمنسيات ، نزلت في أحيار اليهود ينصحون سرًا باتباع محمد عليه الصلاة والسلام
ولا يتبعونه^(١) ، **﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ﴾** : تقرأون ، **﴿الْكِتَابَ﴾** : التوراة التي فيها الوعيد على
العناد ومخالفة القول العمل ، **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** : قبح صنيعكم ، **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ﴾** : لما أمروا بما هو شاق عليهم وهو ترك المال والرياسة عولجوا بالاستعانة
على طلب الآخرة بحبس النفس عن المعاصي أو الصيام لما فيه من كسر الشهوات أو
الصبر على أداء الفرائض والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، **﴿وَإِنَّهَا﴾** أي :
الصلاة فإن الصبر داخل فيها ، قيل : تقديره إنه لكبير وإنها لكبيرة فحذف اختصاراً
ولم يقل وإنهما إشارة إلى أن كلا منهما لكبير ، أو الضمير للاستعانة **﴿لِكَبِيرَةٍ﴾** : ثقيلة
﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ : المؤمنين حقًا الساكنين إلى الطاعة ، قال ابن جرير : الآية
عامّة لبني إسرائيل وغيرهم ، **﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾** : يتيقنون **﴿أَنْهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾** :
محشورون إليه ، **﴿وَأَنْهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** : أمورهم راجعة إليه فيحكم بالعدل .

**﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ۝٤﴾** وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٥﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
فِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ

(١) هذا قول ابن عباس وقال غيره: معناه أتأمرون الناس بقبول أحكام التوراة وتنسون
أنفسكم فتركوا ما فيها من الإيمان بمحمد عليه السلام / ١٢ منه .

وَأَعْرَفْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦٩﴾ *

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وهو كما مر جعل الأنبياء فيهم وخلصهم من البلاء كرره تأكيداً ، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ : بما أعطيتهم من الملك والكتب والرسول ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ : عالمي زمانكم وتفضيل الآباء شرف الأبناء ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ : احذروا ما فيه من العقاب ﴿لَّا تَجْزِي﴾ : لا تقضي فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ : من الحقوق أو من الجزاء فنصبه على المصدر حينئذ والجملة صفة يومًا ، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ : في شأن الكفار رد عليهم حيث قالوا : آباؤنا الأنبياء

شفعاء لنا ، ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾^(١) : فداء وقيل بدل ، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ : ولا لهم ناصر يمنعهم من العذاب .

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ : عطف على نعمتي وتفصيل لها ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ، أتباعه ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ : ييغونكم ، والجملة حال ، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ : أفضعه وأشدّه نصب على مفعول يسومونكم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ : يقتلون بيان ليسومونكم^(٢) ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يتركون أحياء للخدمة ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ : صنعهم ، ﴿بَلَاءٌ﴾ :حنة ﴿مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ : أو^(٣) الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى النعمة وهو قول كثير من السلف^(٤) .

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ : فصلنا بين بعضه وبعض ﴿بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ : كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما أو بسببكم أو ملتبسًا بكم ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ اقتصر على ذكر الآل للعلم بأن فرعون أولى بالغرق ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ : غرقهم . ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾ : واعدنا بمعنى وعدنا ، أو الله وعد الوحي وموسى المجيء إلى الطور ﴿مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ، يعني انظر إلى نعمتي عليهم ثم إلى كفرانهم ثم إلى عفوي عنهم ، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ ، إلها ، ﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ : بعد مضى موسى ، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ، بشركم ، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ : محونا ذنوبكم ، ﴿عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، أي : الاتخاذ ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : لكي تشكروا عفوي ، ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ ، أي : الجامع بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل وقيل الفرقان

(١) أصل العدل التسوية سمي به الفدية لأنها سويت بالمفدى / ١٢ منه .

(٢) أي : الجملة بيان للجملة ، ولذلك ترك العاطف / ١٢ منه .

(٣) عطف على قوله صنعهم بحسب المعنى / ١٢ منه .

(٤) كابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم / ١٢ منه .

انفراق البحر ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ : لكي تهتدوا بالكتاب ، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ : العابدين للعجل ، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ : معبوداً ، ﴿فَتَوُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ : خالقكم ، قالوا كيف تتوب ؟ قال : ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي : كل منكم من لقي فأصابتهم سحابة سوداء لا ينظر بعضهم بعضاً ففعلوا فغفر الله للقاتل والمقتول والقتلى سبعون ألفاً أو ليقتل البريء المحرم ، ﴿ذَلِكُمْ﴾ ، أي : القتل ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ ، من حيث إنه وصلة إلى الحياة الأبدية ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : ففعلتم فتاب عليكم ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ : الذي يكثر قبول التوبة ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ : المبالغ في الرحمة ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ﴾ : لن نقر ، ﴿لَكَ﴾ ، أي : اذكروا نعمتي بعد الصعق ، إذ سألتهم ما لا يستطيع لكم ، فإن موسى اختار سبعين رجلاً ليعتذروا إلى الله من الشرك ، فلما سمعوا كلام الله قالوا ذلك ، ﴿حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ : عياناً ونصبه على المصدر أو الحال ، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ : صيحة من السماء أو نار ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ : ما أصابكم فلما هلكوا بكى وتضرع موسى قائلاً : ماذا أقول لبني إسرائيل إذ أهلكت خيارهم ؟ فتضرع وتناشد حتى أحياهم الله تعالى وهذا قوله ، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ : أحييناكم ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ : بسبب الصاعقة ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : نعمة البعث وكلام بعض السلف أن طلب الرؤية حين خرجوا لأجل التوبة من عبادة العجل ، وكان قبل الأمر بالقتل وكلام بعض آخران هذا بعد القتل والله أعلم ، ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ^(١)﴾ : السحاب يظلمهم من الشمس حين كانوا في التيه ، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ : التزجيج أو عسلأ ألد من عسلنا أو خبز الرقاق ،

(١) صرح كثير من السلف أنه ليس من جنس غمامنا، بل نوع آخر اللطف وأبرد وأنور/ ١٢ منه .

﴿وَالسَّلَوَى﴾: طير هو السمانى أو يشبه السمانى ، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ ، أي: قلنا لهم كلوا من حلالات ، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ، يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فحذف اختصاراً ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالكفران ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ أمروا به بعد التيه ، ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾ ، بيت المقدس أو أريحا ، قيل هم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى ، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعاً منصوب على المصدر ، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: القرية ، ﴿سُجَّدًا﴾: منحنين كالركع تواضعاً أو ساجدين لله شكرًا ، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ، أي : مسألتنا خطية ، أي: حط عنا خطايانا ، أمروا بالاستغفار كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أي : مغفرة استغفروا ، وقيل أقرؤا بالذنب ، قال عكرمة : قولوا لا إله إلا الله ، ﴿تُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾: بسجودكم ودعائكم وهو جواب الأمر ، ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: ثواباً وإحساناً ، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: فقالوا حبة في شعرة ، أو حنطة ، وحاصله أنهم أمروا أن يدخلوا سجدًا فدخلوا يزحفون على أستاههم رافعي رءوسهم ، وأمروا أن يستغفروا فاستهزءوا وهذا غاية العناد والمخالفة، ولهذا قال الله تعالى ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: عذاباً^(١) أو طاعوناً أو برداً ، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى .

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥٠﴾﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ

(١) فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً / ١٢ معالم .

وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ
خَيْرٌ أَحْبَبُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ
وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِأَيْتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيَّ بَعْتِ الْحَقُّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٥﴾

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ ، أي : اذكروا^(١) نعمتي في إجابتي دعاء نبيكم في
شأنكم لما عطشتم في التيه ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ : حجر خفيف مربع^(٢)
قيل إذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء ، وعند بعض أنه لم يكن حجراً معيناً ،
بل يضرب أي حجر كان فينشق ، ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ ، تقديره فضرب فانشقت ، ﴿مِنْهُ
اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ : كل سبط ، ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾^(٣) : عينهم التي
يشربون منها خاصة بهم ، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ، أي : قلنا لهم ذلك ، ﴿مِنْ رِزْقِ
اللَّهِ﴾ ، أي : ما رزقكم الله من المن والسلوى وماء العين ، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ : لا تعتدوا ،
﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ : حال إفسادكم^(٤) ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ﴾ ،
أي : اذكروا نعمتي في إنزال المن والسلوى طعاماً طيباً نافعاً ثم اذكروا سؤالكم
استبدال الأطعمة الدنية بذلك ، ﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ ، كانوا يأكلون المن بالسلوى

(١) ذكرهم نعمة إجابة دعوة نبيهم في شأنهم حين عطشوا في التيه مع أنهم مذنبون والسقي والتظليل في التيه ودخول القرية بعده ولم يراع الترتيب في ذكرها قصداً إلى بيان تكثير النعم / ١٢ وحيز .

(٢) نقله البغوي عن ابن عباس / ١٢ .

(٣) وضمير الجمع لمعنى كل أناس / ١٢ وحيز .

(٤) أي : أنتم مفسدون لكن لا تزيدوا فيه / ١٢ وحيز .

فيكون واحداً أو أرادوا بالوحدة أنها لا تتبدل كما يقال طعام فلان واحد ، أي لا يتغير ألوانه ، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: سله بدعائك لنا إياه ، ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾: يظهر لنا مجزوم بجواب فادع ، ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾: من الخضروات ما لا ساق لها تفسير لما تنبت وقع موقع الحال ، ﴿وَقَثَائِهَا﴾ ، هو معروف ، ﴿وَقَوْمِهَا﴾ ، هو الحنطة أو الثوم والعرب^(١) تقلب الفاء ثاء والثاء فاء، أو الخبز أو اسم لكل حب يؤكل ، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾: موسى ، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾: أخس ، ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: المن والسلوى لنفعهما أو طعمهما وعدم الحاجة إلى السعى ، ﴿اهْبِطُوا﴾^(٢) مِصْرًا: مصرًا من الأمصار ، أي : هذه الأشياء كثيرة في الأمصار لا حاجة إلى الدعاء أو مصر فرعون وجاز صرفه لسكون وسطه ، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾: فيها ، ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾^(٣): كضرب القبة ، ﴿الدَّالَّةُ﴾: الجزية فيكون المراد يهود وقعوا في عصر نبينا عليه الصلاة والسلام أو الهوان ، ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفاقة أو فقر القلب ولم يزل عليهم أثر البؤس وإن كانوا ذوى مال ، ﴿وَبَاعُوا﴾ ، أي: صاروا

(١) نحو مغائر ومغافر وأثافي وأثائي وعائور وعافور والتفسير الأول لابن عباس وأبي مالك والحسن وغيرهم ، والثاني لمجاهد وسعيد بن جبير وفي قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء والثالث لعطاء وسفيان الثوري ، والرابع في البخاري قال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها قوم / ١٢ منه .

(٢) قوله "اهبطوا مصرًا" ، إن كان الأمر موسى فكان رخصة من الله لهم في نزولهم إلى البلدة وخلاصهم من التيه وإن كان الأمر هو الله تعالى فتقديره قلنا اهبطوا جملة مستأنفة يعني دعا موسى فأجابه / ١٢ وجيز .

(٣) وعند ابن عباس وكثير من السلف أن ضمير عليهم في "ضربت عليهم الدلة" مطلق اليهود ولذلك فسروا الدلة بضرب الجزية ، وفسروا آيات الله بإنكار الإنجيل والقرآن والآية التي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم / ١٢ وجيز .

أحقاء ، ﴿بِعُصَبٍ﴾^(١) مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ ، أي: ما سبق من ضرب الذلة والبوء بالغضب ، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الكتب المتزلة كالإنجيل والقرآن

(١) قوله "يعضب" الغضب صفة الله تعالى بلا كيف، وأما قول النافين لصفاته: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فليس بصحيح في حقنا بل الغضب قد يكون لدفع المنافي قبل وجوده فلا يكون هناك انتقام أصلاً وأيضاً غليان دم القلب يقارنه الغضب ليس أن مجرد الغضب هو غليان دم القلب كما أن الحياء يقارن حمرة الوجه والوجل يقارن صفرة الوجه لا أنه هو هذا؛ لأن النفس إذا قام بها دفع المؤذى فإن استشعرت القدرة فاض الدم إلى خارج فكان منه الغضب وإن استشعرت العجز غار الدم إلى داخل فاصفر الوجه كما يصيب الحزين وأيضاً فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا لم يلزم أن يكون غضب الله مثل غضبنا كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذواتنا فليس هو مماثلاً لا لأيداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته ونحن نعلم بالاضطرار أننا إذا قدرنا موجودين أحدهما عنده قوة يدفع بها الفساد والآخر لا فرق عنده بين الصلاح والفساد كان الذي عنده تلك القوة أكمل ولهذا يذم من لا غيره له على الفواحش كالديوث ويذم من لا حمية له يدفع بها الظلم عن المظلومين ويمدح الذي له غيرة يدفع بها الفواحش وحمية يدفع بها الظلم ويعلم أن هذا أكمل من ذلك ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم - الرب بالأكملية في ذلك فقال في الحديث الصحيح : (لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [أخرجه البخاري في "النكاح" ، (٥٢٢٠) ، وفي غير موضع من صحيحه] ، وقال : (تعجبون من غيرة سعد لأننا أغير منه والله أغير مني) [أخرجه البخاري في "التوحيد" ، (٧٤١٦) ، وفي موضع آخر ، ومسلم في "اللعان" ، (٣/٧٢٤) ، ط الشعب] ، وقول القائل : إن هذه انفعالات نفسانية فيقال : كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعلة ، فكأنها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزاً عن دفعها فإن كل ما يجري في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا ما يكون له الملك وله الحمد انتهى ما قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني/ ١٢ .

وآية الرجم والتي فيها نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة ، ﴿وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ﴾: شعبياً وزكريا ويحى عليهم الصلاة والسلام وغيرهم ، ﴿يَغْيِرِ الْحَقَّ﴾ ،
عندهم فإنهم غير معتقدين جواز قتلهم ، ﴿ذَلِكَ﴾: الكفر والقتل ، ﴿بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ، أى : جرهم العصيان والتمادي في تجاوز أمر الله تعالى إلى ذلك
فإن صغار الذنوب تؤدي إلى الكبار ، وقيل تكرير للفظ "ذلك" الأول إشارة إلى أن
الهوان والمسكنة كما أن سبهما الكفر والقتل سبهما المعاصي واعتداء حدود الله .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿١٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنكُمْ
فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا
رَبَّكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ
النَّظِيرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا
وَأَنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ

وَلَا تَسْقَى الْخَزْرَ مُسَلِّمَةً لَّاشَيْءٍ فِيهَا قَالُوا أَلَسَنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾

﴿إِنَّ﴾ (١) الَّذِينَ آمَنُوا ، أي: قبل البعث مثل "حبيب النجار" و"بجيرا الراهب" وغيرهما أو المؤمنين من الأمم الماضية أو المؤمنين من هذه الأمة أو المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: دخلوا في دين اليهودية ، ﴿وَالنَّصَارَى﴾: أهل دين عيسى ، ﴿وَالصَّابِّينَ﴾: الخارجين من دين إلى دين قوم بين الجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، أو فرقة من أهل الكتاب أو عباد الملائكة أو قوم يوحدون الله ولا يتبعون نبياً ، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ، أي: من آمن إيماناً معتدّاً به فدخل فيه من استقر على دينه قبل النسخ كاليهود قبل بعثة عيسى والنصارى قبل بعثة نبينا عليهما الصلاة والسلام، أو معناه المنافقون واليهود والنصارى والصائبون من آمن بدين محمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: بوعده ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة حين الفرع الأكبر ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على تفويت الثواب، ومن مبتدأ و"فلهم أجرهم" خبره والجملة خبر إن ، أو بدل بعض من اسم إن وخبرها ، فلهم أجرهم ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: باتباع أحكام التوراة ذكرهم ما أخذ عليهم من العهود ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ ، لما نزل التوراة أبوا قبولها لما فيها من التكاليف فأمر جبريل بقلع جبل الطور فظلله فوقهم حتى (٢) قبلوا ،

(١) وذكر هذه الآية بعد ذكر الذلة والبوء عليهم لبيان امتنان النعمة عليهم فإنها في أثناء تعديد النعم كأنه قال انظروا إلى ما ارتكبوا من كبائر الذنوب التي استوجبت عليهم العقوبات المؤبدات ومع هذا إن آمنوا وندموا ورجعوا وتابوا فلهم في الدنيا والآخرة ما للمؤمنين الذين لم يعملوا سوءاً قط وما ذلك إلا على العناية / ١٢ .

(٢) قبول اختيار غير إكراه أو كان يكفي في دينهم مثل هذا الإيمان هذا ما في الوجيز، وفي الفتح: كل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه فنحن =

﴿خُذُوا﴾ أي : قلنا لهم خذوا ، ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ : من الكتاب واعملوا به ، ﴿بِقُوَّةٍ﴾ : يجد وطاعة ، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ : اقرءوا ولا تنسوه ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ : لكي تتقوا عن المعاصي ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : أعرضتم عن الوفاء بعد أخذ الميثاق ، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ : بتوبته عليكم أو بتأخير العذاب ، ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ : المغبونين الهالكين ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ ، حال ، ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ : جاوزوا عن الحد ، ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾^(١) ، أمرناهم بالعبادة وترك صيد البحر فيه فخالقوا ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ، أي : نودوا بأهل القرية كونوا قردة أو معناه بتكويننا إياهم ، وليس ثم قول والمسوخ صوري ومعنوي والخسء الصغار والطرء ، ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ : المسخة أو القردة أو القرية ، ﴿نَكَالًا﴾ : عبرة ، ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ : لمعاصريهم أو لما بحضرتها من القرى أو لأهل^(٢) تلك القرية أو لأجل ما تقدم

= نقول أكرههم الله على الإيمان فأمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عمن تكلم بكلمة الإسلام والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه قال القفال: إنه ليس إجباراً على الإسلام، لأن الجبر ما سلب الاختيار بل كان إكراهاً وهو جائز وأما قوله تعالى: "لا إكراه" (البقرة: ٢٥٦) كان قبل الأمر بالقتال/ ١٢ .

(١) ذكر أن الله أمر موسى بصوم الجمعة كما أمر سائر الأنبياء به فذكر ذلك لقومه وأمرهم بالتشريع به فتعدوا إلى يوم السبت فأوحى إليه أن دعهم وما اختاروا فأمرهم بترك العمل للعبادة فيه وحرم عليهم صيد البحر فكانت تأتى الحيتان يوم السبت لا غير وتخرج خراطيمها من الماء فاتتمروا بأمر الله زماناً ثم احتال أحد منهم بحيلة تبقي الحيتان في سيف البحر يوم السبت ويأتي يوم الأحد ويأخذها فتعلم القوم منه فهذا اعتداؤهم / ١٢ وحيز .

(٢) فإن بعضهم لم يمسحوا وبقوا على الإنسانية كما سيحيى في الأعراف / ١٢ منه .

من ذنوبهم وهو قول كثير من السلف ، «وَمَا خَلَفَهَا» ، من بعدهم أو ما تباعد عنها أو ما حواليلها أو لما تأخر من الذنوب^(١) ، «وَمَوْعِظَةً» : وزجراً ، «لِلْمُتَّقِينَ»^(٢) : الذين من بعدهم إلى يوم القيامة .

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى» ، أي : اذكروا نعمتي في خرق العادة لكم ، «لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً»^(٣) ، وذلك أنه وجد قتيل فيهم وكانوا يطالبون بدمه فأمرهم الله بذبح بقرة وأن يضربوه ببعضها ليحيى ويخبر بقاتله ، «قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا» ، أي : مهزوعاً بنا أنفس الهزؤ للمبالغة ، «قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» ، فإن الهزؤ في مثل ذلك جهل ، بل يوهم أن يكون كفراً لأنه أخبر من الله ، «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ» : ما صفتها شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، «قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ» : لا هرمة كبيرة ، «وَلَا بَكْرٌ» ، لا صغيرة لم يلحقها الفحل ، «عَوَانٌ» : وسط ، «بَيْنَ ذَلِكَ» : المذكور من الفلوس والبكر ، «فَفَاعِلُوا مَا تُمَرُونَ» ، أي : تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا» ، الفقوع خالص الصفرة وأشد ما يكون منها أو صافية اللون تكاد تبيض وفي إسناده إلى اللون وهو صفة صفراء فضل تأكيد كأنه قال صفراء شديد الصفرة صفرتها ، «تَسْرُ النَّاظِرِينَ» : تعجبهم ، «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ» : أسائمة أم عاملة ،

(١) كل من هذه الأوجه مقابل لكل من الوجوه المذكورة في قوله "لما بين يديها" على الترتيب فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من عذاب الله وانتقامه وقوله "ولقد علمتم الذين اعتدوا" إلخ مذكر لهم حال جمع مذنبين غضب الله عليهم ليتحقق لهم الإنعام والعناية لأنهم استحقوا أيضاً / ١٢ .

(٣) البقرة الأنثى وقد تقع على الذكر / ١٢ منه .

﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾: لكثرة البقر الموصوف بالوصف المذكور ، ﴿وَأَنَا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: إلى وصفها أو إليها إذا بينتها لنا ، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾: غير مذللة للعمل صفة بقرة ، ﴿تُخْرِ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة صفة ذلول ، ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ، لا مزيدة^(١) للتأكيد ، ﴿مُسَلَّمَةً﴾ ، عن العيب أو أحلص لوها قيل سلمها أهلها من العمل ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ ، لوها واحد لا سواد فيها ولا بياض ، ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ، بحقيقة وصف البقرة لنا ، ﴿فَذَبْحُوهَا﴾ ، أي : حصلوها فذبحوها ، ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، لتطويلهم وكثرة مراجعتهم كذا حاصل كلام ابن عباس رضي الله عنهما أو لغلاتها فإنهما اشتروها بثمن كثير وصح عن عكرمة: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنائير أو لحوف الفضيحة في ظهور القاتل .

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾

(١) قال أبو حيان : إذا كان الوصف منفيًا بـ "لا" لزم تكرار "لا" نحو "لا بارد ولا كريم"

(الواقعة: ٤٤)، ولا يجوز بغير تكرار إلا في ضرورة الشعر فما قيل إن لا مزيدة للتأكيد

ليس بشيء/ ١٢ منه .

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
 الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٧﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ
 بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
 كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
 مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ^(١) نَفْسًا﴾ ، هذا أول القصة وإنما قدم البعض لاستقلاله بنوع آخر من
 مساوئهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك مسارعة الامتثال ،
 ﴿فَادَارَأْتُمْ﴾: اختلفتم واختصمتم ، ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مٌخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:
 مظهر لا محالة أمر القاتل ، وإعمال مخرج لأنه حكاية مستقبل ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ ،
 أي : القتل عطف على فادارأتم ، ﴿بِبَعْضِهَا﴾ ، أي البقرة^(٢) وفيه خلاف أنه كان

(١) قال أبو حيان صاحب البحر: الظاهر أن ترتيب وجودهما ونزولهما على حسب تلاوهمما
 فالله أمرهم أولاً بذبح البقرة وهم لا يعلمون سره، ثم وقع القتل بعده فأظهر لهم ما كان
 أخفاه عنهم من الحكمة بقوله: "فاضربوه ببعضها" ولا شيء يضطرننا إلى اعتقاد تقدم
 وتأخر والقصص المذكورة في بعض التواريخ لا اعتداد بها / ١٢ منه وجيز .

(٢) عن الحسن وفي رواية عن ابن عباس أيضاً أنهم طلبوا البقرة أربعين سنة فوجدوها عند
 رجل وجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملاً مسكها دنائير فذبحوها وضربوه ببعض
 منها فقام وقال قتلني فلان فمات بلا مهلة / ١٢ منه .

بعضًا معيّنًا أو لا وإن كان معيّنًا فأَيُّ عضو منها ، «كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى» ، يدل على محذوف هو فضربوه فجئى ، «وَيُؤَيِّرِكُمْ آيَاتِهِ» : دلائل كمال قدرته ، «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» : لكي تعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس ، «ثُمَّ قَسَتْ» : غلظت حتى لم تعتبر بالآيات ، «قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» : جميع الآيات التي تقدم ذكرها أو إحياء القتل و ثم للاستبعاد ، «فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ» : في صلابتها ، «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» : منها كالحديد وأو للتخيير أي : من عرف حالها صدر عنه التشبيه بالحجارة ، أو القول بأنها أشد أو شبهها بهذا أو ذاك أو بمعنى بل أو قلب بعضهم كالحجارة وبعضهم أشد يعني قلوبهم لا تخرج من أحد المثلين عطف على كالحجارة من غير حذف أي : قلوبهم أشد قسوة من الحجارة أو على حذف مضاف هومثل أى مثل شيء أشد ، «وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ» ، تعليل للأشدية ، «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ» ، أي : ولم يكن جاريًا ، «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ» : من رأس الجبل ، «مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^(١)» ، وهل لمسلم أن ينكر

(١) فإن قيل : الحجر حماد لا يفهم فكيف يخشى ؟ قيل : الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى علمًا في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله فلها صلاة وتسبيح وخشية ، قال جل ذكره : " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " (الإسراء: ٤٤) ، وقال : " والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه " (النور: ٤١) ، وقال : " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر " الآية (الحج: ١٨) ، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فأني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك ، فقال له جبل حراء إلي يا رسول الله ، وحديث (إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث) [أخرجه مسلم في "الفضائل" ، (١٣٤/٥) ، ط الشعب] ، وحديث طلع له أحد فقال : " هذا جبل يحبنا ونحبه " [أخرجه البخاري في "المغازي" ، (٤٠٨٣) ، وفي مواضع =

قدرة الله تعالى في خلق الخشية والتسبيح في الجمادات؟ نعم لمن يتبع الفلسفة أن يتحمل التحمل في أمثال ذلك والله تعالى بمحض فضله قد عصمنا منه ، قال بعض السلف الأول(*) كثرة البكاء والثاني(**) قلته والثالث بكاء القلب من غير دمع ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، وعيد على ذلك ، ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ، أيها المؤمنون ،

= [آخر من صحيحه]، وقصة تكلم البقرة [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة" (٣٦٦٣)، وفي غير موضع من صحيحه]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمة، وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم للصخرة حين تحركت اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة" (٣٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه]، وحديث لم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله [أخرجه الترمذي (٣٦٣٠)، وسنده ضعيف مجهول]، وحين جزع النخلة كحين الناقة [أخرجه البخاري في "المناقب" (٣٥٨٥)]، شواهد على ذلك ويشهد لما قلنا قوله تعالى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " (الحشر: ٢١)، قال مجاهد: لا تنزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله / ١٢ معالم ملخصاً .

وليس من شأن المؤمن أن ينكر قدرة الله في خلق مثل هذه الخشية والتسبيح في الجمادات فلا يحتاج إلى تأويل وعدول عن الظاهر، قال بعض السلف الأول كثرة البكاء، والثاني قلته والثالث بكاء القلب وانزعاج البدن / ١٢ وجيز .

الظاهر من كلام المفسرين وبه صرح بعض السلف أن تعلق من خشية الله بالأفعال السابق لا بالهبوط وحده / ١٢

[ثبت في أحد روايات الثلاثة الذين أوامهم المبيت إلى الغار وهي عند الطبراني بسند حسن كما في الفتح (٥٨٥/٦)].

(*) أي: التفجر.

(**) أي: الانشقاق.

﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾^(١) ، تحدث اليهود الإيمان لأجل دعوتكم ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ : طائفة من أسلافهم ، ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ، هم السبعون^(٢) الذين اختارهم موسى عليه السلام وبعد ما رجعوا حرفوا كلام الله تعالى ، أو المراد علماءهم يحرفون التوراة ، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ : يغيرونه ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ : فهموه ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) : أنهم مفترون وإذا كان هذا حال علمائهم فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم ، ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ ، أي^(٤) : منافقو اليهود ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ : بأنكم على الحق ورسولكم مبشر في التوراة ، ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ ، عاتب من لم ينافق على من نافق بقوله ﴿اتَّخَذْتُهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ : في التوراة من صفة النبي عليه الصلاة والسلام ، ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾^(٥) عِنْدَ رَبِّكُمْ : لتكون الحجة للمؤمنين عليكم في الدنيا والآخرة فيقولوا : كفرتم بما علمتم صدقه ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ، أي : أليس لكم عقل وهو من كلام رؤسائهم أو كلام الله تعالى ، أي : لا تعقلون حالهم وأن لا مطمع في إيمانهم ، قال مجاهد : قال النبي عليه السلام لليهود قريظة : يا إخوان القردة والخنازير ، فقالوا من أخبر بهذا محمداً ما خرج

(١) قال القفال : يحتمل أن يكون المعنى كيف يؤمن هؤلاء وهم إنما يأخذون دينهم ويتعلمون من قوم يحرفون عناداً ويعلمونهم ما حرفوه وغيره عن وجهه والمقلدون يقبلون ذلك منهم فلا يلتفتون إلى الحق / ١٢ منه .

(٢) هذا قول ابن عباس وابن إسحاق / ١٢ منه .

(٣) أي : يعلمون ما في التحريف من العقاب / ١٢ منه .

(٤) قيل جاز أن يكون وإذا لقوا جملة حالية معطوفة على "وقد كان فريق منهم" ، أي : كيف تطمعون في إيمانهم وقد وقع من أسلافهم كيت وكيت وهم في أنفسهم منافقون / ١٢ منه .

(٥) قيل معناه ليحتجوا عليكم بما أنزل الله في كتابه جعلوا حاجتهم بكتاب الله حاجة عنده ، كما يقال عند الله كذا ويراد أنه في كتابه وأمره / ١٢ منه .

هذا إلا منا أفتحدثوهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله(*) والأول قول أكثر السلف^(١) ويمكن أن يكون هذا القول تخويف رؤسائهم جهلهم ليردعوا عن إظهار ما في التوراة مع المؤمنين لا أنه من صميم القلب أو اعتقادهم أنهم مؤاخذون بما تكلموا به لا بما اعتقدوا وأسرؤا في أنفسهم ولهذا قال الله تعالى ، «أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ» ، من نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، «وَمَا يُعْلِنُونَ» ، منه فالحجة عليهم ثابتة حدثوا به أو ما حدثوا وما يسرون من الكفر وما يظهرون من الإيمان ، «وَمِنْهُمْ» : من اليهود ، «أُمِّيُونَ» ، من لا يكتب ولا يقرأ ، «لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا» ، أي : لكن يعلمون الأكاذيب التي سمعوا من كبارهم أو غير عارفين بالكتاب إلا أنهم يقرءون قراءة عارية عن معرفة المعنى وعلى هذا الاستثناء متصل وهذا^(٢) لا ينافي كونهم أميين فإنهم مع كونهم لا يمكن لهم أن يقرءوا من الكتاب شيئاً يحفظون الكتاب أو يتمنون على الله تعالى كقولهم "لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات" (آل عمران: ٢٤) ، و"لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً" الآية (البقرة: ١١١) ، «وَأَنَّ هُمْ إِلَّا يَتُوبُونَ» ، قوم ليس لهم إلا^(٣) ظن لا علم لهم أو يكذبون ، «فَوَيْلٌ» : هلاك أو واد في جهنم^(٤) ، «لِلَّذِينَ

(٥) أخرجه عبد به حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مرسلًا، كما في الدر المنثور للسيوطي (١/١٥٧).

(١) خلائق لا يحصى كابن عباس وربيع بن أنس وقتادة وأبي العالية وغيره / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى رد ما قال القاضي من أن هذا لا يناسب وصفهم بأنهم أميون / ١٢ منه .

(٣) وعلى هذا الاستثناء كالأول منقطع / ١٢ منه .

(٤) روى الترمذي عن النبي - عليه السلام - أنه واد في جهنم وعلى ذلك كثير من السلف / ١٢ منه . [أخرج أحمد (٣/٧٥) ، والترمذي (٣١٦٤) ، والحاكم (٤/٥٩٦) وغيرهم بسند ضعيف عن أبي سعيد مرفوعاً: "ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره" . وانظر الجامع (٦١٦١) .

يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ» ، هم أجبارهم حرفوا كتاب الله زادوا فيه ونقصوا ، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ، ليستبدلوا به رئاستهم وما يصل إليهم من سفلتهم ، ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكذب ، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ : من السفلة أو مما يكسبون من المعاصي والأولى أن يكون ما مصدرية^(١) في مما كتبت ومما يكسبون ، ﴿وَقَالُوا﴾ ، أي : اليهود ، ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ : قليلة سبعة أيام بكل ألف سنة من الدنيا يومًا أو أربعين يومًا لأن عبادة العجل كانت أربعين يومًا ، ﴿قُلْ﴾ : يا محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾ ، همزة الاستفهام دخلت على ألف الوصل ، ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ، ميثاقًا بذلك ، ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ ، أي : إن اتخذتم عهدًا فهو لا يخلف الميثاق ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، أم معادلة للاستفهام ، أي : أي الأمرين كائن أو منقطعة بمعنى بل ، ﴿بَلَى﴾ ، إثبات لما نفوه من خلود النار ، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً^(٢)﴾ ، أي : شركًا أو كبيرة ، ﴿وَأَحَاطَ بِهِ خَطِئَتُهُ^(٣)﴾ ، أي : صار كالشيء

(١) لأن يكون الويل والهلاك لهم من أفعالهم التي باسروها ولو جعلناها موصولة لكان الويل لهم من غير أفعالهم فتأمل / ١٢ منه .

(٢) فسر ابن عباس وأبو وائل وأبو العالية وأبو هريرة ومجاهد وعكرمة وقتادة والحسن والربيع بن أنس السيئة بالشرك والسدي والأعمش والربيع بن خيثم بالكبيرة/١٢ منه .

(٣) قال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبًا ارتفعت حتى يغطي القلب وهي الرين ، قال الكلبي أوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى : " إلا أن يحاط بكم " (يوسف: ٦٦) ، أي هلكوا/١٢ معالم ، وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبًا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والاهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع

كالشيء المحاط لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا شأن الكافر ، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ٨٢ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ٨٣ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِوكُمُ أُسْرَىٰ تَقْدُواهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِّنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٨٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٨٥

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ، ذكرهم بما أمرهم في التوراة ، ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ ،

= قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي مستحسناً إياها معتقداً ألا لذة سواها مبغضاً لمن يمنعه منها مكذباً لمن ينصحه كما قال الله تعالى : " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله " (الروم: ١٠) / ١٢ بيبضوي .

وهو^(١) نفي بمعنى النهي مقدر بالقول أو تقديره أن لا تعبدوا ، فلما حذف "أن" صار الفعل مرفوعاً فيكون^(٢) بدلاً من الميثاق أو معمولاً له بحذف الجار^(٣) ، ﴿إِلَّا^(٤) اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ، تقديره تحسنون أو أحسنوا بهما إحساناً ، ﴿وَوَٰدِي الْقُرْبَىٰ﴾ : القرابة ، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ : من لا يجد ما ينفق على نفسه وأهله ، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ : قولاً^(٥) حسناً وسماه حسناً للمبالغة دخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ : بطريق فرض عليكم في ملتكم ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ : أعرضتم عن الميثاق وهو التفات^(٦) سواء كان خطاباً مع الموجودين ومن قبلهم بالتغليب أو لا ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ : من ثبت على اليهودية قبل نسخها أو من أسلم ، ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ : قوم عادتكم الإعراض ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ : في التوراة ، ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ : بأن لا يقتل بعضكم بعضاً ، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾ : ولا يخرجوه من مترله ، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾^(٧) ، اعترفتهم بلزوم الميثاق ، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ : على أنفسكم بذلك أو أنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم ، ﴿ثُمَّ﴾ ، للاستبعاد ، ﴿أَنْتُمْ﴾^(٨) هؤلاء ، أي : أنتم بعد ذلك

(١) خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن النهي عنه وتأكد طلب امتثاله حتى كأنه امثل وأخبر عنه وعبادة الله إثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما أنزل الله في كتبه / ١٢ فتح .

(٢) أي : أن لا تعبدوا / ٢١ منه .

(٣) أي : بأن لا / ١٢ منه .

(٤) فيه التفات ، إذ الظاهر إلا إيانا / ١٢ منه .

(٥) والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين ، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر / ١٢ فتح .

(٦) لقوله ميثاق بني إسرائيل / ١٢ .

(٧) هذا كما تقول : فلان مقرر على نفسه بكذا شاهد عليها / ١٢ منه .

(٨) قيل هؤلاء بمعنى الذين والجملة بعده صلته والموصول مع صلته خير أنتم / ١٢ منه .

هؤلاء الناقضون فهو مبتدأ وخبر قيل أتم يا هؤلاء ، ﴿تَقْتُلُونَ﴾^(١) أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْ دِيَارِهِمْ ، الجملة حال والعامل معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة ، ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ ، تتعاونون والجملة حال ، ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بالمعصية والظلم ، ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمُ أُسَارَىٰ﴾: يطلبون الفداء ، ﴿تَفَادَوْهُمْ﴾ ، فديتموهم ، كانت قريظة حلفاء الأوس^(٢) والنضير حلفاء الخزرج^(٣) فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا^(٤) له حتى يفدوه فزلت ، ﴿وَهُوَ﴾^(٥) ، أي: الشأن ، ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ ، فاتصل بقوله وتخرجون قريباً^(٦) وما بينهما اعتراض أو هو مبهم وإخراجهم تفسيره ، ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بَعْضَ الْكِتَابِ﴾ ، أي الفداء ، ﴿وَتَكْفُرُونَ بَعْضَ﴾ ، أي: القتل والمظاهرة والإخراج^(٧) ، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾: عذاب وهوان ، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: خزي قريظة كان القتل والسي ولبنى

(١) قيل معناه لا تقتلوا أنفسكم لشدة تصيكم بسكين أو خنق أو بارتكاب ما يوجب ذلك كالارتداد والزنا بعد الإحصان وقتل النفس بغير حق ونحو ذلك ولا تسيئوا حوار من جارركم فيضطروا إلى الخروج من دياركم أو لا تفسدوا فتكونوا سبباً لإخراجكم أنفسكم / ١٢ منه .

(٢) من المشركين / ١٢ منه .

(٣) من المشركين / ١٢ .

(٤) أي مجموع الفريقين / ١٢ منه .

(٥) أي : لفظ هو إما ضمير الشأن أو مبهم مفسر بلفظ إخراجهم وقيل ضمير يرجع إلى مصدر يخرجون ولفظ إخراجهم بيان / ١٢ منه .

(٦) من اليهود / ١٢ منه .

(٧) عن السدي : أخذ الله عليهم أربعة عهود: ترك القتال والإخراج والمظاهرة وفداء أسراهم فأعرضوا إلا عن الفداء / ١٢ منه .

نضير الجلاء وضرب الجزية على غيرهم ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ، أي : أشد أنواعه ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، تأكيد للوعيد ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ : آثروها على الآخرة ، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ ، لا يهون ولا ينقص ، ﴿عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ : يمنعون من عذاب الله .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ ۖ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ۖ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۖ﴾ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ ﴿٣٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ﴾ ﴿٣٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِم أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ۖ إِنَّ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ﴾ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۖ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ۖ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ﴾ ﴿٤١﴾ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۖ﴾ ﴿٤٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِمْ ۖ إِيْمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ﴾ ﴿٤٣﴾

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ
يُعْمَرَ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ، ﴿وَوَقَّيْنَا مِنْ^(١) بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: أرسلنا
على أثره الرسل ، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ، ختم أنبياء بني إسرائيل
بعيسى وبعض أحكامه مخالف للتوراة والبيّنات إحياء الموتى وخلقه من الطين كههيئة
الطير وإبراء الأسقام وإخباره بالغيب ، ﴿وَإَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ، أي: جبريل فإنه
كان قرينه يسير معه حيث سار ، أو الاسم الذي به يحيى الموتى ، أو الإنجيل أو الروح
الذي نفخ فيه ، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به "وهو
ولقد آتينا" توبيخاً لهم على تعقيبهم ذاك هذا ، ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾: ما لا تحب ،
﴿أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن اتباعه ، ﴿فَفَرِّقَا^(٢) كَذَّبْتُمْ﴾: كعيسى ومحمد عليهما

(١) من التقفية وهو الإتيان والإرداف مأخوذ من القفا وكان الرسل من بعد موسى إلى
زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والشرعية واحدة وهم أنبياء بني إسرائيل
المبعوثون من بعدهم كالشموئيل بن بابل وإلياس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا
ويحيى وشعيا وحزقييل وداود وسليمان وأرميا وهو الخضر وعيسى ابن مريم وكلهم
يحكمون بشرية موسى إلا عيسى فإنه جاءهم بشرية جديدة وغير بعض أحكام
التوراة/ ١٢ فتح.

(٢) الفاء للسببية أو للتفصيل / ١٢ منه .

السلام ، ﴿وَفَرِيقًا^(١) تَقْتُلُونَ﴾ ، كزكريا ويحيى جاء بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية ولمراعاة الفواصل ، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ : أوعية للعلم لا يحتاج إلى علم آخر ، أو عليها غشاوة ، أو لا نفقه ما تقول كما في قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا في أكنة " (فصلت: ٥) ، ﴿بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي : ليس الأمر كما زعموا أن قلوبهم أوعية للعلم بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها بكفرهم أو قلوبهم لم تأب قبول الحق لخلل فيها بل لأن الله طبع عليها بالكفر ، ﴿فَقَلِيلًا^(٢) مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ، أي : يؤمن منهم القليل قليلاً حال ، أو إيماناً قليلاً وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، أو لا يؤمنون أصلاً لا كثيراً ولا قليلاً ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ، أي : القرآن ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ : التوراة وجوابه محذوف دل عليه جواب لما الثانية ، أو لما^(٣) الثانية تكرار للأول فإن ما عرفوا والكتاب واحد والفاء للإشعار بأن مجيئه كان عقيب استفتاحهم به ، ﴿وَكَانُوا﴾ : اليهود والواو للحال ، ﴿مِن قَبْلُ﴾ : قبل نزوله ، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : يستنصرون على المشركين يقولون اللهم انصرنا بني آخر الزمان المنعوت في التوراة ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا﴾ : من الحق ، ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ : بغياً وحسداً ، ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ ، ما نكرة مميزة لفاعل بئس المستتر فيه والفعل صفته ، أي : بئس ما باعوا فإنهم باعوا ثوابها بالكفر ، ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ ، هو المخصوص بالذم ، ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ ، أي : أن

(١) جاء بلفظ المضارع لحكاية صنيعتهم الماضية واستحضارها لأنهم أرادوا قتل محمد - صلى الله عليه وسلم - لكن عصمه الله فإنهم سحروه وسموه بالشاة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم عند موته : " لا زالت أكلة خيبر تعارني فهذا أوان قطعت أهرقي " / ١٢ وحيز .

(٢) قال الواقدي : معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً ، قال الكسائي : يقول العرب دورنسا بأرض قل ما تنبت الكراث والبصل ، أي : لا تنبت شيئاً / ١٢ فتح .

(٣) أي : قوله فلما جاءهم ما عرفوا / ١٢ منه .

يكفروا حسداً ، ﴿أَنْ﴾ ، أي : لأن ، ﴿يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ : النبوة والكتاب ،
 ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ، فإن كفرهم للحسد على أن النبوة في غيرهم ،
 ﴿فَبَاءُوا﴾ : رجعوا^(١) ، ﴿بِعُضْبٍ عَلَى غُضْبٍ^(٢)﴾ ، لكفرهم بمحمد - عليه الصلاة

(١) وصاروا أحقاء / ١٢ منه .

(٢) وقد قدمنا بيان الغضب في صفحة سابقة أنه صفة وصف الله تعالى نفسه بها وليس غضبه
 كغضبنا كما أن ذاته ليست مثل ذواتنا فليس هو مماثلاً لأبداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته
 وما قيل إن الغضب من الانفعالات النفسانية فيقال : نحن وذواتنا منفعة فكأنها انفعالات
 فينا لا يجب أن يكون الله منفعلاً بها كما أن نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين
 فصفاته كذلك ليست كصفات المخلوقين ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه
 وليس المنسوب كالمنسوب والمنسوب إليه كالمنسوب إليه كما قال صلى الله عليه وسلم :
 "ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبّه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي وهذا يتبين
 بقاعدة وهي أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات وكثير منها كلها أو أكثرها أنها
 تماثل صفات المخلوقين ثم يريد نفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير أحدها
 كونه مثل ما فهمه من النصوص لصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل
 الثاني أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله فبقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من
 إثبات الصفات اللاتئة بالله فيبقى مع جناية على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله
 ورسوله حيث خالف الذي يفهم من كلامهما من إثبات صفات الله والمعاني الإلهية اللاتئة
 بجلال الله تعالى ، الثالث أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير دليل فيكون معطلاً عما
 يستحقه الرب تبارك وتعالى ، الرابع : أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات
 الأموات والجمادات وصفات المعدومات فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها
 الرب ، ومثل بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعل
 مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل سبحانه
 وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد
 السلام في القاعدة التدمرية / ١٢ .

والسلام-)، أو القرآن بعد كفرهم بيسى وتضييعهم التوراة والإنجيل ، أو عبادتهم العجل وقوله بغضب ظرف لغو وعلى غضب صفة له ، «وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ» ، فإن عذابهم للإهانة وعذاب العاصي للتطهير ، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿لِيُفْرِكُوا﴾: لِيُفْرِكُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾: التوراة ، «وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ»: بما سواه أو بما بعده ، «وَهُوَ»: أي : ما وراءه ، «الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ» ، فإن القرآن مصدق للتوراة ، «قُلْ»: يا محمد إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان بالتوراة ، «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ، وفعل آبائهم فعلهم مع أنهم رضوا به ثم يعد عليهم قبائحهم بقوله: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ»: اليد والعصا وغيرهما ، «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» ، إلها ، «مِنْ بَعْدِهِ»: بعد مجيئه رسولا أو ذهابه إلى الطور ، «وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ»: قوم عادتكم الظلم ، «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ»: قلنا لكم ، «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ»: ما أمرتم به في التوراة ، «بِقُوَّةٍ»: يجذ ، «وَأَسْمِعُوا»: أطيعوا ، «قَالُوا سَمِعْنَا»: قولك أو بالأذن ، «وَعَصَيْنَا»: أمرك^(١) أو بالقلوب وليس هذا بالسستهم لكن لما سمعوا وتلقوه بالمعصية نسب إلى القول اتساعا ، «وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» ، أي : أشربوا في قلوبهم حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم وفي كلام السلف : لما أحرق العجل برد بالميرد ثم نسف في الماء فمن شرب وفي قلبه حب العجل اصفر لونه ، «بِكُفْرِهِمْ» ، فإنهم مجسمة فأعجبوا العجل ، «قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٢): بالتوراة كما زعمتم فبئس ما أمركم به إيمانكم بها

(١) بمعنى اعترفوا بقبوله لكن لم يفعلوا / ١٢ وحيز .

(٢) كما زعمتم بالتوراة وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان إليهم وقوله: "إن كنتم مؤمنين" قدح في صحة دعواهم فإن الإيمان إنما يأمر بعبادة الله وحده لا بشركة =

والمخصوص بالذم محذوف أي: هذا الأمر وحاصله لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل يعني آباءهم ، وأنتم لو كنتم مؤمنين ما كذبتُم محمدًا عليه الصلاة والسلام ، ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، أي: في علم الله وحكمه ، ﴿خَالِصَةً﴾ ، أي: خاصة بكم كما تقولون : " لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا " الآية (البقرة: ١١١) ، منصوب على الحال ، ﴿مَنْ دُونَ النَّاسِ﴾ ، أي: الباقين ، ﴿فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أي: ادعوا بالموت على الكاذب من الفريقين، والمراد منه المباهلة كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف أو معناه فسلوا الموت لأن من أيقن أن مأواه الجنة حن إليها سيما إذا علم أنها لا يشاركه^(١) فيها غيره ، ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾: للعلم بكذبهم ، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: كتحرif التوراة وإضافته إلى اليد؛ لأن أكثر الجنايات باليد فأضيف إليها الأعمال وإن لم يكن لليد فيها مدخل ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: تهديد ، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ، أي: على نوع من الحياة وهو طول العمر لعلمهم بسوء عاقبتهم ، ﴿وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ، عطف في المعنى على الناس ، أي أحرص من الناس ومن الذين أشركوا ، أو عطف على أحرص بتقدير وأحرص من الذين وهو عطف الخاص على العام أو اليهود أحرص منهم مع أن المشركين لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم إليها شديد ، وزيادة حرص اليهود لعلمهم بأنهم صائرون إلى النار بخلاف المشركين ، قيل:

= العباد لما هو في غاية البلادة فهو غاية الاستهزاء وأما إضافة الإيمان فدلّت على أن مثل هذا لا يليق أن يسمى إيمانًا إلا بالإضافة إليكم وحاصل الكلام إن كنتم أنتم وآباؤكم الأقدمون مؤمنين لما عبدتم العجل وكذبتُم القرآن / ١٢ وحيز .

(١) وأما المؤمنون فلا يدعون أنهم أحباء الله وأنهم من الفائزين يقينًا، بل يرجون من فضل الله وكذا العشرة المبشرة فحال خوفهم يحال بينهم وبين البشارة لاحتمال أن البشارة مقيدة بغير ويخافون من سوء العاقبة كما يدل على ذلك تتبع أحوالهم/ ١٢ وحيز .

تقديره: ومن الذين أشركوا ناس يود أحدهم فمن الذين أشركوا خبر مبتدأ محذوف صفته "يود أحدهم" ، فإن من اليهود من قال: عزيز ابن الله فيكون مشركاً ، ﴿يُودُ أَحَدَهُمْ﴾ ، أي : اليهود جملة مستأنفة ، ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ^(١)﴾ ، لو للتمني ، ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ﴾ : بمبعده ، ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ ، وضمير هو لمصدر يعمر ، و أن يعمر بدله ، أو لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه ، ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ٩﴾ أَوْكَلَّمَا عَلَيْهِمْ عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

(١) وإنما خص الألف بالذكر لأن العرب تذكر ذلك عند إرادة المبالغة ولأنها نهاية العقود ولأنها تحية الجوس فيما بينهم يقولون : (زى هز إرسال) أي: عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم وهذا كناية عن الكثرة / ١٢ فتح .

وَزَوَّجَهُمْ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ ^(١) **فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ** ، أي : القرآن ، **﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** : بأمره وجواب الشرط محذوف ، أي : من كان عدوه فلا إنصاف له ، فإنه نزله أو تقديره فهو عدو لي ، فليعلم أنه نزله ، أو فليمت غيظًا ، **﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** : لما قبله من الكتب نزلت جوابًا لليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ولولا أنه ولي محمد عليه الصلاة والسلام لآمنوا ، **﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** ^(٢) ، رد عليهم حيث قالوا : إن جبريل ينزل بالحرب والشدة ، فقال الله : إنه ينزل بهما على الكافرين ويهدي وبشرى للمؤمنين ، **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** ، فيه تنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء فمن عادى أحدهم فقد عادى الجميع ووضع الظاهر أي : للكافرين موضع المضمير للدلالة على أن عداوة الله لهم لكفرهم وعداوتهم كفر وقيل الواو هاهنا بمعنى أو ، **﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾** ^(٣) **إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ، نزلت في ابن صوريا حين قال : يا

(١) لما قيل اليهود آمنوا بما أنزل الله اعتذروا بوجوه: أحدها: أنا آمننا بكتابنا وكفينا ، والثاني: أن جبريل ولي لمحمد وهو الذي ينزل عليه وهو عدو لهم ولولا ذلك لآمنوا أجاب عن الأول بما مر وهذا جواب عن الوجه الثاني / ١٢ وحيز .

(٢) فإذا آمنتم كان هو صديقًا لكم / ١٢ وحيز .

(٣) هذا جواب للثالث من أعتذارهم من الإيمان فإفهم قالوا ما أنزل إليك يا محمد من آية بينة فتنبئك! / ١٢ وحيز .

محمد ما أنزل إليك آية بينة فتبعك (*) ، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ، المتجاوزون عن الحد ، ﴿أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ ، عطف على محذوف والهمزة للإنكار ، أي : أكفروا بالآيات ، وكلما عاهدوا نزلت حين ذكرهم نبينا عليه الصلاة والسلام ما أخذ عليهم من الميثاق في شأنه قالوا : والله ما عهد إلينا ولا أخذ ميثاق في شأنك ، ﴿تَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ : نقضه وطرحه ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقولون ، فإنهم بين ناقض عهد أو جاحد معاند ، والمؤمنون أقولون ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ، كعيسى ومحمد عليهما السلام ، ﴿تَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ، أي : التوراة ، فإنهم جحدوا ما فيها من صفة محمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ، كشيء يرمى وراء الظهر غير ملتفت إليه ، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : ما فيها مع أنهم عالمون ، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ، عطف على نبذ ، أي : تركوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها الشياطين وتحديثها ، ﴿عَلَى﴾ : عهد ، ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ، أي : في زمانه وتعديته بعلى لتضمين الكذب فإن الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسیه ثم لما مات سليمان أو نزع منه ملكه استخرجوه ، وقالوا : تسلطه في الأرض لهذا السحر ، فعلموه ، وبعضهم نفوا نبوته وقالوا : ما هو إلا ساحر فبرأه الله مما قالوا فقال : ﴿وَمَا كَفَرُ﴾ : عبر عن السحر بالكفر لتغليظه ، ﴿سُلَيْمَانَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ ، إشارة إلى ما كتبوا من السحر ، ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ ، عطف على السحر أو على ما تتلوا ، أي : يعلمونهم ما ألهما ، ﴿بِإِبْلِ﴾ ^(١) ،

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، كما في الدر المنثور

للسيوطي (١٨١/١) .

(١) البابل اسم موضع من الكوفة سميت بذلك لتبليط ألسنة الخلائق بها / ١٢ وجيز وفتح .

ظرف أو حال ، وهو اسم موضع من الكوفة ، «هَارُوتَ وَمَارُوتَ» ، عطف بيان للملكين وعند بعض من السلف أن ما نافية ، فيكون عطفاً على ما كفر ، أي: ما كفر سليمان ولا أنزل على الملكين ، أي جبريل وميكائيل ، فإن سحرة اليهود زعموا أن السحر أنزل على لسانهما^(١) إلى سليمان فردهم الله وعلى هذا ، فقوله: "ببابل" متعلق بـيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين ابتلاهما الله تعالى بالسحر^(*) وقعا بدل بعض^(٢) من الشياطين ، «وَمَا يُعَلِّمَانِ» ، أي: الملكان ، أو الرجلان ،

(١) أي: على لسان جبريل وميكائيل / ١٢ منه.

(*) روي في هاروت وماروت قصص عجيبة وأخبار غريبة لا خطم لها ولا أزمة جمعها كلها العلامة محمد بن أبو شعبة في كتابه الماتع "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" ، (ص ١٥٩-١٦٦) مبينا زيفها، حتى نقل عن ابن الجوزي والعراقي وعياض وابن كثير وغيرهم أنهم قالوا بوضعها.

(٢) في قوله "ولكن الشياطين" كفروا ذكر هذا بن جرير أن السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وأن الذي يعلمونهم ذلك رجلان أحدهما هاروت والآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس ورداً عليهم انتهى. وقال القرطبي : وهذا أولى ما حملت الآية وأصح ما قيل فيها ثم قال: إن قيل كيف يكون اثنان بدلاً من جمع والبدل إنما يكون على حد المبدل؟ ثم أجاب بأن الاثنين قد يطلق عليهم الجمع وإنما خصا بالذكر دون غيرهما لتمردهما ويؤيد هذا أنه قرأ ابن عباس والضحاك والحسن الملكين بكسر اللام ، قال ابن جرير -رضي الله تعالى عنه- : وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء وأنهما نزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان ، وقال ابن كثير في تفسيره: وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية وغيرهم وقصصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق =

«مَنْ أَحَدٌ» ، أي: أحداً ، «حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ»: ابتلاء واختبار ، «فَلَا تُكْفَرُ»: بتعلمه^(١) وذلك لأن تعلمه للعمل^(٢) كفر أو تعلم هذا النوع كفر لما فيه من الكفر فهذه نصحية منهما له ، «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا» ، ضمير الجمع لما دل عليه من

= المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصتين من غير بسط ولا إطناب فيهما فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم انتهى .
وأطال في رد هذه القصة صاحب الخازن وصاحب المظهر وأبو السعد القاضي والرازي والسعد والتفتازاني وغيرهم واستبعدوها ، لكن قال الشيخ الزكريا الأنصاري: الحق ما أفاده شيخنا حافظ الشهاب بن حجر أن لها طرقاً تفيد العلم بصحتها ، فقد رواها مرفوعة الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم موقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم [في الأصل: وغيرهما] بأسانيد صحيحة والبيضاوي لما استبعد هذا المنقول ولم يطلع عليه قال: إنه محكي عن اليهود ولعله من رموز الأولين ذكره الخطيب، وقد أظنب الشيخ ابن حجر المكي في جواب الرازي واستبعاده لهذه القصة في كتاب الزواجر بما لا مزيد عليه هذا خلاصة ما في الفتحة/ ١٢ .

(١) فيه أن تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه ليكون ساحراً ومن تعلمه ليقدر على دفعه وبه قال أحمد، أخرج البزار بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ابن مسعود: "من أتى ساحراً أو كاهناً وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" وأخرج البزار عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تطير أو تطير له أو سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له ومن عقد عقدة ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد/ ١٢ .

(٢) عند أبي حنيفة ومالك وأحمد استعمال السحر كفر فقالوا أي: مالك وأحمد يقتل بمجرد الاستعمال وعند الشافعي استعماله من الكبائر إذا لم يعتقد جوازه أو لم يكن في سحره ما يوجب الكفر / ١٢ منه .

أحد ، «مَا يُفَرَّقُونَ»: من السحر ، «بِهِ»: بسببه ، «بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ» ،
 أي : السحرة ، «بِضَارَيْنَ بِهِ»: بالسحر ، «مَنْ أَحَدٍ»: أحداً ، «إِلَّا يَأْذَنَ اللَّهُ»:
 إرادته ، «وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» ، أي : نفعا يوازي ضره ، ومجمل
 قصتهما أن الملائكة طعنوا أهل الأرض فسادهم ، فقال الله تعالى لهم : لو كنتم على
 طبعهم لكنتم مثلهم ، فقالوا: نحن لا نعصي إلهنا ، فاختار الله تعالى من بينهم ملكين
 من أعبدهم وركب فيهما الشهوة وأرسلهما إلى الأرض فعصيا فخيروا بين عذاب الدنيا
 وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فالآن هما معذبان إلى يوم القيامة (*) والله
 يمتحن^(١) عباده بهما ، «وَلَقَدْ عَلِمُوا»: اليهود ، «لَمَنِ اشْتَرَاهُ»: استبدل السحر
 بكتاب الله تعالى واللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ، «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 خَلَقٍ»: من نصيب ، «وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ» ، أي : باعوا ، «أَنْفُسَهُمْ لَوْ
 كَانُوا يَعْلَمُونَ»: حقيقة^(٢) ما فعلوا ، «وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا»: بمحمد عليه الصلاة
 والسلام ، «وَاتَّقَوْا» ، نبد كتاب الله تعالى واتباع كتب الشياطين ، «لَمْثُوبَةٌ مِّنْ
 عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ» ، أي : لشيء^(٣) من الثواب خير لهم ، أو جواب لو محذوف وهو

(٥) أشرنا قريبا إلى بطلان كل ما ورد في هذا الروايات، وانظر الضعيفة للشيخ
 الألباني .

(١) في مسند الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث طويل حاصله ما
 ذكرناه ، وأيضاً في صحيح ابن حبان فقيلاً : رجاله ثقات ، وقد ثبت أيضاً عن
 علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم من الصحابة والتابعين / ١٢
 منه .

(٢) وعلى ما فسرنا لا منافاة بين قوله: "ولقد علموا" حيث أثبت لهم العلم وبين قوله: "لو
 كانوا يعلمون" حيث لزم نفي العلم عنهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٣) هذا يعلم من تنوين مثوبة / ١٢ منه .

لأثيوا^(١) ولثوبة إلخ.. استئناف واختيار الجملة الاسمية في جواب لو للدلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها ، كما في سلام^(٢) عليك وأصله لأثيوا مثوبة خيراً مما شـروا به أنفسهم ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ، أي : من أهل العلم أو يعلمون أن الثواب خير .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾ * مَا نَنْسَخُ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْقُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا

(١) قال صاحب البحر: المختار أن يكون جواب لو محذوفاً كما قال الأخفش ومختار الزمخشري غير مختار لأنه لم يعهد في لسان العرب وقوع الجملة الاسمية جواباً للو، ولا ثبت القواعد الكلية بالمحتمل ففتن / ١٢ منه .

(٢) فحذف الفعل وجعل الباقي جملة اسمية للدلالة على ثبوت المثوبة وحذف المفضل عليه / ١٢ منه .

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ ، هـى الله تعالى المؤمنين عن أن يقولوا لنبيه -صلى الله عليه وسلم- راعنا ، أي: أرعنا سمعك ، أي: اسمع منا وفي لمية المنع خلاف والمشهور أن لهذا اللفظ معنى قبيحاً بلغة اليهود وهم لما سمعوا هذا اللفظ من المسلمين يأتونه ويقولون راعنا ويضحكون سراً ، ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ ، أي: إلينا ، ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ، تراء هذه اللفظة^(١) سماع قبول لا كاليهود قيل: إنه عليه السلام إذا تكلم معهم قالوا: راعنا ، أي: راقبنا^(٢) وتأن بنا حتى نفهم ، فمنعوا من تلك الكلمة وأمروا بانظرننا أي: انتظرنا ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الذين سبوا وهماونوا رسلنا ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ ، هو مفعول يود ، ﴿مَنْ خَيْرٌ﴾ ، من للاستغراق ، ﴿مَنْ رَبُّكُمْ﴾ ، من للابتداء والخير هاهنا الوحي أو أعم بين تعالى شدة عداوتهم حسداً للمؤمنين لئلا يغتروا بنفاقهم ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾: بنبوته أو أعم ، ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

(١) كلام السلف كعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ما قلناه أولاً وهو صريح في أن هذه اللفظة إذا خاطب المسلمون نبي الله -عليه الصلاة والسلام- قالوها بدل اسمع منا، وقالوا معناه راعنا سمعك والذي ذكرناه بقبيل ذكره الزمخشري وهو غير ما ذكره السلف بأجمعهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من نظره إذا أنظره وإذا كان هذا معناه جاز أن يكون معنى واسمعوا: أحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا إلى طلب المراعاة / ١٢ منه .

(٣) يقال: اختص زيد بكذا واختصصته به والظاهر أنه هاهنا متعد قيل: جاز أن يكون لازماً ومن يشاء فاعله / ١٢ منه .

العَظِيمُ ، فحرمان البعض ليس لضيق في الفضل، بل لحكم ومصالح ، ﴿مَا نُنَسِّخُ مِنْ آيَةٍ﴾: ينطل^(١) حكمها أو النسخ رفعها^(٢) من القرآن ، ﴿أَوْ نُنَسِّهَا﴾: نمنحها عن القلوب^(٣) ومن قرأ نساها أي : نؤخرها ، أي : في اللوح المحفوظ أو ثبت قراءتها وبندل حكمها* فعلى هذا النسخ عكسه^(٤) ، ﴿ثَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾: أنفع للعباد في الدارين ، ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾: في المنفعة نزلت حين قالوا: إن محمداً -صلى الله عليه وسلم- يأمر بشيء ثم يأمر بخلافه فما هذا إلا كلامه ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من النسخ والتبديل ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وأمرته بدليل "وما لكم" ، ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يفعل ما يشاء فيهما من نسخ وتغيير، والآية وإن كانت خطاباً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على وجه الخبر عن عظمته ، لكن في الحقيقة رد وتكذيب لليهود لإنكارهم نسخ التوراة ، ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: وال يلي أمركم ، ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾: ينصركم قيل الفرق بينهما أن الوالي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبياً ، ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ ، أي: ألم تعلموا أنه يأمر وينهى كما شاء أم تعلمون

(١) كتبديل حكم من حلٍ إلى حرمةٍ أو من حرمةٍ إلى حل ويكون اللفظ من القرآن/١٢

منه .

(٢) أعم من أن يبطل حكمه أو لا الثاني نحو "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى بهما

ثالثاً"/١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس : كان الوحي يترل عليه بالليل وينساه بالنهار فلذا أنزل أو ننسها/١٢

منه .

(٥) وفي حاشية النسخة: الأول: قول عمر وابن عباس، والثاني: قول ابن مسعود/١٢ .

(٤) أي : ثبت حكمها وبندل قراءتها نحو: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما"/١٢

منه .

وتقترحون في السؤال^(١) فأم معادلة للهمزة أو منقطعة^(٢) ، «أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ» :
 محمداً عليه الصلاة والسلام فإنه رسول الله إلى الناس أجمعين ، «كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ
 قَبْلُ» : أهل الكتاب قالوا اثنا بكتاب نقرأه وفجر لنا أهاراً نصدقك فأنزل الله تعالى ،
 أو قريش^(٣) سألوأ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
 نعم وهو لكم كالمائدة لبي إسرائيل فأبوا^(٤) ورجعوا* ، «وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ
 بِالْإِيمَانِ» ، أي : يشتري الكفر به ، «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» : وسطه ، أي :
 خرج عن الطريق المستقيم ، «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» ، كان من أجارهم
 رجال جاهدوا في رد الناس عن الإسلام فأنزل الله تعالى ، «لَوْ يَرُدُّوكُمْ^(٥)» ، لو

(١) يعني أم إما متصلة معادلة لقوله "ألم تعلم" ، وإما منقطعة أي : ألم تعلموا أن له القدرة
 الشاملة والتصرف كيف أراد ثم قال بل لكم علم لكن تقترحون في السؤال كما
 اقترحت أسلافكم على موسى عليه السلام / ١٢ منه .

(٢) معناه بل والهمزة للمبالغة في النهي حتى كأنهم كانوا بصدد الإرادة فنهاها فضلاً عن
 السؤال يعني من شأن العاقل أن لا يتصدى لإرادة ذلك / ١٢ منه . والمراد أن يوصيهم
 بالثقة به وترك الاقتراح عليه لأن معنى المنقطعة بل والهمزة للإنكار / ١٢ منه .

(٣) على الوجه الأول: المخاطبون هم اليهود وهو قول ابن عباس وغيره وعلى الثاني:
 المخاطبون قريش وهو قول مجاهد والسدي وقتادة / ١٢ منه .

(٤) يعني إذا ظهرت تلك الآية فمن يكفر منكم فإن الله لا يمهله ويعذبه فلذلك أبوا عن
 الإيمان ورجعوا عن مقترحهم محبة للكفر كما قال تعالى لهم : " فمن يكفر بعد منكم
 فأني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين " (المائدة: ١١٥) / ١٢ منه .

(٥) أخرجه بنحوه ابن إسحاق وابن حرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في الدر المنثور
 للسيوطي (١/ ٢٠١) .

(٥) ذهب بعض النحاة إلى أنها مصدرية ، إلا أنها لا تنصبه كما فصلناه في قوله : " يود
 أحدهم لو يعذر ألف سنة " (البقرة: ٩٦) / ١٢ منه .

بمعنى أن ، «مَنْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرًا» ، حال من كم ، أو مفعول ثان ليردون لتضمين معنى التصيير ، «حَسَدًا» علة ود ، «مَنْ عِنْدَ^(١) أَنْفُسِهِمْ» ، أي : تمنوا من عند أنفسهم لا من قبل التدين أو معناه حسدًا مبالغًا منبعثًا من أصل نفوسهم ، «مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» : في التوراة ، «فَاعْفُوا» : عن مجازاتهم ، «وَأَصْفَحُوا» ، وأعرضوا عنهم ، «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» : بالقتال أو القتال والسي والجلاء ، أو إسلام بعض والباقي لبعض ، «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» ، أي : اصبروا على المخالفة والجتوا إلى الله تعالى بالبر ، «وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ» ، أي : ثوابه ، «عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» : فلا يضيع عمل عامل ، «وَقَالُوا» ، أي : أهل الكتاب ، «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى» ، وهذا لف بين قولي اليهود والنصارى ثقة بفهم السامع ، «تِلْكَ» ، إشارة^(٢) إلى ألا يتزل على المؤمنين خير أو أن يردوهم كفرًا وألا يدخل الجنة غيرهم ، أو إشارة^(٣) إلى الأخير بحذف المضاف أي^(٤) أمثالها ، «أَمَانِيهِمْ» : التي تمنوها على الله تعالى باطلاً ، «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» : على

(١) على التفسير الأول: من عند ظرف لغو بَوَدَّ ، وعلى الثاني: ظرف مستقر صفة لحسد

أو قيد مبالغًا ليكون مقيدًا وإلا فالحسد لا يكون إلا من الأنفس / ١٢ منه .

(٢) يعني أمانيتهم بصيغة الجمع يأبى أن يكون تلك إشارة إلى شيء واحد فلا بد من تأويل إما

بأن يقول إشارة إلى متعدد أو إلى واحد بحذف المضاف أي: أمثال تلك / ١٢ منه .

(٣) قيل : أفرد المبتدأ لفظًا ، لأنه كناية عن المقالة ، وهي مصدر يصلح للقليل والكثير وأريد

بها الكثير باعتبار الفائتين ولذلك جمع الخير فطابق من حيث المعنى / ١٢ منه .

(٤) قيل هذان الوجهان خلاف الظاهر ، أما الأول: فلأن كل جملة ذكر فيها ودهم قد

انقضت وكملت واستقلت في التزول فيبعد أن يشار إليها ، وأما الثاني: فللحذف ،

ولأن هذا المعنى يناسب إذا كان أمانيتهم مبتدأ وتلك خير / ١٢ منه .

اختصاصكم بالجنة ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى﴾ : إثبات لما نفوا من دخول غيرهم الجنة ، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ : أخلص له نفسه ، أو دينه أو عمله ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ : متبع نبي^(١) الله عليه الصلاة والسلام ، قيل : مؤمن ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ : ثابت لا ينقص ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ : في الآخرة عند الفزع الأكبر ، ﴿وَلَا هُمْ يَخْزَوْنَ﴾ : على ما مضى .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيَسْحَاقَ عَلَيْهِمُ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٥﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

(١) يعني للعمل المتقبل شرطان أحدهما: أن يكون خالصاً لوجه الله لا فيه رياء ، والثاني: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة / ١٢ منه .

مِلَّتَهُمْ قُلْ إِيَّاكَ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهَادِي وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِمْ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: أمر يعتد به ^(١) أي: دينهم باطل من أصله نزلت حين قدم وفد نجران فتنازعا مع اليهود ، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: مطلقاً دائماً ، ﴿وَهُمْ﴾ ، أي: الفريقان ، ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ ، وفي كتاب كل منهما تصديق من كفروا به ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ^(٢): مثل ذلك الذي سمعت ، ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: آبائهم الذين مضوا أو عوام النصارى أو مشركوا العرب قالوا في نبهم أو أمم قبلهما ، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ، وبخهم الله على التشبه بالجهال وهو مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به وقيل كذلك مبتدأ ومثل قولهم مصدر أو مفعول لا يعلمون ، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بما استحقوا عن الحسن هو تكذيبهم وإدخالهم النار ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ^(٣) مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ ، عام لكل

(١) لو لم يفسر على هذا الوجه يكون كلام كل منهم صدقاً فلا يكون قوله "وهم يتلون الكتاب" ردّاً عليهم ، ولا يكون لواو الحال موقع حسن / ١٢ منه .

(٢) يمكن أن يكون تقديره الأمر كذلك ثم ابتداء وقال : " وقال الذين لا يعلمون " إلخ... / ١٢ منه .

(٣) هذا كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً : من أظلم من آذى الصالحين / ١٢ .
(٤) قوله : " أن يذكر " ، أي : من أن يذكر بحذف من وقيل بدل اشتغال من مساجد الله ولا تناقض بين قوله هذا وبين قوله : " فمن أظلم من افترى على الله " (الأنعام: ١٤٤) =

من خرب مسجداً ، وإن كان سبب نزوله منع المشركين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدخل مكة ويحج عام الحديبية ، وأى خراب أعظم مما فعلوا من إخراج المسلمين واستحواذهم بالأصنام ، أو نزلت^(١) في الروم خربوا بيت المقدس ، ﴿أَوَلَيْكَ﴾: المانعون ، ﴿مَا كَانَ لَهُمْ﴾^(٢) أن يدخلوها إِلَّا خَائِفِينَ ، خبر معناه الطلب لا تمكنوهم^(٣) من دخولها إِلَّا تحت هدنة أو جزية ، أو بشارة للمسلمين أنه سيكون كذلك ، أو ما كان ينبغي أن يدخلوها إِلَّا خاشعين فضلاً أن يخربوا ، أو ليس الحق أن يدخلوها إِلَّا خائفين عن المسلمين فضلاً من أن يمنعوهم منها ، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: قتل وسي أو جزية ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: له الأرض كلها إن منعم الصلاة في أحد المساجد ، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ ، أي : في أي مكان توليت القبلة ، ﴿فَتَمَّ وَجْهُهُ﴾^(٤) الله ، أي : جهته التي أمر بها لا يختص بمسجد ومكان ، أو معناه بأي جهة وجهتم إليها وجهكم فتم قبلة الله

= الأعراف: ٣٧، يونس: ١٧)، وقوله : " ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها" (السجدة: ٢٢)، لأن معناه هؤلاء أظلم ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر، بل كلهم مساو في الأظلمية / ١٢ منه .

(١) ولهذا نادى منادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد الفتح ألا لا يحج بعد العام مشرك ومن كان له أجل فأجله إلى مدته / ١٢ منه .

(٢) ما كان لهم في علم الله وقضائه أن يدخلوها إِلَّا خائفين وقد أنجز وعده / ١٢ منه

(٣) الأول قول سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأنه أرجح، لأن القول الثاني وهو قول العوفي عن ابن عباس وقول عكرمة ومجاهد والسدي أن النصارى أخرجوا اليهود ومنعوهم عن الصلاة في بيت المقدس، اليهود إذ ذاك غير مقبولة لأنهم لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون / ١٢ منه .

(٤) قيل الوجه الجاه كما يقال فلان وجه القوم ، أي موضع شرفهم ، معناه فثم جلال الله وشرفه وعظمته / ١٢ منه .

المشرق والمغرب ، أو ذاته مطلع بكم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: محيط بالأشياء رحمة لا يضيق على عباده ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالأعمال في الأماكن أو نزلت^(١) في صحابة عميت عليهم القبلة فتحروا القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة ثم تبين خطأهم^(*) ، أو نزلت^(٢) في صلاة التطوع حين السير أو في تحويل القبلة لما عبرت اليهود بأن ليس لهم قبلة معلومة ، أو لما نزلت " ادعوني أستجب لكم " (غافر: ٦٠) ، قالوا أين ندعوه فنزلت ، أو لما مات النجاشي قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : صلوا عليه ، قالوا إنه كان لا يصلي إلى القبلة كيف نصلي عليه ؟ فنزلت ، نقله ابن جرير رضي الله عنه^(*) ، ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود في عزيز والنصارى في المسيح والمشركون في الملائكة ، ﴿اتَّخَذَ^(٣)

(١) روى الترمذى وابن ماجه وابن أبي حاتم أنها في شأن من عميت عليه القبلة قال الترمذى: حديث حسن ليس إسناده بذلك وروى الدارقطني أيضاً برواية أخرى وضعفها ، والثاني وهو الذي أنها في التطوع في حديث رواه الترمذى والنسائي وابن أبي حاتم ، والثالث قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم ، والرابع قول ابن جرير ، والخامس نقله ابن جرير وقال : قال آخرون كذا هذا الوجه لا يخلو عن إشكال فتأمل ، والأولى أن يحكم بعدم صحة الرواية والله أعلم / ١٢ منه .

(*) أخرجه الترمذى (٣١٣٣-أحوزي) وضعفه وأبو داود الطيالسي عبد بن حميد وابن ماجه وابن جرير والدارقطني وغيرهم عن عامر بن ربيعة . وضعفه أيضا العقيلي كما في الدر المنثور للسيوطي (٢٠٥/١) .

(٢) قوله أو نزلت إشارة إلى أنه قد علم من التفسير الذى ذكرنا وجه آخر بسبب التزول ، فإنه إذا كان سبب التزول الوجوه الخمسة التي سنذكرها فيكون معنى " فأينما تولوا فثم وجه الله " لا يصدق إلا على المعنى الثاني في بعض ، والثالث في بعض فتأمل / ١٢ منه .

(*) أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن قتادة مرسلًا كما في الدر المنثور (٢٠٦/١) .

(٣) اتخذها هنا بمعنى عمل وصنع فهو متعد إلى مفعول واحد / ١٢ منه .

اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ: نزه نفسه عن ذلك ، ﴿بَلْ لَهُ مَا (١) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : أي : مخلوق وملك فلا مناسبة لشيء مع الله فلا ولد ، ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : منقادون لا يمكن لهم الامتناع عن مشيئته ، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : مبدعهما وخالقهما بلا سبق شيء ، أو بديع سماواته وأرضه ، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ : قدر وأراد ، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، من كان التامة ، أي : يكونه فيكون ولا واجب أن هناك حقيقة قول كما ابتدأ المسيح بأمر كن من غير والد والملائكة كذلك ومن قرأ فيكون بالنصب فهو جواب الأمر ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : مشركوا العرب أو بعض اليهود والنصارى ، ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ ، أي : هلا يكلمنا عيائنا ، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ، كما قال تعالى : " لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ " الآية (الإسراء: ٩٠) ، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ : من كفار الأمم الماضية ، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ : في العناد ، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ : أيقنوا وطلبوا الحق لا من عائد واستكبر ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ : متلبساً ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ : بالصدق ، ﴿بَشِيرًا﴾ : بالجنة ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ : من النار ، ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ، أي : لست بمسئول عنهم لِمَ لَمْ يَؤْمِنُوا ، ومن قرأ بصيغة النهي فذلك لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم : ليت شعري ما فعل أبواي ، فتركت (٢) وقيل

(١) غلب غير أولي العلم أولاً فقال ما في السماوات لأن ما يستعمل في الإهلام في مقام الوصف وكما يدل على التعظيم في بعض المواضع يدل على التحقير في بعض ، فهنا اتباع أولى العلم غيرهم تحقير لشأنهم ، والمقام يقتضيه ، وأما قانتون فعلى تغليب أولى العقل ، وهو الأصل أو نقول إن ما عام فلا تغليب والتغليب في قانتون على الأصل / ١٢ منه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه من طريق ابن جرير عن داود بن أبي

معناه لا تسئل عن حالهم فإنك لا تقدر أن تخبر عنها لفظاعتها ، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾ ، كانوا يرجون أن يرجع محمد عليه الصلاة والسلام إلى دينهم حين كان يصلي إلى قبلتهم ، فلما صرفت القبلة أيسوا منه فأنزل الله ، ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم وقبلتهم ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ، ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾: الذي بعثني به ، ﴿هُوَ الْهُدَى﴾: طريق الحق ، ﴿وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: آراءهم الباطلة ، ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: القرآن والسنة ، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١) : يدفع عنك العقاب وهو تهديد شديد للأمة ، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ ، أي : جنس الكتاب من الكتب المتقدمة ، ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ، حال

= عاصم مرفوعاً وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة هذا ما في الفتح وفي الوجيز وهذا القول بعيد جداً فإنه متوسط بين فضائح أهل الكتاب والمشركين/ ١٢ . [كلام السيوطي على الطريق وتضعيفه لهما تراه في الدر المنثور (١/ ٢٠٩) ، وقال في الحاوي (٣٨٩/٢): "لم يخرج -أي هذا الحديث- في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وإنما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتاج به، ولا يعول عليه".]

(١) وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهما فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولاً وأبان من أخلاقه شيئاً لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حبائله فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة ورأى منها وتقليد على شفا حرف هار فهو ذلك ماله من الله من ولي ولا نصير ومن كان كذلك فهو لا محالة مخذول وهالك بلا شك وشبهة / ١٢ فتح .

كوفهم لا يحرفونه ولا يكتمون ما فيه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ، أي : بكتاهم دون من يحرفه ويكتمه ولا يحل ولا يحرم حلاله وحرامه أو أولئك يؤمنون بالقرآن لا من يحرف كتابه ، أو معناه الذين آتيناهم القرآن حال كوفهم يتبعونه حق اتباعه هم المؤمنون بالقرآن لا غيرهم ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ، حيث اشتروا الكفر بالإيمان .

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ * وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٢٨﴾

﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ : عالمي زمانكم ، ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا

يُقْبَلُ مِنْهَا عَذْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ^(١) ، كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصيح وكأنه الفذلكة والمقصود بالذات ، «وَإِذِ ابْتَلَى: اختبر أي: عامل معاملة المختبر ، «إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ»: رَبُّ إِبْرَاهِيمَ ، «بِكَلِمَاتٍ» ، في الكلمات^(٢) اختلاف كثير ، أي : شرائع وأوامر ونواهي أو ثلاثين خصلة عشر في البراءة ، "التائبون العابدون" (التوبة: ١١٢) إلخ.. وعشر في أول سورة "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" (المؤمنون: ١-٩) ، و"سَأَلَ سَائِلٌ" (المعارج: ٢٢-٣٤) ، وعشر في الأحزاب ، "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ" (الأحزاب: ٣٥) إلخ.. ، أو عشر خصال خمس في الرأس: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وخمس في الجسد: تقليم الأظفار وتنف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء^(*) ، أو مناسك الحج ، أو أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: "فسبحان الله حين تمسون" (الروم: ١٧) إلخ الآية أو الآيات التي بعدها "إني جاعلك للناس إماماً" وغيرها ، «فَأَتَمَّهُنَّ»: أداهن تامات وقام بهن حق القيام ، «قَالَ» ، استئناف كأنه جواب لمن قال ماذا قال له ربه حين أتمهن ؟ ، أو بيان لقوله ابتلى ، عند من يقول هي الكلمات ، «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

(١) لما بين حكاية آدم وهو أب الجميع وفصل حكاية مخالفات بعض أولاده وعدوهم عن الاستقامة أخذ يبين حكاية أب العرب إبراهيم الذي وفي تحريضاً على متابعتة وتحذيراً عن أن يكونوا مثل بعض أولاده فقال : " وإذ ابتلى إبراهيم " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) قال ابن جرير: ما حاصله أنه لا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحدوث أو إجماع ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له ثم قال إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب يعني إن الكلمات هو قوله : " إني جاعلك للناس إماماً " وقوله : " وعهدنا إلى إبراهيم " وما بعده / ١٢ فتح .

(*) أخرج هذا التفسير الحاكم في "المستدرک" ، (٢/٢٦٦) عن ابن عباس من قوله ، وقلل: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي.

إِمَامًا: يقتدى بك وإمامته مؤبدة إلى الساعة ، ﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ، عطف على الكاف ، أي : اجعل من أولادي أئمة ، ﴿قَالَ﴾ : الله ، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، في تفسيره أيضًا كثير خلاف الأرجح أنه إجابة للمتمسه وإشارة إلى أن في ذريته من لا يصلح للإمامة والنبوة ، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ : الكعبة ، ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ : مرجعًا يأتون ثم يرجعون ثم يأتون أو موضع ثواب ، ﴿وَأَمَّا﴾ : من المشركين أبدًا فإنهم لا يتعرضون لأهل مكة ويتعرضون لمن حولها ، أو لا يؤاخذ الجاني المتلجئ إليها كما هو مذهب أبي حنيفة وقيل يأمن الحاج من عذاب الآخرة ، ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، مقام إبراهيم الحجر المعروف ، أو مسجد الحرام أو الحرم أو مشاعر^(١) الحج وقد صح^(*) أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال : نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله : " واتخذوا "(**) الخ وهو عطف على عامل إذ أعني اذكر ، أو مقدر بقلنا^(٢) ، ﴿مُصَلًّى﴾ ، يسن الصلاة خلفها أو مدعى ، ﴿وَعَهْدَنَا﴾ : أمرنا ولأنه بمعنى الوحي عدى بالي ، ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ ، أي : بأن طهراه من الأصنام^(٣) وما لا يليق^(٤) به أو ابنياه على التوحيد على اسمه وحده ، ﴿لِّلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

(١) كعرفة ومزدلفة ومنى ومن فسر كلمات بمشاعر الحج فسر مصلى بمدعى فإن إبراهيم قام في هذه المواضع ودعا فيه / ١٢ منه .

(*) في حاشية النسخة: في البخاري وغيره / ١٢ منه.

(**) أخرجه البخاري في "التفسير" ، باب: قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ ، (٤٤٨٣) ، وفي غير موضع من صحيحه .

(٢) فيكون عطف على جعلنا البيت / ١٢ منه .

(٣) هذا قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء / ١٢ منه .

(٤) قال ابن جرير وغيره أنه كان يعبد عند البيت في زمن نوح الأوثان / ١٢ وجيز ومنه .

السُّجُودِ: لمن يطوف ولمن يجلس في المسجد ولمن يصلي ، أو المراد من الطائفين الغرباء ومن العاكفين المقيمين والركع السجود جمع راعع وساجد ، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾: المكان ، ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾^(١): ذا أمن ، أو آمنا من فيه ، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ، من آمن بدل البعض أهله ، ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ ، عطف^(٢) على من آمن وهو من كلام الله ، نبه الله تعالى أن الرزق عام دنيوى لا كالإمامة ، أو مبتدأ تضمن معنى الشرط ، ﴿فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا﴾ ، خبره وقليلًا نصبه بالمصدر ، ﴿ثُمَّ اضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ ، أي : ألجئه إليها ، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(*) ، أي : العذاب^(٣) ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾: الأساس ، ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾: ورفعها البناء عليها ، ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ، كان يناوله الحجارة يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ، بنائنا البيت^(**) ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: لدعائنا ، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنياتنا ، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: مخلصين منقادين ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ ، أي: اجعل بعض أولادنا ، ﴿أُمَّةً﴾: جماعة ، ﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾: خاضعة مخلصه والأصح أنها تعم^(٤) العرب وغيرهم ، ﴿وَأَرِنَا﴾: أبصرنا ، ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: معالم

(١) نحو ليل نائم / ١٢ منه .

(٢) هذا العطف عطف تلقين كأنه قال : قل وارزق من كفر أيضًا فإنه مجاب / ١٢ منه .

(*) في الأصل وما قبلها وما بعدها .

(٣) يعني : أن المخصوص بالذم محذوف / ١٢ .

(**) في حاشية النسخة: بالإثابة / ١٢ منه .

(٤) قال السدي : يعينان العرب قال ابن جرير الصواب أنه أعم لأن من ذريته بنى إسرائيل

قال: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف: ١٥٩) / ١٢ منه .

حجنا أو مذابحنا ، ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ : مما فرط عنا ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١) :
 للتائب ، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ : في الأمة المسلمة ، ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾^(٢) ، وهو محمد
 -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿يَتْلُو﴾ : يقرأ ، ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ :
 القرآن ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ : السنة أو الفهم في الدين أو العلم والعمل به^(٣) ،
 ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ : عن الشرك ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ : الغالب ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ : واضع
 الأشياء في محالها .

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
 وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ^(٥) وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ
 الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^(٦) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
 الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ^(٧) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
 خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٨)
 وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

(١) رحمته وإن اشتملت التائب وغيره لكن الرحيم هو المبالغ في الرحمة ولذلك خصها
 السلف بالتائب / ١٢ منه .

(٢) وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم : أنا دعوة أبي إبراهيم / ١٢ وجيز ومنه . [وهو
 حديث صحيح أخرجه أحمد (٢٦٢/٥) من حديث أبي أمامة مرفوعاً ، وانظر الصحيحة
 (١٥٤٦) ، وصحيح الجامع (١٤٦٣) .]

(٣) الأول قول الحسن وقتادة ومقاتل وأبي مالك وغيرهم والثاني قول عطاء والثالث قول
 محمد بن اسحاق / ١٢ منه .

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٦﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا
بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ آهَتَدَوُاْ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٨﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ
لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٩﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا أَعْمَلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٠﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ تِلْكَ
أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ *

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: استبعاد عن ذلك أى لا يرغب أحد ، ﴿إِلَّا مَنْ
سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: خسرها أو جهل^(١) نفسه أو ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره والمستثنى
بدل من ضمير يرغب لأنه في معنى النفي ، ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾: اخترناه
لِلرَّسَالَةِ ، ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: وهذه^(٢) حجة وبيان لقوله "ومن
يرغب" ، ﴿إِذْ قَالَ﴾ ، ظرف لاصطفينا أو بأضمار اذكر كأنه قال : اذكر ذلك

(١) فلم يعلم أنها مخلوقة لله ويجب عليها عبادة خالقها، وعن المبرد سفه بكسر الفاء متعد
وفي الحديث الكبير أن تسفه الحق وتغضب الناس / ١٢ منه .

(٢) أي مجموع قوله ولقد اصطفيناه إلخ .

الوقت لتعلم أنه المصطفى ، ﴿لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمٌ﴾^(١) : استقم على الإسلام أو أخلص العمل لله أو أسلم نفسك إلى الله وفوض أمرك إليه ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : حقق ذلك حيث لم يستعن بغير الله حين ألقى^(٢) في النار ، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا﴾ : بالملة أو كلمة الإخلاص ، ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ ، أي وصى هو أيضاً بنيه ، ﴿يَا بَنِيَّ﴾ ، على إضمار القول أو متعلق بوصى لأنه نوع من القول ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ : دين الإسلام ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، أي : داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا عليه ، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ، منقطعة^(٣) والهمزة للإنكار أي : ما كنتم حاضرين ، وهذا رد على اليهود حيث قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ ، تم الكلام ثم ابتدأ بقوله : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ ، كأنه قال : اذكر ذلك الوقت حتى لا تدعى إليه اليهودية أو متعلق بقالوا نعبد ، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ، نصبه على البدل من إله آبائك وإسماعيل عمه فهو من التغليب ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ، حال من معمول نعبد ، ﴿تِلْكَ﴾ ، أي : إبراهيم

(١) إن كان الأمر قبل النبوة عند استدلاله بالكواكب فأسلم على ظاهره وإلا فالمراد منه الثبات أو غير ذلك / ١٢ منه .

(٢) وذلك حين قال جبريل عليه السلام "ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا" . / ١٢ منه .

(٣) قيل أم متصلة أي : تدعون على أنبياء اليهودية بلا سند أم كنتم حاضرين وفي البحر لا نعلم أحداً أحاز حذف هذه الجملة ولا نحفظ ذلك في شعر ولا غيره وقيل منقطعة . بمعنى بل للإضراب عن الكلام الأول لا بمعنى نفيه والحكم ببطلانه بل . بمعنى الأخذ فيما هو أهم وقيل قد يجيء المنقطعة بمعنى الهمزة وحدها ويكون مجرد الإنكار وهائنا كذلك / ١٢ منه .

ويعقوب وبنوها ، ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ : مضت ، ﴿لَهَا هَا مَا كَسَبَتْ﴾ : من العمل ، ﴿وَلَكُمْ﴾ : يا معشر اليهود ، ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ ، أي : انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم ، ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ : لا تؤاخذون بسيئاتهم ، كما لا تثابون بحسناتهم ، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ ، قالت اليهود للمؤمنين : كونوا على ديننا فهو الحق ، وقالت النصارى مثله ، ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، أي : نكون أهل ملته ، أو نتبع ملته ، ﴿حَنِيفًا﴾ : مائلاً عن الباطل إلى الحق حال عن إبراهيم ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، وهذا تعريض للمخلطين ، ﴿قُولُوا﴾ : أيها المؤمنون ، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ : القرآن ، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط : أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء ، ﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ ، أفردهما بحكم^(١) أبلغ لأن التراع فيهما ، ﴿وَمَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ : المذكورون وغيرهم ، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ : كاليهود يكفر ببعض ويؤمن ببعض واحد بحسب^(٢) الوضع يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ : لله ، ﴿مُسْلِمُونَ﴾ : مخلصون منقادون ، ﴿فَإِنْ﴾^(٣) آمَنُوا ، أي : أهل الكتاب ، ﴿بِمِثْلِ مَا﴾^(٤) آمَنتُمْ بِهِ ، المثل صلة والباء زائدة أي : مثل إيمانكم بالمذكور ، أو هو من باب التعجيز إذ لا مثل لدين الإسلام نحو قوله تعالى : "فأتوا بسورة من مثله" (البقرة: ٢٣) ، ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ : أعرضوا

(١) وهو الإيتاء فإنه أبلغ من الإنزال / ١٢ منه .

(٢) فهو اسم لمن يصح أن يخاطب ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كلام غير موجب ، نص على ذلك أبو علي وغيره من أئمة العربية / ١٢ منه .

(٣) جاء بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير / ١٢ منه .

(٤) أي : حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا / ١٢

عن الإيمان ، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ : خلاف ونزاع ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ ، تسكين للمؤمنين ووعد بالحفظ والنصرة ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ، من تمام الوعد والوعيد لا في طلب حق ، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ، من تمة المقول أي : قولوا التزمنا^(١) دين الله ، أو صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغ حلية المصبوغ ، نقل أن النصارى يغمسون أولادهم في ماء أصفر ويقولون : هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم فيكون للمشاكلة ، ونقل أن بني إسرائيل قالوا لموسى : هل يصبغ ربك ؟ فناداه^(٢) ربه أن قل نعم أنا أصبغ الألوان وأنزل الله على نبيه : " صبغة الله " ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾* : لا صبغة أحسن من صبغته ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ : مطيعون لا نشرك به كشركم عطف على آمنة ، ﴿قُلْ﴾ : يا محمد لأهل الكتاب ، ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ : أتجادلوننا^(٣) ، ﴿فِي اللَّهِ﴾ ، في دين الله وأمره حيث قالوا

(١) قدرنا التزمنا ليكون داخلاً في مقول قولوا آمنا لأنه لو قدرنا الزموا كما قدره كثير من المفسرين يلزم فك النظم لأن قوله : " ونحن له عابدون " عطف على " آمنا " ، فيلزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي وهو قوله : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " فإنه ليس من مقول قولوا حينئذ وقيل : نقدر الزموا ، وقوله : " ونحن له عابدون " مقدر بالقول ، أي : وقولوا : نحن له عابدون فلا يلزم فك النظم وأنت تعلم أن ما ذكرناه أقل حذفاً وأمتن فتدبر / ١٢ منه .

(٢) عن سيبويه أن صبغة الله مصدر مؤكد لقوله : " آمنا بالله " فإن الإيمان يطهر النفوس كأنه قال : طهرنا الله تطهيره / ١٢ .

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير في " التفسير " ، (٨٩/١) وعزاه إلى ابن مردويه ابن أبي حاتم من طريق أشعب بن إسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً . وقال : " كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعاً ، وفي رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح إسناده " .

(٣) أتجادلوننا في شأن الله واصطفاءه النبي من العرب دونكم؟ / ١٢ منه .

الأنبياء منا فنحن أولى بالله منكم ، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ : لا اختصاص له بقوم دون قوم ، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ : لكل جزاء عمله فليس يبعد أن يكرمنا الله تعالى ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ : موحدون ، أي : لنا هذا الميزد دونكم ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ ، أم منقطعة والهمزة للإنكار ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ ، " ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا " (آل عمران : ٦٧) ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ ^(١) *مِنَ اللَّهِ* ، يقرأون في التوراة أن الدين الإسلام وأن هؤلاء الأنبياء برآء من اليهودية والنصرانية ، فشهد الله بذلك فكتبوا شهادة الله عندهم من ذلك ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، وعيد لهم ، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، كرر مبالغة في الزجر عما في الطباع من الاتكال بالأشراف من الآباء ، قيل : الخطاب فيما سبق لأهل الكتاب وفي الآية لنا ، وقيل : المراد بالأمة في الأول : الأنبياء وفي الثاني : أسلاف أهل الكتاب .

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَلَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ

(١) الطرفان كلاهما صفة شهادة / ١٢ منه .

وَجِهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا
بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿سَيَقُولُ^(١) السُّفَهَاءُ^(٢) مِنَ النَّاسِ﴾: اليهود ومشركو مكة، ﴿مَا وَلَاَهُمْ﴾: ما
صرفهم، ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، وهى الصخرة، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

(١) ظاهر فى الاستقبال وهو خير من الله قبل استقبالهم الكعبة، فهو من المعجزات، وذهب
قوم إلى أنه نزل أولا "قد نرى تقلب وجهك فى السماء"، ثم نزل سيقول السفهاء
نص على ذلك ابن عباس وغيره وحديث البخارى، وهو أنه صلى الله عليه وسلم صلى
فى المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهرا وكان يجب التوجه نحو
الكعبة، فنزل "قد نرى تقلب وجهك فى السماء" الآية، فقال السفهاء من الناس وهم
اليهود: "ما ولاهم عن قبلتهم" الآية فقال الله تعالى: "قل لله المشرق والمغرب" فعلى
هذا السين دل على أنهم كما صدر عنهم فى الماضى يصدر عنهم فى الآتى، فهم فى
ضلالتهم فى الأول والثانى / ١٢ وحيز [أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول
السفهاء من الناس ما ولاهم..."] (٤٤٨٦)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى
"المساجد ومواضع الصلاة" (١٦٠/٢).

(٢) الذين خف أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر / ١٢ بياضوى .

وَالْمَغْرِبُ: ﴿مَلَكًا لَا يَخْتَصُّ بِهِ مَكَانٌ دُونَ مَكَانٍ، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ فَتَارَةً إِلَى الصَّخْرَةِ ثُمَّ إِلَى الْكَعْبَةِ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كَمَا هَدَيْنَاكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَقِيلَ إِشَارَةً إِلَى وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، أَي: كَمَا اخْتَرْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١): عَدُولًا خَيْرًا، ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾: عَلَى صَدَقِكُمْ، ﴿شَهِيدًا﴾، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمَّةَ يَجْهَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْلِيغَ الْأَنْبِيَاءِ، فَالْأَنْبِيَاءُ يَأْتُونَ بِأَمَّةٍ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَيَشْهَدُونَ بِالتَّبْلِيغِ، فَتَقُولُ الْأُمَّةُ: مِنْ أَيْنَ عَرَفْتُمْ؟، فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا فِي كِتَابِهِ^(*)، ثُمَّ يَزْكِيهِمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿وَمَا﴾^(٢) جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ^(١) الَّتِي كُنْتَ

(١) وَقَدْ ثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَفْسِيرُ الْوَسْطِ هَاهُنَا بِالْعَدْلِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ مَرْفُوعًا فَوَجِبَ الرَّجُوعُ إِلَى ذَلِكَ / ١٢ فَتَحَ [بَلْ ثَبِتَ هَذَا التَّفْسِيرُ فِي الْبُخَارِيِّ مَرْفُوعًا (ح ٤٤٨٧)].

(*) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "التَّفْسِيرِ"، بَاب: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا...". (٤٤٨٧)، وَفِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ صَحِيحِهِ.

(٢) قِيلَ: التَّصِيرُ الْإِتْقَانُ، فَالْمُتَّبَعُ بِالْحَالَةِ الْأُولَى هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ، وَبِالْحَالَةِ الثَّانِيَةِ هُوَ الثَّانِي، نَحْوُ: جَعَلْتُ الطِّينَ، حَزَقًا وَاجْهَلًا عَالِمًا، فَعَلَى هَذَا، الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ، لَا كَمَا قَالَهُ الزَّحَّاشِيُّ: مَا صَبَرْنَا قَبْلَتَكَ الْآنَ الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَالَ: كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَصَلِّي إِلَى الْكَعْبَةِ ثُمَّ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْكَعْبَةِ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ صَالِحٌ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِقَوْلِهِ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِمَا فِي وَقْتَيْنِ فَافْهَمْ / ١٢ مِنْهُ.

وَمَفْعُولُهُ الثَّانِي، إِلَّا لِنَعْلَمَ كَمَا تَقُولُ: ضَرْبُ زَيْدٍ لِلتَّأْدِيبِ، أَي: كَائِنٌ لَهُ وَعَلَى هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالْقِبْلَةِ الْكَعْبَةُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ إِذْ كُلُّ مَنِ مَتَّصِفٌ بِأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ م ١٢ مِنْهُ .

عَلَيْهَا»، أى: أصل أمرك استقبال الكعبة، فإنما قبله إبراهيم، لكن جعلنا قبلتك بيت المقدس، وقوله: " التى كنت عليها " أحد مفعولى جعل، أى: الجهة التى كنت عليها^(٢)، وقيل: تقديره وما جعلنا تحويل القبلة التى كنت عليها، وعلى هذا التى صفة القبلة أقول والله أعلم بمراحده: يحتمل أن يراد من التى كنت عليها الكعبة، أى: خاطرك مائل إليها، فإن الأصح أن القبلة قبل الهجرة الصخرة لكن خاطره الأشرف مائل إلى أن تكون الكعبة قبله، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ^(٣)﴾: علماً حالياً يتعلق به الجزاء، ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾: عند نسخ القبلة، ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: يرتد، والظاهر أن تقديره متميزاً، ممن ينقلب حال من فاعل يتبع، أو ثانى مفعولى نعلم، وقد نقل أن كثيراً من المسلمين ارتدوا عند تحويل القبلة، ظناً منهم أن هذا حيرة منه عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأِنْ كَانَتْ﴾، أى التولية^(*)، وإن مخففة، ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أى: هداهم الله، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: بالقبلة الأولى، وتصديقكم واتباعكم نبيكم فى القبلة الثانية، أو صلاتكم إلى الصخرة، ففى

(١) (حديث) صلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فى مسجد بنى سلمة ركعتين فتحول إلى الكعبة فى الصلاة، وتبادل الرجال والنساء الصفوف، فسمى المسجد ذا القبليتين، كذا ذكره البيضاوى، وقال السيوطى: هذا تحريف للحديث، فإن قصة بنى سلمة لم يكن فيها النبى -صلى الله عليه وسلم- إماماً، ولا هو الذى تحول فى الصلاة/ ١٢.

(٢) قبل هذا الوقت وهى بيت المقدس / ١٢ منه .

(٣) العلم هاهنا بمعنى الإدراك فلا يطلب إلا مفعولاً واحداً وثانى مفعوليه ممن ينقلب، وقيل: من استفهامية مبتدأ، ويتبع خبره فيكون العلم من المتعدى إلى مفعولين معلقاً بالاستفهام عن العمل / ١٢ منه .

وقيل: معناه فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم / ١٢ منه .

(*) فى حاشية النسخة: إلى الكعبة/ ١٢ منه.

الصحيح^(*) أن الصحابة سألوا كيف حال إخواننا الذين ماتوا على القبلة الأولى ؟ فترلت، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، فلا يضيع أجورهم والرءوف أبلغ من الرحيم، ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، أى: تردد وجهك في جهة السماء انتظاراً لجبريل والوحى بتغيير القبلة، فإنه يجب أن تكون "قبلة" قبله أبيه إبراهيم، ﴿فَلَنُؤَلِّيكَ﴾، نمكنك استقبال قبلة من وليته كذا، أى صيرته والياً له، ﴿قِبْلَةً تُرِضَاهَا﴾، تحبها، ﴿قَوْلٌ﴾: اصرف، ﴿وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أى: نحوه، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾، من بر وبحر، وهو بمعنى الشرط، أى: أينما كنتم^(٢) فالفاء، ﴿فَوُلوْا﴾، للجزاء، ﴿وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، حين الصلاة، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: اليهود، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أمر الكعبة، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، ليقينهم بحقية محمد عليه الصلاة والسلام، وبأن الكعبة قبلة إبراهيم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من العلم وكمثانه، ﴿وَلَمَّا أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: دالة على أن الكعبة قبلة، ﴿مَا^(٣) تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾، لأنهم حساد جاحدون، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾، قطع لأطماع اليهود الرجوع إلى الصخرة ثانياً، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ^(٤) بِتَابِعٍ

(*) أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول السفهاء من الناس..." (٤٤٨٦).

(١) قيل: معناه لرءوف بالمؤمنين فى الدارين رحيم على الفاسقين، وقيل: قدم الرءوف محافظة على الفواصل / ١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون حيث ما كنتم ظرفاً لقوله قول لأنه يلزم اجتماع حرفى العطف / ١٢ منه .

(٣) قوله: " ما تبعوا " جواب قسم محذوف، دل عليه اللام الموطئة فى " ولئن أتيت " سد مسد جواب الشرط / ١٢ منه .

(٤) قال الحافظ ابن القيم فى بدائع الفوائد: قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله؛ بل بمشورة واجتهاد منهم، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم فى الإنجيل ولا فى =

قِبْلَةَ بَعْضٍ: اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى مطلع الشمس، فمحال أن تراعى خاطرهم، إن أردت مثلاً لاختلافهم، ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، مثلاً، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، بأن لك الحق بالوحى، ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، مثلهم وبالحقيقة هذا تهديد لأمتهم، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: علماءهم، ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: محمداً بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾: كمعرفتهم آبائهم بلا التباس، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، أي: نعته وصفته، أما العوام فلا يعرفون شيئاً، وأما المؤمنون منهم فلا يكتُمون، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فإنهم يقرؤون فى كتابهم، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، مبتدأ أو خبر واللام للإشارة إلى الحق الذى يكتُمونه، أو إلى ما عليه محمد عليه الصلاة والسلام، أو تقديره هو الحق^(١) حال كونه من ربك، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِينَ﴾: الشاكين فيما أخبرتك، وهذا مبالغة فى تحقيق الأمر، أو أمر للأمة .

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْجِهَةٌ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ وَمِنْ

= غيره باستقبال المشرق وهم يقرون بأن قبلة المسيح قبله بنى إسرائيل، وهى الصخرة وإنما وضع لهم أشياءهم هذه القبلة، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبداً، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر، وأما اليهود فليس فى التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا إليه، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة / ١٢ فتح .

(١) حال مؤكدة وجاز أن يكون خبراً بعد خبر / ١٢ منه .

حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٢٤﴾ كَمَا
أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ فَأَذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٢٦﴾

﴿وَلِكُلِّ﴾: من أهل الأديان، «وَجْهَةٌ»: قبله، «هُوَ مُوَلِّيْهَا»: وجهه، ووجهة الله
حيث توجه المؤمنون، أو الله مولى الأمم إلى قبلتهم، «فَاسْتَبِقُوا»: بادروا،
«الْخَيْرَاتِ»: قبول أمر القبلة وغيره، «أَيْنَ مَا تَكُونُوا»، أنتم وأهل الكتاب، «يَأْتِ
بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا»: يحشركم إليه ويجازيكم، «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»: من الإمامة
والإحياء والجمع، «قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ»: من أى مكان خرجت، افعل ما
أمرت به، فالفاء في، «قَوْلٍ»، للعطف^(١) على مقدر، «وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ»، إذا صليت، «وَأِنَّهُ»: المأمور به، «لَلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) لا مساع في عمل " قول " في " ومن حيث خرجت " لاجتماع حرفي العطف، وإن
حوزنا إعمال ما بعد الفاء فيما قبله، فالوجه أنه متعلق بمحذوف كما قدرنا، وجاز أن
تجعل " ومن حيث خرجت " في معنى الشرط، أى: أينما كنت وتوجهت، فالفاء
للجزاء، صرح بذلك العلامة التفتازاني واختارناه في " وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم "

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»، لما كان النسخ من مظان الفتن والشبه، أكد وكرر وبالع مراراً، «لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ»، أحد من الآحاد، «عَلَيْكُمْ»^(١) حُجَّةٌ^(٢)، فإن اليهود قالت: مادري^(٣) محمد أين قبلته حتى هديناه، فلما صرفت القبلة بطلت صورة حجتهم، «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»: من الناس، كمشركي مكة، فإنهم قالوا: محمد قد تحير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، والاستثناء متصل، قيل: معناه لئلا يكون لأحد من اليهود حجة، إلا للمعاندين منهم، فحجة المنصفين أن يقال لم لا يحول إلى قبلة إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟ وحجة المعاندين، أنه ما ترك قبلة الأنبياء إلا ميلاً إلى دين قومه، والمراد من الحجة ما يساق سياقها، «فَلَا تَخْشَوْهُمْ»، المشركين، فمطاعنهم لا تضركم، «وَإِخْشَوْنِي»: فلا تخالفوا أمري، «وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ»، بتكميل الشريعة، وهو عطف على قوله لئلا يكون، «وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»: لكي تهتدوا أنتم خصوصاً إلى قبلة إبراهيم، «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ»، متصل بما بعده، أى: كما ذكرتمكم بالإرسال، فاذكروني، أو بما قبله، ومعناه: ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة كما أتممتها في الدنيا بإرسال رسول منكم، «رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ»: يحملكم ما تصيرون به أزكياء من رذائل الأخلاق، «وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ»: القرآن، «وَالْحِكْمَةَ»: السنة، «وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ»: بالفكر من الأحكام

(١) الظاهر أن عليكم حال من حجة، والناس خبر يكون ١٢ منه .

(٢) قيل: حجة الظالمين هي أنه يزعم أن دينه دين إبراهيم، فإن كان بيت المقدس قبلية إبراهيم فلم تحول عنه / ١٢ منه .

(٣) هكذا فسره أبو العالية ومجاهد وعطاء والضحاك وربيع بن أنس وقتادة والسدي / ١٢

والشرائع، ﴿فَاذْكُرُونِي﴾: بالطاعة أو في الرخاء، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالمغفرة أو في الشدة، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾: نعمي، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، يمجّد نعمي، ومن أطاع الله فقد شكر ومن عصاه فقد كفر .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٦١﴾ * إِنَّا الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿٦٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٦٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾: على طلب الآخرة، ﴿بِالصَّبْرِ﴾: عن المعاصي،
﴿وَالصَّلَاةِ﴾، التي هي أم العبادات^(١)، ﴿إِنَّ^(٢) اللَّهَ مَعَ^(٣) الصَّابِرِينَ﴾: بالعون

(١) الفارق بين الكفر والإيمان والصبر أمر قلبي، والصلاة ثمرته، وهي من أشق التكاليف لتكررها في كل يوم وليلة / ١٢ وحيز .

(٢) قال شيخ الإسلام في شرح حديث التزول: ولفظ المعية في كتاب الله جاء عامًا، كما في قوله تعالى: "وهو معكم أينما كنتم" [الحديد: ٤] وفي قوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" إلى قوله "هو معهم أينما كانوا" [المجادلة: ٧] وجاء خاصًا كما في قوله: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" [النحل: ١٢٨]، وقوله: "إني معكم أسمع وأرى" [طه: ٤٦]، وقوله: "لا تحزن إن الله معنا" [التوبة: ٤٠] ولو كان المراد أن الله بذاته مع كل شيء، لكان التعميم يناقض التخصيص فإنه قد علم أن قوله: "لا تحزن إن الله معنا" أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" خصهم بذلك دون الظالمين والفجار، وأيضًا فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى كما في قوله: "محمد رسول الله والذين معه" [الفتح: ٢٩]، قوله: "فأولئك مع المؤمنين" [النساء: ١٤٦]، وقوله: "اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [التوبة: ١١٩]، وقوله: "وجاهدوا معكم" [الأنفال: ٧٥]، ومثل هذا كثير، فامتنع أن يكون قوله: "وهو معكم" [الحديد: ٤] يدل على أن ذاته تكون مختلطة بذوات الخلق، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به، وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى الجماعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد، ولم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد . انتهى مختصرًا / ١٢ .

(٣) ولما كانت الصلاة ناشئة عن الصبر، قال: "إن الله مع الصابرين" اندرج المصلون تحت الصابرين، اندراج الفرع تحت الأصل / ١٢ منه .

والنصرة، «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، هم، «أَمْوَاتٌ بَلْ»، هم، «أَحْيَاءٌ»، نزلت في قتلى^(١) بدر من المسلمين وأرواح^(٢) الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة، «وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ»: ما حالهم، «وَلَتَبْلُوكُمْ»: ولنصيبكم إصابة من يختبركم، «بِشَيْءٍ»، أى: قليل، «مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ»، أى: القحط، «وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ»: خسران الأموال، «وَالْأَنْفُسِ»: الموت أو هو المرض والشيب، «وَالثَّمَرَاتِ»: الحوائج، وحكى عن الشافعى رضى الله عنه: الخوف، خوف الله والجوع رمضان، ونقص الأموال الزكوات والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد، «وَبَشِّرِ»: يا محمد، «الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ»: مما ذكر، «قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ»: عبيد أو ملكا، «وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»: في الآخرة فلا يضيع عمل عامل، «أَوَّلَتْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ»: مغفرة^(٣)، أو ثناء من الله وأمنة من العذاب، ولكثرها وتنوعها جمعها، «مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةً»^(٤)، لطف وإحسان، «وَأَوَّلَتْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»: إلى الصواب أو إلى الجنة، «إِنَّ الصَّفَا

(١) هم أربعة عشر / ١٢ منه .

(٢) هذا الحديث مذكور في صحيح مسلم وتتمته (تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش) / ١٢ منه [أخرجه في الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (٤/٥٥٠)] .

(٣) في مسند الإمام أحمد، وسنن ابن ماجة (ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها، وإن طال عهدها، فيسترجع، إلا أجدد الله له عند ذلك فأعطاه/ ١٢ منه [وهو حديث ضعيف، انظر تعليق الشيخ الألبانى على المشكاة (١٧٥٩)] .

(٤) قال الزمخشري: عطف الرحمة على الصلوات بمنزلة أن يقال: عليهم رافة ورحمة بعد رحمة / ١٢ منه .

وَالْمَرَّةَ^(١)»: جبالن بمكة، «مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»: من أعلام مناسكه، «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ»، الحج والعمرة عبادتان معيتان في الفقه، «فَلَا جُنَاحَ»: إثم، «عَلَيْهِ»، في، «أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا»: بالجبلين، كان فيهما صنمان معروفان، وأهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الحق وزهق الباطل، كره المسلمون الطواف بينهما فأنزل الله، وعند الشافعي: هو ركن الحج بدليل الأحاديث والآية لا^(٢) تنافيه، «وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا»، من صلاة وزكاة وطواف وغيرها، أو تطوع بالسعى عند من يرى أنه سنة^(٣) ونصب خيرًا على المفعول المطلق، أو تطوع بمعنى: فعل وأتى، «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ»: مجازيه بعمله، «عَلِيمٌ»، لا يخفى عليه خافية، «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا»، علماء اليهود، «مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى»، صفة محمد، وآية الرجم، وغيرهما، «مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ»: التوراة، «أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللَّاعِنُونَ»: جميع الخلق سوى الجن والإنس أو الملائكة والجن والإنس المؤمنون، يعني: يقولون اللهم العنهم قد نقل^(٤) أن البهائم والطيور إذا اشتدت السنة تلعن عصاة بني

(١) ولما كان الحج أخا الجهاد، وسماه النبي - صلى الله عليه وسلم - أحد الجهادين، وفيه نقص الأموال، والصبر على هجران الأصحاب، وترك الوطن، وفيه مشاهدة القبلة، وهي متمنى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، قال: "إن الصفا والمروة من شعائر الله" / ١٢ / وحيز.

(٢) إذا عرفت مودده كما ذكرناه، بل قوله: "من شعائر الله" أي: ما شرع الله تعالى في مناسك الحج يؤيده / ١٢ منه .

(٣) وهو مذهب ابن عباس وأنس والزهري / ١٢ منه .

(٤) في الحديث: إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه، تسمعها كل دابة غير الثقلين، فتلعنه كل دابة سمعت صوته، فذلك قوله تعالى: "أولئك يلعنهم الله" إلخ.. رواه ابن أبي حاتم /

١٢ منه .

آدم(*)، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: رجعوا عن الكتمان، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، ما أفسدوا، ﴿وَبَيَّنُوا﴾: للناس ما كانوا كتموه، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: بالقبول والمغفرة، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾: المبالغ في قبول التوبة، ﴿الرَّحِيمُ﴾: كثير الرحمة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ماتوا على الكفر، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، المراد من الناس المؤمنون، أو هذا في الآخرة يوقف الكافر فيلعنه جميع الناس، حتى إنه يلعن نفسه، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾^(١) عنهم العذاب ولا هم ينظرون، أي: لا يسهلون، أو لا ينتظرون ليعتذروا، وقيل: لا ينظر إليهم نظر رحمة، ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، كفار قريش قالوا: يا محمدا! صف لنا ربك فأنزل الله، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ليس في الوجود إله غيره، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، هما كالحجة لوحدايته، فإنه مولى النعم وحده، فغيره لا يستحق العبودية، ولما سمعه المشركون، قالوا: إن كنت صادقاً في أن لا إله إلا الله فأتنا بآية، فأنزل الله .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢) ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد

(*) أخرج ذلك سعيد بن منصور في سننه وابن جرير على مجاهد من قوله.

(١) هذه الآية مكذبة لمن يدعى أن الكفار بعد مدة في النار لا يجدون ألم الحرقه أو هم غير

معذبين/ ١٢ وجيز .

الْعَذَابِ ﴿١٧﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَّا
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ
بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٩﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ﴾ (١) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: تعاقبهما،
﴿وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: ينفعهم أو بالذى ينفعهم من
الركوب والحمل، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾، السماء السحاب، أو
الفلك، أو جانب العلو، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: جدوبتها،
﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾، فرق في الأرض، عطف على أحياء، والمجموع صلة، أو على ما أنزل
بتقدير الموصول، أى: وما بثه، ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾، في مهاهما
وأحوالها، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أى: المذلل لأمر الله،
بينهما لا ينزل ولا ينقشع، ﴿لَايَاتٍ﴾: دلالات على وحدته، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:
يتفكرون فيها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾: أصناماً جعلوا له
أمثالاً يعبدونها، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ (٢) كَحُبِّ اللَّهِ: يعظمونهم كتعظيمه، أى: يسوون بينه

(١) أى إيجادهما أو خلقهما وشكلهما كما يقال: خلق فلان أحسن أى شكله / ١٢ منه .
(٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة: أما الشرك فهو نوعان أكبر
وأصغر فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة وهو أن يتخذ من دون الله تعالى نداً يحبه كما يجب
الله تعالى، وهو الشرك الذى تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولذا قالوا لآلهتهم
فى النار: "تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين" [الشعراء: ٩٨، ٩٧] مع
إقرارهم بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء ومليكه وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا
تميت ولا تحيى وإنما كانت هذه التسوية فى المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر =

وبينهم في الطاعة، أو يحبوهم كحب المؤمنين الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾،

= مشركى العالم بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله تعالى؛ وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله تعالى ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله تعالى، ويغضبون بتنقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم ما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتقصت حرمت آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث أو الكلب، وإذا انتهكت حرمت الله تعالى لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم قد شاهدنا نحن وغيرنا هذا منهم جهرة انتهى . وقال الإمام تقي الدين أحمد بن على المقرئ رحمه الله: ومن أجل الشرك وأصله الشرك في محبة الله قال تعالى: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُباً لله" فأخبر سبحانه أنه من أحب مع الله شيئاً غيره كما يحبه فقد اتخذ نداءً من دونه، وهذا على أصح القولين في الآية، أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى: "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" [الأنعام: ١] والمعنى: على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسبون بينه وبين غيره في الحب والعبادة وكذلك قول المشركين فيا لنا لأصنامهم "تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين" [الشعراء: ٩٨، ٩٧] ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها لله تعالى وحده، وأنه رب السماوات ورب العرش العظيم، وأنه هو الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة، والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله تعالى، فكيف بمن كان غير الله تعالى أتم عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضات الله ؟، فإذا كان المسوى بين الله وبين غيره في ذلك مشركاً فما الظن بهذا ؟ فعياًذاً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد - انتهى.

لأنه لا تنقطع محبتهم عن الله عز وجل بحال، أما المشركون إذ اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول، وأيضاً يعرضون عن معبودهم^(١) حال البلاء، قال تعالى: "فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْمَنَكِ" [العنكبوت: ٦٥]، «وَلَوْ يَرَى»: لو يعلم، «الَّذِينَ ظَلَمُوا»، باتخاذ الأنداد، «إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ»: عاينوه يوم القيامة، «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ»، ساد مسد مفعولى يرى، وجواب لو محذوف، أي^(٢): لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً لا قدرة لأندادهم، إذ يرون العذاب، أى: يوم القيامة، لندموا أشد الندامة، ومن قرأ ولو ترى بالتاء، فالذين ظلموا مفعوله من رؤية البصر، وإذ يرون العذاب بدل من الذين، وأن القوة بدل اشتمال من العذاب، وجواب لو محذوف أيضاً أى لرأيت أمراً فظيماً، «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»: القادة من الملك وغيره، وهو بدل من إذ يرون، فيكون ظرفاً لقوله أن القوة، «مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»: الاتباع، يقول الملائكة: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون" [القصص: ٦٣]، «وَرَأَوْا الْعَذَابَ»، الواو للحال، وقد مضمرة، «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ»، أى: بسبب كفرهم، أو متلبساً ومتصلاً بهم، «الْأَسْبَابُ»، أى: المودة، أو كل وصلة بينهم في الدنيا، أو الأعمال التي يعملونها في الدنيا، أو الحيل وأسباب الخلاص، «وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»: الاتباع، «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ»، أى: ليت لنا رجعة إلى الدنيا، «فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ»: من المتبوعين، «كَمَا تَبَرَّعُوا مِنَّا كَذَلِكَ»: مثل ذلك الإراء الفطيع، «يُؤْرِثُهمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ»: سيئاتهم، أو حسناتهم التي ضيعوها، «حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ»: ندامات وهو ثالث مفاعيل يريهم، أو حال على أنه من رؤية البصر، «وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ»، أصلاً.

(١) نقله محي السنة عن قتادة / ١٢

(٢) في أيام حياتهم / ١٢ منه .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا عَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٦﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا دُعَاءَ وَبِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوًا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ

أَخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٨٢﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا^(١) النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، نزلت في قوم حرموا على أنفسهم السوايب والوسائل والبحائر، وحلالاً مفعول كلوا، أو حال من ما في

(١) ولما بين من اتبع غير الأنبياء وهددهم بأن غيرهم في مآلهم وبال عليهم والتابع متبرئ عن المتبوع تلطف بالنداء لكل فقال: "يا أيها الناس" الآية / ١٢ منه .

الأرض، والطيب ما يستطاب في نفسه، غير ضار للأبدان والعقول^(١) أو المستلذ،
«وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ»، أى: سبله وطرقه، يعنى لا تقتدوا به، «إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُبِينٌ»: ظاهر العداوة، عند ذوى البصيرة، «إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ»: المعاصى
كلها أو معصية لا حد فيها، «وَالْفَحْشَاءِ»: معصية فيها حد أو البخل، «وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»: كاتخاذ الأنداد، وتحليل الحرام وتحريم الحلال،
«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ، أَوْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ^(٢)، «اتَّبِعُوا^(٣) مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا»: وجدنا، «عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ»، الواو للعطف أو الحال والهمزة للتوبيخ والتعجيب، وجواب لو
محذوف، أى: لو كان آباؤهم جهلاء لاتبعوهم، «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا»: فيما هم فيه
من الجهل والضلال، «كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً»، أى:
كمثل الدواب السارحة التى لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أى: دعاها إلى
ما يرشدها لا تفقه ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، هكذا نقل في تفسيرها عن
السلف، وحاصله أنهم فى انهماكهم فى تقليد الجهل كالبهائم التى ينعق راعيها بها

(١) فسر به بذلك أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) الأول: قول بعض السلف والثاني: قول ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) وإنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيهًا على أنه لا
فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد وفيه أقوى دليل على وجوب
النظر والاستدلال وترك التأويل على ما يقع فى الخاطر أو على ما يقوله الغير من غير
دليل كذا فى الكبير وكم من آية بينة وأثر جلى تدل على ذم التقليد والمقلدين وألف
الحافظ الواحد المتكلم ابن القيم فى ذلك كتابًا ضخمًا سماه "إعلام الموقعين عن رب
العالمين" / ١٢ .

فتسمع الصوت ولا تفهم معناه، وقيل: تقديره مثل داعي الذين كفروا معهم "كمثل الذى" الآية وهو الأظهر، ﴿صَمٌّ﴾: عن سماع الحق، ﴿بُكْمٌ﴾: لا يتفوهون به، ﴿عُمِّيٌّ﴾: من رؤية مسلكه، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: ولا يفهمونه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾: حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، لما أباح الله للناس ما فى الأرض سوى ما حرم، أمر المؤمنين أن يتحروا حلالاته ويقوموا بحقوقها فقال: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: على ما أحل لكم، ﴿إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن صح أنكم تحتصونه بالعبادة فإن عبادتكم لا يتم إلا بالشكر، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: التى ماتت من غير ذكاة، ﴿وَالْدَّمَ﴾، أى: دمًا^(١) مسفوحًا والسّمك والجراد والكبد والطحال مستثنى بالحديث^(*)، ﴿وَلَحْمَ الْخَيْرِ﴾: وتخصيص^(٢) اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل، ﴿وَمَا أَهْلٌ^(٣) بِهِ لِّغَيْرِ اللَّهِ﴾: ما ذكر اسم غير الله عند ذبحه، وهذه

(١) يعنى كل من الكبد والطحال يصدق عليه أنه دم مسفوح كالخمر المتجمد فإنه نجس لأنه مسكر مائع فإنه كان كذلك / ١٢ منه .

(*) يعنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: "أحل لنا ميتتان ودمان، الحوت والجراد، والكبد والطحال" أخرجه أحمد (٩٧/٢)، وابن ماجه (٣٣١٤) وغيرهما، وانظر الصحيحة (١١١٨)، وصحيح الجامع .

(٢) مع أن جميع أجزائه حرام نجس كشحمه / ١٢ منه .

(٣) قوله وما أهل، أصل الإهلال رفع الصوت، أى: ما ذبح للأصنام والطواغيت وصيح فى ذبحه بغير الله، ولا خلاف فى تحريم هذا وأمثاله، ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم، فإنه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن، قال مجاهد: يعنى ما ذبح لغير الله . أخرجه ابن أبى حاتم وفى تفسير النيسابورى للنظام قال العلماء: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا وذبيحته ذبيحة مرتد انتهى / ١٢ فتح، وقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية فى كتابه الصراط =

الآية رد على من حرموا على أنفسهم أشياء من عند أنفسهم، فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقاً فلا يرد أن المحرمات غيرها كثيرات، «فَمَنْ اضْطُرَّ»: أخرج ولجئ إليه، «غَيْرَ بَاغٍ»: خارج على السلطان^(١) أو مستحله أو آكله من غير^(٢) اضطرار أو متجاوز القدر الذي أحل له وقيل باغ بالاستئثار على مضطر آخر، «وَلَا عَادٍ»، متعد عاص بسفره أو غيره متعد ما حد له، فيأكل أكثر مما يمسك رmqه^(٣)، أو يتعدى حلالاً وهو يجد عن الحرام^(٤) مندوحة، «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»، في تناوله، «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، حيث رخص بالأشياء، «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ»،

= المستقيم في الكلام على هذه الآية: الظاهر أنه ما ذبح لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقرين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم، وإن قال فيه: باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن تجتمع في الذبيحة مانعان . انتهى.

أقول أراد بذلك أن النحر عبادة مختصة بالله تعالى، كالصلاة فالنحر للأموات عبادة لهم، قال تعالى: " فصل لربك وانحر "[الكوثر: ٢] والنحر من النسك، "إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" [الأنعام: ١٦٢] / ١٢ .

(١) الأول قول سعيد بن جبير ومجاهد، والثاني لمقاتل بن حيان، والثالث للسدي، والرابع

لابن عباس وعثمان بن عطاء الخراساني/ ١٢ منه .

(٢) كأنه قال اضطراراً واقعياً / ١٢ منه .

(٣) هذا قول قتادة / ١٢ .

(٤) أى: سعة يعني يجد شيئاً يسد رmqه من الحلال / ١٢ منه .

رؤساء اليهود، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾: من نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - وغيره، ﴿وَيَشْتَرُونَ^(١) بِهِ﴾: بما أنزل الله، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، من مال يأخذونه من سفلتهم كما مر، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، أى: لا يأكلون يوم القيامة ملأ بطونهم^(٢) إلا النار، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، كناية عن الغضب، أو لا يكلمهم بما يسرهم، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يمدحهم ولا يثنى عليهم أو لا يطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى﴾: فى الدنيا، ﴿وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ^(٣)﴾: فى الآخرة، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، تعجب من حالهم، وما تامة مبتدأ، أو استفهامية توبيخية، ما بعدها الخير، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: ذلك العذاب، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ﴾، أى: جنس الكتاب أو القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾، وهم أخذوه هزواً، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾، أى: فى جنس الكتاب، والاختلاف الإيمان ببعض دون بعض، أو فى التوراة، والاختلاف التحريف أو فى القرآن واختلافهم تكذيبه بأنه سحر وشعر، ﴿لَفَى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: لفى خلاف بعيد عن الحق .

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ

(١) يستبدلون بأن يأخذوا ثمنًا قليلًا ويكتمون ما أنزل الله / ١٢ منه .

(٢) قيل إن الرشاء التى يأكلونها تصير فى أجوافهم ناراً لكن لا يحسون بها إلا بعد الموت / ١٢ منه .

(٣) جاز أن يكون المراد اعتاضوا عن المغفرة، أى: أسبابها بأسباب العذاب فىكون هو أيضاً فى الدنيا / ١٢ منه .

ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ
 وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
 الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ ﴿١٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ
 بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْهُ
 بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
 بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
 الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٣٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ
 مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ فَمَنْ خَافَ
 مِن مُّوَصَّ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٢﴾
 ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أى: ليس البر أن تصلوا
 ولا تعملوا بعد ذلك شيئاً، كما هو في أول الإسلام، فهذا حين نزول الفرائض، أو
 قبله^(١) اليهود المغرب وقبلة النصارى المشرق، فأنزل الله أو لما^(٢) تحولت القبلة شق
 ذلك على أهل الكتاب وبعض المؤمنين، فهذه الآية بيان حكمته، وهو أن المراد امتثال
 أوامر الله، وهو البر وليس في لزوم التوجه قبل مشرق أو مغرب بر إن لم يكن عن أمر
 الله، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ أى: بر من آمن، أو ذا البر من آمن بالله، ﴿وَالْيَوْمَ

(١) هذا قول أبي العالية والحسن والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد والسدى / ١٢ منه .

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ»، أى: جنسه، أو القرآن، «وَالنَّيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ^(١)»: حب المال، أى: أخرجه وهو محب له، وقيل: على حب الله، «ذَوِي^(٢) الْقُرْبَى»: قرابات الرجل، «وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ»، من لا يجد ما يكفيه، «وَابْنِ السَّبِيلِ»: المسافر الذى انقطع عنه ما يكفيه فى سفره والضعيف صرح به السلف، «وَالسَّائِلِينَ»: من أحتاجه الحاجة إلى السؤال، «وَفِي الرِّقَابِ^(٣)»، أى: فى تخليصها بمعاونة المكاتبين، وقيل فى فك الأسارى، «وَأَقَامَ الصَّلَاةَ»: المفروضة، «وَأَتَى الزَّكَاةَ»: المفروضة ويكون قوله: "وَأَتَى الْمَالَ" بيان المصارف، أو صدقات السنة، «وَالْمُؤْفُونَ^(٤) بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا»: الله والناس، عطف على من آمن، «وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ»: حال الفقر ونصبه على المدح^(٥) لفضل الصبر، «وَالضَّرَّاءِ»: المرض، «وَحِينَ الْبَأْسِ»: القتال لله، «أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا»، فى إيمانهم، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»، لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) قال عليه الصلاة والسلام: "وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ" أن تعطيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتحشى الفقر رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه / ١٢ منه [انظر المستدرک (٢٧٢/٢)، وأقره الذهبى، لكن أخرجه موقوفاً على ابن مسعود وليس مرفوعاً كما ذكر].

(٢) المفعول الأول والمال مفعوله الثانى، وقدم لأن المقصود الأعظم هو إيتاء المال على حبه، هذا مذهب الجمهور / ١٢ منه .

(٣) قيل عبيد يشرون ويعتقون / ١٢ منه .

(٤) روى ابن أبى حاتم أنه قال عليه الصلاة والسلام (فى المال حق سوى الزكاة، ثم قرأ

• " ليس البر " إلى قوله تعالى: " وفى الرقاب ") / ١٢ .

(٥) كأنه قال وأخص الصابرين من بينهم / ١٢ منه .

آمَنُوا كُتِبَ»، أى: فرض، «عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ»، كان بين حين قتل ودماء، وكان لأحد الحيين فضل على الآخر، فحلفوا أن يقتلوا بالعبد منهم الحر، وبالمرأة الرجل، وبالواحد الاثنين فترلت: «الْحُرُّ»^(١) وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى، أى: ليتساووا وليتماثلوا فى القصاص فلا يدل على ألا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى كما لا يدل على عكسه، ومن قال بعدم قتل الحر بالعبد فدلّيله الحديث، وروى عن بعض^(٢) السلف أنها منسوخة بقوله تعالى: " النفس بالنفس " فالقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى، «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ»، تقديره فمن عفى له عن جنايته من جهة أخيه، أى: ولى الدم شيء من العفو، فإن^(٣) عفا لازم، يعنى: أخذ الدية بعد استحقاق الدم، «فَاتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ»، أى: فعلى العافى أن يطالب الدية بالمعروف ولا يعنف، «وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ»، أى: وعلى المعفو عنه أن يؤديها بإحسان لا بمطل ولا يبخس، «ذَلِكَ»، الحكم الذى هو أخذ الدية، «تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ»: مما كان محتوماً على الأمم قبلكم، من القتل فى اليهود، والعفو فى النصارى، «فَمَنِ اعْتَدَى»: بالقتل، «بَعْدَ ذَلِكَ»: بعد العفو، «فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: فى الآخرة، أو فى الدنيا بأن يقتل ولا يأخذ^(٥) منه الدية،

(١) أى الحر مقتول بالحر، أى: بقتله الحر، أى يقتص الحر بالحر/ ١٢ منه .

(٢) كابن عباس وأبى مالك وسعيد بن جبير / ١٢ منه

(٣) يعنى فسرنا بشيء من العفو وهو يدل على أنه مفعول مطلق أقيم مقام الفاعل، لأن عفا لازم يقال: عفوت لفلان عما جنى / ١٢ منه، قيل عفى بمعنى: محا، وإذا كان كذلك فشيء مفعول به أقيم مقام الفاعل / ١٢ منه .

(٤) يعنى فاتباع مبتدأ، خبره محذوف، وقيل: تقديره الأمر اتباع / ١٢ منه .

(٥) هذا مذهب بعض السلف يعنى من قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فعذابه القتل وقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله / ١٢ منه .

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، أى: لكم فى حكم القصاص نوع حياة عظيمة، لأن العلم به يردع عن القتل مخافة القصاص ويدفع الفتنة المنجرة إلى القتال العظيم، ﴿يَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾، دوى العقول، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١): عن القتل أو لكى تترجروا فتركوا محارم الله، ﴿كُتِبَ﴾: فرض، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ^(٢) أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾، أى: أسبابه، ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، أى: مالا أى مال، أو مالا كثيرا، واختلف فى الكثرة، فعن على رضى الله عنه: لا بد أن يزيد على أربعمائة دينار، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، وكان وجوبه فى بدء الإسلام فنسخ^(٣)، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل فلا يتجاوز الثلث، ﴿حَقًّا﴾، أى: حق ذلك حقًا^(٤)، ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: عن الشرك، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾: غيره من الأوصياء والشهود، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾: من الميت، ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾، أى: التبديل، ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾، قد وقع أجر الميت على الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) فإن التقوى اسم جامع لتلك الطاعات وترك المنكرات / ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن إذا ظرف لكتب بمعنى: أن توجه الإيجاب حين حضور أسباب الموت وجزاء أن ترك محذوف يدل عليه الكلام ولا يجوز أن يكون العامل فى إذا الوصية لأنه لا يتقدم معمول المصدر المعرف باللام عليه / ١٢ [وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٧٢٠)، والإرواء (١٤٠١)].

(٣) صرح بذلك جماعة لا يحصى من السلف وفى السنن وغيرها كان عليه الصلاة والسلام

يخطب وهو يقول: إن الله تعالى أعطى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث / ١٢ منه .

(٤) قيل حقًا لا يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لأن على المتقين متعلق به أو صفة له وعلى

كلا الوجهين يخرج به عن التأكيد، أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل على ما تقرر

فى النحو، وأما الثانى فلأنه حيثئذ مخصص بالصفة ويخرجه عن التأكيد، فالأولى أنه

مفعول مطلق لكتب لأنه بمعنى وجب وحق فهو كقعدت جلوسًا / ١٢ بحر / ١٢ منه .

(٥) تذكير ضمير بدله وسمعه مع أنه للوصية لأنه بمعنى الإيصاء أو بمعنى أن يوصي / ١٢ منه .

سَمِيعٌ: يسمع كلام الميت، ﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم تبديل المبدل، ﴿فَمَنْ خَافَ﴾^(١)، أى: علم، ﴿مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾، خطأ فى الوصية مثل أن يوصى بأكثر من ثلث، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: عمداً، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة والموصى لهم، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فى التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ذكر الغفران لمطابقة ذكر الاثم .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٩﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٩٠﴾ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ

(١) استعمال الخوف بمعنى العلم والظن الغالب شائع فى كلامهم/ ١٢ منه .

لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، صيام رمضان، أو ثلاثة أيام من كل شهر وعاشور إثم نسخ، ﴿كَمَا كُتِبَ﴾^(١) عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، من لدن^(٢) نوح أو أهل الكتاب، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، المعاصي فإن الصوم تضيق لمساك الشيطان، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، تقديره^(٣) صوموا أيامًا، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾^(٤) فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، أى: فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أحر، إن أفطر بحذف الشرط، والمضاف والمضاف إليه للقرينة، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾،

(١) روى ابن أبي حاتم حديثاً فيه: أن صيام رمضان كتبه الله تعالى على الأمم قبلكم، وأما القول الثانى فقد ذكر الإمام أحمد حديثاً صرح فيه وهو قول أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن ما مصدرية، أى: كتب كتابة مثل كتابته على من قبلكم / ١٢ منه .

(٣) لا يجوز أن يكون ظرفاً للصيام لعدم جواز الفصل بينه وبين معموله وأما كونه معمولاً لكما كتب فغير ظاهر معناه بل فاسد / ١٢ منه .

(٤) واختلف أهل العلم فى السفر المبيح للإفطار فقبل مسافة قصر الصلاة والخلاف فى قدرها معروف وبه قال الجمهور، وقال غيرهم بمقادير لا دليل عليها والحق أن ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذى يباح عنده الفطر / ١٢ فتح وفى البخارى فى كتاب التفسير وقال عطاء يفطر من المرض كله [البخارى (٨/٢٨-فتح)].

أى: الصحيح المقيم، ﴿فَدْيَةٌ﴾، إن أفطروا، ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾، كان في بدء الإسلام^(١) الخيار بين الصوم والإطعام عن كل يوم مسكيناً فنسخ، أو الآية غير منسوخة، والمراد الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا تستطيعان الصوم، وعلى هذا معنى الذين يطيقونه يصومون طاقتهم وجهدهم ويؤيده بعض القراءة وهو "يَطَوَّقُونَهُ" أى: يكلفونه، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا^(٢)﴾، بأن أطعم أكثر من مسكين كل^(٣) يوم، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾، أى: الصوم، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾، أيها المطيعون أو المطوقون من الإفطار والفدية، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضائل الصوم، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، مبتدأ خبره ما بعده أو ذلكم^(٤) شهر رمضان، ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، جملة ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم نزل منجماً إلى الأرض، وهو خير شهر رمضان أو صفته والخير فمن شهد، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾، أى: هادياً بإعجازه، ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾، آيات واضحات، ﴿مَنْ هُدًى﴾: مما يهدى إلى الحق، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: يفرق بين الحق والباطل، ﴿فَسَنَ شَهْدًا﴾: حضر ولم يكن مسافراً، ﴿مِنْكُمْ الشَّهْرُ﴾، أى: فيه، ﴿فَلْيَصُْمُهُ﴾، أى: فيه، ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾: مرضاً يشق، أو يضر عليه الصيام، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، الآية الأولى تخيير للمريض والمسافر والمقيم، وهذه لهما دون المقيم، فلا تكرار،

(١) الأول روى البخارى عن سلمة بن الأكوع وعن ابن عمر أيضاً، والثاني روى البخارى عن ابن عباس بروايات متعددة، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عطاء/ ١٢ منه [رواية سلمة وابن عمر في صحيح البخارى (٤٥٠٦، ٤٥٠٧)، وكذا رواية ابن عباس (٤٥٠٥)].

(٢) نصب خير بترع الخافض، أى: بخير وقيل تقديره تطوعاً خيراً / ١٢ منه .

(٣) أو بالجمع بين الصوم والفدية / ١٢ منه .

(٤) أى: على تقدير أن يكون شهر رمضان خير مبتدأ مقدر / ١٢ منه .

بل علم من هذه نسخ^(١) الأولى، «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ»،
 فلذلك أباح الفطر للسفر والمريض، «وَلِتُكْمِلُوا^(٢) الْعِدَّةَ»، عطف على اليسر مثل
 "يريدون ليطفئوا" [الصف: ٨] أو تقديره وشرع لكم ذلك، أى: جملة أحكام الصوم
 لتكملوا، أى: لتكملوا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتكم في المرض والسفر،
 «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ»: لتعظموه، «عَلَى مَا هَدَاكُمْ»: أرشدكم إليه من وجوب الصوم
 ورخصة الفطر بالعذر، أو المراد تكبيرات ليلة الفطر، «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»: الله في
 نعمه، أو رخصة الفطر، «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ»، أى: فقل أنى
 قريب أطلع على جميع أحوالهم^(٣)، قال أعرابي يا رسول الله: أقرب ربنا فنناجيه، أم
 بعيد فنناديه فترت^(*)، وروى^(٤) أن بعض الصحابة قالوا: أين ربنا، فترت، وروى لما
 نزلت "ادعوني أستجب لكم" [غافر: ٦٠] قال الناس: لو نعلم أى ساعة ندعو؟
 فترت، وروى أن اليهود قالوا: كيف يسمع الله الدعاء وأنت تزعم أن بيننا وبين

(١) لأن قوله تعالى: "فمن شهد" عام خص عنه المريض والمسافر فعلم أن الصحيح لا
 يجوز له الإفطار بحال، وهو خلاف الأول على الوجه الأول، وأما ذكر المريض والمسافر
 ليعلم أن النسخ لم يطرأ عليهما / ١٢ .

(٢) قوله لتكملوا علة الأمر لمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج
 عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وأشار إلى ذلك الشارح وهو
 نوع لطيف المسلك من اللف / ١٢ منه .

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه / ١٢ .
 (*) أخرجه ابن جرير والبخاري في معجمه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق
 الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده. كما في الدر المنثور
 (٣٥٢/١).

(٤) رواه ابن عبدالرزاق / ١٢ منه [أى: عن الحسن مرسلًا].

السماء كذا وكذا سنة ؟ فترلت، ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا نَ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لِي﴾، أى: فليجيئوا لى إذا دعوتهم للطاعة كما أجيبهم إذا دعونى إلى مهامهم، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: أمر بالثبات والدوام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، راجين إصابة الرشـد، وهذه الآية المتخللة بين أحكام الصوم إرشاد إلى الاجتهاد فى الدعاء فى الصوم والفطر وروى: " ثلاثة لا ترد دعوتهم ^(١)، الإمام العادل والصائم حتى أو حين - يفطر، ودعوة المظلوم "، ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾: ليلة الصيام التى تصبح منها صائماً والرفـت عبارة عن الجماع وعدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء، كلان فى بدء الإسلام غير جائز، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾، أى: سكن أو شبه باللباس لاشتـمال كل على صاحبه، اشتـمال اللباس على اللابس، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، سكن أى: لما كان بينكم غاية الخلطة رخصنا لكم لئلا يشق ^(٢) عليكم، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تظلمونها بما هو حرام عليكم ووقع ذلك ^(٣) على عمر -رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك الذى صنعت فترلت، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: لما تبتـم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾، محـا عنكم أثره، ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾، والمباشرة

(١) فى مسند الإمام أحمد وسنن الترمذى والنسائى وابن ماجه / ١٢ منه [وهو ضعيف كما فى ضعيف ابن ماجه].

(٢) والله لا يريد بكم العسر عن ابن عباس هن فراش وأنتم لحاف / ١٢ منه .

(٣) روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم أن الآية فى عمر بن الخطاب كما نقلناه / ١٢ منه، زاد فى الوجيز ثم قام رجل بعد اعترافه واعترفوا فأنزله الله فحسن موقع "أنكم كنتم تختانون" / ١٢ منه [حسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (٣٥٧/١) وعزاه إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن كعب بن مالك].

كناية عن الجماع، ﴿وَابْتَغُوا^(١)﴾: اطلبوا، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ما أثبتته في اللوح المحفوظ من الولد أو ليلة^(٢) القدر أو الرخصة التي كتب الله لكم وما أحل الله لكم، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، جميع الليل، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾، بياض الصبح، ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾: من سواد الليل، ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، بيان للخيط الأبيض، ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، فإنه آخر وقته، كان الأكل والشرب بعد العشاء، أو النوم حراماً فبعض الصحابة نام عن فطره فلما انتصف النهار غشى عليه فترلت، ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، كان إذا اعتكف الرجل فخرج من المسجد جامع إن شاء ورجع، فأنزل الله تعالى النهي عن المباشرة ما داموا عاكفين فيها، ﴿تِلْكَ﴾، أى: الأحكام المذكورات^(٣)، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾، أى: ذوات حدود الله، ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا^(٤)﴾، هى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل، لتلا تدانى الباطل فضلاً أن يتخطى، أو المراد من الحدود المحارم، وتكون تلك إشارة إلى لا تباشروهن، أى هذا وأمثاله محارم، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مخالفة الأمر، ﴿وَلَا

(١) وفيه إشارة إلى أن المقصود الأصلي من المباشرة تحصيل الولد / ١٢ وجيز .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وقال الزمخشري هو قريب من بدع التفاسير / ١٢ منه .

(٣) من باشروا وابتغوا، أو كلوا واشربوا كلها للإباحة وأتموا للإيجاب ولا تباشروا للتحريم / ١٢ وجيز .

(٤) وأما الاستدلال بالآية في جواز النية في صوم رمضان بعد ظهور الصبح فليس ببعيد مع مجال البحث لكنه خلاف الإجماع عملاً بالسنة / ١٢ وجيز .

تَأْكُلُوا^(١) أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»، أى: لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه لم يبيحه الله، «وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ»: ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام، عطف على المنهى، أو نصب بتقدير أن، «لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا»: طائفة، «مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ»: بما يوجب الإثم كاليمين الكاذبة، «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: أنكم مبطلون .

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَكُتِبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِبْنَ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَكُتِبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ فِيهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

(١) ولما أمر بالصوم وهو الإمساك عن المفطرات في أكثر أوقات شهر الصوم، ثم أحل لهم في بعض أوقاته الأكل والشرب، أمرهم بوجوب حلية المأكل سيما في هذا الشهر المعظم وخص بالمنع هذا القسم من الحرام الذى فيه شبهة الحلية عند بعض كحكم حاكم بها ليدل على منح الباقي بطريق الأولى فقال: " ولا تأكلوا أموالكم " الآية / ١٢ وجيز .

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِمَهْ أَدَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢١﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾^(١) عَنِ الْأَهْلَةِ، سأل بعض الصحابة ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد ثم ينقص ؟ فترلت^(*)، ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، سألوا عن حكمة اختلاف حال القمر فأجاب بأن الحكمة الظاهرة أنه معالم^(٢) للناس يوقتون بها أمورهم سيما الحج، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، أو الأنصار^(٣) إذا قدموا من سفر لم يدخلوا من قبل باهم فترلت، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾: بر، ﴿مَنْ اتَّقَى﴾: المحارم، ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: واركبوا

(١) ولما بين أحكام شهر رمضان ولا يعلم الشهور إلا بالهلال والشمس والقمر آيتان من آيات الله، والله يبين آياته للناس تحركت العزم بالسؤال عن هذه الآية ما بين قوله: " يسألونك عن الأهلة " الآية / ١٢ .

(*) خرج ابن عساكر عن ابن عباس بسند ضعيف، كما في الدر المنثور للسيوطي (١/٣٦٧).

(٢) مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم ومحل دينهم / ١٢ منه .

(٣) الأول رواية البخاري عن البراء والثاني رواية أبي داود عنه / ١٢ منه .

سنة الجاهلية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، في تغيير أحكامه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي تظفروا بالفلاح والهدى، ووجه اتصال هذه الآية بما قبله أنه لما ذكر الحج ذكر أيضًا شيئًا من أفعالهم في الحج استطرادًا، وفيه تنبيه على أنهم يخترعون أشياء لا حكمة فيها، ولا يسألون ولا يتفكرون فيها ويسألون عن شيء حكمته ظاهرة، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، إعلاء لكلمته، ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، كما أن همتهم قتالكم فلتكن همتكم كذلك، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: لا تظلموا في القتال، بأن تقتلوا النساء والشيوخ والصبيان وأنهم ليسوا من الذين يقاتلونكم^(١)، وبأن تفعلوا المثلة والغلول، وروى أنها أول آية نزلت في القتال بالمدينة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا يريد بهم الخير، وعن بعض السلف أن قريشًا صدوا المسلمين عن الحج وصالحوهم على رجوعهم من قابل، فخاف المسلمون عن عدم وفاءهم وقتلهم في الحرم شهر الحرام وكره المسلمون ذلك، فترلت، ومعناه: قاتل من قاتلك ولا تظلم بابتداء القتال، فالآية منسوخة، ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم في حل أو حرم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم﴾، أى: مكة فإن قريشًا أخرجوا المسلمين منها، والمسلمون أخرجوا المشركين يوم الفتح، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أى: شركهم في الحرم وصدّهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم في الحرم وجزاء سيئة سيئة مثلها، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، حرمة له، ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ^(٢) فِيهِ فَإِنْ

(١) عن أبي العالية: لما نزلت هذه الآية كان صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن من كف حتى نزلت سورة براءة وفيما ذكر إشكال فتأمل / ١٢

منه .

(٢) ولهذا أوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد يوم الفتح بأن لا يقاتل إلا مع من يقاتله / ١٢ وجيز .

قَاتِلُوهُمْ»، وابتدأوا بالقتال عنده، «فَاقْتُلُوهُمْ»: مكافأة، «كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ»: يفعل بهم ما فعلوا، قال بعضهم: آية " وقاتلوهم حيث ثقتموهم " منسوخة بهذه الآية، وهذه منسوخة بآية السيف في براءة، فهي ناسخة منسوخة والأكثر على أنها محكمة لا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم^(١)، «فَإِنْ انْتَهَوْا»: عن القتال والكفر، «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، يغفر لهم ما قد سلف، «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ»: شرك^(٢)، «وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ»، خالصاً فلا يعبد شيء غيره، «فَإِنْ انْتَهَوْا»: عن الكفر، «فَلَا غُدْوَانَ»: لا قتل ولا هب، «إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ»، لا عليهم، فإنهم قد ارتدعوا عن الظلم، «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ»، صدهم المشركون عام الحديبية في ذى القعدة عن العمرة، وخرج المسلمون لعمرة القضاء فيه سنة أخرى، وكرهوا القتال لحرمته، فزلت، أى: هذا بذاك وهتكة بهتكة فلا تبالوا، «وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ»، أى: كل حرمة وهو ما يجب المحافظة عليه يجرى فيه القصاص، وهم هتكوا حرمة شهركم بصدكم فافعلوا به مثله^(٣)، «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»، أى: ادخلوا مكة عنوة وقاتلوهم إن قاتلوكم، «وَاتَّقُوا اللَّهَ»، فيما لم يرخص لكم، «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»، فيحرسهم ويعلى كلمتهم، «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: في جهات الخير،

(١) في الصحيحين قال -صلى الله عليه وسلم- يوم فتح مكة: هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم" / ١٢ منه .

(٢) فسر الفتنة بالشرك عامة السلف من الصحابة والتابعين / ١٢ منه .

(٣) إن وقع قتال / ١٢ .

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، بعدم^(١) الإنفاق فيها، وصح عن ابن عباس وغيره أنهم قالوا: الآية في النفقة لا في القتال^(٢)، أو تقديره لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بالإسراف، بحيث لا يبقى لكم شيء أصلاً، أو معناه: أنفقوا في الجهاد^(٣) ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة بترك القتال والإمساك عن الإنفاق في الجهاد، والباء زائدة، والمراد من الأيدي الأنفس، أو تقديره ولا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها، وعدى بالي لتضمن معنى الإتهاء، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾: أعمالكم، أو الظن بالله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: بمناسكهما وحدودهما وستهما، أو بأن تحرم من ديرة أهلك، أو بأن تخرج لهما لا لغرض^(٤) آخر من تجارة وغيرها، أو بأن تكون النفقة حلالاً، ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾: منعتم والمراد حصر العدو، أو أعم كالمرض فيه خلاف، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، أى: فعليكم ما تيسر، ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾، يعنى من أحصر وأراد التحلل تحلل بذبح هدى من بدنة أو بقرة أو شاة، ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾

(١) ودخل فيه عدم الإنفاق في الجهاد بطريق الأولى، فإنه رأس كل خير وذروة سنامه ١٢/ منه .

(٢) يعنى ليس معناه لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأن تواجهوا أو تحاربوا جمعاً تظنون فيهم أنهم الأغلبون روى الحاكم وصححه أنه قال رجل لبراء بن عازب: إن حملت على العدو وحدى فقتلوني أكنت ألفت نفسي إلى التهلكة ؟ قال: لا، إنما هو في ترك الجهاد، وكذا قال أبو أيوب وغيره / ١٢ منه .

(٣) الفرق بين المعنى الأول والثالث، أن سبيل الله عام في جميع جهات الخير، في الأول وخاص بالجهاد في الثالث، والحديث الذى رواه الترمذى والنسائى وصححه الحاكم عن أبي أيوب صريح في هذا المعنى / ١٢ منه .

(٤) هذا قول سفيان الثورى / ١٢ منه .

حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ»، أى: أنتم محرمون حتى يصل هديكم محلاً يحل ذبحه فيه وهو مكان الحبس^(١) وعليه الشافعى، أو حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ الحرم وذبح وعليه الحنفى، «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا»: مرضاً يحتاج إلى الحل، «أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ»، كجراحة وقمل، «فَفِدْيَةٌ»: فعليه فدية إن حل، «مَنْ صِيَامٌ»: ثلاثة أيام، «أَوْ صَدَقَةٌ»، ثلاثة أصابع على ستة مساكين، «أَوْ تُسْلٍ»، ذبح شاة، وهو مخير في الثلاثة، «فَإِذَا أَمِنْتُمْ»، العدو، أو كنتم في حال أمن، أى: إذا تمكنتم من أداء المناسك، «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ»، أى: استمتع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة في أشهر الحج إلى أن وصل الحج فحج، أى: من اعتمر أشهر الحج وأحل ثم حج في تلك السنة، «فَمَا اسْتَيْسَرَ»، أى: فعليه ما استيسر، «مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ»، أى: الهدى، «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ»: في أيام الاشتغال به، أى: بعد الإحرام وقبل التحلل، أو في أشهر بين الإحرامين، «وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ»^(٢): إلى أهليكم، لا قبل الوصول، أو المراد من الرجوع الفراغ من الحج، «تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ»، فائدهما العلم بأن الواو لا بمعنى أو، والمراد العدد المعين لا الكثرة، «ذَلِكَ»، أى: هذا الحكم، «لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»، هم أهل الحرم، أو أهل مكة، أو من كان وطنه من مكة دون مسافة القصر

(١) ولا شك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ذبحوا هديهم في الحديبية وحلقوا رؤوسهم، والحديبية خارجة من الحرم كما صرح به البخارى، ولا يلتفت إلى قول غير ثابت عن بعض من السلف، كيف وقد صرح عن جماهير من السلف أنها ليست من الحرم ؟ / ١٢ منه .

(٢) حكى أبو جعفر بن جرير على أن المراد من الرجوع، الرجوع إلى وطنه /

أو من دون الميقات، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أى: مخالفته، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن لم يتقه .

﴿الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٦٦﴾﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٦٧﴾ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٨﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٦٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧١﴾ * وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٧٣﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٧٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٧٥﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
 لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
 وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾، أى: وقته، ﴿مَعْلُومَاتٌ﴾: معروفة، شوال وذو القعدة وعشر من
 ذى الحجة، أو تمامه وفائدته^(١) كراهة العمرة فى بعضه، أو فى تمامه والأكثر^(٢) على
 عدم جواز الإحرام بالحج فى غيرها، ﴿فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: أوجب على نفسه
 بالإحرام، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: لا جماع^(٣) ومقدماته من التقبيل والتكلم به فى حضورهن فى
 حكمه، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: هى المعاصى، فإنها فى الإحرام أقبح، أو خاص^(٤) بمحظورات
 الإحرام فقط، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: لا مخاصمة، أو لا مراء، وروى أن المشركين يقفون فى

(١) فإن العمرة فى أشهر الحج مكروه ١٢/ منه .

(٢) يعنى من السلف كابن عباس وجابر وعطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن جريج
 وروى ابن مردويه عن النبى - صلى الله عليه وسلم-، "لا ينبغى لأحد أن يحرم بالحج إلا
 فى أشهره"، وعند أبى حنيفة ومالك وأحمد جاز الإحرام بالحج فى غير أشهره لكن
 خلاف الأولى / ١٢ منه [وقوله: "لا ينبغى..." أخرجه أيضاً الشافعى فى الأم وابن أبى
 شيبة والبيهقى فى الكبرى عن جابر موقوفاً مثله، وهو أشبه].

(٣) قيل: لا رفث، ليس نفياً لوجوده، بل نفياً لمشروعيته، فيرجع النفى إلى وجوده مشروحاً لا
 محسوساً، كقوله: "لا يمسه إلا المطهرون" [الواقعة: ٧٩] وقوله: "المطلقات يتربصن"
 [البقرة: ٢٢٨] وهذه الدقيقة فاتت العلماء، فقالوا إن الخبر يكون بمعنى النهى / ١٢ منه .

(٤) كقتل الصيد وحلق الشعر ونحو ذلك / ١٢ منه .

الحج ويجادلون، فبعضهم يقول نحن أصوب وبعضهم يقول نحن أو لا جدال في مناسكه، فإنه قد بين الله تعالى أشهره ومواقفه، ﴿فِي الْحَجِّ﴾: في أيامه وفي شأنه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾: فلا يضيع، حث على الخير بعد النهي عن الشر، ﴿وَتَزُودُوا﴾^(١)، كان أهل اليمن يحجون^(٢) بلا زاد مظهرين التوكل، ثم يسألون الناس فتزلت، ﴿فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، ومن التقوى الكف عن السؤال والإبرام، ﴿وَاتَّقُوا عِقَابِي وَغَضَبِي يَا ذَوِي الْعُقُولِ﴾، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾، أى: فى أن تبتغوا، ﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾: عطاء ورزقاً منه بالتجارة حين الإحرام، كان المسلمون كرهوا التجارة فى الحج، فتزلت، وأيضاً روى أنه سئل هل للحالين حج؟ فتزلت، ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾: انصرفتم عنها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، بالدعاء والتلبية، ﴿وَاذْكُرُوهُ﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾^(٣): كما ذكركم بالهداية فهذاكم أو كما علمكم، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾^(٤)، أى: الهدى، ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾: الجاهلين بالطاعة، وإن: هى المخففة، واللام: هى الفارقة، ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾، أى: من عرفة، كان القريش لا يخرجون من الحرم يقفون عند أدنى الحل قائلين: نحن أهل الله، فلا نخرج من الحرم بخلاف الناس، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفة

(١) قيل سياق الكلام دال على أن المراد التزود وتحصيل الأعمال الصالحة التى هى كالزاد إلى سفر الآخرة، فمفعول تزودوا محذوف هو التقوى، ولما حذف مفعوله أتى بخبر إن ظاهراً ليبدل على المحذوف، ولولا الحذف لأتى مضمراً/ ١٢ منه.

(٢) هكذا قال ابن عباس وأناس من الصحابة لا تحصى / ١٢ منه .

(٣) ما إما مصدرية أو كافة كفت الكاف عن العمل، ولهذا دخلت على الفعل/ ١٢ منه .

(٤) من جوز تقديم المجرور على العامل الواقع صلة فالعامل فى "من قبله لمن الضالين"، ومن لم يجوز فيقول: هو من طريق شريطة التفسير / ١٢ منه .

ويخرجوا من الحرم كسائر الناس، وحينئذ ثم: للتراخي في الإخبار، أو من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إليها، وحينئذ المراد بالناس: إبراهيم عليه السلام، أو جميع الناس، ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾، من جاهليتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يغفر الذنب وينعم، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾: فرغتم من العبادات الحجية، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، أهل الجاهلية يقفون ويذكرون مفاخر آبائهم، فأمرهم الله بذكره كذاكرهم مفاخر آبائهم، أو كقول الصبي: أبه أمه، كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه فاهجو أنتم بذكر الله بعد النسك، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، عطف على كذاكرهم، أو على ذكركم، والمعنى: ذكرًا أشد ذكرًا على الإسناد المجازي، وصفًا للشيء بوصف صاحبه كشديد الصفرة صفوته، أو عطف على آبائكم، أى: كذاكركم قومًا أشد مذكور به من آبائكم وأما عطفه^(١) على الضمير المضاف إليه لكذاكركم فضعيف، قيل: أو بمعنى بل، ﴿فَمِنْ^(٢) النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، أى: اجعل إعطائنا في الدنيا خاصة^(٣)، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾، نصيب أو من طلب

(١) للعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، والزحزحة قد منعه في قوله تعالى: "تساءلون به والأرحام [النساء: ١]"، وأما الأجوبة بأن المنع إذا كان الجار حرفًا، أو بأن المجرور هاهنا في حكم المنفصل لأنه فاعل المصدر، أو بأن المراد العطف من حيث المعنى فضعيف كلها / ١٢ منه، أما بحسب اللفظ فهو على حذف مضاف معطوف على الذكر، أى: وذكر قوم أشد ذكرًا فهو أيضًا ضعيف كما لا يخفى / ١٢ منه .

(٢) هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك وفيه التفات لأن الظاهر أن يقول فممنكم ومنكم / ١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس، كان قوم من الأعراب يأتون الموقف فيقولون: اللهم اجعله لنا عام غيث وعام خصب وعام أولاد، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا فذمهم الله سبحانه تنفيرًا عن التشبه بهم / ١٢ منه .

خلاق، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا^(١) آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يدخل فيها كل خير في الدنيا وصرف كل شر، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، مثلها يدخل فيها الخير كله، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، تخصيص بعد التعميم؛ لأنه هو الفوز، وبعض السلف خصص الحسنة في الموضوعين بشيء خاص، والتعميم أولى، ﴿أَوَلَيْكَ﴾، أى: الفريق الثانى، ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، أى: مما دعوا به نعتيهم منه ما قدرناه، والدعاء كسب، لأنه عمل، أو من أجل^(٢) ما عملوا، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، يحاسبهم مع كثرتهم وكثرة أعمالهم في لحظة، وقيل: سريع الحساب مع الفريق الثانى لأن يتخلصوا من هوله، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ^(٣)﴾: أيام التشريق، والمراد: التكبير بعد الصلوات وعلى الأضاحى وعند الجمرات، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: عجل فى النفر، ﴿فِي يَوْمَيْنِ^(٤)﴾، ونفر بعد رمى اليوم الثانى ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾: فى النفر إلى اليوم الثالث، ﴿فَلَا إِثْمَ^(٥)﴾

(١) فى مسند الإمام أحمد "كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" ١٢/ منه [بل أخرجه البخارى فى "الدعوات" (٦٣٨٩)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "الذكر والدعاء" (٥٤٦/٥) فالعزو إليهما أفضل].

(٢) أو من أجزاء ما عملوا / ١٢ منه .

(٣) وهى أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام بعده وصرح بذلك جماهير السلف/ ١٢ منه .

(٤) الطرف المثنى إذا عمل فيه الفعل فلا بد من وقوعه فى كل من اليومين، وهاهنا لا يمكن فلا بد من توجيه إما بأن يجعل وقوعه فى أحدهما كأنه وقع فيهما كقوله تعالى: " يخرج منهما اللؤلؤ " [الرحمن: ٢٢]، و " نسيا حوتهما " [الكهف: ٦١]، وإما بحذف مضاف، أى: فى ثانى يومين / ١٢ منه .

(٥) قيل كثير من السلف كعلى وابن عباس وابن مسعود: أن معنى لا إثم عليه - مغفور، يعنى: ما بقى له إثم، وقال مجاهد: لا إثم عليه إلى العام القابل / ١٢ منه .

عَلَيْهِ»، في تأخره، لا كما قال بعض من أهل الجاهلية، فإن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر، «لَمَنْ اتَّقَى»، أى: التَّخِيرَ، أو الأحكام المذكورة؛ لأنه الحاج حقيقة، أو عدم الإثم لمن اتقى في حجه، «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»، للجزاء، «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ»: يروك ويعظم في نفسك قوله، «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، أى: قوله في أمور الدنيا، أو يعجبك فيها لا في الآخرة، «وَيَشْهَدُ^(١) اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ»: يحلف^(٢) على أن ما في قلبه موافق للسانه، أو يبارز الله بما في قلبه من الكفر، كما قال تعالى: "يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله" [النساء: ١٠٨]، «وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ^(٣)»: أشد الخصومة والجدال، نزلت^(٤) في أخنس بن شريك، فإنه حلّو الكلام سيئ السريرة منافق، أو عام في المنافقين، «وَإِذَا تَوَلَّى»: انصرف عنك، أو صار والياً، «سَعَى^(٥)»، أى: قصد، «فِي الْأَرْضِ^(٦)» لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ»، كما فعله الأخنس حين رجع إلى مكة أحرق زرع المسلمين وعقر الحمر، أو إذا تولى سعى^(٧) في الأرض فساداً - منع الله

(١) يقول: الله شاهد على ما في قلبي / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعزاه ابن جرير إلى ابن عباس/ ١٢ منه.

(٣) كلام الشارح مشعر بأن الخصام مصدر كما قاله الخليل، والحمل للمبالغة كزيد ضرب، وعند الزجاج أن الخصام جمع خصم، أى: أشد المخاصمين فلا مجاز حينئذ/ ١٢ منه .

(٤) قاله السدي / ١٢ منه [أخرجه عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١/٤٢٣)].

(٥) قيل: معناه سعى بقدميه بسرعة ليقطع الطريق / ١٢ منه .

(٦) قوله: في الأرض لإفادة العموم / ١٢ .

(٧) هذا الوجه الثاني قول مجاهد / ١٢ منه .

القطر فهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾: لا يرضيه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ﴾^(١) العِزَّةُ بِالْإِثْمِ، حملته الأنفة^(*)، وحمية الجاهلية على الإثم المأمور بتركه لجأًا - الخصومة - يقال: أخذته بكذا، إذا حملته عليه، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: كفته جزاء، ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، أى: والله لبئس المقر جهنم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي﴾^(**): يبيع، ﴿نَفْسَهُ﴾، بالبذل فى الجهاد، أو فى جميع الأوامر، ﴿ابْتِغَاءً﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، نزلت فى صهيب بن سنان الرومى، عذبه المشركون ليرتد فأعطى جميع أمواله وخلص دينه وأتى المدينة^(***)، وأكثر السلف على أنه عام فى كل مجاهد فى سبيل الله، ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، لإرشادهم إلى الهدى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾^(٢): فى الإسلام، أو فى الطاعة، وكافة: حال من السلم، أى: خذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه^(٣)

(١) قيل: معناه أخذته الحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام / ١٢ منه، قيل: لعمر اتق الله فوضع خده فى الأرض تواضعًا، وقال: هذا مقدرتى، ووقف يهودى بين يدى هارون وهو راكب فقال: يا أمير المؤمنين [لعل فى الكلام سقطًا: "اتق الله"]، فزل عن دابته وخر ساجدًا وقضى حاجته، ف قيل له فى ذلك: فقال: ذكرت قول الله: " وإذا قيل له اتق الله " إلخ / ١٢ منه .

(٥) الاستنكاف.

(**) خطأ فى الأصل: يشتري.

(...) انظر الدر المنثور للسيوطى (١/٤٣٠، ٤٣١).

(٢) قال: فى المعنى قول الزمخشري: حال من السلم وهم، لأن كافة مختص بمن يعقل وهم فى قول الله تعالى: " وما أرسلناك إلا كافة" [سبأ: ٢٨] [فى الأصل: " فى قول الله تعالى: "ثم أشير فوقها: " فى قول الله"]، أى: رسالة كافة وأيضًا وهم فى خطبة الفصل إذ قال: محيط بكافة الأبواب / ١٢ منه .

(٣) ولا تخلوا بشيء منها / ١٢ منه .

أو حال من الفاعل، أى: ادخلوا^(١) فيه بكليتكم لا تخلطوا به غيره وهو خطاب للمسلمين وعن^(٢) بعضهم أنها نزلت في مؤمنى أهل الكتاب، فإنهم مع أن أسلموا عظموا السبب وحرموا الإبل وأحبوا قراءة التوراة، فأمرُوا بتركها، «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ»: آثاره التى زين لكم، «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»: ظاهر العداوة، «فَإِنْ زَلَلْتُمْ»: عدلتم عن الحق، «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ»، على أن الإسلام هو الحق، «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ»: لا يعجزه الانتقام، «حَكِيمٌ»: لا ينتقم بظلم، «هَلْ يَنْظُرُونَ»، استفهام بمعنى النفس، «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ^(٣) اللَّهُ»، مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكل علمه إلى الله تعالى، أو تقديره: يأتيتهم بأسه، «فِي ظُلَلٍ»، جمع ظلة، «مَنْ الْغَمَامِ^(٤)»،

(١) الظاهر أنه إذا كان حالاً من الفاعل أن يكون معناه ادخلوا جميعاً في الإسلام لا يشرد بعضهم عنه، والشارح عدل عن الظاهر في تفسيره بقوله: أى ادخلوا فيه إلخ لتمام الموافقة بسبب التزل، ولأن الخطاب مع المسلمين عند الشارح فلا وجه لأمر الجميع بالدخول في الإسلام إلا بهذا المعنى فتأمل / ١٢ منه .

(٢) قول عكرمة ونسب أيضاً إلى ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) لفصل القضاء / ١٢ وجيز .

(٤) السحاب الأبيض "كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قالوا: أين كان ربنا قبل خلق العرش؟ قال: كان في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء" [حديث ضعيف أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه، وانظر ضعيف ابن ماجه]، ومذهب السلف الصالح الإيمان بمثل ذلك ووكل العلم إلى الله سبحانه / ١٢ وجيز .

وفى الفتاح أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء ويترل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي" [ذكره ابن كثير في التفسير =

السحاب الأبيض، والعذاب إذا جاء من مكان يجيء الخير منه يكون أصعب،

= (٢٤٩/١) واستغربه]، وعن ابن عمر قال: يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتًا ينخلع له القلوب، وعن ابن عباس: يأتي الله يوم القيامة في ظلل من السحاب، قد قطعت طاقات.

وفي الخازن روى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- "قال: ظلل من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها مخفوفًا" وذلك قوله: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر" انتهى. [أخرجه ابن جرير والديلمي بسند ضعيف، وانظر الدر المنثور للسيوطي (٤٣٣/١)].

واعلم أن إتيانه تعالى ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ثابت بهذه الآية وآية "هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك" [الأنعام: ١٥٨]، "وجاء ربك والملك صفاً صفاً" [الفجر: ٢٢] وغيرها من الأحاديث والآثار فذهب أهل التحقيق إلى الإيمان بظواهر هذه الآيات وسائر آيات الصفات وأحاديثها، ووجوب الاعتقاد بظواهرها، والإيمان بها كما جاءت، ووكل العلم إلى الله سبحانه مع تزيهه سبحانه عن التشبيه والتمثيل والتحريف والتبديل والتعطيل، وهو قول سلف هذه الأمة وأئمتها، وكان ابن عيينة والزهرى والأوزاعي ومالك وابن المبارك والثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها: اقرءوها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، وأما تأويل إتيان الله تعالى ومجيئه بإتيان عذابه - فخلافاً ما عليه السلف، وتحريف لكتاب الله وزيادة فيه، فالقول الثاني قول مردود؛ لأنه يقول إلى نفي صفة ثابتة بكتاب الله وكتاب رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو قول أهل الإلحاد في صفاته والله در من أنشد في هذا المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها وإجرائها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفناً فإنها لتسليم دين المرء خير المراكب

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، هو على الحقيقة، ﴿وَقَضَى الْأَمْرُ﴾: تم أمر هلاكهم، أو فرغ من حسابهم فأوقعوا من عقابهم وذلك يوم القيامة، ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، فيجازيهم .

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٦﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٧﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا بِإِذْنِ اللَّهِ فَصَرَّ اللَّهُ قَرِيبٌ ٨﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٠﴾

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، وهو سؤال تقريع، ﴿كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾، معجزة ظاهرة على نبوة موسى، أو آية في الكتاب على نبوة محمد عليهما السلام، وكم:

مفعول^(١) ثان^(٢)، أو مبتدأ^(٣)، والعائد محذوف، وآية: مميزة، ومن: للفصل، والجملة إما مفعول^(٤) ثان لسل وتقديره: سلهم قائلاً كم آتياناهم؟ أو في موقع المصدر، أى: سلهم هذا السؤال، «وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ» أى: آياته، فإنها أجل نعمة لأنها سبب الهداية فجعلوها سبب الضلالة، أو حرفوها، «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ»، وعرفوها، «فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»: يعاقبه أشد^(٥) عقاب، «لِذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»، حسنت في أعينهم حتى أعرضوا عن غيرها، «وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا»: فقراء

(١) أى: لآتياناهم / ١٢ منه .

(٢) مفعول ثان، أى: في موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاستفهامية، فهي عاملة في المعنى غير عاملة في اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب بجرى المسبب في ذلك / ١٢ منه .

(٣) قال في البحر: هذا لا يجوز عند البصريين إلا في الشعر و قال ابن مالك: لو كان المبتدأ غير كل والضمير مفعول به لم يجوز عند الكوفيين حذفه مع بقاء الرفع إلا في الاضطرار، والبصريون يميزون [في الأصل المطبوع: يخيرون وما أثبت من البحر المحيط لأبي حيان (١٣٥/٢) ط دار الكتب العلمية] ذلك في الاختيار ويروونه ضعيفاً، فعلى هذا فأى داعية إلى جواز ذلك في القرآن مع إمكان حمله على غير ذلك / ١٢ منه .

(٤) مفعول ثان، أى: في موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاستفهامية، فهي عاملة في المعنى غير عاملة في اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب بجرى المسبب في ذلك / ١٢ منه .

(٥) وهذا تهديد شديد للكافرين بمحمد عليه السلام وأشرف الصلاة وأكمل التسليمات/

١٢ منه .

المؤمنين كبلال وعمار، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، الشرك، ﴿فَوْفَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، لتقواهم لأنهم في الجنة وهم في النار، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، في الدارين، فلربما يعطى الفقراء في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما، أو إشارة إلى أن كثرة الرزق لا يدل على الكرامة، بل ربما تكون استدراجاً، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١)، بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على الحق^(٢)، أو متفقين على الجهل على عهد إبراهيم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾، أى: اختلفوا فبعث على الوجه الأول، وحذف لدلالة قوله "فيما اختلفوا" عليه، ﴿النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، مع الأنبياء، لا مع كل واحد، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متلبساً به، ﴿لِيَحْكُمَ﴾، أى: الكتاب، مجازاً، أو الله، ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: فى شيء التبس عليهم، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾: فى الكتاب الذى أنزل لدفع الاختلاف، ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أى: الكتاب المتزل لإزالة الاختلاف، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، الحجج الظاهرات الواضحات، ﴿بَعْثًا بَيْنَهُمْ﴾^(٣)، أى: اختلفوا حسداً وظلماً، واختلافهم: كفر بعضهم بكتاب بعض وتحريفهم كتاب الله، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: لمعرفة، ﴿مِنْ الْحَقِّ﴾، بيان لما، ﴿يَاذَنِهِ﴾: بإرادته، كاختلافهم فى القبلة وفى إبراهيم وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، لا من جمع له أسباب الهداية، ﴿أَمْ﴾^(٤) حسبتُمْ أَن

(١) قال الله تعالى فى سورة يونس: "وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا" [يونس: ١٩] / ١٢ منه.

(٢) قاله ابن عباس وغيره / ١٢ .

(٣) يعنى: أنزلنا الكتاب ليتفقوا كما كانوا فازدادوا فى الاختلاف وعكس الأمر / ١٢ وحيز .

(٤) ولما كانت حكاية الاتفاق ومزيد الاختلاف بعد بعث النبىين وإنزال الكتاب لتشجيع المؤمنين وتثبيتهم على الدين خاطبهم بقوله: "أم حسبتُمْ" الآية / ١٢ وحيز .

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»، أم منقطعة، ومعنى الهمزة الإنكار، لما هاجر المسلمون وتركوا الديار والأموال فأصاهم ما أصاهم من الجهد وضيق العيش نزلت تشجيعاً لهم وتطبيعاً لقلوبهم، «وَلَمَّا يَأْتِكُمْ»، أى: لم يأتكم وزيدت عليه^(١)، ما، «مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا»، مضوا، «مِنْ قَبْلِكُمْ»: حالهم التى هى مثل فى الشدة أو ستتهم «مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ»، الفقر والأسقام والمصائب والنوائب، «وَوُزِّلُوا»، بأنواع البلى وخوف العدو، «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، أى: إلى الغاية التى يقول الرسول ومن معه فيها، «مَتَى نَصْرُ اللَّهِ»، أى: بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى استبطنوا النصر، «إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ»، أى: قيل لهم ذلك إجابة لطبتهم، يعنى لا بد لكم أن يصيبكم مثل ما أصاهم فتصبروا كما صبروا، «يَسْأَلُونَكَ»^(٢)، مَاذَا يُنْفِقُونَ»، نزلت فى شيخ كبير كثير المال، قال يا رسول الله: بما تنصدق وعلى من تنفق؟، «قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ»، حاصله أن المنفق هو كل^(٣) خير والاهتمام فى شأن المصرف؛ لأن الخير لا يعتد به إلا بعد وقوعه موقعه، «وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ»، فيجازيكم بقدره، والآية فى نفقة التطوع، وعن بعضهم هى منسوخة بفرض الزكاة، «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ»، شاق مكروه طبعاً عليكم، «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

(١) وفيها معنى التوقع، يعنى الفعل الذى هو الإتيان منتظر / ١٢ منه .

(٢) وعلم من أول السورة إلى هذا الموضع فضل الإنفاق، ناسب السؤال من الإنفاق فقال:

" يسألونك ماذا ينفقون " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) فالجواب مطابق للسؤال، ولما كان أفضل الإنفاق ما هو فى سبيل الله وأفضل السبيل

الجهاد - أخذ يبين حال الجهاد ومكانه فقال: " كتب عليكم القتال " /

الآية / ١٢ وجيز .

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ»، وهذا عام في الأمور كلها، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ»: ما هو خير لكم، «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، واعلم أن الجهاد فرض كفاية .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُوْمِنَ وَلَآئِمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُوْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾^(١)، نزلت في سرية قاتلوا المشركين أول رجب وهم يظنون أنه من الجمادى فغيرهم المشركون وقالوا: إن محمداً استحل الشهر الحرام^(*)، ﴿قَاتِلْ فِيهِ﴾، بدل اشتغال، ﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، أى: ذنب كبير، واختلف في أنه منسوخ^(٢) أو لا، ﴿وَصَدَّ﴾: منع، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كمنعهم المسلمين عن العمرة، ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾: بالله، ﴿وَالْمَسْجِدِ﴾^(٣) الحرام، أى: صد عنه، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾: أهل المسجد، وهم المؤمنون، ﴿مِنْهُ﴾: من المسجد، ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وزراً مما فعلته السرية خطأ، ﴿وَالْفِتْنَةِ﴾، أى: الشرك، أو ما يرتكبه من الإخراج والكفر، ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: أظع مما ارتكبه، ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾، أى: المشركون، ﴿يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾، أى: ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين،

(١) والسائل من المؤمنين كباقي الأسولة [سُلت أسال سُولا: لغة في سألت، حكاها سيويه، وحكى ابن جنى سؤال وأسولة. لسان العرب (سول)] الخمسة، أو من المشركين لقوله: "ولا يزالون يقاتلونكم" وعلى هذا لم يعطف على الأول ولم يعطف الثالث عليه لاختلاف السائل ١٢/ وجيز .

(*) صحح سنده السيوطى في "الدر المنثور"، (٤٤٨/١) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى.

(٢) والأصح أنها غير منسوخ، والاستدلال بعموم بعض الآيات في جواز القتال غير تام؛ فإن العام لا يكون ناسخاً للخاص ١٢/ وجيز .

(٣) عطف على سبيل الله والفاصلة بين المصدر وهو "صد" وصلته وهو "المسجد" جائز لما بين الصد عن سبيل الله وكفر به اتحاد معنوى كأنه لا فاصلة وأما عطف المسجد على الضمير وإن جوزه المحققون بلا إعادة الجار نحو "تساءلون به والأرحام [النساء: ١] فليس للكفر بالمسجد الحرام معنى إلا بتكلف / ١٢ وجيز .

وحتى معناه التعليل، أى: يقاتلونكم كى يردوكم، ﴿إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾، هو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بنفسه: إن استطعت فاضربنى، ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: من يرجع عن دينه إلى دينهم، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، أى: يرجع ثم يموت على الكفر، ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: النافعة وبطلت، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، لما يفوتهم بالردة ما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الإسلام، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بسقوط الثواب، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قيد الردة بالموت عليها فى إحباط الأعمال وهو مذهب الشافعى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، نزلت فى تلك السرية لما ظن بهم أنهم لو سلموا من الإثم ليس لهم أجر، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ^(١) رَحْمَةَ اللَّهِ﴾: ثوابه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾، لما فعلوا من قلة الاحتياط، ﴿رَحِيمٌ﴾: بإجزال الأجر، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ^(٢) وَالْمَيْسِرِ^(٣)﴾، أى: عن تعاطيهما، قال عمر ومعاذ

(١) ما أراد به تخصيص وجود الرجاء، فإن غيرهم قد يرجون، لكن خصص بهم استحقاق الرجاء يعنى: أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان الخمر مذهباً للعقل، لكن تعاطيه مفرج للكروب المجتمعة فى القلوب من مصائب الدنيا ومزيج للبخل ومشجع، سألوها عن تعاطيه فقال: "يسألونك عن الخمر والميسر" الآية / ١٢ وجيز .

(٣) قال جماعة من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: كل شيء فيه قمار من نرد أو شطرنج أو غيرهما فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب إلا ما أبيح من الرهان فى الخيل والقرعة فى إضرار الحقوق، وقال مالك: الميسر ميسران، ميسر اللهو وميسر القمار، فمن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهى كلها، وميسر القمار: ما يتخاطر الناس عليه / ١٢ فتح .

وسعد: يا رسول الله أفنتا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال؟ فترلت (*)، والميسر: القمار، ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾، أى: فى تعطيهما، ﴿إِنَّكُمْ كَبِيرٌ﴾، حيث يـؤدى إلى مخاصمة وفحش وزور وهذا لا يدل صريحاً على حرمتها لأنه مؤدى إلى الإثم لا أن الإثم يحصل منه، والمحرمّة ما فى المائدة، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: من كسب المال والطرب وغيرهما، ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾، فإن مفسادهما التى تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا^(١) يُنْفِقُونَ﴾، لما نزل قوله: " فلولو الدين والأقربين " سأل عمرو بن الجموح عن مقدار ما ينفق فترل، ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، أى: ما فضل من المال عن العيال، أو أفضل مالك وأطيعيه، قيل: إنها منسوخة بآية الزكاة، وقيل: مبينة بما قاله مجاهد وغيره، ﴿كَذَلِكَ﴾، أى: مثل ما فصل وبين لكم هذه الأحكام، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾، أى: سائر الآيات فى أحكامه ووعدته ووعيدته، أى يبين تبييناً مثل لهذا، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي﴾، أمر، ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، لتعلموا زوالها وفناءها وإقبال الآخرة وبقائها، وقيل: متعلق بيبين أى: يبين لكم الآيات فى أمر الدارين لعلكم تتفكرون، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾، لما نزل^(٢) " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً [النساء: ١٠] إلخ، اعتزلوا مخالطة اليتامى ولا يأكل أحد معهم، فشق ذلك عليهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فترلت، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ

(*) صحيح أخرجه أئمة وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٤٢).

(١) الأولى أن يكون ماذا كلها استفهامية فى موضع نصب ينفقون، وحينئذ الجواب بقوله: "العرف" بالنصب مناسب للسؤال / ١٢ منه .

(٢) هكذا روى أبو داود والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه / ١٢ منه [وهو حديث حسن، انظر صحيح أبى داود (٢٤٩٥)].

خَيْرٌ»، أى: على حدة، أو مداخلتهم لإصلاحهم خير من مجانبتهم، قيل: أو إصلاح أموالهم من غير أجره خير، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾، أى: إن خلطتم طعامكم وشرابكم بطعامهم وشرابهم، وقيل: إن تصيبوا من أموالهم أجره من قيامكم بأموالهم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾، أى: فهم إخوانكم، ولا بأس من الخلطة أو من إصابة بعضكم من مال بعض، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، أى: يعلم من قصده الإفساد أو الإصلاح فيجزيه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ﴾، العنت: المشقة، أى: لو شاء الله إعناتكم لأعتبكم: كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة مطلقاً دون المخالطة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب يقدر على الإعنات، ﴿حَكِيمٌ﴾: يحكم بحكمته فيتسع لكم، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا^(١) الْمُشْرَكَاتِ^(٢) حَتَّى يُؤْمِنَ﴾، كانت لأبي مرثد الغنوى خليعة مشركة فبعدما أسلم أراد أن يتزوج بها، فزلت^(*) "والمشركات" هاهنا عامة في كل من كفرت بالنبى عليه الصلاة والسلام لكن خصت^(٣) منها حرائر الكنايات بقوله: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب" [المائدة: ٥]، وقيل: المراد بها عبدة الأوثان؛ فلا يدخل فيها أهل الكتاب، ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾، أى: من حرة مشركة كانت لعبد الله

(١) ولما رخص في مخالفة اليتامى لإصلاحهم فهم عن نوع مخالطة المشركات فقال: "ولا تنكحوا المشركات" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أى: عابدات الأوثان / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه ابن أبى حاتم وابن المنذر عن مقاتل بن حيان كما فى الدر المنثور (١/٤٥٨).

(٣) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبیر وغيرهم: استثنى الله تعالى من ذلك نساء أهل الكتاب / ١٢ منه .

بن رواحة^(١) فأعتقها كفارة أن لطمها وتزوجها فطعنوا فيه وعرضوا عليه نسيئة مشركة، فترلت، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، الواو للحال، ومعنى أن، أى: وإن أعجبتكم بما لها وجمالها، ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾، أى: لا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومته، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾^(٢) وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ، أى: رجل مؤمن وإن كان عبداً خيراً من مشرك وإن كان سريراً، ﴿أَوَّلِكَ﴾، أى: المشركون والمشركات، ﴿يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ﴾، أى: الأعمال الموجبة لها، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾، أى: العمل الموجب لهما، قيل: تقديره وأولياء الله يدعون، بإقامة المضاف إليه مقام المضاف تعظيماً لهم، ﴿يَاذَنِهِ﴾، أى: بأمره وشرعه أو بتوفيقه أو بقضائه، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لكى يتذكروا، أو ليكونوا بحيث يرجى عنهم التذكر .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿٣١﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوُهُ وَيَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا

(١) هكذا ذكر السدى رضى الله عنه / ١٢ منه [انظر تفسير ابن كثير (١/٢٥٩)، والدر

المشور للسيوطى (١/٤٥٩) وسنده معضل.

(٢) الحر المشرك فإن الشرك ذم يزيل جميع مدحه، قيل: فيه دليل لمن يعتبر الولى فى

نكاحها/ ١٢ .

وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧٨﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ ^(١) **عَنِ الْمَحِيضِ**، إذا حاضت نساء اليهود لا يؤاكلوهن ولا يخالطوهن فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فترلت ^(*)، والمحيض مصدر، ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾، أى: الحيض مستقذر، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، اجتنبوا مجامعتهن ^(٢) إذا حضن، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾، بالجماع، ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾: من الدم، أو يغتسلن وقراءة حمزة والكسائي وهو "يطهرن" دالة عليه سيما مع قوله، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، أى: بالماء، ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾: بالوقاع، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، أن تعزلوهن منه وهو الفرج، أو من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾: من

(١) ولما بين أحكام النكاح بين المسلمين والمشركون وفي النكاح شائبة للوقاع ناسب سؤال زمان الغشيان ومكانه فقال: "ويسألونك عن المحيض" الآية / ١٢ وجيز .
(*) أخرجه مسلم في "الحيض" .

(٢) أكثر السلف على أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج، ويدل على ذلك الأحاديث الصحيحة عن عائشة رضى الله عنها/ ١٢ .

الذنوب، «وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»: المترهين عن الأقدار، كإتيان الحائض وفي الدبر^(١)، «نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ»، أى: مزرع للولد، «فَأَتُوا حَرْثَكُمْ»: مزرع الولد لا غير، «أَنَّى شِئْتُمْ»، من أى جهة شئتم مقبلة أو مدبرة لا كما قالت^(٢) اليهود: إن مجامعة المرأة من دبرها فى قبلها يجعل الولد أحول ودنس عند الله، «وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ»: ما يدخر لكم الثواب، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسمية عند الجماع، «وَاتَّقُوا اللَّهَ»، فى معاصيه، «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ»، فاحذروا عن الفضيحة، «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ»: الكاملين فى الإيمان الذين اجتنبوا المعاصى، «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً»، اسم لما يعرض^(٣) دون الشيء، «لَايْمَانِكُمْ»: أراد منها الأمور المحلوف عليها من البر

(١) لا خلاف لأحد من السلف أن غشيان المرأة والجارية فى دبرها حرام ملعون صاحبه، روى الدارمى فى مسنده عن ابن عمر أنه قيل له: ما تقول فى الجوارى أيمحض بهن قال وما التمحيض؟ [الذى فى سنن الدارمى (٢٧٧/١) ط الريان: ما تقول فى الجوارى حين أحمض لهن؟ قال: وما التمحيض؟]، فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وهذا إسناد صحيح البتة، وأيضاً نص مالك -رضى الله عنه- على حرمة وثبت عنه، فما نقل عنه افتراء من الرواة / ١٢ منه أقول: وقد اختلف النقل فيه عن ابن عمر روى البخارى فى صحيحه عن نافع عن ابن عمر "فأتوا حركم أنى شئتم" قال يأتيها فى [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٢٧)]، قال الشارح: أى: فى الدبر كما وقع التصريح به، قال المظهرى: إن الصحيح أن الوهم إنما هو من ابن عمر وقد حكم بكونه وهما من ابن عمر رأس المفسرين ابن عباس انتهى/ ١٢ [كما فى صحيح أبى داود (١٨٩٦)].

(٢) روى البخارى ومسلم وغيرهما أن قوله تعالى "نساءكم حرث لكم" إلخ نزلت رداً لليهود وهم رووا عن جابر وسفيان الثورى / ١٢ [صحيح البخارى (٤٥٢٨)]، وصحيح مسلم (١٤٣٥).

(٣) أى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزاً ومانعاً عنه / ١٢ .

والتقوى، وهى صلة عرضة أو الفعل، ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾، عطف بيان للإيمان، أى: لا تجعلوا الله مانعاً لما حلفتُم عليه من الخير، بل افعَلوا الخير ودعوا اليمين كما قال السلف^(١) فى معنى الآية: لا تجعل الله عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير لكن كفر عن يمينك واصنع^(٢) الخير ويجوز أن يكون اللام للتعليل، أى: لا تجعلوا الله لأجل إيمانكم به مانعاً لأن تبروا، وقيل: والعرضة بمعنى المعرض للأمور وأن تبروا علة النهى، أى: لا تجعلوه معرضاً للإيمان فتبتذله بكثرة الحلف به أرادة بركم فإن الحلاف^(٣) مجترئ على الله وهو غير متق، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم، ﴿عَلَيْمٌ﴾: بمقاصدكم، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، هو^(٤) ما يجرى على اللسان عادة كـ: لا والله وبلى والله، أو

(١) كابن عباس وابن عمر وجماعة لا تخصى، وفى الصحيحين وغيرهما "عنه عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير" ١٢/ منه [أخرجه البخارى فى "الإيمان" (٦٧١٨)، وفى مواضع كثيرة من صحيحه، وكذا مسلم فى "الإيمان" (١٦٤٩)].

(٢) حاصله لا تتركوا البر معللين بالحلف / ١٢ .

(٣) حاصله لا تكثرُوا الحلف بالله كى تكونوا بارين فعلى هذا اليمين على الحقيقة، واللام المقدر فى أن تبروا للتعليل، نحو: لا تكثر الكلام لتكون حكيماً / ١٢ .

(٤) التفسير الأول روى أبو داود عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عمر وابن عباس وعكرمة ومجاهد، والثانى لأبى هريرة ومكحول وطاوس وغيرهم وهذا القول أيضاً ثبت عن عائشة، والثالث لابن عباس أيضاً وروى أبو داود فى ذلك أثراً، والرابع لسعيد بن جبیر وهو أيضاً لابن عباس، والخامس لمغيرة وإبراهيم / ١٢ .

هو حلف يرى أنه صادق ولا يكون كذلك، أو أنت تحلف وأنت غضبان، أو أن تحرم ما أحل الله لك، أو أن تحلف عن الشيء ثم تنساه، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: وهو أن يحلف ويعلم أنه كاذب، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لم يؤاخذ باللغو، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة وإن حلف كاذباً، ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾، أى: يحلفون على أن لا يجامعوهم، وعدى بمن المعنى البعد، وهو خبر لقوله، ﴿تَرُبُّصٌ﴾، أى: توقف، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، أى: للحالف حق التلبث فى تلك المدة لا يطالب فيها بوطء ولا طلاق، ﴿فَإِنْ^(١) فَاءُوا﴾: رجعوا بالحنث، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، للمولى إثم الحنث وإضرار المرأة، والأصح^(٢) أنه يجب عليه الكفارة، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾: وطلقوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: بما يقولونه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلونه، وعند كثير من السلف^(٣): أنه تقع تطليقة بمجرد مضى أربعة أشهر، إما بائنة أو رجعية، وفى الآية دلالة على أنه يوقف، فيطالب إما بهذا أو بهذا، وعليه كثير من السلف^(٤) أيضاً، ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ﴾: المدخول بهن من ذوات الأقراء، ﴿يَتَرَبَّصْنَ

(١) وجامعها، فسر به بذلك السلف / ١٢ .

(٢) الذى عليه جمهور العلماء، وهو الجديد من مذهب الشافعى / ١٢ .

(٣) كعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر، وقد صح وثبت عنهم وعن جماعة أخرى من السلف أنها تصير مطلقة بائنة / ١٢ .

(٤) روى البخارى عن ابن عمر وروى الشافعى عن سليمان بن يسار قال: أدركت بضعة عشر من الصحابة كلهم يوقف المولى، وروى الشافعى عن على أنه وقف المولى، وقال الشافعى: هكذا نقول، وهو موافق لما روينا عن عمر وابن عمر وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من الصحابة، وهو مذهب مالك أيضاً / ١٢ .

بِأَنْفُسِهِنَّ»^(١)، يحملنها^(١) على الانتظار، خير معناه الأمر للتأكيد، «ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»، أى: أطهار أو حيض، ثم يجوز لمن أن يتزوجن، ونصبه على الظرفية، أى: مدتها، أو المفعولية أى: مضيتها، وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت، فإنها تعتد بقرأين، «وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ»^(٢)، من حبل^(٢) أو حيض^(٣)، «إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»، هذا تغليظ وتأکید لا تقييد، «وَبُعُولَتُهُنَّ»: أزواجهن جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع، «أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ»: إلى النكاح والرجعة، «فِي ذَلِكَ»: فى زمان التربص وهو العدة، وكان الرجل يرجع إلى امرأته وإن طلقها مائة إلى أن نزلت "الطلاق مرتان" [البقرة: ٢٢٩] فصار قسمين بائنة ورجعية، فليس الضمير أخص من المرجوع^(٤) إليه، «إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا»: بالرجعة لا إضراراً وهو تقييد للأحقية^(٥)، «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ»، أى: لمن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن «بِالْمَعْرُوفِ»: بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب فى الحسنة لا فى جنس الفعل، «وَلِلرِّجَالِ

(١) يعنى فى ذكر الأنفس تهيبج لمن على التربص، فإن أنفسهن طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يجبرنها على التربص/ ١٢ .

(٢) إذا أرادت فراق زوجها فكتمت لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع، وربما لا يطلقها إذا علم حبلها، أو كتمت حيضها وقالت حين الحيض: قد طهرت، استعجالاً للطلاق/ ١٢ .

(٣) هكذا فسر ابن عباس وابن عمر وغيرهما / ١٢ .

(٤) كما قال بعض الأصوليين: لأن البعل كان أحق بردها من غيره وإن طلقها ألف طلقة حتى نسخ فافهم، كما ذكره السدى ومجاهد وابن جرير وغيرهم / ١٢ .

(٥) لا كما قال القاضى: وهو أنه ليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة، بل التحريض عليه/ ١٢ .

عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ^(١): زيادة^(١) في الحق وفضل فيه، أو شرف وفضل في الدنيا والآخرة،
﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، يأمر كما أراد بمقتضى حكمته.

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا
تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾، كان^(٢) الطلاق غير محصور في الجاهلية في عدد، ثم إن رجلاً من
الأنصار غضب على امرأته فقال: لا أطلقك ولا أؤويك أبداً، أطلقك حتى إذا دنا
أجلك راجعتك وهكذا، فشكت ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام، فزلت، وحاصله أن
الطلاق الرجعي مرتان، ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾ أى: إذا طلقها واحدة أو اثنتين فلك

(١) لأن حقوقهم في أنفسهم، وحقوقهن المهر، وتركه الضرر ونحوهما/ ١٢ .

(٢) رواه الترمذى وابن أبى حاتم وابن جرير والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/ ١٢ [وتعقبه
الذهبي كما في التلخيص (٢٨٠/٢) بقوله: في حميد بن كاسب: "ضعفه غير واحد".

الخيار في المراجعة وحسن المعاشرة^(١)، «أَوْ تَسْرِيحُ يَإِخْسَانَ»: بالطلقة الثالثة^(٢)، أو بالأمر تراجعها ضراراً، «وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ» أيها الولاة «أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ»^(٣): من الصداق، «شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا» أى: الزوجان، «أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» من مواجب الزوجية، ولما كان الولاة يأمرّون بالأخذ والإيتاء عند الترافع كأنهم الآخذون والمؤتون^(*)، «فَإِنْ خِفْتُمْ» أيها^(٤) الحكام في المزاوجة، «أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» أى: لا جناح على المرأة فيما أعطت ولا على الرجل فيما أخذ، وحاصله أنه لا يجوز أن تضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الصداق، نعم إذا تراضيا وطبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً، ولهذا كثير من السلف والخلف على أن الخلع حرام إلا أن يكون الشقاق من المرأة، لكن ذهب الشافعى إلى أنه إذا جاز في حال شقاقها^(٥) فبطريق الأولى عند الاتفاق، لكن في غير هاتين الصورتين فحرام، «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا» بالمخالفة، «وَمَنْ يَتَعَدَّ

(١) فإمساك مبتدأ حذف خبره، أى فلك إمساك / ١٢ .

(٢) نقل أبو داود عن ابن عباس والنسائي عن علي بن الحسين، أن قوله: "الطلاق مرتان" ناسخ لقوله: "وبعولتهن أحق بردهن" من أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثاً فهو كان أحق برجعته/ ١٢ .

(٣) "شيئاً" إما مفعول به و"مما" حال مقدم أو بيان، وإما مفعول مطلق أى: شيئاً من الأخذ، و"مما" مفعول به / ١٢ .

(*) كذا في الأصل، وكأنه أراد أن يقول: ولما كان الولاة... قال، فسقطت قال من آخر الكلام.

(٤) الأولى أن يكون الخطاب للولاة والحكام، ولا يجوز أن يكون الخطاب في قوله: "وإن خفتم" للأزواج بقرينة "ألا يقيما"، وقيل: الخطاب لمجموع المؤمنين / ١٢ .

(٥) فيجوز حينئذ للرجل قبول الفدية / ١٢ .

حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»: عقب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾، أى: بعد اثنتين، فهو مرتبط بقوله: "الطلاق مرتان"، نوع تفسير لقوله: "أو تسريح بإحسان"، وذكر بينهما الخلع دلالة على أن الطلاق يكون مجاناً تارة وبعوض أخرى، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ أى: بعد ذلك الطلاق ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أى: حتى يطأها زوج آخر، يعنى فى نكاح صحيح، أو المراد من النكاح: العقد، والإصابة قد علم من الأحاديث الصحاح، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: الزوج الثانى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾، بنكاح جديد ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: من حقوق الزوجية، ﴿وَتِلْكَ﴾ أى: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون، ثم اعلم أن شرط التحليل فى النكاح فاسد إلا عند أبى حنيفة، وقد صح "لعن الله المحلل والمحلل له"، والخلاف فى أن النكاح بنية التحليل هو المحلل أم لا، وكلام السلف^(١) يدل على أنه المحلل الملعون.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١٠﴾﴾ *

(١) روى الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد، أن رجلاً جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له عن غير مؤامرة منه ليحللها لأخيه، هل تحل للأول؟ فقال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم [المستدرک (١٩٩/٢) وأقره الذهبي]، وفى الحديث: "لا إلا نكاح رغبة لا دلسة" (الدلسة التحليل) ولا استهزاء بكتاب الله، ومثله صلى الله عليه وسلم بالتيس المستعار/١٢ [كما أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم (١٩٨/٢) وغيرهما بسند حسن، انظر الإرواء (٣٠٩/٦، ٣١٠)].

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا
تُضَارَّرُ وَلَدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا
أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٢﴾ وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ
أَنْكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا
تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٣﴾

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، الأجل يطلق للمدة ولنتهاها والبلوغ:
الوصول، وقد يقال للدنو على الاتساع، وهو المراد هاهنا^(١)، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهن من غير ضرار، ﴿أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أو خلوهن
لتنقضى عدتهن من غير تطويل، وهذا إعادة لبعض ما سبق للاهتمام به، ﴿وَلَا
تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: لا تراجعوهن إرادة^(٢) إضرارهن كما سبق ﴿لَتَعْتَذِرُوا﴾

(١) فيصح قوله: "فأمسكوهن"، إذ لا إمساك بعد انقضاء العدة/ ١٢ .

(٢) فعلى ما فسرنا ضراراً مفعول له وقيل: حال بمعنى مضارين / ١٢ .

لتظلموهن بالتطويل والإلجاء إلى الافتداء وهو عين الضرر^(١)، «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» بتعريضها للعقاب، «وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا» كان الرجل يطلق أو يعتق أو ينكح فيقول: كنت^(٢) لاعبًا فترلت، «وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(٣): التي منها الهداية، «وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ»: القرآن، «وَالْحِكْمَةِ»: السنة، وقيل: مواعظ القرآن، أفردهما بالذكر لشرفهما «يُعِظُكُمْ بِهِ»: بما أنزل، «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» تأكيد وتهديد. «وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ» أى: انقضت عدتهن «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ»^(٤):

(١) إذ المراد تقييده / ١٢ .

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري وابن جرير أيضًا عنه، وعن عبادة بن الصامت، وابن مردويه عن ابن عباس وفي الترمذى وأبى داود وابن ماجه قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، الطلاق والنكاح والعنقاق" / ١٢ [وهو حديث حسن، وانظر صحيح الجامع (٣٠٢٧)، وراجع الإرواء (١٨٢٦ و ٢٠٦١)].

(٣) بأن تشكروها.

(٤) العضل: الحبس والتضييق / ١٢، وفي الفتح "فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن": الخطاب في هذه الآية إما أن يكون للأزواج، ويكون معنى العضل منهم أن يمنعوهم من أن يتزوجن من أردن من الأزواج، بعد انقضاء عدتهن لحماية الجاهلية، كما يقع لكثير من الخلفاء والسلاطين غيرة على من كن تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم، لأنهم لما نالوه من رئاسة الدنيا، وما صاروا إليه من النخوة والكبرياء، يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بني آدم، إلا من عصمه الله منهم بالورع والتواضع، وإما أن يكون الخطاب للأولياء، ويكون معنى إسناد الطلاق أنهم سبب له، بكونهم المزوجين للنساء المطلقات / ١٢ .

لا تمنعوهن^(١) أيها الأولياء، وقيل: الضمير^(٢) للناس كلهم، أى: لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر، ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أى: الذين كانوا أزواجاً لهن، نزلت في أخت^(٣) معقل بن يسار، طلقها زوجها، فلما انقضت عدتها جاء يخطبها، ومعقل منع أن يتزوجها، ﴿إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ﴾ أى: الخطاب والنساء، وهو ظرف لا تعضلوهن أو لأن ينكحن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يعرفه الشرع، وهو حال^(٤) عن الفاعل، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: النهى والخطاب لكل أحد^(٥)، أو الكاف لمجرد الخطاب دون تعيين المخاطب، أو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، يعنى: ما أنزل إليك وقلنا لك ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ﴾^(٦) بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَكُمْ﴾ أى: ترك العضل، ﴿أَزْكَى﴾: أنفع لكم وأطهر: من دنس الإثم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾، النافع^(٧) الصالح، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: لقصور علمكم.

(١) قيل: يدل هذا على أن ليس لهن اختيار في تزويج أنفسهن، بل الاختيار للأولياء وفيه بحث، لأنه يمكن أن الله تعالى منع هذا الظلم والتسلط الذى هو غير الحق/ ١٢ .

(٢) وعلى هذا لا يكون فى الكلام انتشار الضمائر، فإن خطاب "وإذا طلقتم النساء" لا يصلح للأولياء قطعاً، ويصلح أن يكون للناس، ولهذا قيل: الوجه أن يكون الضمير للناس/ ١٢ .

(٣) هكذا رواه البخارى والترمذى وابن ماجه وغيرهم / ١٢ [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٢٩)، وفى مواضع آخر من صحيحه].

(٤) قيل: تقديره تراضياً كائناً بالمعروف / ١٢ .

(٥) نحو ذلك: "خير لكم وأطهر" [المجادلة: ١٢] .

(٦) والمعنى: أن المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره / ١٢ فتح .

(٧) أو معناه: الله يعلم ما فى ذلك من الزكاة والطهر وأنتم لا تعلمونه / ١٢ .

﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾^(١) يُرْضِعْنَ، لفظه خبر ومعناه أمر، على سبيل الاستحسان،
﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾: سنتين، ﴿كَامِلَيْنِ﴾^(٢): تحديداً لا تقريباً ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾، أى:
ذلك لمن أراد ﴿أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فعلم أن أقصى مدتها ستان، ولا اعتبار بالرضاعة
بعدها وعليه^(٣) السلف وأنه يجوز أن ينقص عنهما، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أى: الأب،
وعبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المون عليه ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، أى:
على والد الطفل نفقة أمه المطلقة مدة الإرضاع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ حسبما يراه الحاكم
وهو يقدر، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تعليل للتقييد بالمعروف ولا يجاب المون،
﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا﴾^(٤) بأن تدفعه عن نفسها لمضرة أبيه بتربيته، بل عليها
إرضاعه، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ﴾، أى: الأب ﴿بِوَلَدِهِ﴾ بأن يترع عنها إضراراً لها، ولا

(١) ولما كان النكاح قد يكون سبب ولادة، فيكون عنها رضاع، وقد تكون المرضعة زوجة
وقد تكون أجنبية، والزوجة متصلة أو منفصلة، والفراق بالطلاق أكثر منه بالموت
وسطه بين عدتي الطلاق والوفاة اهتماماً بشأن الولد، فقال: "والوالدات يرضعن"
الآية/١٢ وجيز .

(٢) تأكيد للدلالة على أن هذا التقدير تحقيقي لا تقربي، وفيه رد على أبي حنيفة في
قوله: أن مدة الرضاعة ثلاثون شهراً، وعلى زفر في قوله: أنها ثلاث سنين/١٢
فتح .

(٣) وفي الدارقطني "قال عليه الصلاة والسلام: لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في
حولين"/١٢ وجيز [وكذا أخرجه البيهقي في سننه (٤٦٢/٧) وهو صحيح]، وشذت
عائشة -رضي الله عنها- من بينهم أن رضاع الكبير يؤثر في التحريم/١٢ منه [كما في
صحيح مسلم (٦٣٥/٣) ط الشعب].

(٤) أضاف الولد إلى الأم أولاً، ثم إلى الأب ثانياً، استعطافاً لهما عليه وتنبهها على أنه حقيق
بأن يتفقا على الإشفاق عليه / وجيز .

"تضار" إلخ تفصيل لما قبله، أى: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ عطف على "وعلى المولود له"، وما بينهما تعليل معترض، أى: وعلى وارث الأب وهو الصبى نفسه، فإنه إذا مات أبوه فمؤن مرضته من ماله إن كان له مال وإلا تجبر الأم، أو المراد وارث الطفل، يعنى إن مات الأب يجبر جميع ورثة الطفل على فرض موته -عصبة كانوا أو غيرهم- على نفقة مرضته، أو يجبر وارث الطفل المحرم منه بحيث لا يجوز النكاح بينهما على تقدير أن يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى لا الجميع، أو عصبات الطفل فقط ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: مثل ما على والده من الإنفاق وعدم الإضرار أو المراد^(١) عدم الإضرار فقط لا الإنفاق، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أى: الأبوان ﴿فَصَالًا﴾: فطامًا صادرًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما قبل الحولين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فى ذلك ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد فى الفطام ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾: المراضع ﴿أَوْ لَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾: إلى المراضع، ﴿مَّا آتَيْتُمْ﴾، أى: أردتم إتياءه، يعنى: أجرهما، أو إلى الأمهات أجرهن بقدر ما أرضعن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المتعارف شرعاً ومروءة، ونفى الجناح مقيد بالتسليم لأنه شرط جواز الاسترضاع، بل إرشاد إلى أن الأكثر ثواباً أن يكون الاسترضاع مقرونًا بتسليم ما يعطى المرضع، فشبه ما هو من شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة، فاستعيرت^(٢) له العبارة مبالغة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى محافظة حدوده، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، حث

(١) الأول قول الجمهور، والثانى قول مجاهد والشعبى والضحاك / ١٢

منه .

(٢) أى: استعير له العبارة الموضوعية لإفادة التعليق بوصف الصحة اهتمامًا بشأن ذلك الأمر

فافهم / ١٢ منه .

وتهديد، «وَالَّذِينَ^(١) يُتَوَقَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ»: ويتركون، «أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ»: يحملنها على التوقف، خبر في معنى الأمر، «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^(٢)»،
أى: عشر ليال، وتقديره وأزواج الذين، أو تقديره يتربصن بعدهم، لأنه لا بد من
الضمير في الخبر إذا كان جملة، وخص عنه الحامل لقوله: "وأولات الأحمال
أجلهن" [الطلاق: ٤] إلخ والجمهور على أن عدة الأمة نصفها، «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ»:
انقضت عدتهن، «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ»: أيها الأولياء أو المسلمون، «فِيمَا فَعَلْنَ فِي
أَنْفُسِهِنَّ»: من التعرض للخطاب والتزين، «بِالْمَعْرُوفِ»: بوجه لا ينكره الشرع،
«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»، فيجازيكم عليه، «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمُ
بِهِ»، التعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول المحتاج: جئتكم
لأسلم عليكم، «مِنْ خُطْبَةٍ»، الخطبة بالكسر: طلب المرأة، «النِّسَاءِ»: المعتدات
للوفاة، كقولك: إنك جميلة وإن النساء من حاجتي ونحوه، وحرّم التصريح بخطبتهن،
وأما الرجعية فحرام على غير زوجها التصريح والتعريض، «أَوْ أَكُنْتُمُ فِي
أَنْفُسِكُمْ»: أضمرتم فيه من غير تصريح ولا تعريض، «عَلِمَ اللَّهُ أَكُمْ
سَتَذَكَّرُوهُنَّ»، أى: فى أنفسكم فرفع عنكم الحرج فى ذلك، «وَلَكِنْ»، أى:

-
- (١) لما ذكر سبحانه عدة الطلاق، واتصل بذكر الإرضاع، عقب ذلك بذكر عدة الوفاة؛
لأن لا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق، فقال: "والذين يتوفون" الآية / ١٢ فتح .
(٢) قال صاحب البحر: إذا كان المعدود مذكراً، وحذف فالأصل أن يبقى العدد على ما
كان عليه لو لم يحذف المعدود، فيقول: صمت خمسة، أى: خمسة أيام، وهو الفصحح،
ويجوز أن يحذف منه التاء، وتقول: خمساً، ومنه ما فى الحديث (ثم أتبعه ستاً من
شوال) [وهو فى صحيح مسلم فى كتاب الصيام (١١٦٤)]، والتذكير هو الجائز، فجاء
عشراً على أحد الجائزين، وحسنه هنا أنه مقطع الكلام، فهو شبيه بالفواصل نحو "إن
ليشتم إلا عشراً" [طه: ١٠٣] وعلى ما قال فلا حاجة إلى تقدير عشر ليال/ ١٢ وجيز .

فاذكروهن ولكن، ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: بأن^(١) تأخذوا الميثاق عنهن في عدم تزوج غيره، وقال كثير من^(٢) السلف يعني^(٣) الزنا، وقيل^(٤): أن يتزوجها في العدة سرًّا، ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، أى: لا تواعدوهن بشيء إلا بأن تقولوا، أى: بالتعريض، أو لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة وهى التعريض، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا﴾^(٥) عَقْدَةَ النِّكَاحِ، أى: لا تعزموا عقد عقدة النكاح، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: حتى ينتهى ما كتب من العدة، والإجماع على أنه لا يصح العقد في العدة، وعند مالك أن من تزوج امرأة في عدة ودخل بها، حرام عليه تلك المرأة بالتأييد، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: من عزم ما لا يجوز، ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾: فخافوا الله ولا تعزموا، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وبجهم أولاً ثم لم يؤيسهم من رحمته .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ١١ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

-
- (١) هذا قول ابن عباس وأكثر السلف / ١٢ .
(٢) كالحسن البصرى والنخعى وقتادة والضحاك والسدى وغيرهم / ١٢ منه .
(٣) أى: المراد من السر الزنا / ١٢ .
(٤) قاله ابن زيد / ١٢ منه .
(٥) أى: لا تقصدوا قصداً جازماً نهي عن العزم ليكون النهي في الفعل أبلغ، وقدر المضاف لأن العزم إنما يكون على الفعل لا على نفس العقدة / ١٢ .

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾ وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٨﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٩﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، أى: لا تبعة من مهر، أو لا وزر لأنه ليس ببدعى، ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾، بتامعوهن، ﴿أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: توجبوا لهن صداقًا، ونصب فريضة بمعنى مفروضة على المفعول به، وأو بمعنى إلا أن، أو بمعنى إلى أن، أو بمعنى الواو، يعنى: لا تبعة من مطالبة مهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة، ولم يُسم لها مهر، فإذا كانت ممسوسة فعليه مهر المثل، وإذا كانت غير ممسوسة وسمى لها مهرًا فلها نصف المسمى، ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾^(١)، تقديره: فطلقوهن ومتعوهن من مآلكن وهى قبل المسيس وتسمية المهر تستحق المتعة فقط إجماعًا، ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾: الغنى، ﴿قَدْرُهُ﴾: ما يقدره ويليق به، ﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾: الفقير، ﴿قَدْرُهُ﴾: كذلك، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتعًا، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المستحسن شرعًا ومروءة، ﴿حَقًّا﴾، واجبًا صفة متاعًا أو مصدر، ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، على من أحسن إلى نفسه أو إلى المطلقات فسامهم بالمحسنين ترغيبًا، ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، أى: فلهن أو الواجب لهن، ومنه يؤخذ أنه

(١) ظاهر الأمر للوجوب وضمير هن راجع إلى المطلقات قبل المسيس من غير فرض صداق

لا متعة^(١) حيثذ وأن الجناح المنفى هو تبعة المهر، «إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ»، على وزن يفعلن، أى: يتركن حقهن، «أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ»^(٢)، المراد الزوج بأن يسوق إليها المهر كلا^(*) فقيل: تسميتها عفواً على المشاكلة، أو لأن المقرر عند العرب سوق المهر إليها حين الزواج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف، فإن لم يسترد فقد عفا عنه، أو المراد الولي، يعنى: إذا كانت بكراً، وإليه ذهب مالك، وقيل: وإن كانت كبيرة، «وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»، خطاب للرجال والنساء، «وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»، أى: لا تنسوا أيها الرجال والنساء أن يتفضل بعضكم على بعض، «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»: فلا يضيع تفضلكم وإحسانكم، «حَافِظُوا»^(٣): داوموا، «عَلَى الصَّلَوَاتِ»، ذكرها بين الآيات إشعاراً بالألا تلهيكم الأزواج والأولاد عن ذكر الله، «وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى»، صلاة

(١) وما عليه الأكثر أن المتعة عام لكل مطلقة / ١٢ منه .

(٢) روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير، أنه قال -عليه الصلاة والسلام-: "ولى عقدة النكاح الزوج" [وحسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (٥٢١/١) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبرانى فى الأوسط والبيهقى] وهو تفسير على وابن عباس فى إحدى الروايات وأكثر السلف / ١٢ منه .

(*) فى هامش الأصل: (ن) كملا.

(٣) ولما ذكر وفصل وبين أمر الطلاق والرضاع والصداق والنفقة والإنفاق والتريص والتخلص والخمر والزمر، ثم رجع بعده إلى شيء من أحوال الزوج والزوجات وسط بينهما وصية حفظ الصلاة إشارة إلى ما قال: " لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله "[المنافقون: ٩] فعلى أى حال وشغل شغلكم لا تتركوا الصلاة فقال: حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى الآية / ١٢ وحيز .

العصر^(١) وعليه الأكثرون، وأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل أو الصبح لأنها مثل العصر، أو الظهر لأنها في وسط النهار، أو واحدة من الخمسة لا بعينها قليلة القدر، وقيل: المغرب لأنها الوسطى في العدد بين الرباعية والثنائية، وقيل: العشاء لأنها بين جهرتين وقيل: صلاة الجماعة، وقيل: الجمعة، وقيل: العيد، وقيل: الضحى، وقيل: الوتر، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢)، أى: خاشعين ذليين بين يديه والمراد القنوت في الصبح، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، من عدو أو غيره، ﴿فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلوا راجلين وراكبين مستقبلي القبلة وغيرها وعند أكثر السلف يومىء برأسه حيث كان وجهه،

(١) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر" رواه مسلم وغيره بروايات متعددة / ١٢ منه [انظر صحيح مسلم (٢٧٣/٢) ط الشعب]، وذكر في الفتح بعد تصحيح هذا القول، وأما حجج بقية الأقوال فليس فيها شيء مما ينبغى الاشتغال به؛ لأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء، وبعض القائلين عول على أمر لا يعول عليه، فقال: إنها صلاة كذا لأنها وسطى بالنسبة إلى أن ما قبلها كذا من الصلوات وبعدها كذا من الصلوات، وهذا الرأي المحض والتخمين البحث لا ينبغى أن تستند إليه الأحكام الشرعية، على فرض عدم وجود ما يعارضه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فكيف مع وجود ما هو في أعلى درجات الصحة والقوة والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيالله العجب من قوم لم يكتفوا بتقصيرهم في علم السنة، وإعراضهم (٢) وقيل: معناه ساكتين قاله السدى ويدل عليه حديث زيد بن أرقم في الصحيحين وغيرهما، قال: كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية "وقوموا لله قانتين" فأمرنا بالسكوت [أخرجه البخارى في التفسير (٤٥٣٤)] فالمتغير هاهنا حمل القنوت على السكوت للحديث المذكور / ١٢ فتح

وفيه^(١) دلالة على جواز الصلاة حال المشى والمضاربة وإن لم يكن الوقوف، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: زال خوفكم، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، أى: فصلوا كما علمكم الله بلسان نبيه ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الأمن وقيل: إذا أمتتم فاشكروا الله واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع، ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾، بالنصب أى: يوصون وصية، أو كتب الله عليهم وصية، وبالرفع أى: عليهم وصية، أو كتب عليهم وصية، أو حكم الذين يتوفون وصية، ﴿لَا زَوَاجَهُمْ﴾: لنسائهم، ﴿مَتَاعًا﴾، ناصبه يوصون، أو وصية فى قراءة الرفع على حذف الجار أى: بتمتع، ﴿إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾^(٢)، مصدر مؤكد لأنه دل يوصون لأزواجهم ما يتمتع به سنة على أفهن لا يخرجن فأكد، أو حال من الأزواج^(٣) يعنى وحق المتوفى^(٤) أن يوصوا قبل أن يحتضروا، بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً وينفق عليهن من تركته غير مخرجات من مساكنهن^(٥)، وهذا فى ابتداء الإسلام ثم نسخت المدة بقوله: أربعة أشهر وعشرًا والنفقة بالإرث، هذا ما عليه

(١) عند أبى حنيفة يصلون فى حال المشى والمساابقة ما لم يمكن الوقوف / ١٢ منه .

(٢) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالوا: الآية غير منسوخة، ومعناها: أن للزوجات السكنى سنة كاملة فى بيت أزواجهن، لا يمنعن من ذلك وإذا انقضت عدتهن بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل، واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فلهن الاختيار، وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمه الله عليه / ١٢ منه .

(٣) أى: غير مخرجات / ١٢ .

(٤) المراد من المتوفى الجنس، فيرجع ضمير الجمع إليه / ١٢ .

(٥) أى: المساكن التى كن فيها حين حياة أزواجهن / ١٢ .

أكثر السلف^(١) فكانت الآية متأخرة في التلاوة متقدمة في التزل، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: عن منزل الأزواج، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يا أولياء الميت، ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: من التطيب وترك الحداد، ﴿مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾: مما لم ينكره الشرع، وهذا يدل على أنها كانت مخيرة بين الملازمة فأخذ النفقة وبين الخروج وتركها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: لا يدفعه أحد عن الانتقام، ﴿حَكِيمٌ﴾: يرضى المصالح، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يتقون الشرك، لما نزل في المتعة: "حقاً على المحسنين"، قال رجل: إن شئت أحسنت وإن شئت لم أفعل، فترلت، وكثير من العلماء استدلوا بهذه الآية على أن المتعة لكل مطلقة^(٢)، ﴿كَذَلِكَ﴾، مثل أحكام الطلاق والعدة، ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: في إحلاله وتحريمه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون وتدبرون .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ

(١) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالوا الآية غير منسوخة ومعناها أن للزوجات السكنى سنة كاملة في بيت أزواجهن ولا يمنع من ذلك، وإذا انقضت عدتهن بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل واختزن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فلهن الاختيار وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمه الله عليه / ١٢ .

(٢) وهو أحد قولى الشافعى، وقال بعضهم: هو الجديد الصحيح، وأجابوا بأن الآية المتقدمة بعض أفراد العموم فلا تخصيص / ١٢ .

مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾^(١) إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا^(٢) مِنْ دِيَارِهِمْ: فراراً من الطاعون، ﴿وَهُمْ أَلُوفٌ﴾: أربعة آلاف، أو ثمانية وأربعون ألفاً والاختلاف كثير، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾،

(١) خطاب عام لكل أحد وإن لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب، دلالة على شيوع القصة وشهرتها، بحيث ينبغي لكل أحد أن يتعجب منها وصلة الرؤية بإلى إن كانت بمعنى الإبصار، فلا اعتبار معنى النظر، وإن كانت إدراكاً بالقلب، فالتضمين على معنى: ألم ينته علمك إليهم / ١٢ .

(٢) ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء كانوا أهل بلدة في زمن بنى إسرائيل، وعن ابن عباس أن اسم البلدة داوردان من قبل واسط، فلما ماتوا حين فروا من الطاعون مر بهم نبي من أنبياء بنى إسرائيل يقال له: حزقيل فدعا الله بإحيائهم فأحياهم / ١٢ منه.

مفعول له، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾: في أثناء طريقهم، ﴿مُوتُوا﴾، أي^(١): حكم عليهم بالموت، فماتوا ليعلموا أن لا فرار من قدر الله، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، بمعجزة نبي، ثم دعا ربه بعد مدة طويلة أن يحييهم^(٢) وهم قائلون: سبحانك لا إله إلا أنت، وكان فيها عبرة ودليل قاطع على المغاد الجسماني، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: حيث أحياهم ليعتبروا ويصدقوا رسله، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، حيث لم يعتبروا، وكان سوق هذه القضية بعث على الجهاد فلذلك قال ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لما علمتم أنه لا ينفع الفرار من الموت، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقوله المتخلف، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضره، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾، مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا وإقراض الله مثل^(٣) لتقدم العمل الذى يطلب به ثوابه، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٤)، وهو الإنفاق في سبيله، ﴿فِيضَاعِفُهُ﴾^(٥) لَهُ أَضْعَافًا، نصب على^(٦) الحال من الضمير المنصوب، أو على المصدر على أن الضعف اسم المصدر، وجمعه للتنويع، ﴿كَثِيرَةً﴾،

(١) وعبر بإماتتهم الله بهذه العبارة دلالة على أن موتهم كان شيئاً بامتنال أمر واحد من أمر مطاع، لا يتوقف في امتثاله، فيكون دفعة خارجاً عن العادة في موت الجماعات/ ١٢.

(٢) أى: فأحياهم وهم قائلون / ١٢ .

(٣) كما مثل بذل المال في أخذ الجنة بالبيع والشراء / ١٢ وجيز .

(٤) "قَرْضًا" إما مفعول به، لأنه ما يعطى من المال وكلام الرمحشرى يشعر بهذا، وإما مفعول مطلق، أى: إقراضاً حسناً من طيب نفس وقيل: حال من ثانى مفعولى "يقترض الله" المحذوف، أى: يقترض شيئاً حال كون الشيء مقرضاً حسناً حلالاً/ ١٢

(٥) من قرأ "يضاعفه" بفتح الفاء فعلى جواب الاستفهام حملاً على المعنى: فإن "من ذا الذى يقترض الله" في معنى أيقترض الله أحداً/ ١٢ .

(٦) قيل مفعول ثانٍ ليضاعف بتضمنين معنى النصير / ١٢ .

عن^(١) ابن عمر لما نزلت " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة
 " [البقرة: ٢٦١] الآية، قال عليه السلام: رب زد أمتي، فنزلت " من ذا الذي يقرض
 الله " [البقرة: ٢٦١] إلخ، قال رب زد أمتي فنزلت " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير
 حساب " [الزمر: ١٠]، «وَاللَّهُ يَقْبِضُ»: يمسك الرزق، «وَيَبْسُطُ»: يوسع على ما
 أراد فلا تبخلوا، «وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ»: فيجازيكم على ما قدمتم، «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ»،
 أى: الجماعة، «مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ بَعَدَ»: وفاة، «مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ»،
 أشمويل، أو شمعون أو يوشع، «إِنِّ بَعَثْنَا لَنَا مَلَكًا»: أفض أميرًا لنا للقتال نتسهي إلى
 أمره، «ثَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» جزمه على الجواب، «قَالَ»: لهم نبيهم، «هَلْ
 عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا»، هو خبر عسيتم، والشرط فاصل
 بينهما، يعنى: أتوقع جنكم عن القتال إن كتب^(٢) عليكم، وأدخل هل مستفهما عما
 هو المتوقع عنده تقريرًا وتبنيًا، «قَالُوا وَمَا لَنَا»، أى: داع لنا، «أَلَّا تُقَاتِلَ»، أى:
 إلى أن نترك القتال، «فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا»، أى: أخذت
 منا البلاد وسبيت الأولاد «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا»: عن الحرب، «إِلَّا
 قَلِيلًا مِّنْهُمْ»، قيل: ثلاثمائة وثلاثة عشر، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ»: فيجازيهم على
 ظلمهم في ترك الجهاد، «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا»:

(١) رواه ابن أبي حاتم / ١٢ [وذكره الهيثمي في "المجمع" (١١٢/٣) وعزاه إلى الطبراني في
 الأوسط وقال: "فيه عيسى بن المسيب"].

(٢) يعنى: لما كان المقصود مضمون الخبر، يعنى: أن لا تقاتلوا خبر عسيتم كانت القيود من
 الاستفهامية والتوقع، ونحو ذلك عائدة إليه، حتى كأنه حاول إثبات تركهم المقاتلة،
 فقيده بأنه على سبيل التوقع دون الجزم، ثم بكونه مستفهما عنه للتقرير، بل التحقيق أن
 الشرط أيضًا قيد فيه لا في التوقع / ١٢ .

أميراً سألتموه للقتال، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾: من أين يستأهل الإمارة؟
 ﴿وَعَلَيْنَا وَنَحْنُ﴾^(١) أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ، لأنه لم يكن من سبط يهوذا^(*)، والملك كان
 في سبطه، قيل: إنه سقاء، وقيل: دباغ، ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَعَةَ مِّنَ الْمَالِ﴾، أى: وهو مع هذا
 فقير لا مال له يقوم بالملك، ﴿قَالَ﴾ لهم نبههم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، أجاب عن
 اعتراضهم أولاً بأنه لست أنا الذى عيّنته، بل الله أمرنى به، وهو أعلم منكم، وثانياً بقوله،
 ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: ووفور العلم وقوة البدن عماد الملك لأنه
 أعرف بطرق السياسة ولأنه أقوى على مقاومة العدو، وثالثاً بقوله، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي
 مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾، أى: هو مالك الملك، فله أن يؤتیه من يشاء من غير اعتراض عليه،
 ورابعاً: بقوله، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: يوسع على الفقير فيغنيه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يليق بالملك
 نسبياً أو غيره، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾، لما طلبوا دليلاً على أن الله اصطفى طالوت، ﴿إِنَّ
 آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: صندوق أخذ العمالقة منهم، ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ
 رَبِّكُمْ﴾: وقار^(٢) ورحمة، من ذهب الجنة تغسل فيه قلوب الأنبياء، فوضع موسى فيه
 الألواح^(٣)، وروح من الله إذا اختلفوا فى شيء يحيرهم ببيان ما يريدون، وفيه أقوال^(٤)

(١) الواو فى "ونحن" حال من ضمير له، والواو فى "ولم يؤت" عطف على الجملة الحالية، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير "علينا" لأن "ولم يؤت" لا يصلح أن يكون حالاً منه والحال ضمير له لا غير لأن "ولم يؤت" حال منه البتة / ١٢ .
 (*) فى الأصل: يهودا، بالدال.

(٢) هذا قول ابن عباس وقتادة، وقيل فى الصندوق: توراته / ١٢ .

(٣) رواه عبد الرزاق عن وهب بن منبه / ١٢ .

(٤) فعن على: كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح حفاة، أى: مصوتة أو شيء يشبه الهرة، وكانوا إذا سمعوا تيقنوا بالنصر / ١٢ منه، أقول هذه التفسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمعهم الله، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب =

آخر ، وفي الجملة في أى مكان كان فيه تطمئن القلوب ، ﴿وَبَقِيَّةٌ^(١) مِّمَّا تَرَكَ^(٢) آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ عصاه^(٣) ورضاض الألواح والتوراة ، وقيل : ثياب هارون وقفيز من المن ، ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ : جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض ، حتى وضعته بين يدي طالوت ، والناس ينظرون ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ، أى : رجوع التابوت ،

= بالمسلمين والتشكيك عليهم ، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً ، وتارة جماداً ، وتارة شيئاً لا يعقل ، وهكذا كل منقول عن بنى إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسيرات المتناقضة مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا رأياً رآه قائله فهم أجل قدراً عن التفسير بالرأى ، وبما لا مجال للاجتهاد فيه ، إذا تقرر ذلك ، عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة ، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة ، فقد جعل الله عنها سعة ، ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لوجب علينا المصير إليه ، والقول به ، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح ، بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن ، كما في صحيح مسلم عن البراء بن عازب ، قال : "كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو ، وجعل الفرس ينفر منها ، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال : تلك السكينة نزلت للقرآن" [ظاهر هذا العزو يشعر بأن مسلماً أخرجه دون البخارى ، وهذا غير صحيح ، فقد أخرجه البخارى في "فضائل القرآن" (٥٠١١) ، ومسلم في صلاة المسافرين] وليس في هذا إلا أن هذه التي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ ، فالله أعلم ، فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة/م.

(١) لم يعين الله البقية والاختلاف كثير / ١٢ وجيز .

(٢) أراد من آلهما الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما ، أو الآل مقحم زيد لتفخيم شأنهما/ ١٢ .

(٣) الأول لابن عباس ، والثاني لقتادة وعكرمة والسدي/ ١٢ .

﴿لَايَةٌ لَّكُمْ﴾: علامة لصدقي في اصطفاؤه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين، وهذا من تمة كلام ذلك النبي عليه السلام، وجاز أن يكون ابتداء خطاب من الله .

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٥٣﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٤﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٦﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾، انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة، وكانوا ثمانين ألفاً، ﴿قَالَ﴾، لهم طالوت، ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: يعاملكم معاملة المختبر، ﴿بِنَهَرٍ﴾: هو بين الأردن وفلسطين، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾، أى: شرب بفيه من النهر، ﴿فَلَيْسَ

مِنِّي : ليس من أشياعي فلا يصحبي، **﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**، من طعم
 الشيء، إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً، **﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾**، استثناء منقطع^(١)
 من قوله فمن شرب، **﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾**، أى: وقع أكثرهم فى النهر
 وكرعوا إلا قليلاً، أو أفرطوا إلا قليلاً، فإنه أيام الحر فكان من اغترف روى، ومن
 شرب منه لم يرو، والقليل ثلاث مائة وبضعة عشر، أو أربعة آلاف من ثمانين ألفاً،
﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾، أى: النهر، **﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾**، أى: القليل الذى لم يخالفوه،
﴿قَالُوا﴾ : بعضهم لبعض، أو ضمير قالوا للذين خالفوا وشربوا، **﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
 بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾** : لكثرتهم وقتلتنا، **﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾** : يعلمون، **﴿أَنَّهُمْ مُّلاقُوا
 اللَّهِ﴾** : يتقنوا لقاءه وثوابه، وهم العلماء من القليل، ومن قال ضمير قالوا للذين
 خالفوا، يقول: المراد من الذين يظنون، هم القليل بجملتهم، فهم والكثيرون تقاؤلو
 بذلك والنهر بينهما، **﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾** : فرقة، وكم خيرية، أو استفهامية، ومن زائدة أو
 مبينة، **﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ﴾** : بحكمه وأمره، **﴿وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ﴾** : بالنصر والإثابة، **﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾** : ظهوروا ودنوا، **﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾** : أصب وأنزل، **﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا﴾** : بتقوية قلوبنا،
﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ﴾ : كسروهم، **﴿يَأْذِنُ اللَّهُ﴾** : بقضائه
 ونصره، **﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ﴾**، كان فى عسكر طالوت، وقد وعده إن قتل
 جالوت أن يزوجه ابنته ويشركه فى أمره ونعمته، فوفى بوعده، ثم آل الأمر إلى داود،
﴿وَاتَّاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ : ملك بنى إسرائيل، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾** : النبوة، **﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا
 يَشَاءُ﴾**، من صنعة الدروع ومنطق الطير، **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾**،

(١) لأن من اغترف ليس ممن شرب بمعنى كرع ولا ممن أفرط ١٢/ .

كما دفع العمالقة بجنود طالوت، ﴿لَفَسَدَتِ^(١) الْأَرْضُ﴾: بغلبة الكفار، أو بشؤمهم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: فيدفع عنهم ببعضهم بعضاً، ﴿تِلْكَ﴾، إشارة إلى حديث الألوف، والتابوت، وطالوت وجالوت، ﴿آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق، ﴿وَأَتَكَ﴾: يا محمد، ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: ومنها يعلم رسالتك، حيث تخبر بها عن تلك المغيبات من غير أن تقرأ وتسمع، أو إنك منهم، فلا بد أن تصر كما صبروا، ﴿تِلْكَ^(٢) الرُّسُلُ﴾: المذكورة قصصهم، أو اللام للاستغراق، ﴿فَضَّلْنَا^(٣) بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، بأن خصصناه بمنقبة، وإن استووا في

(١) يعنى بفساد الأرض، إما فساد الكفار وقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضي إلى خرابها، وإما إهلاك أهلها بالكلية لشؤم عموم الكفر وظهوره / ١٢ .

(٢) أي : تلك الرسل التي ثبت علمهم عندك / ١٢ .

(٣) اعلم أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين حديث الصحيحين، عن أبي هريرة مرفوعاً "لا تفضلوني على الأنبياء"، وفي لفظ: "لا تخيروا بين الأنبياء" فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض، فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى، وليست معلومة عندنا، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً وهذا مفضولاً قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها فإن ذلك تفضيل بالجهل وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له، وهو ممنوع منه، فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن بالإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض، لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك؟ وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه، فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض، والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه، فمن تعرض للجمع بينهما زاعماً أنهما متعارضان فقد غلط غلطاً بيئاً / ١٢ فتح .

القيام بالرسالة ، «مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ»: هو موسى كلمه في الطور ، قيل : هو
 ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلمه ليلة المعراج ، «وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» ، أي :
 محمداً عليه الصلاة والسلام ، فخواصه أكثر ، وأهمه ^(١) لأنه متعين الرجحان ، وقيل :
 إبراهيم ، وقيل : إدريس ، وقيل أولو العزم ، «وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» :
 الحجج القواطع ، خصه بالذكر لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه ،
 «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» ^(٢) : بجريل عليه السلام ، كان يسير معه حيث سار ،
 «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ» ، هداية الناس واتفاقهم ، «مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» : من بعد

(١) ولا يخفاك أن الله سبحانه أهم هذا البعض المرفوع ، فلا يجوز لنا التعرض للبيان له إلا
 ببرهان من الله سبحانه أو من نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو ما يرشد إلى ذلك ،
 فالتعرض لبيانه هو من تفسير القرآن الكريم بمحض الرأي ، وقد عرفت ما فيه من
 الوعيد الشديد ، مع كون ذلك ذريعة إلى التفضيل بين الأنبياء ، وقد نهينا عنه ، وقد
 حزم كثير من أئمة التفسير أنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأطالوا في ذلك واستدلوا بما
 خصه الله به من المعجزات ومزايا الكمال وخصال الفضل ، وهم بهذا الحزم بدليل لا
 يدل على المطلوب ، وقد وقعوا في خطرين وارتكبوا نهين ، وهما تفسير القرآن بالرأي ،
 والدخول في ذرائع التفضيل بين الأنبياء ، إن لم يكن ذلك تفضيلاً صريحاً فهو ذريعة
 إليه بلا شك وشبهة لأن من حزم بأن هذا البعض المرفوع درجات هو النبي الفلاني
 انتقل من ذلك إلى التفضيل المنهي عنه ، وقد أغنى الله نبينا المصطفى صلى الله عليه
 وسلم عن ذلك بما لا يحتاج معه إلى غيره من الفضائل والفواضل ، فإياك أن تقترب إليه
 صلى الله عليه وسلم بالدخول في أبواب هناك عن دخولها ، فتعصيه وتسيء وأنت تظن
 أنك مطيع محسن / ١٢ فتح .

(٢) قد فسرنا من قبل روح القدس بمعان مختلفة ، فما أعدنا إلا الأصح / ١٢ منه ، وقد
 ذكر المصنف في الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة ، وورد في ذلك أحاديث
 صحاح / ١٢ .

الرسول ، فلا يختلفون في الدين ، ولا يكفر بعضهم بعضاً ، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ﴾ : الواضحات ، ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ عَامَنَ﴾ : ثبت على الإيمان
بتوقيفه ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ : كالنصارى ، صاروا فرقاً وتحاربوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَفْتَلَوْا﴾ ، كرره تأكيداً ليعلم كل أحد أنه من عند الله لا من عند أنفسهم ،
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفق بعضهم فضلاً ، ويخذل بعضهم عدلاً .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ
وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ١٢٤ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي
يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ١٢٥ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ
يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ
لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٢٦ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٢٧

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، أراد الزكاة المفروضة ، أو الإنفاق
في سبيل الخير مطلقاً ، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ ، فتحصلون ما تنفقونه ،

(١) ولما ذكر دفع الله الناس بعضهم ببعض ، والدفع لا بد له من إنفاق فحرض المؤمنين
عليه ، فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا " الآية / ١٢ وحيز .

أو تفتدون به من العذاب ، «وَلَا خُلَّةٌ» ، حتى يعينكم ، "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" (الزخرف: ٦٧) ، «وَلَا شَفَاعَةٌ» ، حتى تتكلموا على شفعاء ، إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولاً ، «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» ، قيل: وضع الكافرون موضع التاركون للزكاة تغليظاً ، ويمكن أن يكون المراد منه : والكافرون هم الذين يضعون الأشياء غير موضعها ، فلا تكونوا أيها المؤمنون مثلهم ، في ألا تنفقوا ، فتضعوا أموالكم غير موضعها ، «اللَّهُ^(١) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» : هو المتفرد بالألوهية للكائنات ، «الْحَيُّ» : في نفسه لا يموت أبداً ، «الْقَيُّومُ» : دائم القيام بتدبير الخلق ، «لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ» : فتور يتقدم النوم ، أي : لا تأخذه سنة بلا نوم ، «وَلَا نَوْمٌ» : فلا يستغني ذكر أحدهما عن الآخر ، وفي تقدم السنة مراعاة ترتيب الوجود ، وهو كالملين^(٢) للحي القيوم^(٣) ، «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» : ملكاً وخلقاً ، تقرير لقيوميته ، وتفردة بالألوهية ، «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ^(٤)» ، بيان

(١) ولما ذكر اختلاف العباد في الانقياد والعناد ، واعتماد بعضهم على شفاعة الآباء ، بين لهم أنه متفرد بالألوهية ، وهو المدبر القائم على كل شيء ، لا حراك لأحد إلا بإرادته ، وهو العالم بذرات العالم من الجواهر والأعراض والمقاصد والأغراض فقال : " الله لا إله إلا هو " / ١٢ وجيز .

(٢) لأن من جاز عليه النوم ، جاز عليه الموت ، فلا يكون حياً ولا يكون قيوماً / ١٢ منه .
(٣) فلهذا لم يأت بينهما بالعاطف / ١٢ .

(٤) وفيه من الدفع في صدور عبّاد القبور ، والصك في وجوههم ، والفت في أعضادهم ما لا يقادر قدره ، ولا يبلغ مداه ، والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله تعالى : " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " (الأنبياء: ٢٨) ، وقوله تعالى : " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى " (النجم: ٢٦) ، وقوله تعالى : " لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن " (النبا: ٣٨) بدرجات كثيرة / ١٢ .

لعظمته وجلاله ، ونفي لزعم الكفار أن الأصنام شفعاء ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : ما قبلهم ، أو أمور الدنيا ، أو ما يعلمون ، أو ما حضر عندهم ، والضمير لما في السموات وما في الأرض ، فإن فيهم العقلاء ، ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ ، ما بعدهم ، أو أمور الآخرة ، أو ما لا يعلمون ، أو ما غاب عنهم ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ : من معلوماته ، ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ : أن يعلموا ، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ، الكرسي : العلم^(١) ، أو الكرسي المشهور^(٢) وهو يدل على عظمته ، وقيل : هو الملك

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وروى عن سعيد بن جبير مثله / ١٢ .

(٢) قوله : أو الكرسي المشهور ، أي : الذي هو تحت العرش ، روى الحاكم وصححه ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي ، أنه عليه الصلاة والسلام "قال : والذي نفسي بيده ما السماوات السبع عند الكرسي إلا حلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة" / ١٢ منه ، وفي الفتح ، والظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته ، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطئوا في ذلك خطأً بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً ، وما قال التفتازاني والبيضاوي : إنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق ولا كرسي في الحقيقة ، ولا قاعد وهو تمثيل مجرد - فقول باطل ، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا بمجرد خيالات تسبب عن جهالات وضلالات عن الفلاسفة أقامهم الله تعالى . انتهى . وفي الدر المنثور للشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله (١/٥٨٠) . أخرج الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني في الصفات ، والطبراني وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، والبيهقي ، والخطيب عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ، وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، عن أبي موسى الأشعري قال : الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل ، وأخرج عبد بن حميد وابن أبي عاصم ، في السنة والبراز وأبو يعلى وابن جرير ، وأبو الشيخ في العظمة ، والطبراني وابن مردويه عن عمر قال : "أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال : إن كرسيه وسع السموات والأرض ، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا

= ركب من ثقله ، ما يفضل منه أربع أصابع" انتهى/ ١٢ [حديث عمر هذا قال عنه الشيخ الألباني: منكر، راجع كلامه في الضعيفة] ، (وعلمه التأويل وفقهه في الدين أمين) [وقعت هذه العبارة هكذا في الأصل] ، وفي كتاب العرش للحافظ الذهبي بعد نقله حديث عمر هذا ، هذا حديث محفوظ عن أبي إسحاق السبيعي إمام الكوفيين في وقته ، سمع من غير واحد من الصحابة وأخرجوا حديثه في الصحيحين ، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة، تفرد بهذا الحديث عن عبد الله بن خليفة من قدماء التابعين ، لا نعلم حاله بجرح ولا تعديل ، لكن هذا الحديث حدث به أبو إسحاق السبيعي مقرأً له كغيره من أحاديث الصفات ، وحدث به كذلك سفيان الثوري ، وحدث به أبو أحمد الزبيري ، ويحيى بن أبي بكر ووكيع عن إسرائيل ، وأخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة والرد على الجهمية له عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه ، ولفظه : إذا جلس الرب على الكرسي سمع له أطيلاً كأطيئ الرجل الجديد ، ورواه أيضاً عن أبيه ، حدثنا وكيع بحديث إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه : إذا جلس الرب على الكرسي ، فاقشعر رجل، سماه أبي، عند وكيع فغضب وكيع وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونها ، قلت : وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين ، أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في صحيحه ، وهو من شرط ابن حبان ، فلا أدري أخرجه أم لا فإن عنده أن العدل الحافظ إذا حدث عن رجل لم يعرف بجرح فإن ذلك إسناد صحيح ، فإذا كان هؤلاء الأئمة أبو إسحاق السبيعي والثوري والأعمش وإسرائيل وعبد الرحمن بن مهدي وأبو أحمد الزبيري ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم، ممن يطول ذكرهم وعددهم، الذين هم سرج الهدى ومصابيح الدجى -قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به ، ولم ينكروه ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتى ننكره ونتحلق عليهم ، بل نؤمن به ونكل علمه إلى الله عز وجل ، قال الإمام أحمد: لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته بشناعة شنت وإن نبت عنه الأسماع ، فانظر إلى وكيع بن الجراح =

والسلطنة ، ﴿وَلَا يُوْودُهُ﴾ ، لا يثقلها* ، ﴿حَفِظْهُمَا﴾: السموات والأرض ،
والإضافة إلى المفعول ، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾^(١) : ذاتا وقدرًا وقهرًا ، المتعالي عن الأنداد ،

= الذي خلف سفيان الثوري في علمه وفضله ، وكان يشبهه به في سمته وهديه ، كيف
أنكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث وتذكر ما حفظ عن
الصحابه رضي الله عنهم من أقوالهم بأن الله في السماء على العرش ، وذلك في حكم
الأحاديث المرفوعة ، لأنهم رضي الله عنهم لم يقولوا شيئاً من ذلك ، وقد أخذوه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لا مساغ لهم في الاجتهاد في ذلك ، ولا أن
يقولوه بأرائهم ، وإنما تلقوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنه قول أبي بكر
الصديق رضي الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يعبد محمدًا فإنه قد
مات ، ومن كان يعبد الله الذي في السماء فإنه حي لا يموت ، أخرجه هكذا الدارمي
بإسناد صحيح البخاري في تاريخه من حديث نافع وأطال بذكر أقواله الخلفاء الأربعة
خصوصًا وسائر الصحابة عمومًا / ١٢ .

(*) كذا في الأصل وعليه فالضمير يعود على العظمة ، وهذا غير صحيح إذ الضمير في " ولا
يؤده " المقصود به الله تعالى .

(١) الرفيع فوق خلقه ، المتعالي عن الأنداد والأشباه ، قاله البغوي ، قال العلامة بن القيم في
كتابه زاد المعاد : من ظن أنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، وأن نسبة
ذاته تعالى إلى عرشه كنسبته إلى أسفل السافلين فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن بأنه
أسفل كما هو أعلى ، ومن قال : سبحان ربي الأسفل كما قال : سبحان ربي الأعلى ،
فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه ، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ، أو وصف به
رسوله [وقع في هامش الأصل هاهنا : أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ، أو وصف به
رسوله] فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن به أن أحدًا يشفع عنده بغير إذنه ، وأن بينه
وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه ، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون
بهم إليه ، ويتوسلون بهم إليه ، ويعجلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونه في حاجاتهم إليه
سبحانه وتعالى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه / ١٢ .

﴿الْعَظِيمُ﴾^(١): كل شيء دونه حقير ، ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾^(٢) فِي الدِّينِ ، نزلت في رجل مسلم له ابنان نصرانيان أراد إكراههما لدخولهما في الإسلام ، فالحكم خاص بأهل الكتاب ، أو منسوخ بآية القتال ، وهو خير بمعنى الأمر ، وقيل : خير حقيقة ، إذ الإكراه إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً ، لكن قد تميز الإيمان من الكفر بالحجج والآيات ، فلا يحتاج إلى الإكراه ، ولهذا قال : ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ : بالشيطان ، ﴿وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾ : طلب الإمساك من نفسه أو تمسك ، ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ : من الحبل الوثيق المحكم ، ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ : المأمون من الإنقطاع ، وهو الإيمان ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ : بالأقوال ، ﴿عَلِيمٌ﴾ : بالنيات ، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : ناصرهم ، ومتولى أمورهم ، ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ : الجهل ، وهو أجناس كثيرة ، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ : الهدى والعلم ، وهو واحد ، والجملة خير بعد خير أو حال ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾ : الشياطين يتولون أمورهم ويزينون الجهل لهم ، ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ : الفطرى ، أو لما كان سبباً لعدم إيمانهم كأنه أخرجهم ، ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، وعيد وتحذير .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ أَلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

(١) الكبير الذي لا شيء أعظم منه / ١٢ معالم .

(٢) ولما أوضح الدلائل للعالم وللجاهل صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف إلى إكراه

فيه ، فقال : " ٧ إكراه في الدين " جملة خبرية صورة ومعنى يدل عليه قوله : " قد تبين

الرشد من الغي " الآية / ١٢ وجيز .

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ^(١) إِلَى الَّذِي حَاجَّ: جادل، تعجيب من حماقة نمrod ، ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ عَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ ، أي : لأن آتاه ، يعني : بطر الملك حملة على ذلك ، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ، ظرف لحاج ، ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، أي : الدليل على وجوده حدوث الأشياء بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، فإنه يدل على وجود فاعل مختار ، ﴿قَالَ﴾: الذي حاج ، ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾: بالعفو عن القتل والقتل(*) ، أو

191

قاله عناداً ومكابرة ، وأوهم أنه الفاعل لذلك ، وهذا القول أظهر ، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ^(١) فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ، أي : إذا كنت كما ادعيت^(٢) من الإمامة والإحياء فمن هذا صفته هو المتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير الكواكب وحركاتها ، وهذه الكواكب تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلهاً تحيى وتميت فأنت بها من المغرب ! ، ﴿فَبُهِتَ^(٣) الَّذِي كَفَرَ﴾ : أخرس في هذا المقام ، وصار مبهوئاً مغلوباً ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ : الذين ظلموا أنفسهم بالاتباع عن الحق ، قيل : لا يهديهم محجة الاحتجاج ، ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ ، الأول في قوة قوله : أرأيت مثل الذى حاج ، فعطف عليه بقوله : " أو كالذي " ، وقيل : الكاف مزيدة والمار عزيز ، أو الخضر^(٤) ، أما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس ، حين خربه بختنصر ، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ : ساقطة على سقوفها ، أي : خرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ، أو من خوى إذا خلا ، أي : خالية مع سلامة عروشها ، ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ : استبعاداً لتعميرها بعد شدة خرابها ، والظاهر أن المراد به أهل القرية ، فيكون استعظاماً لإحيائها ، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ ، أي : فألبثه مئتيًا مائة عام ، أراه آية في نفسه ، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ : بالإحياء ، ﴿قَالَ﴾ : الله له بواسطة ملك ، أو بلا واسطة ، ﴿كَمْ لَبِثْتَ

(١) ذكر السدي ، أن هذه المناظرة كانت بينهما بعد أن خرج إبراهيم من النار ، ولم يكن اجتمع به إلا في ذلك اليوم / ١٢ منه .

(٢) اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما في أكثر التفاسير ، إنه انتقال من دليل إلى أوضح منه ، بل من الثاني على ما قررنا يعلم بطلان الأول فتأمل / ١٢ منه .

(٣) وقال : إن هذا إنسان مجنون فأخرجوه ، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على اهتكم فكسرها ، وأن النار لم تأكله ، وخشي أن يفتضح في قومه / ١٢ در منشور .

(٤) منقول عن وهب بن منبه / ١٢ منه .

قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، كقول الطان ، ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ ، ذكر أن معه عنبًا وتينًا وعصيرًا ، فالطعام الأولان ، والشراب الأخير ، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ : لم يتغير لا العنب والتين تعفنا ، ولا العصير استحال ، أفرد الضمير ، لأهما كجنس واحد ، ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ ، كيف تفتت عظامه ، حتى تعلم مكثك مائة سنة ، ﴿وَلَنَجْجَعَكَ غَايَةً لِلنَّاسِ﴾ ، أي : وفعلنا ذلك لنجعلك ، وقيل عطف على مقدر ، أي : فعلنا ذلك ليزداد بصيرتك ولنجعلك ، قيل : كان هو أسود الشعر وبنو بنيه شيب ، ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ : عظام الحمار ، ﴿كَيْفَ نُنَشِّرُهَا﴾ : نخيها ، أو نرفعها ، فتركب بعضها على بعض ، والجملة حال من العظام ، وكيف منصوب بنشزها ، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ : ما أشكل عليه ، قيل : تقديره لما تبين له أن الله على كل شيء قدير ، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ففاعل تبين مضمَر يفسره ما بعده ، أي : صار العلم عينًا بعدما كان غيبًا ، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ، ذكروا السؤاله أسبابًا منها ، أنه لما قال لنمورد : ربي الذي يحيي ويميت ، أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ، ومنها أنه رأى جيفة أكلتها السباع والطيور فسأل ، ﴿قَالَ﴾ : الله ، ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ : بأي قادر على الإحياء ، قال له ذلك ليحيب بما أجاب ، فيعلم الناس غرضه ، أي : أنتكر ولم تؤمن؟ ، ﴿قَالَ بَلَى﴾ ، آمنت ، ﴿وَلَكِنْ﴾ ، سألت ، ﴿لِيُطَمِّنَ قَلْبِي﴾ ، بالمعينة ، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ ، اختلفوا في أنها ما هي ، قيل : غرنوق وطاوس وديك وحمامة ، ﴿فَصُرْهُنَّ^(١) إِلَيْكَ﴾ ، أي : قطعهن منضمت إليك ، أو اضممهن إليك لتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء ، ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنَ الْجِبَالِ الَّتِي بِحَضْرَتِكَ﴾ ، وكانت أربعة أو سبعة ، ﴿مِّنْهُنَّ

(١) صرت الشيء: قطعته وفصلته / ١٢ منه .

جُزْءًا ، تقديره على المعنى الثاني: فصرهن وجزئهن، ثم اجعل إلخ ، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾: قل تعالىن ، ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾: ساعات مسرعات ، أمر بخلط ريشها ولحومها ففعل ، وأمسك رؤوسها ثم دعاهن فجعلت أجزاءهن يطير بعضها ببعض ، حتى اتصلت ثم أسرعن إلى رءوسهن ، ﴿وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء ، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٦) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ * قَوْلٌ مُعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَخْتِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٠﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصْبَاهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

﴿مَثَلُ^(١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طاعته أو الجهاد أو هو والحج ، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ حث على الخير بعد أدلة التوحيد ، وتقديره: مثل نفقتهم كمثل ، أو مثلهم كمثل باذر حبة ، ﴿أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ^(٢)﴾ أي : يخرج منها ساق له سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة ، وهذا تمثيل لا يجب وجوده ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾: تلك المضاعفة ، أو على تلك المضاعفة ويزيد عليها ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ، بحسب الإخلاص ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: لا يضيق عليه الإنفاق ﴿عَلِيمٌ﴾: بقدر الإنفاق ونياتهم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ^(٣) أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾: لا بقول ولا بفعل على من أعطوه ﴿وَلَا أَدَى^(٤)﴾: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهاً ، ثم للفتاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ﴿لَهُمْ^(٥) أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: بلا منة أحد ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من أهوال القيامة ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، على ما فات منهم ، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كلام

(١) ولما ذكر قصتين هما أدل دليل على البعث، أخذ يبين ما ينتفع به يوم البعث ، وفيه أيضاً ما يدل على البعث ، فقال : " مثل الذين ينفقون " الآية / ١٢ و جيز .

(٢) وهذا العدد يوجد في الذرة / ١٢ و جيز .

(٣) ولما بين مضاعفة الإنفاق لمن يشاء وأهمه، بين نوع تبين لمن يشاء فقال : " الذين ينفقون أموالهم " / ١٢ .

(٤) والأذى شامل لـ "المن" حصصه أولاً ، لأنه كثير الوقوع ، والمن من الكبائر ، ففي مسلم : " أن المان أحد من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم " [أخرجه مسلم في " الإيمان " ، (١/ ٣٠٤)] ، ومن الأذى أن تقول : ما أشد إلحاحك ، وخلصنا الله منك / ١٢ و جيز .

(٥) قيل : ترك الفاء في الخبر مع أن المبتدأ متضمن لمعنى الشرط ، لإيهام أنهم أهل لذلك ، وإن لم يفعلوا ، فكيف بهم إذا فعلوا ؟ / ١٢ .

حسن ورد جميل ، ﴿وَمَغْفِرَةً﴾: عفو عن ظلم ، أو تجاوز عن استطالة السائل ، ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن إنفاق كل منفق ، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل في العقوبة ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا﴾ ، ثواب ﴿صَدَقَاتِكُمْ﴾^(١) بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ ، أي : كإبطال^(٢) المنافق الذي ينفق ، ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ ، نصب على المفعول له^(٣) أي : كمن يتصدق لأجل مدحة الناس وشهرته بالصفات الجميلة ، مظهرًا أنه يريد وجه الله ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ﴾ أي : مثل المرائي ، أو مثل من أتبع إنفاقه منًا أو أذى ، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾: حجر أملس ، ﴿عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾: مطر كبير القطر ، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: أملس نقيًا من التراب ، كذلك أعمال المرائين تضحل عند الله ، وإن ظهر لهم أعمال مما يرى الناس كالتراب ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ ، الضمير للذي ينفق ، باعتبار المعنى فإنهم كثيرون ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ، لا ينتفعون بما فعلوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ، الخير وفيه إيماء إلى أن الرياء من صفة الكفار ، فعلى المؤمن أن يحذر عنها ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: تصديقًا وتيقنًا من أصل أنفسهم أن الله سيجزيهم على ذلك ، أو يثبتون أين يضعون صدقاتهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾^(٤) ، أي : مثلهم في الزكاء كمثال بستان ، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بموضع مرتفع ،

(١) نصح المؤمنين عناية وإحسانًا بأنواع من العبارات الرادعة من تلك الخصلة الرديئة والفعلة القبيحة / ١٢ وحيز .

(٢) على هذا التفسير : الكاف في موضع المفعول المطلق على حذف المضاف ، وقيل : جاز أن يكون حالاً من فاعل " لا تبطلوا " بلا حذف / ١٢ منه .

(٣) وقيل : على الحال ، أي : مرآيًا / ١٢ منه

(٤) مثل حالهم بحال الجنة ، في أن نفقتهم كثرت أو قلت زاكية ، كما أن الجنة يضعف ثمرها قوى المطر أو ضعف ، فلوحظ الشبه فيما بين المفردات ، فلا يلزمنا حذف في =

زاد ابن عباس والضحاك: فيها الأنهار ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد ﴿فَنَاتَتْ﴾: أعطت ، ﴿أَكَلَهَا﴾: ثمرتها ، ﴿ضَعِيفِينَ﴾ ، بالنسبة إلى غيرها من البساتين ﴿فَإِنْ لَمْ يُصْبِهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي : فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر ، يعني : نفقاتهم زاكية عند الله ، وإن كانت تتفاوت بسبب أحوالهم ، كما أن الجنة تثمر قلَّ المطر أو كثر ، أو يضعف ثواب صدقاتهم قلَّت النفقة أو كثرت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ، تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص ﴿أَيُّودٌ﴾ ، الهزمة للإنكار ﴿أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ^(١) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، هما لما كان أشرف وأنفع الأشجار جعل الجنة منهما تغليبا لهما ، ثم ذكر سائر الأشجار ليدل على التغليب ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: كبر السن ، فإن الفقر فيه أصعب ، والواو للحال^(٢) بتقدير: قد ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: صغار ونسوان ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ، فصار أحوج ما كان إليها عند الشيخوخة وكثرة ضعاف الأولاد ، والمثل لرجل^(٣) غني يعمل بطاعة الله ، ثم نکص على عقبه فعمل آخر عمره بالمعاصي ، حتى أغرق أعماله ، أو للمنافق^(٤) والمرائي

= الكلام أو تشبيه لحال النفقة حال الجنة ، في كونها زاكية ، كيف ما كانت الحال ، فاحتاج حينئذ إلى تقدير المضاف ، أي : مثل نفقة هؤلاء كمثل جنة/١٢ منه .

(١) كأنه ليس في البستان إلا هذان النوعان من الأشجار ، وهما الأصل والباقي كالفرع فافهم/١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون عطفاً على "تكون له جنة" ، لأن أن المصدرية دخلت عليه ، فصارت للاستقبال ، فلا يجوز عطف الماضي عليه ، فلهذا قلنا: الواو للحال/١٢ منه .

(٣) هكذا رواه البخاري عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم / ١٢. [صحيح البخاري

كتاب التفسير (٤٥٣٨)]

(٤) وهذا منقول عن الحسن ، ومروى عن ابن عباس أيضاً / ١٢ منه .

فإنهم إذا ماتوا واحتاجوا غاية الاحتياج إلى أعمالهم، فقدوها بمرة ، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ، لكي تفكروا فتعتبروا .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٠﴾ إِنْ تُبَدُّوا إِلَى الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخَفَوْهَا وَتَوْتَوْهَا الْفُقَرَاءُ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾: تصدقوا ، ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾^(١): حلاله وخياره ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ، أي : من طيبات ما أخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن ، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾: لا تقصدوا الرديء^(٢) ، ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾^(٣) ، حال من الفاعل ، أو من المفعول ، ومنه متعلق به ، والضمير للخبيث ، أي تخصونه بالإنفاق ، أو منه حال من الخبيث ، والضمير للمال ، كانت^(٤) الأنصار يعلقون أقناء البسر على حبل في مسجد المدينة للفقراء ، فتعمد الرجل منهم إلى الحشف ، فأدخله مع أقناء البسر ، فأنزل الله فيمن فعله "ولا تيمموا" إلخ ، ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِهِ إِلَّا أَنْ تُعْصُوا فِيهِ﴾ ، أي : والحال أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ، إلا^(٥)

-
- (١) قيل: فيه دليل على إباحة الكسب ، وفي الحديث عن المقدام "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أكل أحد طعاماً، خيراً من أن يأكل من عمل يده"، أخرجه البخاري/ ١٢ فتح . [في "البیوع"، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٢٠٧٢)]
- (٢) روى الإمام أحمد أنه قال عليه الصلاة والسلام : "لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يحو السيئ بالسيئ ، ولكن يحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يحو الخبيث" / ١٢ منه. [أخرجه أحمد (٣٨٧/١) وضعف سنده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٦٧٢)، وكذا الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع (١٦٢٥)].
- (٣) أي : لا تقصدوا المال الرديء ، و في الآية الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث ، وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن الآية في الصدقة المفروضة ، وذهب آخرون إلى أنها تعم الفرض والتطوع ، وهو الظاهر / ١٢ فتح .
- (٤) رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والترمذي والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم / ١٢ . [وهو كما قال، وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٣٨٩)]
- (٥) إشارة إلى أنه حذف الجار ، وهو متعلق بأخذه ، على معنى : لا تأخذونه بوجه من الوجوه إلا بالإغماض والتسامح / ١٢ منه .

ياغماض بصر ومساهلة ، فلا تجوزوا في حق الله ما لا تجوزون في حقوقكم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١) معناه : لو كان لكم على أحد حق ، فجاء بحق دون حقكم ، لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ ، عن إنفاقكم ﴿حَمِيدٌ﴾ ، بقبوله وإثابته ، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ : يخوفكم الفقر لتبخلوا ولا تنفقوا في مرضات الله ، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ : بالبخل ، أو المعاصي مطلقاً ، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ ، الوعد للخير والشر ، أي : يعدكم^(٢) جزاء إنفاقكم مغفرة ذنوبكم ، ﴿وَفَضْلاً﴾ ، خلفاً^(٣) أفضل مما أنفقتم ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ : واسع الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ : بالإنفاق ، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾^(٤) : تفسير القرآن ، أو الإصابة في القول ، أو خشية الله ، أو الفهم ، أو السنة ، أو الفقه في الدين ، أو العقل ، أو النبوة^(٥) ، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ، مفعول أول ، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ، في الحديث^(٦) "لا حسد إلا في

(١) فعلى هذا معناه : إلا أن تغوروا فيه وتفتشوا عن حاله ، يقال : مسألة غامضة ، أي : غير واضحة المعنى تطب الغور والتأمل / ١٢ منه .

(٢) قال الفراء : وعدته خيراً وشرّاً ، فإذا أسقطوا الخير والشر ، قالوا : في الخير الوعد والعدة ، وفي الشر الإيعاد والوعيد / ١٢ .

(٣) في الآخرة ، أو في الدنيا ، والخلف : العوض / ١٢ .

(٤) ولما حث على الإنفاق عن الطيب والاجتناب عن الخبيث ، وعدم الخشية عن الفقر والرجاء بالمغفرة والفضل وعدم اتباع المن والأذى ، حرص عبيده على قبول ما حث عليه بمدح العلم والعمل ، فقال : " يؤتي الحكمة " الآية / ١٢ .

(٥) الأول : لابن عباس ، والثاني : لمجاهد ، والثالث : لابن مسعود وأبي العالية ، والرابع : للنخعي ، والخامس : لابن مالك ، والسادس : لمالك ، والسابع : لزيد بن أسلم ، والثامن : للسدي / ١٢ منه .

(٦) رواه البخاري ومسلم وغيرهما / ١٢ . [أخرجه البخاري في "العلم" ، ومسلم في

"صلاة المسافرين"]

اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها" ، ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ : ما يتعظ بالآيات ، ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَبَابِ﴾ : ذوو العقول ، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ﴾ ، قليلة أو كثيرة ، حق أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ﴾ ، في طاعة ، أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ، فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ : الذين يضعون المال في غير موضعه ، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ : ينصرونهم ويمنعونهم من العقوبة ، ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا^(١) هِيَ﴾ : إن أظهرتموها فنعيم شيئاً إبداءها ﴿وَأِنْ تُخْفَوْهَا وَتُوْثَوْهَا الْفُقَرَاءَ﴾ ، تعطوها مع إخفائها ، ﴿فَهُوَ﴾ ، أي : إخفائها ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ، والآية عامة في كل صدقة ، لكن عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن السر في التطوع أفضل من العلانية بسبعين ضعفاً ، وصدقة الفريضة علانيتيها أفضل بخمسة وعشرين ضعفاً ، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ﴾ أي : الله ، أو الإخفاء ، ومن قرأ مجزوماً فهو عطف على محل جواب الشرط ﴿مَنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ، "من" للتبعية^(٢) ، أو لتبيين الجنس ، أي يكفر شيئاً ، هو السيئات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ، ترغيب في الإخفاء ﴿لَيْسَ^(٣) عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي لا يجب عليك جعل الناس مهديين ، فإنه ليس في يدك وقدرتك ، ولكن الهداية من الله ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي : ثوابه ، فلا تمنوا على أحد ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ، الواو حال ، أو عطف ، يعني : المؤمن لا ينفق إلا لمرضات الله ،

(١) فضمير هي هو المخصوص بالمدح ، لكن على حذف المضاف ليحسن ارتباض الجزاء بالشرط ، ويدل عليه تذكير الضمير في " فهو خير لكم " فإنه يرجع إلى الإخفاء / ١٢ .

(٢) فيكون من السيئات ما تكفرها الصدقة ومنها ما لا تكفرها .

(٣) ولما رغب في لزوم الهدى ووجوه الخير ، وأكثرهم معرضون ، لأن ما دعا إليه هادم لما جلبوا عليه من حب المال ، صار صلى الله عليه وسلم شديد الوجد دائم الحزن ، شفقة عليهم ، فخفف عليه الوجد ، فقال : " ليس عليك هداهم " الآية / ١٢ وجيز .

وقيل : نفي في معنى النهي ، قال عطاء الخراساني : معناه : إذا أعطيت لوجه الله ، فلا عليك ما كان عمله ، فإنك مثاب لنيتك ، سواء كان السائل مستحقاً أو غيره ، برّاً أو فاجراً^(١) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ : ثوابه ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ، فلا ينقص ثواب صدقاتكم ، "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بأن لا يتصدق إلا على المسلمين ، حتى نزلت ليس عليك هداهم ، فأمر بالصدقة بعدها على كل سائل من كل دين"^(٢) ، وهذا في التطوع ، أما الواجب^(٣) ، فلا يجوز صرفه إلى الكافر ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾^(٤) أي : الصدقات لهم ، وهم الأولى والأحق ، وإن جاز صرفها إلى غيرهم كما علم من الآية الأولى ﴿الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، حبسوا أنفسهم في الجهاد ، أو أصحاب الصفة ، الذين انقطعوا بكليتهم إلى الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ : ذهاباً فيها للتجارة لاشتغالهم بالجهاد ، أو بالله ﴿يُخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من أجل

(١) أجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلا إلى المسلمين ، وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة ، وخالفه سائر العلماء في ذلك / ١٢ فتح .

(٢) يدل على هذا التفسير ما ثبت أن أسماء بنت أبي بكر حجت فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها، فترلت / ١٢ منه . [أخرجه البخاري في "الأدب"، (٥٩٧٩)، ومسلم في "الزكاة"، (١٠٠٣)]

(٣) رواه ابن أبي حاتم والنسائي عن ابن عباس / ١٢ منه . [أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء عن ابن عباس مرفوعاً، كما في الدر المنثور (٦٣١/١)]

(٤) قال ابن عباس: هم أصحاب الصفة ، يعني :فقراء المهاجرين ، كانوا نحو أربع مائة رجل ، لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر ، وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ، وهم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد خاصة ، أو طاعة الله عامة / ١٢ فتح .

تعفهم عن السؤال ، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من التخشع وأثر الجهد والصفاء ، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي : إن سألوا عن ضرورة لم يلحوا في السؤال ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ، ترغيب في الإنفاق سيما على من تعرفه بسيماه .

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْدِي وَاللِّهَاجِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٨) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٠) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٣٢) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣٤)

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: يعمُّون الأحوال بالخير ، نزلت ^(١) في ربط الخيل يعلفونها دائماً في سبيل الله ، أو في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان له أربعة دراهم فتصدق درهماً ليلاً ، ودرهماً نهاراً ، ودرهماً سرّاً ، ودرهماً علانية ^(*) ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامة ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم ، قال تعالى : " لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ " (الأنبياء: ١٠٣) ، ﴿الَّذِينَ﴾ ^(٢) يَأْكُلُونَ الرِّبَا لما ذكر الأبرار المخرجين للصدقات ، شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالظلم ، وعبر عن الأخذ بالأكل ، لأن الأكل أعظم المنافع ، والربا شائع في المطعومات ، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي : إلقاء قياماً كقيام المصروع ، ﴿مِنْ الْمَسِّ﴾ ^(٣) ، أي : الجنون ، وهو متعلق بلا يقومون ، أو بيقوم ، وفي الحديث "مر عليه

(١) الأول: رواه ابن أبي حاتم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان، كذا قال الهيثمي في "المجمع" (٣٢٤/٦)]، والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبير عن أبيه ، وكذا رواه ابن جرير، ورواه ابن مردويه عن ابن عباس / ١٢ منه .

(*) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (٣٢٧/١) وضعفه.

(٢) ولما ذكر الأبرار النافعين المنفقين، أتبعهم حال الأشرار الآكلين أموال الناس بالظلم فقال: "الذين يأكلون الربا" / ١٢ .

(٣) وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطباع ، وقال: إن الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من أن الشيطان يصرع الإنسان ، وليس بصحيح وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من أن يتخطبه الشيطان ، كما أخرج مسه النسائي وغيره / ١٢ .

السلام ليلة الإسراء على قوم بطونهم^(١) كالبيوت^(٢) ، و أخير أنهم أكلة الربا " ،
﴿ذَلِكَ﴾ أي : العقاب ، **﴿بِأَنَّهُمْ﴾** : بسبب أنهم ، **﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾** :
اعترضوا^(٣) على أحكام الله ، وقالوا : البيع مثل الربا ، وإذا كان الربا حراماً فلا بد أن
يكون البيع كذلك ، **﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾** يحتمل^(٤) أن يكون تنمة كلام
المعترض المشرك ، ويحتمل أن يكون من كلام الله ردّاً عليهم ، أي : اعترضوا ، والحال
أن الله فرق بين هذا وهذا ، وهو الحكيم العليم ، **﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾** :
بلغه وعظ من الله ، **﴿فَانْتَهَى﴾** : فاعتظ وتبع النهي حال وصول الشرع إليه ، **﴿قُلْ مَا
سَلَفَ﴾** من المعاملة ، أي : له ما كان أكل من الربا زمن الجاهلية ، **﴿وَأَمْرُهُ إِلَى
اللَّهِ﴾** : يحكم يوم القيامة بينهم ، وليس من أمره إليكم شيء ، **﴿وَمَنْ عَادَ﴾**^(٥) إلى

(١) رواه البيهقي وابن ماجة والإمام أحمد / ١٢ . [وهو ضعيف، انظر ضعيف ابن ماجة
(٤٩٦)، وضعيف الجامع (١١٣)] .

(٢) قيل : يقومون من قبورهم ، فيسقطون كالمصروع لا يستطيع المشي والقيام من كبر
بطونهم وثقلهم / ١٢ منه .

(٣) الظاهر أن مرادهم أن المحللَ والمحرم أمرٌ وشهوئٌك ، لا حُكْمُ الله سبحانه ، فإنه لو
كان حكم الله لكان الربا حلالاً مثل البيع ، والبيع حراماً مثل الربا ، فتأمل / ١٢ منه .

(٤) ولا شك مَنْ أَحَدٍ أن البيع حلال ، فكذا الربا [حرام] / ١٢ . (ما بين المعقوفتين []
زيادة من عندنا ليست في الأصل أضفناها ليستقيم السياق)

(٥) إلى الاعتراض " فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " لأنهم كفروا ، كما اعترض
إبليس وكفر ، هكذا فسرهُ المفسرون من أهل السنة ، والأصوب أن الأصوب تفسير
الزخمشري ، عفا الله عنه ، وحاصله ومن عاد إلى الأكل والارتكاب ، فإن الجزاء مرتب
على مطلق المرتكب ، لا على الكافر المرتكب ، لأن كون الانتهاء في قوله : " فمن
جاءه موعظة من ربه فانتهى " عبارة عن الانتهاء عن الفعل ، يأبى أن يكون العود
في قوله : " ومن عاد " عوداً إلى الاعتقاد والاستحلال ، وأيضاً إذا كان خلود النار =

تحليله وأكله ، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم ، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: يذهب بركته ، فلا يتنفع في الدنيا والآخرة به ، قد ورد: "ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة(*)" ، ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾: يكثرها وينميها ، وقد^(١) ورد "إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة ، كما يربي أحدكم فلوله أو فصيله حتى يكون مثل أحد^(٢)" ، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾: لا يرتضي ، ﴿كُلُّ كَفَّارٍ﴾: مصر على تحليل الحرام ﴿أَتِيمٍ﴾: فاجر بارتكابه ، ﴿إِنَّ^(٣) الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بما جاء من الله ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ عطفهما على الأعم لشرفهما^(٤) ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من آت ، ﴿وَلَا هُمْ يَخْزَوْنَ﴾ على فائت ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن

= للاستحلال .. إلخ ، فجزاء مرتكب الفعل غير مذكور في الكلام ، مع أنه المقصود الأثم الأهم ، وإذا جعلنا الخلود جزاء الفعل ، علم أن جزاء الاعتقاد الذي هو كفر فوقه بخلاف العكس ، فالأولى أن نجعل هذه الآية طباق آية " ومن قتل مؤمناً متعمداً " (النساء: ٩٣) إلى آخره ، ولا بد لنا من تأويلها ، ومن أحسن التأويلات: أن ارتكاب بعض الكبائر من غير توبة ينجر إلى سوء العاقبة من القتل وأكل الربا / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما ، وانظر صحيح الجامع (٣٥٤٢) .

(١) رواه ابن ماجة والإمام أحمد / ١٢ وجيز . [وهو حديث صحيح ، وانظر صحيح الجامع (١٨١٥)]

(٢) يعني الداعي إلى الربا تحصيل المزيد ، والصارف عن الصدقة الاحتراز عن النقصان ، فبين أن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة والمآل ، والصدقة وإن كانت نقصاناً في الصورة إلا أنها زيادة في الحقيقة / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر حال أكل الربا ، وصفه بأنه كفار أتييم ، ذكر ضده من المطيعين الممثلين شرائع الإسلام ، فقال : " إن الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) وللحث على إيتاء الزكاة في مقابلة الربا / ١٢ وجيز .

كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾: اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رأس المال بعد الإنذار ، إن كنتم مؤمنين بنشرع الله ، كان بين ثقيف وبني مخزوم ربا في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ، طلبت ثقيف فتشاجروا فترلت ، ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ ولم تذروا ما بقي من الربا ، ﴿فَإِذْنُوا﴾: فاعلموا ، ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ، يقال ^(١) يوم القيامة لأكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، أو لابد للإمام أن يستتيعهم ، فإن تابوا وإلا وضع فيهم الحرب والسلاح ، ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الزيادة ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بوضع رءوس الأموال ، وقيل فهم منه أن المصر ، أي : على التحليل ليس له رأس ماله ، لأنه مرتد وماله فيء ، ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: وقع غريم ذو عسرة ، ﴿فَنَظْرَةٌ﴾ أي : فعليكم تأخير ، ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: يسار ، لا كفعل الجاهلية إذا حل الدين ، يطالب إما بالقضاء وإما بالربا ، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بإبراء رأس المال ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أكثر ثوابا ، وقيل: خير مما تأخذونه ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما فيه من الأجر ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: يوم القيامة ، أو يوم الموت ، ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي : جزاء ما عملت ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وهذه ^(٢) آخر آية نزلت من القرآن ، عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها تسع ليال ، أو واحد وثلاثين ^(٣) يوما .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ

(١) كذا قاله ابن عباس وغيره / ١٢ وحيز .

(٢) فقال صلى الله عليه وسلم : "اجعلوها بين آية الربا وآية الدين" / ١٢ وحيز .

(٣) ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سنة إحدى عشرة من الهجرة / ١٢ فتح .

فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمِلِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلِّ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمَّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ ، أي : تعاملتم بمعاملات مؤجلة فاكتبوها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنزلت في السلف ، حرم الله الربا وأباح السلف ، وهذا أمر إرشاد لا أمر إيجاب ، وعن كثير من السلف : أن الأمر للوجوب ، ولكن نسخ بقوله : " فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا " (البقرة: ٢٨٣) ، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ : بالسوية ، لا يزيد ولا ينقص ،

(١) ولما أمروا بالصدقة وترك الربا ، ويحصل منها تقيص المال ، نبه على طريق حلال فيه تنمية المال ، وأكد في كيفية حفظه ، وأمر فيه بعدة أوامر ، فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " الآية / ١٢ وحيز .

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي : لا يأب أن ينفع الناس بكتابته ، كما نفعه الله بتعليمها ، أو مثل ما علمه من كتابة الوثائق ، قال عطاء ومجاهد : واجب على الكاتب أن يكتب ، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ أمر بها بعد النهي عن الإباء تأكيداً ، قيل : جاز أن يتعلق كما علمه الله به ، فالنهي مطلق والأمر مقيد ، ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ : الإملال والإملاء واحد ، أي : وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَنْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أمر بأن يقر بمبلغ المال من غير نقصان ، ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ : محجوراً عليه بتبذير ونحوه ، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ : صبيّاً ، أو مجنوناً ، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ بخرس ، أو جهل باللغة ، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ : الذي يلي أمره ، من وكيل ، أو قسيم ، أو مترجم ، ﴿بِالْعَدْلِ﴾ : بالصدق ، ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ ، اطلبوا شاهدين ، أن يشهدوا على الدين ، ﴿مِنْ رِّجَالِكُمْ﴾ : رجال المسلمين ، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أي : إن لم يكن الشهيدان رجلين ، ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي : فالمستشهد رجل وامرأتان ، وهذا مخصوص بالأموال عند الشافعي ، وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ، ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لعلمكم بعدلتهم ، ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ أي : إن نسيت إحدى المرأتين الشهادة ، ذكرتها الأخرى ، فهو علة اعتبار العدد ، والعلة في الحقيقة التذكير ، ولما كان الضلال سبباً له نزل مترلته ، ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لأداء الشهادة ، وعند بعض ^(١) معناه : إذا دعوا للتحمل ^(٢) ، وحينئذ تسميتهم شهداء باعتبار المشاركة ، وما زائدة ومنه علم أن تحمل

(١) كقتادة والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) روى عن ابن عباس والحسن البصري أنها عام في الأداء والتحمل قيل : في الأداء

واجب ، وفي التحمل ندب / ١٢

الشهادة فرض كفاية ، ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي : لا تملوا ، ولا تمنعكم الملالة أن تكتبوا الحق ، ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ : قليلاً كان الحق أو كثيراً ، ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾^(١) : إلى وقت حلوله ، ﴿ذَلِكُمْ﴾^(٢) إشارة إلى أن تكتبوه ، ﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ : أعدل ، ﴿وَأَقُومُ لِلشَّهَادَةِ﴾ : أثبت لها ، وهما مبنيان من أقسط^(٣) وأقام على مذهب سيبويه ، ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي : أقرب في ألا تشكوا ، لأن ترجعوا بعد الشك في كتابتكم ، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ التجارة ، ﴿تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ تُدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ استثناء من الأمر بالكتابة ، وإدارتها بينهم : تعاطيهم إياها ، بدأ بيد ، ومن قرأ : "تجارة" بالرفع فعنده كان تامة ، أو تديرونها خبر كان ، ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ مطلقاً مؤجلاً ، أو معجلاً ، وهذا الأمر محمول^(٤) على الندب ، وعند الشعبي والحسن للوجوب لكن نسخ ، ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ فهي عن الضرار بهما ، مثل أن يكلفا ترك حاجتهما^(٥) ومهامهم ولا يعطى جعل

(١) أي : أن تكتبوا الصغير والكبير منضمّاً منتهياً إلى وقت حلوله ، يعني : كما يكتب أصل الدين يكتب الأجل أيضاً / ١٢ وجيز .

(٢) كل ذلك ضبط لأموال الناس ، وتحريض على ألا يقع بينهم نزاع / ١٢ وجيز .

(٣) يعني : "أقسط" من المزيد لقصد الزيادة في العدل ، "إن الله يحب المقسطين" لا من المجرّد لأن معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر ، "وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً" ، وكذا أقوم أشد إقامة لا قياماً ، هذا ما قال المصنف في الحاشية .

وفي الوجيز قال صاحب البحر : قسط من الأضداد وفي الصحاح القسـط : -بفتح القاف- الجود -وبكسرهما- : العدل ، فعلى هذا بناء أفعل من الثلاثي ، الذي هو القسط فلا يكون شاذاً ، وكذا أقوم من قام بمعنى : اعتدل / ١٢ .

(٤) عند الجمهور والأحاديث يؤيده / ١٢ منه .

(٥) الأول : لابن عباس وعكرمة ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبـير والضحاك وعطية والسدي ومقاتل بن حبان والربيع بن أنس ، والثاني : للحسن وقتادة وغيرهما / ١٢ منه .

الكاتب ، وعلى هذا يضار مبني للمفعول ، أو معناه نهيها عن الضرار بزيادة ونقصان ، وتحريف وتغيير ، فعلى هذا يكون مبنيًا للفاعل ، «وَأِنْ تَفْعَلُوا» ما نهيتم عنه ، «فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» أي : لاحق لازم بكم ، «وَاتَّقُوا اللَّهَ» في مخالفة أمره ، «وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ» أحكامه وشرائعه ، «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» تكرار لفظ الله في الجمل الثلاث لاستقلال كل منها ، ولأنه أدخل في التعظيم ، «وَأِنْ كُتِبَ عَلَى سَفَرٍ» أي : مسافرين ، «وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا» يكتب لكم ، «فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ» أي : فليؤخذ بدل الكتابة ، رهان مقبوضة في يد صاحب الحق ، وعند بعض السلف أن الرهن لا يجوز إلا في السفر^(١) ، والحديث يرده ، «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا» : بعض الدائنين بعض المدينين ، «فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ» سعى الدين أمانة لائتمانه عليه بترك الإرهان منه ، «وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» في الخيانة ، «وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» قلبه فاعل آثم ، أو مبتدأ ، وآثم خبره ، والجملة خبر إن ، وإسناده إليه للمبالغة ، كقوله : هذا مما عرفه قلبي ، ولئلا يظن أنه من آثام اللسان^(٢) ، بل من آثام القلب ، الذي هو أشرف الأعضاء ، قال ابن عباس

(١) فقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم ، رهن درعه في المدينة من يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير / ١٢ منه . [أخرج البخاري في "الجهاد" ، (٢٩١٦) ، وفي غير موضع من صحيحه ، ومسلم في "المساقاة" ، (١٢٣/٤) ط الشعب]

(٢) قال الشعبي : إذا ائتمن بعضكم بعضًا فلا بأس ألا تكتبوا ولا تشهدوا ، قال أبو سعيد الخدري : هذه نسخت ما قبله / ١٢ منه . وفي الفتح ، بعد نقل قول أبي سعيد ، وأقول : رضي الله عن هذا الصحابي الجليل ليس هذا من باب النسخ فهذا مقيد بالائتمان وما قبله ثابت محكم لم ينسخ وهو مع عدم الائتمان / ١٢ .

(٣) أخرج ابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن المسيب ، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين ، وأخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن شهاب قال : آخر القرآن عهدًا بالعرش ، آية الربا وآية الدين / ١٢ وحيز .

رضي الله عنهما : كتماها من أكبر الكبائر ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تهديد ووعيد .

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٣﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿لِلَّهِ مَا فِي^(١) السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً ، ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ : ما خطر^(٢) ببالكم من السوء ، ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ في

(١) ولما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة سرية وجهريّة بدنية وقلبية واعتقادية وعملية ناسب ختمها بهذه، فقال: "لله ما في السموات وما في الأرض" الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) قال بعض المفسرين: المراد ما عزم عليه لا ما خطر بباله، فإنه لا يؤاخذ به لأنه ليس في وسعه، وفي تفسيرهم بذلك مخالفة للجماهير من السلف وللأحاديث الصحاح/ ١٢ منه .

الآخرة ، لما نزلت ^(١) غمت الصحابة "فقالوا هلكننا ، فقلوبنا ليست بأيدينا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها" فنزلت "آمن الرسول" إلى "عليها ما اكتسبت" فنسختها ، وتجاوز لهم عن حديث النفس وصرح بنسخها أكثر السلف ^(٢) ، وبعضهم صرحوا بعدم نسخها ، وقالوا: يخبرهم الله يوم القيامة بما أخفوا في أنفسهم ، فيغفر للمؤمنين ، ويؤاخذ أهل الشك والنفاق ، فمعنى المحاسبة: الإخبار ، وعن عائشة ^(٣) رضي الله عنها "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سألت عن الآية : هذه معاتبه الله العبد بما يصبه الله من الحمى والنكبة ، حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدوها ، فيفزع لها ، حتى أن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير" ، فعلى هذا المحاسبة المؤاخذه ، لكن المحاسبة إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ مغفرته ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المحاسبة وغيرها ، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وجه نزول الآية قد ذكرناه وهو أنهم قالوا : "سمعنا وأطعنا" لا كما قال أهل الكتاب : "سمعنا وعصينا" (البقرة: ٩٣) قوله : "والمؤمنون" عطف على الرسول ، ﴿كُلٌّ﴾ : من الرسول والمؤمنين ، ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ، ﴿لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ في الإيمان بهم ، ولا نقول : "نؤمن ببعض ونكفر ببعض" (النساء: ١٥٠) ، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ ، قول الله ، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمره ، نسال ، أو اغفر ،

(١) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة وروى الإمام أحمد عن ابن عباس وابن جرير عنه أيضاً / ١٢ منه . [أخرجه مسلم في الإيمان] .
(٢) وصح الرواية بنسخها عن علي وابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم / ١٢ منه . [أخرجه الترمذي (٣١٧٦-أحوزي) بسند ضعيف]

﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع بعد الموت ، ﴿لَا يُكَلِّفُ^(١) اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ما يسعه قدرتها ويتسع فيه طوقها ، لا ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من شر ، ولما كان الشر مما تشتهي النفس ، وهي أجدُّ وأعمَلُ فيه ، جعلت لذلك مكتسبة فيه بخلاف الخير ، فإنها لما لم تكن فيه كذلك وصفت بما ليس فيه الاعتماد ، فقال: كسبت ، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا^(٢) أَوْ أَخْطَاْنَا^(٣)﴾ سألوا^(٤) الله التجاوز عنهما فأجاب ، ففي^(٥) الحديث "وضع عن أمي الخطأ والنسيان" ، وأما دعاؤنا حيثذ بهما ، فيمكن أن يكون لإدامة الوعد ، وأن يجعلنا ممن وعد له التجاوز عنهما ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾: تكاليف شاقة ، تأصر صاحبه: تحبسه في مكانه ، وإن أطلقناها ، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ، مثل الذي حمَلْتُهُ إياهم فيكون صفة إصرار وهو التكاليف الشاقة وما أصابهم من الحن ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾:

(١) ولما أخبر سبحانه عن عقائدهم وتضرعهم في المسألة بحيث يبان منه رضاؤه ، استأنف بخبر معه ، أنه سبحانه لا يكلف عباده من أفعال القلوب وأفعال الجوارح إلا بما هو وسع المكلف ، " لا يكلف " الآية / ١٢ .

(٢) قيل الخطأ: والنسيان قلما يتفقان ، إلا عن تقصير سابق ، فالمراد من الدعاء عدم المؤاخذه به / ١٢ منه .

(٣) ودعاؤنا بعد وضع الخطأ والنسيان عنا ، كالدعاء بالألّا تؤاخذنا بتفريط ، أو أفعال تفضي إلى خطأ أو نسيان ، أو الغرض من الدعاء تذكّر الفضل بالعرف عنهما والتدلل بين يديه / ١٢ وحيز .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه ، [وكذا البيهقي بسند صحيح ، وانظر صحيح الجامع (٧١١٠) ، وراجع الإرواء (ح ٨٢)] وفي مسلم عن أبي هريرة وابن عباس "قال الله: قد فعلت" / ١٢ منه .

من المصائب، والتشديد هاهنا لتعديته إلى مفعول ثان ، ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: امح عنا ذنوبنا ، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: واستر لنا عيوبنا ، ﴿وَارْحَمْنَا﴾ في الدنيا ، فلا توقعنا في ذنب^(١) آخر ، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: ولينا وناصرنا ، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ، وفي الحديث: "في آخر كل دعوة^(٢) من هذه الدعوات ، قال الله تعالى: فعلت ونعم" ، وفي الحديث ، "فضلنا على الناس ثلاث: أوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة^(٣) من بيت^(٤) تحت العرش، لم يعطها أحد قبلي ولم يعطها أحد بعدى^(*) .
والحمد لله حق^(٥) حمده .

-
- (١) عن بعض السلف، المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه، وأن يستره عن عباده فلا يفضحه ، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره / ١٢ منه .
- (٢) الظاهر أن دعاءه عليه السلام بهذه الدعوات قراءته بهذه الآية ، ويحتمل أن يكون قد دعا بها، فترلت الآية حكاية / ١٢ منه .
- (٣) وفي مسلم أعطي الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً / ١٢ منه .
- (٤) كناية وتمثيل لما فيه من كثرة الخير والبركة والثواب / ١٢ منه .
- (٥) أخرجه بنحوه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة مرفوعاً بلفظ: "أعطيت هذا الآيات من آخر سورة البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي" وانظر صحيح الجامع (١٠٦٠) .

(٥) روى ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال : لا أدري أن أحداً يعقل لغة الإسلام ينام، حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنها من كثر تحت العرش/ ١٢ .

سورة آل عمران

وآياتها مائتان وركوعاتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝﴾

﴿الم﴾ قد مر تفسيرها^(١)، فلا نعيده ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ المتفرد بالالوهية

(١) قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة فكان بعضهم يجعلها أسماء للصور تعرف كل سورة بما افتتحت به منها، وكان بعضهم يجعلها أقساماً، وكان بعضهم يجعلها حروفاً مأخوذة من صفات الله تعالى يجتمع بها في المفتاح الواحد صفات كثيرة، كقول ابن =

﴿الْحَيِّ﴾ الذي يصح أن يعلم أو يقدر ﴿الْقَيُّومُ﴾ دائم الحفظ للكائنات ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ

= عباس في "كهيعص": إن الكاف من كاف، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وقال الكلبي: هو كتاب كاف هاد حكيم عالم صادق، ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجاً منها إن شاء الله.

فإن كانت أسماء للسور فهي أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء، وتفرق بينها فإذا قال القائل: قرأت "المص" أو قرأت "ص"، أو "ن" دل بذلك على ما قرأ كما تقول: لقيت محمداً، وكلمت عبد الله فهي تدل بالاسمين على العينين، وإن كان قد يقع بعضها مثل "حم"، و"الم" لعدة سور - فإن الفصل قد يقع بأن تقول "حم السجدة" و"الم البقرة" كما يقع الوفاق في الأسماء فتدل بالإضافات وأسماء الأباء والكنى.

وإن كانت أقساماً فيجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، فقال: "الم" وهو يريد جميع الحروف المقطعة كما يقول القائل: تعلمت "أ ب ت ث" وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنه لما طال أن يذكرها كلها اجتزأ بذكر بعضها، ولو قال: تعلمت "حاء طاء صاد" لدل أيضاً على حروف المعجم كما دل بالقول الأول، إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون: قرأت "الحمد لله"، يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها هذا الأكثر وربما دلوا بغير الأول أيضاً، أنشد الفراء:

لما رأيت أنها في حطى أخذت منها بقرون شط

يريد في "أبي جاد"، فدل بحطى كما دل غيره بأبي جاد.

وإنما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها، وفضلها، ولأنها مباني كتبه المتزلة بالألسنة المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأصول كلام الأمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحدون.

وقد أقسم الله في كتابه بالفجر، والطور، وبالعصر، وبالتين والزيتون وهما جبلان ينبتان التين والزيتون - يقال لأحدهما: طور زيتا، وللآخر: طور تينا بالسريانية - من الأرض المقدسة، فسماهما بما ينبتان.

الكتاب: القرآن. **«بالحق»**: بالصدق، أو بالعدل؛ وهو حال **«مصدقاً لما بين يديه»** من الكتب أنه من عند الله **«وأنزل التوراة»** على موسى **«والإنجيل»** على عيسى **«من قبل»** من قبل تنزيل القرآن **«هدى للناس»** في زمانهما **«وأنزل الفرقان»** الفارق بين الحق والباطل، وهو جنس^(١) الكتب الإلهية عم بعد ما خص ذكر الثلاثة، أو القرآن^(٢) كرر ذكره بوصفه تعظيماً له **«إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد»** يوم القيامة **«والله عزيز»** غالب لا يغلب **«ذو انتقام»** عقوبة على من خالف الرسل **«إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض»**^(٤) **«ولا في السماء»** قيده

= وأقسم بالقلم إعظاماً لما يسطرون، ووقع القسم بها في أكثر السور على القرآن فقال "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة: ١، ٢)، كأنه قال وحروف المعجم هو الكتاب لا ريب فيه. و"الم الله لا إله إلا هو" أي: وحروف المعجم هو الله لا إله إلا هو. و"المص كتاب أنزل إليك" (الأعراف: ١، ٢)، أي: وحروف المعجم هو كتاب أنزل إليك و"يس والقرآن الحكيم" (يس: ١، ٢) [وفي الأصل: ياسين]، و"ص والقرآن ذى الذكر" (ص: ١)، و"ق والقرآن المجيد" (ق: ١)، كله أقسام/ م تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

(١) فإن الكتب السماوية كلها فارقة بين الحق والباطل، قيل: فيه إشارة إلى أن للقرآن تنزيلاً وإنزالاً بخلاف الكتابين فهما إنما نزلا جملة واحدة لا منجما أي: المراد من الفرقان القرآن، وفائدة التكرير وصف القرآن بالإنزال والتنزيل، فإنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا ثم منه نزل منجماً إلى الأرض بخلاف سائر الكتب فإنه أنزلها جملة على الرسل لا منجما/ ١٢.

(٢) وهو قول قتادة/ ١٢.

(٣) وصف ذاته الأقدس بالحياة، والقيومية، وإنزال الكتب، وإعداد العذاب للكافر، والعزة والانتقام المتفرع على الألوهية من غير شركة ووصفه أيضاً بالعلم فقال: "إن الله لا يخفى"/ ١٢.

(٤) يعنى عبر عن العالم بالسماء، والأرض لما أتتهما العالم كله في النظر الظاهر/ ١٢.

بهما، إذ الحس لا يتجاوز عنهما **﴿هُوَ^(١) الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾** من الصور المتنوعة **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ^(٢)﴾** الغالب في الأمور **﴿الْحَكِيمُ﴾** في الأفعال **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾** القرآن **﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾^(٣)**

(١) ولما قدم صفة العلم أتبعه صفة القدرة، والتدبير فقال: "هو الذي" إلخ/١٢ وجيز.

(٢) ولما ذكر من الصفات الحسنى ما دل على أنه هو المتفرد بالإلهية، وهو الغالب الحاكم ذكر نتيجه فقال: "لا إله إلا هو العزيز الحكيم".

(٣) قال صاحب الفتح: "والأولى أن يقال: إن المحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه أو لا يظهر دلالته لا باعتبار نفسه، ولا باعتبار غيره وإذا عرفت هذا عرفت أن الاختلاف الذي قدمناه ليس كما ينبغي، وذلك لأن أهل كل قول عرفوا المحكم ببعض صفاته وعرفوا المتشابه بما يقابلها ثم نقل تحت قوله تعالى: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به" أقوال العلماء في أن الراسخين في العلم هل يعلمون معنى التشابهات أم لا؟ إلى أن قال: وأقول هذا الاضطراب الواقع في مقالات أهل العلم أعظم أسبابه اختلاف أقوالهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه، وقد قدمنا ما هو الصواب في تحقيقهما ونزيدك هاهنا إيضاحاً وبياناً، فنقول: إن جملة ما يصدق عليه تفسير المتشابه الذي قدمناه - فواتح السور فإنها غير متضحة المعنى، ولا ظاهرة الدلالة لا بالنسبة إلى أنفسها لأنه لا يدري من يعلم بلغة العرب ويعرف عرف الشرع ما معنى الم، المر، حم، طس، طسم ونحوها، لأنه لا يجد بيانها في شيء من كلام العرب، ولا من كلام الشرع فهي غير متضحة المعنى لا باعتبارها نفسها ولا باعتبار أمر آخر يفسرها ويوضحها ومثل ذلك الألفاظ المنقولة عن لغة العجم، والألفاظ العربية التي لا يوجد في لغة العرب ولا في عرف الشرع - ما يوضحها، وهكذا ما استأثر الله به كالروح، وما في قوله: "إن الله عنده علم الساعة ويترل الغيث ويعلم ما في الأرحام" إلى آخر الآية (لقمان: ٣٤)، ونحو ذلك وهكذا ما كانت دلالته غير ظاهرة لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره كورود الشيء محتملاً لأمرين احتمالاً لا =

واضحات الدلالة «هَنْ أُمُّ الْكِتَابِ»^(١) أصله يرد إليها^(٢) غيرها، وهن ناسخ القرآن، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه^(٣) وما يؤمن به، ويعمل به أو قوله: "قل تعالوا" (آل عمران: ٦١)، والآيتان بعدها، وقوله: "وقضى ربك" (الإسراء: ٢٣)، إلى ثلاث آيات بعدها، والآيات كلها في تكاملها كآية^(٤) واحدة، أو كل واحدة منهن أم الكتاب.

= يترجح أحدهما على الآخر باعتبار ذلك الشيء في نفسه، وذلك كالألفاظ المشتركة مع عدم ورود ما يبين المراد من معنى ذلك المشترك من الأمور الخارجة وكذلك ورود دليلين متعارضين تعارضًا كليًا بحيث لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر باعتبار نفسه، ولا باعتبار أمر آخر يرجحه، وأما ما كان واضح المعنى باعتبار نفسه بأن يكون معروفًا في لغة العرب أو في عرف الشرع أو باعتبار غيره، وذلك كالأمور المحملة التي ورد بيانها في موضع آخر في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة والأمور التي تعارضت دلالتها ثم ورد ما يبين راجحها من مرجوحها في موضع آخر من الكتاب والسنة أو سائر المرححات المعروفة عند أهل الأصول المقبولة عند أهل الإنصاف، فلا شك ولا ريب أن هذه من المحكم لا من المتشابه، ومن زعم أنها من المتشابه فقد اشتبه عليه الصواب فاشدد يدك على هذا فإنك تنجو به من مضائق ومزالق وقعت للناس في هذا المقام حتى صارت كل طائفة تسمى ما دل لما تذهب إليه محكمًا وما دل على ما يذهب إليه من يخالفها متشابهًا سيما أهل علم الكلام، ومن أنكر هذا فعليه بمؤلفاتهم/١٢.

(١) عن سعيد بن جبير: إنما سماهن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب/١٢.

(٢) أي: يرجع إليها غيرها فإن لم يكن مخالفا لها تقبل، وإلا فيحكم بطلان ما فهمنا منه/١٢ منه.

(٣) الأول: قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة والضحاك، والسدي وغيرهم، والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسعيد بن جبير/١٢.

(٤) يعني القياس أن يقال هن أمهات الكتاب فأفرد على أن الكل بمترلة آية واحدة أو على تأويل كل واحدة/١٢ منه.

﴿وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ﴾ فيها اشتباه في الدلالة لكثير من الناس إلا للمهرة من العلماء، وبهذا يظهر فضلهم، وهن المنسوخة، والمقدم والمؤخر منه، والأمثال والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به، أو الحروف التي في أوائل السور ^(١) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ عدول عن الحق، كاليهود، وقالت: الحروف المقطعة بيان مدة أجل هذه الأمة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يتعلقون به ليزلوه على مقاصدهم الفاسدة، وأما المحكم فتركوه لأنه لا نصيب لهم فيه. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: الإضلال. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على ما يشتهونه أو بطلب ^(٢) حقيقته وما يثول أمره إليه. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ ^(٣) أي ما هو

(١) روى عن ابن عباس ومقاتل بن حيان ١٢ منه.

(٢) هذا قول مقاتل والسدي ١٢ منه.

(٣) ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من تأويله على اللغة والمعنى ولم يترل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراداه. فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعللة.

وهل يجوز لأحد أن يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه، وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" — جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علم علياً التفسير، ودعا لابن عباس فقال: "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين" [أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٣/٥٣٦)، وهذا لفظه، وهو في الصحيحين بلفظ: "اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب"]، وما روى عبد الرزاق عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: "كل القرآن أعلم إلا أربعاً [في الأصل: ربعاً] غسلين وحنائاً والأواه والرقيم" — كان هذا من قول ابن عباس في وقت ثم علم ذلك بعد/م تأويل مشكل القرآن بتصرف.

الحق، أو حقيقته. **﴿إِلَّا اللَّهَ﴾^(١) وَالرَّاسِخُونَ^(٢) فِي الْعِلْمِ** اختلفوا في الوقف على "الله" عند أكثر السلف أن تأويل بعض الآيات لا يعلمه أحد إلا الله، ومن القراء من يقف على قوله: "والراسخون في العلم"، وهو قول مجاهد وربيع بن أنس، وروى عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. **﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾** خبر الراسخون إن جعلته مبتدأ، وإلا فهو استئناف أحوال. **﴿كُلُّ﴾** : من المتشابه، والمحكم. **﴿مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** وما يتعظ بالقرآن ولا يفهمه إلا ذوو العقول السليمة، وفي الحديث(*) حين سئل عن الراسخين: "من برت يمينه وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم".

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ : من مقال الراسخين أي: لا تملها عن الحق إلى اتباع لمتشابهه بتأويل غير مراد الله. **﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾** : إلى الإيمان بالحكم، والمتشابه. **﴿وَهَبْ لَنَا**

(١) وبعض الأحاديث يؤيدهم، وفي قراءة ابن مسعود إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون، وكذا في قراءة أبي بن كعب/ ١٢ منه، وهو المتبادر إلى الفهم من سوق كلام الله/ ١٢ وجيز.

(٢) قال بعض العلماء: التأويل يطلق على المعنيين. أحدهما: حقيقة الشيء وما يتول إليه أمره كقول الله حكاية عن يوسف: "هذا تأويل رؤياي من قبل" (يوسف: ١٠٠)، وقوله: "يوم يأتي تأويله" (الأعراف: ٥٣).

والثاني: التفسير والبيان فإن أريد به الأول فالوقف على الله، وإن أريد به الثاني فالوقف على قوله: "والراسخون في العلم" / ١٢ منه.

(٥) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٢٤/٦) وقال: "رواه الطبراني وعبدالله بن يزيد ضعيف".

من لدنك رحمة ﴿ تثبت بها قلوبنا ﴾ [إنك أنت الوهاب^(١)]: لكل سؤال. ﴿ربنا
إنك جامع الناس^(٢) ليوم﴾: لجزاء يوم أو في يوم. ﴿لا ريب فيه﴾: في وقوعه. ﴿إن
الله لا يخلف الميعاد﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ
هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۖ كَذَّابِ ۖ عَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ

(١) أخرج الهروي في ذم الكلام عن الإمام الشافعي قال: حكى في أهل الكلام حكم عمر
في ضبيع [كذا في الأصل، والذي في تفسير القرطبي والقاموس (صبع) صبيع] أن يضربوا
بالجرید، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء
من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: "إنه سيأتيكم ناس يبادلونكم بشبهات
القرآن فحنسوههم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله، وأخرج نصر المقدسي
في الحجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في
القرآن هذا يترع بآية، وهذا يترع بآية فكأنما فقى في وجهه حب الرمان، فقال: "أهَذَا
خَلَقْتُمْ أَمْ هَذَا أَمَرْتُمْ؟"، أن تضربوا كتاب الله بعضا ببعض! انظروا ما أمرتم به فاتبعوه
وما نهيتم عنه فاتتهوا". وأخرج ابن الضريس ونصر المقدسي في الحجة عن أبي هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن
كفر ما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه" ١٢/ در منثور [ذكره الحافظ
ابن كثير في "التفسير" (٣٤٨/١) من طريق أبي يعلى الموصلي وقال: "إسناد صحيح
ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة".

(٢) إضافة الجامع إلى الناس إضافة إلى المفعول وليوم متعلق به على حذف المضاف لأن
الجمع ليس لليوم نفسه أو للام. معنى في، والأول أظهر فلا حاجة إلى تقدير ١٢/ منه.

وَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الْمَهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ
الَّتِيقَاتُ فِتْنَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ
وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنَ
لِّلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا بِأَعْمَارٍ لَّنَا دُنُونَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا سَلَمٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ
فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ
وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَسْلَمْتُمْ فَإِن أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا
وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

﴿إِن﴾ (١) الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ محمد (صلى الله عليه وسلم) أو المراد يهود قريظة والنضير.

(١) ولما استعاذوا من الزيف لحرف الجزاء في القيامة بين تعالى حال بعض الزائعين ومآلهم
فقال: ﴿إِن الَّذِينَ﴾ الآية/١٢.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لا يدفع عنهم شيئاً^(١) من عذاب الله أو ما أجزأ عنهم وما كفاهم من رحمة الله شيئاً من الإجزاء على أن يكون شيئاً مصدراً. ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾: حطبها.

﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بـلن تغني أي: لن تغني عنهم كشأن آل فرعون يعني: مثل ما لم تغن عنهم، أو استئناف أي: صنعهم^(٢) وستهم كصنيع آل فرعون. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على آل فرعون. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: حال بإضمار قد أو استئناف، وقيل: الذين من قبلهم مبتدأ وكذبوا خبره ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ هويل وتشديد للمواخذه.

﴿قُلْ﴾: يا محمد. ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾: في الدنيا. ﴿وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبَسَّسَ الْمِهَادُ﴾ جهنم وهو استئناف أو تمام ما يقال لهم لما رجع^(٣) (رسول الله صلى الله عليه وسلم) من بدر حذر اليهود أن يتزل عليهم ما نزل على قريش، فقالوا: لا يغرنك أن قتلت أعماراً لا يعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت الناس فترلت إلى قوله: "العبرة لأولى الأبصار"^(*)، وقيل: الخطاب لقريش.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: أيها اليهود وقيل: أيها المشركون والمؤمنون. ﴿آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتِ﴾: يوم بدر. ﴿فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾

(١) ويصح أن يكون مفعولاً به؛ لأن معنى أغنى عنه كفاه، فشيئاً ثانياً مفعوليه كقوله تعالى "وكفى الله المؤمنين القتال" (الأحزاب: ٢٥)، ١٢/.

(٢) يعني صنيع هؤلاء الكفرة الذين لا يؤمنون بك/ ١٢.

(٣) رواه محمد بن إسحاق عن ابن عباس وعن عاصم بن عمر بن قتادة رضي الله عنهم/ ١٢ منه.

(*) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه عننه ابن إسحاق وهو مدلس. وانظر الدر المنثور (١٦/٢).

يَرَوْنَهُمْ^(١) مَثَلِيهِمْ^(٢) الجملة^(٣) حال، وتقاتل خبر لفظة أو صفة لها، والجملة خبرها أي: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلى عدد المسلمين أو المشركين، ليحصل لهم الرعب، والمسلمون كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر، وهم ما بين تسع مائة إلى ألف، وهذا في أول الأمر وأما في حال القتال فكل من المسلمين والكافرين قتلوا الآخر كما قال تعالى: "وَإِذْ يَرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّقِيتُمْ فِي أُعَيْنِكُمْ" (الأنفال: ٤٣)، إلخ. لتقدموا^(٤) عليهم، ويقضى الله أمراً كان مفعولاً أو يرى المسلمون الكافرين مثلى عدد المسلمين مع أنهم أكثر ليقوى قلوبهم بوعده الله، وهو قوله: "وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين" (الأنفال: ٦٦). أو مثلى عدد المشركين ليتوكلوا أو يطلبوا الإعانة من الله، وحين القتال قللهم الله في أعينهم حتى سأل^(٥) بعض المسلمين بعضهم: هل تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. ﴿رَأَيْ الْعَيْنِ﴾ : رؤية ظاهرة معانية. ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ : نصره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ : أي: التقليل والتكثير وغلبة القليل عليهم. ﴿لَعِبْرَةٌ﴾ : عظة. ﴿لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ : لذوى البصائر.

(١) وقراءة نافع في قوله: "تروهم" بالتاء محمول على الالتفات على ما قدرنا إلا على قول من قال الخطاب في "قد كان لكم" إما للمشركين أو للمؤمنين، فإنه لا يكون من باب الالتفات/١٢ منه [والالتفات هو تحول الكلام من صيغة إلى أخرى كما في قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله: الحمد لله رب العالمين... إلخ، فقد تحول الكلام من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب لغرض بلاغي هو استحضار مقام العبودية، وتجلي الذات الإلهية] د/هنداوي مراجعه.

(٢) أي جملة يروهم/١٢ منه.

(٣) أي ليقدموا كل منهما على الآخر/١٢.

(٤) السائل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه/١٢.

﴿زَيْنٌ﴾^(١) لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ أَي: المشتبهات سماها شهوات مبالغـة. ﴿مِنْ
النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ القناطر^(٢) المال الكثير. ﴿الْمَقْنَطَرَةِ﴾ ذكرت للتأكيد كبدرة
مبدرة أو القنطار ألفا أوقية أو ألف دينار أو ألف ومائتا دينار، وقيل غيرها. ﴿مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾: عطف على النساء. ﴿الْمُسَوِّمَةِ﴾: الراعية^(٣)، والمطهمة^(٤)
الحسان أو الغرة والتحجيل وقيل غيرها. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل، والبقر، والغنم.
﴿وَالْحَرْثَ ذَلِكَ﴾^(٥): إشارة إلى ما ذكر. ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وهى فانية.
﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ أَي: المرجع والثواب وفيه تزهيد من الدنيا.

﴿قُلْ﴾: يا محمد. ﴿أَوْبِئْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾ أأخبر بخير مما زين للناس؟! ﴿لِلَّذِينَ
اتَّقَوْا﴾: الشرك. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾^(٦) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا: من تحت أشجارها.
﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض وسائر الدنس. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنْ

(١) لما ذكر أنه لا يغنى أولادهم ولا أموالهم من الله شيئاً فصل الأموال والأولاد وغيرها مما
هو شاغل عن ذكر الله فقال: "زين للناس"/ ١٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه [المستدرک (١٧٨/٢)] وأقره الذهبي [والثاني قول أنس وابن عباس
والحسن البصري وغيرهم والثالث قول الضحاك من العرب من يقول القنطار ألف
ومائتا دينار وعن أبي سعيد الخدري ملء مسك الثور ذهباً/ ١٢ منه.

(٣) كذا فسره ابن عباس وأكثر السلف، والثاني قول مكحول/ ١٢ منه.

(٤) أي: تام الخلق سميئة/ ١٢.

(٥) فإفراده وتذكيره مع أنه للإشارة إلى جميع ما ذكر نظراً إلى المذكور، وقد جوزوا في
الضمير الأفراد، والتذكير، والتأنيث بالنظر إلى الخير/ ١٢ منه.

(٦) الظاهر أن "جنت" مبتدأ، و"للذين اتقوا" خبره وقيل: جاز أن يكون للذين متعلقاً بخبر،
وجنت خبر مبتدأ محذوف أي: هو جنت/ ١٢ منه.

اللَّهُ: فلا يسخط عليهم أبدًا. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ بأعمالهم وأحوالهم، فيعطيهم ما يستحقونه.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: مرفوع أو منصوب^(١) بالمدح. ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: بإيماننا لك. ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. ﴿الصَّابِرِينَ﴾: على الشرع. ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: في اللسان. ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: المطيعين الخاضعين. ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: من أموالهم في أموالهم في جهات الخير. ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾^(٢) بِالْأَسْحَارِ فَإِنَّمَا وَقْتُ الْإِجَابَةِ، أو المصلين، قيل: هو الذي يصلي الصبح بالجماعة ﴿شَهِدَ﴾^(٣)

(١) قيل: جاز أن يكون مجروراً صفة للذين اتقوا وهذا بعيد جداً، وأما جعله صفة للعباد فالبعد من جهة المعنى، حيث خص كونه بصيراً بالعباد المخصوصين/١٢ منه.

(٢) عن ابن عباس قال: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستغفر بالأسحار سبعين مرة"، وعن سعيد الجري قال: "بلغنا أن داود عليه السلام سأل جبريل أي الليل أفضل؟ قال: يا داود ما أدرى إلا أن العرش يهتز في السحر وقد ثبت في الصحيحين، وغيرهما عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يترل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيته، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له" [أخرجه البخاري في "التهجد" (١١٤٥)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في "صلاة المسافرين"] وفي الباب أحاديث، وفيه وفي أمثاله مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره، ونفى الكيفية عنه وهو الحق/١٢ افتح.

(٣) ولما بين أن المتقين هم القائلون بوحداية ربهم أتبعهم ما يدل على صدق مقالهم، وأنهم مندرجون في زمرة الشهداء الذين هم الملائكة، والأنبياء، والأرلياء فقال: "شهد الله" الآية/١٢ وجيز.

اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(١): بأن نصب أدلة التوحيد أو بين الله أو حكم الله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمِ^(٢)﴾ بالإقرار، وهذه مرتبة جليلة للعلماء. ﴿قَائِمًا^(٣) بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل في أحكامه، وهو حال من الله. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: كرهه تأكيداً، وليبنى عليه قوله ﴿الْعَزِيزُ﴾ فلا يرام جنابه عظيمة. ﴿الْحَكِيمُ^(٤)﴾: فلا يصدر عنه شيء إلا على وفق الاستقامة. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ^(٥)﴾: جملة مؤكدة للأولى أي: لا دين مقبول عنده سوى الإسلام، وهو اتباع سيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ مطلقاً

(١) أخرج ابن عدى والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه والخطيب في تاريخه وابن النجار عن غالب القطان قال: "أتيت الكوفة فترلت قريباً من الأعمش، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر، فقام فتهد من الليل فمر بهذه الآية "شهد الله أنه لا إله إلا هو" إلى قوله: "إن الدين عند الله الإسلام" فقال: "وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهى لى وديعة عند الله" قالها مراراً، نقل هذه القصة السيوطى في الدر المنثور [٢١/٢] قال "الحشى محمد بن عبد الله الغزنوى: وأنا أشهد مراراً وأناذى بهذه الشهادة على رءوس الأشهاد جهاراً أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى وديعة عند الله أشهد أن لا إله إلا هو قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ثم أشهد ، ثم أشهد إلى يوم أموت ويوم أبعث حيا/١٢.

(٢) من الأنبياء والأتقياء بأن أقرؤا واعترفوا وبينوا أدلة التوحيد وكفى للعالمين هذه المرتبة الجليلة/١٢ وحيز.

(٣) نصب قائماً على أنه حال من فاعل شهد وجاز لأنه لا لبس نحو رأيت السلطان وعبيده راكباً/١٢ وحيز.

(٤) قال المحرر: وأنا على ذلك من الشاهدين/١٢.

(٥) قال بعض المحققين: الإسلام انقياد الرسل وأتباعهم في كل حين حتى ختم بسيد الرسل الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته/١٢.

أو اليهود في دين الإسلام بأنه حق أو باطل ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾^(١): بحقية الإسلام. ﴿بَغْيًا﴾: حسداً. ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بما أنزله في كتابه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ المجازاة.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: جادلوك في الدين، والتوحيد. ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾^(٢): أخلصت نفسي وعبادتي له. ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾^(٣): عطف على الضمير المتصل^(٤) يعنى: ديني دين التوحيد الذي ثبت عندكم أيضاً وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني. ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: الذين لا كتاب لهم من العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ لما وضحت الحجة لكم أم أنتم بعد على الكفر؟ وفي هذا النوع من السؤال تعبير^(٥) لهم،

(١) فإنهم علموا من كتبهم حقية الإسلام وقرءوا فيها نعته صلى الله عليه وسلم فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم/١٢ منه.

(٢) أي: انقذت لله بلساني، وعقدى والوجه زيادة كما قال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص: ٨٨)، يريد إلا هو، وقوله تعالى: "إنما نطعمكم لوجه الله" (الإنسان: ٩)، أي: لله، قال زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية:

أسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
دحاهما فلما استوت شداهما	سواء وأرسي عليها الجبالا

(٣) ولا يبعد أن يكون المراد كفاي إسلام أصحابي، فإن أسلمتم فلکم، وإن كفرتم فعليكم، وما علي إلا البلاغ، ولهذا قال: "وقل للذين أوتوا الكتاب" الآية/١٢ وجيز.

(٤) وحاز للفصل/١٢.

(٥) بمعاندتهم وعدم إنصافهم كما إذا أوضحت مسألة على أحد، ثم تقول له: هل فهمت؟! توبيخًا له على البلادة/١٢.

وقيل: استفهام بمعنى الأمر ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: وقد بلغت وليس عليك هداهم. ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ﴾: وعد ووعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بْنَ بَغْيٍ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١١) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (١٢) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (١٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٤) ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٥) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦) ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٧) ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٩) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ تُحْضِرُ خَيْرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ كأهل الكتاب كفروا بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم. ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾: كبنى إسرائيل قتلوا أربعين نبياً في ساعة من أول النهار وفعل آباؤهم فعلهم، وذلك لأن الأنبياء على طريقتهم راضون عن فعلهم^(١). ﴿بَغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي: عندهم أيضاً وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى. ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: قام^(٢) مائة وسبعون رجلاً من بنى إسرائيل أمروا على من قتل الأنبياء بالمعروف فقتلوا في آخر النهار. ﴿فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ اعلم أن من لم يجوز^(٣) الفاء في خبر إن قال: خبره "أولئك الذين" نحو قولك زيد فافهم رجل صالح.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت. ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لأنها لم تحقن دماءهم وأموالهم ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: ما استحقوا ثواباً ﴿وَمَالَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾: ليدفعوا عنهم العذاب.

(١) الدائررون حول قتل سيد الأنبياء، فكأن الأسباط هم الأسلاف فالبشارة بالعذاب للأسباط؛ ولهذا أورد قبائح أجدادهم بصيغة المضارع لأنها بمنزلة فعل أسباطهم ولتذكروها كأن أفعالهم شاهدة/١٢ وحيز.

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢ منه [ذكره ابن كثير في "التفسير" (٣٥٦/١) من طريق ابن أبي حاتم، وفي سنده ضعف].

(٣) والصحيح جواز دخول الفاء في خبر إن إذا كان اسمها متضمناً معنى الشرط نحو: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم" الآية (الأحقاف: ١٣)، "إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات" الآية (البروج: ١٠)، "إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله" الآية (محمد: ٣٤)، /١٢ وحيز.

﴿أَلَمْ تَرَ^(١) إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: كاليهود ومن للتبعض. ﴿يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: التوراة أو القرآن. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ قيل: نزلت في الرجم سألوا محمدًا عليه الصلاة والسلام حد المحسن فحكم بالرجم فما صدقوه فطلب التوراة، فلما أتوا بها ستروا آية الرجم بكفهم، وابن السلام^(*) رفع كفهم عنها وقرأها على اليهود فغضبوا وانصرفوا، أو نزلت لما قالوا: كان إبراهيم يهوديًا. فلما قيل لهم هلموا التوراة فأبوا، وعن ابن عباس وقتادة إنهم دعوا إلى القرآن فأعرضوا عنه. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾، ثم لاستبعاد توليهم مع العلم. ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ قوم عادتهم الإعراض أو معرضون عن كتابهم. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الإعراض. ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل، أربعين يومًا بعدد أيام عبادة العجل أو سبعة أيام بإزاء كل ألف سنة يوم أي: الإعراض بسبب تسهيلهم عذاب الله ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ كقولهم: "لن تمسنا النار" وأن الله وعد يعقوب أن لا يعذب ذريته. ﴿فَكَيْفَ﴾: يكون حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾: لجزاء يوم. ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك في وقوعه مع أنهم كذبوا رسلهم، وقتلوهم، وافتروا. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاءه. ﴿وَهُمْ﴾ أي: كل نفس لأنه في معنى كل إنسان. ﴿لَّا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصان الحسنات وتضعيف السيئات. ﴿قُلِ^(٢) اللَّهُمَّ﴾: يا الله. ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾: لك الملك كله وهو نداء ثانٍ عند من يجعل الميم مانعًا من الوصفية. ﴿تُؤْتِي

(١) ألم تخبر وكذلك أكثر ما في القرآن/١٢.

(*) المشهور أنه: ابن سلام.

(٢) ولما بين ضلال أهل الكتاب، وحال مآلهم بعد الموت أشار إلى مآلهم في الدنيا بأن لهم الذل وانتزاع ديارهم وملكتهم منهم، وعز المسلمين وانتقال ملك أهل الضلال إليهم فقال: "قل اللهم مالك الملك" الآية/١٢ وحيز.

الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ: كمحمد وأصحابه أو الملك بمعنى النبوة. **﴿وَتَتَرَعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾:** أن تتزع منه كاليهود، وصناديد القريش. **﴿وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾:** إذلاله كاليهود والمشركين. **﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾** اكتفى بالخير، لأنه المرغب فيه أو لأن الكلام في الملك والنبوة وهما خير، أو لأن الخير مقضى بالذات إذ ما من شر إلا وفيه أنواع الخير أو لمراعاة الأدب في الخطاب وتقديم الخير للحصر. **﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:** من الخير والشر. **﴿قَدِيرٌ﴾**، وهذه الآية إرشاد إلى شكر نعمه، من تحويل الملك والنبوة والعز للمسلمين، والذل لليهود، وقيل: نزلت لما فتح مكة ووعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح ملك فارس والروم وقالت اليهود والمنافقون: هيهات. **﴿تَوَلَّجُ^(١)﴾** تدخل أي: بالتعقيب أو بالزيادة والنقص. **﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾:** كالحيوان من النطف والنطف منه، والبيض من الطير وعكسه أو كالمؤمن من الكافر وعكسه. **﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:** فمن قدر على مثل ذلك قدر على كل شيء. **﴿لَا يَتَّخِذِ^(٢) الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾:** نهوا عن موالاتهم بصداقة، أو قرابة أو غيرهما **﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** إشارة إلى أنهم الحقيق^(*) بالحب. **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾:** اتخاذهم أولياء بأن يظهر عليهم أسرار المسلمين. **﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾:** من دين الله

(١) ولما ذكر أنه على كل شيء قدير بين ذلك بقوله "تولج" إلخ/١٢.

(٢) ولما بين أن الخير كله بيده، وهو القادر على كل شيء وهو الرزاق فعلى عبده أن يتوكلوا في جميع أمورهم على رهم ولا يتجاوزوا بوجه من الوجوه وحال من الأحوال عن طاعة مولاهم ولا يركنوا إلى أعداء الله - حذر من الركون إليهم فقال: "لا يتخذ المؤمنون" الآية/١٢ وحيز.

(٥) في النسخة (ن): الأحقاء.

وولايته. ﴿فِي شَيْءٍ﴾: فإن محبتي متعادين لا تجتمعان. ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾^(١) مِنْهُمْ تَقَاةٌ أي: إلا أن تحافوا من جهتهم ما يجب أن يتقى فيكون تقاة مفعولاً به وجاز أن تضمن تتقوا معنى تحذروا فيكون معدي بمن، وتقاة مصدر فهو عن الموالة في جميع الأوقات إلا وقت المخافة فإنه جازت المداراة حينئذ باللسان. ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يعني عن عقاب يصدر عن نفسه، وهذا غاية التحذير كما يقال: احذر غضب السلطان نفسه، ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاحذروا كل الحذر.

﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: من ولايتهم وغيرها، ﴿أَوْ تُبْذَرُوْهُ﴾ قيل: إن تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تظهروه بحربه، ﴿يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾: يحفظه الله حتى يجازيكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فكيف لا يعلم سركم وجهركم؟! ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبة متخذى الولاية لهم كأنه قال: "يحذركم نفسه" فإنه متصف بعلم ذاتي محيط^(*) بجميع الكون وقدرة ذاتية تعم المقدورات. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ أي: جزاء ما عملت أو صحائفه، وعامل يوم "تود" أي: تمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم أمداً يوم تجد الخير والشر حاضرين عنده، ولو للتمنى وجملة "لو أن بينها" كالبيان للتمنى أو تقديره: اذكر يوم تجد، وتود حال من فاعل عملت أو ما عملت مبتدأ لا عطف على ما عملت

(١) وتتقوا من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهذا الالتفات في غاية الحسن؛ لأنه حين نهاهم عما لا يجوز جعلهم غائبين، ولما حصل الإذن في بعض ذلك واجههم إيذاناً بلطف الله، وتشريعاً بخطابه إيهاهم ١٢/وجيز.

(*) وفي نسخة (ن): يحيط.

وتود خبره، وحيث ضمير "بينه" لما عملت. ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرهه تأكيداً ليكون على بال منه. ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ : ومن رأفته بهم حذرهم بنفسه.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣) * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٧) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٨) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٩) فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَكِيدًا وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١١) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذَكَرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ (١٢) ﴿

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾: نزلت ^(١) حين سجدوا للأصنام ^(*) زعما منهم أن الباعث لعبادتهم حب الله، وقيل: نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا نعبد المسيح حباً لله. ﴿يُحِبُّكُمْ﴾ ^(٢) الله أي: يرض

(١) منقول عن ابن عباس ذكره البغوى والواحدى وغيرهما/١٢ منه.

(٥) في الأصل: الأصنام.

(٢) قوله تعالى: " إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ " فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله فإنه جزم قوله "يحبكم الله" فجزمه جواباً للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إِنْ تَتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحبته الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول، والمنازعون منهم من يقول: ما ثم محبة ، بل المراد ثواباً مخلوقاً، ومنهم من يقول: بل ثم محبة قديمة أزلية إما الإرادة وإما غيرها والقرآن يدل على قول السلف، وأئمة السنة المخالف للقولين وكذلك قوله: "ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه" (محمد: ٤٧)، فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها وكذلك قوله: "فلما آسفونا انتقمنا منهم" (الزخرف: ٥٥)، وكذلك قوله: "إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ" (الزمر: ٧)، علق الرضى بشكرهم وجعله مجزوماً جزاءً له وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده، وكذلك قوله: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (البقرة: ٢٢٢)، ويحب المتقين، ويحب المقسطين، و"يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً" (الصف: ٤)، ونحو ذلك فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال، وهي جزاء لهذه الأعمال، والمسبب والجزاء إنما يكون بعد العمل والسبب (.....) [ما بين القوسين رموز غير مفهومة لعلها تشير إلى أنه من كلام شيخ الإسلام كما أوضح في الموضع الذى أشار فيه بعد] شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني قدس الله روحه وسيأتى بعض ما يتعلق بالمحبة في تفسير قوله تعالى ﴿وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ (آل عمران: ١٤٦)، إن شاء الله تعالى.

عنكم ويشبكم، «وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ»: والجزم لجواب الأمر يعنى يحصل لكم فوق ما طلبتم^(١) كما قيل: "ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب" «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: باتباعكم للرسول.

«قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا»: عن الطاعة. «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ»^(٢): لا يرضى عنهم أتى بالظاهر بدل المضمّر^(*) دلالة على أن التولي كفر. «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى»^(٣): بالرسالة «آدَمَ وَنُوحًا» ونوح أول رسول بعثه لما عبد الناس الأوثان. «وآلَ إِبْرَاهِيمَ» منهم سيد البشر عليه الصلاة والسلام «وآلَ عِمْرَانَ»: هو والد^(٤) مريم أو والد موسى وهارون. «عَلَى الْعَالَمِينَ»: ومن العالمين الملائكة.

(١) فإنهم طلبوا مرتبة المحبة فيحصل لهم مرتبة المحبوبة، ومن أين إلى أين ١٢/.

(٢) فيه دلالة على أن التولي كفر، وعلى أن مرتكب السيئات يحوم حول وادي الكفر، ولما أوجب طاعة الرسل وبين أنها الجالب لحبة الله عقبه ببيان مناقبهم تحريضًا على طاعتهم، فقال: "إن الله اصطفى آدم" الآية/١٢.

(*) وذلك لأن أصل السياق أن يقول "فإن تولوا فإن الله لا يحبهم" فلما قال "إن الله لا يحب الكافرين" بإيقاع الاسم الظاهر "الكافرين" مكان الضمير "هم" علم أن الله تعالى قد سمى المتولي أى المعرض عن طاعة الله ورسوله كافرا. د/هنداوي.

(٣) عام يراد به خاص ولم يصطفهم على محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا أمهم على أمته ألا تراه يقول: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" (آل عمران: ١١٠)، وإنما أراد عالمي أزمته هذا كقوله سبحانه: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا" (الحجرات: ١٤)، وإنما قاله فريق من الأعراب، وقوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون" (الشعراء: ٢٢٤)، لم يرد كل الشعراء/١٢.

(٤) هذا قول محمد بن إسحاق، والثاني قول قتادة/١٢ منه.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ حال أو بدل من نوح والآلين أي: إهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوال الناس، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفى مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتْ﴾ مفعول لا ذكر، قيل: ظرف لسميع وعليم أي: سميع عليم بقول امرأة عمران وبناتها إذ قالت ﴿امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾: هي أم مريم. ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ أوجبت على نفسى أن يكون ما في بطنى لك لا أستخذه، ﴿مُحَرَّرًا﴾ حال أي: معتقًا مخلصًا للعبادة قيل: كانت لا تحمل فرأت طائرًا يُطعم فرخه؛ فاشتته الولد؛ فدعت؛ فاستجيب دعاؤها، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾: ما نذرت، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: بقولى، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنيتى.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ تأنيث الضمير لأن ما في البطن كان أنثى. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ قالته تحسرًا وعذرًا لما نذرت فإنها ترجو ذكرًا، ولذلك حررتها، وأنثى حال عن مفعول وضعت. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: هو قول الله تعظيما لموضوع كان آية للعالمين، وقرئ: "وَضَعْتُ" فيكون من كلامها تسليية لنفسها لعل الله فيها سرًا، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ فيما نذرت لما فيها من الحيض والنفاس وعدم القوة، وقيل: هو قول الله أيضًا أي: ليس الذكر الذي طلبت كالأُنْثَى التي وهبت، ﴿وَإِنِّي سَمِيتُهَا^(١) مَرْيَمَ﴾: عطف على إني وضعتها أنثى قيل: معنى المريم في لغتهم العابدة. ﴿وَإِنِّي أَعِيزُهَا بِكَ﴾: أجيها بحمايتك، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(٢)﴾: المطرود، في الحديث: "ما من مولود يولد؛ إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إياه،

(١) أشار بقولها إني سميتها مريم إلى أن تفاعلت باسمها حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها/١٢ منه.

(٢) وذكرت ذلك لرمها تقربا إليه وطلبًا لأن يصحبها [تصحفت في الأصل إلى (يصحبها)] حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها/١٢.

إلا مريم وابنها"(*) ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: رضى بها مكان الذكر. ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: بوجه^(١) حسن يقبل به الذائر، ﴿وَأَبْتَهَا﴾: رباها، ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ بشكل مليح، ومعرفة وطاعة بالله وكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، ﴿وَوَكَّلَهَا زَكْرِيَّا﴾؛ لتقبس منه علماً وعملاً، وكان^(٢) زوج خالتها أو زوج^(٣) أختها وقرئ بتشديد الفاء ونصب زكريا على أن يكون مفعولاً ثانياً والفاعل هو الله. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾^(٤) أي الغرفة التي بنى لها في المسجد، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: فأكهة الصيف في الشتاء وبالعكس، أو

(*) أخرجه البخاري في "الأنبياء" (٣٤٣١)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل" (٢٣٦٦)

(١) الظاهر أن يقال فتقبلها قبولاً لأنه مصدر فاحتجنا لتصحيح معنى الباء إلى حمل القبول على الاختصاص المذكور الذي هو ما يقبل به الشيء يجعله بمعنى المفعول بالواسطة أعني ما يقبل به وهو قريب من الآلة/١٢.

(٢) كما ذكره ابن اسحق، وابن جرير، وغيرهما/١٢.

(٣) كما ورد في الصحيح [يعني في حديث المعراج، وقوله فيه: "فإذا يبجى وعيسى وهما ابنا الحالة"].

(٤) أخرج ابن المنذر عن السدي: المحراب: المصلى، وأخرج الطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا هذه المذابح" يعني: المحاريب [أخرجه البيهقي في "الكبرى" (٤٩/٢)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٦٠/٨): "رواه الطبراني وفيه عبدالله بن مغراء وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابن المديني في روايته عن الأعمش وليس هذا منها"]، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن موسى الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذبح كمدابح النصراني" ١٢/ در منشور [الدر المنثور (٣٧/٢)]، وفي الفتوح: قد رويت في كراهية ذلك آثار كثيرة من الصحابة/١٢.

صحفاً^(١) فيها علم والأول أصح، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا﴾: من أين لك في غير أوانه والأبواب مغلقة؟! ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فلا يستبعد قيل: هي كعيسى تكلمت صغيرة، وقيل: لم ترضع ثدياً ويأتى رزقها من الجنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ لكثرة وسعة جوده، وهو يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلامها.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان أو الوقت الذي رأى الأشياء في غير أوانها، وعلم منزلتها، وكرامتها على الله، ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: طمع في الولد من العاقر، ورغب في أن يكون له ولد. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: من غير أسباب ظاهرة^(٢) ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لأم مريم العجوز العاقر ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ بحجبه.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جنس الملائكة فإن المنادى جبريل وحده، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾: في الصلاة،^(٣) ﴿يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ^(٤)﴾ أي: بأن الله، ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ أي: بولد من صلبك اسمه يحيى سمي به لأنه أحياه الله بالإيمان، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى سمي بالكلمة لأنه أوجده بخطاب كن دون أب، وهو أول من صدق عيسى، كانا ابني خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطنى يسجد لما في بطنك، وقيل بكلمة من الله أي: بكتاب الله، ﴿وَسَيِّدًا﴾: حليماً يفوق في الخلق والكرم والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتى النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا يتزل الماء وقيل

(١) الأول لمجاهد وعكرمة وقتادة وجم غفير من السلف وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أنه صحفاً من علم/١٢.

(٢) فإن زوجته أيشاع كانت عاقراً عجوزاً، وكانت أختها حنة أم مريم كذلك
١٢/.

(٣) خير بعد خير، أو صفة لقائم، أو حال/١٢ منه.

(٤) ومن قرأ "إن" بكسر الهمزة فعلى إرادة القول أي: فنادته الملائكة وقالت: "إن الله" أو لأن النداء نوع من القول/١٢ منه.

والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتي النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا يتزل الماء وقيل حصوراً في حبس النفس عن الشهوات(*)، وفي الحديث^(١): "كل ابن آدم يلقي الله بذنب إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيِّداً وحصوراً" ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها فقال: "كان ذكره مثل هذه القذاة"(**). ﴿وَنَبِيًّا﴾: ناشئاً، ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) أو كائناً ممن لم يأت ذنباً. ﴿قَالَ رَبِّ﴾^(٤) أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ استبعاد من حيث العادة واستعظام أو استفهام عن كيفية حدوثه، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي

(*) هذا هو الأرجح لأن الفضيلة لا تتم إلا بحبس النفس عن المعصية مع توفر داوعيا. د/هنداوي

(١) رواه ابن أبي حاتم بروايات متنوعة، وابن المنذر في تفسيره وقد صح عن كثير من الصحابة أنه لم يأت النساء إما لحبس نفسه عن الشهوات أو لأنه عنين، وقد منعه قاضي عياض في الشفاء بأن العنة عيب ونقيصة لا يليق بالأنبياء وقال: "بل معناه أنه معصوم عن الفواحش"، وقال ابن كثير في الحديث المرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام: في هذا المعنى نظر، والموقوف إلى الصحابة أقوى إسناداً من المرفوع/١٢ منه.

(**) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (٣٦٢/١) من طريق ابن أبي حاتم واستغربه، وهو كذلك إذ إن العنة -وهي عدم الميل إلى النساء- صفة نقص وذم منافية لصفات الكمال التي جبل الأنبياء عليها، فضلاً عن أنها قاذحة في رجولتهم وفحولتهم، وقد ثبت أن سليمان -عليه السلام- طاف على سبعين امرأة وفي رواية: مائة امرأة في ليلة واحدة، وكذا نبيا -صلى الله عليه وسلم- طاف على نسائه التسع في ليلة واحدة.

(٢) فمن للابتداء فإنه كان من أصلاب الأنبياء/١٢.

(٣) قال الزجاج: الصالح الذي يؤدي لله ما افترض عليه وللناس حقوقهم/١٢ فتح.

(٤) قيل لما وعده الله تعالى جاءه الشيطان وقال: "إن الصوت الذي سمعت ليس من الله بل من الشيطان" فقال: "رب أن يكون لي غلام" دفعاً للوسوسة فلذلك طلب الآية/١٢ منه.

﴿وَأَمْرَاتِي﴾^(١) عَاقِرٌ: لا تلد. ﴿قَالَ﴾: أي الملك، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل^(٢) ذلك الفعل، فكذلك متعلق يفعل وقيل: "كذلك الله"^(٣) مبتدأ وخبر و"يفعل ما يشاء" بيان أو تقديره: الأمر كذلك، و"الله يفعل" بيان. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً﴾ علامة أستدل على وجود الولد، فأزيد في العبادة شكرًا لك، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: لا تقدر عليه مع أنك سوى صحيح تقدر الحمد والتسبيح، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾^(٤): إشارة بنحو يد ورأس وحاجب، والاستثناء متصل جعله من جنس الكلام؛ لأنه فهم من الرمز ما يفهم من الكلام أو منقطع^(٥) ﴿وَأَذْكُرْ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾: في أيام الحبسة، ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾^(٦): آخر النهار. ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾: أول النهار.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١٢) يَمْرَيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ^(١٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ

(١) أيكون من هذه المرأة أم من امرأة أخرى أو صيرت صغيراً ولوداً وهذا قول الحسن رحمه الله لكن قوله: "قال كذلك الله يفعل ما يشاء" مشعر بالوجه الأول كما لا يخفى/١٢ منه.

(٢) وهو إيجاد الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر/١٢ منه.

(٣) أي على نحو هذه الصفة الله/١٢ منه.

(٤) الرمز تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين، ولا يكون كتاباً/١٢ م.

(٥) كذا ذكره ابن جريج، والسدي عن ابن عباس، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم/١٢ منه.

(٦) أي ما بين زوال الشمس إلى غروبها، فصلاة الظهر والعصر صلاة العشي/١٢ منه.

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ
يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ بِبَشْرِكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَتَمَّهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١١﴾ وَكَلَّمْنَا النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ
كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٣﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١١٤﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ
أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّ الْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿١١٧﴾ * فَلَمَّا
أَحْسَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا
أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٩﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جبريل وهو من جنس الملك، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك أولاً لشرفك^(١)، ﴿وَوَهَّبَكِ﴾: من الأكراد والوساوس، وقيل من الحيض أو من همة اليهود ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢): مطلقاً أو على عالمي زمانها، ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أمرت بالخشوع والطاعة وغاية الخضوع والصلاة مع الجماعة، وجماعة الرجال، أفضل أو كوني^(٤) معهم، قيل ركدت^(٥) في محرابها راحة وساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر في قدميها، ﴿ذَلِكَ﴾: القصص، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: من الغيوب التي لا تعرفها إلا بالوحي، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾: ليعلموا، ﴿أَيُّهُمْ﴾^(٦) يكفل مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالتها وذلك أن أمها يوم ولدتها أتت به سدة بيت المقدس وقالت: "دونكم هذه النذيرة فإني حررتها فتنافس الأبحار

(١) حين تقبلك من أمك وأبيك/١٢ منه.

(٢) روى الترمذي وصححه قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله اصطفى من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله، وآسية امرأة فرعون"، ورواه ابن مردويه أيضاً/١٢ منه [وهو صحيح، انظر صحيح الترمذي (٣٠٥٣) ولفظه: "حسبك من نساء العالمين..."].

(٣) عن مجاهد قال: "لما قيل لها اقْنُتِي لِرَبِّكِ" قامت حتى ورمت قدميها/١٢ در منشور.

(٤) في عدادهم لا في عداد غيرهم/١٢.

(٥) قاله الأوزاعي/١٢.

(٦) لا يمكن تعلق "أيهم يكفل مريم" بيلقون؛ لأنه ليس من الأفعال التي تعلق بالاستفهام، فلا بد من تقديره ليكون الاستفهام في موقع مفعوله وهو ليعلموا فإنه لا بد أن يكون من أفعال القلوب، ويدل عليه يلقون أقلامهم/١٢ منه.

فيها لأنها ابنة إمامهم فأقرعوا بالأقلام التي يكتبون بها التوراة عليها؛ فخرجت القرعة لذكرياء فكفلها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جبريل بدل من إذ يختصمون على أن الاختصام^(١)، والبشارة في زمان متسع أو من إذ قالت، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾^(٢): من الله أي: عيسى، ﴿اسْمُهُ﴾^(٣) ذكر ضمير الكلمة؛ لأن المسمى مذكر، ﴿الْمَسِيحُ﴾^(٤) معرَّب مسيحا بالعبرية أي: المبارك قال بعض السلف لكثرة سياحته سمي به، أو لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ، ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبته إلى أمه حيث لا أب له، ﴿وَجِيهًا﴾: له وجاهة ومكانة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ نصب وجيهاً ومن المقربين على الحال من كلمة؛ لأنها نكرة موصوفة، ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾، عطف

(١) فإن وقت الاختصام ظاهر أنه قبل البشارة بمدة فاحتيج في جواز الإبدال إلى أن يعتبر زمان ممتد يقع الاختصام في بعض أجزائه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك الزمان أنهما في زمان واحد كما يقال: وقع القتال والصلح في سنة واحدة/١٢ منه.

(٢) وفي تفسير أبي السعود في سورة النساء يحكى أن طبيباً حاذقاً نصرانياً جاء الرشيد فناظر على بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له: "إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله"، وتلا هذه الآية أي قوله: ﴿وَكَلَّمْتَهُ أَلقاها إلى مريم وروح منه﴾ فقرأ له الواقدي: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ وقال: "إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزء منه سبحانه؛ فانقطع النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحاً شديداً وأعطى الواقدي صلة فاخرة/١٢ فتح.

(٣) الاسم أحد الثلاثة، وهو عيسى، والمسيح لقبه، وابن مريم صفته والمراد من الاسم هذه العلامة التي بها الامتياز، وهي مجموع الثلاثة لا واحد أو كل واحد علامة مميزة، وليس المراد بالاسم هو العلم المقابل للقب، والكنية فافهم/١٢.

(٤) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله لا على طريق الأنباء الآخر من مادة، وأب، ومدة/١٢.

على وجهها، ﴿فِي الْمَهْدِ^(١)﴾: طفلاً وهو آية ﴿وَكَهْلًا﴾ بالمرّة، وقيل إنه رفع شاباً فامراد (*) كهلاً بعد نزوله فهو آية أخرى قيل: في ذكر "وكهلاً" بشارة لمريم ببقائه أو إشارة إلى أنه لا يصل إلى سن الشيخوخة أو إلى أن كلامه في الحالتين من جنس واحد، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في قوله وعمله عطف على وجهها أو على في المهّد.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ استبعاد عادي؛ لأنها كانت محررة لله والمحررة لا تتزوج أبداً. ﴿قَالَ﴾: جبريل، ﴿كَذَلِكَ^(٢)﴾ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي يخلق مثل ذلك الأمر، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: احدث فيحدث، كان تامة، والمراد تمثيل حصول ما تعلق به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف أو القول حقيقي، ﴿وَيَعْلَمُ^(٣)﴾

(١) الظاهر أن في المهّد ظرف لغو ليكلم لا حال، لكن عطف كهلاً عليه يدل على أنه حال/١٢.

(*) كذا في الأصل.

(٢) نجاز في إعرابه الأوجه الثلاثة التي مرت في "كذلك الله يفعل ما يشاء" وأختار نصبه بأنه صفة لمفعول مطلق؛ لأنه يتبادر إلى الذهن/١٢ منه.

(٣) أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما ترعرع عيسى جاءت به أمه إلى الكتاب فدفعته إليه فقال: "قل" بسم، فقال: بسم الله، قال المعلم قل: الرحمن، قال عيسى: الرحيم، فقال المعلم قل أبوجاد، فقال: هو في كتاب الله، فقال عيسى أتدرى ما ألف؟ قال: لا قال: آلاء الله، أتدرى ما باء قال لا، قال بهاء الله أتدرى ما جيم؟ قال، لا قال جلال الله أتدرى ما اللام قال لا قال: لا إله إلا الله، فجعل يقرأ على هذا النحو فقال المعلم كيف أعلم من هو أعلم مني؟! قالت: فدعه يقعد مع الصبيان فكان يخبر الصبيان بما تدخر لهم أمهاتهم في بيوتهم هكذا نقل السيوطي في الدر المنثور وصححه [٤٦/٢] لكن لا أثق بتصحيحه فالعهدة عليه والله أعلم/١٢ [الخبر ليس بصحيح لانقطاعه].

الكتاب﴾ أي: الكتابة أو جنس الكتب المترلة وهو عطف على يشرك أو وجيها^(١) أو كلام مبتدأ من تمام بشارة مريم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفهم أو معاني كلام الله وقد مر، ﴿وَالْتُورَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ نزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى، وكان يحفظهما. ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تقديره ويجعله^(٢) رسولاً مختبراً بأني قد جئتكم أو عطف على وجيهاً أو كهلاً^(٣) وطفلاً مضمناً معنى النطق كأنه قال: وناطقاً بأني، وتخصيص بني إسرائيل بتخصيص بعثته بهم أو للرد على من قال: إنه ليس مبعوثاً إليهم، ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ﴾ أقدر وأصور ﴿مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: مثل صورته بدل من "أني قد جئتكم" أو من آية أو تقديره: هي أني أخلق ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ أي: في المثل، فالضمير له كاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: حيّاً طياراً بإذن الله، ﴿وَأُتْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾: من^(٤) ولد أعمى، وقيل من يبصر ثمراً لا ليلاً، وقيل بالعكس، ﴿وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ تكرار "بإذن الله" لدفع وهم الألوهية فإن الإحياء ليس من فعل البشر، ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾: الآن، ﴿وَمَا

(١) التوجيه الآخر في العطف هو الأولى؛ لأن قراءة من قرأ و"نعلمه" بالنون يرد الباقي إلا أن يقدر إن الله يشرك بعيسى، ويقول نعلمه الكتاب وأما حديث الالتفات فما لا يلتفت إليه فتأمل/١٢ منه.

(٢) قيل: تقديره وأرسلت رسولا بأني على تقدير القول أي: ويقول أرسلت ليكون عطفاً على يعلمه/١٢ منه.

(٣) لا يجوز أن يكون معطوفاً على المعطوفات المتقدمة؛ لأنها في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لتعلق قوله: إني قد جئتكم فلم يصح بعث الله عيسى مصداقاً أنا، ولكن مصداقاً هو فلذلك وجه بوجهين/١٢ منه.

(٤) الوجهان الأخيران هما قولان لبعض السلف فأوردناهما/١٢.

تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ»: للغد، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: مصدقين للحق.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ منصوب بفعل^(١) مقدر أي: وجئتكم مصدقًا ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: لكتاب أنزل من قبلي، ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَ لَكُمْ﴾ تقديره: وقد جئتكم لأحل، قيل عطف على معنى مصدقًا نحو: جئتكم معتمدًا ولأطيب قلبك^(٢)، ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، في شرع موسى كالشحوم، ولحوم الإبل، وغيرهما، وفيه دلالة على أن شرعه نسخ بعض شرع موسى، وهو الصحيح من القولين، ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حجة على صدقي، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: فيما أقول.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: لما أظهر المعجزة شرع في الدعوة، وقيل الآية قوله: "إن الله ربي وربكم" فإنه المجمع عليه بين الأنبياء والفارق بين النبي والساحر، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريق مشهود له بالا ستقامة، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾: تحقق عنده تحقق المحسوسات، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من يتبعني إلى الله أو إلى بمعنى^(٣) مع وقيل بمعنى في أو اللام أو تقديره: من أنصارى ذاهبًا إلى الله أو في الدعوة إلى الله، ﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ﴾ من الحور، وهو البياض الخالص، وحوارى الرجل خالصته، وقيل: كانوا قصارين سمو بذلك لبياض أثوابهم، وقيل: ملوكًا لا يلبسون إلا البياض، ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا

(١) لا أنه معطوف على رسولا والأحوال قبله لأنه وجب أن يقول لما بين يديه فافهم.

(٢) يمكن عطفه على محذوف أي: جئتكم مصدقًا لأهديكم ولأحل لكم ١٢ منه.

(٣) أي: مع الله، والعرب تقول: "الذود إلى الذود إبل" أي: مع الذود أ والذود قطع من الإبل الثلاث إلى التسع/ ١٢م.

مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ مع أمة^(١) محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: مع الأنبياء فإنهم شهداء لأتباعهم، وقيل: مع الشاهدين بوحدانيتك، ﴿وَوَكِّرُوا﴾ أي: الذين أحس منهم الكفر في قتل عيسى، ﴿وَمَكَّرَ^(٢) اللَّهُ﴾: جازاهم^(٣) على مكرهم حين رفع عيسى، وألقى شبهه على أحد، فأخذوه، وقتلوه، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أقواهم وأقدرهم.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِي مَتْوَفَيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ

(١) نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وصححه، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس/١٢ منه.

(٢) المكر في العبد عيلة يجلب بها غيره إلى مضرة، ولا يسند إلى الله إلا على سبيل المقابلة ووصف تعالى نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بما لكن ليس المكر كالسكر والكيد كالكيد، والله المثل الأعلى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى: ١١) /١٢.

(٣) هذا من باب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه، والمعنيان مختلفان نحو قول الله تعالى: "إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم" (البقرة: ١٤، ١٥) — أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء وكذلك "سخر الله منهم" (التوبة: ٧٩)، "ومكروا ومكر الله"، "وجزاء سيئة سيئة مثلها" (الشورى: ٤٠)، هي من المبتدئ سيئة، ومن الله جل وعز جزاء وقوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (البقرة: ١٩٤)، فالعدوان الأول ظلم والثاني: جزاء والجزاء لا يكون ظلمًا وإن كان لفظه كلفظ الأول، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "اللهم إن فلانا هجانى وهو يعلم أن لست بشاعر اللهم عنه عدد ما هجانى أو مكان ما هجانى" [لا يصح، انظر العلل لابن أبي حاتم (٢٢٨٣)]، أي: جازه جزاء الهجاء، وكذلك قوله تعالى "نسوا الله فنسيهم" (التوبة: ٦٧) /١٢م.

مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَاعَذِّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٣﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿١٥﴾ إِنَّ
مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٦﴾
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٧﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ
هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لمكر الله، ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ المراد من الوفاة ها هنا
النوم^(١)، وعليه الأكثرون أو في الآية تقدم وتأخير تقديره إلى رافعك إلى ومتوفيك
يعنى بعده أو توفاه الله ثلاث ساعات حين رفعه إليه أو سبع^(٢) ساعات ثم أحياه
أو متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت أي: قابضك من الأرض واقياً لم ينالوا منك
شيئاً من توفيت مالى، ﴿وَرَافِعُكَ^(٣) إِلَيَّ^(٤)﴾ إلى محل كرامتى، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

(١) صرح بذلك الحسن، وغيره نقله ابن أبى حاتم/١٢.

(٢) قال ابن إسحاق: النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه/١٢ منه والإجماع
على أنه حي في السماء يترل، ويقتل الدجال، ويؤيد الدين/١٢ وحيز.

(٣) الرفع النقل من أسفل إلى علو/١٢ وحيز.

(٤) قوله: "ورافعك إلى" هذه الآية الشريفة دلت بظاهرها على أن الله تعالى فوق سمواته، =

= وكذلك قوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (النساء: ١٥٨)، وقوله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم) (النحل: ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ (السجدة: ٥)، وقوله تعالى: ﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ (الملك: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (المعارج: ٤)، وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧)، يعنى: أظن موسى كاذباً في أن إلهه في السماء ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى إله في السماء لما قال هذا إذ لو كان قال له إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء لكان هذا القول من فرعون عبثاً، وكان بناؤه القصر جنوناً.

وقال الحافظ شمس الدين بن القيم في إغاثة اللهفان: والأساطين قبله - يعنى أساطين الفلاسفة قبل أرسطو - كانوا يقولون بجدوئه يعنى: بحدوث العالم، وإثبات الصانع ومباينته للعالم وأنه فوق العالم، وفوق السماوات بذاته كما حكاه أبو الوليد رشيد في كتاب مناهج الأدلة وهو أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم، فقال: فيه القول في الجهة وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشاعرة كأبي المعالى ومن اقتدى بقوله إلى أن قال: والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماوات نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال: فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأن إبطاله إبطال الشرائع، ولم تنزل أساطينهم معظمين للرسول والشرائع معترفين بأن ما جاءوا به طوراً آخر وراء طور العقل، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون باب الكلام =

كَفَرُوا: من سوء جوارهم، **﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾**: هم المسلمون من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه من النصارى. أو الخواريون، **﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى**

= إلى الرسل، ويقولون علومنا إنما هي الرياضيات، والطبيعات، وتوابعها إلى آخر ما ذكر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في النقض على المريسي: وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتاب شعار الإيمان: إن إنكار الفوقية شئ سرقه المتأخرون من الفلاسفة، وفي ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله انتهى.

وقال الإمام البخاري في كتاب خلق الأفعال: قال ابن المبارك: "لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض هاهنا بل على العرش استوى، وقيل له كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه انتهى ذكره شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني/١٢.

وقال الإمام أبو عبد الرحمن بن حنبل رحمه الله: ما فطر العباد إلا على أن ربه في السماء/١٢ وقال شاه ولي الله رحمه الله في رسالته الذب عن تقي الدين بن تيمية: والحق في هذا المقام أن الله أثبت لنفسه جهة فوق وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك، وقد نقل الترمذي ذلك عن الإمام مالك ونظرائه انتهى/١٢.

قال شيخ الإسلام بن تيمية في الأجوبة المصرية ولهذا تنوع أهل السنة في اسم الجهة فمنهم من يقول: هو في جهة، ومنهم من يقول: لا أطلق لفظ الجهة وربما قال بعضهم: ليس بجهة، وذلك لأن هذا اللفظ بعينه ليس بمنصوص عن الشارع [تحرفت في الأصل إلى: الشارح (بالحاء)] حتى يتفقوا ومعناه محتمل فمن أثبت به أنه فوق العرش ومن نفاه أراد به أنه ليس في نفس الخلق فلفظ الجهة فيه اشتراك وإجمال انتهى/١٢. وسيأتى إيضاح ذلك في سورة يونس تحت قوله تعالى: **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾** (يونس: ٣)، إن شاء الله تعالى.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بالعبلة والعزة وإلى الآن لم تسمع غلبة^(١) اليهود، «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ»: أيها التابعون والكافرون، «فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»^(٢) من أمر عيسى ودينه.

«فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا» بالسبي والقتل والجلاء وهو بيان حال الفريقين لا تفصيل الحكم الأخروي؛ لأنه ينافية قوله: في الدنيا، «وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

«وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ»: بلا نقص، «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»: لا يرحمهم فهو سبحانه لا يظلم.

«ذَلِكَ»: ما سبق من القصص، «تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ»: حال من مفعول تتلو، أو خير ذلك وتتلوه حال والعامل معنى الإشارة أو خير بعد خير، «وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ» أي من القرآن المحكم الممنوع عن الباطل أو من اللوح المحفوظ، أو من الذكر المشتمل على الحكم. «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ»: شأنه الغريب كشأنه، «خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» أي: خلق قلبه من تراب، والجملة مفسرة للتمثيل، «ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ»: بشرا، «فَيَكُونُ» حكاية حال ماضية شبه الغريب وهو ما لا أب له بالأغرب وهو ما لا أم ولا أب له ليكون أحسم لمادة شبهة الخصم. «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» أي: هو الحق أو الحق المذكور من الله، «فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد ثباته ونهى غيره عن الشك.

(١) وشردهم الله تعالى أى تشريد ليس لهم مدينة يختصمون بها وهم مفرقون في أقطار تحت

قهر اليهود والنصارى/١٢ وحيز.

(٢) ثم فصل المحكوم بينهم إلى مؤمن وكافر وذكر جزاء كل منهما فقال: «فَأَمَّا الَّذِينَ

كفروا» الآية/١٢ وحيز.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، بأنه عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هلموا، ﴿نُذِِعْ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمُ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمُ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، أنفسنا: رسول الله، وعلى بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام^(*)، والعرب تسمى ابن عم الرجل نفسه، وأبناءنا: الحسن، والحسين، ونساءنا: فاطمة رضي الله عنهم هكذا^(١) ذكره السلف، وقيل: معناه يدع كل مني ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه إلى المباهلة، وقدم الأبناء والنساء على النفس؛ لأن الرجل يقدمهم على نفسه ويفدى بنفسه لهم، ﴿ثُمَّ تَبْتَهَلُ﴾ تتضرع في الدعاء أو تتلاعن من الابتهاال الالتعان ﴿فَتَجْعَلُ لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ الفاء على المعنى الأول ألصق، وسبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة في وفد^(٢) نجران النصاري يحاجون في عيسى يزعم بعضهم أنه هو الله، وبعضهم أنه ولد الله وبعضهم أنه ثالث ثلاثة، فأنزل الله فيهم صدر هذه السورة إلى بضع وثمانين آية، فخرج^(٣) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي ودعاهم إلى المباهلة فقالوا: دعنا

(٥) كذا قال، والأولى أن يقال: علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كسائر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن اختصاصه دونهم بالصلاة والسلام عليه، قد يوهم ما عليه من يعتقد نبوته من الشيعة. د/هنداوي.

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن بعض الصحابة وقال: صحيح على شرط مسلم وهو المروى عن ابن عباس والبراء وغيرهم من أكثر السلف/١٢ منه.

(٢) وفد نجران وهم ستون راكبا وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وعلمائهم/١٢.

(٣) رواه ابن مردويه، والبيهقي، والنسائي كل منهم من [كذا بالأصل، و"من" تأتي بمعنى "عن" انظر مع الهوامع للسيوطي بتحقيق د/عبد الحميد هنداوي] أحد من الصحابة وروى البخاري، ومسلم [أخرجه البخاري في "المغازي" (٤٣٨٠)، ومسلم في "الفضائل" (٢٤٢٠)]، والترمذي بعض هذا الذي نقلناه وذكره ابن إسحاق في سيرته بتفصيل، وتطوير/١٢ منه.

ننظر، فاستشاروا فقال كبيرهم: ما لاعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإن أراهم وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزال، فأتوا وقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك، ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ونبذل لك الخراج.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أى: قصص عيسى ومريم، ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: دون ما ذكره، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ: رداً على النصارى فى تثليثهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فلا أحد يساويه فى القدرة، والحكمة، فلا إله غيره، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما أوحيت إليك، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(١)، وضع المظهر موضع المضمّر، دلالة على أن الإعراض من (*) التوحيد والحجج إفساد للدين .

(١) فيه دلالة على أن الإعراض عن التوحيد والحجج إفساد للدين، ولما أتم الحجّة أمر بدنائهم إلى إذعان النتيجة، فقال: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا﴾ الآية/٢٢ وجزئ.

(٥) كذا فى الأصل، وسبق التنبيه عليه آنفاً.

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦١﴾ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٤﴾ إِنِىٓ أَوَّلَىٰ ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِقَايِلِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٦٧﴾ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود، والنصارى، ومن جرى مجراهم، ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾: مستوية، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: لا يختلف فيها رسول، ولا كتاب، والكلمة تطلق على الجملة وتفسيرها قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: نوحده بالعبادة، ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا﴾: فى استحقاق العبادة، ﴿وَلَا يَتَّخِذُ﴾^(١) بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ:

(١) اختلفوا فى معنى اتخاذهم إياهم أربابا بعد الاتفاق على أنه ليس المراد أنه جعلوهم آلهة فقال أكثر المفسرين المراد أنهم أطاعوهم فى أوامره ونواهيهم ثم نقل حديث عدى بن حاتم الذى رواه الترمذى أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿اتخذوا

لا^(١) يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله، أو لا نسجد لأحد، قيل: كما اتخذت النصارى عيسى واليهود عزيزًا، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن إجابة التوحيد، ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾^(٢) بآثًا مُسْلِمُونَ: مقرون بالتوحيد دونكم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تنازعت نصارى نجران، وأخبار اليهود في أن كلا منهما ادعوا أن إبراهيم منهم، ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، الجملة حالية أى: اليهودية والنصرانية حدثتا بترؤلهما على موسى وعيسى،

= أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال: "إنهم لم يكونوا يعبدوهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلووه وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه" [وهو حديث حسن، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١)] نقله بلفظ آخر وذكرت هنا لفظ الترمذي، ثم ذكر قول الربيع أنه قال: قلت لأبي العالية كيف كانت الربوبية في بنى إسرائيل؟ فقال: إنهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الأحرار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم، وما كانوا يقبلون حكم الله تعالى قال العلماء: إنما يلزم له تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج؛ لأن الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان إلا أنه يلعنه، ويستخف به بخلاف أولئك الأتباع المعظمين قال الإمام فخر الدين الرازي: قد شاهدت من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها، وكانوا ينظرون إلى كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها، ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريًا في عروق الأكثرين انتهى ما في التفسير النيسابورى.

(١) كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١) ١٢/ منه.

(٢) يعنى لزمتمكم الحجة فوجب عليكم الاعتراف بإسلامنا وهذا كما يقول الغالب للمغلوب اعترف بأني أنا الغالب ١٢/ وحيز.

(٣) "لم" أصله "لما" حذف الألف وما استفهامية/ ١٢.

وإبراهيم قبلهما بدهر طويل، فكيف يكون عليهما؟! ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتدعون الحال.

﴿هَآأَنَآمُ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: ها: حرف تنبيه، وقيل: أصله أأنتم على الاستفهام التعجبي، فقلبت هاء وأنتم مبتدأ خبره هؤلاء، والجملة التي بعده مبينة للأولى، وقيل: هؤلاء بمعنى الذين، وحاججتم صلتها، وقيل: هؤلاء نداء أى: أنتم يا هؤلاء الحمقى جادلتم عناداً فيما وجدتموه فى كتابكم، ولكم به علم، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: ولم يذكر فى كتابكم من دين إبراهيم، فإنه ربما يجادل الرجل فيما يعلم عناداً لكن فيما لا يعلم لا يبحث عنه إلا فهماً وطلب علم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: شأنه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾، صرح بما دلت عليه الحجة، ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الباطل إلى الحق، ﴿مُسْلِمًا﴾: منقاداً لله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بهم لإشراكهم به عزيزاً والمسيح ورد على مشركى قريش فى زعمهم أنهم على دين إبراهيم، ﴿إِنْ أَوَّلَى﴾^(١) النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ، أقرهم وأحقهم به، ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: على دينه، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: من المهاجرين والأنصار، ومن بعدهم فى^(٢) الحديث: "إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن ولى منهم أبى وخليل ربى" ثم قرأ^(٣) الآية، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ينصرهم لإيمانهم برسله.

(١) مشتق من الولى وهو القرب/١٢ منه.

(٢) رواه الترمذى والبخارى وغيرهم/١٢ منه [وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢١٥٨)].

(٣) قال الرازى: الأصول واحد فى الجميع وأما الفروع فالمخالفة فيها بين دين محمد ودين إبراهيم عليهما السلام قليلة جداً/١٢ وحيز.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أى: اليهود حين دعوا بعض الصحابة إلى اليهودية ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ لو معنى أن، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، فإن المؤمنين لا يقبلون قولهم، ويحصل لهم إثم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ اختصاص ضرره بهم.

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: من التوراة والإنجيل أو القرآن، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: صدقها.

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: تخلطونه بما تخترعونه حتى لا يميز بينهما، أو لم تجعلونه ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبون فى خلاله أو تخطون الإيمان يعيسى بالكفر بمحمد، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نعت محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: عالمون بحقيقة ما تكتُمون.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾ * وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّمَهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنُ إِن تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّمَهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَىٰ مَن أَوفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨١﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ

مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾، أوله سمى وجهًا لأنه أول ما يواجهه الناظر، ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أى: المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ﴾: عن الإسلام، أطلع الله نبيه على مكيدة اليهود، فإنهم اشتوروا أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا؛ ليقول المسلمون: ما رجعهم إلى دينهم إلا اطلاع نقيصة في ديننا ولعلمهم يرجعون عن الإسلام.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: لا تعترفوا، ولا تظهروا التصديق إلا لأشياعكم، ﴿قُلْ إِنِ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾: يهدى من يشاء، ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾^(١) عند ربكم، متعلق بلا تؤمنوا أى: لا تعترفوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم، والمعجزات، ولا بأن يغالبوكم بالحجة يوم القيامة إلا لأشياعكم^(٢)،

(١) قال الواحدي: وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيراً وإعراباً ولقد تدبرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم/١٢فتح.

(٢) قال بعض المفسرين: معناه لا تظهروا ما بأيديكم من العلم إلا لأتباعكم لا إلى المسلمين ليساووكم فيه ويحاجوكم به عند الله وعلى هذا "أن يؤتى" علة للنهي كأنه قيل: لا

ولا تفشوه لا إلى المسلمين ولا إلى المشركين يعنى: إن علمكم بذلك حاصل، لكن لا تظهروه وأوثر في العطف كلمة "أو" ليفيد العموم مثل: "ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً" (الإنسان: ٢٤)، وقوله: "إن الهدى هدى الله" جملة معترضة دالة على أن كيدهم لا طائل تحته، وقيل: قد تم الكلام عند قوله: "إلا لمن تبع دينكم"، والمعنى على الوجهين الأولين الآتين ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر، وهو إيمانكم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم قبل ذلك ثم أسلم لعلهم^(١) يرجعون، فإن رجوعهم أرجى عندكم، وأشجى لخلق المسلمين حينئذ، ففي موقع "أن" يؤتى ثلاثة أوجه:

الأول: أن يتعلق بفعل مضمر على حذف اللام أى وقل فعلتم ما فعلتم من الكيد لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يترتب من غلبتهم بالحجة يوم القيامة، أى: لم يكن لكم داع إلى هذا الكيد سوى الحسد، ووجه العدول عن الواو إلى حينئذ الإشارة إلى أن كلا من الأمرين مستقل بكونه سبباً للحسد.

الثاني: أن يكون الخبر إن الهدى وهدى الله بدل من الهدى وحين أو بمعنى إلى أن يعنى حتى يحاجوكم فيدحضوا حججتكم.

الثالث: أن ينتصب بفعل مضمر تقديره^(٢) قل إن الهدى هدى الله ولا تنكروا أن يؤتى أحد أو يكون لأحد وسيلة غلبة عليكم عند الله، ويدل على هذا المضمر لا تؤمنوا إلا

= تظهروا سركم وما عندكم؛ لأن يكون لكم المزية والغلبة في الدنيا والآخرة وقوله: "قل إن الهدى هدى الله" معترضة دالة على أن من يعلمه ويفضله فهو الهادي وهو الذى هدى المسلمين وفضلهم/١٢.

(١) وحقيقة المعنى أنه لم يكن لكم باعث على هذا الكيد سوى علمكم بأن الإتياء والحاجة المذكورين كائنان ألبتة/١٢.

(٢) هو من جملة مقول الطائفة، وحاصله أظهروا الإيمان بدين المسلمين لكن كونوا على دينكم واستمروا عليه ولا تبدلوا دينكم فقليل: "قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى".

لمن تبع دينكم؛ لأن معناه حينئذ لا تقرّوا بحقية دين لأحد إلا لمن هو على دينكم فإنه لا دين سواه يماثله، وهذا إنكار لأن يؤتى أحد مثل دينهم، وقد بسطت الكلام هنالك فاستفده، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾: بكل شيء.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: لحكمته، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ هذا كله رد وإبطال لزعهم الفاسد.

﴿وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من ذهب، فأداه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، كفنحاص بن عازوراء أودع ديناراً فجحده، ﴿إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: إلا مدة دوامك قائماً على رأسه مبالغاً بالتقاضى أو الترافع، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ﴾ أى: ترك الأداء بسبب أنهم قالوا: ليس علينا فى شأن العرب ذم وعتاب، وأحل الله أموالهم لنا ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: اخترعوا، واختلقوا، وليس فى التوراة شيء مما قالوا، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: إنهم كاذبون.

﴿بَلَى﴾ أى: بلى عليهم فيهم سبيل، وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَى﴾ إلى آخره استئناف، ﴿بِعَهْدِهِ﴾ أى بعهد الله الذى عهد^(١) إليه فى التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وأداء الأمانة أو بعهد^(٢) نفسه، ﴿وَأَتَقَى﴾ أى: الكفر والخيانة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أى: يحبه فإنه متق، وقيل: بلى بمعنى لكن.

(١) أى: بعهد عهد أى: عهد كان فعلى هذا ضمير بعهد راجع إلى من

(٢) وفى بعهده فالله يحبه فإن من عهده مع الله أن لا يشرك به شيئاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ^(١) بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: يستبدلون بما عاهدوا من الإيمان برسله، ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾، وبما حلفوا من قولهم: والله لنؤمنن به، ولننصرنه، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا رشوة في تحريف التوراة، وتبديل نعت محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿أَوْ لَيْتَكَ لَا خَلَقَ﴾: لا نصيب، ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: بما يسرهم، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: نظر رحمة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يثنى عليهم أو لا يطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فعلى هذا الآية في اليهود أو نزلت^(٢) في ترافع بين صحابي ويهودى في أرض فتوجه الحلف على اليهودي، أو في رجل أقام سلعة في سوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها أحدًا من المسلمين^(*).

﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ﴾: من اليهود، والنصارى، ﴿لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمُ^(٣) بِالْكِتَابِ﴾ يميلونها عن المترل إلى المحرف ويفتلونها عنه، فالباء للاستعانة أو الظرفية، والمضاف محذوف أى:

(١) واعلم أن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد؛ وذلك لأن الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معاً؛ لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله، ولما أمر الله به كان الوفاء به تعظيماً لأمر الله؛ فثبت أن هذه العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات، والوفاء بالعهد كما يمكن في حق الغير يمكن أيضاً في حق النفس، لأن الوافى بعهد النفس هو الآتى بالطاعة والتارك للمحرمات؛ لأن عند ذلك تفوز النفس بالتواب وتبعد عن العقاب/١٢ كبير.

(٢) رواه البخارى عن العوام وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي أوفى/١٢ [أخرجه البخاري في "الأيمان والنذور" (٦٦٧٦)، وفي مواضع كثيرة من صحيحه، وكذا أخرجه مسلم في "الأيمان" عن ابن مسعود] وليس عن أبي أوفى.

(٥) أخرجه البخاري في "الشهادات" (٢٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه عن ابن أبي أوفى.

(٣) قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: كيف يمكن إدخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس؟ والجواب لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف، ثم إنهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون

بقراءة الكتاب **﴿لِتَحْسِبُوهُ﴾**، أيها المؤمنون، وضمير المفعول لما حصل باللى وهو المحرف، **﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾**: التوراة، **﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾**: التوراة، **﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾**: تأكيد لقوله وما هو من الكتاب، وتشنيع عليهم **﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**: أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: ما ينبغي له، وما يتأتى منه، **﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾**: الحكمة أو إمضاء الحكم من الله، **﴿وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**، رد على اليهود حين قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك بعثي؛ فزلت (*)، أورد على النصارى حيث قالوا: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً فزلت، **﴿وَلَكِنْ﴾** ^(١)، يقول ^(٢)، **﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾**: ^(٣) حكماء،

= هذا التحريف ممكن والأصوب عندى في تفسير الآية وجه آخر، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر، وتأمل القلب، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين، واليهود كانوا يقولون: مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم، فكان هذا هو المراد بالتحريف، وبلى الألسنة وهذا مثل ما أن الحق في زماننا إذا استدل بآية من كتاب الله تعالى فالمبطل يورد عليه الأسئلة والشبهات، ويقول: ليس مراد الله ما ذكرت فكذا في هذه الصورة، انتهى بلفظه/ ١٢.

(*) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٣٨٤/٥)، وفي سنده محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(١) والمعنى: ما استقام لبشر أن يؤتيه الله الكتاب، ثم يترتب عليه أن يقول للناس كونوا عباداً لى، ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبين أرباباً فالخطاب في "ولا يأمركم" التفات/ ١٢.

(٢) لما كان يقول تذكيراً وإعادة ليقول المذكور ينبغي أن يكون بالنصب/ ١٢.

(٣) دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه، وخاب عمله، وكان مثله مثل من غرس

وحلماء وعلماء، أو فقهاء، أو من يرب^(١) علمه بعمله أو منسوب^(٢) إلى الرب بزيادة الألف والنون ﴿يِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(٣): أى: بسبب كونكم معلمين الكتاب^(٤) ودارسين له.

= شجرة حسناء موقنة بمنظرها، ولا منفعة بثمرها، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع) ١٢/ تفسير كبير [أخرجه مسلم في "الذكر والدعاء" (٥٦٩/٥) ط الشعب].

(١) وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره/١٢.

(٢) وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته؛ لأن الشيء إنما ينسب إلى من اشتهر أو ما اشتهر به سيما وزيادة الألف والنون تؤذن بمبالغة زائدة هذا قول طاوس [في الأصل: طاؤس] والحسن البصري وقتادة/١٢ منه.

(٣) وفي هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل وأن من أعظم العمل بالعلم تعليمه، والإخلاص لله سبحانه، والدراسة مذاكرة العلم والفقه فدلّت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع عمله وخاب سعيه، وحاصل الكلام أن العلم والتعليم والدراسة توجب على صاحبها كونه ربانياً، والسبب لا محالة مغاير [في الأصل: مغائر] للمسبب فهذا يقتضي أن يكون كونه ربانياً أمراً مغايراً لكونه عالماً ومعلماً ومواظباً على الدراسة وما ذاك إلا أن يكون بحيث يكون تعلمه لله، وتعليمه ودراسته لله، وبالجمله أن يكون الداعي له إلى جميع الأفعال طلب مرضات الله، والصارف له عن كل الأفعال الهرب عن عقاب الله، وإذا ثبت أن الرسول يأمر جميع الخلق بهذا المعنى ثبت أنه يمتنع منه أن يأمر [كذا العبارة في الأصل] الخلق بعبادته وحاصل الحرف شيء واحد وهو أن الرسول هو الذي يكون منتهى جهده وجده صرف الأرواح والقلوب عن الخلق إلى الحق فمثل هذا الإنسان كيف يمكن أن يصرف عقول الخلق عن طاعة الحق إلى طاعة نفسه وعند هذا يظهر أنه يمتنع في أحد من الأنبياء صلوات الله عليهم أن يأمر غيره بعبادته/١٢ تفسير كبير.

(٤) أى حافظين قارئين له، وجاز أن يكون معناه يدرسون على الناس والأول أولى فافهم/١٢.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾: بقراءة النصب عطف على "ثم يقول"، ولا لتأكيد معنى النفسى، وبالرفع استئناف، وقيل حال، ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾: كما فعلت النصرارى، ﴿أَيَأْمُرُكُمْ﴾، استفهام تعجب، والضمير للبشر، ﴿بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون لله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٩﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُوتَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٣١﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٣٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفَرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: كل^(١) نبي بعثه من لدن آدم، ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، أى رسول كان والسلام لتوطئة القسم، وما شرطية، وقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، جواب القسم والشرط أو موصولة^(٢) أى: للذى آتيتكموه، وقرئ بكسر اللام وحيثذ ما مصدرية أى: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب، ثم محيى مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به أو المراد من النبيين أنبياء بنى إسرائيل، والمراد من رسول مصدق محمد عليه الصلاة والسلام، أو النبيين عام كما تقدم، لكن المراد من رسول محمد عليه الصلاة والسلام كما صح^(٣) عن على، وابن عباس رضى الله عنهم ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾: بالإيمان والنصر، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدي، ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ﴾: الله، ﴿فَاشْهَدُوا﴾: ليشهد بعضكم على بعض بالإقرار أو قال الله تعالى للملائكة: "اشهدوا" ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على إقراركم وتشاهدكم.

(١) وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل أى أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أمهم وقيل: المراد ما يعمهم والأمم لكن استغنى بذكرهم عن ذكر الأمم/١٢ منه.

(٢) الموصولة مبتدأ ولتؤمنن به ساد مسد جواب القسم وخبر المبتدأ، وقد رنا الضمير فى آيتكم لامتناع خلو الصلة عن العائد، وأما على تقدير الشرط فهى مفعوله/ ١٢ منه.

(٣) رواه عبد الرزاق عن ابن طاوس [فى الأصل: ابن طاوس] عن أبيه مثل قول على، وابن عباس/١٢ منه.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، عطف جملة على جملة، والهمزة توسطت للإنكار، وقدم المفعول؛ لأنه المقصود بالإنكار قيل: نزلت في أهل الكتاب حين اختصموا فزعم كل فريق أنه على دين إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — "كل منكم برئ من دينه" فقالوا: لا نرضى بقضائك ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقاد، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾: الملائكة والمسلمون، ﴿وَوَكْرَهَا﴾: الكفرة حين البأس^(١) أو لأنهم مسخرون تحت حكمه وسلطانه أو خوف السيف والسي أو المراد^(٢) منه الأسير يجاء به في السلاسل^(٣) قيل هذا يوم الميثاق حين قال لهم: "ألست بربكم" (الأعراف: ١٧٢)، فقال بعضهم: "بلى" (الأعراف: ١٧٢) كرهاً، ونصبهما على الحال أى: طائعين، ومكرهين، ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُونَ﴾^(٤) وعيد لهم أى: أيغون غير دين الله مع أن المرجع إليه. ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: من الصحف والوحي، ﴿وَالأَسْبَاطَ﴾: هم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالتَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أمر للرسول أن يخبر

(١) قال تعالى: "فلم يك ينفعهم إيمانهم" (غافر: ٨٥) / ١٢.

(٢) وعلى هذا المعنى الرابع نقل الطبراني حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [انظر تخريجه في الهامش الذى بعده] ثم اعلم أن المراد بمن في السماوات والأرض عموم الخلائق، وعلى التفسيرين المتوسطين لا يبقى عمومهم فافهم/١٢ منه.

(٣) يقادون به إلى الجنة وهم كارهون هكذا ورد في الحديث/١٢ منه [ذكره الهيثمى في "المجمع" (٣٢٦/٦) وقال: "رواه الطبراني وفيه محمد بن محسن العكاشى وهو متروك"].

(٤) من قرأ بالياء المنقوطة من تحت فظاھر، ومن قرأ بالتاء فلأن الباغين هم المتولون والراجعين جميع الناس فناسب الخطاب/١٢ منه.

عن نفسه ومتابعيه أو أن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك تعظيماً له، ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بالتصديق، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله، ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾: غير الانقياد، والتوحيد، ﴿دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بإبطال فطرته السليمة.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾، استفهام إنكار ﴿قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ عطف^(١) على ما في إيمانهم من معنى الفعل؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ البراهين على صدق ما جاء به الرسول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان.

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ﴾^(٢) أجمعين أي: يوم القيامة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتدروا أو لا ينظر نظر رحمة إليهم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: الارتداد، ﴿وَأَصْدَحُوا﴾: ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لذنبهم، ﴿رَحِيمٌ﴾: فيقبل توبتهم، الآية في رجل من الأنصار^(٣)

(١) وقيل: حال بتقدير قد من فاعل كفروا، وليس عطفًا على كفروا؛ لأن الظاهر تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه، وشهادتهم هذه لم يكن بعد إيمانهم بل معه أو قبله/١٢.
(٢) قيل: المراد بالناس المؤمنون، أو العموم فإن الكافر يلعن كل كافر حتى نفسه يوم القيامة كما ورد في الحديث، وقيل: الكافر في الدنيا يلعن منكر الحق فهو يلعن نفسه لكن لا يعرف/١٢.

(٣) كما رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/١٢ وحيز [أخرجه النسائي في "السنن" (٤٠٦٨)، وفي "التفسير"، وابن حبان (١٨٢٨)، والحاكم (١٤٢/٢) وصححه وأقره الذهبي، وغيرهما، وانظر صحيح النسائي (٣٧٩٢)].

آمن ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة؟ فزلت فرجع وأسلم، وقيل: في اليهود آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه ثم كفروا لما بعث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؛ لأن توبتهم حين إشرافهم على الموت، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ نزلت في اليهود كفروا بعمسى عليه السلام بعد ما آمنوا بعمسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد عليه الصلاة والسلام، أو في اليهود والنصارى، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون فزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: نصب على التمييز، ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ أى: لا يقبل منهم ذلك بوجه من الوجوه من التصدق وغيره ولو كان بوجه الافتداء^(١)، وقيل: الواو مقحمة، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ في رفع العذاب، وفي الحديث (يقال للرجل يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفندياً به؟ يقول: نعم، فيقال له: قد أردت منك شيئاً أهون من ذلك وأقل فأبيت، فيرد إلى النار)*.

(١) الذى ليس فيه منة نحو: "أعطوا السائل ولو جاء على فرس" و"ردوا السائل ولو بظلف محرق" [الحديث الأول ضعيف، كما في ضعيف الجامع (١٠٤٣)، والضعيفة (١٣٧٨)، والثانى صحيح، كما في صحيح الجامع (٣٥٠٢)] كأن هذه الأشياء مما كان لا ينبغي أن يؤتى به، لأن السائل إذا كان على فرس مشعر غناه فلا يناسب أن يعطى فقوله: "لو" على سبيل الفرض لأنه لا يمكنه أن يأتى بملة الأرض ذهباً وهذا أحسن التوجيهات، بل هو المتحتم/١٢ وحيز.

(٥) أخرجه البخاري في "الأنبياء" (٣٣٣٤)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "صفة القيامة والجنة والنار" (٦٧١/٥) ط الشعب.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۚ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٦﴾

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾: (١) تَنَالُوا الْبِرَّ: الجنة، أو التقوى، أو كمال الخير، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أى: بعضه، والمراد منه أداء الزكاة أو صدقة السنة، ويدل على الثانى أن كثيراً من الصحابة تصدقوا بأراضيهم، وأعتقوا جواريتهم حين نزلت، أو المعنى: لن تنالوا البر حتى

(١) ولما أخبر أنه لا يقبل ممن مات على الكفر ملء الأرض ذهباً على سبيل الفرض حض المؤمنين على الصدقة النافعة فقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ ١٢/ وحيز.

تَنفِقُوا وَأَنْتُمْ أَصْحَاءُ أَشْهَاءُ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجأزى بحسبه.

﴿كُلُّ^(١) الطَّعَامِ^(٢)﴾ أى: المطعومات، ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ أى: حلالا لهم، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ﴾، وهو لحمان الإبل، وألبانها، أو العروق ﴿إِسْرَآئِيلُ﴾: وهو يعقوب، ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ لنذر: نذر فى مرض لئن عافاه الله لا يأكل أحب الطعام والشراب ولحم^(٣) الإبل ولبنه أحب إليه، أو نذر لا يأكل العروق لأن وجعه عرق النسا^(*)، أو العروق تضره فاتبعه بنوه فى إخراج العروق من اللحوم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ جاز أن يتعلق بحرم أو بحلال^(٤) نزلت ردًّا على اليهود حين طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان حراما عليه أشياء من لحم، ولبن الإبل أو العروق وأنت تحلله فترلت إن كل المطعومات حلال على الخلائق قبل نزول التوراة، ويشؤم ذنوبهم حرم فى التوراة ما حرم ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن لحم ولبن الإبل أو العروق حرام على الأنبياء كلهم فلما قال لهم بهتوا.

(١) ولما بين أن نيل البر بإنفاق المحبوب من المال ذكر أن إسرائيل حرم على نفسه للتقرب إلى الله أحب الطعام إليه فقال: (كل الطعام) الآية/١٢ وجيز.

(٢) أى الذى كان مباحًا لإبراهيم عليه السلام فإن الميتة والخنزير ما كانا مباحين لأحد كما قاله القفال/١٢ وجيز.

(٣) على ذلك حديث رواه الإمام أحمد والترمذى، وقال حديث حسن/١٢ وجيز [بل هو صحيح، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٩٢)، والصحيحة (١٨٧٢)].

(٥) كذا فى الأصل مهموزاً، والذي نص عليه فى مختار الصحاح مادة (نسا) أنه مقصور.

(٤) أما تعلقه بحرم فهو خلاف الأولى فإن بين بنى إسرائيل ونزول التوراة مدة مديدة فيكون من توضيح الواضحات/١٢ وجيز.

﴿فَمَنْ افْتَرَى﴾: ابتدع، ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بأن الله حرم لحم ولبن الإبل عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ما علم أن التحريم إنما كان من جهة يعقوب ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أو الآية رد على اليهود حيث زعموا أن كل ما هو حرام عليهم كان حراماً على الخلائق قبلهم لا أن الله حرم عليهم بشؤم ظلمهم، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾: في جميع ما أخبر، وكذبتهم أنتم، ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الباطل، وهى ملة الإسلام التى فى الأصل ملته أو مثل ملته، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض على اليهود.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾^(١) أى: أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض قبل خلق الأرض بألفى عام، أو بيت بناه ملائكة هم سكان الأرض قبل آدم عليه السلام أو بناه آدم أو أول بيت وضع لعبادة الله، وكانت البيوت قبله، وهو قول^(٢) على رضى الله عنه، قيل سبب نزوله أن اليهود قالوا: قبلتنا أفضل وأقدم فأنزل الله، ﴿لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيكَةِ﴾ أى: للبيت الذى بيكة وهى لغة فى مكة أو مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، أو هى البيت والمسجد، وما وراءه مكة أو موضع البيت، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير حال من ضمير الظرف، ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ فإنه قبلتهم ومتعبدتهم، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل قهره، ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى من جملتها أو بدل من الآيات بدل البعض وأثر قدميه فى المقام آية بينة، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ أى: مكة، ﴿كَانَ آمِنًا﴾: من القتل، والغارة ما دام فيه لكن لا يطعم ولا يسقى حتى يخرج فيؤخذ بذنبه، أو من دخله

(١) ولما أمر باتباع ملة إبراهيم ومن ملته حج بيت الله تعالى أخذ فى ابتداء أمره إلى منتهاه

• فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ الآية/١٢ وحيز.

(٢) رواه ابن أبي حاتم، وصح الرواية عنه/١٢.

معظمًا^(١) له أمن يوم القيامة من العذاب قيل: جملة شرطية عطف على مقام من حيث المعنى أى أمنٌ من دخله من جملتها.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ أى: قصده على وجه مخصوص، ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ كل ما أتى إلى الشيء فهو سبيله، وهو بدل من الناس مخصص له والاستطاعة ألا يكون عاجزًا بنفسه يقدر على الركوب بلا مشقة شديدة وله راحلة وزاد رواح ورجوع فاضل عن نفقة من يلزم عليه نفقته وكسوته، ثم إن^(٢) اليهود حين أمروا بالحج قالوا: ما وجب علينا فترل قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أى: جحد فرضيته، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أى: من وجد ما يحج به، ولم يحج حتى مات فهو كفر^(٣) به وقيل: وضع كفر موضع لم يحج تغليظًا، ﴿قُلْ﴾^(٤) يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ: النقلية، والعقلية الدالة على صدق القرآن، ومن أنزل عليه، ﴿وَاللَّهُ﴾، الواو للحال، ﴿شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾، فلا ينفعكم التحريف، والكتمان.

(١) هو قول بعض من الصحابة روى البيهقي قال عليه الصلاة والسلام "من دخل البيت دخل في حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفوراً له" فعلى هذا ضمير من دخله للبيت/١٢ منه [الحديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٥٨٤) والضعيفة (١٩١٧)].

(٢) كذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد من السلف/١٢ منه.

(٣) هكذا نقله أبو بكر بن مردويه عن علي، وروى الترمذى عن غيره من الصحابة، وروى أبو بكر الإسماعيلي الحافظ عن عمر بن الخطاب مثل هذا المعنى/١٢ منه [ولفظ كلام عمر: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا" وصحح سننه ابن كثير فى التفسير (٣٨٧/١)].

(٤) ولما فرغ من بيان البيت، والحج وأهل الكتاب لا يحجون - أعرض عن خطاهم إذنانا بشدة الغضب عليهم، فقال مخاطباً لرسوله: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ الآية/١٢

وحيز.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه، وكانوا يحتالون لصدهم عن الإسلام، ﴿مَنْ آمَنَ﴾، مفعول تصدون، ﴿تَبْغُوهَا عِوَجًا﴾: حال من فاعل تصدون أى: طالبين لسبيل الله اعوجاجًا بتلييسكم على الناس وتغييركم صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحريشكم بين المؤمنين، وهو متعد إلى مفعوليه بلا واسطة، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أن الصد عن الإسلام ضلال، وكمآن أمر محمد غواية، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ولما كان إنكارهم للقرآن مجاهرة منهم قال: (والله شهيد)، ولكن الصد عن الإسلام والتحريف من أسرارهم قال: (وما الله بغافل).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(١): ثانی مفعولی یرد فإنه بمعنى التصيير، نزلت إلى قوله (لعلكم تهتدون) في الأوس والخزرج حين ذكرهم اليهود الحروب وعداوات الجاهلية؛ ليفتنوا ويعودوا^(٢) لمثل ما فيهم من الجاهلية ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾: القرآن، وغيره، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾^(٣): الزاهر الباهر السراج الظاهر عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ﴾: يلتجئ إليه ويتمسك بدينه، ويؤمن به، ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق واضح لا اعوجاج له .

(١) ناداهم بوصف الإيمان تنبيهها على تباین ما بينهم/١٢.

(٢) هكذا نقله محمد بن إسحاق، وغيره من الثقات/١٢.

(٣) وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال يوماً لأصحابه (أى المؤمنين أعجب إليكم إيماناً قالوا: الملائكة قال: (وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم) قالوا: فالأنبياء قال: فكيف لا يؤمنون والوحى يترل عليهم؟ قالوا فنحن قال وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا فمن؟ قال: (قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها) ١٢/ وحيز ومنه [صحيح، وله شواهد].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢)
وَلَتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٥) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾^(٦) تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٧) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٨)
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، أصله وقاة فقلبت الواو تاء كتودة
وتخمة، وهو أن يطاع ولا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر^(٩) فلا ينسى، وكثير من

(١) ولما حذرهم من إضلال أعدائهم أمرهم بجامع الطاعات التي بالحقيقة هي الترهيب إذ
التقوى إشارة إلى التخويف من عذاب الله ثم أردف الرهبة بالرغبة وهى قوله (واذكروا
نعمة الله) وأعقب الأمر بالتقوى بنهى هو من تمام الاعتصام فقال (يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله) الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) هكذا رواه الحاكم، وابن أبى حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ ١٢ وحيز [أخرجه
الحاكم (٢٩٤/٢) مرفوعاً، وموقوفاً عن ابن مسعود، والموقوف أصح، كما قال ابن
كثير فى "التفسير" (٣٨٩/١)].

السلف قالوا: هذه الآية نسوخة بقوله تعالى: "فاتقوا الله ما استطعتم" (التغابن: ١٦)، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إنها لم تنسخ لكن حق تقاته أن يجاهد في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم، وأبنائهم، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أى لا تكونن على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت فهو في الحقيقة أمر بدوام الإسلام، ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾: واستمسكوا، ﴿يَحْبِلِ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أى: بدين الله أو بالجماعة أو بعهد الله أو بالقرآن، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم أن يكونوا على الحق مجتمعين ثم نهاهم عن التفرقة كما افترق أهل الكتاب، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: التى من جملتها الإسلام والتألف، ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾: أيها الأوس والخزرج ﴿أَعْدَاءً﴾: وقع بينكم القتال والخوف، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: متحابين، ﴿وَكُنْتُمْ﴾: فى الجاهلية ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: مشفين^(١) على الوقوع فى جهنم لكفركم^(٢) وشفاء بمعنى الطرف، ﴿فَأَنْقَذَكُمُ﴾: أنجاكم ﴿مِّنْهَا﴾: بالإسلام، والضمير للشفاء، أو للحفرة أو للنار، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة ثباتكم على الهدى.

﴿وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ﴾، من للتبعض؛ لأن الأمر بالمعروف من فروض الكفايات وللمتصدى له شروط قال الضحاك: هم الصحابة، والمجاهدون، والعلماء، والخطاب للجميع؛ لأنه لو تركوه أمثوا جميعا أو للتبيين كما ورد (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(*) ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿يَدْعُونَ﴾: الناس، ﴿إِلَى

(١) أى مشرفين/١٢.

(٢) لو أدرككم الموت فى تلك الحالة لوقعتم فيها/١٢.

(*) أخرجه مسلم فى "الإيمان".

الخير: اتباع^(١) القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ﴿وَيَأْمُرُونَ^(٢) بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، عطف الخاص على العام لشرفه^(٣)؛ لأن الخير أعم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ^(٤)

(١) الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي، فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيدان بشرفه كقوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ (البقرة: ٢٣٨)، والأمر بالمعروف من فروض الكفايات فالخطاب عام، والمطلوب التصدي من بعض من له قابلية فلو ترك الكل أثموا وقيل من للتبعض، وفي صحيح مسلم (من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [سبق تخريجه في الصفحة السابقة] ، وعدم الاستطاعة لتقصيره في حق التقوى فصدق أنه أضعف الإيمان/١٢ وحيز.

(٢) وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها، ويرتفع سنامها/١٢ فتح.

(٣) فإن الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيدان بشرفه كقوله: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" (البقرة: ٢٣٨)/١٢.

(٤) منهم اليهود والنصارى فقد تفرق كل منهما فرقا، واختلف كل منهما باستخراج التأويلات الرائعة وكنتم الآيات النافعة وتحريفها لما أدخلوا إليه من حطام الدنيا قيل: النهي عن التفرق مختص بالمسائل الأصولية، وأما المسائل الفروعية الاجتهادية فالاختلاف فيها جائز، وما زال الصحابة فمن بعدهم مختلفين، وفيه نظر فإنه مازال في تلك العصور المنكر للاختلاف موجودا وتخصيص بعض المسائل بجواز الاختلاف فيها دون البعض الآخر ليس بصواب، فالمسائل الشرعية متساوية الأقدام في انتسابها إلى الشرع، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الأمر بالكون في الجماعة، والنهي عن الفرقة/١٢.

تَفَرَّقُوا^(١) وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ: الحجج الميينة للحق كالأمم السابقة، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وعيد لهم وتهديد للتشبه بهم، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود^(٢) وجوه أهل البدعة أو المؤمنين والكافرين أو المخلصين والمنافقين، قيل: البياض والسواد كنايةتان عن بهجة السرور وكتابة الحزن، والأصح أنهما علامتان حقيقتان، والظرف لمعلق لهم أو نصب بإضمار اذكر ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم الميثاق أو هم المرتدون أو هم المنافقون تكلموا بالإيمان أو هم أهل الكتاب، والهمزة للتوبيخ، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: جنته عبر عنها بالرحمة إشارة إلى أنه لا ينالها من ينالها إلا برحمته، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ آخر ذكرهم ليكون أول الكلام وآخره صفة المؤمنين.

(١) بسبب استخراج التأويلات الفاسدة من تلك النصوص، ثم اختلفوا بأن حاول كل واحد منهم نصرة قوله ومذهبه، وتفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأخبار رئيساً في بلد، ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل وأقول: إنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله الرحمة والعفو/١٢ كبير.

(٢) من فسر سواد الوجوه بسواد وجوه أهل البدعة، فالمراد الخوارج المرتدون كما نقل الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده أن أبا أمامة رأى رجلاً من الخوارج منصوبة على درج دمشق فقال: (هذا كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه) ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية، ثم قال: (لو لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً حتى عد سبعا ما حدثكموه/١٢ منه) [وهو حديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٨)، وصحيح سنن ابن ماجه].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: حججه، ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبسة به لا شبهة فيها، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)؛ لأنه حكم عدل لا يجرى في ملكه إلا ما يشاء فلا يحتاج إلى ظلم لأحد فلهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ﴾^(٢) مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازى بما وعد وأوعد وأما بحث إنه على الظلم قادر لكن لا يظلم كما دل عليه القرآن والأحاديث أو ليس بقادر؛ لأنه محال في حقه — فقد أفردناه في رسالة.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ١٢٠ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا كُمْ يُوَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ١٢١ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُ وَبَغَضٌ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ١٢٢ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ١٢٣ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٢٤ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ١٢٥

(١) أى: لا يريد شيئاً من الظلم على أحد من العالمين فإن التذكير للتقليل بقرينة المقام والجمع

المعرف في سياق النفي لعموم النفي لا لنفى العموم بقرينة المقام أيضاً/١٢ منه.

(٢) ملكاً وخلقاً وعبداً حتى يسألوه، ويعبدوه ولا يعبدوا غيره/١٢ فتح.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰأَنتُمْ أَوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَسَكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تَصِيبَكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أى: فيما مضى بين الأمم أو فى اللوح المحفوظ أو فى علم الله تعالى، ﴿أَخْرَجَتْ﴾: أظهرت ﴿لِلنَّاسِ﴾: يعنى هم خير الناس للناس وأنفع الناس للناس، والأصح أنه عام وأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) خير الأمم كلهم، ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ استئناف بين به خيريتهم، ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آخر الإيمان إشعاراً بأن أمرهم ونهيهم للإيمان بالله وإظهار دينه، ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: محمد، ﴿لَكَانَ﴾: الإيمان، ﴿خَيْرًا﴾^(١) لَهُمْ مِنْهُمْ^(٢) الْمُؤْمِنُونَ: كعبد الله بن سلام،

(١) لأنهم لو آمنوا لكان لهم مع الرياسة وحظوظ الدنيا التى آثروها، النجاة من العذاب المقيم والفوز بالنعيم المؤبد/١٢. ولا يضرب عليهم الذلة/١٢.

(٢) هذه الجملة والى بعدها أعنى (لن يضروكم) واقع على سبيل الاستطراد/١٢ منه.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: المتمرّدون. روى أن اليهود قالت -مع عصاة من الصحابة- نحن أفضل، وديننا خير، فترلت (كنتم خير أمة) إلخ، ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: ضرراً يسيراً قيل: قصدت اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه فترلت: ﴿وإن يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُواكُمُ الْأَدْبَارَ﴾: يهزموا، ولا يضروكم بالقتل، ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾: ثم لا يكون لهم النصر أبداً، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ ألزهمهم الله المذلة والصغار، ﴿أَنِ مَا تُفْقُوهَا﴾: أينما وجدوا وكانوا، ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾^(١) مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ أى: ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا معتصمين بذمة الله، وعهده، وأمان المسلمين وعهدهم، وهو عقد الذمة، وضرب الجزية والمعاهدة والمهادنة أى: لا عز لهم^(٢) قط إلا هذه الحالة الواحدة^(٣) ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾: الجزية أو الفقر والتذلل كضرب القبة، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: ضرب المسكنة، والذلة، والبوء بالغضب، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بسبب كفرهم بآية الرجم، وأمثالها، وقتل الأنبياء بسبب الحسد وهم يعلموا أنه غير حق، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الكفر، والقتل، وقيل: هذا أيضاً إشارة إلى المشار إليه بذلك الأول أى: الصغار والهوان له سببان ﴿بِمَا﴾^(٤) عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ: بسبب

(١) قوله: "بحبل من الله" فى محل النصب على الحال/١٢.

(٢) لما كان استقامة معنى المفرغ عند التحقيق راجعة إلى تقدير النفى أشرنا إليه بقولنا: لا عز لهم إلخ/١٢ منه.

(٣) هكذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، والسدى، وغيرهم فيكون الحبلى واحد من باب "الله ورسوله أحق أن يرضوه" (التوبة: ٦٢/١٢).

(٤) جعل علة الكفر وقتل الأنبياء هى المعصية، وذلك لأنهم لما توغلوا فى المعاصى والذنوب فكانت ظلمات المعاصى تتزايد حالا فحالا ونور الإيمان يضعف حالا فحالا، ولم يزل كذلك إلى أن بطل نور الإيمان، وفضلت ظلمة الكفر، وإليه الإشارة بقوله: "كلا بل

عصيانهم واعتدائهم في^(١) حدود الله فإن الإصرار^(٢) والمداومة على الذنوب يفضي إلى الكفر ومقت الله تعالى.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: نزلت في اليهود حين قالت: ما آمن بمحمد إلا شرارنا، وأرادوا به عبد الله بن سلام وأصحابه^(*) أى: ليس أهل الكتاب على حد مستو. ﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ﴾، استئناف بين نفى الاستواء، ﴿قَائِمَةٌ﴾: على الحق مستقيمة، وقيل: قائمة في الصلاة ﴿يَتْلُونَ﴾^(٣) آيات الله: يقرءون القرآن، أو يتبعونها ﴿آثَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعاته، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون التهجد أو العشاء^(٤) فإن أهل الكتب لا يصلونها، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) بالله واليوم الآخر ويأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

= ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" (الطففين: ١٤)، فقوله: "ذلك بما عصوا" إشارة إلى علة العلة ولهذا المعنى قال أرباب المعاني: من ابتلى بترك الآداب وقع في ترك السنن، ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة، ومن ابتلى بترك الفريضة وقع في استحراق الشريعة، ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر/١٢ كبير.

(١) ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفي عن ابن إسحاق/١٢.

(٢) قوله: فإن الإصرار والمداومة مرتب على كلا التفسيرين فافهم/١٢.

(*) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٢٧/٦)، وقال: "رواه الطبراني ورجاله ثقات".

(٣) عبر بقوله: "يتلون آيات الله آثاء الليل وهم يسجدون" عن التهجد والعشاء/١٢.

(٤) في مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام أخر صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، ثم قرأ (ليسوا سواء من أهل الكتاب)/١٢ [أخرجه أحمد والنسائي والبخاري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بسند حسن عن ابن مسعود مرفوعاً كما في الدر المنثور للسيوطي (١١٦/٢)].

(٥) قوله: يتلون ويؤمنون صفتان لأمة/١٢.

وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»، وصفهم بما ليس في اليهود إلا نقيضه كالخالد في صفاته ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته، وهم مدهانون في الحق متباطئون عن الخير، «وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ»: ممن صلحت أحوالهم عند الله، فاستحقوا رضاه «وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ»: لا يضيع عند الله، ولا ينقص ثوابه، ولتضمنه معنى الحرمان عدى إلى مفعولين، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» لم يقل عليهم هم إشعاراً بأنهم موصوفون بالتقوى أيضاً، «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ»: من عذابه، «شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ»: ملازموها، «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ»: مثل ما ينفق الكفار، وقيل: نفقة اليهود على علمائهم، «فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ^(١)»: برد شديد، أو سموم^(٢) حارة «أَصَابَتْ حَرْثَ»: زرع، «قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»: بالكفر والمعاصي، «فَأَهْلَكَتْ»: فلم ينتفعوا بحرثهم لدى احتياجهم إليه، فكذا أعمال الكفار، وتقديره: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ليطابق المثالان، «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ»، بأن فعل بهم ما ليسوا أهلاً له، «وَلَكِنْ أَنْفَسَهُمْ^(٣) يَظْلِمُونَ» لأنهم ارتكبوا ما استحقوا العقوبة.

(١) قال الزمخشري: الصر: الريح الباردة ففيه إشكال لأنه يلزم أن يقال ريح فيها ريح باردة وتوجيهه أنه نعت وصف به البرد للمبالغة كبرد بارد أو هو مصدر في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله أو من باب التجريد انتزع من الريح الباردة ريحاً مبالغة في بردها/١٢ منه.

(٢) هذا قول ابن عباس، ومجاهد، قيل: هذا يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد فيها نارية تحرق الثمار والزروع/١٢.

(٣) تقديم المفعول لرعاية الفاصلة لا للاختصاص أى: ما ظلمناهم، ولكن ظلموا أنفسهم/١٢ منه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ بطانة الرجل خاصة أهله الذي يطلعه على أسرارهم، ﴿مَنْ دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين، متعلق بلا تتخذوا أو صفة بطانة أى لا تتخذوا أولياء أصفياء من غير أهل ملتكم، ﴿لَا يَأْلُوَكُمْ﴾^(١) خبالاً: لا يقصرون في الفساد، وخبالاً مفعول ثانٍ لتضمين معنى المنع، والجملة مستأنفة أو صفة بطانة، وكذا^(٢) الجملتان بعده، ﴿وَدُّوا﴾^(٣) مَا عَنْتُمْ: تمنوا شدة ضرركم، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾: ظهرت علامة العداوة، ﴿مِنْ أَقْوَاهِمُ﴾: فلتات^(٤) كلامهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾: من البغضاء ﴿أَكْبَرُ﴾ أكثر مما بدا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الدالة على صلاح أحوالكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بين لكم، نزلت في مواصلة اليهود لما بينهم من القرابة^(٥) أو في مصافاة المنافقين، ﴿هَآئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أى أنتم أولاء الخاطئون في موالاهم، والجملة بعده بيان خطئهم أو أولاء نداء أو بمعنى الذين كما مر، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أى: بجنس الكتاب حال^(٦) من مفعول لا يحبون

(١) ألا في الأمر قصر ثم لتضمين معنى المنع عدى إلى مفعولين كما يقال لا آلوكم نصحاء، والخبال الفساد/١٢ منه.

(٢) أعنى ودوا، وقد بدت تحتل كل منهما أن تكون صفة، ومستأنفة للتعليل عن هـى اتخاذهم بطانة/١٢ منه.

(٣) ما مصدرية أى ودوا عنتكم، والعنت شدة الضرر/١٢.

(٤) يقال: كان الأمر فلتة بلا تدبر وتفكر/١٢ صراح.

(٥) يعنى الآية نزلت في منع مواصلة المؤمنين اليهود مطلقاً بلقاءهم المنافقين من اليهود/١٢ منه.

(٦) وجاز العطف على تحبونهم، ففيه التنبيه على موقع الخطأ أيضاً على معنى هأنتم هؤلاء تؤمنون بالكتاب كله، وهم لا يؤمنون بشيء من الكتاب لأن إيمانهم، كلا إيمان فأين جامع المحبة/١٢ منه.

أى: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضاً، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾: نفاقاً، ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: خلا بعضهم مع بعض، ﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾: أى: من أجله تأسفاً حيث لم يجدوا سبيلاً إلى الغلبة عليكم، وهذا يدل على أن الآية للمنافقين، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء عليهم بدوام غيظهم وزيادته بتضاعف^(١) أهل الإسلام حتى يموتوا به، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢): بما فيها من خير وشر، فيجازيكم، وهو يحتمل أن يكون من المقول.

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ﴾: خير ومنفعة، ﴿تَسُوْهُمْ﴾: تحزهم، ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: ضر وشدة، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾، فهم في نهاية العداوة معكم، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موالاتهم أو ما حرم الله، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾^(٣) كَيْدُهُمْ شَيْئاً^(٤): كتم

(١) وقوتهم وعزهم، وذلل اليهود وحزبهم/١٢.

(٢) ذات هاهنا تأنيث بمعنى صاحبة الصدور/٢٢فتح.

(٣) يعنى لا يضركم فعل مضارع وقع جزاء، وجزاء الشرط فى غير المضاعف مجزوم وفى مشدّد المضاعف مفتوح، فلا بد أن يقال ضمة الرأ لا تبايع الضاد كضمة مد/١٢منه.

(٤) معنى الآية أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى، وألقى كل ما نهى الله عنه كان فى حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين وتحقيق الكلام فى ذلك هو أنه سبحانه إنما خلق الخلق للعبودية، كما قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات: ٥٦) فمن وفى بعهد العبودية فى ذلك فالله سبحانه أكرم من أن لا يفى بعهد الربوبية فى حفظه عن الآفات والمخافات وإليه الإشارة بقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق: ٢، ٣) إشارة إلى أنه يوصل إليه كل ما يسره، وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فاجتهد فى اكتساب الفضائل/١٢.

في كنف الله؛ فلا يضركم كيدهم، وضمة الراء في لا يضركم كضمة مد للاتباع؛ لأنه جزء شرط مضارع مضاعف، فجاز فيه أربعة أوجه، وقرأ لا يضركم بكسر الصاد من ضاره بمعنى ضره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: علمه فيجازيهم بما هم أهله .

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آِلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آِلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَآئِبِينَ (٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩)

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ﴾ أي: واذكر إذ عدوت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: منزل عائشة رضي الله عنها ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تسوي وتهي لهم، ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواقف وأماكن له، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائرهم وأحوالكم، هذه وقعة أحد، وقيل (١) يوم

(١) رواه ابن جرير عن الحسن البصري، وهو غريب فإن ما بعده إلى قريب من آخر السورة في وقعة أحد فلا يعول على هذا القول/١٢.

الأحزاب، «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ»، بدل من إذ غدوت أو متعلق بسميع عليهم، وهما بنو حارثة، وبنو سلمة، «أَنْ تَفْشَلَا»: تحبنا وتضعفنا، فإنهم هموا بالانصراف عن الحرب، لكن عصمهم الله، «وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا»: ناصرهما فعصمهم عن اتباع الخطرة أو قباهما(*) تفشلان، «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»: لا على العدد والعدد.

«وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ» تذكير بقصة إفادتهم التوكل، وهو موضع بين مكة(**)، والمدينة، «وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ»: بقلة العدد والسلاح، «فَاتَّقُوا اللَّهَ»: في الثبات، «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» عاقبته بمزيد الإنعام، وقيل معناه اتقوني فإنه شكر نعمتي، «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ» ظرف لنصركم، وهو في بدر، أو بدل ثان من إذ غدوت، وهو في أحد، وقالوا: لم يحصل الإمداد يوم أحد لا بخمسة آلاف ولا بثلاثة؛ لأن المسلمين لم يصيروا بل فروا، «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ»، هو فاعل يكفيكم، «رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَلِّينَ»: للنصر، «بَلَى»: إيجاب لما بعد لن، أى: بلى يكفيكم، ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى فقال: «إِنْ تَصْبِرُوا»: على العدو، «وَتَتَّقُوا»: مخالفتي، «وَيَأْتُواكُمْ مِّنْ قَوَرِهِمْ هَذَا»: من غضبهم فإنهم رجعوا لحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، أو من ساعته، والمعنى إن يأتوكم في الحال، «يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، «مُسَوِّينَ»^(١): معلمين بسيما الصوف الأبيض أو بالعهن الأحمر في نواصي خيولهم أو بالعمائم البيض، أو السود أو الصفر^(٢) أو بسيما القتال

(٥) كذا بالأصل وفي الكشاف (٢١٥/١) "فما هما".

(٥٥) كذا في الأصل.

(١) مسومين من السومة، وهى العلامة وفى تعيينها خلاف والله أعلم بالصحيح من ذلك/١٢ وحيز.

(٢) الأول قول على بن أبى طالب رواه بن أبى حاتم، الثانى لأبى هريرة، الثالث لابن عباس، والرابع رواه ابن مردويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [ذكره الهيثمى في "المجمع"

أنزل الله الملائكة يوم بدر ألفا كما قال: (فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف) (الأنفال: ٩)، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم ^(١) خمسة آلاف، «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ» أى: الإمداد، «إِلَّا بُشْرَى»: بشارة، «لَكُمْ»: بالنصر، «وَلِتَطْمَئِنَّ»: ولتسكن، «قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»: لا من عدة وعدد، «الْعَزِيزُ»: الذى لا يغالب فى قضائه «الحكيم»: فى أفعاله، «لِيَقْطَعَ طَرَفًا» أى: لقد نصركم الله بيدى ليهلك طائفة، أو يهدم ركنا من أركان الشرك، أو متعلق بقوله (وما النصر إلا من عند الله) «مَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُمْ» ^(٢): يخزيهم ^(٣) وأو للتنويع، «فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ»: منقطعى الآمال، «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» بل الأمر كله إلى الله، نزلت حين ^(٤) قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعن فيه على قوم قتلوا سبعين رجلا من قراء

= (٣٢٧/٦) وقال: "رواه الطبرانى وفيه عبد القدوس بن حبيب وهو متروك"، والخامس رواه ابن مردويه عن الزبير [أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن عباد بن عبد الله بن الزبير بلاغا كما فى الدر المنثور (١٢٥/٢)]، السادس لعكرمة وقتادة/ ١٢ منه.

(١) فلا منافاة كما صرح بذلك قتادة وغيره، وقوله هاهنا مردفين مشعر بذلك إذ معناه يردفهم غيرهم، ويتبعهم آخري/ ١٢.

(٢) وأصل الكبت فى اللغة صرع الشيء على وجهه، والمراد منه القتل، والهزيمة، والإهلاك، واللعن، والخزي/ ١٢ فتح.

(٣) يعنى نصرتكم فى بدر لأنواع من الفوائد: إهلاك بعض، وإذلال بعض بالهزيمة، وتوبة بعض بالإيمان، وتعذيب بعض بالأسر فيمكن أن يقال ليس لك من الأمر شيء نزل لأحد هذا الوجهين المذكورين، ويكون اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم ذكر بقية الأقسام، لكن فيه تكلف/ ١٢ منه.

(٤) رواه البخارى، والنسائى بروايات متعددة/ ١٢ منه [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٠)، وفى مواضع أخر من صحيحه، ومسلم فى "المساجد"].

الصحابة بعثوا ليعلموا الناس، أو نزلت^(١) يوم أحد حين شج في رأسه الأشرف، ويقول (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم!) ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، عطف على الأمر بإضمار أن أى: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة أو تعذيبهم أو على شيء أى ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة أو تعذيبهم أو بمعنى إلا أن أى: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم، أو عطف على أو يكتبهم، (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض وقع في البين، وأنت تعلم أن هذا توجيه لو يلائمه. سبب النزول يلائم اللفظ والمعنى، ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: استحقوا التعذيب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقا وملكا فالأمر له لا لغيره، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: غفرانه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تعذيبه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فلا تبادر إلى اللعن، والدعاء عليهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٨﴾ * وَكَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

(١) رواه البخارى، وأحمد عن أنس/١٢ وحيز [هذا يوهم أن الحديث أخرجه البخارى، وليس كذلك وإنما ذكره معلقاً في المغازى (٧/٤٢٢-فتح)، ووصله مسلم في "الجهاد" (١٧٩١)].

لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٦٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٦٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾^(١)، أى: لا تزيدوا زيادات مكررة فإنهم إذا بلغ الدين محله زادوا فى الأجل؛ فاستغرقوا بالشئ الحقيق مال المديون، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: راجين الفلاح، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ

(١) ولما نهي عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، واستطرد لما بينا ذكر بعض المحاربات، والمؤمنون فى أول الإسلام ذوو إعسار والكفار من اليهود وغيره ذوو أيسار، وأكثر مخالطتهم للمديون ومعاملتهم بالربا نهي عن التقدم للمخالطة، والمساهلة للمعاملة، وبين أن ما فى السموات والأرض ملك له لا يجوز التصرف فى شئ من ذلك إلا بالإذن وأكل الربا تصرف فى ماله بغير إذنه نهي عنه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الربا﴾ ١٢/وجيز.

لِلْكَافِرِينَ: بالتحرز عن متابعتهم، وفيه تنبيه على أن النار بالذات للكافر وبالعرض للعاصي، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوا﴾: بادروا، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أعمال توجب المغفرة، كالإسلام، والتوبة، وأداء الفرائض، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أى: عرضها^(٢) كعرضها قيل فيه تنبيه على اتساع طولها كما قال تعالى: (بطائنها من إستبرق) (الرحمن: ٥٤) أى: فما ظنك بالظهار؟! وقيل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، ﴿أَعِدَّتْ﴾: هيئت، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، فالجنة بالذات للمتقين، وبالعرض لفساق المؤمنين^(٣)، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾، صفة مادحة لهم، ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: فى اليسر والعسر أو المراد جميع الأحوال؛ لأنه لا يخلو الإنسان منهما، ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾: الكافين عن إِمضائه مع القدرة

(١) لزيادة التوبيخ والتنبيه على أهم على هذه الطريقة الرديئة التى يستقبحها من له أدنى مروءة، وليس لتقييد [فى الأصل: لتقييد، بلامين] النهى وقوله: "أضعافاً" حال، ومضاعفة صفة لها/١٢ وجيز.

(٢) كما فى سورة الحديد ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ٢١) قال الزجاج: لا يراد عرض ولا طول يقول العرب: بلاد عريضة أى: واسعة أو فيه إشارة إلى أن طولها كعرضها لأن الكرة كذلك، وقيل هو من عرضة المتاع للبيع نحو، ﴿وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (الكهف: ١٠٠) كما عرضت الدنيا بسماواتها وأرضها على أهل الدنيا، وكل هذه التمحلات لما أشكل عليهم أن جنة عرضها السموات والأرض كيف تسعها السماء! ولا إشكال، فإن الجنة فى الكرسي، والسموات فى جنبه كحلقة فى فلاة/١٢ وجيز.

(٣) كما يقال القصر معد للسلطان وفيه غير السلطان بالتبع، وبهذا يندفع كلام الزمخشري أن فى هذه الآيات بيانا قاطعاً أن المؤمنين على ثلاث طبقات: متقين، وتائبين، ومصرين وأن الجنة للأولين دون الآخرين ومن خالف فى ذلك فقد كابر عقله، وعاند ربه/١٢ منه.

عليه، **﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾**: التاركين عقوبة من استحقها، **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**: إشارة إلى أن هؤلاء في مقام الإحسان، **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾**: قبيحة بالغة في القبح، نزلت^(١) حين قال المؤمنون: (كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا؛ لأنهم إذا أذنبوا ذنباً أصبحت كفارة ذنوبهم مكتوبة على عتبة أبوابهم، أو نزلت لرجل قبل امرأة وعانقها ثم ندم، وقيل الفاحشة الزنا والكبائر، **﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾**: بالصغائر وما دون الزنا، **﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾**: أى: وعيده، أو ذكره باللسان **﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾**، استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوف والمعطوف عليه دال على سعة رحمته، **﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾**: لم يقيموا على ذنوبهم، بل أقروا واستغفروا وفى الحديث^(٢) (ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة)، **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**: أنها معصية أو أن الإصرار ضار أو أن الله يملك مغفرة الذنوب، أو أنهم إن استغفروا غفر لهم **﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾**، أى: من تحت غرفها وأشجارها **﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾**، خير للذين إذا فعلوا إن جعلته مبتدأ، وإلا فجملة مستأنفة مبينة لما قبلها، **﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** أى: ذلك، يعنى المغفرة والجنات، وكم فرق بين القبيلتين فصل آيتهم بالحب والإحسان، وفصل آية هؤلاء بالعمل والأجر، **﴿قَدْ خَلَتْ^(٣) مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾** أى: وقائع سننها الله فى الأمم الماضية، وقيل معنى السنن

(١) نقلهما محبى السنة، ووافقه الواحدى فى الثانى/١٢ منه.

(٢) الذى رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما/١٢ [وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٠٠٦)، وضعيف أبى داود].

(٣) قد استطرد لما بينا آية الربا الذى هو حرب مع الله كما قال تعالى: **﴿فَأَذْنُوبًا مَّحْرَبًا مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** فى سورة البقرة، ثم رجع إلى حكاية الحروب فقال: **﴿قَدْ خَلَتْ^(٣) ١٢/وَجِيزَ.**

الأمم، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: فتعجبوا ولا تحزنوا على ما وقع عليكم يوم أحد فإن آخذهم أشد الأخذ عاقبة الأمر لما فرغ عن حديث الربا الذي هو حرب مع الله كما قال الله -استأنف حديث الجهاد الأكبر الذي كان الكلام فيه، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ أى: القرآن، وقيل إشارة إلى مفهوم قد خلت، أو فانظروا أى: القرآن بيان الأمور للناس عامة، ﴿وَهْدَىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى زيادة بصيرة، وزاجر لهم خاصة، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: لا تضعفوا عن الحرب بسبب غلبة الكفار يوم أحد، ولا تحزنوا على ما وقع عليكم، ﴿وَأَنْتُمْ^(١) الْأَعْلَوْنَ﴾، والحال إنكم الأعلى والغالب في الدنيا والآخرة، والعاقبة لكم، والخسار لهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ متعلق بلا تهنوا أى: لا تهنوا إن صح إيمانكم؛ فإن الإيمان يورث قوة القلب، ويمكن أن يتعلق بأنتم الأعلون أى: غلبتكم، ونصرتكم متحققة إن كنتم

(١) فانظر إلى خطاب هذه الأمة خوطبوا كما خاطب موسى عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (طه: ٦٨) بل في هذا مزيد اعتناء قال: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أخرج ابن جرير وغيره عن ابن جريج قال: انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب يوم أحد فسألوا ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وما فعل فلان؟ فنعى بعضهم لبعض وتحدثوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا في هم وحزن، فبينما هم كذلك علا خالد بن الوليد بخيل المشركين فوقهم على الجبل، وكانوا على إحدى جنبتي المشركين، وهم أسفل من الشعب فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس أحد يعبدك بهذا البلد غير هؤلاء فلا تهلكهم"، فتاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ ٢/فتح [أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج معضلا، كما في الدر المنثور للسيوطي (٢/١٤٠)].

مؤمنين أى: إن كان إيمانكم متحققاً بالنصرة متحققة، ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: جراح وكسر يوم أحد، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾: المشركين، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: يوم بدر، ولم يجبنوا فأنتم أحق ألا تهنوا، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ أى: أيام الدنيا أو أيام الغلبة، ﴿نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة، وتارة لهؤلاء، وهو خبر لتلك، والأيام صفتها، ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: علم رؤية ومشاهدة أى: لتمييزوا عن المنافقين، وهو عطف على علة محذوفة أى: نداؤها ليكون كذا، وكذا، أو ليعلم الله إشارة إلى تعدد العلة أو تقديره: وليعلم الله الذين آمنوا فعلنا ذلك، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، وليكرم قومًا بالشهادة في سبيله، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: يعنى: غلبتهم لا محبتهم بل لما ذكرنا، ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: ليظهرهم من الذنوب بما يقع عليهم من قتل وجرح، وجملة "والله لا يحب الظالمين" معترضة، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: يهلكهم فإنهم إذا ظفروا بغوا فهو سبب هلاكهم أو مغلوية المؤمنين لتطهيرهم، ومغلوية الكفار لإهلاكهم في الدارين، والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: بل أحسبتم ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ^(١) اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ أى: لا تحصل الجنة لكم حتى يرى الله منكم المجاهدين، ويتليكم بالشدائد أو معناه لا تحصل لكم والحال أنكم لما تجاهدوا كما يقال: ما علم الله في فلان خيراً، أى: ما فيه خير، ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: ويرى الصابرين على القتال، أو نصبه بإضممار أن، والواو بمعنى الجمع، ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أى: الشهادة أو الحرب فإنها من أسباب الموت، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾: تشاهدوا وتعرفوا شدته، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ

(١) لما كان علم الله بالشيء من لوازم تحققه جعل عدم العلم كناية عن عدم ذلك الشيء فصار معنى لم يعلم الله الجهاد لم يجاهد فلما بمعنى لم إلا أن فيه ضرباً من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل/١٢ منه.

وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ»: رأيتموه معانين له حين قتل من قتل من إخوانكم فأنتم تمنيتم غلبة الكفار لأنكم تمنيتم الشهادة أو إذا طلبتم لقاء العدو فاصبروا^(١).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٨﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: بالموت، أو القتل، فيخلو محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: عن الدين، ورجعتم إلى دينكم الأول وذلك لما شاع يوم أحد أن رسول الله صلى الله

(١) وذلك أن طائفة منهم لم يحضروا غزوة بدر، وفاز في بدر من في الحرب بما فاز به من كرامة الدنيا والآخرة، فتمنوا لقاء العدو، وليكون لهم يوم كيوم بدر وهم الذين حرضوا على الخروج لأحد، فلما كان حرب أحد وشاع أن محمداً قد قتل انقلبوا فارين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عباد الله فرجعوا، واستعدروا بأن جاءنا خير قتلتك فرعبت قلوبنا فترلت الآية تلومهم على ما صدر عنهم مع ما قرروا في أنفسهم من تمنى الموت (وما محمد إلا رسول) الآية/ ١٢ وجز.

عليه وسلم قد قتل قال المنافقون للمؤمنين: الحقوا بدينكم الأول فـتـزلت^(١) ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: بل يضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: على نعمة الإسلام ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى: محال أن يموت أحد إلا بقدر الله، ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ أى كتب الموت كتابا مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فالتأخير عن القتال والإقدام عليه لا يزيد ولا ينقص في العمر، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أى: من عمله، ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ إن أردنا، قيل هذا تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد، وتركوا المركز الذى وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾: كمن ثبت حتى قتل، ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أى: من ثوابها، ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(٢): الذين لم تشغلهم زينة الدنيا، ﴿وَكَايْنِ﴾ أصله أى دخلت الكاف عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون فى الخط، وهى تنوين،

(١) رواه البيهقى/١٢.

(٢) أخبر الله تعالى فى هذه الآية أن من طلب الدنيا لا بد أن يصل إلى بعض مقصوده ومن طلب الآخرة فكذلك، وتقريره قوله عليه السلام ﴿لِنَا أَعْمَالٌ بِالْأَنْبِيَاءِ﴾ إلى آخر الحديث [أخرجه البخارى فى "بدء الوحى" (ح ١)، وفى مواضع أخر من صحيحه، واللفظ له، ومسلم فى "الإمارة" (٥٧١/٤) ط الشعب] واعلم أن هذه الآية وإن وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الأعمال، وذلك لأن المؤثر فى جلب الثواب المقصود والدواعى لا ظواهر الأعمال، فإن من وضع الجبهة على الأرض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فإن قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك من أعظم دعائم الإسلام، وإن قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر، وروى أبو هريرة عنه عليه السلام (أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمقاتل فى سبيل الله فى ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم إن الله تعالى يأمر به إلى النار" ١٢/كبير للرازي [والحديث أخرجه مسلم فى "الإمارة" (٥٦٨/٥) ط الشعب].

عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون في الخط، وهى تنوين، ومعناه كم، ﴿مَنْ نَبِيٍّ قَاتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ أى: جموع^(١) كثيرة منسوب إلى الربة وهى الجماعة أو علماء كثير، وفاعل قاتل ربيون^(٢) أو ضمير للنبي ومعه ربيون حال عنه، ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: ما فتروا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: من قتل بعضهم أو من قتل نبيهم^(٣)، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: عن العدو، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾^(٤): ما تخشعوا وما ذلوا لعدوهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ^(٥) الصَّابِرِينَ﴾: فينصرهم فى الدين، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾: مع أنهم ثابتون

(١) فسر بذلك ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، والحسن وقتادة، والسدى، وجماعة أخرى/١٢.

(٢) من ربايون، والكسر والحذف من تغييرات النسب/١٢.

(٣) قال قتادة والربيع ومحمد بن إسحاق والسدى: ما أصابهم من قتل نبيهم/١٢.

(٤) أصل استكن من السكون؛ لأن الخاضع يكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والألف من إشباع الفتحة، ومن استكون من الكون؛ لأنه يطلب من نفسه أن تكون لمن يخضع له/١٢.

(٥) والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد فى طريق الله ولم يظهر الجزع والعجز والهلوع - فإن الله يحبه، ومحبة الله للعبد ثابتة بالكتاب والسنة وكرر فى مواضع من كتابه أثبتها له رسوله وشهد به سلف أمته، فليس لمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينكر أو يستبعد ذلك، نعم لمن يتبع الفلسفة أن يفسر ذلك برأيه ثم يحتمل التحمل فى ذلك، أو فينفية برأسه كقولهم: المحبة مناسبة بين الحب والمحبوب، ومناسبة الرب للخلق نقص، فيقال المناسبة لفظ مجمل فإن أراد بها التوالد والقراة فيقال هذا نسب فلان ويناسبه إذا كان بينهما قرابة مستندة إلى الولادة، والله سبحانه مآثره عن ذلك أو يراد بها المماثلة فيقال: هذا يناسب هذا أى يماثله، والله سبحانه أحد صمد لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد أو يراد بها موافقة فى معنى من المعاني وضدها المخالفة والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة فإن أولياء الله يوافقونه فيما يأمر فيفعلونه، وفيما يحبه فيحبونه، وفيما نهى

ربانيون مصابون ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ اسم كان ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

= عنه فيتركونه، وفيما يبغضه فيبغضونه، والله وتر يحب الوتر [صح ذلك عنه مرفوعاً- صلى الله عليه وسلم- انظر صحيح الجامع (١٨٢٩)] جميل يحب الجمال [صح ذلك عنه مرفوعاً- صلى الله عليه وسلم- أخرجه مسلم في "الإيمان"] عليم يحب العلم نظيف يحب النظافة [ورد ذلك في حديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٥٩٦)] محسن يحب المحسنين مقسط يحب المقسطين إلى غير ذلك من المعاني، بل هو سبحانه يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحلته عليها طعامه، وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها بعد اليأس، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته كما ثبت ذلك في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم [أخرجه البخاري في "الدعوات" (٦٣٠٨)، ومسلم في "التوبة" (٢٧٤٤)] فإذا أريد بالمناسبة هذا وأمثاله فهذه المناسبة حق، وهي من صفات الكمال كما تقدم الإشارة إليه فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يحب صفات الكمال وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان ونحو ذلك والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور وبين الجهل والكذب والظلم ونحو ذلك لا يحب هذا، ولا يبغض هذا كان الذي يحب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال والموجود إما ألا يكون له علم كالجماد فالذي يعلم أكمل منه والعالم إما أن يحب المحمود ويبغض المذموم، وإما ألا يحبهما، وإما أن يحبهما ومعلوم أن الذي يحب المحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يحبهما أو يبغضهما وأصل هذه المسألة هي الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا فرق بينهما فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ومجمعون على أنه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في بعض رسائله/١٢.

أَمْرَنَا: صغائرنا، وكبائرنا، ﴿وَبُتِّ أَقْدَامَنَا﴾: بحولك وقوتك، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: النصر، والعافية، والغنيمة، ﴿وَوَحَّسَنَّا ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٦٢﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٦٣﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذَا تَحُسَّوْنَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تُلَوُّونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْبَكُمُ غَمًّا بَغَمٍ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الْصُّدُورِ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: (١) اليهود، والمنافقين حين قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم ﴿يُرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: يرجعوكم إلى الشرك، ﴿فَتَقَلَّبُوا خَاسِرِينَ﴾: مغبونين في الدارين، ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: فلا تستصروهم، ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: لما ارتحل المشركون عن أحد عزموا في أثناء الطريق الرجوع لاستئصال المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فلم يقدرُوا على الرجوع ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾: بسبب إشراكهم، ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي: أشركوا شيئاً لم ينزل الله بإشراكه حجة ودليلاً ﴿وَمَا وَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: النار، وضع الظاهر موضع المضمَر تغليظاً وتعليلاً، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بالنصر والظفر بشرط الصبر والتقوى ﴿إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ﴾: تقتلون المشركين أول الأمر يوم أحد (٢) ﴿يَا ذُنُوبَهُ﴾: بقضاء الله، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبستم، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أراد اختلاف الرملة حين انقزام المشركين قال بعضهم ندع مكاننا للغنيمة، وقال بعضهم: ترك الغنيمة، ولا نخالف نبي الله ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾: الرسول بترك المركز، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَرَأَيْتُمْ﴾: الله ﴿مَا تُحِبُّونَ﴾: من الغنيمة، وجواب إذا محذوف وهو امتحنكم أو منعكم نصره، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: وهم من ترك المركز للغنيمة، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: وهم

(١) وذلك حين حسبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل/١٢.

(٢) قد يستدل بهذه الآية على أن قوله: (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم

ربكم)(آل عمران: ١٢٤) الآية كان يوم أحد، وهو الوعد بالنصر، لكن بشرط الصبر

والثبات والطاعة/١٢.

الثابتون عند المركز، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفكم عنهم، وردكم بالهزيمة
﴿لِيَتْلِيَكُمْ﴾: يمتحن ثباتكم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾: مخالفة الرسول لندمكم، أو عفا
عنكم فلم يستأصلكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تبعدون
في الهزيمة متعلق بعفا عنكم، أو بصرفكم، أو ليتليكم، ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾: لا تقفون، ولا
تقيمون، ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾: ولا يلتفت بعض إلى بعض، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أُخْرَاكُمْ﴾ أى: فى جماعتكم الأخرى أى المتأخرة^(١) يقول: (إلى عباد الله فأنا رسول الله
من يكره له الجنة) (*) ﴿فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾: جازاكم عن فشلكم غما متصلاً بغم غم
الذنب وظن قتل نبيكم والخوف وظفر المشركين^(٢) وقيل غمًّا بسبب غم أذقتموه
رسول الله بمخالفته، ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾: من الغنيمة^(٣)، والظفر
بعدوكم، ﴿وَلَا﴾: على، ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾: من القتل والجراح وقيل معناه لتتزنوا على
الصبر فى الشدائد؛ فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق، وقيل لا فى لكىلا
زائدة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: عالم بأعمالكم وقصدكم، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ
بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا﴾: أمانة^(٤) مفعول، ونعاساً^(٥) بدل منه، وهذا كما قال الزبير: لقد

(١) الأول منقول عن كثير من السلف رواه ابن مردويه عن عمر بن الخطاب وابن عباس
وابن أبى حاتم عن قتادة/١٢.

(٥) سبق تخريجه والتنبيه على ضعفه.

(٢) على الوجه الأول الظرف أعنى بغم مستقر وعلى الثانى متعلق بأتابكم/١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس، وعبد الرحمن بن عوف، والحسن، وقتادة، والسدى
١٢/.

(٤) على أن النعاس الأمانة أو نعاسا مفعول، وأمانة حال مقدم/١٢.

(٥) الحديث الذى ذكرنا فى شرح الآية يدل على أن النعاس بعد الهزيمة حين وجدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أنه لم يُصب والكفار على الرجوع/١٢.

رَأَيْتَنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ الْخَوْفُ عَلَيْنَا أَرْسَلَ^(١) اللَّهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ فَمَا مَنَا مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَفَنَهُ فِي صَدْرِهِ، وَاللَّهُ لَا أَسْمَعَ قَوْلَ مُعْتَبِ بْنِ قَشِيرٍ إِلَّا كَالْحَلَمِ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ^(٢) مَا قَتَلْنَا هَاهُنَا، وَعَنْ^(٣) ابْنِ مَسْعُودٍ: النَّعَاسُ فِي الْقِتَالِ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، «يَعْشَى»: النَّعَاسُ «طَائِفَةٌ مِنْكُمْ»، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، «وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» مَا هُمْ إِلَّا هُمْ أَنْفُسُهُمْ وَطَلَبَ خِلَاصَهَا، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، «يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ»: نَصَبَ غَيْرَ الْحَقِّ بِالمصدر^(٤) أَيْ يَظُنُّونَ غَيْرَ الظَّنِّ الْحَقِّ، وَظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ بَدَلُهُ أَوْ هُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، وَغَيْرُ الْحَقِّ مُصَدَّرٌ لِمُضْمُونِ الْجُمْلَةِ أَيْ يَظُنُّونَ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ قَوْلًا غَيْرَ الْحَقِّ، وَهُوَ أَهْمُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ، «يَقُولُونَ»^(٥) هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟ أَيْ: هَلْ لَنَا مِنَ النِّصْرِ وَالْغَلْبَةِ شَيْءٌ، وَنَصِيبُ قَطْ؟ وَهَذَا إِنكَارٌ مِنْهُمْ، «قُلْ»: يَا مُحَمَّدُ، «إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ»: النِّصْرُ وَالظَّفَرُ وَالْقَضَاءُ وَالْقُدْرُ، «يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ»: مِنَ النِّفَاقِ اسْتِثْنَاءً، أَوْ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ يَقُولُونَ، «مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ»^(٦)، بَدَلُ^(٧) مِنْ يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ أَوْ اسْتِثْنَاءٌ أَيْ إِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَقُولُونَ: «لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» أَيْ: لَوْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ،

(١) رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ/١٢.

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ/١٢.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ/١٢.

(٤) عَلَى طَرِيقِ النُّوعِيَّةِ دُونَ التَّأَكِيدِ/١٢.

(٥) اسْتِفْهَامُ إِنكَارٍ/١٢.

(٦) فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ/١٢.

(٧) إِذْ لَوْ قَالُوا ذَلِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مُجَاهِرَةً لَمَا كَانُوا مُنَافِقِينَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ يَخْفَوْنَ لِخ/١٢.

﴿مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾: لما قتل منا في هذه المعركة، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُتُوكُمْ لَكَبَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي: لخرج الذين قدر القتل عليهم إلى مصارعهم فلم يستطيعوا الإقامة في المدينة ﴿وَلَيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، ليمتحن، ويظهر سرائركم من الإخلاص وعدمه، وهو عطف على محذوف أي برز لنفاذ القضاء وليبتلى، أو علة فعل محذوف أي: فعلنا ذلك، ﴿وَلَيَمَحْصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يكشفه، ويميزه أو يطهره، ويخلصه من الوسوس ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بضمائرهما، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿يَوْمَ تَقُيَ الْجَمْعَانِ﴾^(١): في أحد، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: انهزم من انهزم لأجل استزلال الشيطان إياهم ببعض الذنوب، وإيقاعهم فيه يعني اقترفوا ذنوبا لم يستحقوا معها التأييد الإلهي، وتقوية القلب فلذا فروا أو لأجل أنه حملهم على الدلة التي هي الفرار بسبب ذنب هو بمخالفة الرسول أعنى ترك المركز أو بشؤم ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجز بعضها بعضا كالطاعة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ تلك الخطيئة، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذنوب، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبة العصاة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَخِيءُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ

(١) المسلمون، والكافرون/١٢.

(٢) استزلمهم: طلب منهم الزلل، وإذا قلت استزله بكذا جاز أن يكون الزلل المحرض عليه هو ما دخل عليه الباء وجاز أن يكون غيره، والمعنيان اللذان في الشرح بناء على ذلك/١٢ منه.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَمِّمَةً لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَئِن
 مُّتِمُّوا قِتْلَتَكُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ ﴿٧٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ
 فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
 فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٧٩﴾ إِنْ
 يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ
 وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعُلَّ وَنَ يَغْلُلَ يَأْتِ بِمَا
 غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٨١﴾ أَفَمَنْ
 اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الصَّابِرُ ﴿٨٢﴾ هُمْ
 دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
 بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٤﴾ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ
 مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
 ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَّاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
 لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلُوا قُلَّ قَادَرُوا عَنْ أَنفُسِكُمْ
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
 أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٨٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ

يَا الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى: المنافقين، ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ:
لَأَجَلَ أَصْحَابِهِمْ فِيهِمْ، ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾^(١): سافروا أى قالوا لأجل الأحوال العارضة
للإخوان إذا ضربوا بمعنى حين كانوا يضربون، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: للتجارة وغيرها فماتوا
في تلك السفر: ﴿أَوْ كَانُوا غَزًى﴾، فقتلوا جمع غاز ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا
قُتِلُوا﴾، مقول قالوا، ﴿لِيَجْعَلَ﴾^(٢) اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أى: لا تكونوا مثلهم
في ذلك الاعتقاد ليجعل ذلك الاعتقاد حسرة في قلوبهم خاصة دون قلوبكم أو معناه
قالوا ذلك واعتقدوا ليجعل، وحيثذ اللام لام العاقبة كقولهم: (لدوا للموت وابنوا
للخراب) ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ أى: المؤثر فيهما هو الله لا الإقامة والسفر،
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فلا تكونوا أيها المؤمنون كالكفار، ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ﴾ أى: في سبيله، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ﴾، جواب القسم^(٣) ساد مسد الجزاء أى لو وقع القتل أو الموت فما تنالون
من المغفرة بالموت خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية، ﴿وَلَكِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ

(١) حاصل ما قررنا أن إذا ضربوا ظرف لما يحصل للإخوان أى: الأحوال العارضة لهم في
زمان مفرهم لا ظرف قالوا حتى يلزم أن قالوا ماض وإذا ضربوا مستقبل فلا يصح،
وكان ما ذكره الشارح أولى مما ذكره الزمخشري فانظر فتاؤل/١٢.

(٢) فاللام متعلق بلا تكونوا أو بقالوا وعلى الأول ذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من
الاعتقاد/١٢.

(٣) إشارة إلى أن اللام في (ولكن قتلتم) هي الموطعة للقسم، وكذا اللام في (ولكن
متم)/١٢ منه.

لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ لا إلى غيره، فلا رجاء ولا خوف إلا منه، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾، ما مزيدة للتأكيد أى: برحمة وإحسان منه سهلت أخلاقك يا محمد لهم، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا﴾: سئى الخلق، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسيه، ﴿لَا نَفْضُوا﴾: تفرقوا، ﴿مِنَ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما لله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: فيما تصح المشاورة فيه تطييباً لقلوبهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: وجزمت على أمر بعد الشورى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١): فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصرهم، ويهديهم، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم، ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾: بغلبة العدو ﴿فَمَنْ^(٢) ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد الخذلان، أو من^(٣) بعد الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فليخصوه بالتوكل^(٤) عليه لما علموا ألا ناصر سواه، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾^(٥): ما ينبغي لنبى أن يخون فى الغنيمة، نزلت فيما قال

(١) وفيه إشارة إلى أن التوكل ليس هو إهمال التدبير بالكلية وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل، بل مراعاة الأسباب الظاهرة مع تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه بالقلب/١٢فتح.

(٢) ومن علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له ومن خذله لا ناصر له فوض أمره إليه، وتوكل عليه ولم يشتغل بغيره/١٢.

(٣) رواه العوفي عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٤) وقد وردت فى صفة التوكل أحاديث كثيرة صحيحة، وقد عد النبى المتوكل من سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، كما فى مسلم/١٢فتح[وهو أيضاً فى البخارى أخرجه فى "الطب" (٥٧٠٥)، ومسلم فى "الإيمان"].

(٥) ولما أمر نبيه بالعفو فى سوء أدهم، والاستغفار فى ذنوبهم بين فى إفراد إساءة الأدب والذنب "وما كان لنبى أن يغل" الآية/١٢وجيز.

المنافقون^(١) يوم بدر حين فقد قطيفة حمراء لعل رسول الله أخذها، أو في ظن الرماة^(٢) يوم أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعطيهم الغنيمة، ولهذا اشتغلوا بالغنيمة، وتركوا المركز أو معناه ما كان لنبي أن يكتم شيئاً من الوحي^(٣) وقرئ على البناء للمفعول أى ينسب إلى الخيانة، أو يخونه أمتة فليل نزلت^(٤) يوم بدر، وقد غل بعض أصحابه ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: حاملاً^(٥) له على عنقه، وقد^(٦) ورد أن الحجر ليرمى به في جهنم فيهوى سبعين خريفاً ما يبلغ قعرها^(*)، ويؤتى بالغلول فيقذف معه، ثم يقال لمن غل ائت به فذلك قوله (ومن يغلل يأتي بما غل يوم القيامة)، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاؤه وإذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال لعظم ذنبه بذلك أولى، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾: بنقص الثواب، وازدياد العقاب، ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بطاعته، ﴿كَمْ بَاءَ﴾: رجع، ﴿بَسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: بمخالفة شرعه، ﴿وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أى أهل الخير وأهل الشر^(٧)

(١) نقله الترمذى وأبو داود عن عبد الواحد بن زياد، وابن مردويه عن ابن عباس، وابن أبي حاتم وابن جرير عنه أيضاً/١٢ وجيز [وهو حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٠٧)، والصحيحة (٢٧٨٨)].

(٢) رواه العوفي عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٣) هذا قول محمد بن إسحاق/١٢ منه.

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة والربع/١٢ منه.

(٥) والأحاديث التي تدل على هذا توجد في الكتب الستة، وغيرها/١٢ منه.

(٦) رواه ابن مردويه/١٢ منه.

(*) أخرجه مسلم في "الزهد".

(٧) وفي الوجيز: هذا بعيد جداً أى إرجاع الضمير لأهل الخير والشر جميعاً إذ لا يقال أن للكافر درجة عند الله تعالى فإن الدرجة ما يتوسل به إلى مكان علو وما سمعناه يستعمل

درجات أى كدرجات^(١) فى التفاوت أو ذو درجات، «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ»، فيجازيهم على حسب الأعمال، «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ»: من جنسهم لا من ملك وغيره ليفهموا كلامه، ويتمكنوا من مجالسته والاتفاق به، «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» أى: القرآن، «وَيُزَكِّيهِمْ»: من دنس الشرك والجهل، «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ»: القرآن، «وَالْحِكْمَةَ»: السنة، «وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ» إن هى المخففة أى: إن الشأن كانوا قبل بعثته، «لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»: ظاهر، «أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ^(٣)» يوم أحد من قتل سبعين منكم، «فَقَدْ أَصَابَتْكُمْ مِّثْلُهَا»: يوم بدر من قتل سبعين، وأسر سبعين، «فَقُلْتُمْ^(٤)» أُنِّى هَذَا: القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فىنا، والهزمة متخللة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهو ما سبق من^(٥) قصة أحد

= إلا فيمن له شرف ومكان عال حسن، بل الضمير لمن اتبع فإنه هو المحدث عنه أى هم ذوو درجات، وفى تلك العبارة مبالغة لا تخفى/١٢.

(١) فيكون التشبيه بحذف الأداة/١٢ منه.

(٢) ولما بين فضل المؤمنين، وأنهم هم الواصلون إلى رضوانه تعالى، ولهم الدرجات العلى من فضل الله تعالى، وَمِنْهُ مَنُّهُ عَلَيْهِمْ بَعَثَ أَشْرَفَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ فِيهِمْ، فقال: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ) الآية/١٢ وجز.

(٣) ولما من على المؤمنين ببعثة رسول عالم مظهر صلى الله عليه وسلم فرما يذهب وهم وإهم إلى أن خذلان المؤمنين فى بعض الأحيان لماذا؟ فقال: (أو لما أصابكم) الآية/١٢.

(٤) أى كيف أصابنا هذا الكسر، والقتل، ونحن نقاتل أعداء الله تعالى؟ فأنى سؤال عن الحال على سبيل التعجب، ولا يناسب أن يكون أنى بمعنى أين ومتى لأن الاستفهام لم يقع هنا من المكان، والزمان/١٢ وجز.

(٥) من قوله (لقد صدقكم الله وعده) إلى قوله (لفى ضلال مبين) لأن الكل يتعلق بقصة أحد من غير تحلل أجنى/١٢ منه.

للتقرير والتقرير^(١) وقلتم جواب لما فإنه ظرف بمعنى حين يستعمل استعمال الشرط مضاف إلى الجملة بعده، وناصبه ما وقع موقع الجزاء، وأنى خير هذا وقع مقول القول، وقد أصبتم صفة لصيغة، «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ»: من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك المركز أو فيما صنعتهم من أخذكم^(٢) الفداء يوم بدر، «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: من النصر، ومنعه «وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ»: جمع المسلمين، والمشركون يوم أحد، «فِيَا ذَنْ اللَّهَ»: فهو بقضائه، وقدره، «وَلْيَعْلَمْ»، عطف على يأذن الله، «الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا» أى: لتمييز المؤمنون من المنافقين ويظهر إيمان هؤلاء، وكفر هؤلاء، «وَقِيلَ لَهُمْ» أى: لعبدالله بن أبي وأصحابه لما انصرفوا في أثناء الطريق، عطف على نافقوا أو كلام مبتدأ، «تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا»: عَنَّا القوم بتكثيركم سوادنا، وقيل تخيير بين المقاتلة للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال، «قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ»، لكن لا يكون اليوم قتال، ونافقوا في هذا أيضًا، لأنهم ظنوا القتال ورجعوا وقيل معناه لو نعلم أن ما ترتكبونه قتال لا تبعناكم، لكن هو إلقاء الأنفس إلى التهلكة، «هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ»، لانخراطهم وكلامهم، «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ»: من كلمة الإيمان، وقولهم لو نعلم قتالا على التوجيه الأول، «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ»: من النفاق، «الَّذِينَ»، بدل من فاعل يكتمون أو نصب أو رفع على الذم، «قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ» أى: لأجل أقاربهم المقتولين يوم أحد أو قالوا لإخوانهم من

(١) أى الحمل على الإقرار والتقرير على مضمون المعطوف/١٢ منه.

(٢) فإن المسلمين اجتمع رأيهم على أخذ الفداء فأخذوا الفداء قبل أن يأذن الله لهم كما سيحيى، رواه ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب، وابن جرير عن علي بن أبي طالب، والترمذى، والنسائى عن محمد بن سيرين/١٢ منه.

المنافقين، ﴿وَقَعَدُوا﴾ أى: والحال أنهم قد قعدوا عن الحرب، ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أى: شهداء أحد في الانصراف، ﴿مَا قُتِلُوا﴾: كما لم نقتل، ﴿قُلْ فَادْرِعُوا﴾: ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنكم تقدرون دفع القتل عنكم كتب عليه، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾، نزل^(١) في شهداء أحد أو في شهداء بدر أو في سبعين من الصحابة قتلوا في بئر معونة حين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد، ﴿بَلْ﴾: هم، ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في دار كرامته، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: من الجنة حيث شاء، فإن أرواحهم في أجواف طيور خضر^(٢)، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: لوقوع محذور، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣): لفوات محبوب وألا خوف بدل اشتغال من

(١) الأول روى الحاكم في مستدركه، وأبو داود عن ابن عباس [وكذا أحمد بسند صحيح، انظر صحيح الجامع (٥٢٠٥)]، وكذا قال قتادة والربيع والضحاك، والثاني قول مقاتل، ومجاهد، والثالث روى ابن جرير عن أنس بن مالك/١٢ منه.

(٢) ترد أثمار الجنة، وتأكّل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش/١٢ منه.
(٣) أخرج أحمد، وأبو يعلى، والبيهقي في الأسماء والصفات عن نعيم بن حماد أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الشهداء أفضل؟ قال (الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك ينطلقون في الغرف العالية من الجنة، ويضحك إليهم ربه وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه/١٢ در منثور) [أخرجه أحمد (٢٨٧/٥) بسند رجاله ثقات خلا لإسماعيل بن عياش وهو صدوق في روايته عن أهل بلده، وهذا منها].

قوله صلى الله عليه وسلم (ويضحك إليهم ربه).. إلخ ضحك الرب عز وجل من صفاته، وقد جاء ذكر الضحك في الأحاديث الصحيحة الثابتة يجب الإيمان به قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية قدس الله سره في بعض فتاواه:

الذين أى يستبشرون بعدم الخوف والحزن على الذين خلفهم من المؤمنين بشرهم الله

= وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح، وإن كان ذلك قد يقارنه، ثم قول القائل خفة الروح أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه، وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثاني، ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينظر إليكم أذلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب" فقال له أبو رزين العقيلي، يا رسول الله أو يضحك الرب قال: "نعم"، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا، فجعل الأعرابي العقل بصحة فطرته ضحكه دليل على إحسانه وإنعامه فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك وقد قيل في اليوم الشديد العذاب "يوما عبوسا قمطريرا" (الإنسان: ١٠)، وقد روي أن الملائكة قالت لآدم حياك الله وبياك أي: أضحكك والإنسان حيوان ناطق ضاحك، وما تميز به الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك، وإذا كان الضحك فينا مستلزما لشيء من النقص، فالله تعالى مزمه عن ذلك، وذلك النقص مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقا مقرونة بالنقص كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص، ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم ألا يكون الرب موجودا وألا يكون له ذات ومن هنا ضلت القرامطة الغلاة كصاحب الأقاليد وأمثاله، فأرادوا أن ينفوا عنه كل ما يعلم بالقلب أو ينطق به اللسان من نفي وإثبات، فقالوا: لا نقول موجود ولا لا موجود، ولا موصوف ولا لا موصوف لما في ذلك على زعمهم من التشبيه وهذا يستلزم أن يكون ممتنعا، وهو مقتض للتشبيه بالمتنec، والتشبيه الممتنع عن الله أن يشارك المخلوقات في شيء من خصائصها أو أن يكون مماثلا لها في شيء من صفاته كالحياء والعلم والقدرة فإنه وإن وصف به فلا تماثل في صفة الخالق صفة المخلوق كالحادث والموت والفناء والإمكان انتهى.

بذلك أو يسرون^(١) بلحوق من لحقهم عن إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من الكرامة قال السدى: يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا، فيسر بذلك كما تسرون بقدوم الغائب، وقال: بعضهم لما قتلوا ورأوا الكرامة قالوا: يا ليت إخواننا^(٢) يعلمون ما عرفناه، فباشروا القتال بالرغبة، فأخبر الله نبيه بأمرهم، ثم الله أخبرهم بأن قد أخبرت بأمركم نبيكم، فاستبشروا بذلك فذلك قوله: (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا) إلى آخره ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، كرهه تأكيداً، وليتعلق به قوله: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، ثواباً لأعمالهم، ﴿وَفَضْلٍ﴾: زيادة عليها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، عطف على نعمة أى: استبشروا لما عاينوا من وفاء الموعد .

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٨) فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٩) إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٠) وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ

(١) هو قول محمد ابن إسحاق، وهذا الذى نقلنا عن السدى يوافقه/١٢.

(٢) فى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن قرأناه زمانا حتى رفع أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا [أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤٠٩٠، ٤٠٩١)، وفى غير موضع من صحيحه، وحده دون مسلم] وفيما نقله محمد بن جرير أنه لنسخت، ورفعت وأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله﴾ الآية/١٢ منه.

شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرًا لِأَنفُسِهِمْ إِنََّّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا
 وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٣٣﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ
 الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِنْ
 رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾
 وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ
 لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٥﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: الجرح، وهو صفة
 للمؤمنين أو نصب على المدح، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾: بطاعة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ومن للتبيين، وهو أى للذين خبر قدم على مبتدئه، والجملة استثنائية أو
 الذين استجابوا مبتدأ وجملة للذين أحسنوا إلخ خبره، ﴿وَاتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ
 الَّذِينَ﴾، بدل من الذين، ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾: رسول المشركين، ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾، أى:
 المشركين، ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾، ذلك القول، ﴿إِيمَانًا﴾ يقيناً
 وتصديقاً، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: محسبنا وكافينا، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: الموكل
 إليه هو، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، سلامة بدن، ﴿وَفَضْلٍ﴾: ربح مال، ﴿لَمْ
 يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: قتل وجرح، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: فى طاعة رسوله، ﴿وَوَاللَّهُ
 ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، أنعم عليهم بإنعامات حمة دينية ودنيوية نزلت آية (الذين استجابوا)
 إلخ فيمن بقى من غزوة أحد فإنهم أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جراحتهم
 فى الخروج عقب المشركين فإنهم إذا رجعوا من أحد ندموا فى أثناء الطريق، وقالوا:

نرجع ونستأصلهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع^(١) من كان معه في أحد فلما سمع المشركون بخروجهم ألقى الله الرعب فيهم فأرسلوا أحدا يخوف المسلمين منهم، والمسلمون يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا فرجع المسلمون بعافية وريح وهو أن^(٢) غيراً مرت فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وريح فيها مالاً وقسم بين أصحابه^(٣) أو نزلت فيمن خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام القابل من غزوة أحد حين خرج المشركون من مكة وألقى الله الرعب فيهم في أثناء الطريق، وندموا من الخروج وأرسلوا أحدا يخوف المسلمين في المدينة، وهم متأهبون للقتال قائلون حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا من الطريق فرجع المسلمون بسلامة وريح في تجارة من سوق^(٤) بدر ورضاً من الله، ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أى: قائل إن الناس قد جمعوا لكم شيطان يصدكم عن سبيل الله، مبتدأ، وخبر، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾:

(١) ولم يأذن في الخروج معه أحدا غيرهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بنى أبي عتبة، شك سفيان/١٢.

(٢) عمر الظهران/١٢.

(٣) رضى الله عنهم هذا هو المنقول الثابت الذى صححه ابن كثير في تفسيره والبغوى أيضاً، وهو قول جميع قدماء المفسرين والمؤرخين فالآية جميعها في غزوة حمراء الأسد المتصلة بغزوة أحد، لا أن بعض الآية، وهو ﴿الذين استجابوا﴾ إلى قوله ﴿أجر عظيم﴾ في تلك الغزوة وباقيتها وهو الذين (قال لهم الناس) إلى آخر الآية في غزوة بدر الصغرى التى نذكرها كما قال الرازى وغيره من المتأخرين، فلا تعتمد على الرازى والزمخشري وغيرهما/١٢ منه وجيز.

(٤) وهو المسمى بغزوة بدر الصغرى، فإن المسلمين انتظروا المشركين في البدر فلم يأتوا فرجع المسلمون من بدر بتجارة وريح ورضاً من الله قال الشيخ المحدث الناقد أبو الفداء عماد الدين بن كثير: الصحيح أن الآية في غزوة حمراء الأسد لا في بدر الصغرى/١٢ منه.

يخوفكم أوليائه بإيهاكم أظم ذوو قوة وبأس، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين موقنين، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أى: لا تهتم، ولا تبال بمن يبادر إلى العناد وكسر^(١) الإسلام، وهم كفار قريش أو المنلفقون أو هم واليهود، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أى: دين الله، وشيئاً مصدر أو مفعول، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾: نصيباً من الثواب فيها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، مع حرمان الثواب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: استبدلوا هذا بهذا ﴿لَنْ^(٢) يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، ولكن يضرون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمَّا تُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ﴾، ما مصدرية، وإن مع ما فى حيزه مفعول، وفى قراءة: "ولا تحسبن" بالتاء تقديره لا تحسبن يا محمد حال الذين كفروا أن الإملاء أى: الإمهال خير بحذف مضاف أو إنما على بدل من المفعول، واستغنى به عن المفعول الثانى ﴿إِنَّمَا تُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾، استئناف بما هو علة الحكم قبلها، وما كافة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ نزلت فى مشركى مكة، أو فى قريظة والنضير، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: يا معشر المسلمين من التباسكم بالمنافقين أو يا معشر المؤمنين والمنافقين من الالتباس والاختلاط ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾؛ المنافق من المخلص بالوحى أو بتكاليف لا تدعن لها إلا الخلف كما ميز يوم أحد، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، فتعرفوا قلوب المخلصين والمنافقين، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ^(٣) رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فيخبره ببعض المغيبات

(١) بهذا التقرير دفع ما يقال من شأن الرسول أن يحزن بكسر الإسلام فكيف يؤمر بعدم الحزن/١٢ منه.

(٢) ومن هذا علم أن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الله تعالى/١٢ وحيز.

(٣) من بيانية، أو تبعيضية/١٢ منه.

نزلت حيث قال المشركون: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا بمن يؤمن به، ومن يكفر أو لما قال عليه الصلاة والسلام: (عرضت على أمي وأعلمت من يؤمن لي ومن يكفر لي) قال المنافقون: إنه يزعم عرفان المؤمن من الكافر، ونحن معه ولا يعرفنا، ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: بصفة الإخلاص، ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا﴾: حق الإيمان، ﴿وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَلَا يَخْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾، بقراءة التاء تقديره ولا تحسبن بخل الذين يحذف مضاف، وكذا بقراءة الياء إن كان الفاعل ضمير الرسول وأما إذا كان الذين يبخلون فاعله فتقديره ولا يحسبن البخلاء بخلهم^(١) هو خيراً لهم نزلت في مانعي الزكاة^(٢) وقيل في أهل الكتاب^(٣) بخلوا بما في أيديهم من الكتب المترلة، ﴿بَلْ هُوَ﴾ أى: البخل، ﴿شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يجعل ماله الذى لم يؤد زكاته حية يطوق في عنقه تنهشه من فرقه إلى قدمه، أو يجعل طوقاً من نار، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يفنى البلاك، وتبقى الأملاك بلا مالك إلا الله، فلا تبخلوا، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من المنع، والإعطاء^(٤)، ﴿خَبِيرٌ﴾، فيجازيكم .

(١) عند الزمخشري جاز حذف أحد مفعولى باب علمت عند ظهور القرينة وهاهنا كذلك على أن الفاعل لما اشتمل على ذكر البخل صار هذا في حكم إيجاد الفاعل، والمفعولين/١٢ منه.

(٢) ففي البخارى ومسلم أنه عليه السلام قرأ بعد أن أوعدهم/١٢ [أخرجه البخارى في "التفسير" (٤٥٦٥)، وفي غير موضع من صحيحه دون مسلم].

(٣) رواد ابن جرير عن ابن عباس، والأول أصح/١٢ منه.

(٤) قال الرازى في التفسير الكبير: إن الإنفاق الواجب أقسام كثيرة منها إنفاقه على نفسه وعلى أقاربه الذين يلزمه مؤنتهم، ومنها ما يتصل بأبواب الزكاة ومنها ما إذا احتاجه المسلمون إلى دفع عدو يقصد قتلهم وماهم فهاهنا يجب عليهم إنفاق الأموال على من

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ١٢١ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ١٢٢ ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّسَارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٢٣ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ١٢٤ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّسَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ ١٢٥ ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ١٢٦ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ١٢٧ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٢٨ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٢٩ ﴿

= يدفعه عنهم؛ لأن ذلك يجرى مجرى دفع الضرر عن النفس، ومنها إذا صار أحد من المسلمين مضطرا فإنه يجب عليه أن يدفع إليه مقدار ما يستبقى به رفقه فكل هذه الإنفاقات من الواجبات، وتركه يكون من باب البخل، والله أعلم/١٢.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ^(١) قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، قالت اليهود لما نزلت: (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً) (البقرة: ٢٤٥، الحديد: ١١) أو لما دعاهم أبو بكر إلى الإسلام قالوا: إن الله إلينا لفقير ونحن عنه أغنياء، ولولا ذلك ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ﴿سَكَتُبُ مَا قَالُوا﴾: فى صحيفة أعمالهم أو سنحفظه ولا نهمله، ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بحسد وعناد قرنه به لأههما كجنس^(٢) واحد فى العظم، ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ المحرق أى: ننتقم منهم بأن نقول لهم ذلك ﴿ذَلِكَ﴾ أى: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾: بسبب ذنوب صدرت من أنفسكم، وهو من جملة المقول معهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣)، عطف على ما قدمت أى: عدلنا يقتضى تعذيبكم، وصيغة المبالغة لكثرة العبيد فإنها جمع محلى باللام، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ أى: حتى يأتى بتلك المعجزة الخاصة، وهى أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه تنزل نار من السماء تأكلها كما كانت لأنبياء بنى إسرائيل ﴿قُلْ﴾: يا محمد تكذيباً لهم، وإلزاماً؛ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾:

(١) لا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد، أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة/١٢ منه.

(٢) وبأن هذا ليس بأول ما ركبه من العظام، بل هم أصلاء فى الكفر، والكفر منهم ميراث، ورثوه من أجدادهم/١٢.

(٣) وفيه إشارة ظاهرة بأنه لو عفى عن تلك الجرائم العظام التى هى الكفر وأشد الظلم على أفضل الخلاق لكان الله تعالى كثير الظلم، والعجب كل العجب أن فى الآيات القرآنية أكثر من عشرة وعشرين أن تقيص الحسنات وتضعيف السيئات وتعذيب المحسن والإحسان مع المسيء فى القيامة ظلم من الله تعالى، وهو تعالى بفضله وإحسانه لا يظلم مثقال ذرة وحرم على نفسه الظلم، وصرح بذلك علماء الخلف وعظماء السلف، وليس فى كتب اللغة التى عندنا تفسير الظلم إلا بوضع الشيء فى غير موضعه اللائق ومع هذا كله فضلاً لنا المتأخرون فسروا الظلم بالتصرف فى ملك الغير بغير إذنه قالوا: الظلم على الله محال، وما فطنوا بالفسادات الواردة على ذلك، وقد بينا ذلك فى رسالة مفردة/١٢ وجيز للمصنف.

تلك المعجزة الخاصة التي تطلبون مني، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنكم تتبعون من جاء بتلك المعجزة، ثم قال مسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: فليس يبدع منهم، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: الكتب المقصورة على الحكم وعلى المواعظ، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح المعنى المتضمن للشرائع والأحكام، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: وعد للمصدق، ووعد للمكذب، ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: تعطون تاماً جزاء أعمالكم، ﴿فَمَنْ زُحْرِحَ﴾: جنب، وبعد: ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالبغيعة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: زخارفها، ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: كمتاع يدلس به على المستام^(١) فيغير ويشتره فمن اغتر بها وآثرها فهو مغرور، ﴿لَتُبْلَوْنَ﴾ أي: والله لتختبرن، ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾: بإهلاكه، والأمر بالإنفاق، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾: بالجهاد والقتل، والأمراض، والحقوق كالصلاة، والحج، ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى^(٢) كَثِيرًا﴾، من هجاء الرسول، والطعن، وتشبيب النساء أمرهم بالصبر قبل الوقوع ليوطنوا أنفسهم عليه، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على الأذى، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله، ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾: أي الصبر، والتقوى، ﴿مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: معزوماً^(٣) أي: التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله وأمر وبالع فيه قال عطاء: من حقيقة الإيمان، ﴿وَوَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أي: اذكره، ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: بلسان أنبيائهم، ﴿لَتُبَيِّنَنَّهٗ

(١) المشتري/١٢.

(٢) من الطعن وتشبيب النساء، والتشبيب هو ذكر أوصاف الجمال، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف بنساء المؤمنين/١٢ فتح.

(٣) يعني أن العزم مصدر بمعنى المفعول أي المعزوم عليه، والفاعل هو العبد أي: يجب عليه أن يعزم على ذلك، والله تعالى أراد وقطع وفرض أن يكون ذلك ويحصل قال الإمام المازني: حقيقة العزم توطين النفس، وعقد التغلب ولذلك لم يجز على الله/١٢.

(٤) والظاهر أن المراد بأهل الكتاب كل من آتاه الله علم شيء من الكتاب أي كتاب كان كما يفيد التعريف الجنسي في الكتاب قال الحسن وقتادة: إن الآية عامة لكل عالم وكذا

لِلنَّاسِ: حكاية لمخاطبتهم أى: والله لتبينن الكتاب بجملته لهم، ﴿وَلَا تَكْتُمُوهُ فَنَبِّذُوهُ﴾ أى: الميثاق، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: هو مثل^(١) فى ترك الاعتداد والاعتبار^(٢)، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أخذوا بدله قليلاً من حطام الدنيا، ﴿فَيُسْأَلُ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(٣): يختارون، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾^(٤): تأكيد للأول، ﴿بِمَفَازَةٍ﴾^(٥): منجاة، ﴿مَنْ الْعَذَابِ﴾ أى: فائزين بالنجاة منه، ومن قرأ بالياء ففاعله الذين، ومفعوله الأول متصل بالتأكيد^(٦) ولا

= قال محمد بن كعب، ويدل على ذلك قول أبى هريرة: لولا ما أخذه الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢ فتح.

(١) ونقيضه: جعله نصب عينيه، وألقاه بين عينيه/١٢ منه.

(٢) اعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مختصاً باليهود والنصارى فإنه لا يبعد أيضاً دخول المسلمين فيه لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب/١٢ كبير. قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال أبو هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢ معالم، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سئل علماً يعلمه فكنمه ألجم بلجام من نار) أخرجه الترمذى/١٢ فتح [صحيح]، أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم من حديث أبى هريرة مرفوعاً، وانظر صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٣) معناه أنهم أخفوا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان شيء من الدنيا، فكل من لم يبين الحق للناس وكنم شيئاً منه لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطبيب لقلوبهم أو لجر منفعة أو لتقية وخوف، أو لبخل بالعلم دخل تحت هذا الوعيد/١٢ تفسير كبير.

(٤) والفاء للإشعار بأن أفعالهم المذكورة علة لمنع الحساب والنهي عنه قال الزجاج: العرب تعيد إذا طالت القصة فى حسبت وما أشبهها إعلاماً بأن الذى جرى متصل بالأول وتوكيد تقول لا تظنن زيدا إذا جاعك وكلمك بكذا أو كذا فلا تظنه صادقاً/١٢ منه.

(٥) بمعنى فائزين ثانى مفعولى تحسبن/١٢.

(٦) يعنى: جعل التأكيد وهو لا تحسبن هو الفاعل والفاعل إذ ليس المذكور سابقاً إلا الفعل والفاعل، فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول الأول، ولا حذف وهو أولى مما قاله الزمخشري/١٢.

حذف، «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» بكفرهم، وكتماهم آيات الكتاب، وقد صح^(١) أن مروان أرسل أحدًا إلى ابن عباس رضى الله عنهما وقال: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لعذبين أجمعين، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: مالكم وهذه إنما نزلت في أهل الكتاب، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وأخبروه بغير الواقع، فظنوا أن قد استحمدوا^(٢) إليه بما أخبروه، وفرحوا بكتماهم أو نزلت^(٣) في قوم تخلفوا عن الغزو، ثم اعتذروا وحلفوا واستحمدوا وقيل في المنافقين يفرحون بنفاقهم، ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان، «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: فلا يعجز عن الانتقام.

﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشِطُ

(١) روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف/١٢ منه [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٨)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٦٤٨/٥)].

(٢) أى: طلبوا الحمد متوسلين إليه بذلك/١٢، أى: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى/١٢ [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٣)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٦٤٨/٥) ط الشعب].

بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي
وَقَتْلُوا وَقَتْلُوا لِأَكْفَرَنَّ عَنْهُمْ سَبَوَاتِهِمْ وَلَادْخَلْنَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٦﴾ لَا يَغْرُنَّكَ تَقَلُّبُ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٧﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نَزْلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴿١٩﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، هذه في ارتفاعها واتساعها مع ما فيها من
الكواكب المختلفة، وهذه في انخفاضها، وكثافتها، وما فيها من البحار، والجبال،
والأشجار، والأنهار، والزرع، والثمار، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما،
وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا أو يقصر ذلك، ثم يعتدلان، ثم يطول الذي
كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلًا، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ﴿لَايَاتٍ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ﴾: دلالات على الوجود، والوحدة والعلم، والقدرة لذوى العقول الخالصة، وقد
ورد: "ويل لمن قرأها^(١) ولم يتفكر فيها"، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾، وصف لأولى الألباب،
﴿قِيَامًا وَقُعُودًا^(٢) وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾: يصلون قائمين فإن لم يستطيعوا فقعودًا، فإن لم
يستطيعوا فعلى جنب، أو المراد مداومة الذكر لأن الإنسان قلما يخلو عن إحدى هذه

(١) رواه ابن مردويه وابن حبان في صحيحه/١٢.

(٢) قوله قِيَامًا مصدر بمعنى الفاعل، وقعودًا يحتمل أن يكون جمع قاعد ومحل على جنوبهم
نصب على الحال عطف على ما قبله/١٢ أى على قِيَامًا وقعودًا/١٢.

الحالات **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** وما أبدع فيهما استدلالاً قائلين: **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ^(١) هَذَا﴾** أى: الخلق، **﴿بَاطِلًا﴾** أى: خلقاً عبثاً بل خلقتة لحكم عظيمة، **﴿سُبْحَانَكَ﴾**: أنزه تزيها لك من خلق العيب، **﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**: علمنا أنك مآثره عن خلق العيب، بل ليحزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسن فقنا عذاب النار بحولك، **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾** للخلود فيها فإنه الخزي كما قال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي) (التحریم: ٨) ^(٢) إلخ، **﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ^(٣)﴾**، أهنته غاية الإهانة، وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أقطع، **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ^(٤)﴾**: ينصرونهم في الخروج من النار، وضع الظاهر موضع المضمحل ليعلم أن سبب الخلود ظلمهم، وهذا دليل على أن المراد بالدخول هاهنا الخلود لأن الداخلين من المؤمنين أنصاراً، **﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾** أى: محمداً عليه الصلاة والسلام أو القرآن، **﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾**، والنداء يعدي ^(٥) بإلى، والسلام لتضمنه معنى الانتهاء والاختصاص **﴿أَنْ آمَنُوا^(٦) بِرَبِّكُمْ﴾** أى: بأن آمنوا، **﴿فَآمَنَّا رَبَّنَا﴾**

(١) هذا إشارة إلى الخلق في خلق السماوات على أن المراد به المخلوق أو إشارة إلى السماوات والأرض لأحدهما في معنى المخلوق، وباطلا صفة مصدر محذوف كما أشرنا إليه وقيل حال من هذا/١٢ منه.

(٢) يعنى هذه الآية تدل على أن الإخزاء لا يكون للمؤمنين، ولا شك أن بعض المؤمنين بشؤم ذنوبهم يدخلون النار مدة أرادها الله فعلم أن المراد من الدخول هنا الخلود كما قال أنس وقتادة وسعيد بن المسيب/١٢ منه.

(٣) العار والتخزية يبلغ من ابن آدم في القيامة بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار، روى الحافظ أبو يعلى الموصلى أنه قال عليه السلام/١٢ منه.

(٤) قيل: النصره هى الدفع بطريق الغلبة والشفاعة بطريق المسألة فنفى الناصر لا يدل على نفى الشفيع قال تعالى: (لا تنفعها شفاعته ولا هم ينصرون) (البقرة: ١٢٣)/١٢ قلت: وإن سلم فالتبادر من نفى الناصر فى مثل هذا الموقع عدم الخلاص لهم بوجه من الوجوه، تأمل منصفاً/١٢.

(٥) يعنى أن فى الدعاء إلى الشيء والنداء له والهداية إليه اختصاصاً للفعل به وانتهاء إليه فسواء عبرت باللام التى للاختصاص أو بإلى التى لانتهاى الغاية حصل المقصود/١٢.

(٦) فإن مصدرية، وجاز أن يكون مفسرة بمعنى أى/١٢.

فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا: كباثرتنا، ﴿وَكَفَّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: صغائرنا بقبول الطاعات ﴿وَتَوْفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: معدودين في زمرة الصالحين، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾: أى: على ألسنتهم أو على تصديق رسلك من الثواب فعلى الحقيقة استعادة من سوء العاقبة مخافة ألا يكونوا من الموعودين، ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: لا تفضحنا على رعوس الأشهاد، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ^(١) الْمِيعَادَ﴾ البعث بعد الموت، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: يعدى بنفسه وباللام ﴿أَنِّي﴾: أى: بأنى، ﴿لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنتَى﴾: بيان^(٢) عامل، ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: في الدين أو كلكم من آدم أو لأن الذكر من الأنتى، والأنتى من الذكر قالت^(٣) أم سلمة: يا رسول الله لا نسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى (فاستجاب لهم) إلخ. ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: تفصيل للأعمال، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا﴾: الكفار، ﴿وَقَاتَلُوا﴾: في الجهاد، ﴿لَا كُفْرًا﴾: لأخون، ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تحت أشجارها، ﴿ثَوَابًا^(٤) مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أى: لأثيبنهم ثواباً من عند الله العظيم، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: على الطاعات.

﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: من السعة والتبسط في المكاسب والمزارع والمتاجر قال بعض المؤمنين: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد نزلت فالخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد غيره، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: أى: ذلك الثقل متاع قليل لقلة مدته وفي جنب ما أعد الله للمؤمنين، ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: ما مهدوا

(١) قد صح عن ابن عباس أن الميعاد البعث بعد الموت وعدم خلف الميعاد بإثابة المطيع، وعقاب العاصي/١٢.

(٢) يعنى أن من بيانية فالمراد بالعامل الشخص العامل ليعم الذكر والأنتى/١٢.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط البخارى، ولم يخرج/١٢ منه [وهو كما قال وأخرجه أيضاً الترمذى والطبرانى وغيرهما، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٢٠)].

(٤) يعنى أن ثوابا مصدر مؤكد فإن قوله لا كفرون عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنكم لا أن تقدر عامله كما يظهر من كلامنا بادى الرأى/١٢.

لأنفسهم، أو الفراش جهنم، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: هو ما يعد للنازل، ونصبه على الحال من جنات، والعامل الظرف، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾: مما يتقلب فيه الفجار في الدنيا، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، دخلت اللام على اسم إن للفصل بالظرف نزلت^(١) لما توفي النجاشي، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى كما يصلى على الجنائز فقال المنافقون: تصلى على علعج^(٢) مات بأرض الحبشة أو في ابن سلام وأصحابه، أو في جمع من الحبشة والروم أسلموا أو في مؤمن أهل الكتاب كلهم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من كتبهم، ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾، حال من فاعل يؤمن، ﴿لَا يَشْتُرُونَ﴾، حال آخر، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: لا يأخذونه بدلها كما يفعله المحرفون ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، فالأجل الموعود سريع الوصول إليهم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾: على دينكم وعلى أمر الله أو على البلاء، ﴿وَاصْبِرُوا﴾: على عدوكم، ﴿وَرَابِطُوا﴾ أنفسكم في مكان العبادة أى داوموا أو أبدانكم^(٣) وحيولكم في الثغور أو المراد انتظار الصلاة بعد^(٤) الصلاة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في جميع الأمور وفيما بينه وبينكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكى تفلحوا في الدنيا، والآخرة. والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وأتمه.

(١) رواه ابن مردويه وابن جرير عن قتادة وروى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك/١٢ منه [حسن، أخرجه النسائي في "التفسير"].

(٢) العلعج الكافر الضخم/١٢.

(٣) هذا قول مقاتل والسدى وغيرهما/١٢ منه.

(٤) هكذا قال ابن عباس وسهل بن حبيب ومحمد بن كعب وغيرهم، وفي مسلم والنسائي (ألا أخيركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) ١٢/وجيز [أخرجه مسلم في "الطهارة"].

سورة النساء

وهي مائة وست وسبعون آية وأربعة وعشرون ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَتِلْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُوْثُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَاعُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

مَعْرُوفًا ﴿٦﴾ وَلَيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: (١) هي آدم. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء من ضلع من أضلاعها. ﴿وَبَثَّ﴾: نشر. ﴿مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: تتساءلون فيما بينكم حوائجكم به، كما تقولون: أسألك بالله، أدغمت التاء الثانية في السين، وقرئ بطرحها ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ (٢) أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها (٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٤) حافظا مطلعا فاتقوه.

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى﴾ (٥) أَمْوَالَهُمْ نزلت في رجل معه مال لابن أخ يتيم له فطلبه بعد البلوغ ومنعه ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: ولا تستبدلوا حرام أموالهم بحلال

(١) فلا فخر لأحد على أحد، والقادر على خلق أشخاص مختلفين من شخص واحد قادر على إحيائهم بعد الموت ١٢/ وحيز.

(٢) وفيه عظيم مبالغة في اجتناب قطع الرحم/ ١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وجمع لا يحصى من السلف، وقيل: عطف على محل به فإن العرب كثيرا ما يقولون: أسألك بالله وبالرحم، وقراءة من قرءوا الأرحام بالجر مشعر بذلك ١٢ منه، وفي الوجيز لكن الوجه الأول أولى؛ لأنه ليس في السؤال بالأرحام ترغيب في تقوى الله، ولا فائدة في ذكر الأرحام أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها/ ١٢.

(٤) لما أمرهم بالتقوى عن مخالفة أمر الله تعالى الذي هو رقيب على جميع أحوالهم نبأهم عن أقبح شيء منهم فقال: (وأتوا اليتامى) الآية/ ١٢ وحيز.

(٥) أي: أتوا اليتامى إذا بلغوا، وفيه إشارة وحث على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يعلم الإزالة اسم اليتيم عنهم/ ١٢ وحيز.

أموالكم، نقل أنهم كانوا يأخذون الجيد من مال اليتامى ويجعلون مكانه الردى فقلت، وعلى هذا أيضاً الجيد هو الخبيث باعتبار حرمة فلا يرد عليه شيء ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾: منضمة. ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي^(١): لا تنفقوها معاً ﴿إِنَّهُ﴾: الضمير للأكل. ﴿كَانَ حُوباً﴾: إثماً ﴿كَبِيراً﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾: تعدلوا. ﴿فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ﴾ أي: إن خفتم يا أولياء اليتامى ألا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من^(٢) الغرائب، وإن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى فخافوا أيضاً من عدم العدل بين النساء فانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقوقه أي: كما تخافون هذا فخافوا ذاك أيضاً، أو كما خفتم من ولاية اليتامى فخافوا من الزنا فانكحوا ما طاب لكم ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٣) أي: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة حال مما طاب ﴿فَإِنْ

(١) قوله: "إلى أموالكم" الأولى ألا يكون قيداً احترازياً بل جيء لتقبيح فعلهم فهيا عما صدر عنهم كما في: "أضعافاً مضاعفة".

(٢) المعنى الأول هو الثابت في صحيح البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- في سبب نزولها وهو الأوفق بوجهه، والوجه الثاني منقول عن ابن عباس، والثالث عن مجاهد وغيره/ ١٢. [حديث عائشة: أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ (٤٥٧٤)]

(٣) وضع البخاري باباً في صحيحه فقال: "باب لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى: "مثنى وثلاث ورباع". وقال علي بن الحسين: يعني مثنى أو ثلاث أو رباع، قال ابن حجر في شرحه فتح الباري: وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم، وأيضاً قال قبل ذلك بعدة أبواب في شرح حديث "كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع نسوة" حديث قد اتفق العلماء على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن. انتهى، وعن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة أسلم وله عشر نسوة

خَفْتُمْ أَلَّا تَعْدُلُوا: بين هذه الأعداد أيضاً. ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فاختاروها ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين واحدة والسراري من غير تعيين عدد فإنه لا قسم بينهما^(١) وعبر عن النساء بما في الموضعين لنقصان عقلهن أو ذهاباً إلى الصفة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التقليل، أو اختيار الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾: أقرب ألا تميلوا ولا تجورا.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ﴾: الخطاب للأزواج أو الأولياء؛ لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم ﴿نَحْلَةً﴾ أي: فريضة أو عطية وهبة عن طيب نفس، مصدر أي: إيتاء نحلة ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الضمير للصدّاق أو للإيتاء، ونفساً تميز، وعدى الطيب بعن لتضمين معنى التحافي أي: إن وهبن لكم من الصدّاق عن طيب نفس ﴿فَكُلُّوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ هنأ الطعام ومرأ إذا ساغ من غير غص، صفتان أقيمتا مقام المصدر أو صفة مصدر أو حال.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ هم النساء والصبيان كما قال^(٢) ابن عباس: لا تعدد إلى ما جعله الله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو أولادك ثم تنظر إلى مافي أيديهم لكن أمسكه وأصلحه وكن أنت منفقا عليهم^(٣)، أو اليتامى فيكون منعاً للأولياء من إعطاء

= فأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخير منهن أربعاً. رواه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وأعله البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم، وذكر هذا الحديث ابن حجر في بلوغ المرام مع هذا البيان، وقال محي السنة الإمام البيهقي في معالم التنزيل: وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة. انتهى.

(١) وترك القسم من الكبائر فقد ورد في الحديث اللعن على تاركه/ ١٢ وجيز.

(٢) وكثير من السلف/ ١٢ وجيز.

(٣) وعلى هذا السفهاء باعتبار بعض منهم وهو النساء والصغار وغير الراشدين من الأولاد/

١٢ وجيز.

الذين لا رشد لهم أموالهم، وإضافة المال إلى الأولياء لأنه في تصرفهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: تقومون وتتعشون بها، فعلى الثاني تأويله التي من جنس ما جعله الله لكم قِيَامًا، وسمى ما به القيام قِيَامًا مبالغة ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ اجعلوا لهم فيها رزقا وكسوة بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قولنا لطيب به أنفسهم.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾: اختبروهم قبل البلوغ في عقلهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كناية عن البلوغ، لأنه عند البلوغ يصلح للنكاح ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ﴾: أبصرتم ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحًا في الدين والمال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فدفع المال بعد البلوغ بشرط الرشد ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ حال، أو مفعول له ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ أي: مسرفين مبادرين كبرهم مخافة نزعها عن أيديكم عند كبرهم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾ من الأوصياء ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: من أكل شيء منها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) أجرة مثله، أو القرض فيجب الأداء، أو لا يأكل إلا أن يضطر كأكل الميتة ويقضي، أو لا يأكل إلا بقدر الحاجة ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد البلوغ والرشد ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾^(٢) بقبضهم، وهذا أمر إرشاد لقطع الخصومة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: محاسبًا فاعدلوا في أموالهم.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾^(٣) مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ أي: المتوارثون بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل مما ترك

(١) وظاهر القرآن أن الوصي الغني لا يجوز له أكل شيء من ماله بوجه من الوجوه، وأن الوصي

الفقر جاز أكله قدر أجرة الحفظ ولا تعبة عليه في الدنيا ولا في الدين/ ١٢ وحيز.

(٢) وظاهر القرآن وجوب الإشهاد لكن الأكثرون على أنه أمر إرشاد/ ١٢ وحيز.

(٣) ولما ذكر حال مال اليتامى كان سائلا يسأل من أين لليتامى مال؟ فقال: للرجال.

﴿نَصِيْبًا مَّفْرُوضًا﴾ مصدر مؤكد، أو بتقدير: أعنى، نزلت لما كانوا يجعلون المال للرجال الكبار دون النساء والأطفال^(١).

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث ﴿أَوَّلُوا الْقُرْبَى﴾: ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: مما ترك، وهو أمر ندب للبلغ، أو أمر وجوب على الصغير والكبير منسوخ^(٢) أو غير منسوخ، أو المراد أن الميت يوصي لهم، أو واجب مما طابت به النفس^(٣) ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: هو أن يدعو لهم ويلطف في العبارة معهم، وإن كانت الورثة صغاراً اعتذروا^(٤) إليهم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أمر لمن حضر الميت بأن يخشوا على أولاد المريض خشيتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضرّ بهم بصرف المال عنهم ويسددوه للصواب، أو للأولياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم بعد وفاتهم، وأن يقولوا لليتامى بالشفقة وحسن الأدب ولو بما في حيزه صلة للذين. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾: ظالمين أو على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾^(٥) تاراً: ملء بطونهم ما يجر إلى النار، وقد نقل أن في القيامة يخرج لهب

(١) وقوم من يونان لا يعطون إلا للبنات فرد على الفريقين / ١٢ وجيز.

(٢) هذا صح عن ابن عباس / ١٢ منه.

(٣) كثير من السلف على أنه يجب عليهم أن يرزقوهم إذا حضروا بشرط أن يطيب به نفوس أهل الميراث / ١٢ منه.

(٤) كأن يقول الولي: إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيكم، وإن يكبروا فسيوفون حقكم. هذا هو القول بالمعروف، هكذا نقل عن ابن عباس / ١٢ منه.

(٥) حقيقة فقال - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء: "رأيت قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من

النار من فيه ومسامعه وأنفه وعينه يعرفه من رآه ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وسيدخلون ناراً.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٥٦﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ٥٧﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

= أسافلهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً." / ١٢ وجيز. [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٨٧/٤) وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤٨٨٤) من طريق: أبو هاردين العبدى عن أبي سعيد الخدرى.]

خَلْدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٣﴾

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾^(١): يعهد إليكم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراثهم ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾^(٢) فَإِنْ كُنَّ أَى: المولودات ﴿نِسَاءً﴾ خلصاً ليس معهن ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ صفة نساء ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المتوفى منكم ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾^(٣) وللبنتين حكم ما فوقهما، لأنهما أمس^(٤) رحمًا من الأختين، وقد فرض لهما الثلثين بقوله: فلهما الثلثان مما ترك، وقيل: لفظ الفوق صلة زائدة وما فوق الواحدة جماعة ﴿وَلَا يُورِثُهُ﴾^(٥) أَى: الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدل ﴿السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾: للميت ﴿وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى، يعني: بطريق الفرضية ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ﴾ فحسب ﴿فَلَأُمُّهُ الثَّلَاثُ﴾ يعني: وللأب الباقي وهو الثلثان ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ﴾: للميت ﴿إِخْوَةٌ﴾^(٦) وحكم الأخوين كحكم الأخوة^(٧) ﴿فَلَأُمُّهُ

(١) لما أهتم في قوله: ﴿نصيب مما ترك الوالدان﴾ في المقدار وأهم الأقربين بين الكل فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ / ١٢ وجيز.

(٢) أنث الضمير مع أنه راجع إلى الأولاد، لتأويل المولودات أو باعتبار الخير/ ١٢.

(٣) وفيه دليل على أن الواحد له جميع المال، لأن للذكر مثل حظ الأنثيين وللواحدة النصف/ ١٢ وجيز.

(٤) أقرب ١٢ .

(٥) ولما ذكر الفروع ومقدار ما يرثون أخذ في ذكر الأصول ومقدار ما يرثون فقال: "ولأبوية" الآية/ ١٢ وجيز.

(٦) أعم من أن يكونوا من أب وأم أو من أحدهما، وأعم من أن يكونوا ذكورا أو إناثا/ ١٢ وجيز.

(٧) خلافا لابن عباس فإن الأخوين عنده كواحد خلافاً للجمهور/ ١٢ وجيز.

السُّدُسُ» وإن كانوا لا يرثون مع الأب^(١) «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ»^(٢) أي: هذه الأنصبة للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين، وقدم الوصية على الدين وإن كان الدين مقدماً حكماً، لأنها تشبه الميراث شاقّة على الورثة «أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا»: لا تعرفون من أنفع لكم من أصولكم وفروعكم، فاتبعوا ما قررت لكم من الميراث ولا تكونوا على ما كنتم عليه في الجاهلية من حرمان النساء والأطفال، وعلى ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من كون المال للولد وللأبوين الوصية «فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ» مصدر يوصيكم الله، لأنه في معنى: يفرض عليكم أو مصدر مؤكد «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بالمصالح «حَكِيمًا» فيما قضى.

«وَلَكُمْ»^(٣) نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ» وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ» أي: الزوجات «الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ» وسواء في الربع والثمن الواحدة والأكثر «وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ»^(٤) «كَالِأُلَّةِ»

(١) لا يرثون مع الأب خلافاً لابن عباس فعنده أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عن الأم، والجمهور على أن الباقي وهو خمسة أسداس للأب/ ١٢ وحيز.

(٢) وليس تعلق الوصية والدين بالتركة سواء، إذ لو هلك من التركة شيء قبل القسمة ذهب من التركة والموصى فيه، ولا يسقط من الدين بهلاك شيء من التركة وأو هنا كأو في جالس الحسن أو ابن سيرين/ ١٢ وحيز للمصنف.

(٣) لما ذكر ميراث الفروع من الأصول وميراث الأصول من الفروع أخذ في ذكر ميراث المتصلين بالسبب وهو الزوجية فقال: "ولكم نصف" آية.

(٤) كالالة مصدر من تكلله النسب أي: أحاط به، وبه سمي الإكليل لإحاطته بالرأس، وهو الميت الذي لا ولد له ولا والد، قال ابن كثير: وبه يقول أهل المدينة والكوفة والبصرة،

لا ولد له فيورث: صفة رجل من ورث، وكلاية: خير كان، والرجل هو الميت ﴿أَوْ
 امْرَأَةً﴾ عطف على رجل ﴿وَلَهُ﴾ أي: للرجل، ومنه يعلم حكم المرأة فاكتفي به ﴿أَخٌ
 أَوْ أُخْتٌ﴾ من الأم بالإجماع وهو مذكور في بعض القراءة ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
 السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا﴾ الضمير لمن يرث، وجمعه محمول على المعنى ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾
 أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلْثِ﴾ ذكرا كانوا أو أنثى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
 يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾^(١) لورثته بحرمان بعضهم أو زيادة أو تنقيص مما قدر من
 الفريضة، ولا يكون غرضه من الوصية الإضرار بل القرية، حال من فاعل يوصى، وفي
 قراءة البناء للمفعول ما يدل عليه وهو الفاعل المتروك ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر أو مفعول
 به لغیر مضار ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالمضار وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي^(٢): ما تقدمت من الأحكام شرائعه التي كالحدود التي لا
 يجوز مجاوزتها ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾:
 من تحت أشجارها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ جمعه باعتبار المعنى ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: الخلود فيها
 ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

= وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد
 حكى الإجماع غير واحد وورد فيه حديث مرفوع انتهى/ ١٢ فتح.
 (١) يعني: غير مضار حال مما يدل يوصى عليه/ ١٢.

(٢) وقد ورد في الترغيب في تعلم علم الفرائض وتعليمها أحاديث وآثار وهو ركن من
 أركان الشريعة، وذكروا من تخارج هذا العلم ما لم يكن له مستند إلا محض الرأي،
 وليس بمجرد الرأي مستحقاً للتدوين فلكل عالم رأيه واجتهاده مع عدم الدليل، ولا حجة
 في اجتهد بعض أهل العلم على البعض الآخر، وكيفيك منه ما ثبت في الكتاب والسنة
 وما عرض لك مما لم يكن فيهما، فاجتهد فيه برأيك عملاً بحديث معاذ -رضي الله
 عنه- المشهور/ ١٢ فتح.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ يتجاوزها ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لأنه لم^(١) يرض بما قسم الله وحكم به بل ضاد في حكمه، وخالدين: حال وكذا خالدا لا صفة جنات ونارا؛ لأنه لا بد أن يقول حيثئذ: خالدين هم وخالدا هو فيها؛ لألحما جريا على غير من هما له .

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ ٢٠ ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ٢١ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٢٢ ﴿وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ

(١) وفي الحديث الذي ذكره الإمام أحمد وأبو داود في سننه: "أن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى خان في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخله الجنة، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿تلك حدود الله﴾ إلى قوله ﴿عذاب مهين﴾ فدل الحديث على أن الحيف في الوصية يورث سوء العاقبة فلا إشكال، ولما ذكر العصيان وتعدي الحدود وذكر عقبه الفرد الأفحش مع أن الإرث لا يكون إلا فيما هو من نسب النكاح لا من السفاح/١٢]. [أخرجه ابن ماجه (٢٥٠٤) وقال الشيخ أحمد شاكر في طبعه على المسند" (٧٧٢٨): إسناده صحيح. وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه".]

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا
النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَلْحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١١﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ
وَأْتَيْتُمُ احْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا
مُبِينًا ﴿١٢﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ
مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٣﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٤﴾

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ﴾: يفعلن ﴿الْفَاحِشَةَ﴾^(١) الزنا ﴿مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ من رجال المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أجلسوهن ﴿فِي
الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكة الموت، أو يأخذهن الموت ويستوفي
أرواحهن كان ذلك عقوبتهن في بدء الإسلام فنسخ بالحد ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ
سَبِيلًا﴾ السبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك.

﴿وَاللَّذَانَ﴾ أي: الرجل والمرأة ﴿يَأْتِيَانِيهَا﴾ أي: الفاحشة ﴿مِنْكُمْ فَتَأْذُوهُمَا﴾ بالشتم
والتعير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى نسخ، وعن بعضهم: أنها نزلت في
الفتيان قبل أن يتزوجوا أو في الرجلين إذا عملا عمل قوم لوط^(٢) والظاهر أن الإيذاء

(١) هي الزنا بإطباق المفسرين سوى مجاهد فإنها عنده هي المساحقة وفي اللذان يأتيها عنده

اللوطة/ ١٢.

(٢) وظاهر القرآن يناسب قول مجاهد أن اللاتي في السحاقيات واللذان في اللواط/ ١٢

مشارك بين الرجل والمرأة والحبس خاصة المرأة، فإذا تابا أزيل الإيذاء عنهما وبقي الحبس عليهما، وقيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً، وكانت عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد **﴿فَإِنْ تَابَا﴾** من الفاحشة **﴿وَأَصْلَحَا﴾** العمل **﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾** اتركوا أذاهما ولا تعنفوهما بعدُ بكلامٍ قبيحٍ **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾**.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ليس قبول التوبة واجبا على الله بمقتضى وعده لأحد إلا **﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾** ملتبسين **﴿بِجَهَالَةٍ﴾** أجمع الصحابة على أن من عصى الله عمداً أو خطأ فهو بجهالة **﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾** زمان قريب قبل معاينة الموت، أو قبل أن يحيط السوء ^(١) بحسناته فيحبطها، أو في صحته قبل مرض موته **﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** تاب الله عليه قبل توبته وغفر ذنبه **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾** بنياهم **﴿حَكِيماً﴾** بأفعاله.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ أي: منفية قبولها **﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾** أي: لا توبة لهؤلاء الفريقين؛ فإنه كما لا تقبل توبة الآخرة لا تقبل توبة الدنيا حين الاحتضار **﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾** ^(٢) **﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** الاعتداد: التهية.

(١) قال الله تعالى: "ولم يصروا على ما فعلوا" ذكر في الإحياء: معناه عن قرب العهد بالخطيئة بأن يندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يدفعها قبل أن يتراكم الذنب على القلب فلا يقبل المحو، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أتبع السيئة الحسنة تمحها".

(٢) إذا كان المراد من الذين يعملون السيئات المنافقين أو الكفار مطلقاً فلا إشكال، أما إذا أريد الفسقة أعم من أن يكونوا مؤمنين أو كافرين، ففي قوله: "أعتدنا لهم عذاباً أليماً" إشكال على مذهب أهل السنة إلا أن يقال: لما كان معداً للأكثرين جعل حكمهم حكم الكل، أو يقال: المراد أعتدنا لهم إن لم نعف عنهم والعفو لا يكون إلا من بعض فساق المؤمنين/ ١٢ فتأمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا^(١) النِّسَاءَ﴾: أي: ذواتهن ﴿كَرَّهًا﴾ في الجاهلية إذا مات زوج امرأة ورث امرأته من يرث ماله إذا ألقى عليها ثوباً فإن شاء تزوجها بغير صداق، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها، وإن شاء منعها من الأزواج لمتوت فيرث، أو لتعطى ما ورثت من الميت، وإن انفلتت قبل أن يلقي عليها ثوباً نجت فنهى الله عنه، وكرها حال أي: كارهات ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ كان للرجل امرأة كاره هو صحبتها فيقهرها ويضرها لتحل مهرها أو حقاً من حقوقها فالخطاب للأزواج، وأصل العضل التضيق، وهو عطف على ﴿أَنْ تَرِثُوا﴾ ولا لتأكيد النفي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ^(٢) مُبَيَّنَةٍ﴾ أي: الزنا أو النشوز والعصيان أو أعم أي: لا تضجروهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة فإنه جاز ضجرها لتخالعه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أجملوا بالقول والفعل معهن ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا عليهن ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ مثل أن يرزق منها ولد ويكون في الولد خير كثير.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ طلاق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَعَمَاتَيْكُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ الضمير للزوج، لأن المراد منها الجنس^(٣) ﴿فَنَطَارًا^(٤)﴾ مالا كثيراً^(٥) أي:

(١) يعني ترثوا عيان النساء وذواتهن/ ١٢ منه.

(٢) تفسير الفاحشة بالزنا قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي وابن سيرين وابن جبير ومجاهد وعكرمة وغيرهم، قالوا: إذا زنت فله استرجاع الصداق وضجرها لتركه، والتفسير الثاني للضحك وعكرمة أيضاً، والثالث اختيار ابن جرير/

١٢ ج.

(٣) فجمعه باعتبار معناه/ ١٢.

(٤) تفسير الفنطار مع اختلاف فيه قد مر في سورة البقرة/ ١٢ ج.

(٥) واستدل بها على جواز المغالة في الصداق/ ١٢ وجيز.

وقد جعلتم صداقهن قنطاراً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ من القنطار ﴿شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ أي تأخذونه باهتين آثمين، أو مفعول له نحو: قعدت عن الحرب جبناً، فإنهم إذا أرادوا طلاق امرأة نسبوها إلى فاحشة لتفتدى صداقها، أو حال من المفعول أي: ظلماً وإثماً ظاهراً، وفيه ما لا يخفى^(١) من المبالغة.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: شيئاً من الصداق ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ والحال أنه وصل إليه، وهو كناية عن الجماع ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ هو العقد أو ما أخذ الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخذتموهن"^(٢) بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله".
﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾^(٣) مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ كان نكاح زوجات الآباء معمولاً به في الجاهلية ﴿مِّنَ النِّسَاءِ﴾ بيان ما، وعبر بما لأنه أراد به الصفة ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الاستثناء من لازم النهي أي: تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آبائكم إلا ما قد سلف، أو منقطع أي: لكن ما قد سلف فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نكاحهن ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ أقبح المعاصي ﴿وَمَقْتاً﴾ وبغضاً شديداً من الله ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾^(٤) وبئس ذلك طريقاً.

-
- (١) على الوجه الأخير الذي يكون حالاً من المفعول، لأنه جعله نفس الظلم والإثم/ ١٢.
(٢) في صحيح مسلم أنه قال عليه السلام في خطبته في حجة الوداع: "واستوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن" إلخ وكلمة الله هي: التشهد في خطبة النكاح. [أخرجه مسلم في "الحج"/ باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ٣٣٣) ط الشعب].
(٣) قال جماعة: المراد به العقد الصحيح لا الزنا، فالمراد مما سلف تعاظم الزنا فإنه جائز لكم ازدواجهن في الإسلام/ ١٢.

(٤) وعن البراء بن عازب قال: "لقيت خالي ومعه راية فقلت: أين تريد؟ فقال: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن أضرب عنقه"

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ أَرْضَعَهُ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِمَّنْ نَسَأَ بِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٧﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٨﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِمَّنْ فَتَيَسَّرَتْ لَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَاذْكُرُوا أَهْلَهُنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَلْحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ لَعَنَتْ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

= رواه ابن ماجه وغيره، ونقل ابن خيثمة عن يحيى بن معين أنه حديث صحيح، وهذا محمول على أنه مرتد لاستحلاله ذلك/ ١٢ وجيز. [وأبو داود (٤٤٥٧) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٧٤٤).]

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ أي: حرم نكاحهن ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾ الربيبة بنت زوجته ﴿اللَّاتِي﴾ ^(١) في حُجُورِكُمْ في تربيتكم وبيتكم، وهذا القيد خرج مخرج الغالب لا أنه تقييد الحرمة، وقد صح عن علي كرم الله وجهه أنه جعله شرطاً، وإليه ذهب داود الظاهري وابن حزم، ونقل عن المالك ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: دخلتم معهن في ستر، وهو كناية عن الجماع، ومن ابتدائية متعلقة بالربائب، وعن عليّ وزيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وابن عباس رضى الله عنهم أنه قيد لأمهات النساء والربائب فيكون من لاتصال الشيء بالشيء حيث لا للابتداء، أي: أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن ﴿فَإِنْ﴾ ^(٢) لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ في نكاحهن، وهذا تصريح بالمقصود ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ لا من تبنيتموه، وأما امرأة ابنه من الرضاعة فيعلم حكمها من حديث "يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب" ^(*) ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ في النكاح، وكذا جماعهما في ملك اليمين

(١) روى ابن أبي حاتم عن مالك بن أوس أنه قال: كانت عندى امرأة فماتت فلقيت علي بن أبي طالب فأخبرته فقال: أليس لها ابنة، فقلت: نعم وهي بالطائف، قال: كانت في حجركم، قلت: لا هي بالطائف، قال: فانكحها قلت: فأين قوله: "وربائبكم اللاتي في حجوركم" آية قال: إنها لم تكن في حجوركم، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: إسناده قوي ثابت على شرط مسلم، وهو قول غريب.

(٢) في نكاحهن وهذا التصريح بالمقصود مشعر بأن قوله: ﴿اللَّاتِي﴾ في حجوركم ليس شرطاً حيث لم يقل: فإن لم يكن في حجوركم ولم تكونوا دخلتم بهن/ ١٢ وجيز.

(٥) أخرجه البخاري في "الشهادات"/ باب: الشهادة على الأنساب (٢٦٤٥) ومسلم في "الرضاعة"/ باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب (٦٢٦/٣) ط الشعب.

على الصحيح، وهو في محل الرفع عطف على المحرمات ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لكن ما مضى مغفور ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ذوات الأزواج ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بالسي فإنها تحل بعد الاستبراء مع أن هن أزواجاً من الكفار، وعن بعض من السلف أن بيع الأمة طلاق لها من زوجها فتحل لسيدها لعموم الآية ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ﴾ عطف على حرمت أي: ما سوى المحرمات المذكورات، وما في معنى المذكورات الذي علم بالسنة^(١) ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مفعول له أي: أحل ما وراء ذلك لأن طلبوا ما وراءه بصرف الأموال في المهر والتمن^(٢) حال كونكم محصنين ناكحين غير مسافحين زانين، ومفعول تبتغوا متروك كأنه قيل: إن تصرفوا أموالكم، أو بدل اشتمال من وراء، والمفعول محذوف ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ موصولة أي: من تمتعتم به من المنكوحات، أو موصوفة أي: ما استمتعتم به منهن من جماع ﴿فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿فَرِيضَةً﴾ حال أو مصدر مؤكد أو صفة لمصدر أي: إيتاء مفروضاً، قال بعض السلف^(٣): الآية في نكاح المتعة، وقد صح^(٤) عن علي أن

(١) كالجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها/ ١٢ وحيز.

(٢) أي: للسراري/ ١٢.

(٣) حتى أن ابن مسعود وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرءون "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فاتوهن أجورهن فريضة"/ ١٢.

(٤) في الصحيحين/ ١٢ منه. [أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة حبير (٤٢١٦) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "النكاح" / باب: نكاح المتعة (٥٦٢/٣) ط

[الشعب.]

نكاح^(١) المتعة نسخت يوم خير **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ
الْفَرِيضَةِ﴾** من إبراء الصداق أو بعضه، ومن حمل ما قبله على المتعة فعنده معناه إذا
عقدتم إلى أجل بمال وتم الأجل إن شاءت^(٢) زادت في الأجل وزاد في الأجر وإلا
فارقها **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾** بالمصالح **﴿حَكِيمًا﴾** في أحكامه.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ﴾^(٣) طَوْلًا **﴿فَضْلًا وَزِيَادَةً فِي الْمَالِ يَبْلُغُ بِهَا نِكَاحَ الْمُحْصَنَاتِ،
فَهُوَ مَفْعُولٌ يَسْتَطِعُ﴾**^(٤) **﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾** أي: الحرائر متعلق بطولا على حذف
حرف الجر أي: إلى أن ينكح **﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** أي: فلينكح أمة
غيره **﴿مَنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾** فلا يجوز نكاح الأمة الكتابية، وقال بعضهم^(٥): طول
المحصنات هو أن يملك فراشها على أن النكاح الجماع، وحمل قوله: "مَنْ فَتَيَاتِكُمُ
الْمُؤْمِنَاتِ" على الإرشاد بالأفضل فعنده جاز نكاح الأمة الكتابية إذا لم يكن تحته حرة
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكثفوا بظاهر الإيمان والله أعلم بالسرائر **﴿بَعْضُكُمْ مِنْ
بَعْضٍ﴾** أنتم وأرقائكم في النسب والدين متناسبون فلا تستنكفوا عنها عند الحاجة
﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: أربابهن **﴿وَعَمَاتُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾** مهورهن
﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بغير نقص ومطل استهانة بهن **﴿مُحْصَنَاتٍ﴾** عفاف حال من مفعول

(١) ذهب عامة أهل العلم إلى أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة، وكان ابن عباس يذهب
إلى أن الآية محكمة وترخص في نكاح المتعة، وقيل: إن ابن عباس رجع عن ذلك كذا في
المعلم/ ١٢.

(٢) يعني لا جناح عليكم فيما تراضيتُم به من الفراق أو الوصال ومزيد الأجر من بعد
الفريضة المال المعين في الحق/ ١٢.

(٣) وقيل: من طال على الأمر إذا غلبه وتمكن منه، فتقديره: على أن ينكح/ ١٢ وجيز.

(٤) أي: لم يستطع زيادة في الحال/ ١٢ منه.

(٥) أبو حنيفة وأصحابه/ ١٢ منه.

فانكحوا ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾^(١) مجاهرات بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أحباب يزنون بهن في السر. كانت العرب تحرم الأولى لا الثانية ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ بالتزوج، ومن قرأ بفتح الهمزة والصاد فمعناه: حفظن فروجهن أو أسلمن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبيكار ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحد، والجمهور على أن حد الأمة مزوجة أو بكرا خمسون جلدة؛ ففائدة الشرط نفي ما يتوهم من تفاوت حالهن قبل التزوج وبعده كما في الحرائر^(٢) وعند بعض السلف أنه لا حد على غير المحصنة منها بل تضرب تأديباً ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأمة ﴿لَمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾^(٣) منكم أي: خاف الوقوع في الزنا، يعني: المشقة بغلبة الشهوة فلنكاح الأمة شرطان: عدم الطول وخوف العنت ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح الأمة مع العفاف ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لثلا يصير^(٤) الولد عبداً ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصب ﴿رَحِيمٌ﴾ بأن رخص.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٥) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ

(١) السفاح مذموم عند الكل لكن الاختصاص بواحد في السر لا يذمه العرب في الجاهلية / ١٢ منه.

(٢) فإن حال الحرائر بعد التزوج ليس كحالها قبل التزوج فرما يوهم أن الاماء أيضاً كذلك / ١٢ منه.

(٣) أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة / ١٢ وجيز.

(٤) وفي سنن ابن ماجة قال صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر" / ١٢ وجيز. [وأخرجه ابن عدي (٢/١٦٤) وعنه ابن عساكر (١/٢٨٤/٤)] كما قال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٤١٧).

أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
 ضَعِيفًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ
 تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ
 رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى
 بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ
 مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا
 تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٢٣﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما خفي من الشرائع عليكم. واللام زائدة، وأن يبين مفعول
 يريد ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ شرائعهم ^(١) ومناهجهم الحمودة كاملة
 إبراهيم ﴿وَيُتَوَبَّ عَلَيْكُمْ﴾ من المآثم والمحارم ويعفو عنكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم
 ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قرر وقدر.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتَوَبَّ عَلَيْكُمْ﴾ إن صدر عنكم تقصير ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ^(٢)﴾ الزناة أو اليهود والنصارى أو الجوس الذين يخلون نكاح

(١) وعند صاحب البحران "سنن الذين" متعلق بين ويهدي على سبيل التنازع / ١٢
 وجيز.

(٢) في التكاليف الشرعية قمع النفس وردّها عن مشتتها واتباع شهواتها سبب لكل مذمة
 وكل كافر وفاسق يتبع لها / ١٢ وجيز.

الأخت وبناتها أو أهل الباطل ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحق ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ على اتباع الشهوات.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ في شرائعه، ولهذا رخص لكم نكاح الأمة ﴿وَوَخَّلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ فيناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف همته، أو في الصبر عن النساء فإنه يذهب عقله عندهن.

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام كالسرقة والقمار ونحوهما ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ لكن كون تجارة صادرة عن تراض بين المتبايعين غير منهي عنه؛ فلاستثناء منقطع، ومن قرأ تجارة بالنصب تقديره: يكون التجارة تجارة، ومن قرأ بالرفع فيكون كان تامة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ من كان من جنسكم من المؤمنين أو بإلقائها إلى التهلكة^(٢) أو أراد قتل المسلم نفسه

(١) ولما ذكر أحور المحصنات وأثمان السراري ومنع الزنا سرًا وعلانية وأن الإنسان ضعيف لا طاقة له على المشاق أراد أن يوطن أنفسهم على صرف بعض المال، ويحذرهم عن بعضه فقال: "يا أيها الذين آمنوا" / ١٢ وجيز.

(٢) روى ابن مردويه عن ابن عباس: "أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب، فلما قدموا المدينة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن ذلك فقال: يا رسول الله خفت أن يقتلني الرد، وقد قال الله تعالى: "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم" نقل الإمام أحمد هذا الحديث بزيادة "تيممت وصليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم" هذا ما في المنهية وفي الفتح، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني، ومما يدل على ذلك احتجاج عمرو بن العاص بها حين لم يغتسل بالماء البارد حين أجنب في غزوة ذات السلاسل فقرر النبي صلى الله عليه وسلم احتجاجه، وهو في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما / ١٢. [صححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود".]

كما يفعله بعض الجهلة، أو بارتكاب محارم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فما نهاكم عن مضاركم إلا من رحمته، أو حيث لم يكلفكم بقتل أنفسكم للتوبة كما كلف بني إسرائيل.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ما سبق من المحرمات أو القتل ﴿عُدْوَانًا﴾^(١) وظُلْمًا تجاوزاً عن الحد ووضعاً للشيء في غير موضعه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾^(٢) ناراً ندخله إياها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا عسر ولا صارف عنه.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا﴾^(٣) كبائر ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴿كُلْ ذَنْبٍ فِيهِ وَعِيدٌ﴾^(٤) شديد ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ نَحْ عَنْكُمْ سيئاتكم ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ وهو الجنة، فمحو الصغائر لمن اجتنب الكبائر وعد مقطوع به ومحوها لمن تعاطى الكبائر ليس كذلك بل في مشيئته وإرادته تعالى.

(١) من يفعله جهلاً أو نسياناً أو سفهاً فلا يدخل تحت الوعيد/ ١٢ منه.

(٢) وهذا النوع من الدخول في النار للكفار كما سنبينه سورة والليل/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما ذكر الوعيد لم يتركب بعض الكبائر ذكر الوعد ليجتنب جميعها فقال: "إن تجتنبوا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) هذا هو أشهر الأقوال في تعريف الكبائر، وروى النسائي والحاكم في "مستدركه" وابن حبان في "صحيحه" أنه قال عليه الصلاة والسلام: "ما من عبد ضلّى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له: ادخل بسلام" وفسر عليه السلام هذه السبع كما روى في "الصحيحين" بالشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات/ ١٢ منه وفي الفتح، والأحاديث في تعداد الكبائر وتعيينها كثيرة جداً فمن رام الوقوف على ما ورد في ذلك فعليه بكتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" فإنه قد جمع فأوعى/ ١٢.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ هُيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ: لَيْتَ لِي مَالُ فُلَانٍ وَأَهْلُهُ، أَوْ نَزَلَتْ فِي أُمِّ سَلَمَةَ حَيْثُ قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا نَغْزُو، وَلَنَا نَصْفُ الْمِيرَاثِ، أَوْ حِينَ قَالَتْ امْرَأَةٌ: لِلرَّجُلِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ فِي الْمِيرَاثِ وَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِرَجُلٍ، أَفْنَحْنُ فِي الثَّوَابِ هَكَذَا، أَوْ حِينَ قَالَ الرِّجَالُ: نَرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَنَا مِنَ الْأَجْرِ ضَعْفُ النِّسَاءِ، وَقَالَتِ النِّسَاءُ: نَرِيدُ أَجْرَ الشَّهَدَاءِ وَلَوْ كَتَبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لِقَاتِلِنَا، أَوْ حِينَ قَالَتِ النِّسَاءُ عِنْدَ نَزُولِ "لِلذِّكْرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ": نَحْنُ أَحْوَجُ فَإِنَّا ضَعْفَاءُ لَا نَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ الْمَعَاشِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ مِنَ الْعَمَلِ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فَاطْلُبُوا الْفَضْلَ بِالْعَمَلِ لَا بِالْتَّمَنِ، أَوْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْجِهَادِ وَلَهُنَّ مِنْ طَاعَةِ الْأَزْوَاجِ وَحِفْظِ الْفُرُوجِ، وَالْكَلُّ بَعْشَرُ أَمْثَالِهَا ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَيْ: لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ فَإِنَّهُ أَمْرٌ مَحْتُومٌ وَلَا يَجْدَى تَمَنُّيهِ نَفْعًا وَلَكِنْ سَلُونِي مِنْ فَضْلِي أَعْطِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ شَيْئًا فَيُعْطِيهِ.

﴿وَلِكُلٍّ وِثْرَةٌ﴾ (١) ﴿مِنْكُمْ﴾ ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَّ﴾ وَرِثَةً أَوْ عَصْبَةً، وَالْعَرَبُ تَسْمِي ابْنَ الْعَمِّ مَوْلَى ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ مِمَّا مَتَعَلَّقَ بِمَوَالِيٍّ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْفِعْلِ أَيْ: وَرِثَةً مِمَّا تَرَكَ، يَعْنِي: يَرِثُ مِنْ تَرَكَتِهِمْ، أَوْ مَعْنَاهُ: لِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا تَرَكَوْا مِنَ الْمَالِ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ وَرِثَةً يَحْرُزُونَهُ ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ (٢) ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ عَهْدَكُمْ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ بِيَدِ بَعْضٍ عَلَى

(١) وَلَمَّا ذَكَرَ مَا حَصَلَ لِلرِّجَالِ مِنْ اكْتِسَابِهِمْ وَلِلنِّسَاءِ مِنْ اكْتِسَابِهِنَّ أَخَذَ فِيمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ اكْتِسَابِهِمْ وَتَعَبَهُمْ فَقَالَ: "وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا" الْآيَةُ / ١٢ وَجِيزٌ.

(٢) كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْقِدُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: دَمِي دَمُكَ وَثَأْرِي ثَأْرُكَ وَحَرْبِي حَرْبُكَ وَسُلْمِي سُلْمُكَ وَتَرِثْنِي وَأَرِثُكَ وَتَطْلُبُ بِي وَأَطْلُبُ بِكَ، فَيَكُونُ لِلْحَلِيفِ السُّدُسُ مِنَ مِيرَاثِ الْحَلِيفِ، وَكَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: "فَاتَّوَهُمْ نَصِيهِمْ" ثُمَّ نَسَخَ، أَوْ كَانَ مِيرَاثُ الْمُهَاجِرِيِّ لِلْأَنْصَارِيِّ دُونَ ذَوِي رَحْمَةٍ بِالْأَخُوَّةِ السَّابِقَةِ، ثُمَّ نَسَخَ مُطْلَقًا فَلَا إِرْثَ بَيْنَهُمْ وَقَوْلُهُ: "فَاتَّوَهُمْ نَصِيهِمْ" يَعْنِي: مِنَ النَّصْرِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْحُبِّ / ١٢ مِنْهُ.

الوفاء، وقرئ عاقدت، أي: عاقدتهم أيديكم ﴿فَاتَوْهُمْ نَصِيهِمْ﴾ من الإرث وهو السدس كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ وأمروا بأن يوفوا لمن عاقدوا ولا ينشئوا بعد نسخه بقوله: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض" معاهدة في الإرث لكن يجب الوفاء بالمعاهدة الماضية^(١) أو نسخت مطلقاً فلا يجوز إنشاء المعاهدة ولا الوفاء بالعهد السابق للميراث، وقوله: "والذين عقدت أيمانكم" غير منسوخ بمعنى: وآتوهم نصيبهم من النصرة لا من الإرث، أو كان يرث المهاجري^(٢) الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت: "ولكل جعلنا موالياً" نسخت ثم قال: "والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم" أي: من النصر والنصيحة وقد ذهب الميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ فلا تتجاوزوا عما أمركم.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٦﴾ وَإِنِ خِفْتُمْ

(١) وفي مسلم وغيره لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يردده الإسلام إلا شدة/ ١٢. [أخرجه مسلم في "الفضائل" / باب: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه (٢٥٣٠).]

(٢) نقله البخاري عن ابن عباس/ ١٢ وجيز. [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" من طرق عنه صلى الله عليه وسلم (٣٧/٥-٣٨) وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٢٤٦) من طريق: أبو سعيد الأشج، ثنا خلف بن أيوب العامري، عن أشعث بن عبد الملك، عن الحسن فذكره، عن علي - رضي الله عنه - كما قال ابن كثير (٤٩٢/١).]

شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿١٠﴾ * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿١٣﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿١٦﴾ يَوْمَئِذٍ يُوذِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿١٧﴾

﴿الرِّجَالُ﴾^(١) قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴿قيام الولاة على الرعايا﴾ ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فضلهم عليهن بكمال العقل والدين والقوة ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ﴾^(٢)

(١) لما ذكر أمر الرجال والنساء في اكتساب النصيب وأمر أن لا يتمنوا بعضهم على بعض أخذ في جهات فضائل الرجال فقال: "الرجال" / ١٢.

(٢) قد استدلل به جماعة من العلماء على جواز فسخ النكاح إذا عجز الزوج عن نفقة زوجته وكسوتها، وبه قال مالك والشافعي وغيرهما / ١٢ فتح.

أَمْوَالِهِمْ» كالمهر والنفقة، اشتكت امرأة عن زوجها بأنه لطمها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فترلت فقال عليه الصلاة والسلام: أردت أمراً وأراد الله غيره فرجعت بغير قصاص^(١) ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ تحفظ في غيبته نفسها وماله ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياها فالحفوظ من حفظه، أو بما حفظ الله لهن من إيجاب حقوقهن على الرجال ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن على أزواجهن ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بعقاب الله في عصيانهما ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ بأن يوليها ظهره ولا يجامعها ولا يكلمها، أو معناه لا يضايعها ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران ضرباً غير شديد^(٢) ﴿فَإِنْ أَطَعْتُمُ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ بالإيذاء، وقيل: لا تكلفوهن محبتكم فالقلب بيد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ فهو أقدر عليكم منكم على أزواجكم، ويتجاوز عنكم ليلاً ونهاراً.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ خلافاً بين المرء وزوجه، والإضافة إلى الظرف على الاتساع^(٣) ﴿فَابْعَثُوا﴾ أيها الحكام ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يحكمان بينهما فيما يرى المصلحة من الجمع والتفريق، والأقارب أعرف ببواطن الأحوال فهم الأولى، وهما من جانب الحاكم ينفذ^(٤) حكمهما مطلقاً بغير رضى المحكوم عليه على الأصح ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي: يقصد الحكمان^(٥) ﴿إِصْلَاحاً يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين بحسن سعي الحكامين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ بالظاهر والباطن.

(١) رواه ابن مردويه عن علي وابن جرير عن الحسن البصري/ ١٢ وجيز.

(٢) مما لا يحدث شيئاً ولا يؤذن بالاحتقار/ ١٢ وجيز.

(٣) كأنه مفعول به کیا سارق الليلة/ ١٢ وجيز.

(٤) أى: في الجمع والتفريق/ ١٢.

(٥) فعن كثير من العلماء ينفذ في الجمع ولا ينفذ في التفريق/ ١٢ منه.

﴿وَاعْبُدُوا^(١) اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا^(٢) بِهِ شَيْئًا﴾ من المخلوقات^(٣) أو من الإشراف قليلاً وكثيراً جلياً وخفياً ﴿و﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ صاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ من لا يجد ما يكفيه وعياله ﴿وَالْجَارَ ذِي الْقُرْبَى﴾ من جمع بين القرابة والجوار، أو الجار الأقرب أو الجار المسلم ﴿وَالْجَارَ الْجُنُبَ﴾ الأجنبي والذي جواره بعيد، أو أهل الكتاب ﴿وَالصَّاحِبَ بِالْجَنبِ﴾ المرأة، أو رفيق السفر، أو الحضر أيضاً ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر، أو الضعيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ المماليك^(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا﴾ متكبِّراً ﴿فَخُورًا﴾ يتفاخر^(٥) على المسلمين.

﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله من بر الوالدين والأقربين، بدل ممن كان، أو نصب أو رفع على الذم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ أيضاً كاليهود قالوا: لا تنفقوا على محمد فإننا نخشى عليكم الفقر ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(٦)﴾ يعني: الغنى، وحمل بعض السلف الآية على بخل اليهود بإظهار ما عندهم

(١) ولما كان أول السورة إلى هنا مبنياً على الرفق والصلة والنصح أردف بحث الإرث والإصلاح بين الزوجين بمثل ما تقدم فقال: "واعبدوا" / ١٢ وحيز.

(٢) لما أمر الله تعالى بالعبادة بقوله: "واعبدوا الله" أمر بالإخلاص في العبادة بقوله: "ولا تشركوا به شيئاً" لأن من عبد مع الله غيره كان مشركاً ولا يكون مخلصاً، ولهذا قال الله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" (البينة: ٥) / ١٢ كبير.

(٣) فإن العبادة مع الشرك مردودة / ١٢ وحيز.

(٤) من عبيد وإماء وحيوانات إنسية / ١٢ وحيز.

(٥) بحسب وينسب فلا ينظر إلى الأقارب والأصحاب والمماليك إلا بنظر شر / ١٢ وحيز.

(٦) من نعمة أنعم الله عليهم فإن البخيل يسترها ويحجدها، وفي الحديث: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه" / ١٢ وحيز. [صححه الشيخ الألباني في

من العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتماهم ذلك **﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ^(١) عَذَابًا مُهِينًا﴾** أي: أعدنا لهم فإهم كافرون بنعمة الله.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ لا لوجه الله، ذكر الباذلين رياء بعد المسكين والمراد اليهود أو المنافقون أو مشركو مكة، وهو عطف على الذين ييخلون **﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾** أى فبئس الشيطان قرينا "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" (*).

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أي تبعة تحيق بهم **﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾** في سبيله **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عِلِيمًا﴾** وعيد لهم.

﴿إِنَّ^(٢) اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة غلة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء إن كان مؤمنا فله الأجر في الدارين، وإن كان كافرا فمقصور على الدنيا، أو تخفيف في عذابه فلا يظلم وهو قادر عليه **﴿وَإِنْ تَكُ مِثْقَالَ الذَّرَّةِ حَسَنَةً﴾** وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة **﴿بِضَاعِهَا﴾** أي: ثوابها **﴿وَيُؤْتِ﴾** صاحبها **﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾** من عنده بفضلها **﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾** جزيلاً وهو الجنة.

= "الصحيحة" (١٢٩٠) وقال: رواه ابن سعد (٢٩١/٤) والطحاوي في "مشكل الآثار"

(٤/١٥١) والبيهقي في "الشعب" (٢/٢٢١/١).

(١) أي: لمن كفر بنعمة الله ووعظ المسلمين بأخس الرذائل وفي الحديث: "لم يجمع البخل والإيمان في قلب" و أكثر البخلاء موتهم في حال سلب الإيمان، وقد دخل في ذلك بالدخول الأولى اليهود فإهم مجبولون على البخل دنس الثياب كريهو الرائحة، ولما ذكر المساكين عطف عليهم منفقين لغير وجه الله/ ١٢ وحيز.

(*) الآية من سورة الإسراء.

(٢) ولما أمر بعبادته وبالإحسان والإنفاق وذم البخل ووبخ، أمر سبحانه بعدله فلا يظلم على الجزء على هذه الأمور، ثم قرر إحسانه فقال: "إن الله" / ١٢ وحيز.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ أي: كيف حال هؤلاء الكفرة إذا جئنا بنبي كل أمة يشهد بصلاحهم وفسادهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ على جميع الأمم أو المنافقين أو المشركين ﴿شَهِيداً﴾^(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ لو يدفنون وتبتلعهم الأرض فتسوى، أو لم يبعثوا، أو يكونون تراباً، والباء للملابسة فهو حال، أو بمعنى: على فظرف لغو ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ بشهادة أيديهم وأرجلهم عليهم، عطف على جملة يود لما رأوا أن الجنة خاصة للمسلمين قالوا: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام: ٢٣)، كذبوا رجاء زجهم في المسلمين فحتم الله على أفواههم وشهدت عليهم أيديهم وأرجلهم، "ولا يكتُمون الله حديثاً" (النساء: ٤٢)، أو داخل في التمني بمعنى: يتمنون أنهم لم يكونوا كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وأمره.

(١) معنى هذا الكلام: كيف ترون يوم القيامة إذا استشهد الله على كل أمة برسولها واستشهدك على هؤلاء، يعني: قومه المخاطبين بالقرآن الذين شاهدتهم وعرف أحوالهم، ثم إن أهل كل عصر يشهدون على غيرهم ممن شاهدوا أحوالهم وعلى هذا الوجه قال عيسى عليه السلام: "وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم" / ١٢ كبير للإمام الرازي، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: "خطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا" ثم قال: "كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين" إلى آخر الآية (الأنبياء: ١٠٤)، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: "وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم" (المائدة: ١١٧)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" انتهى من النسخة المطبوعة الأحمدية — [أخرجه البخاري في "الرقاق" / باب: الحشر (٦٥٢٦).]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْعَابِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٢٣﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٢٤﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِالْأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٢٨﴾ اَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا

(١) ولما ذكر الوقوف بين يدي الله تعالى في الآخرة وحذرهم عن التلوث بالخبائث عقبه

بأمر الوقوف بين يديه في الدنيا، وأمره بتطهير ظاهره وباطنه فقال: "يا أيها الذين" / ١٢

تَقُولُونَ^(١) ﴿اجْتَنِبُوا حَالَ السُّكْرِ، نَزَلَتْ فِي جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ شَرِبُوا - الْخَمْرَ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ وَتَقَدَّمَ أَحَدُهُمْ لِلْإِمَامَةِ وَقَرَأَ "قُلْ يَا أَيُّهَا^(٢) الْكَافِرُونَ أَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ" قَالَ الضَّحَّاكُ: عَنِيَ بِهِ سُكْرُ النَّوْمِ لَا سُكْرُ الْخَمْرِ ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عَطَفَ عَلَى "وَأَنْتُمْ سَكَارَى" ﴿إِلَّا عَابِرِي^(٣) سَبِيلٍ﴾ مُسَافِرِينَ حِينَ فَقَدَ الْمَاءَ فَإِنَّهُ جَائِزٌ لِلْجُنُبِ حِينَئِذٍ الصَّلَاةَ، أَوْ مَعْنَى الْآيَةِ لَا تَقْرَبُوا مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ فِي حَالَ السُّكْرِ وَلَا فِي حَالَ الْجُنَابَةِ إِلَّا حَالَ الْعُبُورِ فِيهَا فَجَازَ الْمُرُورَ لَا اللَّبْثَ وَعَلَيْهِ كَلَامُ أَكْثَرِ السَّلَفِ ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ مِنَ الْجُنَابَةِ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى^(٤)﴾ مَرْضَا يَخَافُ مَعَهُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ، وَقِيلَ: مُطْلَقًا، قَالَ

-
- (١) فَلَا تَقْعُونَ فِي تَخْلِيطِ كَلَامٍ، وَعَلِمَ مِنْهُ أَنَّ النِّهْيَ مُسْتَمِرٌّ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ / ١٢ وَجِيز.
- (٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ / ١٢. [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٧١) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٢٩) عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ طَعَامًا فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنَ الْخَمْرِ، فَأَخَذْتُ الْخَمْرَ مِنَّا، وَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ، فَقَدِمُونِي فَقَرَأَتْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الْحَدِيثُ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ "حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ" وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ" (٢٤٢٢).]
- (٣) الْإِسْتِثْنَاءُ مُفْرَغٌ وَأَقْعٌ مَوْقِعُ الْحَالِ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ أَى: لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ جُنُبًا كَاتِنِينَ عَلَى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا مُسَافِرِينَ، أَوْ مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ كَاتِنِينَ عَلَى حَالٍ إِلَّا مَارِينَ غَيْرَ لَاثْنَيْنِ / ١٢ ج.

- (٤) وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَرَضَ بِمَجْرَدِهِ مَسْوُوعٌ لِلتَّيْمِمِ وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ مَوْجُودًا إِذَا كَانَ يَتَضَرَّرُ بِاسْتِعْمَالِهِ فِي الْحَالِ أَوْ فِي الْمَالِ، وَلَا تَعْتَبِرُ خَشْيَةُ التَّلَفِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ" (البقرة: ١٨٥)، وَيَقُولُ: "وَمَا جَعَلْنَا عَلَى الْدِينِ مِنْ حَرَجٍ" (المائدة: ٥) وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الدِّينُ يَسْرُ" وَيَقُولُ: "يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا" وَقَالَ: "قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ" وَيَقُولُ: "أَمَرْتُ بِالشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ" فَإِذَا قُلْنَا: إِنْ قَبِلَ عَدَمَ وَجُودِ الْمَاءِ رَاجِعَ إِلَى الْجَمِيعِ كَانَ وَجْهُ التَّنْصِيفِ عَلَى الْمَرِيضِ هُوَ أَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ التَّيْمِمُ وَالْمَاءُ حَاضِرٌ مَوْجُودٌ إِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُهُ يَضُرُّهُ، فَيَكُونُ اعْتِبَارُ ذَلِكَ الْقَيْدِ فِي حَقِّهِ إِذَا كَانَ

مجاهد: نزلت في مريض من الأنصار لم يكن له خادم ولم يستطع أن يقوم ويتوضأ ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ طويلاً أو قصيراً ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المطمئن، وهو كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتموهن^(١) أو ماسستم بشرتهن ببشرتهن ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ الظاهر أنه قيد للكل، والمريض الخائف من استعماله أو غير المستطيع أخذه كأنه لم يجد، فالحاصل أن الله تعالى رخص في التيمم لفاقد الطهرين حال فقدان الماء لخوف عدو أو إرهاف في موضع لا ماء فيه، أو عدم آلة استقاء أو غير ذلك مما يقع قليلاً، ويمكن أن يكون قيداً للآخرين ولهذا غير الأسلوب ولم يقل: أوجنبتم وأما المرضى إذا خافوا من استعمال الماء أو لم يقدرُوا والمسافر إذا احتاج هو أو رفيقه أو حيوان محترم معه حالاً أو مالا فلهم التيمم، وأما فاقدوا الطهرين إذا لم يجدوا ماء فلهم التيمم ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: قصدوا تراباً^(٢) أو ما يصعد من الأرض طاهراً أو حلالاً ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ اليد يطلق على ما يبلغ المرفقين كما في الوضوء، وعلى ما يبلغ الكوعين كما في السرقة "فاقطعوا أيديهما" (المائدة: ٣٨)، فلذلك اختلفوا أنه يجب المسح^(٣) إلى المرفقين أو لا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا﴾ سهل ولا يعسر.

= استعماله لا يضره فإن في مجرد المرض مع عدم الضرر باستعمال الماء ما يكون مظنة لعجزه عن الطلب؛ لأنه يلحقه بالمرض نوع ضعف، وأما وجه التنصيص على المسافر فلاشك أن الضرب في الأرض مظنة لإعواز الماء في بعض البقاع دون بعض/ ١٢ فتح. (١) وعليه الجمهور/ ١٢ وجيز.

(٢) طاهراً كما ورد في الصحيح: "جعلت لنا الأرض مسجداً وجعل تراها طهوراً"/ ١٢ وجيز. [أخرجه مسلم في "المساجد"/ باب: مواضع الصلاة.]

(٣) ففي صحيح مسلم: التيمم مسح الوجه ومسح الكفين، وأما الفرق بين مسحت رأسه وبرأسه فبأن الباء لا يزداد إلا أن يكون بيده شيء كالدهن أو الماء أو التراب كما فهم من

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿١٦﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ
الْمُلْكِ فَإِذَا لَّا يُمُوتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿١٧﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ
مِّن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا
عَظِيمًا ﴿١٨﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿١٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٢١﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

= كلام المهرة من أهل اللغة، وصرح بذلك بعض العلماء من العظماء / ١٢ وجزئ. هذا المسح مطلق يتناول المسح بضربة أو ضربتين، ويتناول المسح إلى المرفقين أو إلى الرسغين، وحاصل ما قال الشوكاني في شرحه للمتقى: إن أحاديث الضربتين لا يخلو جميع طرقها من مقال، ولو صحت لكان الأخذ بها متعينا لما فيها من الزيادة، فالحق الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الاختصار على ضربة واحدة حتى تصح الزيادة على ذلك المقدار. قال الخطابي: لم يختلف أحد من العلماء في أنه لا يلزم مسح ما وراء المرفقين واحتجوا بالقياس على الوضوء، وهو فاسد الاعتبار. قال الحافظ: إن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهم وعمار وما عداهما فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه فالحق مع أهل المذهب الأول حتى يقوم دليل يجب المصير إليه، ولا شك أن الأحاديث المشتملة على الزيادة أولى بالقبول، ولكن إذا كانت صالحة للاحتجاج بها وليس في الباب شيء من ذلك.

تُؤَدُّوْا أَلَا مَنَنْتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٧﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ألم تنظر إلى من له حظ يسير من التوراة، أعني: الأحبار ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يختارونها على الهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿السَّبِيلَ﴾ طريق الحق.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وقد أعلمكم فاحذروهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ينصركم فاكثفوا به عن غيره، والباء في فاعل كفى: للتأكيد.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان للذين أوتوا أو لأعدائكم أو صلة نصيرا أى: ينصركم من الذين، أو خبر مبتدأ تقديره: من الذين هادوا قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ^(١) عَنْ مَوَاضِعِهِ^(٢)﴾ يميلونه عن مواضعه التى أثبتته الله فيها بإزالته وإثبات غيره فيها، أو

(١) الكلم يفرق بينه وبين الواحد بالتاء، وغلب إطلاق الكلم على الكثير بحيث لا يطلق على الواحد لكن ليس بجمع لما يقال: الكلم الطيب، ورجوع ضمائر المفرد إليه/ ١٢ وجيز. قال الرازى فى الكبير: فى كيفية التحريف وجوه أحدها أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر إلى أن قال: والثانى أن المراد بالتحريق إلقاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله أهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا الأصح/ ١٢.

(٢) قال الحافظ ابن القيم فى إغاثة اللهفان: وقد اختلف العلماء هل التوراة مبدلة أم التبديل وقع فى التأويل دون التزويل على ثلاثة أقوال قالت طائفة: كلها أو أكثرها مبدل، وغلا

يفسرونه بغير مراد الله على مقتضى هواهم **﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾** قولك **﴿وَعَصَيْنَا﴾** أمرك **﴿وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾** أى: اسمع ما نقول لا سمعت، فهو حال من المخاطب أى: مدعوا عليك بلا سمعت، أو اسمع غير مسمع ما ترضى قيل: قولهم وعصينا وغير مسمع قول سرهم **﴿وَرَاعِنَا لِيًّا﴾** فتلا **﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾** أى: يوهمون أنهم يقولون: أرعنا^(١) سمعك وإنما يريدون الرعونة أو السب بلغتهم **﴿وَوَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعَ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾** أى: لو ثبت هذا مكان ما قالوه لكان قولهم ذلك خيراً وأعدل لهم **﴿وَلَكِنْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾** فلا يهتدون إلى خيرهم **﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾** إيماناً^(٢) **﴿قَلِيلًا﴾** لا ينفعهم أو إلا قليلاً منهم فهو استثناء من مفعول^(٣) لعنهم المرتب عليه فلا يؤمنون فليس المختار فيه الرفع.

= بعضهم حتى قال: بجواز الاستحمار بها، وقالت طائفة من أئمة الفقه والحديث والكلام، وإنما وقع التبديل في التأويل، قال البخاري في صحيحه: يحرفون يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يتأولونه على غير تأويله هو اختيار الرازي، وتوسط طائفة فقالوا: قد زيد فيها وقد غير أشياء يسيرة جداً واختاره شيخنا في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح قال: وهذا كما في التوراة عندهم أن الله سبحانه قال لإبراهيم: اذبح ابنك بكرك ووحيدك إسحاق، قلت: والزيادة باطلة من وجوه عشرة: الأول أن بكره ووحيدته لإسماعيل باتفاق الملل الثلاث إلى آخر ما بين الوجوه العشرة/ ١٢ فتح.

(١) أي: اصرف سمعك إلى كلامنا وأنصت لحديثنا وتفهم/ ١٢ كبير.

(٢) هو إيمانهم ببعض الكتاب/ ١٢.

(٣) يعنى: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون يكون اتفاق القراء على غير المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا منهم يعنى: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون فيكون الرفع فيه هو المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا من الملعونين، فلا يجوز أن يكون مستثنى منه/ ١٢.

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ نحو العين والأنف ونجعلها من قبل الأقفية فلهم عينان^(٢) من القفى يمشون قهقري، أو نجعلها كالأقفاء بلا عين وأنف، أو بأن نجعلها منابت^(٣) الشعور كالقردة، أو أن نطمس وجوها عن صراط^(٤) الحق فتردها على أدبارها في الضلالة، أو نردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز، فالمراد إجلأؤهم من أوطانهم، والطمس والمسح يكونان لهم قبل^(٥) القيامة^(٦) أو لهم هذا في القيامة، أو مشروط بعدم الإيمان وقد آمن بعضهم ﴿أَوْ نُلْعَنَهُمْ﴾ الضمير للذين على طريقة الالتفات ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ^(٧) السَّبْتِ﴾ نخزيهم بالمسح فنجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأصحاب السَّبْتِ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ لا راد لحكمه.

(١) لما أعلم أن بعضهم غير ملعونين خاطب الجميع ليأتمر من لم يتطوق على أعناقه اللعن فقال: "يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا" الآية (آل عمران: ٤٧) / ١٢ وجيز.

(٢) قاله ابن عباس / ١٢ وجيز.

(٣) فيكون تقديره: نردها على هيئة أدبارها فإن منابت شعور الآدميين في أدبار وجوههم / ١٢

(٤) فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الضلالة / ١٢ منه.

(٥) عند نزول عيسى كذا ثبت عن السلف / ١٢ وجيز.

(٦) هذا جواب عما يقال: إن الله تعالى قد أوعدهم بالطمس والمسح ولم يقع أحد منهما / ١٢ منه.

(٧) ولما سمع عبد الله بن سلام هذه الآية جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه فأسلم، وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أنى أصل إليك حتى تحول وجهي في قفاى / ١٢ وجيز.

﴿إِنَّ^(١) اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لا يغفر لعبد لقيه مشركاً ويغفر ما دون الشرك صغيراً أو كبيراً لمن يريد تفضلاً ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ يحتقر دونه الذنوب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ^(٢) أَنْفُسَهُمْ﴾ بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو بما قال اليهود: إن أبناءنا ماتوا وهم لنا قرية سيسفعون ويزكوننا، أو يقدمون أطفالهم في الصلاة لعصمتهم ويزعمون أن المأموم يصير مثلهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ المرجع في ذلك إلى الله فإنه عالم بالحقائق ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا^(٣)﴾ ما يكون في شق النواة أو ما قتلت بين أصابعك من الوسخ أي: لا ينقص ثوابهم مقدار الفتيل.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في تزكيتهم أنفسهم ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ بالافتراء ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ ظاهراً لا يخفى. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيًّا﴾ حظاً قليلاً ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ السحر والشيطان، أو الأوثان وشياطينها، أو الكاهن والساحر، أو الساحر والكاهن بلسان الحبشة، أو الجبت شيطان بلسان الحبشة والطاغوت كل ما يعبد من دون الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قريش ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ سأل قريش عن أخبار

(١) وبعد ما لعن اللعن المطلق واللعن المقيد حكم بالحكم البت المحكم فقال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وفي "الصحيحين": أنه عليه الصلاة والسلام سمع رجلاً أثنى على رجل فقال: ويحك قطعت عنق صاحبك، ثم قال: إن كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسبه فلا يزكي على الله "أحدًا"/ ١٢ وجيز. [أخرجه البخاري في "الأدب"/ باب: ما يكره من التمداح (٦٠٦١) ومسلم في "الزهد والرقائق"/ باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (٣٠٠٠).]

(٣) نصب فتيلة بأنه صفة مفعول مطلق/ ١٢.

اليهود: ديننا خير أم دين محمد؟ فقالوا: دينكم خير وأنتم أهدى وقيل: سجدوا^(١) لأصنامهم حين حالفوا قريشاً في حرب المؤمنين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ يمنع من الطرد والخسار ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أم منقطعة والهمزة لإنكار ملكهم كما يزعمون أن الملك سيصير لهم، ومعناه الإضراب عن ذمهم بتزكيتهم أنفسهم إلى ذمهم بالبخل والحسد للذين هما شر خصلتين. ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ أي إن كان لهم ملك فإذن لا يؤتون أحداً ما يوازي نقيراً، وهو النقرة في ظهر النواة يعنى: هذا إكمال بخلهم في حال ملكهم وغناهم فما ظنك بحال فقرهم وذلمهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل يحسدون محمداً أو أصحابه، أضرب عن البخل إلى الحسد الذى هو شر^(٢) منه ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النبوة والكتاب والنصرة وكثرة النساء، وقالوا: لو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كداود وسليمان كتابهم ونبوهم ﴿وَأَتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيماً﴾ ملك داود وسليمان وما أوتى من النساء^(٣) لهما ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عنه وسعى في صد الناس عنه مع أنهم من جنسهم من بنى إسرائيل، فكيف بك يا محمد ولست من بنى إسرائيل؟ أو معناه: هم يحسدون عليكم وقد آتينا آل إبراهيم الذين هم من أسلافك يا محمد

(١) نقل أنه خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على عداوة المؤمنين، فقال قريش: نحن لا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم فإنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فإن أردتم أن تطمئن خواترنا فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا.

(٢) فإنه بخل ما في يد الغير مع شبه اعتراض على من هو كامل في الحكمة عادل في القسمة/

١٢ منه.

(٣) فإنه لسليمان ألف امرأة ثلاث مائة مهريه والباقيه سرية ولداود مائة امرأة/ ١٢ منه.

من فضلنا فلا يبعد أن يؤتيك الله مثل ما آتاهم، ثم قال: فمن اليهود من يؤمن بمحمد ومنهم من صد عنه ولم يؤمن به ﴿وَكَفَىٰ بِيَحْتُم سَعِيرًا﴾ نارا مسعورة يعذبون بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غير الجلود المحترقة، ويحتمل أن يعاد ذلك الجلد بعينه إلا أنه على صورة أخرى ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وقد ورد أنه في الساعة الواحدة عشرون ومائة مرة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ غالبًا لا يغلب ﴿حَكِيمًا﴾ فتعذبه وفق حكمته لا ظلمًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والأذى ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائمًا لا حر فيه، والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيده كليل أليل وشمس شامس.

﴿إِنَّ^(١) اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية كما قال السلف عامة: لكل بر وفاجر ودخل فيها حقوق الله وحقوق الناس، وإن نزلت في رد مفتاح الكعبة على عثمان^(٢) بن طلحة حين أخذ منه والتمس على أو عباس رضى الله عنهما أن تكون له الحجابة والسقاية ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي:

(١) لما أمر بالسخاء والسماحة، وإلقاء الراحة للقلوب، وترك البخل الذى هو من أخس الرذائل والذنوب، ودفع الحسد الذى هو بخل عن ما في يد الغير، وهو عند نهاية الغور جور تبعه برد الأمانات والعدل فقال: "إن الله يأمركم" الآية/ ١٢.

(٢) أي: عثمان بن طلحة ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الذى بيده الحجابة في زمن النبی صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، وأما عمه عثمان بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافرًا وقد اشتبه هذا على كثير من المفسرين/ ١٢ منه.

وأن تحكموا بالإنصاف إذا حكمتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ^(١) نِعَمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي: نعم شيئاً يعظكم به، فما موصوفة منصوبة بيعظكم، أو نعم الشيء الذي يعظكم به فيكون مرفوعة موصولة، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعماً يعظكم به ذاك وهو أداء الأمانات والعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ بالأقوال والأحكام في الأمانات وغيرها.

﴿يَا أَيُّهَا^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ^(٣) مِنْكُمْ﴾ السلاطين والأمراء فيما وافقوا الحق، وأهل العلم والدين ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم وأولو

(١) هذه الآيات من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع، لأن الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس قاطبة في جميع الأمانات وورودها على سبب لا ينافي ما فيها من العموم، فالاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، قال الواحدي: أجمع المفسرون عليه. انتهى، ويدخل الولاية في هذا الخطاب دخولاً أولياً فيجب عليهم تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلمات، وممن قال بعموم هذا الخطاب البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، واختاره جمهور المفسرين ومنهم ابن جرير وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار كما قال ابن المنذر، وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك". [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٠١٨).]

(٢) لما أمر الولاية والرعاة بالعدل أمر الرعية بطاعة الولاية فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية ١٢/ كبير.

(٣) هم الحكام والسلاطين إذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وإن أمروا بمباح إن كان فيه مصلحة عامة وجب القبول، وإن كان المصلحة بينه وبين الله، أو بينه وبين الخلق فيه خلاف/ ١٢ وحيز.

الأمر «فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ» فراجعوا^(١) فيه «إِلَى اللَّهِ» إلى كتابه «وَالرَّسُولِ» في زمانه وسنته بعده «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ» أي: الرد «خَيْرٌ» لكم «وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» مآلاً وعاقبة.

(١) قال مجاهد وغير واحد من السلف: هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء ينازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق كما قال تعالى: "فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله" (الشورى: ١٠)، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق "فماذا بعد الحق إلا الضلال" (يونس: ٣٢)، ولهذا قال: "إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" أي: ردوا وتحاكموا إليهما إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فدل على أن من لا يتحاكم في محال النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله ليس مؤمناً بالله واليوم الآخر، فالرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الأمر وتعليق الإيمان عليه هكذا قال الشيخ محمد بن محسن عطاس صاحب تزييه الذات والصفات قال الإمام الرازي: هذه الآية دالة على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقاً فلا يجوز ترك العمل بهما بسبب القياس، ولا يجوز تخصيصهما بسبب القياس البتة سواء كان القياس جلياً أو خفياً، وسواء كان ذلك النص مخصوصاً قبل ذلك أم لا ثم بين ذلك، وحقق كما هو حقه وأثبت ذلك بالوجوه العشرة التي لا يسعها المقام، وفي الفتح: ومن جملة ما استدلل به المقلدة قوله تعالى: "وأولى الأمر" قالوا: هم العلماء، لكن أين هذا من الدلالة على مراد المقلدين فإنه لا طاعة لأحدهما أي: العلماء والولاة إلا إذا أمروا بطاعة الله على وفق سنة رسوله وشريعته، وأيضاً العلماء إنما أُرشدوا غيرهم إلى ترك تقليدهم ونهوهم عن ذلك كما روى عن الأئمة الأربعة وغيرهم، فطاعتهم ترك تقليدهم، ولو فرضنا أن في العلماء من يرشد الناس إلى التقليد ويرغبهم فيه لكان يرشد إلى معصية الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق انتهى ملخصاً/ ١٢.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الطَّاغُوت ههنا ما سوى كتاب الله وسنة رسوله من الباطل، نزلت في يهودى ومنافق اختصما فقال اليهودى: بينى وبينك محمد،

وقال المنافق بيننا كعب بن الأشرف، أو في جماعة من المنافقين أرادوا أن يتحاكموا إلى
حكام الجاهلية **﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾** بالطاغوت **﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** لا يمكن لهم الرجوع إلى الحق أبداً. **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾** حال كونهم **﴿يَصُدُّونَ﴾** يعرضون **﴿عَنْكَ
صُدُّودًا فَكَيْفَ﴾** يكون حالهم **﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾** احتاجوا إليك في دفعها **﴿بِمَا
قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ﴾** بسبب شؤم ذنوبهم **﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾** حين يصابون للعذر، عطف على
إصابتهم **﴿يَحْلِفُونَ﴾** حال **﴿بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾** ما أردنا من تحاكمنا إلى غيرك **﴿إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾** مداراة ومصانعة لا اعتقاداً منا تلك الحكومة، أو إحساناً لخصومنا
وتوفيقاً بين الخصمين لا مخالفتك، وبعضهم على أن الكلام تم عند قوله: "بما قدمت
أيديهم" و"ثم جاءوك" عطف على "يصدون" وما بينهما اعتراض **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ
اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾** من النفاق **﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** فلا تعنفهم **﴿وَعِظْهُمْ﴾**
وانصحهم بلسانك **﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾** سرّاً ليس معهم غيرهم **﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾**
وقيل: في أنفسهم متعلق بليغاً أي: قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم **﴿وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾** فيما حكم لا ليطلب الحكم من غيره **﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**
بسبب إذن الله في طاعته، فالإذن بمعنى الأمر والرضا، أو بتيسير الله وتوفيقه في طاعته،
فالإذن بمعنى التوفيق **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** بمثل التحاكم إلى غيرك
﴿جَاءُوكَ﴾ (١) خبر إن، وإذ ظلموا متعلق به **﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾** بالإخلاص **﴿وَأَسْتَغْفِرَ**

(١) وهذا المحيى يختص بزمان حياته صلى الله عليه وسلم، وليس المحيى إليه يعنى إلى مرقده
المنور بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما يدل عليه هذه الآية كما قرره في الصارم
المنكى، ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من
الصحابه ولا من التابعين ولا من تبعهم بإحسان/ ١٢ فتح.

لَهُمُ الرَّسُولُ» عدل عن الخطاب تعظيماً لشأن الرسول عليه الصلاة والسلام
«لَوْجِدُوا اللَّهَ» صادفوه^(١) حال كونه «تَوَّاباً رَحِيماً» أو لعلموه قابلاً لتوبتهم
«فَلَا»^(٢) وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» لا مزيدة لتأكيد القسم، أو معناه: فليس الأمر كما
يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك «حَتَّى يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ» اختلف
واختلط «بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً» ضيقاً أو شكاً «مِّمَّا»^(٣) قَضَيْتَ
وَيَسْلَمُوا»^(٤) إنقادوا لأمر رسوله «تَسْلِيماً» نزلت حين خاصم الزبير رجلاً فقضى

(١) يعنى إن كان وجد بمعنى صادف فتوابا حال، وإن كان بمعنى علم فهو مفعوله الثانى/
ج ١٢.

(٢) اعلم أن قوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون" قسم من الله على أنهم لا يصيرون موصوفين
بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط، أولها: قوله تعالى: "حتى يحكموك فيما شجر
بينهم" وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمناً. الشرط الثانى:
قوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت" قال الزجاج: لا تضيق صدورهم من
أقضيته، واعلم أن الراضى بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام قد يكون راضياً به في
الظاهر دون القلب، فبين في هذه الآية أنه لا بد من حصول الرضاء به في القلب.
الشرط الثالث: قوله: "ويسلموا تسليماً" واعلم أن من عرف بقلبه كون ذلك الحكم
حقاً وصدقاً قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد، أو يتوقف في ذلك القبول، فبين تعالى
أنه كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب فلا بد أيضاً من التسليم معه
في الظاهر، فقوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت" المراد به: الانقياد في
الباطن، وقوله: "يسلموا تسليماً" المراد منه الانقياد في الظاهر والله أعلم/ ١٢ كبير.

(٣) جاز أن يكون ما مسدريه، أو موصولة/ ١٢ منه.

(٤) ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص، النص بالقياس؛ لأنه يدل على أنه يجب متابعة
قوله وحكمه على الإطلاق، وأنه لا يجوز العدول منه إلى غيره، ومثل هذه المبالغة
المذكورة في هذه الآية قلما يوجد في شيء من التكاليف، وذلك يوجب تقديم عموم

رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير^(١) فقال الرجل: قضى له لأنه ابن عمته(*)، أو اختصم رجلان فقضى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذى قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فلما أتيا إليه قالوا: قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئنا إليك لتقضى بيننا، فقال عمر: مكانكما فخرج بالسيف وقتل من لم يرض بحكم رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن(**) (٢) ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا على بنى إسرائيل، وأن^(٣) مصدرية ﴿أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما أمرناهم من ديار مصر ﴿مَا فَعَلُوا﴾ أي: المكتوب، أو الضمير لمصدر أحد^(٤) الفعلين ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم

= القرآن، والخبر على حكم القياس، وقوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت" مشعر بذلك لأنه متى خطر بباله قياس يفضى إلى نقيض مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى أنه لا يكمل إيمانه إلا بعد أن لا يلتفت إلى ذلك الحرج ويسلم النص تسليماً كلياً، وهذا الكلام قوى حسن لمن أنصف/ ١٢ كبير.

(١) رواه البخاري عن عروة/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ (٤٥٨٥).

(**) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسير" (٥٥٦٠) قال: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أنبأ ابن وهب، أخبرني عبد الله بن هبة عن أبي الأسود.... فذكره. وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٢٢/١) وقال: وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن هبة عن أبي الأسود به. وهو أثر غريب مرسل، وابن هبة ضعيف والله أعلم.

(٢) فأنزل الله تلك الآية فبرأ عمر على قتله ظلماً رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه والحافظ المقدسى/ ١٢ وجيز.

(٣) جاز أن يكون أن مفسرة لأن كتبنا بمعنى: أمرنا/ ١٢.

(٤) أي: اقتلوا أو اخرجوا/ ١٢ منه.

المخلصون، نزلت حين افتخر صحابي ويهودى فقال اليهودى: لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنا، فقال الصحابي: لو كتب الله علينا لقتلنا^(١) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من مطاوعة النبی ومتابعته طوعاً ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ في الدارين ﴿وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ لإيمانهم وتصديقهم ﴿وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ كأنه قيل: ما يكون لهم بعد التثبيت، فقال: وإذا والله لآتيناهم فإن إذا جواب وجزاء ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ بسلوكه يصلون إلى الفلاح. ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في الفرائض والسنن ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ نزلت^(٢) حين قال بعض^(٣) الصحابة: إني محزون، لأنى لا أطيق فراقك يا محمد وإني إن دخلت الجنة أكون في منزلة دون منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، وفي الحديث أن الأعلىين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياضها ويترل لهمرة^(*) أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون فهم في روضة يجبرون ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ الرفيق كالصديق يطلق على الواحد والجمع أو المراد كل واحد منهم ونصبه على التمييز أو الحال وهو كلام في معنى التعجب. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما أعطى المطيعين من مرافقة المنعم عليهم ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ الأول صفة ذلك أو خبره والثاني خبره أو حال ﴿وَوَكْفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بمن أطاع الله ورسوله فلا يضيع أجرهم.

(١) وعلى هذا الآية مدح لهذا الصحابي أنه من القليل الذين لهم الإخلاص / ١٢ منه.

(٢) قد ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من طرق متواترات عن جماعة من الصحابة أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال: "المرء مع من أحب، قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث" / ١٢ وحيز.

(٣) كما رواه ابن جرير وابن مردويه والحافظ المقدسي / ١٢ وحيز.

(٥) وردت في الأصل مصحفة: يترهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ وَانْفِرُوا جَمِيعًا﴾ ٦٥ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ٦٦ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ٦٧ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٦٨ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٦٩ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٠

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم أي: استعدوا للحرب واحذروا من الأعداء ﴿فَانْفِرُوا﴾ أخرجوا إلى الجهاد ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعة بعد جماعة متفرقين ﴿أَوْ وَانْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين أي بادروا إلى الجهاد كيفما أمكن من غير أن تلقوا أنفسكم إلى التهلكة. ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئَنَّ﴾ يتأفلن ويتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ لازم أو ليبطئن غيره منقولا من بطأ والخطاب لعسكر الرسول. والبعض: المنافقون

(١) ولما ذكر أنه لو كتب عليهم قتل أنفسهم وأطاعوا لهم الأجر العظيم وإن إطاعة الله سبب للرفقة مع هؤلاء السعداء أمرهم بالجهاد الذي قد ينجر إلى القتل وحذرهم عن الغفلة، فقال: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم" / ١٢ وحيز.

واللام الأولى للابتداء والثانية جواب قسم تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ من قتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطئ ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضرا. ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكد تنبيها على فرط تحسرهم ﴿كَأَنَّ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ منصوب بجواب التمني ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نصيبا وافرًا من الغنيمة يعنى أن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وليس من أهل دينكم فإن الحظ من المال غاية بغيتهم لا إعاتكم وأجرهم ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ معناه: إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل الذين يبيعون دنياهم بآخرتهم وهم المؤمنون حقًا أو معناه لغير ما بهم من النفاق فليقاتل الذين يشترون الدنيا الفانية بالآخرة الباقية فعلى الأول حث المؤمنين على القتال وعلى الثاني حث المبطئين على ترك ما هم عليه ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ له الأجر الجزيل غلب أو غلب. ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حال، يعاتبهم على ترك الجهاد ويحرضهم عليه ﴿وَالْمُسْتَضْعِفِينَ﴾ أي: في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن أيدي العدو أو في المستضعفين^(١) على حذف المضاف أي في تخليصهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين الذين هم بمكة تحت أيادي المشركين ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ^(٢) أَهْلُهَا﴾ أرادوا مشركى مكة ﴿وَأَجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يلى أمرنا ﴿وَأَجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ

(١) فهو إما عطف على المضاف إليه من غير تقدير، أو على المضاف على تقديره / ١٢.

(٢) في القرآن نسبة الظلم إلى القرية كثيرة لكن نسب ههنا إلى أهلها تعظيمًا لأم القرى.

وتعليمًا / ١٢ وحيز.

نَصِيرًا ﴿ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دَعَاءَهُمْ يَسِّرَ لِبَعْضِهِمُ الْمَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفَتَحَ مَكَّةَ عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَنَصَرَهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فيما يصلون به إلى الله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ (١) ﴿ فيما يبلغهم إلى الشيطان ﴾ (٢) ﴿ فَقَاتِلُوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ أي: مكره المؤمنين بالنسبة إلى مكر الله للكافرين ضعيف فلا تخافوهم.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلُمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٣) ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالٌ هَتُولَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٤) ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٥) ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا ﴾ (٦) ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ

(١) وهذه الآية دالة على أن كل من كان غرضه في فعله رضا غير الله فهو في سبيل

الطاغوت، لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة وهي أن القتال إما أن يكون في سبيل الله أو

في سبيل الطاغوت، وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتًا/ ١٢ كبير.

(٢) وهو مع حزه في النار/ ١٢.

غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١٧﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا
بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾
فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ
بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿١٩﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً
يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٢١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٢٢﴾ *

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال المشركين حين التمسوا قتالهم
في مكة وهم ضعفاء ^(١) قليلون ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ واشتغلوا بما أمرهم
الله ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ في المدينة وهم أقوياء كثيرون ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ إذا
للمفاجأة جواب لما ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ الكفار خير فريق ومنهم صفته ﴿كَخَشِيَةِ
اللَّهِ﴾ إضافة المصدر إلى المفعول أي: خشية مثل خشيتهم ﴿لِلَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً﴾ عطف
على كخشية الله أي: أو خشية أشد تلك الخشية خشية من خشيتهم لله بأن جعل
الخشية خاشيًا كجد جده أو كخشية الله حال من ضمير الجمع أي: حال كونهم مثل

(١) فإنهم يلقون من المشركين أذى كثيرًا يستأذنون في القتال ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إننا لم نؤمر بالقتال أمرنا بالعفو فكفوا أيديكم" / ١٢ وحيز.

أهل خشية الله أو أشد خشية من أهل خشية الله ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا هَلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: الموت يعني هلا تركتنا نموت بآجالنا قيل: القائلون منافقون أو مؤمنون وقالوه خوفاً وحرصاً على الحياة ثم تابوا، أو مؤمنون تخلفوا وناقفوا لما فرض عليه القتال ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع التقضى ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ لا ينقص من ثوابكم مثل فتيل النواة ﴿أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ حصون مرفوعة منيعة عالية قيل: نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ﴾ المنافقين واليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ كحصب ورزق من ثمار وأولاد ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كجذب ونقص من هلاك ثمار وموت أولاد ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ قالوا: ما هي إلا بشؤم محمد وأصحابه ﴿قُلْ كُلٌّ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ^(١) بإرادته وقضائه ييسط ويقبض ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ

(١) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا متعلق لهم فيه؛ لأنه ليس المراد من الآيات حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والحنن، وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم فقال: ما أصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني إنما يقال: أصبتها ويقال في الحنن: أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثواباً ولا عقاباً فهو كقوله تعالى: " فإذا جاءهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه " (الأعراف: ١٣١)، فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال: " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها " (الأنعام: ١٦٠)، وقيل معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: بذنب نفسك من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن قيل: كيف وجه الجمع بين قوله: " قل كل من عند الله " أي:

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿١﴾ أي: القرآن فإنه لو فهموه لعلموا أن الكل ^(١) منه تعالى، أو حديثاً ما كبهائم لا أفهام لهم ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ يا إنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة ﴿فَمِنْ اللَّهِ﴾ تفضلاً منه ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ بسبب شؤم ذنوبك ^(٢) وإنما كتبتها عليك فالحسنة إحسان، والسيئة مجازاة يصل الكل من الله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال قصد به التأكيد ويجوز تعلق للناس به فحينئذ قصد به التعميم أي: رسولاً للناس كلهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا

= الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: فمن نفسك أي: وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى: "وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ" (الشورى: ٣٠)، يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ (وما أصابك من سيئة فمن نفسك"، وأنا كتبتها عليك) وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبله والقول فيها مضمّر تقديره "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً" يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، قل: كل من عند الله / ١٢ معالم.

(١) أي: لا فاعل سواه تعالى ولا واسطة في البلايا سوى: أنفسهم دون النبي على ما زعموا، فتمام الرد عند قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" وبهذا اندفع ما قيل إنهم لم يجعلوا النبي فاعلاً للبلايا بل واسطة كما في قوله تعالى: "يطيروا بموسى" (الأعراف: ١٣١)، فلا يكون جعل المبدأ الفاعلي هو الله وحده ردّاً لمقاتلهم فافهم/ ١٢ ج.

(٢) يعني إن نظرت إلى المبدأ الفاعلي فالكل منه، وإن نظرت إلى الواسطة والسبب فما هي إلا شؤم أنفسهم لا النبي، بل هو الواسطة لدفع المصائب ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، وأما قوله: "قل كل من عند الله" فلدفع وهم ينشأ من قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" / ١٢ وحيز.

وحى يوحى، نزلت حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أطاعنى وأحبنى أطاع الله تعالى وأحبه فقال المنافقون: يريد أن نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى عليه السلام ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ عن المعاصي إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿طَاعَةٌ﴾^(١) أي: أمرنا وشأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرِزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي: قدر وبدل ليلاً وسراً خلاف ما قلت لهم أو خلاف ما قالت طائفة من الطاعة ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يثبت في صحائف أعمالهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ ما يسرون ويقدرّون ليلاً ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فاصفح عنهم ولأتوا خذهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ سيما في شأنهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ كيفيك شرهم قيل: الآية منسوخة بآية القتال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾^(٢) القرآن لا يتفكرون فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ كما زعم الكفار والمنافقون ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تفاوتاً وتناقضاً لا يكون كله في طبقة البلاغة، ويكون في إخبار الغيب بما كان ويكون خلاف واقع ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ مما يوجب أحدهما ﴿أَدَّاعُوا بِهِ﴾ أفسوه إذا بلغهم خير عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتحهم أو هزيمتهم يفشونه قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه مضار كثيرة وهم المنافقون وقيل: ضعفة المؤمنين وأذاع جاء متعدياً بنفسه وبالباء ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ ذلك الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ ذوى الرأى من أصحابه أو أمراء السرايا ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

(١) وأصلها النصب أي: أطعنا طاعة والرفع للثبات كسلام عليك / ١٢ وحيز.

(٢) لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم، وكان كل ذلك لأجل أنهم ما كانوا يعتقدون كونه محققاً في ادعاء الرسالة صادقاً فيه، بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متخصر، فلا جرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال: "أفلا يتدبرون القرآن" الآية (النساء: ٨٢، محمد: ٢٤) / ١٢ كبير.

يستخرجونه ويستعملونه من معادنه يعني: لو سكتوا لحصل لهم العلم به من الرسول وأولى الأمر، ولا ضر فيه أو لو ألقوا ذلك الخبر إليهم لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بتجارهم وأنظارهم على أي وجه يذكر من إفشاء ما فيه المصلحة وكتمانه، وقد صح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجد الناس يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فجاء إليه وسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام: لا فنادى عمر بأعلى صوته: لم يطلق، ونزلت هذه الآية فقال عمر: أنا الذى استنبطت ذلك الأمر^(*) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من تفضل عليه بعقله الصائب فاهتدى به كورقة بن نوفل وقيل: إلا اتباعاً قليلاً نادراً ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولو كنت وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾^(١) إلا فعل نفسك فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فالله ناصرك ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: على القتال فما عليك إلا التحريض ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسَ الدِّينِ كَفَرُوا﴾ أي: شدة المشركين بتحريضك إياهم على القتال، وقد فعل بأن ألقى الرعب في قلوبهم فرجعوا عن الطريق في البدر الثاني ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ صولة وشدة من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ عقوبة ﴿مَنْ^(٢) يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً تَجُوزُ فِي الدِّينِ قُبْلَتُ أَوْ لَا﴾ ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ وهو ثواب الشفاعة ﴿وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ لا يجوز أن يشفع فيه ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب من

(٠) أخرجه مسلم في "الطلاق" / باب: بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (٦٧٩/٣) ط الشعب.

(١) واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بعد حرب أحد في بدر الصغرى الخروج، فكره بعض الناس أن يخرجوا فترلت / ١٢ منه.

(٢) ولما كان بين المؤمنين والمشركين من قريش القرابة الموجبة للتواد والتعاطف والإشفاق عليهم بمثل الشفاعة في مصائبهم بين سبحانه شفقة على المؤمنين أن الشفقة على أي غاية جائزة فقال مستأنفاً: "من يشفع" الآية / ١٢ وجيز.

وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتِتًا﴾ مقتدرًا أو حفيظًا ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ^(١) بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ أي: إذا سلم عليكم فأجيبوا بزيادة أو ردوا كما سلم فإذا قال أحد: السلام عليك ورحمة الله فزد عليه: وبركاته، والزيادة سنة، والرد واجب، وقال قتادة: الزيادة للمسلمين والرد لأهل الذمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ يحاسبكم ويجازيكم. ﴿اللَّهُ^(٢) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة أو ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو في الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ^(٣) حَدِيثًا﴾ وعدًا ووعدًا .

(١) ولما قسم الشفاعة قسمين وما هي إلا من لوازم التواد والتعاطف، ذهب وهم واهم إلى أن التحية والسلام كالشفاعة فدفعه وقال: "إذا حييتم بتحية" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) ولما ذكر فرضية القتال وأمر بالتحريض عليه والشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة وتعليم السلام، وأنه حسيب على كل شيء أخبر بأنه يجمعهم للمجازاة فقال: "الله لا إله إلا هو" الآية/ ١٢ وحيز.

(٣) قوله حديثا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: سائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء، وقد سمي الله القرآن حديثا ومحدثا فقال: "الله نزل أحسن الحديث" وقال: "من أصدق من الله حديثًا" وقال: "ما يأتيهم من ذكر من رهم محدث" (الأنبياء: ٢)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما شاء" وهذا مما احتج به البخارى في صحيحه وغير صحيحه واحتج به غير البخارى كنعيم ابن حماد وحماد بن زيد، ومن المشهور عن السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق منه يبدأ وإليه يعود انتهى.

قال البخارى في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية باب قول الله: "كل يوم هو في شأن" (الرحمن: ٢٩)، و"ما يأتيهم من ذكر من رهم محدث" (الأنبياء: ٢)، وقول الله: "لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً" (الطلاق: ١)، وإن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين =

= لقوله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى: ١١). وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء وأن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة" انتهى ووقعت هذه العبارة في صحيح البخارى، وأيضاً قال فيه في باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق: وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ومن كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مخلوق مكون. انتهى وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية قدس الله روحه: و أفعال الله عز وجل نوعان: متعدد ولازم. قالمتمعدى مثل الخلق والإعطاء ونحو ذلك. واللازم مثل الاستواء والتزول والمحيى والإتيان قال تعالى: "هو الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش" (الحديد: ٤)، فذكر اللفظين المتعدى واللازم وكلاهما حادث بقدرته ومشيتته، وهو متصف وتسمى هذه الأفعال أفعالاً اختيارية التي يسميها الجهمية المعتزلة حلول الحوادث وهي كثيرة جداً بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جداً، وهذا كقوله تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" (الأعراف: ١١)، فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم لم يأمرهم في الأزل وكذلك قوله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران: ٥٩)، وإنما قال له كن بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل، وكذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام "فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها" (النمل: ٨)، "فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين" (القصص: ٢٠)، فهذا بين في أنه إنما ناداه حين جاء، ولم يكن النداء في الأزل كما تقوله الكلابية يقولون: إن النداء قائم بذات الرب في الأزل وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال منادياً له لكنه لما أتى خلق فيه إدراكاً لما كان موجوداً في الأزل إلى أن قال: والقرآن والسنة وكلام السلف قاطبة يقتضى أنه إنما ناداه وناجاه حين أتى لم يكن النداء موجوداً قبل ذلك فضلاً عن أن يكون قديماً أزلياً، وقال تعالى: "فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما =

= وطفقا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ" (الأعراف: ٢٢)، وهذا يدل على أنه لما أكلَا منها ناداهما لم ينادهما قبل ذلك وقال تعالى: "ويوم يناديهم فيقول أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" (القصص: ٦٥). "ويوم يناديهم فيقول أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" (القصص: ٧٤)، فجعل النداء في يوم معين وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن، وهو حينئذ يناديهم لم ينادهم قبل ذلك وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد" فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد ويأمر بما يريد، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهي متعلقًا بإرادته وهذه أنواع الكلام فدل على أنه يأمر بإرادته وينهى بإرادته، ويحلل بإرادته، ويحرم بإرادته، إلى أن قال: ومثل هذا كثير في القرآن، وكذلك في الإرادة والمحبة كقوله تعالى: "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" (يس: ٨٢)، وقوله: "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله" (الكهف: ٢٣، ٢٤)، وقوله: "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين" (الفتح: ٢٧)، وقوله: "وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له" (الرعد: ١١)، وقوله: "وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً" (الإنسان: ٢٨)، وقوله: "ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك" (الإسراء: ٨٦)، وأمثال ذلك في القرآن، فإن جواز الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال مثل إن وأن، وكذلك إذا ظرف لما يستقبل من الزمان فقوله تعالى: "وإذا أراد الله" (الرعد: ١١)، و"أن يشاء الله" (الكهف: ٢٤)، ونحو ذلك يقتضى حصول إرادة مستقبلية ومشية مستقبلية وكذلك في المحبة والرضى قال تعالى: "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" (آل عمران: ٣١)، إن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبههم الله فإنه حزم قوله يحببكم الله، فجزمه جواباً للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إن تتبعوني يحببكم الله، ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم الرسول، وقد مر بعض هذه العبارة بعينها في صفحة متقدمة فلا نعيده.

= وأطال رحمه الله وبين وفصل وميز الحق عن الباطل والصواب من الخطأ إلى أن قال: وكذلك كونه خالقاً ورازقاً ومحسناً وعادلاً فإن هذه أفعال فعلها بمشيئته وقدرته إذ كان يخلق بمشيئته ويرزق بمشيئته ويحسن بمشيئته ويعدل بمشيئته والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الخالق والمخلوق مفعوله، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بأفعال الرب وصفاته كما في قوله: "أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه، وقد استدل أئمة السنة كأحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق، لأنه استعاذ به فقال صلى الله عليه وسلم من نزل مثلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه، فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوق، لأنه استعاذ به والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقه؛ فإنها نتيجة معافاته، وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته، وقد حكى البخارى إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق، وعلى هذا يدل صريح المعقول فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن وأن الله الفرد بالقدم والأزلية إلى أن قال: فالسلف يقولون: لم يزل متكلماً إذا شاء وكما شاء وقد قال تعالى: "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً" (الكهف: ١٠٩)، فكلمات الله لا نهاية لها وهذا تسلسل جائر كالتسلسل في المستقبل، فإن نعيم الجنة دائم لا نفاذ له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية إلى أن قال: والمقصود هاهنا أن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع أما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب كما في الصحيحين عن زيد بن خالد: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه صلاة الصبح ثم قال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة الحديث..... وفى الصحاح في حديث الشفاعة فيقول كل من الرسل: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ آَعَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوَاءُ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا مُبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ تفرقت في أمرهم فرقتين، "فتتين" حال، وعاملها لكم "وفي المنافقين" متعلق بما دل عليه فتتين أي: متفرقين فيهم نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه حين رجعوا عن طريق أحد فبعض المسلمين قالوا: نقتلهم، وفرقة تقول: لا فإنهم مسلمون.

= يغضب بعده مثله فقال كل منهم: إن ربي قد غضب اليوم، وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله وفي الصحيح إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات كجر السلسلة على الصفوان" فقله: إذا تكلم الله بالوحي يسمع يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون، وذلك ينفي كونه أزلًا إلى آخر ما تركناه لضيق المقام انتهى مختصرًا ملتقطًا/ ١٢.

أو في قوم من العرب نزلوا المدينة وأسلموا ثم أصابتهم حمى المدينة فخرجوا ولحقوا المشركين وكتبوا إلى المسلمين إنا على دينكم فقال: بعضهم نافقوا وقال بعضهم: هم مسلمون.

أو في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين وقعدوا عن الهجرة ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ ردهم إلى الكفر بسبب عصيانهم أو أهلكهم ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ يجعلوه من المهتدين ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى ﴿وَدُّوا﴾ تمنوا هؤلاء ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أنتم ﴿كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ^(١) ﴿سَوَاءٌ﴾ في الضلال وهو عطف على تكفرون ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لا توالوهم ﴿حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فتحققوا إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الهجرة وأظهروا الكفر ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ لا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ استثناء من مفعول ^(٢) واقتلوهم أي: لا تقتلوا الذين يلجأون ويتنهدون إلى قوم عاهدوكم واجعلوا حكمهم كحكمهم وهم المسلمون، فإنه عليه الصلاة والسلام وادع لهلاك الأسمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل إليه فله من الجوار مثل ما له، أو بنو بكر بن زيد مناة أو خزاعة ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على الصلة ﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حال أي: قد ضاقت عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أو لأن أو كراهة أن ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ هؤلاء قوم آخرون من المستثنين عن الأمر بقتلهم وهم الذين يخشون المصاف وصدورهم كارهة عن قتالكم

(١) مستوفى الضلال يعني أنتم ترجون هدايتهم، وهم يرجون ضلالكم فقد تباعدتم في المذاهب وتباينت في المقاصد/ ١٢ وجيز.

(٢) وليس استثناء من قوله: "ولا تتخذوا منهم ولياً" وإن كان أقرب لأن اتخاذ الولي منهم حرام بلا استثناء ما داموا في الكفر/ ١٢.

ولا يهون عليهم أيضاً أن يقاتلوا قومهم معكم لا عليكم ولا لكم، كجماعة خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين وكرهوا القتال كعباس ونحوه وقيل: معناه أن يقاتلوا قومهم أي: إذا أسلموا وقيل عطف على صفة قوم أي: إلا الذين يلجأون إلى قوم جاءوكم كافين عن القتال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ أي: من لطفه بكم أن أذلهم عندكم وضيق صدورهم عن قتالكم فكفوا عنكم ﴿فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ^(١) السَّلَامَ﴾ الصلح والانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ في أخذهم وقتلهم ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ هم أسد وغطفان أو بنو عبد الدار أظهروا الإسلام مع المسلمين ليأمنوا عندهم على دمائهم وأموالهم وحققوا الكفر مع قومهم ﴿كُلَّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الشرك وقيل: إلى القتال مع المسلمين ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ ائتمكوا فيها ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ لم يصلحوا ﴿وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخَذَوْهُمْ وَأَقْتَلَوْهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة بينة في قتالهم لظهور عداوتهم وعدم وفائهم .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

(١) لا يكفي كف الأيدي عن الأيدي في نفى التعرض بل لابد منه مع الصلح ونبد العهد/

مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَتَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَبَيَّنُوا ۖ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤﴾ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ ما صح له وليس من شأنه ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ في شيء من الأحوال ﴿إِلَّا خَطَأً﴾^(١) أي: حال الخطأ أو إلاً قتلاً خطأ وقيل: الاستثناء منقطع، وما كان نفى بمعنى النهي أي: لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾^(٢) أي: فعلية إعتاقها^(٣) ﴿وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ مؤداة إلى

(١) وقيل: الاستثناء منقطع وهذا بناء على أن المتصل دال على جواز القتل خطأ ولا يدل لأن حاصله أن من شأن المؤمن ألا يقتل إلا خطأ/ ١٢ وخيز.

(٢) هذا إذا كان المقتول مؤمناً وعند كثير من العلماء: كذا إن كان كافراً أيضاً والقرآن لا يدل عليه/ ١٢ وخيز.

(٣) اختلف العلماء في الرقبة المؤمنة قيل: هي التي صلت وعقلت الإيمان فلا تجزئ الصغيرة، وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي وقتادة وغيرهم. أخرج عبد بن حميد وأبو داود والبيهقي عن أبي هريرة: "أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية

ورثته يقسمونها قسمة الميراث **﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾** يعفوا وسمى العفو عنها صدقة ترغيباً عليه أي: فعليه التحرير والدية في جميع الأحيان إلا حين أن يتصدق أهلها بالدية فحينئذ تسقط الدية **﴿فَإِنْ كَانَ﴾** المؤمن المقتول **﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾** كفار محاربين **﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾** ولم يعلم القاتل إيمانه **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾** دون الدية لأهلها لأنه لا وراثة بين مسلم وكافر **﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾** ككفار معاهدين أو أهل الذمة **﴿فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾** أي: فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية إن كان المقتول مؤمناً وكذا إن كان كافراً أيضاً عند كثير من العلماء **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾** رقة ولم يجد ثمنها **﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾** أي: فعليه ذلك **﴿تُوبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾** مفعول له أي: شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾** بحاله **﴿حَكِيماً﴾** فيما حكم عليه **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾** عشرة من كبار^(١) السلف بل أكثر على أنه لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمداً ويؤيدهم بعض الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً"^(٢) والجمهور على أنه له توبة

= سوداء فقال: يا رسول الله إن على عتق رقة مؤمنة فقال لها أين الله؟ : فأشارت إلى السماء بأصبعها فقال لها: فمن أنا فأشارت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء أي: أنت رسول الله فقال: أعتقها فإنها مؤمنة"، وقد روى من طرق وهو في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي / ١٢ فتح. [أخرجه مسلم في "المساجد" / باب: تحريم الكلام في الصلاة (١٧٠/٢) ط الشعب].

- (١) بالنقل الصحيح منهم / ١٢ وحيز.
 (٢) رواه الإمام أحمد والنسائي والبخاري / ١٢ وحيز. [أخرجه أحمد في "مسنده" (٩٩/٤) والحاكم في "المستدرک" (٣٥١/٤)، والنسائي (٣٧١٩) من طريق ثور عن أبي عوف،

ويدل عليه الآيات والأحاديث فقال بعض السلف: هذا جزاؤه إن جوزى عليه^(١) لكن قد يكون لذلك الجزاء معارض من عمل صالح أو عفو، وقيل الإخلاف في الوعيد ليس بخلف ودم، أو المراد بالخلود المكث الطويل، أو الخلود لمن يستحله فإنه نزلت في رجل خرج من المدينة وقتل مؤمناً وارتد. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذهبتم للغزو وسافرتم ﴿فَتَيَبَّنُوا﴾ اطلبوا بيان الأمر ولا تعجلوا فيه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ لمن حياكم بتحية الإسلام، ومن قرأ السلم فمعناه: الانقياد وقيل: معناه: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما فعلت ذلك متعوذاً ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تطلبون حطام الدنيا، هو حال من فاعل لا تقولوا ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ ربما يفنيكم عن قتل من أظهر الإسلام لما له ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ تحفون إيمانكم أو لم تكونوا مؤمنين أو محصونة دماؤكم بمجرد كلمة الشهادة ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان أو بالهداية ﴿فَتَيَبَّنُوا﴾ لا تبادروا ظناً بأنهم دخلوا في الإسلام اتقاءً وخوفاً. تأكيد لما تقدم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالماً بالغرض من القتل فاحتاطوا. نزلت في رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فقتلوه وأخذوا غنيمته^(٢)، أو في

= عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت معاوية يخطب فذكره. قال الحاكم: "صحيح

الإسناد" وأقره الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة". [

(١) قال الشيخ ابن كثير: الأصح أن هذا القول موقوف على أبي هريرة وقيل: إنه تعالى يسيء عاقبته ولا يوفقه للتوبة النصوح لشؤم هذا الذنب، وقد ثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم تاب الله عليه، وإذا كان في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة المرحومة توبتهم بطريق الأولى/ ١٢ وجيز.

(٢) كما رواه البخاري والترمذي عن ابن عباس/ ١٢ وجيز. [أخرجه البخاري في

"التفسير"/ باب: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (٤٥٩١).]

رجل له^(١) مال كثير بقى من قوم كافرين أرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية وقد تفرقوا فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فأهوى إليه أحد من المسلمين فقتله، فأنزل الله الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاتل: "كان رجل مؤمن يخفى إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته وكذلك كنت تخفى إيمانك بمكة قبل" ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ صفة القاعدون، فإنه ما أراد به قومًا معيّنًا فهو كالنكرة أو بدل، ومن قرأ منصوبًا فهو حال أو استثناء، نزلت أولاً "لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله" إلخ فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ثم سرى عنه فقراً: "لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر"^(٢) (*) ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ يعنى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الحرب من غير عذر ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ غير أولي الضرر صرح به ابن عباس والحديث الصحيح يدل عليه ﴿دَرَجَةٌ﴾ الجملة موضحة، لما نفى الاستواء فيه ونصب درجة بترع الخافض أي: بدرجة عظيمة تدرج تحت الدرجات أو على المصدر، لأنه تضمن معنى

(١) رواه الحافظ وفي البخارى بعض منه / ١٢ وجيز. [ذكره الحافظ في "الفتح" (١٠٧/٨) وابن كثير في "تفسيره" (١/٥٤٠)] وعزاه للبخاري من طريق: حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... فذكر القصة. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥٧/٣) وعزاه للبخاري والدارقطني والطبراني.

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى / ١٢ وجيز.

(٥) أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٤٥٩٤) ومسلم في "الإمارة" / باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذرين (٥٦١/٤) ط الشعب.

التفضيل «وَكَلًّا» من القاعدين والمجاهدين «وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى»^(١) الجنة والجزاء الجزيل «وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ»^(٢) عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. بمعنى أجرهم أجرًا عظيمًا «دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً» كل واحد بدل من "أجرًا" كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه إجمالاً وتفصيلاً قيل: الدرجة: ارتفاع منزلتهم عند الله، والدرجات: منازلهم في الجنة، وقال بعض المفسرين: القاعدون الأول هم الأضرأء خلاف ما صرحناه فإنهم أفضل بدرجة واحدة؛ لأن لهم نية بلا عمل ولهم نية وعمل، والقاعدون الثاني: هم غير أولى الضرر فإن بينهم درجات كثيرة «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا» لما فرط عنهم «رَحِيمًا» بأن جعل نية المؤمن كعمله.

(١) وفي البخارى أن بالمدينة أقواما ما تسرون من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، قالوا: كيف وهم بالمدينة؟! قال صلى الله عليه وسلم: حبسهم العذر/ ١٢ وحيز. [أخرجه البخاري في "الجهاد"/ باب: من حبسه العذر عن الغزو (٢٨٣٩)].

(٢) واعلم أن الجهاد في الحملة فرض غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية، وفرض العين: أن يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حرًا كان أو عبدًا غنيًا كان أو فقيرًا دفعًا عن أنفسهم وعن حيراتهم، وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية فإن لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين على طريق الاختيار، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قادرين في بلادهم فعلى الإمام أن لا يخلى سنته عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلًا والاختيار لمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عن الجهاد، ولكن لا يفترض، لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال: "وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى" فلو كان فرضا على العين لاستحق القاعد العقاب لا الثواب/ ١٢ معالم التنزيل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ﴾ يحتمل أن يكون ماضياً ومضارعاً ﴿المَلَائِكَةُ﴾ ملك الموت وأعوانه ولا يبعد أن يقال معناه: قتلهم الملائكة فإن الملائكة محاربون يوم بدر ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وبالخروج مع المشركين ﴿قَالُوا﴾: الملائكة، توبيخاً لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر الدين حيث ما هاجرتم وما أظهرتم دينكم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ عاجزين من الخروج عن مكة إلى المدينة ﴿قَالُوا﴾: الملائكة، تبكيتاً لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا﴾ ^(١) فيها إلى جانب وبلد آخر ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ لمساعدتهم الكفار وهو خبر إن و"قالوا فِيمَ كنتم": حال بإضمار قد أو خير بحذف العائد أي: قالوا لهم وحينئذ فأولئك عطف على الجملة قبلها مستتجة منها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم ^(٢) نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا وخرجوا مع

(١) إلى جانب وأرض يمكن لكم التمسك بالشرائع وإقامة الدين / ١٢.

(٢) حاصل معنى الآية أن من مات على ترك الهجرة مع قدرته عليها وإقامته بين المشركين

غير متمسك بالشرائع فهو في جهنم / ١٢ وحيز.

المشركين فقتلوا يوم بدر ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ استثناء منقطع ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الصبيان أو المماليك وذكر الصبيان إن أراد المراهقين فظاهر وإلا فللمبالغة والإشارة إلى أن على القوم أن يهاجروا بهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أسباب السفر من قوة أو مال حال عن المستضعفين أو صفة له إذ لا تعيين في الألف واللام ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ لا يعرفون طريقاً ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ هم وإن كانوا عاجزين لكن ربما تمكنوا من الهجرة وقتا ما بنوع ما ولم يدروا ولهذا أطمعهم في العفو وليعلم أن تلك الهجرة أمر خطير من شأنه أن لا يأمن المعذور فكيف بغيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا﴾ تمتعا يراغم به الأعداء، وعن كثير من السلف أن المراغم التحول من أرض إلى أرض وعن بعضهم مترحلاً عما يكره ﴿وَسَعَةً^(١)﴾ في الرزق أو من الضلالة إلى الهدى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ثبت أجره عند الله نزلت في ضمرة بن جندب شيخ كبير مصاب البصر هاجر من مكة فمات في الطريق ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(٢)﴾ فبرحمته يجعل الناقص كالتام.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ وإذا

(١) كما ورد سافروا تغنموا رواه الطبراني / ١٢ وحيز. [وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة".]

(٢) فبرحمته يكمل الناقص ولما أوجب السفر بالهجرة والجهاد وفي السفر مشقات ولهذا قيل: السفر قطعة من نار السفر خفف في صلاة السفر فقال: "وإذا ضربتم" / ١٢ وحيز.

كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ
يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أْدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا
حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٦﴾ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ
الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٧﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ
إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٨﴾

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرت ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرج ﴿أَنْ تَقْصُرُوا
مِنَ الصَّلَاةِ﴾ هذه العبارة تدل على جواز القصر لا على وجوبه، لكن أكثر السلف
على وجوبه، وقال كثير منهم: هذه الآية في صلاة الخوف، فالمراد: أن تقصروا من
جميع الصلوات بأن تجعلوها ركعة واحدة أو من كيفيتها لا من كميتها، والآية التي
بعدها تبين وتفصيل لها كما سنذكر، سئل ابن عمر رضي الله عنهما أنا نجد في كتاب
الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر؟ فقال ابن عمر: إنا وجدنا نبينا
يعمل فعملنا به (*) وما يدل على ذلك كثير ولهذا لما عقد البخاري كتاب صلاة

(*) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٥٥/٥، ١٥٦) من طريق: ابن أبي ذئب عن ابن شهاب
عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لعبد الله بن عمر فذكره. وذكره
ابن كثير في "تفسيره" (٥٤٧/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٢٧٣/٣).

الخوف (*) صدره بهذه الآية وعلى هذا قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ^(١) يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شرط^(٢) له لا باعتبار الغالب في ذلك الوقت ويعتبر ولا يعتبر مفهومه فإن الإجماع على

(٥) الفتح (٢/٤٩٧).

(١) إن كان المراد من الآية صلاة الخوف فهذا شرط لا يجوز قصر الخوف بدون هذا، وإن كان المراد قصر السفر فهذا بيان واقع غالب أسفارهم ونظير ذلك وربائبكم اللاتي في حجوركم كما بينا، وفي مسلم: "سئل عمر إن شرط قصر الصلاة في القرآن الخوف وقد أمن؟ الناس فقال عمر: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما سألتكم عنه فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته/ ١٢ وجيز. [أخرجه مسلم (٣٣٧/٢) ط الشعب.]

(٢) ظاهر الآية يدل على جواز القصر في مطلق السفر، وأن قليل السفر وكثيره سواء في حصول الرخصة، لأن قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة" جملة مركبة من شرط وجزاء الشرط هو الضرب في الأرض والجزاء هو جواز القصر، وإذا حصل الشرط وجب أن يترتب عليه الجزاء لا يقال فهذا يقتضى حصول الرخصة، عند انتقال الإنسان من محلة إلى محلة، ومن دار إلى دار؛ لأننا نقول الانتقال من محلة إلى محلة لا يسمى ضرباً في الأرض لا شرعاً ولا عرفاً، وأن قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض" يدل على جعل الضرب في الأرض شرطاً لحصول هذه الرخصة فلو كان الضرب في الأرض اسماً لمطلق الانتقال لكان ذلك حاصلًا دائماً امتنع جعله شرطاً لثبوت هذا الحكم، فلما جعل الله الضرب شرطاً لثبوت هذا الحكم علمنا أنه مغاير لمطلق الانتقال، وذلك هو الذي يسمى سفرًا، ومعلوم أن اسم السفر واقع على القريب والبعيد فعلمنا دلالة الآية على حصول الرخصة في مطلق السفر وأيضًا اضطراب أقوال الفقهاء في ذلك يدل على أنهم لم يجدوا في المسألة دليلًا قويًا في تقدير المدة، إذ لو حصل في المسألة دليل ظاهر الدلالة لما حصل هذا الإضطراب، وأما سكوت سائر الصحابة عن حكم هذه المسألة فلعله إنما كان لأنهم اعتقدوا أن هذه الآية دالة على ارتباط الحكم بمطلق السفر، فكان هذا الحكم ثابتًا في مطلق السفر بحكم هذه الآية، وإذا

جواز القصر في السفر من غير خوف ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ﴾ أيها الرسول، علمه طريق صلاة الخوف ليقتنى الأئمة بعده به (١) عليه

= كان الحكم مذكوراً في نص القرآن لم يكن بهم حاجة إلى الاجتهاد والاستنباط، فلهذا سكتوا عن هذه المسألة وأيضاً السفر واقعة تعم الحاجة على معرفة حكمها، لأن الحاجة إليها عامة لأن أكثر الصحابة كانوا في أكثر الأوقات في السفر وفي الغزو، فلو كانت رخص السفر مخصوصة بسفر مقدر كانت الحاجة إلى مقدار السفر المقيد للرخص حاجة عامة في حق المكلفين ولو كان الأمر كذلك لعرفوها ونقلوها نقلاً متواتراً لاسيما وهو على خلاف ظاهر القرآن وأيضاً دلائل الشافعية ودلائل الحنفية صارت متقابلة متدافعة، وإذا تعارضت تساقطت فوجب الرجوع إلى ظاهر القرآن والله أعلم/ ١٢.

وفي معالم الترتيل اختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة: يجوز القصر في السفر الطويل والقصير روى ذلك عن أنس وقال عمر بن دينار: قال لي جابر بن زيد: أقصر بعرفة، أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير، واختلفوا في حد ما يجوز به القصر فقال الأوزاعي: مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد وهي ستة عشر فرسخاً، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق ولكن قول الحسن والزهرى قريب من ذلك قالوا: مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي قال: مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في موضع: ستة أربعون ميلاً بالهاشمي، وفي الكبير قال مالك والشافعي: أربعة برد كل بريد أربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر ألف قدم وهي أربعة آلاف خطوة فإن كل ثلاثة أقدام خطوة/ ١٢.

(١) فلا يدل على عدم جوازه إذا لم يكن هو صلى الله عليه وسلم فيهم وعند من يقول: قوله: "إذا ضربتم" الآية في صلاة السفر فقد تم وقوله "وإذا كنت فيهم" شروع في بيان صلاة الخوف/ ١٢.

الصلاة والسلام ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ أي: اجعلهم طائفتين فلتقم أحدهما معك فصل بهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي: الباقون وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم أو المصلون حزماً ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المصلون ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: غير المصلين ﴿مِّن وَّرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ أي الذين كانوا من ورائهم يحرسونهم ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا^(١)﴾ أي: الذين صلوا قبل أو الذين أتوا ﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ روى في طريق صلاة الخوف ستة أوجه أو سبعة، وأنا أذكر بعضها.

أحدها: أن يجعلهم صفين^(٢) ويصلي هما إلى أن يرفعا رأسهما من الركوع سجد وسجد الصف الأول والصف الأخير قيام يحرسونهم فلما قام الصف الأول إلى الركعة الثانية سجد الصف الثاني، ثم يقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وهؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع وركعوا جميعاً ورفعوا من الركوع ثم سجد وسجد الصف الذي يليه والآخر قيام يحرس فلما جلسوا سجد الصف الثاني وتشهد الكل وسلموا.

(١) وظاهر القرآن أن الضمير للمصلين المقتدين فإنهم مظنة طرح السلاح للصلاة/

١٢.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وهذه صلاته بعسفان، وهذه مذكرة أيضاً في البخاري بعبارة أخصر من ذلك، وظاهر القرآن كثير الملائمة مع تلك الطريقة/ ١٢ منه.

وفي الفتوح: وقد وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على أنحاء مختلفة وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزية من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به، ومن ذهب من العلماء إلى اختيار صفة دون غيرها فقد أبعد عن الصواب/ ١٢. [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١٠٩٦) من حديث أبي عياش الزرقى -رضي الله عنه-]

والثانية: أن يصلى بالطائفة الأولى ركعة ويتنظر قائماً حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى المصاف، وتأتى الأخرى فيتم به الركعة الثانية ويتنظرهم قاعداً حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم (*).

والثالثة: قال جابر عن عبد الله الركعتان في السفر تمام إنما القصر واحدة عند القتال، وهو أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام صف قبله وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدين، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا مقام أصحابهم وجاء أولئك حتى قاموا خلفه مقام هؤلاء، فصلى بهم ركعة وسجدين، ثم سلم وسلموا فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة ركعة (**). وهذا الطريق مروى عن كثير من الصحابة بروايات متعددة صحيحة.

والرابعة: أن يصلى بكل من الطائفتين ركعتين فيكون للإمام أربع ركعات وللمؤمنين ركعتان* ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بالقتال فلا تغفلوا عنها ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ لا وزر ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ هذا يدل على أن الأمر بأخذ السلاح للوجوب، وهو قول بعض العلماء، وأكثرهم على أنه سنة مؤكدة ﴿وَخُذُوا

(*) أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٢٩) ومسلم في "صلاة

الخوف" (٤٩٣/٢) ط الشعب. من حديث صالح بن خوات - رحمه الله - وهو تابعي

ثقة ليس له في البخاري إلا هذا الحديث الواحد. (محققه)

(**) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٦٣/٢) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٥٠/١)

والسيوطي في "الدر المنثور" (٣٧٤/٢) وقال ابن كثير: ورواه النسائي من حديث شعبة

ولهذا الحديث طرق عن جابر رواه جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد.

(●) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير" / باب: من علق سيفه بالشجر في السفر عن القائلة

(٢٩١٠) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "صلاة الخوف" (٤٩٣/٢) ط

الشعب. من حديث جابر - رضي الله عنه -.

حِذْرَكُمْ» أي: لا بد من التيقظ وعدم الغفلة في أي صفة وحال كنتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ وعد للمؤمنين بالنصر وإشارة على أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم، بل لأن الواجب في الأمور التيقظ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم من صلاة الخوف ﴿فَاذْكُرُوا^(١) اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي: في سائر أحوالكم وكثرة الذكر عقب صلاة الخوف أكد لما فيها من التخفيف ومن الرخصة في الذهاب والإياب، وغيرها قيل: معناه إذا أردتم الصلاة واشتد الخوف فصلوها كيف ما أمكن ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ سكنت جأشكم من الخوف ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ عدلوا أركانها واحفظوا شرائطها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ مفروضًا محدودًا أو منجمًا كلما مضى وقت جاء وقت ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب قتال الكفار ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ من الحرج ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ فضرر القتال لا يختص بكم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ ولكم هذا المزيد رجاء المثوبة والنصر والتأييد، فينبغي أن تكونوا أصبر على الحرب وأرغب ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بضمائركم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَلَا تَجْدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا

(١) والمعنى: ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع إليه، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه، أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح. [أخرج البخاري معلقا (١٣٥/٢-الفتح) ووصله مسلم (٦٧٤/١) ط الشعب.]

أَثِيمًا ﴿٤٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٤٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٤٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٢﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ^(١) بِالْحَقِّ ﴿فِي الْحُكْمِ لَا بِالتَّعْدِي فِيهِ﴾ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بما عرفك وأوحى به إليك نزلت ^(٢) في طعمة بن أبيض سرق درعاً فجاء صاحبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن طعمة سرق درعي فلما رأى السارق ذلك ألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته: إني ألقيتها في بيت فلان فانطلقوا ليلاً إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إن صاحبنا بريء وسارقها فلان فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذره وقيل: هم أن يبرئه فنزلت ﴿وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ﴾ لأجلهم ﴿خَصِيمًا﴾ ^(٣) للبراء

(١) ولما أمر ونهى ووعد ونصح ووعظ في أمور الدنيا والدين عقب بتلك الآية المحكمة تعليمًا وتقوية لعضد نبيه فقال "إنا أنزلنا إليك الكتاب" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) روى الترمذى وغيره/ ١٢ وحيز. [من حديث قتادة بن النعمان وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٢٤٣٢).]

(٣) وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق/ ١٢ فتح.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ^(١) اللَّهَ﴾ من موافقتهم في نسبة السرقة إلى البريء أو من ذلك الهم والقصد
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ لمن استغفر ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ
أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، لأن الضرر راجع إليهم أي: لا تجادل عن كل من
خان^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ^(٣) مَنْ كَانَ خَوَّاناً﴾ مبالغاً في الخيانة ﴿أَتَيْمًا﴾ منهمكاً
في الإثم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ يسترون سرقتهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو
أحق أن يستحي ويخاف ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ لا يخفى عليه شيء فطريق إخفاء شيء عنه
عدم فعله ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾ يدبرون وأصله أن يكون^(٤) بالليل ﴿مَا لَا يَرْضَى﴾ الله ﴿مِنَ
الْقَوْلِ﴾ رمى البريء وشهادة الزور ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ فيجازيهم.
﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ خاصمتهم عن طعمة وقومه. جملة هي
مبينة لوقوع أولاء خيراً، أو صلته عند من يقول: إنه موصول ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ
يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا أخذهم بعذابه ﴿أَمْ مَنْ^(٥) يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾

(١) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار قال ابن جرير إن المعنى: استغفر الله من
ذنبك في خصامك للخائنين، وقيل: واستغفر الله للمذنبين من أمتك والمحاصمين
بالباطل والأول أرجح/ ١٢ فتح.

(٢) فسر به بقوله: أي لا تجادل عن كل من خان ليعلم أن جميع الخائنين داخل في الحكم
والنهي الثاني عام لا يختص بقصة دون قصة فلا تكرر/ ١٢ منه.

(٣) فلا تكن ظهيراً لمن لا يحبه/ ١٢ منه.

(٤) فإن التبييت تدبير وتزوير وقع في الليل، ثم استعمل في التزوير أعم من أن يكون ليلاً أو
نهاراً/ ١٢ منه.

(٥) وأم في مثل هذه المواقع أعنى إذا وقع بعدها اسم استفهام يكون بمعنى بل لا منقطعة بمعنى
بل والهمزة؛ ولا متصلة قاله العلامة التفتازاني/ ١٢ وحيز.

فيروج دعواهم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ يسوء به غيره^(١) أو صغيرة أو إثماً دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بما لا يتعداه أو بكبيرة أو بالشرك ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾^(٢) رَحِيمًا فيه عرض التوبة على طعمة لكن كما قيل: ما تاب بل ارتد ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ولا يتعدى ضرره إلى غيره، لا تزر وازرة وزر أخرى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فمن علمه وحكمته أنه لا يأخذ أحداً بذنب آخر ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة، أو ذنباً بينه وبين الله ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة، أو ما بينه وبين الناس ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ بأحدهما ﴿بَرِيئًا﴾ كما رمي طعمة ﴿فَقَدْ﴾^(٣) احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا برمى البريء وتزيه الخاطيء.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٤) * لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥) وَمَنْ

(١) كالحلف الكاذب/ ١٢ وجيز.

(٢) الظاهر تعليق الغفران والرحمة للعاصي على مجرد الاستغفار إلا أن يقال: المراد من الاستغفار التوبة وفي لفظ: "يجد الله" مبالغة في الغفران كأنه معه لطلبه مهياً له متى طلبه وجده، وفيه لطف عظيم، ووعد كريم للعصاة، عن ابن مسعود أنها من أرجى آيات، لكن ما استغفر طعمة بل ارتد هكذا نقل/ ١٢ وجيز.

(٣) في الافتعال معنى التسبب فهو أبلغ من حملة/ ١٢ وجيز.

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٢﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإعلام ما وقع منهم ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق، وليس المراد نفى همهم بل المراد أن من فضل الله عدم تأثيرهم فيك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن الله عصمك وهم ارتكبوا خطايا ﴿وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ شيئا من الضر فإن الله عصمك من الناس ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ قبل نزول ذلك من خفيات الأمور ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ فإنه لا فضل أعلى من النبوة ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ النجوى سر بين اثنين ﴿إِلَّا﴾ بنجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ هو كل ما يستحسنه الشرع ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ خصه لشرفه، والاستثناء بدل من كثير وقيل: منقطع أي: لكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: الأمر بالصدقة ﴿ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مخلصا محتسبا ثوابه عند الله ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فإن من فعل خيرا رياء لم يستحق جزاء أصلا، لأن كل جزاء من الله عظيم في جنب أغراض الدنيا وقيل: قوله "ذلك إشارة إلى الصدقة والمعروف والإصلاح، لا إلى الأمر بها فالأول حكم الدال على الخير، والثاني حكم فاعله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بوقوفه على المعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) غير

(١) ولا حجة في الآية على حجية الإجماع، لأن المراد بغير سبيل المؤمنين هنا هو الخروج من دين الإسلام إلى غيره كما يفيد اللفظ ويشهد به السبب، فلا يصدق على عالم اجتهد في بعض المسائل فأداه اجتهاده إلى مخالفة من بعصره من المجتهدين فإنه إنما رام السلوك في سبيل المؤمنين وهو الدين القويم والملة الحنيفية ولم يتبع غير سبيلهم/ ١٢ فتح.

طريقهم ﴿تَوَلَّى مَا تَوَلَّى﴾ ندعه وما اختار ونزنيه له وقيل نكله في الآخرة لما تولى وأعرض في الدنيا ﴿وَوَصَّلِهِ جَهَنَّمَ﴾ ندخله فيها ﴿وَوَسَّاءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم نزلت في طعمة حين حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يده فهرب إلى مكة مرتدًا وخالف^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخَدِّنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (٢) وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مَتَيْتُهُمْ وَلَا مَرْتُهُمْ فَلْيَبْتَئْنِ إِذَا ذَاكَ الْآنْعَمِ وَلَا مَرْتُهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٣) أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٤) لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٥) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطًا﴾ (٦)

(١) ذكره محيي السنة والواحدى ١٢/ وحيز.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ لمن لقيه مشركاً ﴿وَيَغْفِرُ﴾^(١) مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ غفرانه ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فإنه أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الثواب قيل: نزلت في طعمة أيضاً فإنه مات مشركاً، أو في شيخ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئاً، ولم أوقع المعاصي جرأة على الله وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً، وإني لنادم تائب مستغفر، فما حالي؟ ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّا أَثَانًا﴾^(٢) اللات والعزى ومناة، لأن لكل حي صنماً يسمونه أثني بنى فلان، أو لأن مع كل صنم جنية، أو لأن الإناث كل شيء ميت لا روح فيه من شجر أو حجر، أو المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ المريد المارد: الخارج بالكلية عن طاعة الله، فإنه أمرهم بعبادتها فعلى الحقيقة هم يعبدونه ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدته عن رحمته صفة ثانية للشيطان ﴿وَقَالَ﴾ إبليس ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ لأن أغويهم وأضلهم ﴿نُصَبِيًّا مَفْرُوضًا﴾ معيناً معلوماً عطف على لعنه الله، أي: يعبدون شيطاناً مارداً مطروداً عدواً لكم غاية العداوة ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الصواب ﴿وَلَأَمْنِيَنَّهُمْ﴾ إدراك الآخرة مع المعاصي وطول الحياة، يأمرهم بالتسويق والتأخير أو أنه لا جنة ولا نار ﴿وَلَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَكُونَنَّ أَذَانُ الْأَنْعَامِ﴾ يشقوها ويجعلون ركوب تلك الأنعام حراماً ويسموها بجائر: ما يجيء في المائدة وهو إشارة إلى تحريم كل حلال

(١) أما المظالم فإن أراد الله غفرانه ألقى في قلب مظلومه عفوهُ وهو الله سبحانه يغفره كما ورد في الأحاديث/ ١٢ وجيز.

(٢) أي: ما يعبدون من دون الله تعالى ومن عبد شيئاً دعاه عند حوائجه أي: ما يدعون أحداً/ ١٢ وجيز.

(٣) قال الراغب: لما كانت الأصنام أشياء منفعة غير فاعلة بكنهم الله تعالى أنهم مع كونهم فاعلين من وجه ما يعبدون إلا منفعلاً من كل وجه/ ١٢ وجيز.

﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرُنَّ﴾^(١) خَلَقَ اللَّهُ ﴿هُوَ الْخِصَاءُ﴾^(٢) أَوْ الْوَشْمَ أَوْ دِينَ اللَّهِ ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فَيُطِيعُهُ وَلَا يُطِيعَ اللَّهَ ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ إِذْ ضَمَّ بِالْكَلْبَةِ رَأْسَ مَالِهِ وَبَاعَ الْحَنَةَ بِالدُّنْيَا ﴿يَعُدُّهُمْ﴾ وَلَا يَنْجُزُ ﴿وَيَمْنِيَهُمْ﴾ مَا لَا يَدْرِكُونَ ﴿وَمَا يَعُدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هُوَ إِيهَامُ النِّفْعِ فِيمَا فِيهِ الضَّرَرُ ﴿أَوَلَيْكَ مَا وَاعَاهُمْ﴾ مَرَجَعُهُمْ ﴿جَهَنَّمَ﴾ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿مَعْدَلًا وَمَهْرَبًا﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا نَهَارٌ

(١) صورة وصفة ويندرج فيه فقاً عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشى واللواطه والسحق ونحو ذلك / ١٢ وحيز.

(٢) كالخصاء والوشم وغيرهما والخصاء من الشيطان في كل شيء من آدمى وغيره صرح بذلك عظماء السلف / ١٢ وحيز.

وفي الكبير: ولهذا كان أنس يكره إخصاء الغنم، وفي الفتح: ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور حملاً شمولياً أو بدلياً، وقد رخص طائفة من العلماء في خصى البهائم إذا قصد بذلك زيادة الانتفاع به سمن أو غيره، وكره ذلك آخرون، وأما خصى بنى آدم فحرام بلا اختلاف: أخرج ابن أبي شيبه والبيهقي "عن ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خصى البهائم والخيول" [أخرجه ابن أبي شيبه في "مصنفه" (٢٢٥/١٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠)، وقال البيهقي: والصحيح الموقوف. وعبد الله بن نافع فيه ضعف يليق به رفع الموقوفات. والله أعلم. وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الله بن نافع وهو ضعيف.]، وأخرج ابن المنذر والبيهقي "عن ابن عباس رضى الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الروح وإخصاء البهائم" [أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠) وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.]، وفي معالم التنزيل فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوز بعضهم في البهائم لأن فيه غرضاً ظاهراً / ١٢.

غرفها وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصـ صدران الأول مؤكـد لنفسه، والثاني لغيره ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ جملة مؤكدة مقابلة لمواعيد الشيطان ﴿لَيْسَ^(١) بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: ليس الدين بالتمنى نزلت في المسلمين واليهود حين افتخروا فقال اليهود: نبينا وكتابنا قبل ونحن أولى منكم بالله، وقال المسلمون: نحن أولى نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على جميع الكتب، وقال مجاهد قالت العرب: أي: المشركون لن نبعث ولن نعذب، وقالت اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى فتزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ما في الدنيا أو في الآخرة، وقد صح المصائب^(٢) والأمراض في الدنيا جزاء ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(٣)﴾ يواليه وينصره من عذاب الله ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ من للبيان حال من ضمير يعمل وليس

(١) ولما بين أن الشيطان يعدهم ويمنهم، ومن أمنيته المشركين: أن لا عذاب ولا حساب ومن أمنيته أهل الكتاب: أنهم أحباء الله تعالى آيسهم عن كواذب تمنيتهم فقال: "ليس بأمانيتكم" / ١٢ وجيز.

(٢) لما نزلت قال الصديق: ما أشد هذه الآية جاءت قاصمة الظهر فقال صلى الله عليه وسلم: "إنما هي المصيبات في الدنيا" رواه الترمذى وأحمد وابن حبان / ١٢ وجيز. [هذا لفظ ابن جرير في "تفسيره" كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٤٠٢/٢) وليس لفظ الترمذي وأحمد وابن حبان.]

(٣) قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيراً ينصره، فإن قلنا: إن هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر، وإن قلنا: إنها في حق كل عامل سوء مسلم وكافر، فإنه لا ولى لأحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر، فالمؤمنون لا ولى لهم غير الله، وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله فليس يمنع أحد أحداً من الله / ١٢ الباب التأويل للشيخ علاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن / ١٢ وشفاعة الأنبياء والملائكة في حق العصاة إنما تكون بإذن الله وإذا كان كذلك فلا ولى لأحد إلا الله سبحانه وتعالى / ١٢ كبير.

للابتداء ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط للجزاء المرتب ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ مقدار النقيير، وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر بأن ينقص من فضله على المطيع وهو أرحم الراحمين فمعلوم أنه لا يزيد^(١) في عقاب العاصي ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص العمل لربه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٢) تابع للشرع في علمه أو

(١) لأن ثواب المطيع في الآخرة ليس إلا فضل موعود وجعل نقصان فضله بكمال رحمته ظلمًا، فكيف يجوز أن يزيد عقاب العاصي من قدر الجزاء ولما كشف زورهم وبين فجورهم أخذ في كذب زعمهم فقال: "ومن أحسن" / ١٢ وجيز.

(٢) اعلم أن دين الإسلام مبنى على أمرين: الاعتقاد والعمل.

أما الاعتقاد فإليه الإشارة بقوله: "أسلم وجهه" ذلك لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع والوجه أحسن أعضاء الإنسان فالإنسان إذا عرف بقلبه ربه وأقر ببروبيته وبعبودية نفسه فقد أسلم وجهه لله.

وأما العمل فإليه الإشارة بقوله: "وهو محسن" فيدخل فيه الحسنات وترك السيئات فتأمل في هذه اللفظة المختصرة واحتوائها على جميع المقاصد والأغراض وأيضًا فقوله: "أسلم وجهه لله" يفيد الحصر معناه أنه أسلم نفسه لله، وما أسلم لغير الله، وهذا تنبيه على أن كمال الإيمان لا يحصل إلا عند تفويض جميع الأمور إلى الخالق وإظهار التبرى من الحول والقوة، وأيضًا ففيه تنبيه على فساد طريقة من استعان بغير الله، فإن المشركين كانوا يستعينون بالأصنام ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، والدهرية والطبيعيون يستعينون بالأفلاك والكواكب والطبائع وغيرها، واليهود كانوا يقولون في دفع عذاب الآخرة عنهم أنهم من أولاد الأنبياء والنصارى كانوا يقولون: ثالث ثلاثة، فجميع الفرق قد استعانوا بغير الله، وأما المعتزلة فهم في الحقيقة ما أسلمت وجوههم لله يرون الطاعة الموجبة لثوابهم من أنفسهم فهم في الحقيقة لا يرجون إلا أنفسهم، ولا يخافون إلا أنفسهم، وأما أهل السنة الذين فوضوا التدبير والتكوين والخلق إلى الحق سبحانه انقطع نظرهم عن كل شيء سوى الله / ١٢ كبير.

أخلص نفسه له لا يعرف لها رباً سواه ثم يعمل الحسنات ويترك السيئات أو خضع في عبادته وهو موحد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لدين الإسلام ﴿حَنِيفاً﴾ مائلاً عن سائر الأديان حال من إبراهيم، أو من فاعل اتباع، أو من ملة ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا خالصاً ليس في محبته خلل، روى أنه لما نزلت ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب آخ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء فترلت "ومن يعمل من الصالحات" "ومن أحسن ديناً" آخ فتبحج^(١) به المسلمون ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾^(٢) بعلمه وقدرته فيجازيهم على الخير والشر.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَمَىٰ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾^(٣) وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ

(١) بحجته فتبحج أي: فرحته ففرح/ ١٢ صراح.

(٢) بالعلم والقدرة فلا يفوت منه شيء ويجازيهم، ولما ذكر أنهم يعبدون إنانا ويجعلون لما يعبدون نصيباً من أموالهم إذعاناً لأمر الشيطان المريد الملعون الذي هو في غاية عداوتهم ويقولون: ميراثنا ليس إلا للذكور الذين هم حامو بيضتنا، لا للإناث الضعفاء، فتكرر من بعض الصحابة سؤال ميراث الإناث اللاتي هن أحق بالإعانة والشفقة والمال ليس إلا لمن له ما في السماوات والأرض وقد فرض هن فريضة بينها وشرحها مع طريق معاشرهن، ثم أعاد لتكرر سؤالهم فقال: "ويستفتونك"/ ١٢.

أَلَشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٦٦﴾ وَلَنْ
 تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ
 فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦٧﴾
 وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
 وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ
 اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٦٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿١٧٠﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
 ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٧١﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٧٢﴾ ﴿

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ في طريق المعاشرة مع اليتامى، نزلت في كل من عنده
 يتيمة هو وليها ووارثها فيرغب في نكاحها إن كانت جميلة ويأكل مالها، وإن كانت
 دميمة يعضلها حتى تموت فيأخذ ميراثها، أو في ميراث بنات أم كحة من أبيهن فإن
 العرب كانت لا تورث النساء والصبيان وحينئذ معناه في ميراث النساء ﴿قُلِ اللَّهُ
 يُفْتِكُم فِيهِنَّ﴾ الإفتاء تبين المبهم ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ عطف على لفظ
 الله أو على الضمير في يفتيكم والإفتاء مسند إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: "وإن
 خفتن ألا تقسطوا في اليتامى" إلخ أو من قوله: "يوصيكم الله في أولادكم" إلخ على ما
 ذكرنا من اختلاف سبب التزول على طريقة قولهم: أغنان زيد وكرمه ﴿فِي يَتَامَى
 النِّسَاءِ﴾ صلة يتلى أو بدل من فيهن والإضافة بمعنى من ﴿الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ
 لَهُنَّ﴾ من صداقهن أو ميراثهن ﴿وَوَرَعُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي: عن أن تنكحوهن
 لدمامتهن فنهاهم الله عن عضلهن طمعا في ميراثهن، كما ذكرنا في قوله: "وإن خفتن

ألا تقسطوا" إلخ أو معناه: ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن ومالهن ولا تعطون صداقهن وتأكلون مالهن ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء، فإن العرب لا يورثوهم كما لا يورثون البنات ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي: العدل عطف على يتامى النساء أيضاً أي: يفتيكم في أن تقوموا أو منصوب بإضممار فعل أي: ويأمركم أن تقوموا، أو عطف على فيهن بإضممار في ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فما ينسأه ويجزيكم ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره قوله ﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ علمت منه ﴿نُشُوزًا﴾ تخافا عنها ومنعا لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يقل مجالستها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة والزوج ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تحط له بعض المهر أو القسم أو النفقة، وصلحا مصدر، وبينهما مفعول به ومن قرأ: يصلحا فمعناه: يتصلحا ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ يعني أن النفس مطبوعة على البخل لا يغيب عنها، فلا تكاد المرأة تسمح بحط شيء من مهرها وقسمها ولا الزوج يسمح بأن يمسكها ويقوم بحققها إذا لم يردها، وهو وقوله: "الصلح خير" اعتراض للترغيب في المصالحة وتمهيد العذر في المماكسة ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز ونقص الحق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان ﴿خَبِيرًا﴾ فيشيككم ﴿وَلَكِنْ^(١) تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ أي تساوا بينهن من جميع الوجوه فإنه لا بد من التفاوت في

(١) ولهذا كان يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن المنذر عن عائشة وإسناده صحيح [وضعفه الشيخ الألباني في "الإرواء" (٢٠١٨)]. قال ابن مسعود: العدل بين النساء الجماع، وقال الحسن الحب وكذا الحادثة والمجالسة والنظر إليهن والتمتع/ ١٢ فتح.

الحبة والشهوة والجماع ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ إلى واحدة منهن فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: الواحدة الأخرى كالتى ليست بذات بعل ولا مطلقة ﴿وَإِنْ تَصْلَحُوهَا﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل الجور فيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ يغفر لكم ما كان من ميل إلى واحدة ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ بالطلاق ولم يصلحا بينهما ﴿يَغْنِ اللَّهُ كُلاً﴾ منهما عن صاحبه ﴿مَنْ سَعَتِهِ﴾^(١) فضله الواسع وقدرته ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً﴾ واسع^(٢)

(١) قال الحسن بن علي رأيت الله تعالى علق الغني بأمرين فقال: "وأنكحوا الأيامى" الآية (النور: ٣٢)، وقال: "وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته" / ١٢ وحيز.

(٢) وجملة حكم الآية أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القسم، فإن ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة، أما في الجماع فلا لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه ولو كانت في نكاحه حرة وأمة، فإنه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوالي إن كانت بكرًا وإن كانت ثيبًا فثلاث ليال، ثم يسوى بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات، عن أنس رضي الله عنه قال: من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعة ثم قسم، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثًا ثم قسم، قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنسا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له أن يحمل بعض نساته مع نفسه بعد أن يقرع بينهما فيه، ثم لا يجب عليه أن يقضى للباقيات مدة سفره وإن طالت إذا لم يزد مقامه في بلد على مدة المسافرين، والدليل عليه: ما روى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين نساته فأيتهن خرج سهمها خرج بها"، أما إذا أراد سفر نفلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا غيرها / ١٢ معالم.

الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم وأمر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فله السعة وكمال القدرة ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بأوتوا أو بوصينا ﴿وَأَيَّاكُمْ﴾ عطف على الذين ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: بتقوى الله وراز أن يكون أن مفسرة، فإن التوصية في معنى القول ﴿وَأِنْ تَكْفُرُوا﴾ أي: وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مالك الملك كله لا يضره كفركم كما لا ينفعه شكركم فما الوصية إلا لحاجتكم وصلاحكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق ﴿حَمِيدًا﴾ في ذاته حمد أو لم يحمد ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى^(١) بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فتوكلوا عليه فكأنه قال له ما في السماوات وما في الأرض فاقبلوا وصيته وله ذلك فهو الغنى فاسألوا الله وله ذلك فاتخذوه وكيلاً لا غيره ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ إذهابكم ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يفيئكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ﴾ يوجد قومًا آخرين ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ الإعدام والإيجاد ﴿قَدِيرًا﴾ بليغ القدرة وهذا تقرير لغناه وتهديد لمن كفر ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ^(٢) ثَوَابَ

(١) فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله تعالى: "لله ما في السماوات وما في الأرض" قيل: لكل واحد منها وجه أما الأول: فمعناه لله ما في السماوات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى، فاقبلوا وصيته.

وأما الثاني فيقول: فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكفى غنياً أي: هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون.

وأما الثالث: فيقول: والله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً أي له الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا على غيره/ ١٢ معالم.

(٢) يعني من كان يريد بعمله عرضاً من الدنيا نزلت في مشركى العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث ليوم القيامة، وكانوا يتوبون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها/ ١٢.

الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١٠﴾ فلا يقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط، أو معناه فيعطيه ما يريد وليس له في الآخرة من نصيب ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فلا يخفى عليه خافية ويجازى بحسب قصده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٧٦﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الّٰدِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الّٰدِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آزَدُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٧٨﴾
بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧٩﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا ﴿١٨٠﴾ وَقَدْ نَزَّلَ
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٨١﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ
فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ
نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ
يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٨٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مواظبين على العدل لا تعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ليكن أدائها ابتغاء وجه الله ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي^(١): ولو عاد ضررها على نفسك أو عليهم أو تقول^(٢) الإقرار شهادة على نفسه ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي: بالغنى والفقير منكم فكلوا أمرهما إليه فلا ترحم فقره ولا ترهب غناه، وضمير التثنية لما دل عليه المذكور وهو جنس الغنى والفقير لا إليه وإلا لوحد^(٣) ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي: لأن تعدلوا عن الحق ﴿وَإِنْ تَلَوُّوا﴾ أي: تحرفوا الشهادة وتغيروها ﴿أَوْ تُعْرَضُوا﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين كلهم أو للمؤمنين أهل الكتاب حين قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه، أو خطاب لليهود والنصارى ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ اثبتوا عليه أو آمنوا بمحمد كما آمنتم بموسى وعيسى ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ

(١) ابتدأ بنفسه، لأنه لا شيء على الإنسان أعز من نفسه، ثم ذكر الوالدين لأنهما أقرب إليه، وسبب نشأته، والأقربين فإنهم مظنة التعصب، وإذا كان الأمر فيهم القسط فالأجنبى أخرى بذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) قوله: أو نقول يعنى الشهادة على الوالدين والأقربين أن يقول: أشهد أن لفلان على والدى أو على أقاربي كذا وأما الشهادة على نفسه فهي الإقرار لأنه في معنى الشهادة، والوجه الأول أن يشهد من يتوقع ضرره من ظالم/ ١٢ منه.

(٣) يعنى الظاهر أن يقال: أولى به، لأن المرجع به مذكور بأو لكن ثنى الضمير لإرجاعه إلى المدلول لا إلى المذكور/ ١٢ منه.

(٤) ولما أمر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة لله أمرهم بالرسوخ في الإيمان فإنه لا يأمر بالأمر إلا الراسخ فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية/ ١٢ وجيز.

قَبْلُ» يعنى جنس الكتاب لا بكتاب دون كتاب «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» أي: بشئ من ذلك «فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» عن المقصد بحيث لا يكاد يعود على سواء السبيل «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بالتوراة «ثُمَّ» (١) «كَفَرُوا» بها بعبادة العجل «ثُمَّ آمَنُوا» بها بعد عود موسى إليهم «ثُمَّ كَفَرُوا» بعيسى «ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا» بمحمد عليه الصلاة والسلام واستمروا عليه حتى ماتوا «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا» طريقا إلى الهدى، ولا فرجا ولا مخرجاً، فإن الكافر إذا أسلم يغفر الله كفره السابق، لكن من تقرر منه الإيمان والكفر ثم استمر على الكفر لا يغفر الله كفره اللاحق والسابق.

أو نزلت في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا مراراً لا في اليهود فقل معناه: من تكرر منه الإيمان فالكفر لا يغفر الله له لاستبعاد التوبة منه، لأن قلوبهم طبعت على الباطل فلا يثبت على الحق، وعن على رضى الله عنه يقتل ولا يقبل توبته «بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ» من باب (٢) التهكم «بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» فإنهم أيضاً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن مراراً، ثم استمروا بالإصرار على النفاق «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» مرفوع أو منصوب بالذم «أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ» والغلبة على المسلمين أو يتعززون بموالاهم «فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ» (٣) «جَمِيعًا» أي: له القوة والغلبة لا يعز إلا من أعزه

(١) الظاهر أنه في شأن المنافقين فإنهم في أوائل البعث والنبوة كانوا مذنبين ثم اتفقوا على الباطل ورسخوا في كفرهم، ويدل على ما قلنا قوله في عقبه: "بشر المنافقين" والمراد في قوله: "ولا ليهديهم سبيلاً" لا يوفقهم على سلوك سبيل الحق لرسوخ قدمهم في الباطل فلا يتوبون/ ١٢ وجيز.

(٢) عند من لا تكون البشارة إلا في السرور/ ١٢.

(٣) والفاء لما في الكلام من معنى الشرط، أي: إن تبتغوا العزة من هؤلاء فإن العزة لله جميعاً ونصب جميع على الحال/ ١٢ وجيز.

«وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ» في القرآن «أَنْ» أي: أنه «إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا» حالان من الآيات «فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ» مع من يكفر ويستهزئ «حَتَّى» ^(١) يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ الاستهزاء، وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا" الآية (الأنعام: ٦٨)، «إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ» في الكفر إن رضيتم بذلك، أو في الإثم فإنكم قادرون على الإعراض والإنكار، وقيل: هي منسوخة بقوله: وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء إلخ «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا» كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات «الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ» ينتظرون وقوع أمر بكم، بدل من الذين أو مبتدأ وخبره «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ» ففى الدين والنصرة فأسهموا لنا من الغنيمة «وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ» من الظفر فإن الحرب سجال «قَالُوا» للكافرين «أَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ» ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فما فعلنا شيئاً من ذلك «وَوَعَدْنَاهُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» بأن ثبطناهم عنكم بتخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم، أو معناه نصرفكم عن الدخول في جملتهم، فإن

(١) قال الضحاك عن ابن عباس دخل في الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، نقله محي السنة وفي الفتح: والآية بعموم اللفظ دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع لكثير من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى قال إمام مذهبنا كذا أو قال فلان من أتباعه بكذا وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوى سخروا منه ولم يرفعوا إلى ما قاله رأساً ولا بالوا به بالة وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع وخطب شنيع وخالف مذهب إمامهم الذى نزلوه مترلة معلّم الشرائع بل بالغوا وجعلوا رأيه مقدما على كتاب الله وسنة رسوله، فإننا لله وإنا إليه راجعون/ ١٢ فتح.

المنافقين حذروا الكافرين ومنعوا الإسلام ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بما يعلمه منكم من البواطن ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ حجة في الآخرة أو ظهور أو استيلاء كليًا في الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ مَذْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ءَأُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿٣٢﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ﴿٣٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوه أَوْ تُعَفُّوه عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿٣٥﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بزعمهم الباطل كما يحلفون يوم القيامة أنهم على الاستقامة ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ يجازيهم على خداعهم أو يعاملهم معاملة المخادع في الدنيا بامهالهم واستدراجهم في طغيانهم، وفي الآخرة بأنهم يعطون نوراً يوم القيامة، فإذا مضوا قليلاً يطفأ^(١) نورهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ متناقلين كالمره يورأعون الناس﴾ ليحسبوهم مؤمنين لا لإخلاص ومطاوعة أمر الله، صفة كسالى أو مستأنفة ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) لأنهم يفعلونه رياءً ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان^(٣) كثيراً وقيل: لأن ذكرهم باللسان فقط وقيل المراد من الذكر الصلاة أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا على ندره ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ﴾^(٤) ذلك﴾ مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان حال من واو الجمع أي: يروهم غير ذاكرين إلا قليلاً مذبذبين ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ لا منضمين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

(١) قال تعالى: "يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم" الآية (الحديد: ١٣)، وقال في الفتح: بعد ما نقل هذا القول عن الحسن وبجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، ولا أدري من أين جاء لهم هذا التفسير فإن مثله لا ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال صاحب الكشاف: وهكذا نرى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام، لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تلميلة ولا تسبيحة، لكن حديث الدنيا يستغرق به أيامه وأوقاته لا يفتر عنه/ ١٢ كبير.

(٣) كما قال ابن عباس/ ١٢ وحيز.

(٤) قال في الكشاف: وحقيقة المذبذب: الذي يذب ويدفع من كلا الجانبين مرة بعد أخرى أي: يذاو ويدفع فلا يقر في جانب واحد إلا أن الذبذة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه/ ١٢.

إِلَى الصَّوَابِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
فَإِنْ مَصَاحِبَتُهُمْ^(١) وَمَصَادِقَتُهُمْ وَإِسْرَارُ الْمَوَدَّةِ إِلَيْهِمْ صَنِيعُ الْمُنَافِقِينَ فَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ
﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حُجَّةٌ بَيْنَهُ فِي عِقَابِكُمْ بِمَوَالِيَتِكُمْ
إِيَّاكُمْ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ هُوَ الطَّبَقَةُ الَّتِي فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، أَوْ
تَوَابِيَتْ مِنْ حَدِيدٍ مَقْفَلَةٌ فِي النَّارِ أَوْ بَيُوتٌ مَقْفَلَةٌ عَلَيْهِمْ تَوْقَدُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَفَوْقَهُمْ ﴿وَلَنْ
تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يَخْرِجُهُمْ مِنْهَا ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عَنِ النِّفَاقِ ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ الْعَمَلُ
﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وَتَقْوَاهُ وَالتَّجَاوَا إِلَيْهِ ﴿وَأَخْلَصُوا﴾^(٢) دِينَهُمْ لِلَّهِ مِنْ شَوَائِبِ
الرِّيَاءِ فَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا لِلَّهِ ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فِي زَمَرَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَسَوْفَ
يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فَيُشَارِكُوهُمْ فِيهِ ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ
شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ أَيْدِفَعُ بِهِ ضَرًّا أَوْ يَسْتَحْلِبُ بِهِ نَفْعًا وَهُوَ الْغِنَى الْمُتَعَالَى لَا كَالْمُلُوكِ فَمَنْ
أَخْرَجَ نَفْسَهُ عَنْ خُسَاسَتِهَا الْبَاعِثَةَ لِلْمَذَلَّةِ فَلَا تَهَانَ وَلَا تَخْذُلُ، قِيلَ: تَقْدِمُ الشُّكْرَ لِأَنَّ
النَّازِلَ بِأَدْنَى نَظَرٍ فِي النِّعَمِ يَعْرِفُ أَنَّ لَهَا مَنَعًا فَيُشْكِرُ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ زِيَادَةُ مَعْرِفَةٍ، ثُمَّ
يَفْضِي بِهِ إِلَى زِيَادَةِ النَّظَرِ فِي مَعْرِفَتِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِهِ قَدْرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ، فَالشُّكْرُ
الْمُبْهِمُ أَصْلَ التَّكْلِيفِ مِنَ الْإِيمَانِ وَغَيْرِهِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ يَرْضَى بِالْقَلِيلِ
﴿عَلِيمًا﴾ بظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ.

(١) قَالَ الْقَفَالُ: الْمُرَادُ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُنَافِقُونَ يَعْنِي: قَدْ بَيَّنْتَ لَكُمْ أَخْلَاقَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ فَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ/ ١٢ وَحِيز.

(٢) وَلَمَّا كَانَ الْمُنَافِقُ مُتَصِفًا بِنِقَائِضِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ مِنَ الْكُفْرِ وَفُسَادِ الْعَمَلِ وَالْمَوَالَاةِ
لِلْكَافِرِينَ وَالْإِعْتَزَازَ بِهِمْ وَالْمُرَاةَ لِلْمُؤْمِنِينَ شَرَطَ فِي تَوْبَتِهِمْ مَا يَنْقَاضُ ذَلِكَ الْأَوْصَافُ/
١٢ وَحِيز.

(٣) حَكَمَ بِأَنَّهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَنَّهُمْ تَنْفِرًا لَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ وَتَفْظِيْعًا بِحَالٍ مِنْ كَانَ مُتَلَبِّسًا
بِهِ وَأَخْلَصَ الْأَحْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَيُرْشَحُ أَجْرُهُمْ إِلَيْهِمْ فَاقْتَهُم/ ١٢ وَحِيز.

﴿لَا يُحِبُّ^(١) اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي: إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم، وقيل: هو من يشتمك فتشتمه بمثله فالبادئ ظالم، والأصح أنها نزلت^(٢) فيمن ضاف أحدا فلم يؤد إليه حق ضيافته، فلما خرج أخير الناس فرخص الله شكايته ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ بفعل الظالم ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ عمل بر ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ يأتيكم من أحيكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لمن عفى ﴿قَدِيرًا﴾ على الانتقام وهو إشارة إلى حق المظلوم على العفو وإن جاز له الشكاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا به ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ أي: ببعض الأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ أي: بعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ وسطًا ولا واسطة بين الكفر والإيمان وهم اليهود والنصارى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الكاملون في الكفر، ما نقص ذاك الإيمان من كفرهم شيئًا ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ في الإيمان^(٣) به ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم.

(١) ولما أمر عباده بالشكر وقد ثبت أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله أخذ يبين موضع

جواز الشكاية عن خلقه فقال: "لا يحب الله الجهر" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه عبد الرزاق ومحمد بن إسحاق وغيرهما عن مجاهد/ ١٢ وجيز.

(٣) في الإيمان لا في التفضيل فقد قال تعالى: "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض"

(البقرة: ٢٥٣)، وقد مر أن أحدًا يستوى فيه المفرد والجمع، ولذلك جاز دخول بين

عليه/ ١٢.

«يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٧٢﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٧٣﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بَيَّأْتِ اللَّهُ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيرٍ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧٤﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٧٥﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٧٦﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٧٨﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٧٩﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨٠﴾ لَكِنَّ الرَّاesِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٨١﴾»

«يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ» قالت اليهود: إن كنت صادقًا فأتنا بكتاب من السماء جملة أو صحفًا مكتوبة بخط سماوى «فَقَدْ سَأَلُوا

مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ» أي: إن استعظمت ما سألوكم، فقد سألوكم موسى أعظم من ذلك، وهذا السؤال وقع من آبائهم لكنهم تابعون لهذيقهم وقوم مثل ذلك لا يستغرب عنهم «فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» أي: أرنا الله نره عيانا قليل معناه قالوا جهره لا سرًّا وخفية «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ» نار من السماء «بِظُلْمِهِمْ» أي: بسبب ظلمهم وهو تعتهم في السؤال وطلب ما يستحيل في تلك^(١) الحال لهم «ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ» إلهًا «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ»^(٢) معجزات موسى عليه السلام «فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ» ولم نستأصلهم بالكلية وقبلنا توبتهم «وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا» يعنى هم إن بالغوا في العناد معه لكن نصرناه وعفونا عن قومهم، ففيه إشارة ببشارة المصطفى عليه الصلاة والسلام «وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ»^(٣) عند امتناعهم قبول شريعة التوراة

(١) وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيامة فقد جاءت بذلك الأحاديث المتواترة ومن استدلل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد غلط غلطا بيئًا / ١٢ فتح.

(٢) على أن الله وحده لا شريك له / ١٢ وجيز.

(٣) والطور اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن موسى جاءهم بالألواح فأروا ما فيها من آثار الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور من أصله ورفع فظلمه فوقهم، وقال لهم: إن قبلتم وإلا ألقى عليكم حتى قبلوا لا يقال: إنه إلقاء فيمنع التكليف، لأننا نقول إنه إكراه، وهو معدم للرضاء لا للاختيار / ١٢ كمالين قال ابن عطية: والذي لا يصح سواه أن الله سبحانه اخترع وقت سجودهم الإيمان لا أنهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة انتهى.

وهذا تكلف ساقط حملة عليه المحافظة على ما قد ارتسم لديه من قواعد مذهبية قد سكن قلبه إليها كغيره وكل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه، ونحن نقول: أكرههم الله على الإيمان فأمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان، وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عمن تكلم بكلمة الإسلام والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرًا عن قتله بأنه قاهها تقية ولم يكن عن

بِمِثَاقِهِمْ» بسبب ميثاقهم ليقبلوه «وَقُلْنَا» بلسان نبيهم «لَهُمْ اَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا» متواضعين منحنين «وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» لا تظلموا في اصطيد السمك فيه «وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» على ذلك «فَبِمَا نَقْضِهِمْ» ما مزيدة للتأكيد «مِيثَاقَهُمْ» فعلنا بهم ما فعلنا «وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ» المعجزات الباهرات «وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» بعناد وتشهى نفس «وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ» في غطاء لا نسمع ما تقول أو أوعية للعلم ولا نحتاج إلى شيء آخر «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» على الأول معناه: نعم صدقوا فيما ادعوا من عدم السماع لكن بحتم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، وعلى الثاني: عكس عليهم ما ادعوه من أن قلوبهم أوعية للعلم «فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم أو إلا قليلًا منهم «وَبِكُفْرِهِمْ» يعيسى «وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» نسبتها إلى الزنا «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ» أي: من يزعم أنه رسول الله أو سموه رسولاً استهزاء، فالذم بسبب جرأهم على الله تعالى وتبجحهم بقتله بعد ما أظهر المعجزات «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ^(١) لَهُمْ» أي: لكن وقع لهم التشبيه بين

= قصد صحيح: "أأنت فتشت عن قلبه" وقال: "لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس". قال القفال: إنه ليس إجباراً على الإسلام، لأن الجبر ما سلب الاختيار بل كان إكراهاً وهو جائز ولا يسلب الاختيار كالحاربة مع الكفار، فأما قوله: "لا إكراه في الدين" (البقرة: ٢٥٦)، وقوله: "أأنت تكره الناس" (يونس: ٩٩)، فقد كان الأمر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب/ ١٢ فتح.

(١) روى النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رهطاً من اليهود اجتمعوا على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأنصاره: أيكم يرضى أن يلقي عليه شبهة فيقتل فيكون معي في الجنة؟ فقال شاب منهم أنا فألقى الله عليه شبهة فقتل وصلب، وعلى هذا معناه لكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول، وفي رواية: أن المقتول منافق دل اليهود على عيسى فألقى الله تعالى شبه عيسى على المنافق بعد ما رفع عيسى فقتلوه،

عيسى والمقتول فقتلوا شابا من أنصاره حسبوه عيسى، أو شبه لهم من قتلوه بأن ألقى الله على رجل من اليهود شبهه فقتل **﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾** في شأن عيسى فإنهم لما قتلوا ذلك الرجل قال بعضهم: عيسى، وقال بعضهم: ليس بعيسى وجهه وجه عيسى والبدن بدن غيره، وقال بعضهم: كذاب قتلناه وقال بعضهم: ابن الله رفع إلى السماء **﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾** تردد من قتله **﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾** لكنهم يتبعون الظن **﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾** يقينا تأكيد لـ "ما قتلوه" نحو: ما قتلوه حقاً أي: حق انتفاء قتله حقاً قيل: "ما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين **﴿بَلْ رَفَعَهُ﴾** (١) اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فإن السماء محل ظهور سلطانه **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾** لا يغلب إراداته **﴿حَكِيمًا﴾** فيما دبر **﴿وَأَنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** أي: أحد منهم **﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾** أي: قبل موت عيسى بعد نزوله عند قيام (٢) الساعة فيصير الملل واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية، أو قبل موت الكتابي إذا وقع في الباس حين لا ينفعه إيمانه **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** يشهد عليهم أنه قد بلغ الرسالة وأقر على نفسه بالعبودية، قيل: يشهد على اليهود بالكذب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله **﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾** (٣) **﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾** أي: ما استمر

= أي: شبه لهم من قتلوه فشبهه مسند إلى ضمير المقتول الدال عليه "إنا قتلنا" ولهم: فاعل شبه/ ١٢ فتح.

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال: رفعه الله إليه فهو عنده في السماء/ ١٢ منثور.

(٢) أي: قربها كما ورد في حديث رواه البخاري/ ١٢ كمالين. [كذا قال وأخرجه مسلم (٧٥٣/٥) ط الشعب].

(٣) قال الواحدي: وأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف كان ومتى كان وعلى لسان من حرم فلم أجد فيه شيئاً انتهى إليه فكرته. قال الخازن: ولقد أنصف الواحدي فيما قال؛ فإن هذه الآية في غاية الإشكال انتهى/ ١٢ فتح.

تحريمها إلا بظلم عظيم منهم، "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر" الآية (الأنعام: ١٤٦)، ﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ صدًا كثيرًا أو ناسًا كثيرًا ﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشوة وغيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون من آمن وتاب ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لكن الراسخون^(١) في العلم منهم ﴿كعبد الله بن سلام وأصحابه﴾ والمؤمنون منهم وقيل أي: الصحابة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خير المبتدأ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح، وهو شائع في كلام الفصحاء، وقيل: مخفوض عطف على ما أنزل أي: آمنوا بإقامة الصلاة أي بوجوبه، أو المراد بالمقيمين: الأنبياء ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) بالله واليوم الآخر ﴿قدم الإيمان بالقرآن والكتب، لأنه المقصود من الآية ﴿أُولَئِكَ سَنُوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٣) ورُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

(١) الثابتون فيه وهم في الحقيقة المستدلون، لأن المقلد يكون بحيث إذا شكك يشك، وأما المستدل فإنه لا يتشكك البتة، فالراسخون هم المستدلون/ ١٢ كبير.

(٢) يعنى الظاهر تقدم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالقرآن والكتب، لكن المقصود من الآية: وصفهم بصفة أنهم آمنوا بك وبجميع الأنبياء قبلك فإن أهل الكتب مؤمنون بالله لكن لا يؤمنون ببعض الأنبياء/ ١٢ منه.

حَكِيمًا ﴿١٥٠﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٥٣﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٥٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا
خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٥٥﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ
سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَيلًا ﴿١٥٦﴾

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا^(١) إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعنى شأنك في
الوحي كشأن الأنبياء فمالهم والعناد معك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أي: أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَى وَيُوسَى
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ خصهم بالذكر؛ لأنهم أشرف الأنبياء ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

(١) الوحي إعلام في خفاء وخص نوحًا حال كونه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع
وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض
بدعائه وكان أبا البشر كآدم وأطول الأنبياء عمرًا وصبر على أذى قومه طول عمره/

وَرُسُلًا» نصب على مضمَر يدل عليه أوحينا أي: أوحينا إليك وأرسلنا رسلاً أو على مضمَر يفسره قوله: «قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ» في السور المكية «وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ^(١) اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا» نصب على المدح أو على الحال أو على تقدير أرسلنا «مُبَشِّرِينَ» بالثواب على الطاعة «وَمُنْذِرِينَ» بالعقاب على المعصية «لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولا يعلمنا الدين متعلق: بـ "أرسلنا" وبـ "بمُنْذِرِينَ" ومبشرين وأحد المجرورين خبر كان، والآخر حال والظرف لحجة «وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» فيما أراد ودبر «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ» استدراك عما فهم^(٢) من قبل من تَعْتَبِهِمْ بأنهم لا يشهدون «بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» من القرآن الدال على نبوتك «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ» متلبسا بعلمه الذي

(١) أخبر بأنه شرف موسى بكلامه وأكده بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على المجاز/ ١٢ وحيز.

قال الفراء: إن العرب تسمى ما وصل الإنسان كلاماً بأى طريق وصل ما لم يؤكد بمصدر، فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام، قال النحاس: وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً فيه، رد على من يقول: إن الله خلق كلاماً في محل فسمع موسى ذلك الكلام، أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذى في نوارد الأصول وابن حبان في صحيحه والحاكم وابن عساكر عن أبي ذر قال: "قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قلت: كم الرسل منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جم غفير"، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم عن أبي أمامة مرفوعاً إلا أنه قال: "والرسل ثلاث مائة وخمسة عشر"، وأخرج أبو يعلى والحاكم بسند ضعيف عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا بعده/ ١٢ فتح.

(٢) لأنه متعلق بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه/ ١٢ منه.

أراد أن يطلع عباده من صفاته ومغيباته وأوامره ونواهيه، أو أنزله عالماً بأنك أهل لانزاله إليك ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً بنبوتك نزلت في جماعة من اليهود قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك" (*) ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ فإنه أقام الحجج والبيانات الواضحة على صحة نبوتك ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً﴾ فإنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ محمداً صلى الله عليه وسلم بكتمان نعته أو الناس بصددهم أو أنفسهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾ بعد ما ماتوا عليه أو هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً﴾ إلى النجاة ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ استثناء منقطع أو متصل على السخرية ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: عدم الغفران والخلود ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ يا أيها الناس^(٢) قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لما قرر أمر النبوة وأوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة ﴿فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾ أي: إيماناً خيراً لكم أو اتنوا أمراً خيراً لكم مما أنتم عليه أو يكن الإيمان خيراً لكم ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو الغني عنكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيماً﴾ فيما أراد لكم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ النصارى تجاوزوا الحد في عيسى عليه السلام بل في الأخبار، كما قال: "اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً" (التوبة: ٣١)، ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ لاتفتروا عليه ﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾ لكن قولوا الحق فترهوه عن شريك وولد ﴿إِنَّمَا

(٥) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٢/٦) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٩٠/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٤٣٩/٢) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في "الدلائل" عن ابن عباس -رضي الله عنه-.

(١) في هذه العبارة مبالغة في عدم غفرانهم، كأن غفرانهم منافية لعظمته تعالى / ١٢ وحيز.

(٢) ولما قرر أمر النبوة وأوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة فقال: "يا أيها الناس" / ١٢ وحيز.

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴿أَوْجَدَهُ بِكَلِمَةٍ كُنْ﴾ ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾^(١) يعني خلقه بالكلمة التي أرسل الله بها جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها فترلت حتى ولجت فرجها بمترلة إلقاح^(٢) الأب^(٣) الأم ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: صدر منه بغير مادة وإضافة الروح إلى الله للتشريف ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ أي: آلهتنا ثلاثة الله والمسيح ومريم ﴿انْتَهُوا﴾ عن التثليث واثتوا أمرا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا تعدد فيه أصلاً ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: أسبح سبحانه من ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً لا يماثله شيء حتى يكون له ولد ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فلا يحتاج إلى ولد؛ لأن الولد وكيل والده وهو وكيل كل شيء.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٢﴾ فَأَمَّا

(١) عن أبي موسى أن النجاشي قال لجعفر: "ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجته من البتول العذراء لم يقرها بشر فتناول عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان! ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه"، وعن ابن مسعود بأطول من هذا وأخرج البخاري عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله" وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل" أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح.

(٢) يقال: ألقح الفحل الأثني فلقحت/ ١٢ .

(٣) صرح بذلك ابن عباس وغيره/ ١٢ وجيز.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ
وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٣٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿٣٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ
فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٣٨﴾
يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ
فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا
الثلثانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾

﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ﴾^(١) الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف من ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ فإن عبوديته شرف،
قيل: نزلت حين "قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تعيب عيسى
تقول: إنه عبد الله؟ قال: إنه ليس بعار أن يكون عبدًا لله قالوا بلى" ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢) عطف على المسيح أي لا يستنكفون مع أن ما بعثكم في دعوى الإلهية

-
- (١) اصله من نكفت الدمع: إذا نحته عن خدك بأصبعك كى لا يرى أثره عليك/ ١٢ وحيز.
(٢) قد استدل بهذا القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء وقرر صاحب الكشف وجه
الدلالة بما لا يسمن ولا يغنى من جوع، وادعى أن الذوق قاض بذلك، ونعم الذوق
العربي إذا خالطه محبة المذهب وشابه شوائب الجمود كان هكذا أو كل من يفهم لغة
العرب يعلم أن من قال لا يأنف من هذه المقالة إمام ولا مأموم ولا كبير ولا صغير ولا
جليل ولا حقير، لم يدل هذا على أن المعطوف أعظم شأنًا من المعطوف عليه، وعلى
كل حال فما أبرد الاشتغال بهذه المسألة، وما أقل فائدتها وما أبعداها عن أن يكون
مركزًا من مراكز الدينية وجسرًا من الجسور الشرعية.

لعيسى أقوى وأشد^(١) فيهم لا أب ولا أم لهم ولهم قوة لا تفيء بها طاقة البشر كقلع الجبال والتصرف في الأحوال والأحوال وهم مع ذلك لا يستنكفون ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ الاستكاف تكبر مع أنفة والاستكبار بدونه ﴿فَسِيحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ مجازاة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وهذا تفصيل للمجازاة العامة^(٢) الدال عليها فحوى الكلام، وإن لم يجر سوى ذكر المستنكفين فكأنه قال: ومن استنكف ومن آمن فسيحشرهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(٣) قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ^(٤) مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعنى: محمداً عليه الصلاة والسلام أو القرآن وقيل: المعجزات ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ أي: القرآن ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ جمع بين مقامى العبادة والتوكل على الله أو اعتصموا بالقرآن ﴿فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ زائد على قدر أعمالهم ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾

(١) هذه الآية على ما قدرنا وفسرنا لا تدل على تفضيل الملك نعم تدل على كثرة قوتهم وغلبتهم / ١٢ منه.

(٢) جواب عن سؤال وهو أن التفضيل وهو قوله: فأما الذين آمنوا وأما الذين استنكفوا مشتمل على ذكر الفريقين المستنكفين وغيرهم والمفصل أي: الجمل الذى فصل وهو المذكور بقوله: "ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم" إنما اشتمل على ذكر فريق المستنكفين فقط وحاصل الجواب أن ذكر الفريق الآخر مطوى في المفصل / ١٢ منه.

(٣) ولما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاتهم دعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإلى الإيمان بالكتاب الذى أنزل معه والاعتصام به فقال: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان" الآية / ١٢ كبير.

(٤) والبرهان ما يبرهن به على المطلوب قال قتادة: البرهان البينة وقال مجاهد: الحجة / ١٢ فتح.

إِلَيْهِ» إِلَى اللَّهِ «صِرَاطًا»^(١) مُسْتَقِيمًا» فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَهَمَّ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْهَاجِ
الِاسْتِقَامَةِ، وَفِي الْآخِرَةِ عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ يَفْضِي إِلَى رَوْضَاتِ الْجَنَاتِ، وَصِرَاطًا: إِمَّا
بَدَلَ مَنْ إِلَيْهِ أَوْ مَفْعُولٌ يَهْدِيهِمْ وَإِلَيْهِ حَالٌ مُقَدَّمٌ «يَسْتَفْتُونَكَ» أَي: عَنِ الْكَلَالَةِ «قُلِ
اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» نَزَلَتْ فِي جَابِرٍ^(٢) بَنِ عَبْدِ اللَّهِ حِينَ "سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي مَرِيضٌ وَكَلَلَةٌ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟" «إِنْ أَمَرُوا» مَرْفُوعٌ بِفَعْلٍ
يُفْسِرُهُ مَا بَعْدَهُ «هَلَكَ» مَاتَ «لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ» أَصْلًا وَلَا وَالِدًا أَيْضًا فَإِنَّ الْأَخْتَ لَا
تَرِثُ مَعَ الْأَبِ، وَهُوَ صِفَةٌ لِغَيْرِ^(٣) «وَلَهُ أُخْتُ» أَي: مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَوْ الْأَبِ، فَإِنْ ذَكَرَ
وَلَدَ الْأُمِّ مَضَى حُكْمُهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ «فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ» أَيِ الْمَرْءِ «يَرِثُهَا»
أَيِ الْأَخْتَ «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا»^(٤) «وَلَدٌ» أَيِ إِذَا مَاتَتِ الْأَخْتُ فَجَمِيعُ مِيرَاثِهَا لِلْأَخِ إِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ أَصْلًا وَلَا وَالِدٌ «فَإِنْ كَانَتْ» أَيِ: الْأَخْتَانِ «اثْنَتَيْنِ» فَصَاعِدًا «فَلَهُمَا
الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ» الْأَخُ «وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَالًا وَنِسَاءً» أَصْلُهُ: وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً
وَأَخَوَاتٍ فَغَلَبَ الذَّكَرُ «فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ» الْحَقَّ كِرَاهَةً
«أَنْ تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فَهُوَ عَالِمٌ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.

والحمد لله حق حمده

(١) وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْتُورِ: "إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ فَمَنْ سَلَكَهُ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْهِ"، وَلَمَّا قَالَ:
واعتصموا بالقرآن ومن جملة الاعتصام السؤال عما أشكل عليهم، وهذه السورة بينة
للموارث، وقد استفتوا في الكلاله احتتم السورة في بيانها فقال: "ويستفتوك في الكلاله"
الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ/ ١٢ وَجِيز.

(٣) رَدُّ عَلَى الْقَاضِي حَيْثُ قَالَ: إِمَّا صِفَةٌ أَوْ حَالٌ/ ١٢ مِنْهُ.

(٤) فَإِنْ كَانَ لَهَا وَلَدٌ ذَكَرٌ فَلَا شَيْءَ لَهُ أَوْ أُثْنَى فَلَهُ مَا فَضَلَ عَنْ نَصِيبِهَا/ ١٢.

سورة المائدة مدنية

وهي مائة وعشرون آية وستة عشر ركوعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَزْفُوا بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلَى ٱلصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ ٱللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝ يَأْتِيهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبَرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقُلُوبَ وَلَا ءَامِينَ ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ ۖ وَٱلْمُنْخَفَقَةُ وَٱلْمَوْقُودَةُ وَٱلْمُتَرَدِّبَةُ وَٱلنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ ٱلسَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِٱلْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فَنَسُوهُ ٱلْيَوْمَ يَسِرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَسْأَلُونَكَ مَآذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ ٱلْطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ ٱلْطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوْتُوا ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَتِ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٠﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا^(١) بِالْعُقُودِ﴾ أى: العهود وهو ما حد فى القرآن كله ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ^(٢) بِهِمَّةَ الْأَنْعَامِ﴾ تفصيل للعقود والإضافة بيانية وهى الإبل والبقر والغنم وألحق بها الطباء وبقر الوحش ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه أو إلا محرم ما يتلى عليكم وهو قوله: "حرمت عليكم الميتة" (المائدة: ٣) ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من ضمير^(٣) لكم أو من ضمير أوفوا ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حال من ضمير محلى يعنى أحلت لكم جميع الأنعام إنسيًا ووحشيًا وإحلالها عن عمومها مختص بحال كونكم غير محلين للصيد فى الإحرام إذ معه تحريم البعض وهو الوحشى أو الأول: حال من الفاعل الحقيقى المتروك لأحلت، والثانى: حال من ضمير لكم المقدر أى: أحللنا حال كوننا غير محلين الصيد لكم فى حال إحرامكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من تحليل وتحريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: مناسك^(٤) الحج أو محارم الله أو الهدايا المعلمة للذبح بمكة ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بعدم تعظيمه والقتال فيه والجمهور على أنه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك فى أشهر الحرم ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ما أهدى إلى

(١) الوفاء والإيفاء هو القيام بمقتضى العهد/ ١٢ وجيز.

(٢) نقله البغوى عن الحسن وقتادة ثم قال: وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: بهيمة الأنعام هى الأجنة. ومثله عن الشعبى قال: هى الأجنة التى توجد ميتا فى بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله، ثم ذكر حديث أبى سعيد وحديث جابر "ذكاة الجنين ذكاة أمه"/ ١٢ معالم.

(٣) عليه كلام الجمهور وذهب إليه الزمخشري وتعقب وأجيب/ ١٢ فتح.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد، والثانى لعتاء، والثالث لأبى عبيدة كذا قال البغوى/ ١٢.

الكعبة بأن تعرضوا له ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: ذوات القلائد من الهدى ذكرها لأنها أشرف الهدى، قال بعضهم: معناه لا تركوا الإهداء إلى البيت، ولا تركوا تقليدها في أعناقها ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ أى: لا تستحلوا قتال قوم قاصدين إلى بيت الله ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾: رزقا بالتجارة حال من ضمير آمين ﴿وَرِضْوَانًا﴾ بزعمهم؛ لأن الكافرين ليس لهم نصيب من الرضوان، نزلت فيمن أغار على سرح المدينة، فلما كان من العام المقبل اعتمر من البيت فأراد بعض الصحابة أن يتعرضوا عليه في طريقه إلى البيت، وهذا الحكم منسوخ الآن فيهم. قال بعضهم: أهل الجاهلية يقتلدون أنفسهم بالشعر والوبر في سفر الحج في غير أشهره وإبلهم من لحا شجر الحرم فيأمنون به، فنهى الله التعرض لهم بقوله: "ولا القلائد" وهو أيضًا منسوخ وقيل: معناه يقتلدون من لحا شجر الحرم فنهى الله عن قطع شجرة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ إذن في الاصطياد بعد الإحرام ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: بعضهم ﴿وَأَن صَدُّوكُمْ﴾ أى: لأن صدوكم ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وقرئ إن فحرف الشرط معترض بين العامل والمعمول ﴿وَأَن تَعْتَدُوا﴾ بالانتقام وهو ثانی مفعولى يجرمكم فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب، نزلت حين أراد الصحابة صد بعض المشركين عن العمرة انتقاما من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ المأمورات عطف على لا يجرمكم ﴿وَالْتَّقَوْا﴾ عن المنهيات ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾: المعاصي ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾: الظلم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ أى: المسفوح^(١) ﴿وَلَحْمُ الْخِتِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ﴾^(٢) به لقوله عند الذبح: بسم اللات والعزى، والإهلال: رفع الصوت

(١) أى: المصبوب السائل / ١٢.

(٢) فإنه وإن ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه المنجس مع نجاسته بالموت وإن لم

يذكر فقد زيد في تنجيسته / ١٢ تبصير الرحمن.

﴿وَالْمُنْخِنِقَةُ﴾: التي ماتت بالخنق ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، وذلك من عادات الجاهلية ﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾ التي أطيحت ^(١) من موضع فماتت ﴿وَالنَّطِيعَةُ﴾ كشاتين تناطحتا فماتتا أو ماتت إحداهما، والتاء فيها للنقل ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: منه فمات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وفيه حياة ^(٢) مستقرة فإنه حلال ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ ^(٣) هي حجارة حول

(١) تطاوت بهم النوى أى: ترامت/ ١٢ صراح.

(٢) قال الشوكاني: وأما البنادق المعروفة الآن وهي بنادق الحديد التي يجعل فيها البارود والرصاص ويرمى بها فلم يتكلم عليها أهل العلم لتأخر حدوثها، فإنها لم تصل إلى الديار اليمنية إلا في المائة العاشرة من الهجرة وقد سألت جماعة من أهل العلم عن الصيد بها إذا مات ولم يتمكن الصائد من تركيته حيًا، والذي يظهر لي أنه حلال لأنها تخرق وتدخل في الغالب من جانب منه وتخرج من جانب الآخر، وفي الحديث الصحيح في الصحيحين: "إذا رميت بالمعراض فخرق فكله" فاعتبر الخرق في تحليل الصيد/ ١٢ فتح. [أخرجه البخاري (٥٤٧٧) ومسلم (٥٩٠/٤) ط الشعب].

(٣) وإن لم يسمع فيه إهلال غير الله وزعم صاحبه أنه ذبح لله فلا يسمع منه. هذا ما في تبصير الرحمن، والأنصاب: جمع نُصْب بضمين أو جمع نُصْب بالفتح والسكون، وهو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك، هذا في مجالس الأبرار، وقال الشيخ ولي الله الدهلوي في الترجمة الفارسية: المشهور بفتح الرحمن وحرام است إنجه ذبح كرده باشيد برنشا نهائي معبود باطل مترجم كويد يعنى برصورت وقبر والله أعلم، وفي الحديث الذي رواه أبو داود: "لا عقر في الإسلام قال أبو داود: قال عبدالرزاق: كانوا يعقرون عند القبر يعنى ببقرة أو بشيء، وقال الشوكاني: قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة؛ لأنها إما هدى أو أضحية أو نسل، وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فهو عبادة لا تكون إلا لله فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله ودليل الكبرى قوله تعالى: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" (هود: ٥٠) و"فإياي فاعبدون" (العنكبوت: ٥٦) و"إياك نعبد" (الفاتحة: ٥) و"قضى

البيت يذبحون عندها وينضحونها بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب، فحرم الله أكل هذا اللحم وإن ذكر عليها اسم الله لما فيه من الشرك، وقال بعضهم: هي الأصنام ومعناه: ما ذبح على النصب، وعلى هذا هو وما أهل لغير الله واحد ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ أى: حرم الاستقسام بالأزلام وهى عبارة عن قداح مكتوب فى بعضها افعل وفى بعضها لا تفعل، وبعضها غفل لاشيء عليه، يستقسمون بها فى الأمور فإذا خرج الأمر فعلوه وإذا خرج الناهى تركوه وإذا خرج الغفل أحالوها ثانياً ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ أى: تعاطيه فسق وضلالة وجهالة ﴿الْيَوْمَ﴾ أريد به الأزمان الحاضرة ﴿يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: من إبطاله بأن ترجعوا إلى دينهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: بعد ما أظهرت دينكم ﴿وَأَخْشَوْنِ﴾: أخلصوا الخشية لى

غيره" (هود: ٥٠) و"قِيَائِي فاعبدون" (العنكبوت: ٥٦) و"وإياك نعبد" (الفاتحة: ٥) و"قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" (الإسراء: ٢٣) و"وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" (البينة: ٥) انتهى. أقول: ودليل الصغرى قوله تعالى: "فصل لربك وانحر" (الكوثر: ٢) "إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين" (الأنعام: ١٦٢) وفى حديث مسلم: "لعن الله من ذبح لغير الله"، وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب قال: "مر رجلاً، على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئاً فقالوا لأحدهم: قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار قالوا للآخر قرب فقال: ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة. وفى حديث آخر رواه أبو داود: "اذبحوا لله فى أى شهر" كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألته رجل العتيرة وفى التفسير النيسابورى قال العلماء: ولو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا ذبيحته ذبيحة مرتد، وفى الدر المختار ذبح لقدم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله تعالى عليه ومثل هذا فى القاضى خاں والعالمكيرية وفتاوى الإبراهيم الشامى وقد ذكرنا عبارة الصراط فى البقرة فارجع إليها تجددها شافية مغنية فى المسألة/ ١٢.

﴿الْيَوْمَ﴾ قيل المراد يوم التزول يوم عرفة في حجة الوداع ﴿أَكْمَلْتُ﴾^(١) لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فلا زيادة بعده ولم يتزل بعده حرام ولا حلال ﴿وَأَثَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: بالهداية وإكمال الدين ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ من بين الأديان فلا أسخطه أبداً، ودينا، إما حال أو تمييز ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من هذه المحرمات وهو متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ غير مائل لمعصية بأن يأكلها تلهذاً أو مجاوزاً حد الرخصة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث رخص فلا يؤاخذ به ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ نزلت حين سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن الله قد حرم الميتة فماذا يحل لنا؟ وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾^(٢) أى: الذبائح الحلال، وقيل: كل ما يستطيعه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾^(٣) يعنى

(١) إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملاً وإذا حصل النص في الوقائع وفي الآية دلالة على بطلان القياس وعلى أنه تعالى قد نص على الحكم في جميع الوقائع إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملاً وإذا حصل النص في جميع الوقائع فالقياس إن كان على وفق ذلك النص كان عبثاً وإن كان على خلافه كان باطلاً، وقد أجاب مثبتو القياس عن هذا بما لا يكفي في الجواب والله أعلم بالصواب/ ١٢ فتح البيان.

(٢) كل ما يستطيعه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص والعبارة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والأخلاق الجميلة من العرب، فإن أهل البادية منهم يستطيعون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى: "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث" (الأعراف: ١٥٧) فإن الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصاً فيما يحل ويحرم/ ١٢ فتح.

(٣) والحق أنه يحل صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين الكلب وغيره وبين الأسود وغيره وبين الطير وغيره ويؤيد هذا أن سبب نزول الآية سؤال عدى بسن أبي حاتم [كذا بالأصل، والمشهور أنه عدى بن حاتم] عن صيد البازي/ ١٢ فتح.

أحل لكم صيد ما علمتم من كواسب الصيد على أهلها من سباع وطيور ﴿مُكَلَّبِينَ﴾ حال كونكم معلمين إياه الصيد وذكرها للمبالغة في التعليم ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ﴾ حال أو استئناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: من طرق التأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ كثير من السلف على أن الجوارح إذا أخذت الصيد وأكلت شيئاً منه ولم يدركه صاحبه حياً فيذبحه فهو حرام، وبعض آخر منهم على وابن عباس على حلتها وإن أكل منه ثلثه ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: على ما علمتم أى عند إرساله إلى الصيد وهذا الأمر على الندب عند الأكثرين ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بما كسبت أيديكم ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾: الذبائح على اسم الله ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى يعنى ذبائهم ﴿حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ بمعنى حل وجاز لكم أن تطعموهم ^(١) من ذبائحكم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الحرائر العفائف أو الحرائر أو العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أكثر السلف على أنه لا يجوز تزوج الذمية الزانية، وهو يعم كل كتابية عفيفة، وقيل: المراد بها الذميات دون الحريات، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما-: لما نزلت "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن" (البقرة: ٢٢١) حجر الناس عنهن حتى نزلت والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فنكح الناس نساء أهل الكتاب ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾: مهورهن وتقيد الحل به لتأكيد وجوبها ^(٢)، وقيل المراد بإيتائها: التزامها محصنين ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مجاهرين بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ مسرير به والخدن: الصديق. بعض السلف ذهب إلى أنه لا يصح نكاح البغية من عفيف وعقد

(١) فالخطاب مع المسلمين حقيقة؛ لأن أهل الكتاب كفار من زماننا لا يأمرؤن بحلال

وحرام/ ١٢ وجيز.

(٢) فلا ينبغي دخول زوج بزوجة إلا بعد بذل مهرها/ ١٢ وجيز.

الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وسيأتى الكلام^(١) فيه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: بالله الذى يجب الإيمان به، قيل: أراد بالكفر الإنكار، وبالإيمان: الشرائع والإسلام ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ

(١) قوله تعالى: "الزاني لا ينكح إلا زانية" (النور: ٣) / ١٢ منه.

(٢) ولما افتتح بالأمر بإيفاء العقود وذكر تحريمًا وتحليلاً فى المطعم والمنكح اللذين هما رأسا

المستلزمات الجسمانية استطردها منها المعاملات الأخروية وابتدأ بالطهارة فقال: "يا أيها

الذين آمنوا" / ١٢.

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أى: إذا أردتم القيام إليها وهو مطلق أريد به التقييد أى: إذا قمتم إليها^(١) محدثين وقيل: الأمر شامل للمحدثين على الإيجاب وللمطهرين على وجه الندب وقال بعضهم: إن الآية نزلت إعلاما من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى صلاة دون غيرها من الأعمال؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ ﴿فَاغْسِلُوا﴾^(٢) وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أى مع المرافق فالجمهور على دخول المرفقين في المغسول، قيل: ومنه علم وجوب النية كما إذا قلنا إذا رأيت الأمير فقم أى: فقم له ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ نصبه نافع والكسائي وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم، وجره الباقون وعلى الإنصاف ظاهر قراءة النصب على وجوب الغسل وظاهر الثانية على وجوب^(٣) المسح، فإن جر الجوار وإن كان بابا واسعا فهو خلاف^(٤) الظاهر، والأحاديث الصحاح تدل على وجوب الغسل دلالة لا

(١) والదال على هذا مقابله بقوله: "وإن كنتم جنبا" كأنه قال: إن كنتم محدثين الحدث الكبير فاغسلوا جميع الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) الفاء دال على أن أول واجب في الوضوء غسل الوجه/ ١٢ وجيز.

(٣) وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل الصحابة والتحديد بقوله: "إلى الكعبين" لأن المسح غير محدود وفائدته التنبيه على منع الإسراف/ تبصير الرحمن.

(٤) مع أن جر الجوار إن وقع في فصيح فهو بدون الواو فظاهر القرآن المسح على قراءة الجر ونعم ما حققه الزمخشري أن الرجل من الأعضاء المغسولة مظنة إسراف الماء فعطف على الممسوح تنبيها على وجوب الاقتصاد في صب الماء، فإن المسح والغسل متقاربان فسهل

.....
= عطف أحدهما على الآخر نحو: متقلداً سيفاً وريحاً فعدل إلى المجاز للإيجاز وقرينة المجاز أنه يجيء بالغاية إلى الكعبيين فإن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، والمراد: فاغسلوا أرجلكم غسلًا خفيفًا واختصر بعطفه على الممسوح، وفي باب التيمم "فامسحوا بوجوهكم" (المائدة: ٥): وجوب استيعاب جميع الوجه بالتراب، فالمسح بالماء في الأرجل كذلك والأحاديث الصحاح التي قاربت التواتر على وجوب الغسل والوعيد على تركه فالقول ما قالت حذام/ ١٢ وجيز.

اختلف العلماء في هذا الحكم، وهل فرض لرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضًا، ويروى عن أنس أنه قال: نزل القرآن بالمسح، والسنة بالغسل، وعن عكرمة قال: ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح، وعن الشعبي أنه قال: إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل، ومذهب الإمامية من الشيعة أن الواجب في الرجلين المسح. وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم: إن فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري: يجب الجمع بينهما، وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري: المكلف مخير بين الغسل والمسح، والحق ما قال الجمهور؛ لأنه قد ثبت في السنة المطهرة بالأحاديث الصحيحة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم - وقوله وعمل أصحابه وقولهم والتابعين وقولهم هذا ما في لباب التأويل المعروف بالخازن مع ضميمة من الفتح/ ١٢.

وأما من جعل كسر اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم: جحر ضب الخرب وقال: الخرب نعت للحجر لا للضب، وإنما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس بجيد؛ لأن الكسر على المجاورة إنما يحمل لأجل الضرورة في الشعر أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس؛ لأن الخرب لا يكون نعتًا للضب بل للحجر ولأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، أما مع حرف العطف فلم يتكلم به العرب/ ١٢ باب التأويل.

محيص عنها ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (١) فاغتسلوا ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (٢) منه قد مر تفسيره في سورة النساء ولعل فائدة التكرار بيان أنواع الطهارة هنا أيضا ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾: بما فرض من الغسل والوضوء والتيمم ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيق ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾: من الإحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بيان ما هو مطهرة للقلوب والأبدان عن الآثام والإحداث ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمتي فأزيدها عليكم ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: من القدم والحديث لأجل الدين والدنيا ﴿وَمِثْلَاقِهِ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حين بايعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة في منشطهم ومكرهم أو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، وقيل: هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من العهود في متابعة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في نقض عهده ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بخفياتها فضلا عن جلياتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ أى: قائمين بالحق لله لا للرياء ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل لا بال جور ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَّانُ قَوْمٍ﴾ عداوتهم ﴿عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا﴾ بل الزموا العدل مع العدو والصديق ﴿اغْدِلُوا هُوَ﴾ أى: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ اللام للاختصاص واستعمل أفعل التفضيل في محل

(١) لما ذكر الطهارة الصغرى أعقب بالطهارة الكبرى والظاهر أن الجنب مأثور بالاغتسال، ولهذا قال ابن مسعود: لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء والجمهور على أنه يتيمم؛ ونقل أنه رجع إلى ما عليه الجمهور للحديث/ ١٢ وحيز.

(٢) قد مر تفسير الآية في سورة النساء إلا أن في هذه الآية زيادة منه وهى دالة على أن يمسح بعضه ولا يتيمم بصخرة لا تراب عليه/ ١٢ وحيز.

ليس في الجانب الآخر منه شيء كقوله تعالى: "أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً" (الفرقان: ٢٤) وكم مثله في كلام البلغاء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مستأنفة مبنية لثاني مفعولى وعد أو وعد واقع على تلك الجملة كأنه قال: وعدهم هذا القول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فلا ينفكون عنها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ مَعَكُمْ﴾ متعلق بنعمة الله ﴿قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ رد مضرها عنكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فمن توكل عليه كفاه الله أربه، نزلت لما أراد قوم من العرب أن يكبوا على رسول الله وأصحابه صلى الله عليه وسلم إذا اشتغلوا بصلاة العصر، فأخبرهم جبريل وجاء بصلاة الخوف. أو في قوم من اليهود صنعوا طعاماً ليقتلوه فأوحى الله إليهم بشأهم. أو في بنى النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأسه عليه الصلاة والسلام الرحا إذا جلس تحت الجدار فأطلعه على كيدهم، أو في قوم أرسلوا أعرابياً لقصده فجاءه وهو صلى الله عليه وسلم راقد تحت شجرة فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى؟ فقال الله فأسقطه جبريل من يده وأخذه الرسول (*).

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ

(٥) لفظ المصنف ذكره الحافظ في "الفتح" (٤٩٢/٧) وأصل الحديث أخرجه البخاري في "الغازي" / باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٣٦) ومسلم في "صلاة المسافرين وقصرها" / باب: صلاة الخوف (٤٩٣١٢).

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً^ط
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ
عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا
حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ
اللَّهُ مِنَ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ لما أمر المؤمنين بالوفاء بعهده وأمرهم بالحق والعدل وذكرهم نعمه شرع يبين لهم كيفية أخذ العهود على من كان قبلهم وطردهم ولعنهم لما نقضوها ليتعظ المؤمنون ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(١) كفيلاً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿لَئِنْ﴾ أى: والله لئن ﴿أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ صدقتموهم بما جاءوا به ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم وعظمتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تنفقوا في سبيل الخيرات نصب بالمصدر أو بالمفعول الثانى ﴿لَا كُفْرَانَ﴾ جواب القسم سد مسد جواب الشرط ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت غرفها ﴿الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ صراط الحق فإن الضلال بعده أظهر وأعظم وأقبح ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ يابسة غليظة لا تنتفع بالمواعظ وقرئ قسية أى: مغشوشة^(٢) ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ كلام الله ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ يبدلون نعت محمد أو يأولون الآيات بسوء تأويل ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا نصيهم من التوراة فلم يعملوا بها أو زلت بعض آياتها عن حفظهم

(١) لما هلك فرعون واستقر بنو إسرائيل في مصر أمرهم الله بالمسير إلى أرض الشام والجهاد مع سكانه، وكان مسكن الجبابرة، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا فاختر موسى اثني عشر نقيباً، وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنوا أرض الشام بعث النقباء لتجسس الجبابرة فأروا أجراماً عظيمة وشوكة فرجعوا ونهى أكثر قومهم عن الجهاد وخوفوهم مع أن موسى نهى النقباء أن يحدثوا قومهم بحكايات الجبابرة وأخبارهم / ١٢ منه.

(٢) نحو درهم قسى من القسوة، فإن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيها ييس وصلابة / ١٢ وجيز.

﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾^(١) خيانة وغدر فاعل بمعنى المصدر
﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا استثناء من ضمير منهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ نسخ
بآية السيف، وقيل: معناه إن تابوا أو عاهدوا والتزموا الجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) تعليل للأمر بالعفو ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾^(٣) أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ ﴿كَمَا أَخَذْنَا مِنَ الْيَهُودِ، سَمَوْا أَنفُسَهُمْ نَصَارَى ادعاء لنصرة الله ﴿فَتَسُوا
حَطًّا﴾: نصيبًا وافيًا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام
﴿فَاغْرَبْنَا﴾ أَلْصَقْنَا وَأَوْقَعْنَا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين اليهود والنصارى أو بين فرق^(٤) النصارى
وهم كذلك ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ﴾ بشنيع صنيعهم بأقطع جزاء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ عام لكل كتابي ﴿قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كآية الرجم
وبشارة عيسى بأحمد ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ لا يتعرض لكثير مما حرفوه وأخفوه لأنه لا
يحتاج إلى بيانه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ أى: قرآن أو محمد عليه الصلاة والسلام
﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ﴾ أى: بالنور والكتاب المبين، فإنهما واحد أو فى حكم

(١) يعنى هذا دأهم وعادة آبائهم من خيانة الرسل وقتلهم الأنبياء فهم لا يزالون يحزنونك
ويظاهرون عليك أعداءك/ ١٢ وجيز.

(٢) ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة" يعنى لا تدعوا الإحسان
فى شيء حتى فى القتل/ وجيز. [أخرجه مسلم (٦٢٢/٤) ط الشعب]

(٣) لأنهم من قرية بالشام تسمى ناصرة، وظاهر سوق العبارة مشعر بأن هذا الاسم من عند
أنفسهم وزعمهم أنهم أنصار الله، وأما من قال "نحن أنصار الله" (الصفات: ١٤) فهم
الحواريون وهم مؤمنون حقا وليس منهم الاختلاف، وجاء الاختلاف ممن يدعى
تبعيتهم/ ١٢ وجيز.

(٤) وهو الظاهر/ وجيز.

الواحد ﴿اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: من آمن منهم ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة والنجاة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أنواع الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ إلى الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١): يوصلهم إلى رحمة الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾^(٢) ابْنُ مَرْيَمَ ﴿الْيَعْقُوبِيَّةَ مِنَ النَّصَارَى﴾ قالوا: المسيح هو الله ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: من يستطيع إمساك^(٣) شيء من قدرة الله ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أى: هو وجميع الخلائق مقهور تحت قدرته قابل للفناء فلا يكون إلهاً ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إيجاد شيء من غير أصل ومادة ولا أب وأم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أى: هو كالأب لنا فى العطفة أو وجدوا فى التوراة يا أبناء أبحارى فبدلوا بيا أبناء أبحارى، وقيل: نحن أبناء رسل الله وقيل: جمع ابن الله للابن وأشياعه والابن يزعم الفريقين عزيز وعيسى كقول أقارب الملك: نحن الملوك ﴿وَأَحْيَاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾: فى الدنيا والآخرة، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه أقبح^(٤) لتعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾: كسائر المخلوقات ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهو من آمن برسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من مات

(١) عليه الرب سبحانه كما ورد "إن ربي على صراط مستقيم" / ١٢ وحيز.

(٢) قيل: ما صرح أحد من النصارى بذلك لكن لما اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة، واعترفوا بأن الله موجود لزمهم القول بأن الله هو المسيح لا غير / ١٢ منه.

(٣) حقيقة الملك الضبط والحفظ عن حزم يقال: ملكت الشيء إذا دخل تحت ضبطك

دخولاً تاماً ولا أملك رأس البعير إذا لم تستطعه / ١٢.

(٤) فإن المسخ والخسف تعذيب البتة وليس بتأديب / ١٢ منه.

على الكفر لا مزية لكم على سائر الخلق ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازى المحسن والمسيء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: الدين ﴿عَلَى فِتْرَةٍ﴾^(١) مِّنَ الرُّسُلِ ﴿أَي جَاءَ عَلَى حِينِ فِتْرِ مِنَ الْوَحْيِ أَوْ حَالٍ مِنْ ضَمِيرٍ بَيْنَ﴾ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ كراهة أَنْ تَقُولُوا ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فتعذروا به ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ أى: لاتعذروا فقد جاءكم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) فقادر على إرسال الرسل ترى، وعلى الإرسال على فترة، وعلى عقاب العاصي وثواب المطيع.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ يَنْقُومِ آدَخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آدَخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا أَبَدًا

(١) أما الفترة بين أحمد وعيسى صلوات الله وسلامه عليهما خمسمائة وستون، وقيل: سبع مائة، وقيل غير ذلك، وذكر ابن سعد في الطبقات عن ابن عباس والزحشرى عن الكلبي عن الفترة بين عيسى وموسى عليهما السلام ألف وسبعمائة وسنة/ ١٢.

(٢) ولما ذكر تمردهم وكذبهم أخذ يذكر تمرد أسلافهم على موسى مع تذكيره إياهم بنعم الله تعالى حتى لا يطمع محمد صلى الله عليه وسلم في إخلاصهم فقال: "وإذ قال موسى لقومه" الآية/ ١٢ وجيز.

مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
 فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾ *

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾
 كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن إبراهيم حتى ختم بعيسى ﴿وَجَعَلَكُمْ^(١) مُلُوكًا﴾
 أصحاب خدم وحشم وهم أول من ملك الخدم أو كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان
 له منزل وخدام سمي ملكا، قيل: ملكوا أنفسهم بعد ما كانوا مملوكين في أيدي القبط
 ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر والمن والسلوى أو من الفضل
 والشرف على عالمي زمانهم ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ بيت المقدس أو الطور
 وما حوله أو الشام، فإنه مقر الأنبياء مطهر من الشرك ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾:
 وعدكموها الله أنه وراثته من آمن منكم ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ لا ترجعوا
 مدبرين خوفا من الجبابرة وجاهدوهم فإنكم غالبون ﴿فَتَقَبَّلُونَا خَاسِرِينَ﴾ ثواب الدارين
 ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ متغلبين أقوياء ﴿وَأِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى
 يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ يَوْشَعَ وَكَالِبُ^(٢)﴾
 الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴿أَمَرَ اللَّهُ وَعِقَابَهُ وَقِيلَ: هُمَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ أَسْلَمَا وَاتَّبَعَا مُوسَى فَمَعْنَاهُ يَخَافُونَ
 أَيْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْهُمْ﴾ ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة هو الثبات صفة ثانية لرجلين أو

(١) فالامتنان بأن منهم سادة الدين وقادة الدنيا / ١٢ وجيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره أنهما يوشع ابن أخت موسى وكالب ختن موسى على أخته
 مريم بنت عمران وهما من النقباء الكامينين ما اطلعا عليه من حال الجبابرة / ١٢

اعتراض **﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾** باب قريتهم أى: ازحفوا عليهم **﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِئْتَكُمْ غَالِبُونَ﴾** لما جربنا ضعف قلوبهم ولتيقن انجاز وعد الله فى نصره نبيه **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**^(١) به مصدقين لوعده **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾** تعليق للنفى المؤكد بالدهر^(٢) المتطاول **﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾** بيان للأبد **﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾**: الجبارين **﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾** قال بعض الصحابة يوم^(٣) بدر: "إنا لا نقوله كما قالت بنو إسرائيل، بل نقول اذهب أنت وربك إنا معكم مقاتلون" **﴿قَالَ﴾**: موسى لبث الحزن إلى الله **﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾**^(٤) عطف على نفسى **﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** اقض بيننا وبينهم بما نستحق أو خلصنا من صحبتهم^(٥) **﴿قَالَ﴾** الله **﴿فَإِنَّهَا﴾** أى: الأرض المقدسة **﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾**: دخولها **﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** ظرف لمحمة فيكون التحريم مؤقتا فقد نقل عن بعض

(١) وكثيراً يأتى معمول ما بعد الفاء متقدماً عليها لما رآها بنى إسرائيل قد عصوا فى الإقدام على الجهاد مع وعد الله فى قوله: "التي كتب الله لكم" استرابا فى إيمانهم فقالوا "إن كنتم مؤمنين" / ١٢ منه.

(٢) لا أبد الأبدى على ما هو الظاهر من التأييد لدلالة البيان أعنى: ماداموا فيها على ذلك / ١٢ منه.

(٣) رواه البخارى فى المغازى والإمام أحمد والنسائى / ١٢ وجيز. [أخرجه البخارى فى "التفسير" / باب: **﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾** (٤٦٠٩)].

(٤) لما رأى موسى عمردهم وسوء أدبهم وكفرهم مع الله ولم يبق معه من يثق به إلا هارون بث حزنه إلى الله تعالى والشكوى إليه وقوله "وأخى" عطف على نفسى يعنى أملك أمر نفسى وأمر أخى، والباقون متمردون عني، وكأنه عليه السلام ما اعتد بالرحلين المؤمنين كما روى عن على كرم الله وجهه أنه خطب فى الكوفة مستنجدا على قتال الشام فلم يجبه إلا رجلاً فقال: أين تقعان مما أريد / ١٢ وجيز.

(٥) فالفرق على الأول حكمى، وعلى الثانى مكانى / ١٢ منه. رحمة وروح لهما / ١٢.

السلف أن موسى سار بمن بقي من التيه بعد الأربعين ففتح بيت المقدس أوظرف لقوله **﴿يَتِيَهُونَ﴾** أى: يسيرون متحيرين **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** فيكون التحريم مؤبداً وقد نقل عن كثير من السلف أن موسى وهارون ماتا في التيه^(١) ولم يبق أحد من أهل التيه — سوى يوشع وكالب — إلا مات فيه، ويوشع سار بأولادهم وفتح الشام **﴿فَلَا تَأْسَ﴾**: لا تحزن **﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**^(٢) هذا تسلية لموسى فإنهم مستحقون لما عاملناهم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ **﴿لَبِئْسَ بَسِطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾** **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِي وَإِيمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾** **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** **﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَتُنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾** **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ**

(١) والديه خرق عادة فقالوا عرضه وطوله ثلاثون فرسخا، وكانوا إذا ساروا جميع الليل أصبحوا في المكان الذي رحلوا منه/ ١٢ وحيز.

(٢) ولما كان من آخر كلامهم لموسى "اذهب أنت وربك" وهذا من جنهم وعدم وثوقهم بقول الله تعالى، وفي قصة ابني آدم حسارة عظيمة فقايل أول عاص بتلك المعصية التي لم تعهد وبنو إسرائيل أول من خاطب رسولهم بهذا القول الشوم عقب قصتها بقصتهم فقال "واتل" الآية/ ١٢ وحيز.

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ
 إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ
 يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ
 تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي
 الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا
 عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ﴾: هابيل وقايل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أى: تلاوة متلبسة بالصدق
 ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ ظرف للنبا. والقربان: اسم لكل ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة
 وغيرها ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ قاييل كان من شأنهما
 أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه فبينما هما قاعدان فقالا: تقرب قربانا فقرب هابيل
 خير غنمه وقرب الآخر أبغض زرعه، فجاءت نار من السماء وأكلت الشاة وتركزت
 الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذى فدى به إسماعيل أتى به
 من الجنة فحسد قاييل أخاه ﴿قَالَ لَا قُتِلْنَاكَ قَالَ﴾ هابيل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
 الْمُتَّقِينَ﴾ أى: لم تقتلنى ولا ذنب لى وإنما أتيت من قبل نفسك بتركك التقوى ﴿لَكِن
 بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ﴾ لا أقابلك^(١) على
 صنيعك الفاضل. بمثله ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ كان هابيل أشد وأقوى لكن

(٥) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤٨٤/٢) وعزاه لابن جرير عبد الله بن عباس -رضي
 الله عنه-.

(١) هذا استسلام للقتل من هابيل كما ورد في الحديث "إذا كانت الفتنة فكن كخير ابني
 آدم" وتلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية/ ١٢. [ذكره السيوطي في "الدر المنثور"
 (٤٨٧/٢) أحاديث وآثار بهذا المعنى فليراجع هناك.]

منعه الورع ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلى^(١) ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذى عملته قبل ذلك فلم يتقبل من أجله قربانك أى: ترجع متلبسا بالإثمين حاملا لهما وقيل: معناه إثمى لو بسطت يدى إليك وإثمك ببسطك يدك إلىّ ونحوه المستبان^(٢) ما قالوا فعلى البادى ما لم يعتد^(٣) المظلوم فإن على البادى إثم سبه ومثل إثم صاحبه، لأنه الباعث، والإثم محطوط عن صاحبه؛ لأنه دافع مكافئ عن عرضه إذا لم يخرج عن حد المكافأة ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا الكلام من هابيل موعظة لأخيه وزجر له، قال ابن عباس رضى الله عنهما: خوفه بالنار فلم ينته ولم يترجر، وقيل: هو يعلم أن أخاه ظالم وإرادة جزاء الظالم حسن ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ سهلته ووسعت له ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤): فى الدنيا والآخرة ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا

(١) وهذا يوافق معناه معنى ما ثبت فى صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه ومثله قوله تعالى: "وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم" (العنكبوت: ١٣) / ١٢ فتح. [أخرجه مسلم (٤٤٣/٥) ط الشعب].

(٢) المستبان مبتدأ وقوله: ما قال فعلى البادى الخ جملة شرطية خبر له وقوله ما لم يعتد أى مادام لم يظلم ولم يتجاوز حد المساواة / ١٢ منه.

(٣) فالآية محمولة على أن ملك إثمى المقدر الذى كان يثبت ببسط اليد إلى قابيل، وأما فى الحديث فكل من المستبان ساب فى نفس الأمر / ١٢ منه. [أخرجه مسلم (٤٤٨/٥) ط الشعب]

(٤) ثبت فى الحديث "ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها" لأنه أول من سن القتل. رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حيث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه / ١٢. [أخرجه البخارى فى "أحاديث الأنبياء" (٣٣٣٥) ومسلم فى "القسامة" (١٦٧٧) ولفظه "لا تقتل نفس ظلما.... الحديث"]

يَبْحَثُ^(١) فِي الْأَرْضِ» لما قتله تخير في أمره لم يدر ما يصنع به فبعث الله غراباً إلى غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى وراه «لِيرِيَهُ»: الله أو الغراب «كَيْفَ يُوَارِي سَوْعَةَ أَخِيهِ» أى: جسده، فإنه مما يستقبح أن يرى، وكيف: حال من ضمير يوارى، والجملة ثانياً مفعولى ليريه «قَالَ يَا وَيْلَتَى» كلمة جزع والألف بدل من ياء المتكلم أى: احضرى يا هلاكى فهذا أوانك «أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي» عطف على أكون أو جواب استفهام؛ لأنه للإنكار بمعنى النفسى أى: إن لم أعجز وارىت «سَوْعَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ» على قتله قيل اسود جسده وتبرأ منه أبواه، وقد ذكر أكثر المفسرين إن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه، وكان يولد له فى كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر فكانت أخت هايل دميمة^(٢) وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك، وأمرهما بأن يقربا قربانا فمن تقبل منه فهى له فتقبل من هايل فحسد. هذا ما نقله عنه والذى صح عن ابن عباس ما نقلناه أولاً وهو يشعر بل يدل على أن قربانها لا عن سبب ولا عن بداءة فى امرأة، وهو ظاهر القرآن فلذلك اخترناه «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ» أى: بسبب قتله أخاه ظلماً «كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» حكماً وقضينا^(٣) عليهم

(١) والبحث فى الأرض: نبش التراب وإثارته/ ١٢ وجيز. السوءة: العورة وأراد بها الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) وهذه الحكاية حكاية إسرائيلية وعبارة ابن عباس دالة على أن قربانها لا عن سبب فلهذا تعرضنا بظاهر ما فى القرآن/ ١٢ وجيز. [أثر ابن عباس رواه ابن جرير كما سبق وقال ابن كثير فى "تفسيره" (٤٤/٢): فهذا الأثر يقتضى أن تقرب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارؤ فى امرأة كما تقدم عند جماعة. وهو ظاهر القرآن]

(٣) فإنهم أول أمة نزل فيهم الوعيد للقتل وغلظ عليهم الأمر بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء، ومع ذلك لا يرتدعون حتى قتلوا الأنبياء وهما يقتل النبي المصطفى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين/ ١٢ وجيز.

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى: بغير قتل نفس يوجب القصاص ﴿أَوْ فَسَادًا﴾^(١) في الأرض ﴿أَوْ بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق﴾ ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢) أى: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس أو لأنه يقتل قصاصا كما لو قتل الجميع أو كما قتل الناس وزراً أو إنما ﴿وَمَن أَحْيَاهَا﴾ حرم قتلها وكف عنها أو عفا عن قاتل أو أنجأها عن هلكة ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ حى الناس منه جميعاً وحرّم قتل جميع الناس أو فى الأجر والثواب والمقصود تعظيم القتل والإحياء فى القلوب ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أى: بنى إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات على صدقهم ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: إرسال الرسل مع البينات ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(٣): فى مثل القتل ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٤)

(١) وظاهر النظم القرآن أن ما يصدق عليه أنه فساد فى الأرض فالشرك فساد فى الأرض، وقطع الطريق فساد فى الأرض وسفك الدماء، وهتك الحرم ونهب الأموال فساد فى الأرض، والبغى على عباد الله بغير حق فساد فى الأرض وهدم البناء وقطع الأشجار وتغویر الأنهار فساد فى الأرض فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد فى الأرض وهكذا الفساد الذى يأتى فى قوله "ويسعون فى الأرض فساداً" يصدق على هذه الأنواع، وسيأتى تمام الكلام على معنى الفساد قريباً/ ١٢ فتح.

(٢) مجاوزون الحد فى المعاصى وعدم اتباع الرسل ومنهم فى موضع الصفة لكثيراً و بعد ظرف لمُسْرِفُونَ ولما ذكر تغليظ الإثم فى القتل والفساد فى الأرض أتبعه بيان الفساد فى الأرض الذى يوجب القتل، فإن بعض الفساد لا يوجب فقال "إنما جزاء الذين"/ ١٢ وجيز.

(٣) والحق أن هذه الآية تعم المشرك وغيره ممن ارتكب ما تضمنته ولا اعتبار بخصوص السبب بل الاعتبار بعموم اللفظ، قال القرطبي فى تفسيره ولا خلاف بين أهل العلم فى أن حكم هذه الآية مرتب فى المحاربين من أهل الإسلام وإن كانت نزلت فى المرتدين واليهود انتهى ومعنى قوله: مرتب أى ثابت والأولى أن تفسير محاربة الله سبحانه بمعصيته ومخالفة شرائعه ومحاربة الرسول تحمل على معناها الحقيقى وحكم أمته حكمه وهم أسوته/ ١٢ فتح.

يحاربون أولياءهما من قاطع الطريق وغيره ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: مفسدين أو كأنه قال: يفسدون في الأرض فساداً أو يسعون في الفساد، والفساد يطلق على أنواع الشر قال بعضهم نزلت في بعض أهل الكتاب بينهم وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- ميثاق فنقضوا وأفسدوا في الأرض أو في جماعة مرضوا في المدينة فداواهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ألبان الإبل وأبوالها، فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل فلما أخذوا قطع أيديهم وأرجلهم وسمرو أعينهم ثم ألقوا في الرمضاء حتى^(١) ماتوا فعلى هذا تكون تعليماً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولهذا ما سمر بعد ذلك عينا ﴿أَنْ يُقْتَلُوا﴾ أى من غير صلب إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾^(٢) مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أيدي اليماني وأرجل اليسرى إن أخذوا المال فقط ﴿أَوْ يُنْفَوْا﴾^(٣) مِنَ الْأَرْضِ إن اقتصرنا على الإخافة والنفي هو أن يطلبهم الإمام فيقام عليهم الحد أو يهربوا من دار الإسلام أو ينفي من بلد إلى بلد وهكذا وقال بعضهم لا يخرجون من أرض الإسلام أو المراد من النفي السجن أو يخرج من بلده إلى آخر سيسجن فيه حتى تظهر توبته وقال كثير من السلف: إن الإمام مخير بين هذه العقوبات الأربعة في كل قاطع طريق فيكون أو للتخيير

(١) وفي صحيح مسلم أنهم سمرو أعين الرعاء ففعل بهم قصاصاً / ١٢. [أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ...﴾ الآية (٤٦١٠) وفي غير موضع من صحيحه.]

(٢) عند أبي حنيفة ومالك يصلب حياً ويطعن حتى يموت إن قتل وأخذ المال، وقال غيرهما يقتل ثم يصلب لعلهم لا يعودوا عليه الشافعي / ١٢ وجيز.

(٣) وظاهر القرآن أن الإمام مخير بين إيقاع ما شاء منها بالمحارب في أي رتبة كان / ١٢ وجيز.

لا للتفصيل ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾ فضيحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هذا يدل على أن الآية نزلت في جمع من المشركين وإلا فالجمهور على أن من أذنب ذنبا وعوقب في الدنيا فهو كفارة له ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ على قول من قال هي في أهل الشرك فظاهر لأن من آمن ما بقى عليه شيء وأما المحاربون المسلمون إذا تابوا قبل القدرة سقط عنهم حد الله لا حقوق بنى آدم وكثير من السلف يدل على أنه يسقط حقوق بنى آدم، أيضا إذا أخذ مالا معينا فيجب الضمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٢١٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتٍ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢١٧ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٢١٨ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢١٩ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢٠ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٢١ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي

الَّذِينَ خَذَلُوا اللَّهَ وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ ۚ وَاللَّهُ يُضِلُّ أَعْيُنَ النَّاسِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ سَمِعْتُمْ لَكَذِبٍ أَكَلْتُمْ
لِلشَّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ وَكَيفَ يُحْكِمُكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا﴾ (١) الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴿٢﴾ أى: القربة بطاعته
﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ بمحاربة أعداء الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: لكى تفوزوا ﴿إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ (٢) ﴿ليجعلوه
فدية لأنفسهم، واللام متعلق بثبت الدال عليه "لو" وإفراد ضمير به لإجرائه مجرى اسم
الإشارة أو لأنه من قبيل إني قيار بها لغريب لا أن ومثله مفعول (٣) معه ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ جواب لو ولو بما فى حيزه خير إن ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٤)

(١) ولما ذكر جزاء المحارب أمر المؤمنين بالتقوى وابتغاء القربات إلى الله فإن ذلك هو المنجى

من المحاربة وعذاب المعد للمحارب فقال: "يا أيها الذين آمنوا" / ١٢ وحيز.

(٢) وإفراد ضمير به لتلازمهما كأنهما واحد كما قالت العرب: رب يوم وليلة مررى أو

لإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة / ١٢ وحيز.

(٣) لأن العامل معنوى فإذا جاز العطف تعين ولأن التركيب يصير ركيكا للفظه معه / ١٢

وحيز.

(٤) لا ينفك عنهم أبداً ولما ذكر أمر المحاربين الذين هم ساعون للفساد عقبه بذكر السوارق

الذين هم أيضاً ساعون للفساد إلا أن الأولى على سبيل الشوكة والظهور والسرقة على

سبيل الاختفاء والستر، فقال: "السارق والسارقة" / ١٢ وحيز.

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا^(١) أى: أيماهما^(١) وتقديره عند سيويه: حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، فيكون جملتين وجملة عند المرد والفاء للسببية أى: الذى سرق والى سرت فاقطعوا ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾ عقوبة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوبان^(٢) على المفعول له ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فى الإنتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم من القطع ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلا يعذبه فى الآخرة، وأما القطع فلا يسقط عنه^(٣) على الأصح ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾^(٤) أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

- (١) أى أيماهما وفى قراءة ابن مسعود "فاقطعوا أيماهما" وقراءته أيضًا دالة على أن المقطوع يد واحد؛ لأن اليمين لا يكون إلا واحد، فالجمع باعتبار كثرة أفراد النوعين، ومثل هذا التركيب عند سيويه جملتان تقديره حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، ودليله فى كتب النحو وعند جماعة من البصريين جملة واحدة وجملة الأمر وخير المبتدأ، والمعنى على العموم أى: الذى سرق والى سرت فالفاء دخل على جملة صالحة لأداة الشرط وأما نصاب السرقة ففيه خلاف كثير وعند الأكثرين ربع دينار للحديث الثابت فى الصحيحين ومذهب الجمهور أن القطع من الرسغ لفعل الشارع/ ١٢ وحيز.
- (٢) وهما منصوبان على المفعول له وترك العطف بينهما للإشعار على أن القطع للجزاء على قصد النكال والمنع عن المعاودة والعبرة/ ١٢ وحيز.
- (٣) بالتوبة/ ١٢ وحيز.

(٤) والخطاب فى "ألم تعلم" لكل من له علم كأنه قال: إنك عاجز عن الخروج عن ملكى فلم اجترأت على ما منعك منه اعترض نصرانى على الدين الحنيفى أن فى اليد المقطوع ظلما خمسين من الإبل وأنتم حكمتكم بقطعه فى ربع دينار وما ذلك إلا جهل فأسكته بعض عظام العلماء بقوله: كانت ثمينة فلما خانت هانت. ولما بين أنه مالك العلويات والسفليات بيده التعذيب والغفران وله القدرة التامة العامة فعلى مدعنه تفويض الأمر إليه كما قال الله "ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَى: لا تهتم بمسارعتهم فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بقالوا ﴿وَلَمْ تُؤْمِنِ﴾ ^(١) قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود عطف على من الذين ﴿سَمَاعُونَ﴾ أَى: هم سماعون أو تقديره: ومن اليهود قوم سماعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ أَى: قابلون له يقبلون من أحبارهم ما يفترونه وقيل: سماعون كلامك لأجل الكذب أَى: ليكذبوا ويفترون عليك ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أَى: يسمعون من جمع من اليهود لا يأتون مجلسك ويقبلون كلامهم أو معناه سماعون منك لأجله، وقيل: سماعون الثانى للتأكيد، ولقوم متعلق بالكذب أَى: سماعون ليكذبوا لقوم لم يأتوا مجلسك تخافيا عنك وتكبراً ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: من بعد أن وضعه الله مواضعه إما لفظاً وإما معنى بحمله على غير مراده، الجملة صفة لقوم أو مستأنفة أو خبر محذوف، وكذلك قوله ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أَى: إن أوتيتهم هذا المحرف فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل يفتى بخلافه ﴿فَاخْذَرُوا﴾ قبوله. "نزلت في رجل وامرأة محصنين من اليهود زنيا وهم قد بدلوا الرجم في التوراة بمائة جلدة والتحميم" ^(٢) والإركاب على حمار مقلوباً فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفتوا وقالوا: إن حكم يمثل ما قلنا اعملوا أو يكون نبى من أنبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه فأمر عليه الصلاة والسلام بالرجم

أن نراها" (الحديد: ٢٢) إلى أن قال "لكيلا تأسوا على ما فاتكم" فقال: "يا أيها الرسول" خاطبه به إشارة إلى أن الرسالة شغلك/ ١٢ وجيز.

(١) واللسان ترجمان القلب/ ١٢.

(٢) أَى: تسويد الوجه/ ١٢.

وألزمهم أنه حكم التوراة فرجاً^(١) " «وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ: ضَلَّالَتُهُ» «فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً» في دفع الفتنة عنه «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ» من خبائث الشرك «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ»: فضيحة وهتك ستر للمنافقين وجزية وخذلان لليهود «وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ» كرهه للتأكيد «أَكَاُلُونَ»^(٢) لِلسُّحْتِ: الحرام كالرشى، فإنه مسحوت البركة «فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» تخيير في الحكم والإعراض «وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً» فإن الله يعصمك من الناس قال كثير من السلف: الآية منسوخة^(٣) بقوله: "وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" (المائدة: ٤٨) «وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» أى: العدل وإن كانوا ظلمة مستحقين للتعذيب «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»: يرضى عنهم ويعظمهم «وَكَيْفَ» حال من فاعل «يُحْكُمُونَكَ» وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم في كتابهم المؤمن به منصوص «ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ»: التحكيم فلا يقبلون حكمك المطابق لما في كتابهم عطف على يحكمونك «وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ»: لا بك ولا بكتابك.

-
- (١) والحكاية في الصحيحين ومنها يعلم أن كفرهم عناد بالتوراة والقرآن/ ١٢. [أخرجه البخاري في "الحدود" / باب: أحكام أهل الذمة وإحصائهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام (٦٨٤١) ومسلم في "الحدود" / باب: من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٩).]
- (٢) ولما كان معظم النفع من المال الأكل وصفهم بأكل الحرام الذى يصير جزء البدن وفى الحديث: "كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به" / ١٢ وجيز. [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٤٥١٩) ولقطة "كل جسد... الحديث"]
- (٣) وفى الوجيز والمراد: فإن جاءوك للحكم فأنت مخير فى ذلك وقوله: "وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" (المائدة: ٤٨) يعنى: إن حكمت فلا يكون هذا منسوخاً بذلك / ١٢.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِكُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢١﴾ وَفَقَيْنَا عَلَى عَائِلِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢٣﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١٢٥﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٢٦﴾

ثم مدح التوراة بقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى»: يهدى إلى الحق «وَنُورٌ»: به ينكشف المبهم «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ»: أنبياء بني إسرائيل «الَّذِينَ أَسْلَمُوا» فيه تعريض لليهود وأهم بم عزل عن دين الأنبياء «لِلَّذِينَ هَادُوا» متعلق بأنزلنا أو يبحكم أى: لأجل اليهود «وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ» عطف على "النبيون"، وهم الزهاد والعلماء «بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»: بسبب أمر الله إياهم بحفظ كتابه، وإظهاره وضمير ما محذوف ومن للتبيين «وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ»: رقباء لئلا يبدل أو بأنه من عند الله «فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا» هى للحكام عن المداينة خشية الناس «وَلَا تَشْتَرُوا»: تستبدلوا «بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا»: الرشوة والجاه «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» نزلت في أهل الكتاب^(١) دون من أساء من هذه الأمة

(١) صرح الحسن البصرى بأن من لم يحكم منا فهو فاسق ومن لم يحكم من أهل الكتاب فهو كافر؛ لأنهم تركوا الحكم للتحريف والعناد، وقد روى هذا عن جماعة من السلف وعن حذيفة بسند صحيح أن هذه الآيات ذكرت عنده ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، فقال رجل: إن هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة، كلا والله لتسلكن طريقهم قدر الشراك [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٠٧/٢)] وعزاه لابن جرير ابن أبي حاتم والحاكم في "المستدرک" [صححه]، وعن ابن عباس نحوه وأقول: هذه الآية وإن نزلت في اليهود لكنها ليست مختصة بهم؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكلمة "من" وقعت في معرض الشرط فتكون للعموم فهذه الآيات الكريمة متناولة لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو الكتاب والسنة، والمقلد لا يدعى أنه حكم بما أنزل الله بل يقر أنه حكم بقول العالم الفلاني وهو لا يدري هل ذلك الحكم الذى حكم به هو من محض رأيه أم من المسائل التى استدلت عليها بالدليل ثم لا يدري أهو أصاب في الاستدلال أم أخطأ وهل أخذ بالدليل القوي أم الضعيف! فانظر يا

أو من تركه عمداً وأجاز وهو يعلم فهو من الكافرين، فيكون في المسلمين أو ليس

= مسكين ماذا صنعت بنفسك، فإنك لم يكن جهلك مقصوراً عليك بل جهلت على عباد الله فأرقت الدماء وأقمت الحدود هتكت الحرم بما لا تدري، فقبح الله الجهل بما أنزله، ولا سيما إذا جعله صاحبه شرعاً وديناً له وللمسلمين، فإنه طاغوت عند التحقيق وإن ستر من التلبس بستر رقيق فيا أيها المقلد أخبرنا أى القضاة أنت من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثان في النار، فأما الذى في الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار". أخرجه أبو داود وابن ماجه عن بريدة [وصححه الشيخ الألباني في "الإرواء" (٢٦١٤)]. فيا لله عليك بل قضيت بالحق وأنت تعلم أنه الحق إن قلت نعم فأنت وسائر أهل العلم يشهدون بأنك كاذب، لأنك معترف بأنك لا تعلم ما الحق، وكذلك سائر الناس يحكمون عليك بهذا من غير فرق بين مجتهد ومقلد، وإن قلت بل قضيت بما قاله إمامي ولا تدري أحق هو أم باطل كما هو شأن كل مقلد على وجه الأرض فأنت بإقرارك هذا أحد رجلين إما قضيت بالحق ولا تعلم أنه الحق أو قضيت بغير الحق لأن ذلك الحكم الذى حكمت به هو لا يخلو عن أحد الأمرين إما أن يكون حقاً وإما أن يكون غير حق، وعلى كلا التقديرين فأنت من قضاة النار بنص الصادق المختار، وهذا ما أظن يتردد فيه أحد من أهل الفهم لأمرين: أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل القضاة ثلاثة، وبين صفة كل واحد منهم بيان يفهمه المقصر والكامل والعالم والجاهل.

الثاني أن المقلد لا يدعى أنه يعلم ما هو حق من كلام إمامه وما هو باطل بل يقر على نفسه أنه يقبل قول الغير ولا يطالبه بحجة، وأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فأفاد هذا أنه حكم بشيء لا يدري هو فإن وافق الحق فهو قضى بالحق ولا يدري أنه الحق وإن لم يوافق الحق فهو قضى بغير الحق وهذان هما القاضيان اللذان في النار فالقاضى المقلد على كل حال يتقلب في نار جهنم كما قال قائل:

خذى بطن حرشاً أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشاً لمن طريق / ١٢ فتح.

بكفر ينقل عن الملة والدين، ولكن كفر دون كفر ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: فرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ مقتولة ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ﴾ مفعولة ﴿بِالْعَيْنِ﴾ مفعولة ﴿بِالْأَنْفِ﴾ مجدوع ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ﴾ مصلومة ﴿بِالْأُذُنِ وَالسِّنِّ﴾ مقلوعة ﴿بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ﴾ أى: ذات قصاص فيما يمكن الاقتصاص منه، وأما ما لا يمكن القصاص ككسر عظم وجرح لحم مما لا يمكن الوقوف على نهايته فلا قصاص فيه، ومن قرأ والعين بالعين بالرفع وكذلك الباقي فيكون عطفًا على أن وما في حيزه أى: كتبنا عليهم فيها العين بالعين ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص بأن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ أى: التصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: للمتصدق يكفر الله به ذنوبه أو للجاني لا يؤاخذ الله به كما أن القصاص كفارة له ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم بالعدل نزلت لما^(١) اصطلحوا أن لا يقتل شريف بوضيع ورجل بامرأة ﴿وَوَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أى: وأتبعناهم فحذف المفعول لدلالة الظرف عليه والضمير للبينين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثان متعدى إليه بالباء ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: حاكمًا بما فيها ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَوُثُّورٌ﴾ يستضاء به في إزالة الشبهات، والجملة أعنى: "فيه هدى" في موضع نصب على الحال ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لا يخالفه إلا في قليل ﴿وَهُدًى﴾^(٢) وموعظة للمتقين زاجرًا عن ارتكاب المحارم لمن اتقى الله وخاف عقابه ﴿وَلِيَحْكَمْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ عطف على وآتيناه الإنجيل أى: وآتيناه الإنجيل، وقلنا لهم: ليحكم ومن قرأ ليحكم بكسر اللام وفتح الميم فتقديره وآتيناه ليحكم ﴿وَمَنْ لَّمْ

(١) أى اليهود/ ١٢.

(٢) فقلوه: "فيه هدى" مبهم وهدى للمتقين مبينة أو الأول: ذكر أن فيه الهداية والنور والثاني: جعل نفس الإنجيل هاديًا وواعظًا/ ١٢ وحيز.

يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(١)»: الخارجون عن طاعة ربهم
«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» أى: القرآن «بِالْحَقِّ» متلبسا به «مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ الْكِتَابِ»: من جنس الكتب المنزلة «وَمُهِمَّنَا عَلَيْهِ»: رقيقا على سائر الكتب
وشهيذا. فكل خير يوافقه فحق وما خالفه منها فمحرف باطل أو حاكما على ما قبله
من الكتب «فَاحْكُم بَيْنَهُم» بين أهل الكتاب «بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» إليك «وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ» بالانحراف «عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» ولتضمن لا تتبع معنى الانحراف تعلق
به عن أو حال عن الفاعل أى: مائلا عما جاءك «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ» أيها الناس
«شِرْعَةً^(٢)»: سبيلا «وَمِنْهَا جَاءَ»: سنة السنن هى مختلفة فى التوراة شريعة وفى الإنجيل

(١) وفى الآية دلالة على اشتراط الاجتهاد فى القضية وإشارة إلى ترك الحكم بالتقليد، فإن
قلت: إذا كان التخاصم ببلدة لا يوجد فيها مجتهد هل يجوز للخصميين الترافع إلى
من بها من القضاة المقلدين؟ قلت: إذا كان يمكن وصولها إلى قاض مجتهد لم يحز
للمقلد أن يقضى بينهما بل يرشدهما إلى القاضى المجتهد أو يرفع القضية إليه
ليحكم فيها بما أنزل الله أو بما أراه الله، فإن كان الوصول إلى القاضى المجتهد متعذرا
أو متعسرا فلا بأس بأن يتولى ذلك القاضى المقلد فصل خصوماتهما لكن يجب عليه أن
لا يدعى علم ما ليس من شأنه، فلا يقول: صح أو لم يصح شرعا بل يقول قال إمامه
كذا ويعرف الخصمين أنه لم يحكم بينهما إلا بما قاله الإمام الفلانى وفى الحقيقة: هو
محكم لا حاكم، وقد ثبت التحكيم فى هذه الشريعة المطهرة كما جاء ذلك فى القرآن
الكريم فى شأن الزوجين، وأنه يوكل الأمر إلى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل
المرأة، وكما فى قوله تعالى: "يحكم به ذوا عدل منكم" (المائدة: ٩٥) وكما وقع فى زمن
النبوّة والصحابّة فى غير قضية ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب، والعور خير من العمى/
١٢ فتح.

(٢) الشريعة فى الأصل الطريقة الظاهرة إلى الماء والمنهاج الطريق الواضح فالعطف للجمع بين
الوصفين، والمراد: الأحكام العلمية، وأما أصول الدين فلا اختلاف بوجه آخر/ ١٢

شريعة يحل الله فيها أشياء هي حرام في غيرها لتمييز المطيع من العاصي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ جماعة متفقين على دين وطريقة واحدة في جميع الأعصار ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه ﴿وَلَكِنْ﴾ أراد ﴿لَيَبْلُوكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة في كل عصر هل تعملون بها وتعتمدون حكمتها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ابتدروا وسارعوا إلى الأعمال الصالحة ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أيها الناس ﴿جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء فيجزى الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ﴾ عطف على الكتاب أو على الحق أى: أنزلنا إليك الحكم أو أنزلنا إليك الكتاب بأن احكم أو تقديره وأمرنا أن احكم ﴿بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيراً بين أن يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم ويردهم إلى حكامهم فأمر أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يردهم إلى حكامهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾ أهل الكتاب ﴿أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾ بدل اشتغالهم من هم أو مفعول له أى: مخافة أن يفتنوك ويضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ نزلت حين قالت رؤساء اليهود ننطلق إلى محمد لعلنا نفتته، فقالوا قد تعلم أنا إن ابتعناك اتبعناك الناس ولنا خصومة فاقض لنا على خصمنا إن جئنا نتحاكم إليك فنؤمن بك ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما حكمت ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت نكالهم ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة ربهم ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١) يَتَّبِعُونَ أى: يريدون، وعن حكم الله يعدلون

= وجيز. وفي الفتح وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن وأما بعده فلا شرعة ولا منهاجاً إلا ما جاء به صلى الله عليه وسلم/ ١٢.

(١) استفهام إنكار على اليهود حيث هم أهل الكتاب ومع ذلك يعرضون عن حكم الله تعالى/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ تمييز ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أى: عندهم فاللام للبيان أى: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لمن له اليقين بأنه أعَدِل العادلين وأرحم الراحمين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿١٠١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿١٠٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِّن يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١٠٤﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ فلا تعاشرهم معاشرة الأحاب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فهم متفقون على مخالفتكم ومعاداتكم

(١) ولما بين كمال عداوتهم مع المؤمنين وقلة عقلهم خاطب المؤمنين بالنهى عن موالاته أعدائهم فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا" الآية/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ^(١) مِنْهُمْ﴾ يحشر معهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٢)﴾ فاحذر عن موالاة من ظلم نفسه فإنهم الظالمون ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شك وفاق كابن^(٣) أبي ابن سلول وأضرابه ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ في محبتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ^(٤)﴾ بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار ﴿فَعَسَى^(٥) اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ للمسلمين على أعدائهم ﴿أَوْ^(٦) أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ كضرب الجزية عليهم وهتك ستر المنافقين ﴿فَيُضْبِحُوا﴾ هؤلاء المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من النفاق ودس أخبار المسلمين على أعدائهم ﴿نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرئ بالنصب عطف على يأتي بتقدير الضمير أى: عسى الله أن يقول الذين آمنوا به أو باعتبار أن قولهم لما كان مسببا عن الإتيان بالفتح أقيم مقامه مبالغة في اتحاده معه وبالرفع كلام مبتدأ وبغير أو على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ ﴿أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجباً من كذبهم وحلفهم بالباطل أهؤلاء الذين

(١) فيه تشديد عظيم ومن هذا ورد "من أحب قوماً فهو منهم" / ١٢ وحيز.

(٢) المراد من سبق في علم الله تعالى أنه يموت ظالماً / ١٢.

(٣) رأس المنافقين / ١٢ وحيز.

(٤) قال الواحدى: الدائرة من دوائر الدهر كالدولة، وهى التى تدور من قوم إلى قوم، والدائرة هى التى تخشى كالهزيمة والحوادث المخوفة فالدوائر تدور والدوائر تدور / ١٢ كبير.

(٥) وعسى فى كلام الله سبحانه وعد لا يتخلف والفتح ظهور النبى صلى الله عليه وسلم على الكافرين / ١٢ فتح.

(٦) قوله: "أو أمر من عنده" يعنى: لا يكون للناس فيه فعل البتة كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير محاربة ولا عسكر / ١٢ كبير.

أقسموا لكم بأغلظ الأيمان إثم أوليائكم ومعاونوكم على الكفار أى: يجتهدون جهد أو مصدر من لفظ أقسموا لأنه بمعناه ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطل كل عمل خير لهم ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ فى الدنيا والآخرة وهو من قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قد ارتد عن الإسلام قبائل العرب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ بدلهم ومكانهم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ يهديهم ويثبتهم ﴿وَيُحِبُّوهُمْ﴾ هم أبو بكر

(١) ولما ذكر أقوامًا كافرين ظالمين نادمين خاسرين عقب قومًا أحسن منهم وأقبل فقال "يا أيها الذين آمنوا" / ١٢ وجيز.

(٢) وهم قوم أبى موسى الأشعرى على الأصح كما فى المستدرک لأبى عبد الله الحاكم / ١٢ وجيز. المراد بالقوم الذين وعد الله بالإتيان بهم هم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين فى جميع الزمن قال بعض الصحابة ما ولد بعد النبى أفضل من أبى بكر لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة / ١٢.

(٣) اعلم أن حب الحمود وبغض المذموم صفتان من صفات الكمال فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يحب صفات الكمال.

وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور والجهل والظلم والكذب ونحو ذلك لا يحب هذا ولا يبغض هذا كان الذى يحب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال، والموجود إما أن لا يكون له علم كالجماد فالذى يعلم أكمل منه، والعالم إما أن يحب الحمود ويبغض المذموم وإما أن لا يحبهما، وإما أن يحبهما، ومعلوم أن الذى يحب الحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يحبهما ويبغضهما. وأصل هذه المسألة هى الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا

وأصحابه أو أهل اليمن أو الأشعريون ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين لهم أجنحتهم ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: شداد متغللين عليهم ﴿يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة أخرى لقوم ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ لا كالمنافقين يخافون ويراقبون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ أى: ذلك الأوصاف ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾^(١) بمن هو أهله ﴿إِنَّمَا﴾^(٢) وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بدل من الذين آمنوا أو مرفوع،

= فرق بينها فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإنه لا يكون شيء إلا بمشيئته، ومجمعون على أنه لا يجب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد فالحجة صفة ثابتة له تعالى فهو يجب الصادقين ويجب الصابرين ويجب المقسطين ويجب المحسنين ويجب الذين يقاتلون في سبيله صفاء، وهو يأتي بقوم يحبهم ويحبونه، والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، فليس لمؤمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينفى صفة أثبتتها الله لنفسه وشهد رسوله أن يفسرها برأيه ثم يستحيلها؛ لأن عدم علمنا بكيفية صفة من صفاته لا يوجب نفيها، كما أن عدم علمنا بكنه ذاته لا يستلزم النفى فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل/ ١٢.

(١) ولما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بين لهم من وليهم فقال: "إنما وليكم الله" / ١٢ وحيز.

(٢) لم يقل أولياء إشارة إلى أن المجموع في حكم واحد وإلى التنبيه على أن الولاية على الأصالة لله تعالى وللباقيين تبع، ولأن الولي بزنة فعيل فيستوى فيه التثنية والجمع والواحد كما صرح بمثل ذلك الزمخشري في قوله تعالى "وما قوم لوط منكم ببعيد" (هود: ٨٩) / ١٢ وحيز.

أو منصوب على المدح^(١) ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ متخشعون في صلاتهم وزكاتهم، أو حال من الذين بمعنى أنهم دائمون للركوع أى لصلاة التطوع أو حال من فاعل يؤتون؛ فإن علياً رضى الله عنه أعطى خاتمة في ركوعه لسائل^(٢) فتزلت ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: من يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أى: فإنهم الغالبون: كأنه قال فهم حزب الله وجنده وحزب الله هم الغالبون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٥٨﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا

(١) لا صفة لاشترك الموصوفين في كونهما وصفين، والوصف لا يوصف إلا إذا جرى مجرى

الاسم كالمؤمن مثلاً بخلاف الذين آمنوا، فإنه في معنى الحدوث/ ١٢ وحيز.

(٢) كما رواه ابن جرير وابن مردويه بروايات مختلفات [ذكره ابن كثير في "تفسيره"

(٧٢/٢) وقال: "وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدنا وجهالة رجالها"

وذكرها السيوطي في "الدر المنثور" (٥١٩/٢)، وذكر بلفظ الجمع تحريضاً على المبادرة

إلى الصدقة فيدخل فيه كل من يبادر/ ١٢ وحيز.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ لَوْلَا يَنْتَهُهُمْ الرَّبَّنِيَّةُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ
وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ
غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ
الْنَّعِيمِ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ
لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الدِّينِ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ﴾ قرئ والكفار بالجر فيكونون داخلين في
المستهزئين، وبالنصب عطف على الذين اتخذوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في اتخاذ هؤلاء أولياء
﴿إِنْ كُنْتُمْ ^(١) مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرعه ودينه الذي اتخذه هؤلاء هُزُوءًا ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ الناس
﴿إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَا ^(٢)﴾ أى: المناداة ﴿هُزُوءًا وَلَعِبًا ^(٣)﴾ تضحكوا فيما بينهم

(١) ولما ذكر اتخاذهم دينكم هُزُوءًا أخذ بين قبيح صنيعهم فقال وإذا ناديتم/ ١٢ وجيز.

(٢) هم المنافقون يظهرون الإسلام عند المسلمين وفي قومهم يضحكون ويستهزئون/ ١٢
وجيز.

(٣) يحكموها ويستهزئونها فليست المناداة عندهم ولا ركوع في صلاتهم/ ١٢ وجيز.
وليس في كتاب الله تعالى ذكر الأذان إلا في هذا الموضع، وأما قوله تعالى في

يحكونه ويستهزئونه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فإن العقل يمنع من الاستهزاء بأمر معقول مشروع ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ﴾: تنكرون وتعيون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ قيل: نزلت في اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يؤمن به فقال: "نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل" إلى قوله "ونحن له مسلمون" فقالوا لما سمعوا ذكر عيسى والله لا نعلم ديناً شراً من دينكم^(١) ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على "أن آمنا" وحاصله: أنكم ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون عنه، أو عطف على علة محذوفة تقديره: تنكرون منا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم ويجوز أن يكون حالاً من فاعل تنقمون ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ﴾: المنقوم ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ تمييز عن شر أى جاء ثابتاً عنده، وهو من باب: تحيتهم بينهم ضرب وجيع. فإن المثوبة مختصة بالخير ﴿مَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أى: هو دين من لعنه الله فلا بد من حذف مضاف هنا أو في قوله بشر من ذلك أى: من أهل ذلك ﴿وَعَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على لعنه والطاغوت: العجل أو الكهنة أو الشيطان ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فيه مبالغة ليست في قوله أولئك شر^(٢) قيل: لأن مكاهم سقر ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: قصد الطريق المتوسط والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلى المؤمنين ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ يعنى

= سورة الجمعة: "إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة" (الجمعة: ٩) فهو خاص ببدء الجمعة / ١٢.

(١) رواه محى السنة والواحدى وغيرهما / ١٢ وجيز.

(٢) كما تقول في التعظيم سلام على مجلسه ففيه مبالغة، فإن كان ذلك في الآخرة يراد بالمكان حقيقة، لأن جهنم مكاهم. وإن كان ذلك في الدنيا فالمراد المكانة / ١٢ وجيز.

منافقي اليهود ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ حال من ضمير قالوا ﴿بِالْكَفْرِ﴾ حال من فاعل دخلوا ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أى: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لم يؤثر فيهم كلامك^(١) ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: من الكفر وفيه وعيد ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: من منافقيهم أو من اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: المحارم أو الكذب ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾: الاعتداء على الناس أو مجاوزة الحد في المعاصي ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ﴾: الحرام خص بالذكر للمبالغة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: شيئاً عملوه ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾: زهادهم ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾: علماءهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمِ﴾: كذبهم وافتراءهم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢): من عدم النكير عليهم التحضيض لهم على

(١) واللائق بحال العاقل إن فرضنا أنه دخل متلبساً بالكفر أن لا يخرج إلا مؤمناً/ ١٢

وحيز.

(٢) فيه توبيخ العلماء والزهاد على السكوت، قال السلف: ما نعلم آية أشد توبيخاً للعلماء والزهاد على السكوت عن النهي عن المعاصي من هذه الآية والعمل لا يسمى صناعة إلا إذا تمكن صاحبها فيها وينسب إليه، ففيه إشارة إلى أن ترك نهى المنكر عادة خواصهم/ ١٢ وحيز. وبخ سبحانه الخاصة وهم العلماء التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما هو أغلظ وأشد من توبيخ فاعلى المعاصي فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرحوا لها عن قلوبهم فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يضمن ولا يغني عن جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالاً من العصاة فرحم الله عالماً قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أعظم ما افترضه الله عليه وأوجب ما أوجب عليه النهوض به، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين لا يخافون فيك لومة لائم وأعنا على ذلك وقونا عليه ويسره لنا وانصرنا على من تعدى حدودك وظلم عبادك، إنه لا ناصر لنا سواك ولا مستعان غيرك يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين/ ١٢.

النهي عن ذلك، فإن لولا إذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مجاز عن البخل أى هو مسك كف الله عنهم نعمة الدنيا حين جحدوا القرآن بعد ما كانوا فى خصب ورخاء فقالوا ذلك ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أى: هم البخلاء أو دعا عليهم بالبخل قيل: هى من الغل فى النار ﴿وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ^(١) يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ليس له بخل أصلاً وله غاية الجود وتثنية اليد تدل عليها، وقيل يداه أى: نعمة الدنيا والآخرة ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تأكيد لذلك أى هو مختار يوسع ويقتر بحسب مشيئته وإرادته ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ﴾ فاعل يزيدن ﴿إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: كلما نزلت آية كفروا وازدادوا طغياناً وكفراً ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: بين طوائف اليهود ﴿الْعَدَاوَةَ^(٢)﴾ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فلا يتفق كلمتهم ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾: مع المسلمين ﴿أَطْفَأَهَا^(٣)﴾ اللَّهُ﴾ بأن أوقع

(١) أعلم أن اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء، والذى يدل عليه أن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيديه على سبيل الكرامة، ولو كان معناه بقدرته أو بنعمته أو ملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم وامتنع كون آدم مصطفى بذلك؛ لأن ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلا بد من إثبات صفة أخرى وراء ذلك يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء وبه قال أبو الحسن الأشعرى على ما نقله الرازى عنه وجماعة من أهل الحديث/ ١٢ فتح. فلا نكذب بأصلها لعدم علمنا بوصفها وآمنا بالله كما هو بأسمائه وصفاته/ ١٢.

(٢) لا يقال: إن هذا المعنى حاصل بين المسلمين أيضاً فكيف يكون عيباً عليهم لا على المسلمين لأننا نقول: إن هذه البدع والافتراق لم يكن شيئاً منها حاصلًا بينهم فى الصدر الأول، وإنما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم فحرى جعل ذلك عيباً عليهم فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم/ ١٢ فتح.

(٣) أى: كلما جمعوا للحرب جمعًا وأعدوا له عدة شنت الله جمعهم وذهب بريحهم، وذلك بأن بعث الله عليهم نحت نصر البابلى ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى، ثم

بينهم منازعة كف بها شرهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد أو يسعون بمعنى يفسدون ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: لا يرضى عنهم ولا يعزهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مع هذه الجرائم ﴿آمَنُوا﴾: بالقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾: معاصيهم ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ﴾^(١) سَيِّئَاتِهِمْ: الماضية ﴿وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: بأن يصدقوا ولا يحرفوا ويعملوا بالأحكام ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أى: القرآن أو كتب الأنبياء مطلقاً ﴿لَا كُلُّوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: لأنزل عليهم المطر وأخرج لهم نبات الأرض، أو من الأشجار والزرورع أو من غير كد وتعب قيل أراد به التوسعة كقولهم: فلان بالخير من قرنه إلى قدمه ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾: جماعة غير غالية ولا مقصرة كمؤمنى أهل الكتاب ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾: مقول فى شأنه ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: بئس ما يعملونه، وفيه معنى التعجب أى ما أسوأ عملهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ بِلَغٍ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥ قل

= أفسدوا فسلط عليهم الجوس وهم أهل الفرس، ثم أفسدوا فقالوا يد الله مغلولة، فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة أبدا وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ثم يبطل الله ذلك/ ١٢ فتح.

(١) قال بعض العلماء: من آمن ولم يراع التقوى لم يكفر جميع ما مضى من سيئاته فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه: "أنواخذ عملنا فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم: من أحسن منكم فى الإسلام فلا يواخذ بها ومن أساء أخذ بعمله فى الجاهلية والإسلام"، وأما من قال المراد من قوله من أحسن فى الإسلام عدم النفاق والمراد من الإساءة النفاق فقوله تمحل يخالف ظاهر الآية/ ١٢ وحيز. [الحديث أخرجه البخاري فى "استئابة المرتدين" (٦٩٢١) ومسلم فى "الإيمان" (٣٢٢/١) ط الشعب.]

يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا
وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّبِّثُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا
قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ
﴿٧٧﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا
وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عِبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٩﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ
وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨١﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٢﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٣﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي
دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا
وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٨٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أى: جميعه غير خائف من شيء وإن لم تفعل: ولم تبلغ جميعه وكتمت آية منه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: وما أدبت شيئاً منها كمن أضاع ركن صلاة، أو فكأنتك ما بلغت شيئاً منها، فإن كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أى: أنا ناصرك وحافظ روحك فلا تخف أحداً^(١) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس من قبل ذلك، فلما نزلت تلك الآية تركت الحراسة^(*) ويجاهد الأعداء بعيب دينهم وسب آلهتهم بلا خوف. قيل: المائدة آخر ما نزل من القرآن فلا يشكل بشج رأسه الأشرف صلى الله عليه وسلم، أو المراد حفظ روحه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أى: بلغ إليهم رسالتك والله الهادى وليس عليك هداهم قيل معناه: لا يمكنهم مما يريدون بك من الهلاك. قيل: الأمر بتبليغ كل ما قصد منه اطلاع الناس فإن من الأسرار ما يحرم إفشاؤه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أى: دين يصح أن يسمى شيئاً ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أى: تؤمنوا بجميع الكتب وتصدقوها ولا تكتموا شيئاً منها فمن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ كرهه ليتعقب عليه قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإنهم الأشقياء وضرر كفرهم لا يلحق بغيرهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: باللسان كالمنافقين أو المراد منه المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ مرفوع بالابتداء وخبره محذوف

(١) رواه الترمذى وقال: الحاكم صحيح الإسناد/ ١٢ وحيز. [أخرجه الترمذى (٣٢٥٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألبانى في "صحيح الترمذى" (٣٤٤٠)]

(٥) أخرجه الترمذى (٣٢٥٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألبانى في "صحيح الترمذى" (٣٤٤٠).

أى والصائبون كذلك وهو اعتراض مشعر بأنهم مع كمال ضلالهم إن آمنوا يتاب عليهم فغيرهم من باب الأولى وهم طائفة من النصارى أو من عبدة الملائكة أو قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة، وقيل: غير ذلك ﴿وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: بقلبه أو ثبت على الإيمان مبتدأ خبره "فلا خوف" والجملة خبر إن وضمير اسمها محذوف أى: من آمن منهم أو بدل من اسم إن وخبره فلا خوف ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم من الدنيا ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَآرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾: ليذكروهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ﴾: تشتهى أنفسهم ﴿جَمَلَةً شَرْطِيَّةً وَقَوْلِهِ: ﴿فَرِيقًا﴾: من الأنبياء ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ دال على جواب الشرط وهو استكبروا، وقوله: "فريقا كذبوا" مستأنفة كأنه قيل: كيف فعلوا برسلمهم؟ وجهلة الشرط والجزاء صفة "رسلا" أى كلما جاءهم رسول منهم ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أى: حسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم شر بما صنعوا ومن قرأ "ألا تكون" بالرفع يكون أن مخفف من المثقلة ﴿فَعَمَّوْا﴾: عن الدين والدلائل ﴿وَصَمُّوْا﴾: عن إسماع الحق حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أى: ثم تابوا فقبل الله توبتهم ﴿ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمُّوْا﴾ كرة أخرى ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من ضمير الجمع ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أى: إني مخلوق مثلكم فاعبدوا خالق الكل ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: في عبادته ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ﴾: منزله ﴿النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: ما لهم أحد ينصرهم لأنهم ظلمة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ^(١)﴾ أى: أحد ثلاثة من الآلهة هو المسيح وأمه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ

(١) أنه أحد ثلاثة من الآلهة هو المسيح وأمه قال الله تعالى: "عانت قلت للناس اتخذوني

وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴿١﴾ أَى: ولم يوحّدوا ﴿لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير ليعلم أن ترتب العذاب لكفرهم، ومن للبيان ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾^(١) إِلَى اللَّهِ﴾ بالانتهاء عن تلك العقيدة الوخيمة بعد هذا التهديد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر لهم ويرحم عليهم بعد التوبة مع هذا الذنب الجسيم ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: ما هو إلا رسول كالرسل السابقة ﴿وَأُمَمُهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربها وكتبه ﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: يحتاجان إليه، فكيف يكونان إلهين؟! ﴿انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ إِلَيَّ يُؤْفِكُونَ﴾^(٢) أَى: كيف يصرفون عن الحق وتدبر الآيات ﴿قُلْ﴾: يا محمد لمن يعبد غير الله ومنهم النصارى ﴿اتَّعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾^(٣): لا يملك^(٣) أن يدفع عنكم ضر المصائب ولا أن يوصل إليكم نفع الصحة

= وأمى إلهين من دون الله" (المائدة: ١١٦) وقد حكى عنهم أنه جوهر واحد وثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس والثلاثة إله واحد كالشمس يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات، وبالأبن الكلمة، وبالروح الحياة اختلطت الكلمة بجسد عيسى كالماء في الخمر فكل من الثلاثة إله ولا يجوز في العربية في ثالث ثلاثة إلا الإضافة فلا يقال ثالث الثلاثة/ ١٢ وحيز.

(١) هذا من لطف الله تعالى استدعاء إلى التوبة من تلك المقالة الباطلة بعد أن كرر عليهم الشهادة بكفرهم/ ١٢ وحيز.

(٢) ودخلت ثم للتراخي ما بين العجبين، فإن الثاني أعجب من الأول فإنه الإعراض عن الآيات أعجب من التوضيح/ ١٢ وحيز.

(٣) والمراد هنا المسيح عليه السلام وإيثار "ما" على "من" لتحقيق ما هو المراد من كونه معزل من الألوهية ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلاً، وقدم سبحانه الضر على النفع لأن دفع المفسد أهم من جلب المصالح

والسعة ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: بالأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾: بالعقائد فيجازى عنها ﴿قُلْ﴾^(١) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ: لا تتجاوزوا عن الحد فيه ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾: حال كون دينكم غير الحق أى باطلاً وقيل: صفة مصدر أى غلوا باطلاً فإن غلو الحق وهو التفحص عن حقائقه محمود ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ أى: أئمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَضَلُّوا﴾: خلقاً كثيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أى: استمروا على الضلال أو بعد بعثته أو ضلوا قبل عن مقتضى العقل ثم عن مقتضى الشرع.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْيسِينَ وَرُحْبَكانَا

= وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية والإلهية حيث لا يستطيع ضرراً ولا نفعاً وصفة الرب والإله أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته وهذا في حق عيسى النبي فما ظنك بولى من الأولياء، فإنه أولى بذلك/ ١٢ فتح.

(١) ولما سبق القول فى أباطيل اليهود وشيء من ترهات النصارى جمع الفريقين فى النهى فقال "قل يا أهل الكتاب" الآية/ ١٢ وحيز.

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿١٤﴾ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسحوا قرده وأصحاب المائدة لما لم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم ^(١) آية فمسحوا خنازير أو ملعونون في الزبور والإنجيل ^(٢) على لسانهما ﴿ذَلِكَ﴾ أى: اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أى: بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ ﴿٣﴾ فَعَلُوهُ﴾: لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه قيل: أى لا ينتهون من تناهى عن الأمر إذا امتنع ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ تعجب مؤكدا بالقسم ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴿٤﴾﴾: من أهل الكتب ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: يوالون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فإن المنافقين يوالون المشركين ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ما بعد أن هو المخصوص بالذم كأنه قال: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم أى

(١) وقال مجاهد والسدى وغيرهما/ ١٢.

(٢) هذا عن ابن عباس/ ١٢.

(٣) يعنى جمعوا بين فعل المنكر والتجاهر وعدم النهى/ ١٢ وحيز.

(٤) إن كان المراد أهل الكتب الذين فى عهد المسلمين فترى بصرية/ ١٢.

موجب سخطه ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالتَّيَّبِ﴾ أى: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إذ الإيمان يمنع عن ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١): خارجون عن طاعة الله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فإنهم^(٢) متفقون في الانهماك في حسدهم وعنادهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾^(٣) نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ عليهم القرآن بكوا وأسلموا ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبره وقيل: غير ذلك ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ﴾ أى: علماء ﴿وَرُهَبَانًا﴾ أى: عباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٤) كما يتكبر المشركون واليهود ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾ عطف على يستكبرون بيان لركة أفندهم ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ جعلت أعينهم من كثرة البكاء كأنها تسيل بأنفسها ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾

(١) وهذا من وضع الظاهر موضع المضمّر، وأصل الكلام: ولكنهم فاسقون، ولما طال الكلام أعيد كثيراً منهم بلفظه المذكور فلا يلزم أن معناه أن كثيراً من ذلك الكثير فاسقون/ ١٢ وجيز.

(٢) فإنهما متفقان في الحسد، وفي تقديم اليهود إشارة إلى أنهم أصول في العداوة/ ١٢ وجيز. (٣) لم يرد به جميع النصارى؛ لأنهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الآية فيمن أسلم منهم كالنجاشي وأصحابه، وقيل في جميعهم؛ لأن اليهود أقسى قلباً والنصارى ألين قلباً منهم، وكانوا أقل مظهارة للمشركين من اليهود/ ١٢ معالم.

(٤) بل هم متواضعون بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك، والعموم أولى ولا وجه لتخصيص قوم دون قوم والآية الكريمة ساكتة عن قيد الإيمان، وإنما هو مدح في مقابلة ذم اليهود، وليس بمدح على الإطلاق/ ١٢ فتح البيان.

من الأولى للابتداء والثانية للتبيين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ من الذين شهدوا بأنه حق أو من أمة محمد عليه ^(١) الصلاة والسلام فإنهم شاهدون يوم القيامة لنبيهم أنه قد بلغ، وللرسل أنهم قد بلغوا ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ نقل ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتكم إلى دينكم فأجابوا. أى: أى شيء حصل لنا؟ وقوله: لا تؤمن حال من ضمير "لنا" أى: غير مؤمنين ﴿بِاللَّهِ﴾: بتوحيده ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ونطمع حال وعامله عامل الحال الأولى، لكن مقيدًا بالحال الأولى بتقدير: ونحن نطمع وعطف على لا تؤمن أو حال من فاعل لا تؤمن ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ﴾: أعطاهم ﴿بِمَا قَالُوا﴾: سألوا رهم وتمنوا ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: من تحت غرفها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا القول والعمل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ التكذيب بالآيات وإن كان داخلا في الكفر لكن كفرهم لأجل تكذيبهم آيات رهم والكلام في بيان المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٤٧ ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ٤٨ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن

(١) رواه الحاكم في مستدركه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس/ ١٢ وجيز. [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٤٣/٢)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن ابن عباس -رضي الله عنه-]

(٢) رواه الطبراني عن ابن عباس/ ١٢ وجيز. [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٣٨/٢) وعزاه لابن أبي شيبة وأبي الشيخ.]

يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ بِالْأَيْمَنِ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا
تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
ذَلِكَ كَفَّرةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٢﴾
إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٨٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
﴿٨٤﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا
اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أى: ما طاب ولذ منه
﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: لا تبالغوا فى التضيق على أنفسكم فى تحريم المباحات عليها، أو لا
تجاوزوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم، أو لا تعتدوا فى تناول الحلال بل خذوا منه
بقدر الكفاية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١): لا يرضى عمن تجاوز الحد فى الأمور

(١) ولما مدح النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً وشيئتهم الزهد عن الطيبات أوهم ذلك
رغبة المسلمين فى مثل تقشفهم وتبتلهم فبين أن الإسلام لا رهبانية فيه فقال: "يا أيها
الذين آمنوا لا تحرموا" قال ابن جرير لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله
 لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبى صلى
الله عليه وسلم التبتل على عثمان بن مظعون [أخرجه البخاري فى "النكاح" (٥٠٧٣)]

نزلت في جمع من الصحابة منهم على بن أبي طالب رضى الله عنه تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات الطعام واللباس وهموا بالإخفاء ولذلك قيل الاعتداء: الإخفاء ﴿وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾^(١) من ابتدائية متعلقة بكلوا وحلالا مفعوله أو للتبعض مفعول كلوا وحلالا حال من الموصول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ قيل لما نزلت الآية في منعهم عما اتفقوا عليه من الإخفاء وغيره قالوا: يا رسول الله: إنا قد حلفنا على ذلك فترل قوله ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾^(٢): هو قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله، وبلى والله، أو في الهزل أو في المعصية أو على

= ومسلم في "النكاح" (٥٤٩١٣) ط الشعب] فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب الله إليه عباده وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه لأمته واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون إذ كان خير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كان ذلك كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حلة وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرًا من عارض الحاجة على النساء، قال: فإن ظن ظان أن الفضل في غير الذى قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وهذا ما فضل بينهما من القيامة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها ولا شيء أضر على الجسم من المطاعم الردية، لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببًا إلى طاعته/ ١٢ فتح.

(١) قال ابن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه، والطيبات ما أغذى وأئمنى وأما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه، إلا على وجه التداوى، ثم وصاهم الله تعالى بالتقوى/ ١٢ فتح.

(٢) وقد ذهب الجمهور من الصحابة ومن بعدهم إلى أنها قول الرجل لا والله وبلى والله في كلامه غير معتمد لليمين وبه فسر الصحابة الآية وهم أعرف بمعاني القرآن قال الشافعى: وذلك عند اللجاج والغضب والعجلة/ ١٢ فتح.

غلبة الظن أو في الغضب أو في النسيان أو هو في ترك المأكل والملبس **﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾**: بما صمتم عليه وقصدتموه إذا حثتم **﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾** أى: كفارة نكته التى تذهب إثم **﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾**: وهو من لا يجد ما يكفيه **﴿مِنْ أَوْسَطٍ﴾** صفة إطعام أو تقديره إطعاماً من أوسط أو طعاماً من أوسط **﴿مَا تَطْعُمُونَ﴾** ^(١) أهليكم أى: من أعدله أو من أمثله، قال كثير من السلف: لكل واحد مد من بر ومعه إدامه، وقال بعضهم: نصف صاع من بر أو تمر ونحوهما وعند الشافعى مد بمد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك أو **﴿كِسْوَتُهُمْ﴾** ^(٢) عطف على إطعام أى: ما يقع عليه اسم الكسوة أو كسوة تجوز صلاته فيها وقيل غير ذلك **﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾** ^(٣): مؤمنة عند الشافعى فالحائث مخير بين هذه الثلاثة **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾**: واحداً منها بأن لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله فى يومه وليلتنه **﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾** أى: فكفارته ذلك، والتابع ليس بشرط عند الشافعى **﴿ذَلِكَ﴾** أى: المذكور **﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾** يعنى: حثتم **﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾** لا تتركوها بغير تكفير أو لا تحلفوا أو عس الحنث إذا لم يكن على ترك مندوب أو فعل مكروه فإن الأفضل الحنث والكفارة حيث **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل ذلك البيان **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**: نعمه فيزيدنكم **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾**: هو القمار بجميع أنواعه **﴿وَالْأَنْصَابُ﴾**: هى حجارة كانوا يذبحون

(١) والظاهر أن المراد قدر الشبع/ ١٢ وجيز.

(٢) والظاهر ما يسمى كسوة/ ١٢ وجيز.

(٣) مؤمنة عند الأكثرين، فالحائث مخير بين هذه الثلاثة، والعنق أفضل ثم الكسوة وبدأ بالأيسر/ ١٢ وجيز.

(٤) ولما نهي عما حرموا على أنفسهم بين ما هو الحرام وهم يتعاطونه يعنى الخمر والباقي ذكر تبعاً له ليعلم أن الخمر من جنسه فقال: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر/" ١٢.

قرايينهم عندها ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾: هى قداح كانوا يستقسمون بها وقد مر ﴿رَجَسٌ﴾^(١): سخط وإثم خبر للخمر وخبر الباقي محذوف أو تقديره تعاطى الخمر والميسر رجس ﴿مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانَ﴾؛ لأنه مسبب من تسويله ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أى: الرجس ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾: لكى تفلحوا بالاجتناب عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٢) وَيَصُدَّكُمْ: يمنعكم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

(١) فى الصحاح الرجس: القذر والعقاب والغضب وهذا كما قال: "إنما المشركون نجس" (التوبة: ٢٨) فلا حاجة على تقدير مضاف فإنه أبلغ/ ١٢ وجيز.

(٢) وكما دلت هذه الآية على تحريم الخمر دلت أيضاً على تحريم الميسر والأنصليب والأزلام قال قتادة: الميسر هو القمار وقال ابن عباس: كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعب وعن على بن أبى طالب قال: النرد والشطرنج من الميسر وعنه قال الشطرنج ميسر الأعاجم، وقال قاسم بن محمد كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر، وعن ابن الزبير قال: يا أهل مكة بلغنى عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها نرد شير، والله يقول فى كتابه "إنما الخمر والميسر" الآية إلى قوله "فهل أنتم منتهون"، وإنى أحلف بالله لا أوتى بأحد يلعب بها إلا عاقبته فى شعره وبشره، وأعطيت سلبه من أتى به، وعن أنس بن مالك قال: الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مال يتيم فأحرقها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال: هى شر من النرد وسئل أبو جعفر عنه فقال: تلك المجوسية فلا تلعبوا بها وأخرج ابن أبى شيبه وابن أبى الدنيا عن أبى موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لعب بالنرد شير فقد عصى الله ورسوله، وأخرج ابن أبى الدنيا عن يحيى بن كثير قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم يلعبون بالنرد فقال: قلوب لاهية وأيد عليله وسنة لاغية وقال ابن سيرين: ما كان من لعب فيه قمار أو صياح أو شر فهو من الميسر، وفى الباب روايات كثيرة مشتملة على الوعيد الشديد لا تطول بذكرها، وقد أشار سبحانه إلى ما فى الخمر

الصَّلَاةُ ذكر الأنصاب والأزلام اللذين هما من الكفر مع الخمر والميسر كأنه للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة، ولذلك خصهما بإعادة الذكر **﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾** من أبلغ عبارة في النهي كأنه قال قد تلوت عليكم من أنواع الصوارف فهل أنتم معها منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه ولم ينفعكم الزجر؟! **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾**: مخالفتهما **﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾** عن الطاعة **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾** فلا ضرر له، وإنما ضررتم به أنفسكم، ولما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم أحد شهداء والخمر في بطونهم فأنزل الله تعالى **﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾**: إثم **﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾**: مما لم يحرم عليهم **﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾**: الحرام **﴿وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحات **﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾** ما حرم عليهم بعد **﴿وَأَمَنُوا﴾** بتحريمه **﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾** استمروا على اتقاء المعاصي **﴿وَأَحْسِنُوا﴾**: العمل ومعناه في الأول: اتقوا الشرك وآمنوا ثم اتقوا أى: داموا على ذلك وآمنوا وثبتوا عليه وازدادوا إيماناً ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا العمل **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** فلا يؤاخذهم بشيء.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ

= والميسر من المفاسد الدنيوية بقوله: "إنما يريد الشيطان" الآية/ ١٢ فتح. [ذكر هذه الآثار السيوطي في "الدر المنثور" (٥٦٤/٢)]

الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا
 اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٦٦﴾ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ
 الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ وَاللَّسْيَارَةُ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٧﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا
 لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ
 الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ الْآلِبَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوَكُمْ اللَّهُ﴾: يختبرنكم ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ هذا في عمرة
 الحديبية المسلمون محرمون والصيد من الوحش والطيور تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله
 قط ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾: تتمكنون من أخذه باليد، لأن فيه صغاراً وفراخاً ﴿وَرِمَا حُكْمُ﴾:
 تحتاجون إلى مزاولة الرمح لأن فيه الكبار ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: ليرى الله وليتميز ﴿مَنْ يَخَافُهُ
 بِالْغَيْبِ﴾: من يخاف الله ولم يره أو من يخاف عقاب الله وهو غائب غير شاهد ﴿فَمَنْ
 اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الإعلام والإنذار ﴿فَلَهُ عَذَابٌ﴾^(١) أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
 تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ^(٢) ﴿أى: محرمون جمع حرام﴾ ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾:
 ذاكراً لإحرامه، والأصح عند السلف والخلف أن العمد والخطأ سيان في لزوم الكفارة

(١) والله الحمد على أن لم يقعوا في مثل ما وقع فيه اليهود، ولما علم من ضمن الكلام حرمة
 الصيد في الإحرام أمرهم صريح فقال: "يا أيها الذين" إلخ/ ١٢ وحيز.

(٢) فإن الإحرام تذكرة للموت والميت لا يؤذى بوجه والحرم موطن الرفق أيضاً/ ١٢.

دون الإثم والآية فيهما ولذلك قيده بمتعمد، أو يدل عليها صريحاً قوله "ومن عاد فينتقم الله" **﴿فَجَزَاءٌ﴾**: أى فعلية أو فواجبه جزاء **﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ﴾** صفة جزاء **﴿مِنَ النَّعَمِ﴾** بيان للمثل ومن قرأ فجزاء بالإضافة فمن إضافة المصدر إلى المفعول والمثل غير زائد، لأنه بصدد بيان أن الجزاء ما هو لا بيان أن عليه جزاء ما قتل، وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة على الأصح ^(١) المنقول عن السلف **﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾**: الجزاء **﴿ذَوَا﴾** ^(٢) **عَدْلٌ**: رجلان صالحان فإن الأنواع تتشابه، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، **﴿مِنْكُمْ﴾**: من المسلمين فما حكم الصحابة بالمثلية فهو المتبع وإلا فلا بد من عدلين يحكمان، هذا هو الأصح، **﴿هَدِيًّا﴾** حال من ضمير به، **﴿بِالْعِ كَعْبَةِ﴾**، صفة هدياً، والإضافة لفظية أى: واصلاً إليه بأن يذبح فيه، ويتصدق به، **﴿أَوْ كَفَّارَةً﴾**، عطف على جزاء، **﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾** بدل منه أو تقديره هى طعام وظاهره التخيير وعليه الأكثرون، وقال بعض من السلف: إن لم يجد هدياً يعدل على أن يقوم مثل ما قتل، فيشتري بثمنه طعاماً لكل مسكين مد فإن لم يجد يصوم، **﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾** ^(٣)

(١) وعند الشافعى للمحرم قتل ما لا يؤكل، فإن الصيد لا يطلق عليه عرفاً غالباً والجمهور على تحريمه إلا ما يؤمر بقتله، وظاهر القرآن على أن فى غير المتعمد لا جزاء وبه قال ابن عباس فى أحد قوليه وابن جبیر وطاوس وعطاء وسالم وبه قال أبو داود والطبري وأحد قولى الحسن البصرى، ومجاهد وأحمد وأما عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فلا إثم، ولكن وجب الجزاء ويأباه قوله "متعمداً" وقوله "ومن عاد"/ ١٢ وحيز.

(٢) فما حكم الصحابة فى المثلية فهو متبع، وإلا فلا بد من عدلين على الأصح/ ١٢.

(٣) الظاهر أن الإشارة إلى أقرب مذكور، وهو الطعام أى: ما سواه من الصوم، فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً وصياماً تمييز للعدل قد أجهل قدر الطعام وعدد المساكين والظاهر ما يسمى طعاماً وما يطلق عليه الجمع لكن عند جمع من السلف يُقَوَّمُ الصيد دراھم، ثم يشتري بها الطعام فيطعم كل مسكين نصف صاع، وعند بعض آخر يُقَوَّمُ

صِيَامًا» أى: ما سواه من الصوم فيصوم عن إطعام كل مسكين يومًا وصيامًا تمييز للعدل، «لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه»: ثقل أمره، وجزاء معصيته أى: أوجبنا عليه ذلك ليدوق، «عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ»: قبل التحريم، «وَمَنْ عَادَ»: إلى مثل ذلك، «فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ»: فى الآخرة أى: فهو ينتقم الله منه ليصح دخول الفاء وعليه مع ذلك الكفارة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا كفارة عليه فإن الأمر أشد، «وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ»: على المصر بالمعاصى، «أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ»: مما لا يعيش إلا فى

= الهدى ثم يشتري بقيمته طعامًا والآية كالصريح فى التخيير بين الثلاثة كالحلف وعليه الأكثرون وهو أصح قول الشافعى/ ١٢ وحيز.

(١) وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره أما السمك فميته حلال مع اختلاف أنواعها، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أحلت لنا ميتتان السمك والجراد" [أخرجه أحمد (٩٧/٢)، وابن ماجه (٣٣١٤)، وانظر "الصحيحة" (١١١٨)]، فلا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، وعند أبى حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انخسار الماء منه ونحو ذلك أما غير السمك فقسمان قسم يعيش فى البر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله، وقسم يعيش فى الماء ولا يعيش فى البر إلا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك، وهو قول أبى حنيفة، وذهب قوم أن ميت الماء كلها حلال لأن كلها سمك وإن اختلف صورها كالجرث يقال له حية الماء، وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق، وهو قول عمر وأبى بكر وابن عباس، وزيد بن ثابت وأبى هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعى، وذهب قوم على أن ما له نظير فى البر يؤكل فميته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الماء ونحوه، وما لا يؤكل نظيره فى البر لا يحل من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخترير، والحمار ونحوها وقال الأوزاعى: كل شيء عيشه فى الماء فهو حلال قيل فالتمساح قال: نعم قال الشعبى لو أن أهلى

الماء في جميع الأحوال **﴿وَطَعَامُهُ﴾** أى: ما يتزود منه يابسًا مالحًا أو ما لفظه ميتًا، **﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾**: منفعة للمقيم، والمسافر، وهو مفعول **﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾** (١) أى: مصيدها، وعن بعضهم المراد بالصيد في الموضعين فعله **﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾** وأما أكل لحم صيد غير المحرم لا لأجله في حال الإحرام فالأصح الجواز بدليل الحديث، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ ٢﴾ تُخْشَرُونَ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾**، عطف بيان للكعبة على جهة المدح، **﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾**: في أمر دينهم ودنياهم به الحج وبه يلوذ الخائف، وهو ثانی مفعولى جعل، **﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾**، عطف على الكعبة جعل الأشهر الحرم قِيَامًا للناس فيه الحج، والأمن من القتال، **﴿وَالْهَدْيَ﴾**: ما أهدى إلى الكعبة، **﴿وَالْقَلَائِدَ﴾**: ذوات القلائد من الهدى ما قلده به الهدى من نعل، أو لحاء شجر أى: علامة يعلم منها أنه هدى، وكانوا يؤمنون بتقليد الهدى فيه يحصل القيام، **﴿ذَلِكَ﴾** أى: الجعل وقيل إشارة إلى ما في السورة من أخبار الغيب، **﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**، فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل الوقوع، وجلب المنافع دليل كمال علمه أو لتعلموا أنا نعلم مصالح دينكم ودنياكم،

= أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس، وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر/ ١٢ معالم.

(١) والظاهر أن الصيد في الموضعين في الصحيحين أن جماعة من الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الصيد للحرم فقال هل كان فيكم أحد أشار إلى الصيد وأعان في القتل قالوا لا فأكلوا وأكل منها/ ١٢ وجيز. [أخرجه البخاري في "الذبايح والصيد" (٥٤٩٢)، ومسلم في "الحج" (٢٧٩/٣) ط الشعب واللفظ له]

(٢) ذكر الحشر إذ يظهر فيه جزاء من أطاع وعصى، ولما ذكر تعظيم الإحرام بالنهاى عن قتل الوحش فيه وذكر تعظيم الكعبة بقوله: "هديا بالغ الكعبة" بين بعده أن الكعبة جعل قِيَامًا للناس فقال: "جعل الله الكعبة"/ ١٢ وجيز.

فتستدلوا بهذا على أنه عالم بما في السماوات والأرض، «وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»،
تعميم بعد تخصيص.

«اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»: لمن انتهك محارمه، «وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»
لمن حافظ عليها «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ»: فإذا بلغ ليس لكم عذر في التفريط،
«وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ»: من تصديق وتكذيب، «قُلْ (١) لَا يَسْتَوِي
الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ (٢)»: الحرام والحلال، «وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ»: فإن ما قل
وكفى خير مما كثر وألهى «فَاتَّقُوا اللَّهَ»: في الخبيث «يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»: أرباب
العقول السليمة، (٣) «لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ»: راجين أن تبلغوا الفلاح.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ
تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ»
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ
بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ

(١) ولما حذر عن المعصية، ورغب في الطاعة وكرر ذلك أتبعه بنوع آخر من الترغيب والترهيب، فقال: "قل لا يستوى الخبيث والآية/ ١٢ وحيز.

(٢) يمكن إطلاقهما على المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والجيد والردى، والمعرفة والجهل، والطاعة والمعصية والأولى حملها على العموم/ ١٢ وحيز.

(٣) والفلاح أقصى غاية مراد المرء العاقل، ولما كرر عدم استواء الخبيث والطيب وأشار إلى أن العقل الخالص هو المميز وبعض الأسئلة من قسم الخبيث أمر باجتنابه فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء" الآية/ ١٢ وحيز.

الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
 شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٢١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ
 ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ
 اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ
 ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا
 لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٢٣﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
 مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا
 وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَىٰ
 وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ ۖ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۚ وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٥﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا﴾: رسول الله صلى الله عليه وسلم. ﴿عَنْ أَشْيَاءَ
 إِنْ تُبَدَّلَكُمْ﴾: تظهر لكم، ﴿تَسْأَلُكُمْ﴾: تغمكم وتضرركم. الشرطية وما عطف
 عليها من الشرطية الأخرى صفة أشياء نزلت ^(١) لما سئل من يطعن في نسبه من أبي
 فعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال آخر أين أبي؟ قال: "في النار" (***) أو نزلت

(١) روى في الصحيحين/ ١٢ وحيز. [أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ

أشياء إن تبدل لكم تسؤكم﴾ (٤٦٢١) ومسلم في "الفضائل" (٢٣٥٩)]

(**) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٥٣/٧/٥) من حديث أبي هريرة. وذكره الحافظ في
 "الفتح" (١٣١/٨).

لما^(١) نزل وجوب الحج، فقال: " في كل عام، فقال: ولو قلت نعم لوجبت فأتركوني ما تركتم " **﴿وَأِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾** أى: وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم، **﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾** أى: عما سلف من مسألتكم، فلا تعودوا لمثلها فهي استئناف أو صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها، **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**: لا يعاجلكم بالعقوبة، **﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾** أى: عن الأشياء بالحذف والإيصال، وقيل الضمير إلى المسألة التي دل عليها "لا تسألوا" فيكون في موقع الصدر وليس من قبيل سألته درهما، لأنهم ما طلبوه، بل سألوا عنه، **﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾**، متعلق بسألها، **﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾** أى: بالأشياء أو بسببها، **﴿كَافِرِينَ﴾**؛ لأنهم تركوها وهجروها وقد^(٢) ورد "اتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم" **﴿مَا^(٣) جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾** أى^(٤) ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير، فلا يطلب إلا مفعولا واحداً و من زائدة، وهى ناقة ولدت خمسة أبطن بجروا أى: شقوا أذنفا وتركوا الحمل، والركوب عليها، **﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾**: هى ناقة لا تركب، ولا تحبس عن كلاء وماء لنذر صاحبها إن حصل ما أراد من شفاء المريض، أو غيره أنها سائبة، **﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾**: الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظر إن كان السابع ميتاً فهو

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد/ ١٢ وجيز. [أخرجه مسلم في "الحج" / باب:

فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧)]

(٢) في الصحيحين/ ١٢ وجيز. [تقدم تخريجه].

(٣) لما نهي عن بعض الأسئلة وأمر بالاكتفاء بما أمرهم علم منه بطريق الأولى عدم جواز اختراع شرع من عند أنفسهم فقال: "ما جعل الله" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) قال النحاة: إن جعل يحيى بمعنى خلق وألقى وصير ومعنى أخذ في الفعل ومعنى سمى، وأما جعل بمعنى شرع وسن فلم يسمع، والحمل على ما سمع أولى وأحرى/ ١٢

وجيز.

للرجال دون النساء، وإن كان ذكراً فهو مذبح للرجال، وإن كان أنثى تركوها فلم يذبح، وإن كان ذكراً وأنثى خلوا الذكر أيضاً من أجل أنثى، وقالوا: وصلت أخاها ولبنها للرجال ﴿وَلَا حَامٍ﴾: هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يحمل عليه، وقد قيل في تفسير كل واحد غير ما نقلنا، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: في تحريمهم هذه الأنعام، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: جهلة كالأنعام، بل هم أضل أو أكثرهم مقلدون لرؤسائهم لا يعرفون أن ذلك افتراء منهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: في الفرائض والسنن، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من سننهم السيئة، ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، الواو للحال والهمزة للإنكار أى: أحسبهم وجدان آبائهم على هذا المثال، ولو كان الحال أن آباءهم جهلة ضلال^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الجار والمجرور اسم فعل أى: الزموا صلاحها، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فيه رخصة^(٣) في ترك الحسنه إذا علم عدم قبولها أو فيها مفسدة وإضرار له منها اتفقت كلمة السلف على ذلك،

(١) فلما حال لا ينبغي أن يتبع فيها/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما رغب ورهب ونصح ولم يفد لهم، بل بقوا مصرين على فعل آبائهم وحسبوا أن تركهم لما هم عليه عار خاطب المؤمنين فقال: "يا أيها الذين آمنوا عليكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) لما توههم من ظاهر الآية الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والإذن في ذلك، بل الأمر به أشار إلى الجواب بأن الرخصة إذا علم عدم قبولها أو إذا كان فيها مفسدة فوقها أو المراد من الاهتداء أن ينكر، ويأمر حسب طاقته، فليس عليه بعد ذلك شيء أو للمنع عن هلاك النفس حسرة وأسفا على ما فيه الفسقة/ ١٢ منه.

والأحاديث تدل^(١) عليه أو معنى إذا اهتديتم إذا ائتمرتكم بالمعروف، وأمرتم به، وانتهيتهم عن المنكر، ونهيتهم عنه حسب طاقتكم أو المراد المنع عن هلاك النفس أسفاً على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله: "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" (فاطر: ٨)، وهو استئناف أو جواب للأمر أى: إن لزمتم أنفسكم لا يضركم، والقياس الفتح لكن أوثرت ضمة الراء لاتباع الضاد، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وعد ووعيد للفريقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ﴾، إضافة إلى الظرف على الاتساع، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، ظرف للشهادة، وحضوره: ظهور أماراته، ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾، بدل من الظرف وفيه دليل على أن الوصية مما لا ينبغي التساهل فيها، ﴿اِثْنَانِ﴾، خبر شهادة أى: شهادة بينكم شهادة اثنين أو فاعلها أى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان، ﴿ذَوَا (٣) عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: من المسلمين، وقيل من أقاربكم وهما صفتان لاثنان، ﴿أَوْ

(١) قال صلى الله عليه وسلم عن تلك الآية: "اتتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت ديناً مؤثرة وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك" / ١٢ وجيز. أخرجه الترمذى، وصححه ابن ماجه وابن جرير والبعغى والحاكم وغيرهم / ١٢ فتح. [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه (٨٦٩)".]

(٢) اعلم أنه تعالى لما أمر بحفظ النفس في قوله: "عليكم أنفسكم" أمر بحفظ المال فقال: "يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم" الآية / ١٢ كبير.

(٣) قيل إن الضمير في منكم للمسلمين، وفي غيركم للكفار وهو الأنسب بسياق الآية، وبه قلل أبو موسى الأشعري، وابن عباس وغيرهما، فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة من المسلمين في خصوص الوصايا كما يفيد النظم القرآني، ويشهد له السبب للزول، وبه قال سعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبيرة وأبو مجلز والنخعي وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وقتادة والسدي والثوري وأبو عبيد وأحمد بن حنبل، وقيل ضمير منكم إلى القرابة وغيركم إلى الأجانب، وإليه ذهب الزهري والحسن وعكرمة،

«آخِرَانِ»، عطف على اثنان، **«مِنْ غَيْرِكُمْ»**: من غير المسلمين أو من غير أقاربكم،
«إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ»: أى: شهادة غير المسلم إذا كنتم فى السفر يعنى: لم
تجدوا مسلماً، **«فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ»**، عطف على ضربتم، وجواب الشرط
محذوف أى: إن كنتم فى سفر ولم تجدوا مسلمين، فيجوز إشهاد غير المسلمين،
«تَحْسِبُونَهُمَا»: تفقوهما صفة للآخران، أو استئناف كأنه جواب ما قيل كيف نعمل
إن ارتبنا فى الشاهدين؟! **«مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ»** أى: صلاة العصر، فإن أهل الكتاب أيضاً
يعظمونها أو بعد صلاة ما، أو بعد صلاتهم، **«فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ»** أى: إن
ارتاب أحد الوارثين فيهما حبسهما للحلف، **«لَا نَشْتَرِي بِهِ»**: بالقسم، **«ثَمَنًا»**،
الجملة مقسم عليه أى: لا نستبدل به عرضاً من الدنيا أى: لا نخلف كاذب، **«وَلَوْ
كَانَ»**: من نقسم له، **«ذَا قُرْبَى»**: قريباً منا لا نخلف له كاذباً أى نحن رجال عادتنا
الصدق لنا أو علينا، **«وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ»** أى: الشهادة التى أمر الله بإقامتها، **«إِنَّا
إِذَا لَمِنَ الْإِثْمِينَ»**: إن كنمنا، **«فَإِنْ عَثَرَ»**: اطلع **«عَلَى أَثْمَها»** أى: آخرين
«اسْتَحَقَّا إِثْمًا»: استوجبا إثمًا بيمينهما الكاذبة، **«فَآخِرَانِ»**: فشاهدان آخران،
«يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا»، خبر لقوله فآخران، **«مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ»**: من الذين
جنى عليهم، وهم الورثة، فضمير استحق للإثم أى ارتكب الذنب بالقياس إليهم،
«الْأُولَيَانِ» أى: أحقان بالشهادة لقرابتهم ومعرفتهما استئناف كأنه قيل من هما قال:

= وذهب مالك والشافعى عن عكرمة وغيرهم من الفقهاء إلى أن الآية منسوخة واحتجوا
بقوله: "ممن ترضون من الشهداء"، وقوله: "وأشهدوا ذوى عدل منكم" (الطلاق: ٢) والكفار
ليسوا بمرضيين ولا عدول، وخالفهم الجمهور فقالوا: الآية محكمة، وهو الحق لعدم وجود
دليل صحيح يدل على النسخ وأما الآيتان المذكورتان فهما عامان فى الأزمان والأشخاص
والأحوال وهذه الآية خاصة بحالة الضرب فى الأرض وبالوصية، ومجال عدم شهود
المسلمين، ولا تعارض بين خاص وعام/ ١٢ فتح.

هم الأوليان، أو بدل من آخران، ومن قرأ الأولين فهو صفة، أو بدل من الذين، ومن قرأ استحق غير مجهول، فهو فاعل^(١) أى: من الورثة الذين استحق^(٢) عليهم الأوليان بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، «فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ»، عطف على يقومان، «لشهادتنا أحق»: بالاعتبار، «مِنْ شَهَادَتِهِمَا»، أو أصدق، «وَمَا اعْتَدَيْنَا»: ما تجاوزنا عن الحق فيها، «إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ»: إن اعتدينا، «ذَلِكَ» أى: الحكم الذى تقدم، «أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا» أى: أقرب أن يأتى الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة، فلا يغيرونها، «أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ»: على المدعين، وهم أولياء الميت، «بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ»: إذا ظهر للأولياء أمارات كذب الشاهدين، فيفتضحوا أى: أقرب إلى أحد الأمرين أداء الشهادة على الصدق أو الامتناع عن أدائها بالكذب، «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا»: بسمع إجابة ما أمرناكم، «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»^(٣): أى إن لم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهديهم، وحصل الآية أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغى أن يشهد على وصيته اثنين من المسلمين أو من قرابته، فإن لم يجدهما بأن كان فى سفر فأخرين من غيرهم، ثم إن وقع

(١) والمفعول محذوف، وهو أن يجردوهما للشهادة أى للحلف على أولوية شهادتهما، وهما بالحقيقة الآخران اللذان يقومان مقام الأولين على وجه الظاهر موضع المضمرة، لكن لم يمكن أن يجعل فاعل استحق ضمير آخران الأفراد هذا فى المنية، وفى الكمالين، ومفعوله محذوف قدره ابن عطية ما لهم وتركتهم، وقدره بعضهم وصيتهما وقدر الزمخشري أن يجردوهما للقيام بالشهادة/ ١٢.

(٢) استحق بضم التاء على المجهول هذا قرأة العامة، وقرأ حفص بفتح التاء والحاء وهى قراءة على والحسن/ ١٢ منه.

(٣) لما أخبر بشاهدى الوصية بعد ما بين أمر الضالين ذكر بهذا اليوم المخوف يخوف من الشهادة من لم يتق الله فقال: "يوم يجمع".

ارتياب فيهما أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت أيضاً، فإن اطلع بأماراة، ومظنة على كذبهما أقسم آخران من أولياء الميت، هكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآيات غير واحد من أئمة السلف والتابعين، وهو مذهب الإمام أحمد، والقاضي شريح في خاصة مثل هذه الواقعة، وقال بعضهم حكم الآية منسوخ إن أريد من الغير الكافرون فإن شهادة الكافر كانت في بدأ الإسلام ثم نسخت، وقال بعضهم المراد من الشهادة الوصاية وكون الوصى اثنين للتأكيد فإنهم قالوا: لا نعلم حكماً يحلف فيه الشاهد وهو خلاف الظاهر المتبادر، وسبب نزول الآية أن رجلاً من المسلمين خرج مسافراً معه رجلان من أهل الكتاب، ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جاماً من فضة مموها بالذهب، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت فأحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء، ثم وجد الإناء عند من اشترى منهما، فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذنا.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْعِيبُ﴾ ٥٠٦ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُتِدَّتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٥٠٧ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٠٨ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٠٩ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا

وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ (١) الله الرُّسُلُ أَي: اذكر يوم جمعهم، وقيل ظرف للايهدي، أو بدل اشتغال من مفعول اتقوا، ﴿فَيَقُولُ﴾: لهم، ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أى إجابة أجبتم، إجابة إقرار أو إنكار، ﴿قَالُوا لَا﴾ (٢) عِلْمَ لَنَا: إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم، أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا أو بالنسبة إلى علمك، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: فتعلم ما نعلم، وما لا نعلم، وهذا السؤال لتوبيخ الأمم، ﴿إِذْ قَالَ﴾ (٣) الله، بدل من يوم الجمع

(١) اعلم أن عادة الله تعالى جارية في هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعاً كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام أتبعها إما بالإلهيات، وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح أحوال القيامة ليصير ذلك مؤكداً لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع فلا جرم لما ذكر فيهما تقدم أنواعاً كثيرة من الشرائع أتبعها بوصف أحوال القيامة أولاً ثم ذكر أحوال عيسى أما وصف أحوال القيامة فهو قوله: "يوم يجمع الله" / ١٢ كبير.

(٢) لا نعلم ما كان لهم بعد وفاتنا أو لا علم لنا البتة بأحوالهم إنما الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن، والظن كان معتبراً في الدنيا لأن الأحكام في الدنيا كانت مبنية على الظن، وأما الآخرة فلا التفات فيها إلى الظن، لأن الأحكام في الآخرة مبنية على حقائق الأشياء وبواطن الأمور فلهذا السبب لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولم يذكروا البتة ما معهم من الظن؛ لأن الظن لا عبرة به يوم القيامة، وهذا الوجه هو الذى خطر ببالي وقت الكتابة/ ١٢.

(٣) اعلم أن الغرض من قوله تعالى للرسول: "ماذا أجبتم" توبيخ من تمرد من أمهم وأشد الأمم افتقاراً إلى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام؛

أو بتقدير اذكر، **﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾** ^(١) **﴿إِذْ أَيْدُتُكَ﴾**: قوتك ظرف نعمتي، أو حال منهما، **﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾**: جبريل، وقيل بكلام ونفس يحيى به الدين، والموتى، **﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾**: بدعوهم إلى الله تعالى، **﴿فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾**، عطف على محل في المهد فإنه حال قالوا، وما وصل إلى سن من الكهولة، ففيه إشارة إلى نزوله من السماء، وهو آية من آياته، **﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾**: الخط، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: الفهم، **﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾** **﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾**: تشكله وتصوره على هيئة طائر، **﴿يَا ذَنِي﴾**: لك في ذلك، **﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾**: في تلك الصورة، **﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾**: تطير، **﴿يَا ذَنِي﴾**: وأمرى **﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾** **﴿يَا ذَنِي﴾** **﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾** **﴿يَا ذَنِي﴾**: بأن تدعوهم فيقومون من قبورهم بإرادة الله وقدرته، **﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾** **﴿أَي: عَنْ قَتْلِكَ﴾** **﴿إِذْ جَنَّتْهُمْ بِالْبَيْنَاتِ﴾**، ظرف لكفت، **﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا﴾** **﴿أَي: مَا هَذَا﴾** **﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾** **﴿وَإِذْ أُوحِيَ﴾**: ألهمت أو بلسانك **﴿إِلَى الْخَوَارِجِينَ﴾**: أصحابه، وأنصاره، **﴿أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ﴾**: يا الله أو يا أيها الرسول، **﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**: منقادون مخلصون، **﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ﴾**، منصوب باذكر، **﴿يَا عِيسَى**

= لأن طعن سائر الأمم كان مقصوراً للأنبياء، وطعن هؤلاء الملاعين تعدى إلى جلال الله، وكبريائه حيث وصفوه بما لا يليق بعاقل أن يصف الإله به، وهو اتخاذ الزوجة، والولد فلا جرم ذكر تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدة فواحدة، والمقصود منه توبيخ النصارى، وتقريعهم على سوء مقاتلتهم فإن كل واحدة من تلك النعم المعدودة على عيسى تدل على أنه عبد، وليس بإله، والفائدة في هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقاتلتهم، وركاكة مذهبهم واعتقادهم/ ١٢ كبير.

(١) ونعمته على أمه ما هي المذكورة في مواضع من براءتها مما نسب عليها وغير ذلك/ ١٢

وحيز.

ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ؟، وهذا كما تقول: هل تستطيع أن تجيء معي؟ عالمًا باستطاعته أى هل تفعل أم لا؟ أو بمعنى هل يعطيك ربك بإجابة سؤالك فيكون أطاع واستطاع بمعنى كأجاب واستجاب، وقيل: شكوا^(١) أى فى قدرة الله، ولذلك أجابهم عيسى عليه السلام بقوله: "اتقوا الله"، ومن قرأ هل تستطيع بالتاء، وربك بالنصب، فمعناه هل تستطيع سؤال ربك؟ «أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ»^(٢) مَنْ السَّمَاءِ قَالَ: عيسى، «اتَّقُوا اللَّهَ»: فى سؤالها، «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى: لا يليق اقتراح الآيات بعد الإيمان، «قَالُوا تُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا»، فأجابوا بأن طلبها لأجل الحاجة لا أنا نطلب آية، «وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا»: بزيادة علمنا، «وَنَعْلَمَ»: علم مشاهدة بعد ما علمناه علم إيمان، «أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا»: فيما وعدتنا أو فى نبوتك، «وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ» أى: من الشاهدين على تلك المائدة الدالة على نبوتك أو من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها من بنى إسرائيل، وعليها متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين، «قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا»، نداء ثان فإن اللهم لا يوصف، ولا يبدل منه، «أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً» أى: خوان إذا كان فيه الطعام، «مَنْ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا»، العيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص فضمير تكون للمائدة على حذف مضافين أى: تكون يوم نزولها أو اسم سرور يعود فلا حذف، لكن فى الإسناد مجاز، «لأَوْلَانَا»، بدل من لنا، «وَأَخْرَيْنَا»: لمتقدمينا ومتأخرينا أو يأكل منها أولنا وآخرنا «وَأَيَّةَ مِنْكَ»: على كمال قدرتك، وصحة نبوتى، «وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» قَالَ اللَّهُ: مجيبًا له، «إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ»: بعد نزولها، «مِنْكُمْ

(١) وهو الظاهر، والشك فى القدرة هل هو كفر أم لا فى أول من أسلم محل بحث/ ١٢

وحيز.

(٢) هى الخوان الذى عليه الطعام/ ١٢ وحيز. لاقتراح آية من الله مع بشاعة اللفظ/ ١٢

وحيز.

فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا»: تعذيبًا، ﴿لَا أُعَذِّبُهُ﴾، الضمير للمصدر فيكون في موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد فإن لا أعذبه صفة عذابًا أو من باب الحذف والإيصال أى: لا أعذب به، ﴿أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾: على زمانهم والأصح أن المائدة نزلت^(١) وكفروا بها فمسخوا قرده^(٢) وخنازير قيل ما مسخ أحد قبلهم حتريرًا، فالعالمين مطلق قال عبد الله بن عمر: أشد الناس عتابًا يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (٣) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

(١) وأقوال السلف بأجمعهم صريحة في نزول المائدة وكفرهم بها وكيف لا وقد قال الله: "فإني مترها عليكم" الآية/ ١٢ منه.

(٢) كأصحاب السبت لكن روى ابن جرير وابن أبي حاتم تعليقًا وصححه عن الحسن ومجاهد أنهما خالفا الجمهور لم يترل فإنه لما شرط عليهم الشرط [في الأصل كلمة مطموسة] وقالوا لا نريد وأما كفرهم المائدة فعلى ما أخرجه الترمذى أنه قال صلى الله عليه وسلم: نزلت المائدة خبزًا ولحمًا وأمروا أن لا يدخروا الغد ولا يخونوا، فخانوا وادخروا فمسخوا قرده وخنازير/ ١٢.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٦﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٧﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾: يوم القيامة تقرّيعا وتوبيخا للنصارى على رموس الأَشْهاد، ﴿يَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ^(١) مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾،
صفة إلهين أو متعلق باتخذوني، ﴿قَالَ سُبْحَانكَ﴾: أنزهك تزيها من أن يكون لك
شريك، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: ما ينبغي أن أقول قولاً لا يحق
لي أن أقوله فمتعلق لي بحق المقدر قبله، فإن تقدم صلة الجار على المجرور ممتنع، ﴿إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ^(٢) تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي^(٣) نَفْسِكَ﴾: تعلم ما
أخفيه، ولا أعلم ما تخفيه، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي
بِهِ﴾، تصريح بنفى المستفهم عنه، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، بدل من ضمير به،
والمبدل ليس في حكم المطروح بالكلية أو عطف بيان له، ﴿وَكُنْتُ^(٤) عَلَيْهِمْ

(١) ذكر أن عيسى لما سمع هذا الخطاب ارتعدت مفاصله فانفجر من أصل شعره منه عين
من دم فعند ذلك قال سبحانه/ ١٢ وجيز. قيل لما قالوا ولدت مريم إلهاً لهم من
حيث البعضية القول بإلهية من ولدته فصاروا بمثابة من قال وإلا فلم يقل أحد بإلهية
مريم/ ١٢ وجيز.

(٢) علق مستحيلاً على مستحيل، وهو نفى العلم بذلك القول فانتفى القول/ ١٢ فتح.

(٣) فيه دلالة على إطلاق لفظ النفس عليه سبحانه/ ١٢ فتح.

(٤) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم محشورون وإن ناساً يؤخذ بهم
ذات الشمال فأقول كما قال العبد الصالح "وكنتم عليهم شهداء مادمت فيهم فلمّا
توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم" إلى قوله: "العزير الحكيم" رواه البخاري. [أخرجه
البخاري في "التفسير" (٤٦٢٥)]

شَهِيداً: مشاهداً لأحوالهم، ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، بالرفع إلى السماء، والتوفى أخذ الشيء وافيًا، ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأحوالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلع عليه، ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾: لا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل في ملكه، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مع كفرهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: القوى القادر على الثواب، والعقاب لا تتيب ولا تعاقب إلا عن حكمة، والمغفرة وإن كانت قطعية الانتفاء في الكفار بحسب الوعيد، لكن يحتمل الوقوع، واللاوقوع بحسب العقل فجاز استعمال إن فيه، ومسألة الكلام أن غفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة قيل معناه، إن تعذبهم أى: من يكفر منهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم أى: من أسلم منهم، ﴿قَالَ اللَّهُ﴾: بجيًّا لرسوله فيما أناه إليه من التبرى من النصارى، ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: المستمرين، ﴿صِدْقُهُمْ﴾: في دنياهم إلى آخرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ينفع الموحدين توحيدهم، والمشار إليه يوم القيامة، ومن قرأ يوم بالنصب فيكون ظرفاً لقال، والمشار إليه قوله "يا عيسى ابن مريم أنت" إلخ، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: هذا نفعهم، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١) وَمَا فِيهِنَّ﴾: خلقا وملكا فلا شك في كذب زعم النصارى، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فلا يكون إلا هو وحده إلها لأنه لو كان متعدداً لا بد أن يكون كل واحد قادراً على كل شيء، وهذا محال.

والحمد لله حق حمده..

(١) والأصح أن "ما" يختص بغير ذوى العقول، بل يتناول الأجناس كلها من العقلاء، وغيرهم/ ١٢ وجيز.

سورة الأنعام مكية غير ست أو ثلاث آيات:

من قوله "قل تعالوا" وهي مائة وخمس، أو ست وستون آية

وعشرون ركوعاً(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلَ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ② وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ③ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ④ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑤ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ⑥ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑦ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًَا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ⑧ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًَا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا

(*) وهي في مصحفنا، الذي برواية حفص عن عاصم مائة وخمس وستون آية، ولكن المصنف أوردتها مائة وستاً وستين آية.

وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ جمع^(١) السموات لظهور تعددها
دون الأرض، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: أنشأهما، وجمع الظلمات لكثرة
أسبابها، فإن لكل جرم نور، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، عطف على الحمد
لله وثم للاستبعاد ومفعول يعدلون محذوف أي: يسوون الأوثان (بربهم) أو برهم متعلق
بـ "كفروا" و"يعدلون" من العدول لا من العدل وصلته محذوفة أي: يعدلون عنه،
وقيل: الباء بمعنى عن فيتعلق بيعدلون، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: ابتداء خلقكم، ﴿مِّنْ
طِينٍ﴾ فإن آدم منه، ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي: الموت، ﴿وَأَجَلَ مُّسَمًّى﴾ أي: الآخرة،
﴿عِنْدَهُ﴾: لا يعلمه إلا هو، أو مدة الدنيا وعمر الإنسان، أو النوم والموت، أو مدة
العمر ومدة البرزخ، والواو إما للعطف على (هو الذي) أو للحال، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ﴾: تشكون في أمر الساعة، ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾: متعلق
بالله باعتبار المعنى^(٢) الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصة

(١) لأن تعددها ظاهر بالعقل والنقل بخلاف الأرض، فإن كيفية تعددها مع عدم ثبوت النقل
لدى العقل متعسر/١٢ وحيز.

(٢) لا خفاء في أنه لا يجوز تعلقه بلفظ الله لكونه اسماً لا صفة، فالقول أنه متعلق به بهذا
التوجيه كأنه قال: وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشترك به في هذا الاسم أو كأنه
قال: وهو المعبود فيهما كما في قوله: هو حاتم في حيه، أي: جواد والله أعلم هذا ما في
المنية وفي الفتح "وهو الله" أي: هو المعبود فيهما كقوله: "هو الذي في السماء إله وفي
الأرض إله" (الزخرف: ٨٤)، وهو الذي يقال له فيهما، قال ابن عطية: هذا عندي
أفضل الأقوال، وأكثرها إحرازاً لفصاحة اللفظ، وجزالة المعنى، وقال ابن جرير: هو الله
في السموات ويعلم سرهم وجهرهم في الأرض، والأول أولى/١٢.

أو متعلق بقوله: «يَعْلَمُ» ولا يلزم كون ذاته أو علمه فيهما: بل يكفي كون المعلوم فيهما وهو إما خير ثان أو حال، «سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ»: من خير وشر، «وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ» (من) زائدة للاستغراق، «مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ»: الدالة على وحدانيته، و(من) تبعية لا تبينية إلا أن تكون النكرة في النفي بمعنى جميع الأفراد، «إِلَّا كَانُوا عَنْهَا»: عن التفكير فيها، «مُفْغِرِينَ»: لا يلتفتون إليها، «فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ» أي: القرآن، «لَمَّا جَاءَهُمْ» أي: إن أعرضوا فلا تعجب فإنهم كذبوا بأعظم آية، وهذا أشد من الإعراض، «فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أي: أخبار القرآن وأحواله بأنهم بأي شيء استهزءوا، وهذا تهديد ووعد شديد، «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ: قوم، «أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ»^(١) والقرن أهل كل عصر أو مدة أعمار الناس، «مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ»: أعطيناهم من العمر، والمال، «مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ»: ما لم نعطه لكم، «وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ: المطر والسحاب، «عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا»: كثير الدر أي: الصب، «وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ»: بالعذاب من القحط والصواعق وغيرهما، «وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ»: بدلا منهم فليخافوا أن نفعل بهم كما فعلنا هؤلاء، «وَلَوْ نَرْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا»: مكتوبًا، «فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ» واللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة، فإن الأكثر أنه بعد المعاينة، وأكثر السحر والتزوير في المراءى^(٢)، «لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: عِشَادًا، «إِنْ هَذَا»: ما هذا، «إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» قيل: نزلت حين قالوا لا نؤمن بك حتى تأتينا

(١) والقرن: الأمة المقترنة في مدة، ومدة القرن مائة سنة عند الأكثرين، ويدل عليه ما قاله - صلى الله عليه وسلم - في شأن أحد من الصحابة "إنه يعيش قرناً" فعاش مائة سنة/١٢ وحيز.

(٢) وأكثر السحر والشعوذة في المرائي، ولا يقع التزوير في اللمس، فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا/١٢ منه.

بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملك يشهدون أنه من عند الله، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾:
هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد، ﴿مَلَكٌ﴾: يخبرنا أنه نبي، ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾: بحيث
يروونه كما اقترحوا، ﴿الْقُضَىٰ﴾^(١) الأمر: لحق إهلاكهم وعذابهم، فإن سنة الله جرت
على أن من اقترح آية ولم يؤمن بها بعد نزولها استؤصلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾:
لا يجهلون، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الرسول الذي أنزل على محمد، ﴿مَلَكًا﴾: يشهد على
صدقه، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾: في صورة رجل فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك
في صورته، أو معناه؛ ولو جعلنا الرسول إليكم بدل الرسول البشري ملكاً فإنهم قالوا
أيضاً: "لو شاء ربنا لأنزل ملائكة" (فصلت: ١٤)، ﴿وَلَلْبَسَاتِ﴾^(٢) عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ،
ولو جعلناه رجلاً لخالطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فينفون رسالته، ويقولون هو
بشر مثلنا كما يقولون في شأن محمد -عليه الصلاة والسلام، ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ﴾، تسلياً لمحمد -عليه الصلاة والسلام ﴿فَحَاقَ﴾: أحاط أو نزل، ﴿بِالَّذِينَ
سَخَرُوا مِنْهُمْ﴾: من الرسل وبال، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣) قُل: لهم يا محمد.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿قُلْ لِّمَن مَّا
فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرِّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَىٰ يَوْمِ

(١) أو معناه لو أنزلنا ملكاً على صورة ملكية لماتوا من هوله فإن رؤية الملك في صورته من
خواص رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإنه رأى جبريل في صورته مرتين، وقوله:
"ولو جعلناه ملكاً" يؤيد هذا المعنى ١٢/ وحيز.

(٢) فإنهم إذا رأوا ملكاً في صورة إنسان يقولون: هذا إنسان ليس بملك، فإن استدل بدليل
على أنه ملك كذبوه ١٢/.

(٣) ولما ذكر ما حل بالمستهزئين. والمخاطبون أمة أمية لم يدرس الكتب ولم يجالس العلماء
فلها أن تكابر في هلاكهم، فقال: "قل سيروا في الأرض" ١٢/ وحيز.

الْقِيَمَةِ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَهُ مَا
سَكَنَ فِي الْآيِلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢١﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَلِيًّا فَاطِرِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٣﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ
الْمُبِينُ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ
فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ
هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتُشْهَدُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ
أَخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾
الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾

﴿سَيروا﴾^(١) في الأرض: بالأقدام، أو بالعقل والفكر، ﴿ثم انظروا كيف كان
عاقبة﴾^(٢) المكذبين: فتعبروا، ﴿قل لمن﴾^(٣) ما في السموات والأرض: خلقا

(١) والظاهر أن المراد من السير والنظر بالعين والأرض ما قرب من بلادهم كأرض عاد
وثمود ومدائن قوم لوط وثمود/١٢ وحيز.

(٢) عاقبة الشيء ما آل إليه/١٢ وحيز.

(٣) ولما ذكر تقرعهم بذنوبهم التي هي الشرك بالله أمر نبيه أن يسألهم سؤال تبكيت يلجئهم
إلى الإقرار بوحدانيته قال: "قل لمن ما في السموات". الآية/١٢ وحيز.

وملكاً ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾، فإن الكفرة متفقون معكم في ذلك، فإن هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره، ﴿كُتِبَ﴾: التزم، ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١) الرِّحْمَةَ: لطفًا وفضلاً فمن أقبل إليه مع عظم ذنبه قبله، ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: في القبور، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: فيجازيكم بأعمالكم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في اليوم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بتضييع الفطرة، والعقل نصب على الدم أو رفع أو مبتدأ ما بعده خبره، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإن استعمال العقل باعث على الإيمان، ﴿وَلَهُ﴾ عطف على الله في "قل لله"، ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: وله ما استقر في الأزمنة، وهو من السكنى قيل: تقديره ما سكن فيهما وتحرك واكتفى بأحد الضدين عن الآخر، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لكل مسموع، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء، ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَلْتَّخِذُ وَلِيًّا﴾، إنكار لاتخاذ غير الله تعالى ولياً معبوداً رباً، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما، صفة الله، فإنه بمعنى الماضي بالإضافة معنوية ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾^(٢) وَلَا يُطْعَمُ يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ لا أحد إلا يحتاج إليه، وهو غير محتاج إلى أحد، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾^(٣): من هذه الأمة، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ عطف على أمرت أي: قيل لي لا تكونن، أو على قل، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، جواب الشرط دال عليه (أخاف)، والشرط معترض بين الفعل ومفعوله،

(١) وثبت في الصحيحين مرفوعاً (لما قضى الله الخلق كتب فوضعه عنده فوق العرش: "إن رحمتي سبقت غضبي") ١٢/٢ فتح [البخارى (٧٤٥٣)، ومسلم (٥٩٧/٥) ط الشعب. ولفظه "... كتب عنده فوق عرشه"].

(٢) يعني جميع المنافع منه، وخص الإطعام لمزيد مس الحاجة إليه ١٢/١ وحيز.

(٣) هذا على سبيل التحريض على الإسلام كملك يأمر رعاياه بأمر ثم يتبعه بقوله: أنا أول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله ١٢/١ وحيز.

وفيه تعريض بأنهم مستوجبون للعذاب بالطف وجه، «مَنْ يُصْرَفْ»: العذاب، «عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ»: وأنعم عليه، ومن قرأ يصرف مبني للفاعل فالضمير لله، والمفعول وهو العذاب محذوف، «وَذَلِكَ»: أي: الصرف والرحم، «الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ»: كمرض وبلاء، «فَلَا كَاشِفَ لَهُ»: لا قادر على رفعه، «إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ»: كصحة ونعمة، «فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: فيقدر على حفظه وإدامته، ولا راد لفضله، «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ^(١) عِبَادِهِ»: قهره استعلى عليهم فهم تحت تسخير، «وَهُوَ الْحَكِيمُ»: في أمره، «الْخَبِيرُ»: بخفايا العباد.

(١) قوله: "فوق" إلخ، ومثله قوله تعالى: "يخافون ربهم من فوقهم" (النحل: ٥٠)، وقوله تعالى: "تخرج الملائكة والروح" (المعارج: ٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي دلت على فوقية الله تعالى، وعلوه على خلقه قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في العقيدة الحموية: فهذا كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق السماء، وفوق كل شيء، وعلا كل شيء وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" (فاطر: ١٠)، وقوله تعالى: "إني متوفيك ورافعك إلي" (آل عمران: ٥٥)، وقوله تعالى: "أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً" (الملك: ١٦، ١٧)، وقوله تعالى: "تخرج الملائكة والروح إليه" (المعارج: ٤)، وقوله تعالى: "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه" (السجدة: ٥)، وقوله تعالى: "يخافون ربهم من فوقهم" (النحل: ٥٠)، وقوله تعالى: "ثم استوى على العرش" (البقرة: ٢٩)، في سبعة مواضع: "الرحمن على العرش استوى" (طه: ٥)، "يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً" (غافر: ٣٦، ٣٧)، تنزيل من حكيم حميد" (فصلت: ٤٢)،

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، نزلت^(١) حين زعم قريش أن أهل الكتاب أنكروا نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - فسألوا عنه من يشهد بنبوتك، ﴿قُلْ^(٢) اللَّهُ أَكْبَرُ شَهَادَةً، فإن أعظم شهادة الله تعالى أمر لا ينكر، ﴿شَهِيدٌ﴾ أي: هو شهيد، ﴿بَيْنِي

= "منزل من ربك" (الأنعام: ١١٤)، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بتكلف، وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى ربه، ونزول الملائكة من عند ربه وصعودها إليه إلى أن قال: وقوله في حديث الأروال "والعرش فوق ذلك"، والله فوق عرشه وهو تعليم ما أنتم عليه، وذكر رحمه الله الأحاديث، وأقوال الصحابة إلى أن قال: إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا الله تعالى مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلم الضروري أن الرسول المبلغ عن الله تعالى ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله تعالى على ذلك جميع الأمم عرهم وعجمهم في الجاهلية، والإسلام إلا من اجتالهم الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين ألفوا، وليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من سلف الأمة من الصحابة والتابعين ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصّاً ولا ظاهراً ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه في كل مكان ولا أن الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها. انتهى قاله شيخ الإسلام ملخصاً/١٢.

(١) كما رواه محي السنة، والواحدي، والكلبي/١٢ وجيز.

(٢) قال البخاري في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية بعد ما ذكر هذه الآية في ترجمة الباب: فسمى الله نفسه شيئاً. سمي النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن شيئاً وهو صفة من صفات الله، وقال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص: ٨٨)/١٢.

وَيَبِّتُكُمْ ﴿١﴾ أَوْ اللَّهُ مُبْتَدَأٌ، وشهيد^(١) خبر فإنه إذا كان هو الشهيد فأكبر شيء شهادة شهيد له، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾: الذي تروونه ناطقًا بحجج وبيانات، ﴿لَا تُنْذِرُكُمْ بِهِ﴾: يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: وسائر من بلغه من الأسود والأحمر قل: ﴿أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ تقرير لهم مع إنكار، ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾: بما تشهدون، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾: من الأصنام، ﴿الَّذِينَ﴾^(٢) آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ أَي: محمدًا - عليه الصلاة والسلام - بنعته المذكور في التوراة والإنجيل، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾: بحيث لا يشكون في رسالته، فعدم شهادتهم برسالته لعنادهم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: من أهل الكتاب، وهجروا ما في كتابهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: به.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آتِنَا شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ

(١) وعلى هذا الجواب نوع من الأسلوب الحكيم كأنه قيل: معلوم أن الله أكبر شهادة فالكلام الأنسب بالمقام الإخبار بأن الله شهيد بيني وبينكم ليتج جواب السؤال مع زيادة مهمة/ ١٢.

(٢) ولما قال قريش سألنا لك عن اليهود فكذبوك قال تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" الآية/ ١٢ وحيز.

يُجَدِّ لُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾: اختلق، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: ككذب المشركين، وأهل الكتاب، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: كالقرآن، ومعجزات محمد -عليه الصلاة والسلام- أي: لا أظلم من ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بمن جمع بينهما؟! ﴿إِنَّهُ﴾ أي: إن الشأن، ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: فضلا من هو أظلم، ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: اذكر، ﴿نُخْشِرُهُمْ جَمِيعًا﴾: العابد والمعبود، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ﴾: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله، ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعموهم شركاءهم "حينئذ" يشاهدون آلهتهم في غاية الهوان، فيسأل عنهم تقريرا وتوبيخا، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: لم تكن غاية فتنتهم، ومقاتلتهم وكفرهم في الدنيا إلا التبرؤ، في الآخرة أو عاقبة افتتاهم ومحبتهم في الأصنام إلا التبرؤ أو معذرتهم أو جواهرهم وسماه فتنة لأنه كذب أو لأنهم قصدوا به الخلاص يقال: فتنت الذهب إذا خلصته، ومن قرأ بنصب فتنتهم، فتكون تأنيث الفعل للخبر كقولك: من كانت أملك؟ ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١) فيحلفون

(١) أي: لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقتلوا عليه إلا ما وقع منهم الحلف من الجحود على نفيه بقوله: "والله" إلخ/١٢/فتح.

بالكذب لحيرتهم "فحينئذ" يختم على أفواههم، ويشهد عليهم جوارحهم، ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: في الآخرة بنفي شركهم في الدنيا ﴿وَوَضَّلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا^(١) يَفْتَرُونَ﴾، وغاب عنهم ما كانوا يفترون إلهيته، وشفاعته، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن كأبي جهل، والوليد، وأضراهم، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أعطية كراهة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أو عن أن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ^(٢) وَقْرًا﴾: نقلا وصمما مثل نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبول القرآن، واعتقاد صحته بالأكنة والوقر، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لقوة عنادهم، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ﴾: بلغ عنادهم إلى أنهم إذا جاؤك، ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ جملة حالية، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب إذا وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ^(٣) الْأَوَّلِينَ﴾ والأساطير: الأباطيل أو أحاديث الأمم السالفة التي سطورها في كتبهم ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس ﴿عَنْهُ﴾ استماع القرآن أو عن الإيمان، ﴿وَيَتَأَوَّنَ^(٤) عَنْهُ﴾: يتباعدون

(١) أي: ما يظنونونه من أن الشركاء يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم/١٢.

(٢) هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة، فلا يفقه كلام الله، ولا يؤمن/١٢ معالم.

(٣) عن ابن عباس أن جماعة من قريش كانوا يستمعون القرآن فقالوا لشخص منهم هو فصيح شاعر سمع أقاصيص رستم، واسفنديار، وأمثالهم ما تقول أنت فيما يقرأ؟ فأجاب ما هو إلا أساطير الأولين مثل ما أحدثكم عن القرون/١٢ وجيز.

(٤) وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي -صلى الله عليه وسلم- ويمنعهم وينأى عن الإيمان به أي يبعد حتى روى أنه اجتمع عليه رؤوس المشركين، وقالوا: خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتُموني أَدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم، وروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاه إلى الإيمان فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت به عينك، ولكن أذب عنك ما حييت، وقال فيه أبيات شعر:

عنه بأنفسهم^(١) وعن بعض^(٢) السلف أنه في شأن أبي طالب، فمعناه ينهون عن التعرض لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وإيذائه، ويتباعدون عنه، فلا يؤمنون به، **﴿وَأِنْ يُّهْلِكُونْ﴾**: وما يهلكون بذلك **﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا^(٣) يَشْعُرُونَ﴾**: ذلك، **﴿وَلَوْ تَرَى﴾**، جوابه محذوف أي: لرأيت أمراً فظيماً، وحالا عجيباً، **﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾**: وعينوا ما فيها من أنواع العذاب، **﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾**: إلى الدنيا، **﴿وَلَا تُكَذِّبُ﴾**، عطف على نرد فيكون المعنى على تمنى مجموع الأمرين، أو عطف على التمني عطف إخبار على إنشاء، وهو جائز باقتضاء المقام أو حال وأما على قراءة النصب فبإضمار أن بعد الواو كما بعد الفاء، **﴿بِآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ﴾**: إضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني، **﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾** أي: ظهر لهم قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجراً لا محبة للإيمان، **﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾**: إلى الدنيا، **﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾**: من الكفر لقضاء شقاوتهم في الأزل، **﴿وَأَلَّهُمْ**

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وأبشر بذاك وقر منه عيوناً
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
وعرضت ديناً قد علمت بأنه	من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحاً بذلك مييناً/ ١٢

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر/ ١٢ أسباب نزول السيوطي.

(٢) كما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس/ ١٢ أسباب نزول للسيوطي.

(٣) ولما بين غاية جهلهم وختم بالتهديد الشديد استشراف النفوس إلى معرفة حالهم في مآلهم فقال: "ولو ترى"/ ١٢ وحيز.

لَكَاذِبُونَ: فيما وعدوا صريحا ضمنا، ﴿وَقَالُوا﴾، عطف على لعادوا أو نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا، ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: الحياة، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ﴾: مسألة، ﴿رَبِّهِمْ﴾: وتوبيخهم، وقيل أي: بين يديه، ﴿قَالَ﴾، استئناف فكأن سائلا قال: ماذا قال ربهم حينئذ؟ ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾: البعث ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا﴾^(١) بلى وربنا: إقرار مؤكد باليمين، لكن لا ينفعهم، ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٤﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ

(١) قال ابن عباس: هذا في موقف وقولهم "والله ربنا ما كنا مشركين" في موقف آخر وفي القيامة مواقف ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون/ ١٢ معالم.

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بالبعث، وما يتبعه، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾: غاية لكذبوا، أو من مات فقد قامت قيامته، ﴿بَعَثَ﴾: فجأة، مفعول مطلق لأنها نوع من المحيى أو حال، ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾^(١): تعالى فهذا أوانك، ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: قصرنا، ﴿فِيهَا﴾: في الدنيا أو في الساعة أي: في شأنها، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: آثامهم، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: تمثل ذنوبهم بأقبح صورة متنتة فتركب عليهم وتسوقهم^(٢) إلى النار، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس شيئاً يوزرونه وزرهم، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، لأنها تنقضي عن قريب، ولا تعقب منفعة، ﴿وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٤): لدوام لذاتها ومسراتها، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

(١) والحسرة شدة الندم حتى يحسر الندم النادم كما يحسر الذي يقوم به دابته في السفر البعيد/ ١٢ معالم.

(٢) رواه أبو داود وغيره/ ١٢ وحيز.

(٣) ولما قالوا: "إن هي إلا حياتنا الدنيا" بين قصار أمرها، ومنتهى أمرها فقال "وما الحياة الدنيا"/ ١٢ وحيز.

(٤) أشار إلى أن غير عمل التقوى لعب/ ١٢ وحيز.

إنها كذلك، ﴿قَدْ نَعْلَمُ^(١) إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، ﴿لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾: تسليية لرسوله فيما قال الكفار: إنك كذاب، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: في نفس الأمر، أو في السر، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: لكنهم لظلمهم جحدوا الآيات، وكذبوا بها، نزلت^(٢) حين قال أبو جهل: لا نكذبك لكن نكذب بما جئت به، أو لما سئل أبو جهل عنه قال: والله إنه لصادق وما كذب قط، لكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ^(٣) رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: بمعونتهم وإهلاك أعدائهم فاصبر أنت أيضًا كما صبروا فسيجيء نصرك، وما مصدرية، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لمواعيده وحكمه، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِإِ الْمُرْسَلِينَ﴾: بعض أخبارهم كيف صبروا، وكيف دمرنا قومهم، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبِيرٌ﴾: عظم وشق، ﴿عَلَيْكَ إِغْرَاضُهُمْ﴾: عن الإيمان، ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾: تطلب منفذًا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: تنفذ فيه إلى جوفه، ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾: مصعدًا، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: تصعد به إليه، ﴿فَتَأْتِيهِمْ﴾: من الأرض أو السماء، ﴿بِآيَةٍ﴾، وجواب الشرط الثاني مقدر أي: فافعل، والجملة جواب الأول يعني لا مغير لحكم الله فاصبر، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي: لو أراد جمعهم على الهدى لجمعهم وهداهم، ولكن

(١) ولماكرر في هذه السورة الأمر بمقاولتهم، وأطال في الحث على مجادلتهم وكان من المعلوم أنهم لا يراعون الأدب، وجوابهم ليس إلا السب كما هو دأب المعاند المغلوب فلهذا نفى عنهم الشعور والعقل صار الحال محتاجًا إلى التسليية فقال "قد نعلم إنه" الآية/١٢ وحيز.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢ وحيز.

(٣) هذا تسليية بعد تسليية كل منهما بطور آخر/١٢ وحيز.

لم يتعلق به مشيئته ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: بالحرص على خلاف مرادنا والجزع فإنه دأب الجهلة، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ أي: يجيب دعوتكم بالإيمان، ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، لا من ختم الله على سمعه فلا يتأمل ولا يفهم، ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: الكفار الذين كالموتى لا يسمعون يبعثهم الله فيعلمون حين لا ينفعهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١): للجزاء، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كملك يشهد له، وكقولهم: "حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا" (الإسراء: ٩٠) ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾: وفق ما طلبوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢): أنه قادر على ذلك، وأنه لو أنزل ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما هو سنة الله، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: إتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم، والمبالغة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الأفراد لكون الوصفين^(٣) من أوصاف الجنس دون النوع، فيشعر بأن القصد فيها إلى الجنس، ﴿إِلَّا أُمَمٌ﴾^(٤) أمثالكم: مقدرة أرزاقها وآجالها محفوظة أحوالها أصناف تعرف بأسمائها وجمع الأمم للحمل على المعنى، ﴿وَمَا

(١) ولما بين تكذيبهم للرسل، ولجأهم مع صبر الرسل عليهم، ذكر من لجأهم مع نبينا -

صلى الله عليه وسلم- فرداً آخر للتعجب، فقال: "وقالوا" / ١٢ وجز.

(٢) ولما ذكر أنه قادر أراهم من قدرته ما يكفي العاقل في المستدل فقال: "وما من

دابة" / ١٢ وجز.

(٣) وبهذا يسقط ما قيل أن الوصف بالتخصيص أولى منه بالتعميم / ١٢ وجز.

(٤) قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة كالطير

أمة، والهوم أمة، والذباب أمة، والسباع أمة يعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون

بأسمائهم، وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي "لولا أن الكلاب أمة

من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم) قال عطاء: أمثالكم في التوحيد

والمعرفة / ١٢.

فَرَطْنَا: ما أهملنا، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: فإنه مشتمل على ما يجري في العالم ومن شيء أي: شيئاً من التفريط، فيكون مصدراً فإن فرط غير متعد بنفسه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ﴾^(١) يُحْشَرُونَ﴾ أي: الأمم كلها، فينصف بعضها عن بعض، "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير: ٥)، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- موت البهائم حشرها، ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمُّ﴾: عن سماع آياته سماع قبول وتأثر، ﴿وَبُكْمٌ﴾: لا ينطقون بالحق، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، خير ثالث، أو حال عن المستكن في الخبر ظلمة الكفر، والجهل، والعناد، ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ﴾: إضلاله، ﴿يُضِلُّهُ﴾: فيميته على الكفر، ﴿وَمَنْ يَشَأْ﴾: هدايته، ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢): فيميته على الإيمان، ﴿قُلْ﴾: يا محمد للكفرة، ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني استفهام وتعجب، والكاف لتأكيد الفاعل لا محل^(٣) له من الإعراب، وهو من وضع السبب موضع المسبب فإنه وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار؛ لأنه لا يخبر عن الشيء إلا العالم به، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾: قبل الموت، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، وأهوالها، ﴿أَغْيَرُ اللَّهُ^(٤) تَدْعُونَ﴾: في صرف العذاب عنكم، وهو متعلق بالاستخبار، ﴿إِنْ كُنْتُمْ

(١) كما قال: "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير: ٥)، والأحاديث الصحاح دالة على أن الجميع محشورة فينصف بعضها من بعض ثم يجعل الكل تراباً وعنده يقول الكافر "يا ليتني كنت تراباً" (النبا: ٤٠/١٢) وجيز، وفي الحديث: "لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء" ١٢/معالم.

(٢) ولما بين عنادهم في التوحيد وأنهم في تمادي لجاحهم لا يهديهم التأمل في الآفاق أخذ يبين ما لأنفسهم في بعض أحوالهم من ظهور الحق، وصدوره عنهم فقال: "قل" ١٢/وجيز.

(٣) هذا هو الأصح ١٢/وجيز.

(٤) قال صاحب البحر: جواب الشرط محذوف لدلالة "أرأيتمكم" عليه تقديره إن أتاكم عذاب الله فأخبروني عنه، أتعون غير الله لكشفه؟! كما تقول: أخبرني عن

صَادِقِينَ^(١) في أن الأصنام آلهة فأخبروني لم لا تعبدون أصنامكم في ذلك الحال؟! ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ^(٢)﴾: تخصونه بالدعاء كما قال تعالى: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" [لقمان: ٣٢] ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ﴾: الله، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى كشفه، ﴿إِنْ شَاءَ﴾ لكن لم يشأ كشف عذاب الآخرة عنهم، ﴿وَتَنْسَوْنَ^(٣) مَا تُشْرِكُونَ﴾ فلا تذكرونه في ذلك الوقت.

= زيد إن جاءك ما تصنع به؟، ثم قال: هذا الذي قدرناه هو الذي تقتضيه قواعد العربية/ ١٢.

(١) أراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطراب كما أخبر الله عنهم "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" (لقمان: ٣٢)/ ١٢ معاً.

(٢) كما حكى عنهم في مواضع، وتقدم المفعول لإفادة التخصيص/ ١٢ بياضوي.

(٣) لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره/ بياضوي/ فمن هاهنا تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفراً من الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد سمعت أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا الله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف الكرخي أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء من زيد بن الخطاب، والزبير أجل من هؤلاء مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالله المستعان ومنه نسأل العفو والغفران/ ١٢، وفي الدر النضيد للشوكاني أن هؤلاء القبوريين قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم وهو أن أهل الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور كما حكاها الله عنهم بقوله: "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً" (الإسراء: ٦٧)، وبقوله: "قل

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُبْسُوتُونَ ﴿١٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَأَبْصَرَ كُفْرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ
يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَتَدْرِكُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿١٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي

= أَرَأَيْتُمْ "وبقوله: "وإذا مس الإنسان الضر دعا ربه منيا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل" (الزمر: ٨)، وبقوله: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" (لقمان: ٣٢)، بخلاف المعتقدين في الأموات فإنهم إذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم، ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطراباً شديداً فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الركابيين معهم ينادون الأموات ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون الله قط قال: ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله أعادنا الله من الشرك والكفران ومنه نسأل العصمة والغفران/١٢.

مَلِكٌ إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا^(١) إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: الرسل فكذبوهم، ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبِاسِ﴾: بالشدة والجوع، ﴿وَالضَّرَاءِ﴾: الأمراض والنقصان، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: لكي يسألوا ربهم متذللين تائبين، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾، حاصله نفى التضرع^(٢)، لكن جاء بـ(لولا) ليفيد أنه لم يكن لهم عذر سوى العناد والقساوة، لأن (لولا) يفيد اللوم والتندم، وذلك إنما يحسن إذا لم يكن في ترك الفعل عذر، وعنه مانع، ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: ما رقت، ﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٣)﴾: فأصروا عليه، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من البأساء والضراء ولم يتعظوا به، ﴿فَتَحْنَأْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من أنواع النعم استدراجًا ليكون الأخذ والهلاك أشد عليهم وأفظع، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: وحسبوا أنهم على شيء، ﴿أَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ﴾: فجأة، مفعول مطلق لأنها نوع من الأخذ، ﴿فَإِذَا^(٤) هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من كل خير، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

(١) ولما أخبر أنه تعالى قد يكشف البلاء بالتضرع إلى الله أنبأهم أن تركه يوجب غضب الله بنوع من الاستدلال للترهيب، فقال: "ولقد أرسلنا" ١٢/ وحيز.

(٢) فعدم التضرع لقسوة قلوبهم فقلوبهم كالحجارة أو أشد ولقظة لكن واقع بين الضديين بحسب الحقيقة أعني اللين والقسوة ١٢/ وحيز.

(٣) يعني الحامل على ترك التضرع قسوة القلب، والإعجاب بالأعمال التي كان الشيطان سببها في تحسينهم لهم ١٢/ وحيز.

(٤) ابتلاهم أولاً فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم فلم يشكروا بالإجابة، بل فرحوا وغفلوا فأخذهم بنوع لم يتقدم لهم شعور به ليوطنوا نفوسهم على لقاءه ١٢/ وحيز.

آخرهم لم يترك منهم أحد، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ^(١) الْعَالَمِينَ﴾: على إهلاك الظلمة الذين من شؤمهم تقطع الرحمة، وتخزن الطير في وكره، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أيها المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أصمكم وأعماكم، ﴿وَوَخَّتُمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: حتى لا تفهموا شيئاً، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: بما أخذ وختم أو بأحد هذه المذكورات، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: على غفلة أو ليلاً، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: معاينة تعلمون^(٢) نزوله أو نهاراً، ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ^(٣)﴾: فإن الموحدين لا يهلكون بالعذاب البتة؛ بل أولئك لهم الأمن كما فعل بالأمم الماضية ما نزل العذاب إلا بعد تمييز المسلمين، ولو نزل على مسلم مصيبة فهي ليست بعذاب^(٤)، ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ^(٥)﴾: فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ: العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: بالعذاب، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: يصيبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم، ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ^(٦) اللَّهِ﴾: فأعطيكم ما

(١) وفي تلك الحكاية تسلية وتنبيه وترهيب لمن له بصيرة ولما هددهم، أولاً بالعذاب المطلق الذي هو بنوع خاص من الأخذ هددهم ثانياً بعذاب خاص فقال: "قل أَرَأَيْتُمْ" ١٢/.

(٢) فعلى هذا ناسب مقابلة البغته بالجهرة ١٢/.

(٣) ولما طلبوا من الرسل الآيات التي ليست في قدرتهم، بل هو في قدرة مرسلهم أشار إلى أن الظلم في طلبهم بين حقيقة الرسالة، وقال: "وما نرسل المرسلين" الآية ١٢/ وجيز.

(٤) بل هي تهذيب له ١٢/ وجيز.

(٥) وفي مبشرين، ومنذرين مع أهما حال فيهما معنى العلية أي: أرسلناهم للتبشير والإنذار لا لأن يقترح منهم الآيات بعد وضوح دينهم بالمعجزات ١٢/ وجيز.

(٦) جواب لما قالوا إن كنت رسولا فاسأل حتى يوسع علينا خيرات الدنيا ١٢/ وجيز.

تريدون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾: فأخبركم^(١) بكل ما تسألون، عطف على (عندي خزائن الله)، وقيل: على (لا أقول)، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: فأقدر على ما يقدر، ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ وحاصله لا أدعي ما تستبعده العقول؛ بل أدعي النبوة كما كان لكثير من البشر، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: مثل للجاهل، والعالم أي: لا يستوي متبع الوحي ومن ضل، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) أنه لا تستوي كقوله تعالى: "أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى" [الرعد: ١٩].

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ١٥ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ١٦ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ١٧ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٨ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ١٩﴾

(١) حتى أقول لكم من الأخبار المستقبلية من المصالح، والمضار لتستعدوا لتحصيل الملك،

ودفع هذه ١٢/ وحيز.

(٢) فيه عرض وتحضيض على الفكر/ ١٢.

﴿وَأَنْذِرْ^(١) بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ^(٢) يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: يخافون هول يوم الحشر لا من جزم استحالته، ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ﴾: يتولى أمرهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ^(٣)﴾:

(١) ولما قال: "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين" أمر بالإنذار لأهم أحلاف، فقال: "وأندر به الذين" الآية/١٢ وحيز.

(٢) والخائف المقصر في العمل من المؤمنين وأهل الكتاب وكثير من المشركين بعدما أخبروا بالحشر/١٢.

(٣) قوله: "ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع" الآية قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: لا ينافي هذه الآية مذهبنا في إثبات الشفاعة للمؤمنين، لأن شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين إنما يكون بإذن الله لقوله تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة: ٢٥٥)، فلما كانت تلك الشفاعة بإذن الله تعالى كانت في الحقيقة من الله تعالى. انتهى وفي لباب التأويل تحت قوله تعالى: "قل لله الشفاعة جميعا" (الزمر: ٤٤)، أي: لا يشفع إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى، لأنه هو الشفيع في الحقيقة، وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده. انتهى، وقال الشيخ شمس الدين بن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكى: فمن أنكر شفاعة نبينا في أهل الكبائر فهو مبتدع ضال كما ينكرها الخوارج والمعتزلة، ومن قال: إن مخلوقا يشفع عند الله بغير إذنه، فقد خالف جميع المسلمين ونصوص القرآن قال تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة: ٢٥٥)، وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء: ٢٨)، وقال تعالى: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى" (النجم: ٢٦)، وقال تعالى: "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا" (طه: ١٠٨، ١٠٩)، وقال تعالى: "ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع" (السجدة: ٤)، ومثل هذا في القرآن كثير. انتهى وقال المصنف في موضع آخر من كتابه المذكور: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" (سبأ: ٢٣)، قد فسروها بأنه يؤذن للشافع والمشفوع له جميعا فإن سيد الشفعاء

يشفع^(١) بغير إذنه إن أراد العذاب بهم، والجملة حال، **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**: عن كفرهم ومعصيتهم، **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾**^(٢) : لا تبعدهم عنك، **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾**: يصلون المكتوبات في ليلهم ونهارهم، أو صلاة الصبح، والعصر، أو يذكرون ربهم، **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** أي: يعبدونه حال كونهم مخلصين فيها، **﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**، (من) زيدت للاستغراق وهو فاعل عليك لاعتماده على النفي، ومن حسابهم حال من شيء، أو من شيء مبتدأ وما عليك خبره، والحال من ضمير في الخبر أي: من شيء من تبعة حسابهم ليست عليك، ولا تكلف أمرهم، **﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**: وليست تبعة حسابك عليهم، ولا يكلفون أمرك أو

= يوم القيامة محمد - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد الشفاعة قال: "إذا رأيت ربي خرت له ساجدا فأحمده بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن، فيقال لي ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطى واشفع تشفع قال: فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة" وكذلك ذكره في المرة الثانية، والمرة الثالثة، ولهذا قال "ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة" (الزخرف: ٨٦)، فأخبر أنه لا يملكها أحد دون الله وقوله "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" (الزخرف: ٨٦)، استثناء منقطع أي: من شهد بالحق وهم يعلمون أنهم أصحاب الشفاعة منهم الشافع، ومنهم المشفوع له. انتهى أقول: فثبت من هذه الدلائل أن الشفاعة كلها لله، وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا بالتوحيد والشفاعة مقيدة بهذه القيود كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" (الأحزاب: ٤)/ ١٢.

(١) وفيه رد على من زعم من الكفار المعترفين بالحشر أن آباءهم هم يشفعون لهم وهم أهل الكتاب أو أن أصنامهم تشفع لهم، وهم المشركون أو أن المشايخ يشفعون لمريدهم وهم المتصوفون، لأن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة: ٢٥٥)/ ١٢ فتح.

(٢) ولما أمر بإنذار المتقين نهاه عن إذلال المتقين فقال: "ولا تطرد الذين" / ١٢ وحيز.

معناه إنما حساهم على الله ليس عليك كما أنه ليس عليهم من حسابك من شيء كقول نوح -عليه السلام- في جواب: "أنؤمن لك واتبعك الأرذلون؟" قال: "وما علمي بما كانوا يعملون إن حساهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين" [الشعراء: ١١١-١١٣]، ﴿فَتَطَرَدَهُمْ﴾، جواب النفسي، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي نزلت في فقراء المؤمنين قال رؤساء قريش: يا محمد نَحْ هؤلاء الأعداء عن مجلسك حتى نجالسك ونسمع كلامك^(١)، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفتن العظيمة ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا، ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾^(٢) لِيَقُولُوا: رؤساء قريش قالوا في شأن فقراء المسلمين وضعفائهم: ﴿أَهْؤْلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيِّنَاتٍ﴾ إنكار لأن يخصهم الله بهداية ونعمة كما قالوا: "لو كان خيرا ما سبقونا إليه" (الأحقاف: ١١)، واللام للعاقبة للتعليل، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(٣)؛ هذا جواب لقولهم أي: الله أعلم بمن يشكر الإيمان وطبعه مستقيم فيهديه، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم فقراء الصحابة الذين هوى الله طردهم، ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أكرمهم ببدء السلام عليهم، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: بشرهم بسعة رحمة الله، ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوْعًا﴾: من قرأ (أنه) بفتح الهمزة يكون بدلا من الرحمة، ومن قرأها بكسرهما فاستناف، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع الحال أي: جاهلا بما يورثه ذلك الذنب أو متلبسا بفعل الجهالة، لأن ما يؤدي إلى الضرر لا يرتكبه سوى الجاهل قال بعض السلف: كل

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير/١٢ وجيز.

(٢) قال العلامة: ليس القصد إلى مشبه ومشبه به، بل هذا كقولك: ضربته كذلك أي: هذا

الضرب المخصوص، ومثله كثير في تركيب البلغاء/١٢ وجيز.

(٣) والشاكرين وقع في غاية من الحسن إذ تقدم معنى الإنعام في قولهم: "من الله عليهم"

فناسب لفظ الشكر/١٢ وجيز.

من عصى الله فهو جاهل نزلت في عمر حين أشار بإجابة قريش إلى طرد المؤمنين فأنزل الله، "ولا تطرد الذين" إلخ ثم جاء واعتذر من مقالته، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: العمل أو السوء، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله أو أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ من قرأ (فأنه) بفتح الهمزة تقديره فأمره، أو فله غفرانه البتة، ومن قرأ بالكسر فتقديره: فالله يغفره ويرحمه البتة فإنه غفور رحيم، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين الواضح، ﴿نَفَصَلُ الْآيَاتِ﴾: التي يحتاج الناس إلى بيانها، ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾: من قرأ تستبين بالتاء وسبيل بالنصب فمعناه: ولتعرف طريقهم، فتعاملهم بمقتضى عملك، ومن قرأ بالتاء ورفعها أي: ولتين سبيلهم ومن قرأ بالياء ورفعها فلأن السبيل يذكر ويؤنث وهو إما عطف على مقدر أي: فصلنا ليظهر الحق ولتستبين وإما تقديره: ولتستبين فصلنا هذا التفصيل.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِلِينَ﴾ ﴿١٦٧﴾ قُلْ لَّوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾

﴿قُلْ^(١) إِنِّي نُهِيتُ﴾ : عن، ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ فيه إشارة إلى علة النهي، ومبدأ ضلالهم فإن طريقهم اتباع الهوى لا الهدى، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي: إن فعلت ذلك فقد ضللت، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ فيه تعريض بأنهم كذلك، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِنْ رَبِّي﴾: غير متبع الهوى، وهو صفة لبينة، ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾: بري، حيث أشركتم أو الضمير للبينة فإنها بمعنى الدليل، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب كما قالوا: "إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة" [الأنفال: ٣٢]، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾: في تعجيل العذاب وتأخير، ﴿يَقْصُ^(٢) الْحَقُّ﴾: يتبع الحق والحكمة فيما حكم، ومن قرأ "يقضي الحق" أي: يحكم القضاء الحق فيكون صفة مصدر أو يصنع^(٣)، الحق فيكون مفعولا به، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾: القاضين، ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب، ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لعجلته حتى أتخلص منكم حين سألتهم أنتم العذاب، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: لكن هو أعلم بوقت العقوبة، ﴿وَعِنْدَهُ^(٤) مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ^(٥)﴾: خزائنه جمع مفتاح بالميم وهو

(١) ولما أوضح الحق واستبان طريقهم لتعاملهم بمقتضى العلم ومن مقتضاه ألا تكون متبعا

لهواهم وتجاهد معهم بالعداوة، فبين هذا بقوله: "قل إنني نهيته" الآية/١٢ وحيز.

(٢) من قص أثره يعني: تتبع/١٢.

(٣) من قضى الدرع صنعه/١٢.

(٤) ولما قال الله أعلم بهم انتقل من خاص إلى عام، فقال: "وعنده مفاتيح الغيب"

الآية/١٢ وحيز.

(٥) وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من

مدعي علم الغيب ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرهم، ولا يحيط به علمهم

ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة، والأنواع المخدلة

المخزن أو جمع مفتاح بكسر الميم وهو المفتاح^(١)، وقد صح أن مفاتيح الغيب خمس "إن الله عنده علم الساعة ويترى الغيث" [لقمان: ٣٤]، «لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» أي: يحيط علمه بالمغيبات والمشاهدات، «وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا»، لأنه لا تسقط إلا بعد تعلق إرادته به، «وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ»: فوق الأرض أو تحته عطف على ورقة^(٢)، «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ» المراد منه كل شيء، «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»: في اللوح المحفوظ، وهو صفة للمذكورات كما أن "إلا يعلمها" صفة لورقة، «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ»: هو التوفي^(٣) الأصغر استعار التوفي للنوم لما بين الموت والنوم من المشاركات، «وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم»: كسبتم، «بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ»، الضمير للنهار وقيل: في المنام، «لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى»: أجل الحياة إلى الممات أي: ليستوفى مدة عمره، «ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ»:

= ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: (من أتى كاهنًا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد)/١٢فتح.

- (١) كأن الغيب في بيته مقفل مفاتيحه لا توجد إلا عنده، ولا يعلم الغيب إلا الله/١٢ وحيز.
- (٢) والمراد من السقوط الوقوع على مكان لا الوقوع من علو وإلا فلا وجه لعطف الحبة والرطب واليابس على ورقة هي فاعل تسقط، أو من باب صفته [كذا في الأصل والأظهر: علفته] تبنا وماء وقلدته سيفًا ورمحًا، وفي هذه الآية مثل قوله "لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض" دلالة صريحة على علمه بجميع الجزئيات إحاطة تامة شاملة عامة كاملة، ولما كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث ومن عظيم أدلة البعث النوم، والإيقاظ، وفيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة أتبعه بما يجيء، فقال: "وهو الذي يتوفاكم بالليل" الآية/١٢ وحيز.
- (٣) يقبض النفس كما قال: "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها" الآية (الزمر: ٤٢) / ١٢ وحيز.

بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يجزيكم بعملكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿٦﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ﴿٧﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٨﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٩﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُدْخِلَ بَعْضَكُمْ فِي بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرِفُ الْأَيَّتِ لِعَالِهِمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ ﴿١٠﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١١﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ وَإِنَّمَا يُنْسِنُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٣﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لِعَالِهِمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٤﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ^(١) عِبَادِهِ﴾: تصوير لقهره وعلوه بالقدرة، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً^(٢)﴾: من الملائكة تحفظ أبدانكم كما قال تعالى: "لَهُ مَعْقَبَاتُ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ" [الرعد: ١١]. أو تحفظ جميع أعمالكم وهم الكرام الكاتبون، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾: حان أجله، ﴿تَوَفَّيْتُهُ رُسُلَنَا﴾ لملك الموت أعوان يخرجون الروح فيقبض ملك الموت، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: فيما أمروا يفعلون ما يؤمرون ﴿ثُمَّ^(٣) رُدُّوهُ﴾ أي: الملائكة أو الخلائق كلها، ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ^(٤)﴾: الذي يتولى أمرهم، ﴿الْحَقُّ﴾: العدل الذي لا يظلم فضلا ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾: يومئذ لا حكم بوجه لغيره فيه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾: لا يحتاج في الحساب إلى ضرب وقسمة وفكر وروية وعقد يد لا يشغله حساب عن حساب، ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ^(٥)﴾: سؤال توبيخ، ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: شدائدها^(٦) وأحوالها ﴿تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: معلنين

(١) فوقية تليق بجلاله كما ورد "أنت الظاهر فليس فوقك شيء" هذا ما في الوجيز وفي الفتح هو صفة الله تعالى وهذا هو مذهب سلف الأمة وأئمتها يبرونها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا تعطيل أي: فوقية تليق بحاله وهو الحق وتقدم بيانه في الآية من السورة.

(٢) نظيره (وإن عليكم لحافظين)/ ١٢ معالم.

(٣) الظاهر أن الضمير للعباد المفهوم من أحدكم.

(٤) إلى الله وقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد أن الملائكة يصعدون بأرواح الموتى من سماء إلى سماء حتى تنتهي بها إلى السماء السابعة، وفي رواية إلى السماء التي فيها الله ثم ترد إلى عليين، أو سجين، وفي الآية دليل على علوه تعالى من خلقه/ ١٢ فتح .

(٥) ولما بين كمال القدرة ذكر نوعاً من القدرة عن أثرها فقال: "قل من ينجيكم"/ ١٢ وجيز.

(٦) أي: من شدائدهما وأحوالهما كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم/ ١٢ معالم.

ومسرين، أو إعلانا وإسراراً ﴿لَئِنْ أَتَجَانَّ مِنْ هَذِهِ﴾ أي: يقولون لكن أنجيتنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لا من الكافرين، ﴿قُلْ^(١) اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا﴾: الظلمة، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾: غم سواها، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ^(٢)﴾: فلا تشكرون^(٣)، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا^(٤) مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾: كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط ونوح، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾: كالحسف، والزلزلة نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عذاب الفوق أمراء السوء والتحت خدم السوء، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾: يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى، ﴿وَيُذِيقُ^(٥) بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يسلط بعضهم على بعض بالعذاب، والقتل وفي الحديث الصحيح (سألت ربي ثلاثا فأعطاني

(١) أمره بالمسابقة إلى الجواب لأنه أمر متفق عليه، فيكون هو -صلى الله عليه وسلم- سبق إلى الخير والاعتراف بالوحدانية/١٢ وجيز.

(٢) وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبد رؤسا/١٢ بيبضاوي.

(٣) ولفظ الآية يدل على أنه عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمر أحدها الدعاء، وثانيها التضرع، وثالثها الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله: "وخفيه"، ورابعها التزام الاشتغال بالشكر وهو المراد من قوله "لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين" (يونس: ٢٢)، ثم بين تعالى أنه ينجيهم تلك المخاوف، ومن سائر موجبات الخوف والكره، ثم إن ذلك الإنسان يقدم على الشرك ونظير هذه الآية قوله: "ضل من تدعون إلا إياه" (الإسراء: ٦٧)، وقوله: "وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين" (يونس: ٢٢)، وبالجملة فعادة أكثر الخلق ذلك إذا شاهدوا الأمر الهائل أخلصوا وإذا انتقلوا إلى الأمن والرفاهية أشركوا به/١٢ كبير.

(٤) يعني كما أن المنجي من المهالك هو الله وحده هو الموقع فيها وحده/١٢ وجيز.

(٥) ذكر الإذاقة التي للمطعموم مبالغة في أن الشدة تصل إلى باطنهم/١٢.

ثنتين ومنعني واحدة سألت أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها^(١)، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: لكي يفهموا ويتدبروا، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾: بالقرآن^(٢) وقيل: بالعذاب، ﴿قَوْمُكَ﴾: قريش، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصدق أو الواقع، ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: ما وكل إلى أمركم إنما على البلاغ، ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾: لكل خبر من أخبار الله تعالى وقوع، ولو بعد حين، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: بعضه في الدنيا، وبعضه في الآخرة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ^(٣) الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: بالطعن والاستهزاء، ﴿فَاعْزِضْ عَنْهُمْ﴾: اترك مجالستهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: الضمير للآيات

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان/١٢ وجيز [أخرجه الترمذي (٢٢٨٠) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٧٦٧) وأصل الحديث في مسلم في "الفتن وأشرار الساعة" (٧٤٠/٥) ط الشعب.

(٢) الدال عليه ذكر الآيات/١٢.

(٣) ولما أمره بما يقول عند تكذيب قومه أمره بما يفعل حين تكذيبهم فقال: "إذا رأيت/١٢".

(٤) وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وتقليداتهم الفاسدة وبدعهم الكاسدة فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تزهره عما ينسبون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر/١٢ افتح.

باعتبار القرآن، «وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ»: النهي عن مجالستهم بوساوسه^(١)، «فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ»^(٢): بعد أن تذكر، «مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»، معهم فإنهم ظلمة لوضع التكذيب، والسخرية موضع التصديق والتعظيم، «وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ»: ما عليهم شيء مما يحاسبون عليه أي: من آثام الخائضين إن قعدوا معهم، «وَلَكِنْ ذَكِّرْ» أي: لكن عليهم أن يذكروهم، ويمنعوهم، ويعظوهم، «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»: يجتنبون الخوض كراهة لمساءتهم نقل أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون: إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف فإنهم يخوضون أبدا، فترلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير، قال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله "إنكم إذا مثلهم" (النساء: ١٤٠)، وفي رواية قال المسلمون: نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهائهم وحينئذ معنى قوله: "ولكن ذكرى" أي: ولكن عليكم التجنب وتذكر النهي لعلهم يتقون حين يروا إعراضكم عنهم، وصح عن سعيد ابن جبير: إن معناه ما عليكم أن يخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتهم، وأعرضتم عنهم أي: عليكم الإعراض، «وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا» أي: استهزؤا بالدين الحق الذي يجب أن يعظم غاية التعظيم، أو معناه جعلوا اللعب كعبادة الأصنام وتحريم^(٣) البحائر وغيرها دينا واجبا أي: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم، «وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» حتى اطمأنوا بها، «وَذَكَّرَ بِهِ»: بالقرآن، «أَنْ

(١) فمفعوله الثاني محذوف/١٢.

(٢) بعد التذكر مصدر وألفه للتأنيث قيل: لم يجئ مصدر على فعلى غير الذكرى/١٢

وجيز.

(٣) وما كانوا يختاطون في أمر الدين البتة ويكتفون فيه بمجرد التقليد فعبر الله تعالى عنهم

بأنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا/١٢ كبير.

تَبْسَلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ: مخافة أن تسلم إلى الهلكة بسوء عملها، أو تفضح، أو تجس أو تؤاخذ أو تجزى، «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ»: يدفع العذاب عنها، والجملة إما صفة أو حال، «وَأَنْ تَعْدِلَ كُلُّ عَدْلٍ»: وإن تُقَدِّ النفس كل فداء، ونصبه على المصدر، «لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا»: فاعله منها لا ضمير العدل؛ لأنه مصدر وهو ليس بماخوذ، «أُولَئِكَ»^(١) الَّذِينَ أُبْسِلُوا: سلموا للعذاب، «بِمَا كَسَبُوا»^(٢) لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ: الماء المغلي، «وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ»^(٣).

﴿قُلْ أَتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اسْتَئْتِ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَاكَ تَتَخَدُّ أَصْنَامًا ؕ إِلَهَةٌ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ

(١) إشارة إلى الذين اتخذوا أو إلى الجنس المدلول عليه بأن تبسل نفس/١٢.

(٢) من الخطايا وقبائح الأعمال/١٢.

(٣) إشارة إلى أن كفرهم أسوأ ما كسبوا ولما أقام الحجة البالغة على أن المؤثر ليس إلا الله

تعالى عقبه سؤال مرتبط فقال: "قل أندعوا"/١٢.

هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَقْلَتْ قَالَ
يَلْقَوْمٍ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ
قَالَ اتَّحِجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ
رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ
مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

﴿قُلْ أَدْعُو﴾: نعبد، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: لا يملك نفعا ولا ضرا،
﴿وَنُرِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: نرجع إلى الشرك، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ﴾: كالذي ذهب به الغيلان مرده الجن، وأضلته، و(كالذي) حال من ضمير
(نرد) أي: ننكص مشبهين من أضلته الغيلان ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في المهمة ^(١) ﴿حَيْرَانَ﴾:
متحيرا، ﴿لَهُ﴾: لهذا المستهوى، ﴿أَصْحَابٌ﴾: رفقاء، والجملة (كحيران)، ﴿يَدْعُوهُ إِلَى
الْهُدَى﴾: إلى الطريق المستقيم، ﴿إِنِّنَا﴾ أي: قائلين إيتنا، فلا يلتفت إليهم، ويصير مع
الغول حتى يلقيه إلى الهلكة، ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾: فما عداه ضلال وهلكة،
﴿وَأْمُرْنَا﴾: عطف على (إن هدى الله)، ﴿لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: بأن نسلم،

(١) أي: البادية/١٢.

ونخلص له العبادة أو اللام للتعليل أي: أمرنا بذلك لنسلم ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا﴾، عطف على لنسلم، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والحكمة، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، عطف على السماوات فذكر بدء الخلق وإعادته أو على مفعول اتقوه أو بتقدير واذكر، والمراد يوم القيامة فإن الأمر فيه غير تدريجي، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: الصدق الواقع لا محالة مبتدأ وخبراً أو (قوله) مبتدأ و(الحق) صفته "ويوم يقول" خبره أي: قضاؤه الحكمة والصواب حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء يعني ما ظهر من مكوناته شيء إلا عن حكمة وصواب، فلا يكون المراد من يوم يقول يوم القيامة، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾^(٢) إما ظرف لقوله: "له الملك" كقوله: "لمن

(١) فيجازيكم وفيه تنبيه بأن ثمرات هذه الأفعال وحسرات تركها يظهر يوم الحشر/١٢ وجيز.

(٢) أي: الملك كائن له في هذا اليوم فإن ظهور توحده في الملك في هذا اليوم الذي لا أمر لأحد سواه كما قال "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" والصور قرن يوسع السموات والأرض/١٢ وجيز، والصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وهو لغة أهل اليمن، وكذا قال الجوهري: إن الصور القرن أي: المستطيل، وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبها، ووصلت لجسدها، فتحلّه الحياة قال مجاهد: الصور قرن كههيئة البوق وقرئ "الصُّور" جمع صورة والمراد الخلق، وبه قال الحسن ومقاتل قال أبو عبيدة: وهذا وإن كان محتملاً يرد بما في الكتاب والسنة قال الله تعالى "ثم نفخ فيه أخرى" (الزمر: ٦٨)، وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه النسائي وابن المنذر وابن حبان وابن أبي حاتم والحاكم، وصححه والبيهقي وعبد بن حميد وابن المبارك عن عبد الله بن عمر وقال: سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصور فقال: "قرن ينفخ فيه"، وأجمع عليه أهل السنة والأحاديث الواردة في كيفية النفخ ثابتة في كتب الحديث لا حاجة لنا إلى إيرادها ها هنا/١٢ فتح.

الملك اليوم لله الواحد القهار" [غافر: ١٦] وإما بدل من "يقول" والصور القرن الذي
ينفخ فيه إسرافيل، وقيل: جمع صورة أي ينفخ فيها فتحيًا، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾
أي: هو عالم الغيب، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ^(١) لَأَبِيهِ أَزْرًا،
عطف بيان لأبيه والأصح^(٢) إنه اسم أبيه وله اسمان (آزر) و(تارخ) أو أحدهما لقبه،
﴿اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾: دون الله، ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ﴾: عن الحق،
﴿مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: مثل هذا التبصير نبصره، وهو حكاية حال
ماضية، ﴿مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ملكها والتاء زائدة للمبالغة^(٣)،
﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ﴾ أي: ليستدل، وليكون، أو فعلنا ذلك ليكون، ﴿فَلَمَّا جَنَّ
عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: ستره بظلامه، وهذا تفصيل لإراءته، ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾: هو الزهرة أو
المشتري، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل، ثم يكر عليه
فيبطله بالحجة وهذا النوع أدعى إلى القبول فإن قومه يعبدون الكواكب، وهذا هو الأصح،
أو قال ذلك على وجه النظر والاستدلال في أول بلوغه، بل قبله فقد نقل أنه في السرب
سبع سنين أو أكثر لخوف والديه من نمrod لأنه يقتل الصبيان، فإنه قد أخبر بمولود ذهاب
ملكه على يديه، وهو ما رأى في السرب لا سماء ولا أرضًا فلما خرج ورأى كوكبًا
قال هذا ربي، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب، ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾: عبادة شيء يتغير عن
حال إلى حال فعرفهم جهلهم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾: طالعًا، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي

(١) ولما بين لهم بقوله ما لا ينفعنا ولا يضرنا أنهم في اتخاذ الأصنام بكمال الجهل أعقبه
حكاية إبراهيم في شأن أبيه وقومه لأنه أنسب لرجوع العرب من ضلالتهم إذ هو جد
لهم معظم عندهم وإنكار نبينا - صلى الله عليه وسلم - على قومه إنكار إبراهيم
عليهم ١٢/ وحيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره/ ١٢.

(٣) كالرهبوت والرحموت/ ١٧.

فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي الشَّيْءُ الطَّالِعُ صَانَ مَا سَمَاهُ رَبَا عَنْ وَصْمَةٍ (*) التَّائِيثُ، ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ جرماً، وإضاعة، فألقى بالربوبية، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: وظهر حدوثه، وأنه مسخر، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا^(١) تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المفتقرة إلى محدث يحدثها، ثم توجه إلى موجدها الذي دلت هذه الممكنات عليه وقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصت ديني وأفردت عبادتي، ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: ابتدعهما على غير مثال سبق، ﴿حَنِيفًا﴾: حال كوني مائلاً عن الشرك إلى التوحيد، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لله، ﴿وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ﴾: جادلوه في التوحيد، ﴿قَالَ أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾: في وحدانيته، ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾: إلى التوحيد، وأنا على بينة منه، ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: معبوداتكم فإنها لا تملك ضرراً ولا نفعاً وهم يخوفونه^(٢) منها، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، استثناء منقطع، أي: لكن أخاف مشيئة الله، أو متصل تقديره لا أخاف معبوداتكم في وقت قط إلا وقت مشيئة ربي شيئاً من مكروه يصيبني من جهتها مثل أن يرجمني بكوكب أو يجعلها قادرة على مضرتي، ﴿وَسِعَ^(٣) رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ^(٤) عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتعتبروا أن ما قلت لكم حق

(٥) في حاشية النسخة: عيب/ ١٢.

(١) ولابد أن موضع الاستدلال الواقف هو فيه -عليه الصلاة والسلام- يكون تحت جبل عال أو جدار فإنه لا يمكن غروب كوكب ويكون بعده طلوع القمر وبعد غروبه طلوع الشمس في ليلة واحدة/ ١٢ وجزء. [والأمر لا يحتاج إلى كل هذا التكلف من صاحب الحاشية؛ لأنه لا دليل على أن هذه الرؤى قد وقعت له في ليلة واحدة، فقد يكون ذلك في أوقات متعددة، ويكون قد تأملها ثم أدارها في نفسه، ثم احتج بها على قومه وهم يقرّون بها ابتداء لطول مشاهدتهم إياها]

(٢) كما قال قوم هود: "إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء" (هود: ٥٤) ١٢ وجزء.

(٣) وفي تكرار ربي استدلال، وتعريض بأن الله ربه ومولاه ولا مولى لهم، بل الله علوهم/ ١٢ وجزء.

(٤) منصوب على التمييز فهذا أبلغ من وسع علم ربي كل شيء/ ١٢ وجزء.

فتركوا عبادتها، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ وهو لا يملك ضرا، ﴿وَلَا تَخَافُونَ
 أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾: الذي هو حقيق بأن يخاف منه، لأنكم أشركتم المصنوع
 بالصانع، وسويتهم بين العاجز والقادر، ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: شيئا لم ينزل
 بإشراك ذلك الشيء حجة من كتاب وغيره، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: من الموحدين
 والمشركين، ﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١)﴾: إن لم يكن لكم جهل، ﴿الَّذِينَ
 آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوه بشرك^(٢)، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ﴾: وقد صح أنهما لما نزلت قد شق على الصحابة، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه،
 فقال -عليه الصلاة والسلام-: "ليس كما تظنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: "يا

(١) إن كنتم غفلاء لستم بمجانين فأخبروني أي هذين الفريقين أحق بالأمن، ولما خوفوه في
 مكان الأمن ولم يخافوا في مكان الخوف أبرز الاستفهام في صورة الاحتمال وقد علم
 يقنيا، لأنه أقرب من إنصافه وإدعائهم كأنه صبرهم حكاما وطلب منهم الإنصاف
 والصدق/١٢ وجيز.

(٢) بشرك تفسير الظلم بالشرك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد صح عن
 البخاري ومسلم ومسنند الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد صح عن حم
 غفير من السلف والإنكار منكر من القول هذا ما في الوجيز وفي الفتح، والعجب عن
 صاحب الكشف حيث يقول في تفسير هذه الآية: وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ
 اللبس وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرهما بهذا وإذا جاء نهر الله بطل
 نهر معقل، وفي زاده على البيضاوي: وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية
 المعصية لا الشرك بناء على أن خلط إحدى الشئتين بالآخر يقتضي اجتماعهما
 ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك لأنهما ضدان لا يجتمعان وهذه الشبهة ترد عليهم بأن
 يقال: كما أن الإيمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع الإيمان عندكم لكونه
 اسم لفعل الطاعات واجتناب المعاصي فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم
 انتهى/١٢

بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان: ١٣٠) "إنما هو الشرك" (*)، وقد فسرهُ السلف بذلك، والمراد من الخلط النفاق، أو المراد من الإيمان مجرد تصديقه وشركه عدم توحيده، أو المراد الثبات على الإيمان وكثير من الناس يزعمون إيمانهم وهم عنه بمراحل لفساد عقيدتهم بصفة من صفات الله.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ٨٧ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٨ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٨٩ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٩٠ ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٩١ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٢ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ٩٣ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ٩٤

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما مر من قوله: "فلما جن" إلى قوله: "وهم مهتدون"، ﴿حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾: ألهمناها، ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق (بحجتنا)، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ

(٥) أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: "ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" (٤٦٢٩) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "الإيمان" / باب: صدق الإيمان وإخلاصه.

نَشَاءُ ﴿قَرَأَ بِالْإِضَافَةِ، وَبِلا إِضَافَةٍ (فَمِنْ نَشَاءَ) مَفْعُول (نَرْفَعُ) وَ(دَرَجَاتٍ) إِمَّا مُصَدَّر أَوْ ظَرْفٌ أَوْ تَمْيِيزٌ إِنْ جُوزْنَا تَقْدِيمَهُ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي الرِّفْعِ وَالْخَفْضِ، ﴿عَلَيْمٌ﴾، بِحَالٍ مِنْ يَرْفَعُهُ وَيَخْفِضُهُ وَقَابِلِيَّتِهِ، ﴿وَوَهَبْنَا^(١) لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا﴾: مِنْهُمَا، ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَهَدَايَةِ الْوَالِدِ شَرَفَ الْوَلَدِ، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، الضَّمِيرُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَاللُّوْطُ^(*) هُوَ ابْنُ أَخِيهِ أَدْخَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ تَغْلِييًّا أَوْ الضَّمِيرُ لِنُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أَي: هَدَيْنَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾: مِثْلُ مَا جَزَيْنَا إِبْرَاهِيمَ بِرَفْعِ الدَّرَجَةِ، وَكَثْرَةِ أَوْلَادِ مُهْتَدِينَ، ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾، فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ وَلَدَ الْبِنْتِ مِنَ الذَّرِيَّةِ، ﴿وَأَيَّاسَ﴾ الصَّحِيحُ أَنَّهُ غَيْرُ إِدْرِيسَ، ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمَارًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: بِالنَّبَوَةِ، ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ عَطَفَ عَلَى كُلِّ أَي: فَضَّلْنَاهُمْ وَبَعْضُ آبَائِهِمْ، ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وَفِيهِمْ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَهُمْ أَفْضَلُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْرَافِهَا، ﴿وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: اخْتَرْنَاهُمْ، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٢) ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا^(٣)﴾ بِحَسَبِ الْفَرَضِ أَي: هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ مَعَ عُلُوِّ دَرَجَتِهِمْ ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بَطُلَ عَمَلُهُمْ كَأَحَادِ النَّاسِ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يَرِيدُ جَنْسَ الْكِتَابِ، ﴿وَالْحُكْمَ﴾: الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، ﴿وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾: بِالنَّبَوَةِ، أَوْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ،

(١) أَي: مِنْ جُمْلَةِ رَفْعِ الدَّرَجَاتِ أَنَا وَهَبْنَا لَهُ يَحْتَمِلُ عَطْفُهُ عَلَى نَرْفَعُ وَعَلَى تِلْكَ حِجَّتَنَا.

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ.

(٣) وَأَمَّا نَكْتَةُ خُصُوصِيَّةِ عَدَدِ هَؤُلَاءِ بِهَذَا التَّرْتِيبِ فَعَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ١٢ وَجِيز.

(٣) فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْهُدَى السَّابِقَ هُوَ التَّوْحِيدُ وَرَفْضُ الشِّرْكِ ١٢ وَجِيز.

﴿هُؤُلَاءِ﴾: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: بمراعاتها، ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم المهاجرون والأنصار، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وعن قتادة هم الأنبياء المذكورون ومن تبعهم، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأنبياء المذكورون، ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ﴾^(١) اقتداه: في التوحيد، والصفات الحميدة، والهاء للوقف، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ أو القرآن، ﴿أَجْرًا﴾: جعلاً كما لم يسأل الأنبياء، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرًا﴾: تذكرة وعظة، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قُرْآنًا يَتَذَكَّرُونَ﴾ وَتُحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٥﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٦﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ

(١) عن ابن عباس قال أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بهديهم وكان يسجد في "ص" [أي في سجدة سورة "ص"] أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما ففيه دليل على أنه -صلى الله عليه وسلم- مأمور بالافتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص/١٢ فتح [البخاري (٤٦٣٢)].

(٢) ولما عد الأنبياء، ووصفهم بأنهم أصحاب كتاب وحكم ونبوة وأوعد من كفر بهذه الثلاثة عقبه بمن نفى الكتاب عن أسسه وأصله فقال: "وما قدرُوا الله حق قدره"/١٢ وحيث.

الظِّلْمُوتَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَبِكَةَ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ
 الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ
 آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ
 زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ
 تَزْعُمُونَ ﴿١٢٧﴾ *

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عظموه حق تعظيمه، أو ما عرفوه حق معرفته في
 اللطف والرحمة على عباده، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾: إذ كذبوا
 إرسال الرسل الذي هو من عظام نعمه، ﴿قُلْ﴾: لهم، ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ
 بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾: نزلت^(١) في قريش، وهم يسمعون كتاب موسى من
 اليهود، ويسلمونه، ويقولون: لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم، أو في
 طائفة^(٢) من اليهود حين قالوا ذلك مبالغة في إنكار القرآن على رسول الله -صلى الله
 عليه وسلم- فألزموه ما لا بد لهم من الإقرار به أو رجل معين من اليهود قال: ما أنزل
 الله على بشر من شيء حين غضب، ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾
 أي: جعلتها يجعلها قطعاً قطعاً، ويجزئونها جزءاً جزءاً يبدون ما يحبون ويخفون بعضاً لا
 يشتبهون، مثل صفة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وآية الرجم، وقراءة الخطاب يؤيد
 كلام من يقول: أن الآية في اليهود اللهم إلا أن يقال إن قريشاً واليهود النصارى
 متشاركون في إنكار القرآن، فلم يبعد أن يكون الكلام بعضه خطاباً مع قريش، وبقية

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما/١٢ وحيز ولقريش صحبة ومحبة مع اليهود/١٢ وحيز.

(٢) وهو الظاهر وهو قول بعض السلف/١٢ وحيز.

مع اليهود، والنصارى كأنهم طائفة واحدة، وأما قراءة الباء أي: الغيبة تكون التفاتاً^(١) عند من يقول الآية في اليهود، «وَعَلَّمْتُمْ»: بسبب القرآن، «مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ»: من خير ما سبق ونبأ ما يأتي، وإذا كان الخطاب مع اليهود فمعناه علمتم بالقرآن زيادة على التوراة وبياناً لما التبس عليكم، وعلى آباءكم كما قال تعالى "إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون" [النمل: ٧٦]، «قُلِ اللَّهُ»: أنزله أجِبْ عنهم ذلك، لأنه متعين وفيه إشعار بأنهم تحيروا في الجواب «ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ»: دعهم في أباطيلهم، «يَلْعَبُونَ»: يعملون ما لا ينفع، وهو حال من مفعول ذر، «وَهَذَا»: القرآن، «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ»: كثير النفع، «مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ»: من الكتب السماوية، «وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى»: أي: أهل مكة فـ(عطف على) صريح لفظ مبارك أي: كتاب مبارك كائن للإنذار، «وَمَنْ حَوْلَهَا»: أهل الشرق والغرب، «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ»: بالقرآن، «وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»، فإن لازم الإيمان بها الخوف، والخوف يجره إلى الإيمان بالقرآن والمداومة بصلاته فإنها عماد الدين، «وَمَنْ^(٢) أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا»: كمن ادعى أنه أرسله كاذباً، «أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ»، نزلت في مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والوحي^(٣)، «وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ^(٤) اللَّهُ»:

(١) إهانات لهم/١٢.

(٢) ولما كان لمن يدعي الرسالة لنفسه، ولمن ينفيها مضادة كما قالت اليهود وكل منهما كافر بسبب هذا القول عقب أحدهما الآخر فقال: "ومن أظلم" الآية/١٢.

(٣) أتى بأو التنويعة مع أنه القائل والمفتري ليدل على أن كل واحد من فعله وقوله يكفي في أنه ظلم/١٢ وحيز.

(٤) قال السدي: نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي، وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي -صلى الله عليه وسلم- فكان إذا أُملى عليه سمعاً بصيراً كتب عليهما حكيماً وإذا أُملى

كما قالوا: "لو نشاء لقلنا مثل هذا" (الأنفال: ٣١)، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، جوابه محذوف أي: ولو ترى زمان سكرهم لرأيت أمراً فظيعاً، ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾: شدائده، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾، بتعذيبهم لقبض أرواحهم، فقد ورد^(١) أن أرواح الكفرة تتفرق في أجسادهم وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى^(٢) تخرج، ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: قائلين ذلك تعنيفاً وتغليظاً وزجراً وإضراراً لهم، ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الموت، ﴿تَجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: الهوان والذل، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: كإثبات الشريك والولد، وإدعاء النبوة، ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فلا تؤمنون بها، فالهوان لاستكبارهم، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾:

= عليه عليهما حكيمًا كتب غفوراً رحيمًا فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين فقال -صلى الله عليه وسلم-: اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى مثل ما يوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك إلى الإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنيبي -صلى الله عليه وسلم- نازل بمر الظهران: هذا ما في لباب التأويل المعروف بالخازن وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض رسائله: وعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد ارتد وكان يكذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن ثم تاب وأسلم وبايعه النبي -صلى الله عليه وسلم- على ذلك/ ١٢.

(١) كما رواه ابن أبي حاتم، وغيره/ ١٢ وجيز.

(٢) وأما أن للكافر اختيار في حبس الروح في البدن وإطلاقه فالعلم عند الله تعالى، وفيه دليل على عدم تجرد الروح/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما كان من المعلوم أن ليس استكبارهم إلا لما هم وخولهم وكان استظهارهم بالشفعاء اللات والعزى عقبه بقوله: "ولقد جئتمونا فرادى" الآية/ ١٢ وجيز.

منفردين عن الشفعاء، والأموال، والأهل، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقد كنتم تنكرون ذلك حال ثانية أو صفة مصدر جئتمونا أي: مجيئنا مثل خلقناكم أو بدل من فرادى، ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: تفضلنا عليكم من المال، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: تركتموه كلياً وليس معكم شيء منه، ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾: في ربوبيتكم واستعبادكم، ﴿شُرَكَاءُ﴾: الله، ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، على قراءة رفع (بينكم) يكون بمعنى الوصل ليس بظرف، أو ليس بلازم الظرفية، وعلى قراءة النصب أسند لتقطع إلى ضمير الأمر لتقرره في النفوس أي: تقطع الأمر بينكم، ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾: ضاع وبطل، ﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(١): تزعمونه شفيعاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ١٥ فالق الإصباح وجعل الليل سكناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٦ وهو الذي جعل لكم الشجور لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ١٧ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ١٨ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشبه أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذالك لآيات

(١) الذين قلتم: "ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر: ٣)/ ١٢ فتح.

(٢) أنها شفعاءكم/ ١٢ بيضاوي.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُم بَيْنَ وَبَيْنَتٍ بَغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٧﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾^(١) الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يشقهما في الثرى فنبت منهما الزرع^(٢) والشجر، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: النبات والحيوان من الحب والنطف، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾: الحب والنطف ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾: النبات والحيوان عطف على فالق الحب فإن (يخرج الحي من الميت) كاليان له ولذا ترك العطف، ومخرج الميت من الحي لا يصلح للبيان؛ لأن فلق الحب ليس إلا لإخراج الحي، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فاعل هذه الأشياء هو الله، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عنه إلى غيره، ﴿فَالِقُ﴾^(٣) الْإِصْبَاحِ^(٤): شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾، إعمال اسم الفاعل، لأنه بمعنى الدوام التجديدي نحو:

"ولقد أمر على اللثيم يسبني"(*)

لا بمعنى الثبوت الدائم كـ "مالك يوم الدين" (الفاصلة: ٤)، ﴿سَكَنَّا﴾: يسكن فيه خلقه، ويستريح، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾^(٥) أي: تجريان بحساب معين لا

(١) ولما تقدم ذكر البعث في قوله: "ولقد جئتمونا" نبه على إمكانه في جنب كمال قدرته بالأمر المشابه للبعث فقال: "إن الله فالق الحب" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) ففيه تنبيه على البعث/ ١٢.

(٣) ولما ذكر القدرة في الأرضيات توجه إلى قدرة مثلها في السماوات "فالق الإصباح" الخ/ ١٢ وحيز.

(٤) والإصباح مصدر سمي به الصبح/ ١٢ وحيز.

(٥) صدر بيت من الكامل، وهو لرجل من سلول في الدرر ٧٨/١ وعجزه:

"فَمَضَيْتُ نَمْتُ قُلْتُ لَا يَغْنِينِي"

(٥) حُسْبَانًا هو مصدر حسب بفتح السين أي: العد والحصر، والحسبان بكسر الحاء مصدر حسب بكسر السين أي: الظن والتخمين/ ١٢ منه.

تتجاوزان، أو معناه جعلهما علمى حساباً؛ لأن حساب الأوقات يعرف بدورهما، **﴿ذَلِكَ﴾** أي: المذكور من فلق الصبح، وجعل الليل، والشمس، والقمر، **﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾**: الذي يفعل ما يريد، **﴿الْعَلِيمِ﴾**: بما قدر وأراد، **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾**: خلقها لكم، **﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾** أي: في ظلمات^(٢) الليل فيهما، **﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾**: بينها مفصلاً لا مجملاً، **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**^(٣)، فإن الجاهل لا ينتفع به، **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** أي: آدم، **﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾** أي: فلكم مستقر في الأرحام، **﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾**^(٤): في الأصلاب، أو بالعكس أو في الأرحام، وعلى ظهر الأرض أو في القبر وفي الدنيا أو في الرحم والقبر أو في الجنة أو النار وفي القبر وهما اسماً مكان أو مصدران، وفي قراءة كسر القاف الأول اسم فاعل، والثاني اسم المفعول أي: فمنكم قار ومنكم مستودع، **﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾**

(١) وهذا إحدى منافع النجوم ومنها ما ذكره الله في قوله: "وحفظاً من كل شيطان مارد" (الصفات: ٧) وقوله تعالى: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين" (الملك: ٥)، وعن عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا فإنها والله ما خلقت إلا زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها وعن قتادة نحوه وأخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عمر مرفوعاً: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا/١٢فتح.

(٢) إضافة الظلمات إليهما للاستعانة بهما/١٢منه.

(٣) ولما كان جميع تلك الآيات المتوالية للاستدلال على الوجدانية إذا أتم دليلاً رجع إلى غيره من آفاقي وأنفسي، ومن هذا قال: "وهو الذي أنشأكم"/١٢وجيز.

(٤) والحاصل أن المستقر، والمستودع حالان يتواردان على الإنسان من الظهر إلى الرحم إلى الدنيا إلى القبر إلى المحشر إلى الجنة أو النار، ففي كل رتبة استقرار بالإضافة إلى ما قبلها استيداع بالإضافة إلى ما بعدها واستقر لازم فلا يبنى منه اسم مفعول/١٢وجيز.

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ^(١)»، الفقه: تدقيق النظر، فهو أليق بالاستدلال بالأنفس لدقته بخلاف الاستدلال بالآفاق، ففيه ظهور ولهذا قال في الأول: "لقوم يعلمون".

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانبه، ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: بسبب الماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تنبت، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات أو الماء، ﴿خَضِرًا﴾: زرعاً وشجراً أخضر، ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخضر، ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: بعضه على بعض كسنابل البر وغيره، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾، الطلع: أول ما يخرج من ثمرها والقنو: العرجون، وهو مبتدأ "ومن النخل"^(٢) خبره، "ومن طلعتها" بدل، ﴿دَانِيَةً﴾: سهلة المحتنى لقصر النخل اللاصقة عذوقها بالأرض، أو قريب بعضها من بعض على التفسير الأول ذكر الدانية لأن النعمة فيها أظهر أو دل بذكر القرية على ذكر البعيدة كقوله "سرايل تقيكم الحر" (النحل: ٨١) أي: والبرد، ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على (نبات)، أو على (خضرًا) ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ أي: شجريهما بدليل انظروا إلى ثمره، ﴿مُشْتَبِهًا﴾^(٣) وَغَيْرِ مُتَشَابِهٍ أي: متشابهها ورقهما، فإن ورقهما قريب غير متشابه

(١) لما كان الاهتداء بالنجوم، واضحا ختمه بيعملون وكون الإنسان من نفس واحدة وتصريفه في أحوال كثيرة أدق ختمه بيفقهون فإن المفهوم من الفقه دقيق النظر/١٢ وجيز.

(٢) والجملة مقطوع عما قبلها في تجريدتها من عظم المنة إذ كانت من أعظم قوت العرب، ولها شبه بالحب، وشبه بالعنب في التغذي والتفكر، فناسب أن يكون اعتراضاً بين الحب والعنب/١٢ وجيز.

(٣) الافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً يقال: اشتبه الشيطان وتشابهها واستويا وتساويا، فهو حال من الزيتون لسبقته، أو من الرمان لقربه، وحذف مشتبهها وغير متشابه من أحدهما للقرينة وبأن بعض الرمان حامض وأحمر وكبير، وبعضه حلو وأبيض وصغير ففي الرمان في غاية الظهور/١٢ وجيز.

ثمرهما، أو بعضه متشابه ببعض آخر منه في الهيئة، واللون والطعم وبعضه غير متشابه،
﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾: ثمر كل واحد من ذلك، **﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾**: أخرج ثمره، **﴿وَيَنْعِهِ﴾**:
 وإلى نضجه نظر استدلال بعد أن كان حطبًا صار عنبًا ورطبًا وبعد أن كان جافًا تفها
 صار للذيذا، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾** أي: على كمال قدرته، **﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**:
 يصدقون بالله.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: عبادة غير الله تعالى، عبادة الشيطان هم جعلوا
 الشيطان شريكًا له، أو كما قال الثنوية: الله خالق النور، والشيطان خالق الشرور،
 (وشركاء الجن) مفعول (جعلوا) أو (لله) متعلق بـ(شركاء) أو حال منه أو (لله)
 (شركاء) مفعولاه، و(الجن) منصوب بمقدر، كأنه قيل: من جعلوه شركاء؟ فقال:
 "الجن"، **﴿وَخَلَقَهُمْ﴾**^(١)، حال بتقدير قد والضمير إما إلى الكفار أي: جعلوا غير
 خالقهم شريكًا لخالقهم، وإما إلى الجن: أي جعلوا المخلوقين شركاء للخالق،
﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: اختلفوا وافتروا، **﴿يَغْيِرِ عِلْمٍ﴾** حال من فاعل خرقوا أي:
 خرقوا عن عمى وجهالة لا عن فكر وروية، **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾** تعالى
 عطف على أسبح.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ **﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ**
كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ**
وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ **﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ**

(١) والأولى أن ضمير الجمع للحاعلين إذ هم المحدث عنهم يعني جعلوا مخلوقًا شريكًا
 لخالقهم، وما هو إلا حماقة/١٢ وحيز.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٢١﴾ وَكَذَلِكَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ اتَّبِعْ مَا
أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٢٤﴾ وَلَا تَسُبُّوا
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا
يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَنَقَلِبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِمَعْرِفَةِ أَوَّلِ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢٧﴾ * ﴿١٢٨﴾

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي^(١): هو مبدعها ومحدثها على غير مثال سبق قيل:
من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي: هو بديع سماواته، وقيل الإضافة حقيقية بمعنى في
أي هو عدم النظير فيهما، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾، والولد إنما
يكون بين متجانسين ولا يناسبه شيء فإنه فائق الأشياء وأين الخالق من المخلوق؟!
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، لم يقل وهو به عليم لأن علمه أشمل
من خلقه، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: الموصوف بما سبق من الصفات، وهو مبتدأ، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا

(١) ولما كان التوالد من صفات الأجسام ومن هو مبدع تلك الأجسام ومخترع الأجسام
ليس بجسم، فلا يكون له ولد "أنى يكون له ولد" الآية ١٢/ وحيز.

(٢) يعني من كان موصوفاً بالخالقية، والعالمية غنى عن العالمين والولد إنما يطالبه المحتاج إليه
نفى الولد بأدلة ثلاثة، ويمكن أن يجعل أربع دلائل ١٢/ وحيز.

إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»، أخبار مترادفة^(١)، «فَاعْبُدُوهُ»؛ لأن من له هذه الصفات استحق العبودية، «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ»: متولى أموركم فكلوها إليه، «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» أي: في الدنيا أولاً يحيط به الإبصار، فإن الإدراك أخص من الرؤية أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر ولا ملك، لكن إذا تجلى بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار، أو لا يراه جميع الأبصار؛ بل الكفار عنه محجوبون، «وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ»^(٢): تحيط علمه بها ويراهها، «وَهُوَ اللَّطِيفُ»: بأوليائه، «الْخَبِيرُ»:

(١) يعني المتصف بالصفات المتقدمة هو الله مَالِكُكُمْ الناظر في مصالحكم، ثم حصر الإلهية فيه وأنه هو وحده متصف بالخلق ثم أمر بعبادته، فقال: "اعبدوه" لأنه هو الحقيق بالعبادة/١٢ وجيز.

(٢) أي: هو لا تدركه حاسة النظر في الدنيا لأن الإرادة الأزلية أنقضت أنها لا تراه في الدنيا وأما أمور الآخرة فعلى خلاف ما في الدنيا تأمل فيما ورد عن أمر الصراط وأحوال الجنة وأهل النار والأحاديث الصريحة في شأن رؤية الله تعالى للمؤمنين في الجنة واردة، وهو يدرك جميع الحواس النظرية، فهو خالقها وصاحب الحاسة لا يرى حاسة نفسه، وكلا الأمرين معاً صفة مدح، والتغير من جانب الرائي لا من جانب الرب سبحانه، ولا عليك أن تجعل تلك الصفة دليلاً آخر لنفي الولد والصاحبة فإن التوالد لا بد له من خلطة ونماس، والصفات الذاتية لا تتغير/١٢ وجيز. وقد ثبت الرؤية في القيامة بالأحاديث المتواترة تواتراً لا شك فيه، ولا شبهة ولا يجهله إلا من يجهل السنة المطهرة جهلاً عظيماً وأيضاً قد تقدر في علم البيان والميزان أن رفع الإيجاب الكلي سلب جزئي فالمعنى لا تدركه بعض الأبصار وهي أبصار الكفار هذا على تسليم أن نفى الإدراك يستلزم نفى الرؤية الخاصة والآية من سلب العموم لا من عموم السلب والأول يخلفه الجزئية، والتقدير لا تدركه كل الأبصار، بل بعضها، وهي أبصار المؤمنين، وقد أطلل الواحد المتكلم الحافظ ابن قيم في حادي الأرواح في إثبات الرؤية ورد المنكرين لها بما لا مزيد عليه/١٢ افتتح.

بأعمالهم قليل من باب اللف والنشر أي لا تدركه الأبصار، لأنه لطيف لا كثافة(*) فيه بوجه، وهو يدرك الأبصار؛ لأنه خبير، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ^(١) مِنْ رَبِّكُمْ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للجسد أي: جاءكم بالوحي الآيات البينات، والحجج القرآنية التي هي للقلوب كالبصائر، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: يرى تلك الآيات وآمن بها، ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾: أبصر، وله نفعه، ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾، فلا يؤمن بها، ﴿فَعَلَيْهَا﴾: فعلى نفسه عمى، وعليها ضرره، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾: أحفظ أعمالكم فأجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ، وهذا وارد على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم ﴿وَكَذَلِكَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: مثل ذلك التبيين نبينها ونكررها، ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾، معلله محذوف أي: وليقولوا درست نصرفها، والدرس القراءة، والتعلم أي: ليقول المشركون درست، وتعلمت من اليهود، ثم تزعم أنه من عند الله عليك يعني لشقاوة بعض كما قال تعالى: "يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا" (البقرة: ٢٦)، فيكون اللام على أصله أو اللام لام العاقبة، وقرئ (دارست) أي: دارست أهل الكتاب وقارئهم، وقرئ (درست) أي: قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين، ﴿وَلَنُنَبِّئُكَ﴾، الضمير للقرآن أو الآيات باعتبار أنها قرآن أي: كررناه لنبينه، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لهداية المؤمنين، وحاصله تصرف الآيات لشقاوة بعض وسعادة بعض آخر، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: بالعمل به، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ حال مؤكدة من ربك أي: منفرداً بالألوهية، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: لا تتجاهلهم، واحتمل أذاهم حتى ينصرك الله فإن الله حكمة في

(*) بالأصل كثافته، والأصح ما ذكرناه. ص ٢٠٤.

(١) وهذا كلام استئناف وارد على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولهذا قال في آخره: "وما أنا عليكم بحفيظ" ووصف البصائر بالحيء تفخيماً لشأنها وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه كما يقال: جاءت العافية، وانصرف المرض، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس/١٢فتح.

إضلالهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: توحيدهم، ﴿مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: رقيقاً تحفظ أعمالهم وتجازيهم أو تحفظ من عذاب الله، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمرهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أصنامهم، ﴿فَيَسُبُّوا﴾^(١) اللهَ عَدُوًّا: ظلماً، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله يعني سب آلهتهم وإن كان حقاً لكن فيه مفسدة عظيمة، نزلت حين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك أو كان المسلمون يسبون آلهتهم وهم يسبون الله عدوًّا، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التزين، ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من أمة الكفار، ﴿عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

(١) وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل إذا خشى أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرمة ومخالفة حق ووقوع في باطل أشد كان الترك أولى به، بل كان وجباً عليه، وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصدين لبيائها للناس وإذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضاً لاتباع المحقين، وجرأة على الله سبحانه فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف، وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة، وجعل المخالفة لها والتجري على أهلها وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال "ملعون من سب والديه قالوا: يا رسول الله، وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه" ١٢/فتح البيان في مقاصد القرآن المأخوذ من فتح القدير للشوكاني/ ١٢ [البخاري ٥٩٧٣]، ومسلم (٢٧٦/١) ط الشعب ولفظه "إن من أكبر الكبائر... الحديث".

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أو كدها أي: أقسموا قسمًا غليظًا ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: كما لموسى وعيسى، ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبُ إِنْهَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا عندي حتى آتيكم بها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ابتداء كلام وليس في حيز (قل) و(ما) استفهام إنكار ﴿أَلَيْهَا إِذَا جَاءَتْ﴾: تلك الآية التي طلبوها، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا تدرون أنهم لا يؤمنون والله يعلم ذلك، ولا يترها وقيل: لا مزيدة، وقيل: فيه حذف تقديره: ما يدريكم أنهم لا يؤمنون، أو يؤمنون وقيل: أن بمعنى لعل، ومن قرأ إنها بكسر الهمزة على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بما علم منهم فقال ذلك، والخطاب للمؤمنين أو للمشركين، ويؤيده قراءة التاء في "لا تؤمنون" نزلت حين قالوا: والله لئن تجعل لنا الصفا ذهبًا لتبعنك أجمعين، ﴿وَوَقَّلَبُ أَفْتَدَتْهُمْ﴾: عن الحق لو أنزلنا ما اقترحوا من الآيات فلا يفقهونه عطف على (لا يؤمنون) أو جملة على حيالها، ﴿وَأَبْصَارُهُمْ﴾: فلا يبصرونه، ولا يؤمنون بها، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بما أنزل من الآيات، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: من انشقاق القمر وغيره، أو المراد كما لم يؤمنوا بما أنزلنا على موسى، وعيسى لقوله: "أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل" (القصص: ٤٨)، وعن بعض السلف نقلهما فلا يؤمنون لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا، ﴿وَوَلَدَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: في كفرهم، وضلالهم متحيرين.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا

هُم مُقْتَرِفُونَ ﴿١٧﴾ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٨﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٩﴾ وَإِن تَطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٢١﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿٢٣﴾ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْآثِمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾: فرأوهم عيانا، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾: فشهدوا لك، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: جمع قبيل بمعنى كفيل، أو بمعنى جماعات، أو هو مصدر بمعنى المراقبة، وهو حال من (كل)، ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: في حال، ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١) أي: إلا حال مشيئته، فيبدل طبعهم لتمرغهم في الكفر وسبق الفضاء

(١) يعني أن الأسباب لا دخل لها في إيمانهم بخلاف بعض الكفرة فإنه لا حاجة إلى تبديل طبايعهم، بل إذا جاءهم سبب، وضم إليه مشيئة الله تعالى لا آمنوا فإن هذا العالم عالم الأسباب/ ١٢ وحيز.

بشقائهم، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾**^(١): أنهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا، فيقسمون جهد إيمانهم قيل: أو إن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول آية طمعا في إيمانهم، **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾**^(٢) أي: كما جعلنا لك عدوًّا جعلنا لكل نبي عدوًّا، **﴿شَيَاطِينَ﴾**: مردة، **﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾** بدل^(٣) من عدوًّا، أو أحد مفعولي (جعلنا لكل نبي) ظرف (عدوًّا)، **﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾**: يوسوس ويلقي بعضهم بعضا، **﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾**: أباطيله المزينة يغروهم، **﴿غُرُورًا﴾** أو للغرور، يعني أن مردة الجن يوحون مردة الإنس، ويغروهم بالإضلال، وهذا^(٤) هو الأصح، وقال بعضهم: معناه الشيطان الموكل بالجن يوحى، ويعلم الشيطان الموكل بالإنس أباطيل القول في إضلال المسلمين وبالعكس، **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾**: ألا يكون لهم عدو، **﴿مَا فَعَلُوهُ﴾** أي: إجماع الزخارف، **﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾**: ولا تغتم أنت منهم، **﴿وَلِتَصْغَى﴾** أي: ولتميل، **﴿إِلَيْهِ﴾**: إلى زخرف القول، **﴿أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾**، عطف على (غورًا) إن جعلته مفعولا له، وإلا فهو متعلق بمحذوف أي: وجعلنا لكل نبي عدوًّا لتصغى، أو تقديره: جعلنا ذلك لمصالح لا تحصى ولتصغى، **﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾**: ليجوبه، **﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾**: ليكتسبوا، **﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾**^(٥):

(١) ولما علم مما سبق أنهم له - صلى الله عليه وسلم - أعداء لا تزول عداوتهم أعقبه ما يسلي فؤاده، فقال: "وكذلك جعلنا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) لست منفرداً بذلك/ ١٢.

(٣) والبديل جمع، والمبديل مفرد دل على أن المراد الجنس وإتيانه بصورة المفرد للإشعار بأنهم كيد واحد على ما سواهم/ ١٢ وجيز.

(٤) وهو قول جميع السلف، ويدل عليه الحديث الصحيح/ ١٢.

(٥) من الآثام، وهذا الترتيب في غاية الفصاحة أولا ذكر الخداع فالليل فالرضاء فالاقتراف وكل مسبب عما قبله، ولما كان من عادة قريش في المحالقات التحاكم إلى كهاهم،

من الآثام، **﴿أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾** أي: قل أغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم،
 و(حكما) حال من غير الله، **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾**: القرآن،
﴿مُفَصَّلًا﴾: بين وميز الحق والباطل، **﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾**: من اليهود
 والنصارى، **﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾**، لأن وصفه مذكور في كتبهم،
﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ في أنه من عند الله، وهذا من باب التحريض، والتهيج،
 قال تعالى: "وإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرءون الكتاب" الآية
 [يونس: ٩٤]، وقد جاءت في الحديث أنه عليه السلام قال حين نزوله: (لا أشك ولا
 أسأل) (*) أو المراد نهي الأمة، وقيل: معناه لا تكن من الشاكين في أنهم يعلمون ذلك،
﴿وَتَمَّتْ^(١) كَلِمَةُ رَبِّكَ^(٢)﴾: بلغت الغاية، وعداته وأقضيته، **﴿صِدْقًا﴾**: فيما وعد،

= وهم شياطين الإنس الذين قال الله تعالى فيهم: "يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول
 غرورا" وطلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التحاكم في أمر نبوته نهي الله
 تعالى عن التحاكم إلى غيره فقال: "أفغير دين الله أبغي حكما" إلخ/١٢ وجيز.
 (٥) أخرج ابن جرير الطبري في "تفسيره" (١١٦/١١) عن قتادة رضي الله عنه. وذكره السيوطي
 في "الدر المنثور" (٥٧١/٣) ونسبه لعبد الرزاق وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه.

(١) ولما كان من أول السورة إلى هنا في بيان التوحيد والنبوة والطعن على المخالف ومن هنا
 إلى آخر السورة في بيان الأحكام، والقصاص ناسب قوله: "وتمت كلمة ربك"/١٢ وجيز
 (٢) قوله: "وتمت كلمة ربك" الآية قال شيخ الإسلام: السلف وأئمة السنة وكثير من أهل
 الكلام يقولون إن الكلام صفة ذات وفعل وهو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته،
 وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل حي وصف بالكلام فكلامه لا بد أن
 يقوم بنفسه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته قال الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلمًا إذا
 شاء، وهو يتكلم بمشيئته، وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى: "فلما أتاها
 نودى يا موسى" (طه: ١١) فناداه حين أتاها، ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى: "فأكلا
 منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم

﴿وَعَدَلًا﴾: فيما حكم وهو إما حال أو تمييز، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا راد لقضائه، ولا مغير لحكمه، ولا خلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: لما في صدورهم، ﴿وَإِنْ^(١) تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: فإن أكثرهم على الضلال، ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الموصل إليه، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: فإن دينهم ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون على الله، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: بمن يضل، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ^(٢) بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أعلم بالفريقين، ﴿فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ^(٣) عَلَيْهِ﴾، أي: على ذبحه لا مما مات حتف أنفه، ولا مما ذكر عليه اسم غيره، ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضي

= أنهم كما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" فهو سبحانه ناداهما حين أكلَا منها ولم ينادهما قبل ذلك وكذلك قوله تعالى "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" (الأعراف: ١١)، بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران: ٥٩) فأخبر أنه قال له كن بعد أن خلقه من تراب، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين، وعليه يدل كلام السلف قاطبة، والكتاب والسنة مملوآن منه. انتهى مختصراً ملتقطاً/١٢.

(١) ولما قال: "وتمت كلمة ربك" علم منه أنه المستمسك وأنه العروة الوثقى فالجدير ألا تدعه في شيء وفي حال ولهذا عطف عليه قوله: "وإن تطع أكثر من في الأرض" الآية/١٢ وحييز.

(٢) لما قال: "وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك" أخبر أنه أعلم بالفريقين من الضال والمهتدي، فلا تطع أحداً إلا ربا وكلمته "فكلوا مما" الآية/١٢ وحييز.

(٣) يعني لما نهيناك عن اتباع الغير فلا تأكل مما ذكر عند الذبح اسم غير الله تعالى عليه ولا مما مات حتف أنفه فإن ذلك من شرع المشركين/١٢ وحييز.

استباحة ما أحله الله لا ما أحله^(١) الظن، والهوى، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ : أي غرض لكم، ﴿أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: منه وحده وتأكلوا من غيره، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: في "حرمت عليكم الميتة" الآية (المائدة: ٣)، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (ما) موصولة والاستثناء من ضمير حرم، أو (ما) مصدرية في معنى المدة أي: الأشياء التي حرمت عليكم إلا وقت الاضطرار إليها، ﴿وَأِنْ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: بتحليل الحرام وتحريم الحلال، ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾: بتشبههم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: غير متعلقين بدليل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾^(٢): المتجاوزين الحق إلى الباطل، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: معصية العلن والسر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾^(٣): يكسبون، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لـ "ما" أو للأكل، وعند بعض السلف إن ذبيحة تركت التسمية عليها عمداً أو سهواً حرام، والآية دليلهم وعند بعض التسمية مستحبة، وقالوا: الآية فيما ذبح لغير الله، وقيل: الواو في (وإنه لفسق) حالية، والفسق: ما أهل لغير الله بدليل قوله: "أو فسقا أهل لغير الله به"، وقال بعض منهم المراد من الآية الميتة، وعند كثير من السلف: إن ترك التسمية نسياناً لا يضر^(٤) أما عمداً، فالذبيحة حرام، ﴿وَأِنْ

(١) فإنهم اعترضوا على الدين بأن ما قتله الإنسان والصقر والكلب يحكم بحله، وما قتله الله تعالى من الميتة من ذوات الأربع لا يحلله/١٢ وجيز.

(٢) ولما عتب عليهم في التجاوز عما ذكر اسم الله عليه وهذا من أمور قد يظهر وقد لا يظهر عقبه بقوله: "وذروا ظاهر الإثم" الآية/١٢ وجيز.

(٣) وكان من عادة المشركين في الزنا أنهم يدخلون بيتاً مظلماً مغلقين أبوابه، مستترين بمثل لحاف قائلين: لا يرانا رب السماء/١٢ وجيز.

(٤) وهو المشهور عن مالك، وعليه أبو حنيفة، وأحمد وقيل: عليه الإجماع وعند بعض أن الرجوع هنا إلى الآية التي هي حرمت عليكم الميتة كما مر في قوله: "وقد فصل لكم ما

الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ: يوسوسون، «إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ»: من الكفار، «لِيُجَادِلُوكُمْ»: يقولون تزعم أن ما قتل أنت وأصحابك، والصقر والكلب حلال، وما قتله الله حرام، وهو يؤيد التأويل بالميتة، «وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ»: في استحلال ما حرم، «إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ»: فإن اتباع غير الله في الدين إشراك وكفر.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٨﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٩﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمَعُشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ

= حرم عليكم" دال على أن الحرام ما أهل لغير الله لا ما لم يذكر فيه اسم الله وقوله: "أو فسقاً أهل لغير الله به" مشعر عليه ١٢ وحيز.

رَبِّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا﴾: بالكفر والجهل، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: بالعلم والإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: يهتدي كيف يسلك (*) وكيف ينصرف والنور القرآن أو الإسلام، ﴿كَمَن مَّثَلُ﴾: صفته، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: بقى على الضلالة لا يفارقها مجال حال من المستكن في الظرف وحاصله أنه كمن إذا وصف يقال له "في الظلمات ليس بخارج"، فـ(في الظلمات ليس بخارج) خير مثله على سبيل الحكاية، والجملة صلة من، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما زين للمؤمنين الإيمان، ﴿زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) قيل: الآية نزلت في حمزة وأبي جهل، أو في عمر وأبي جهل، أو في عمار بن ياسر وأبي جهل، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أي: كما صيرنا فساق مكة أكابرها صيرنا مجرمي كل قرية رؤسائها، ومترفيها و(أكابر مجرميها) بالإضافة هي المفعول الأول والثاني (في كل قرية) أو (ليمكروا فيها) مفعولاه قيل: جاز أن يكون (أكابر) مضافاً إلى مجرميها مفعوله الأول، و(ليمكروا) مفعوله الثاني، ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾: بصد الناس عن الهدى، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: فإن وباله يحيط بهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: دالة على صدق محمد -عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالُوا لَنُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي:

(٥) في الأصل: يسالك، وما ذكرناه هو المناسب لاسيما أن العبارة في تفسير ابن كثير

١٧٣/٢: (أى يهتدى كيف يسلك وكيف يتصرف به ...).

(١) ولما مر أن لكل نبي عدواً وهم شياطين الإنس والجن وقد قر في الأذهان أن عدو عظيم القدر لا يكون إلا عظيماً مثله ليحكي عنه مكره من فعله، وقوله وعلم أن هذا ليس خاصاً بنبينا -صلى الله عليه وسلم، بل لكل نبي عدواً أراد أن يبين أن لكل قرية حال كحال قرية نبينا أم القرى، فقال (وكذلك جعلنا في كل قرية) الآية ١٢ وحيز.

حتى تأتي الملائكة بتصديقك كما يأتي إلى الرسل، **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾**: استئناف يرد عليهم أنهم ليسوا بأهل الوحي والرسالة أي: أعلم بالمكان الذي فيه يضعها، **﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرُمُوا^(١) صَغَارٌ﴾**: ذل وحقارة، **﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾**: يوم القيامة، **﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ^(٢)﴾**: بسبب مكرهم، **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾**: يوسع قلبه، **﴿لِلْإِسْلَامِ﴾**: للتوحيد وفي الحديث ^(٣) تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآيات قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: "نور يُقذف به في القلب" قالوا: هل لذلك من أماراة؟ قال: الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله، **﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾**: الله، **﴿أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾**: فلا يبقى فيه منفذ للخير، ومكان حرج أي: ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية، **﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾**: أي: مثله في امتناع قبول الإيمان مثل صعود السماء، فإنه ممتنع غير مستطاع أو معناه كأنما يتصاعد إلى السماء هرباً من الإيمان، وتباعداً عنه، **﴿كَذَلِكَ﴾**: كما ضيق الله صدره، **﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾**: يسلط الشيطان أو العذاب، **﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**: أي: عليهم لعدم إيمانهم، **﴿وَهَذَا﴾**: الذي أنت عليه يا محمد، **﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾**: الطريق الذي ارتضاه، **﴿مُسْتَقِيمًا﴾**: لا عوج فيه حال، وعامله معنى الإشارة، **﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ**

(١) من الأكابر والأصاغر/١٢.

(٢) ولما ذكر أنه لا يصطفى إلا من يصلح للاصطفاء، ولا يطرد إلا من يليق بالطرد بين وعين حال المصطفى، والمطرود، فقال: "فمن يرد الله" الآية/١٢ وجيز.

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢ وجيز، وقد روى بطرق يقوي بعضها بعضها، والمتصل يقوي المرسل، فالمصير إلى هذا التفسير النبوي متعين/١٢ فتح [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٠/٨) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (٩٦٥ ح) وقد أطال الكلام عليه فراجعه].

لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ: لهم فهم ووعي، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾: الجنة؛ لأن فيه سلامة عن الآفات أو السلام من أسماء الله، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه أو يوم القيامة، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: ناصرهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١): بسبب أعمالهم، ﴿وَيَوْمَ يَخْشَوْنَهُمْ﴾: اذكر يوم نخشع الثقيلين قائلين: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ أي: الشياطين، ﴿قَدْ جَمِعْنَا﴾ أي:

(١) اعلم أنه تعالى لما بين عظيم نعمه في الصراط المستقيم وبين تعالى أنه معد مهين لمن يكون من المذكورين بين الفائدة الشريفة التي تحصل من التمسك بذلك الصراط المستقيم فقال: "لهم دار السلام عند ربهم"، وفي هذه الآية تشرifications النوع الأول. قوله: "لهم دار السلام"، وهذا يوجب الحصر فمعناه لهم دار السلام لا لغيرهم. النوع الثاني قوله: "عند ربهم" يشعر بأن ذلك الأمر المدخر موصوف بالقرب من الله تعالى. النوع الثالث: من التشرifications المذكورة في هذه الآية قوله: "وهو وليهم" والولي معناه القريب فقوله: "عند ربهم" يدل على قربهم من الله، وقوله (وهو وليهم) يدل على قرب الله منهم، ولا نرى في العقل درجة للعبد أعلى من هذه الدرجة، وأيضاً فقوله: "وهو وليهم" يفيد الحصر أي: لا ولي لهم إلا هو، وكيف وهذا التشرification إنما حصل على التوحيد المذكور في قوله: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً" فهؤلاء الأقسام قد عرفوا من هذه الآية أن المقدر والمدبر ليس إلا هو وأن المسعد والمشتقى ليس إلا هو وأنه لا مبدئ الكائنات والممكنات إلا هو فلما عرفوا هذا انقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم إلا إليه، وما كان توكلهم إلا عليه، وما كان أنسهم إلا به وما كان خضوعهم إلا له، فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال تعالى: "وهو وليهم" وهذا إخبار بأنه تعالى متكفل بجميع مصالحهم في الدين، والدنيا ويدخل فيها الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وإيصال الخيرات، ودفع الآفات والبلبات، ثم قال: "بما كانوا يعملون" وإنما ذكر ذلك لئلا ينقطع المرء من العمل فإن العمل لا بد منه/١٢ مفاتيح الغيب المشهور بالكبير للإمام الرازي.

اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ أَي: من إغوائهم^(١) أي: أضللتهم كثيراً، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ﴾: محبوبهم ومطيعوهم، ﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾: محبين لله عن ذلك، ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: بعضهم مطاع وبعضهم مطيع، أو كان في الجاهلية إذا نزلوا مفازة قالوا: أعوذ بكبير هذا الوادي، فيفتخر كبير الجن بتعود الإنس بهم، ويقولون: نحن سيد الإنس والجن، وهذا هو الاستمتاع، ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي: القيامة والبعث، وهذا اعتراف بطاعة الشيطان وتكذيب البعث، وتحسر على حالهم، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مترلكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، حال، والعامل معنى الإضافة، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: هم مخلدون^(٢) جميع الأوقات إلا مدة حياتهم في الدنيا والبرزخ أو المراد الانتقال من النار إلى أنواع أخر من العذاب كالزمهرير، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه^(٣) لا يترلم جنة ولا ناراً، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال خلقه.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، ﴿تَوَلَّى﴾^(٤) بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ: نسلط بعضهم على بعض، كما ورد

(١) ففيه حذف مضاف كذا قدره ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن/١٢ منه.

(٢) قال ابن عباس، ونعم ما قال: الله أعلم بشيئه وكذا قال قتادة وغيره اعترفوا بالعجز عن الفهم والتعيين وأحالوا العلم إلى الله في الاستثناء وعندى أن القول ما قالت حذام/١٢ وجيز.

(٣) وعلى هذا النقل يكون ما بمعنى من/١٢ منه.

(٤) أي: نسلط بعضهم على بعض جزاء على ظلمهم، ولهذا دلت الآية على أن الرعية إذا كانت ظالمة فإنه يسلط عليهم ظالماً مثلهم/١٢ وجيز.

"من أعان ظالماً سلطه الله عليه(*)" أو تتبع بعضهم بعضاً في النار أو نكل بعضهم إلى بعض فيغويهم أو نجعل الكافر ولي الكافر أينما كان.

﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٢٣٨﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ بَٰظِلِّمْ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤٠﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿٢٤١﴾ إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٤٢﴾ قُلْ يَلْقَوْنَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٤٤﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُزِدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤٥﴾ وَقَالُوا هَٰذِهِمُ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا

(٥) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" (٢٣٨٠) وقال في "المقاصد": رواه ابن عساكر في "تاريخه" عن ابن مسعود رفعه، وفيه ابن زكريا العدوي متهم بالوضع.

إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرْمَتَ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧٨﴾ *

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾^(١) مِّنْكُمْ﴾ هو الله سبحانه يقرع الكافرين يوم القيامة بهذا السؤال وهو استفهام تقرير، والأصح بل الصحيح أن الرسل من الإنس والجن تبع لهم قالوا نظيره "يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ" [الرحمن: ٢٢] وهما لا يخرجان من العذب كما سنذكر إن شاء الله تعالى، ﴿يُقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: يوم القيامة، ﴿قَالُوا﴾: جواباً، ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾: أنهم قد بلغوا ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم قال تعالى: ﴿وَعَرَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: فأعرضوا عن رسلنا ولم يرفعوا إليهم رأساً، ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: يوم القيامة، ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: في الدنيا، ﴿ذَلِكَ﴾: أي: إرسال الرسل، ﴿أَنْ لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ خبر ذلك، وأن إما مصدرية أو مخففة، واللام محذوف أي: لأن، أو تقديره الأمر ذلك لأن لم يكن إلخ، ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾^(٢): أي: لانتفاء كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلمهم وأهلها غافلون

(١) قيل لرسول الإنس رسل إلى الجن منهم لإنذارهم فهو المراد/١٢ وحيز.

(٢) وحاصله أنه لا يهلكهم بدون التنبيه فإنه ظلم، والله تعالى ليس بظلام للعبيد، وليس في

هذا اعتزال، فإن الظلم لغة واصطلاحاً: وضع الشيء في غير موضعه/١٢.

لم ينبهوا برسول كما قال تعالى: "وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا" [الإسراء: ١٥] أو (بظلم) حال من (ربك)، وحاصله أنه لا يهلكهم دون التنبيه بالرسول والآيات فإنه ظلم والله غير ظلام للعبيد، «وَلِكُلٍّ» من المكلفين، «دَرَجَاتٌ»: مراتب، «مِمَّا عَمِلُوا»: من أعمالهم، «وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ»: فيخفى عليه خافية، «وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ»: عن خلقه من جميع الجهات، «ذُو الرَّحْمَةِ»: بهم فلا يعجل بالعقوبة، «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ»: إذا عصيتم، «وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ»: قوماً آخرين يعملون بطاعته، «كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ»: أي: هو قادر على ذلك كما أذهب القرن الأول وأتى بالذي بعده، «إِنْ مَا تُوعَدُونَ»: من أمر المعاد، «لَا تَ»: كائن البتة، «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ»: الله في قدرته، «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ^(١) مَكَانَتِكُمْ»: على تمكنكم من أمركم أو على جهتكم، وحالكم التي أنتم عليها، «إِنِّي عَامِلٌ»: على ما أنا عليه أي: اثبتوا على الكفر فإني ثابت على الإسلام، وهو أمر تهديد شديد، «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ»: أي: سوف تعلمون أينما له العاقبة المحمودة، والجنة أو المراد من عاقبة الدار أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، و(من) استفهامية مبتدأ خبره تكون، وفعل العلم علق عنها أو موصولة فهو مفعول (تعلمون) على أنه متعد إلى مفعول واحد بمعنى يعرفون، «إِنَّهُ»: إن الشأن، «لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ^(٢)»: لا يسعد من كفر، «وَجَعَلُوا»: أي: مشركو العرب، «لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ»: خلق، «مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ

(١) مصدر مكن فالميم أصلية أو من الكون يعني على تمكنكم من الأمر/١٢ وجيز.

(٢) ولما ذكر للمشركين عبادة الأصنام أثبت لهم نوعاً آخر من جهالاتهم ما دل على قلّة عقلهم مما يتعجب منه من له أدنى تدبر فقال: "وجعلوا" الخ/١٢ وجيز.

يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ^(١)»: كانوا يجعلون من أموالهم نصيباً لله ومصرفه الضيفان، ونصيباً لآلهتهم ومصرفه خدم أصنامهم فإن سقط شيء من الثمر مثلاً من نصيب الوثن فيما سمي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن وإن هلك أو انتقص منه شيء أخذوا بدله مما جعلوا لله، وإن سقط شيء من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به، وقالوا: الله غني، وهذا معنى قوله: "فما كان لشركائهم" الآية، وفي قوله: "مما ذراً" إشارة إلى جهلهم بأنهم أشركوا الخالق في خلقه حماداً، ثم جعلوا له النصيب الأوفر، وقوله: "بزعمهم" إشارة إلى أن هذا مخترعهم ليس من أمر الله، ولا يصل إليه، «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»^(٢): حكمهم هذا، «وَكَذَلِكَ»: مثل هذا الفعل القبيح، «زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ»، فإن الشياطين وهم

(١) ونظير هذا في زماننا جعل كثير من عابدي القبور قسماً من أموالهم نذراً للموتى ويحتاطون فيه مالا يحتاطون في حق الله تعالى ويهتمون فيه ما لا يهتمون في قسمة الله المفروض كما يجعلون شيئاً من الزرع، ويعينونه بأسمائهم بأن هذا نذر فلان وقسطه، ويقلدون بعض أنعامهم، ويشتهرونه بأسمائهم، ويصرفون على سدة قبورهم ومجاوريتهم وينحرونها على قبورهم فهذا بعينه الذي كان يفعل المشركون الذين حكى الله تعالى عنهم "وجعلوا لله مما ذراً" الآية "ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون" (النحل: ٥٦)، فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين، حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقدوه إلا في الله تعالى هكذا قال السيد الأمير اليماني صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام في كتابه "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد" ١٢.

(٢) والمقصود من حكاية أمثال هذه المذاهب الفاسدة أن يعرف الناس قلة عقول القائلين بهذه المذاهب وأن يصير ذلك سبباً لتحقيرهم في أعين العقلاء وألاً يلتفت إلى كلامهم أحد البتة/ ١٢ كبير.

آلتهم أمروهم وزينوا لهم وأد أولادهم، ومن قرأ زين بالمجهول ورفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء على إضافة القتل إليها، والفصل بينهما يدل على أن هذا الفصل جائز فصيح، والمطعون من طعن فيه، ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِم دِينَهُمْ﴾: ليدخلوا الشك في دينهم، فكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشيطان، وقيل: دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المشركون ما زين لهم، أو الشركاء التزين، ﴿فَقَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: ما يختلقون من الكذب على الله، ﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾: إشارة إلى ما جعل للآلهة، ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا^(١)﴾: حرام، ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾: من رجال خدم الأوثان، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: لا حرمة من الله، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كالسائبة والبحيرة والحام، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، أو لا يحجون على ظهورها، والمعنى أنهم قسموا أنعامهم، فقالوا: هذه حجر، وهذه محرمة الظهور، وهذه لا يذكر عليها اسم الله ﴿افْتَرَاءً عَلَيْهِ﴾، نصبه على أن قالوا بمعنى افتروا أو حال أي: مفتريين أو مفعول له، ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: بسبب افتراءهم، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ أي: أجنة البحائر والسواائب، ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾: نسائنا خاصة للذكور دون الإناث إن ولد حيا، ﴿وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ﴾: الذكور والإناث، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، وتأنيت خالصة، وتذكير محرم لمعنى ما فإنه الأجنة ولفظه أو التاء للمبالغة، ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله، ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله قيل: تقديره على وصفهم، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في فعله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال خلقه، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾:

(١) الحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح أو الطحن/١٢ منه. يستوى فيه الواحد والكثير/١٢ وحيز.

بناهم^(١) بالوَاد، ﴿سَفَهًا﴾: للسهة أو سفهاء، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين، ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: من البحائر ونحوها، ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: يحتمل المصدر، والحال والمفعول له، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٢﴾ ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيَكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾﴾
﴿وَهُوَ^(٢) الَّذِي أَنْشَأَ﴾: أبداع، ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين من الكروم، ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾:

(١) بالوَاد فإنهم قالوا: البنات تأكل رزقنا، ولا تنفعنا فإثبات الخسران لهم في غاية الحسن، فإنه ضد ما قصدوه/١٢.

(٢) ولما أخبر عنهم أنهم حرموا من حرثهم وأنعامهم أخذ يمتن عليهم بهذين أي: الثمار والأنعام ويعبرهم بفعالهم، ويبين لهم طريق التصرف، فقال: "وهو الذي أنشأ جنات معروشات" الآية/١٢ وجيز.

مرفوعات على ما يحملها، «وغير معروشات^(١)» قيل: الأول ما غرسه الناس، والثاني ما نبت في البراري، «والنخل والزرع مختلفا أكله» أي: أكل كل واحد منهما يعني ثمره في الكيفية، والهيئة (ومختلفا) حال مقدرة، لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك، «والزيتون والرمان متشابهها»: في المنظر، «وغير متشابهه»: في الطعم قيل: بعض أفرادهما يتشابه في اللون والطعم ولا يتشابه بعضهما، «كلوا من ثمره»: ثم ر كل واحد، «إذا أثمر»: وإن لم ينضج، «وآتوا حقه يوم حصاده»: هذا شيء كان واجبا قبل وجوب^(٢) الزكاة، وعن بعض السلف أنه^(٣) الزكاة قيل فيه دليل على رخصة الأكل قبل أداء الزكاة، «ولا تسرفوا»: في التصدق أو في الأكل والتصدق أو في البخل فلا تعطوا حق الله، «إنه لا يحب المسرفين»: لا يرتضي فعلهم، «ومن الأنعام» عطف على جنات أي: أنشأ من الأنعام، «حمولة»: ما يحمل الأثقال، «وفرشا»: ما يفرش المنسوج من شعره أو الصغار منها ولدنوها من الأرض كأنها فرش أو ما يفرش للذبح، «كلوا مما رزقكم الله»: من الثمار، والزروع، والأنعام، «ولا تتبعوا خطوات الشيطان»: طرائقه وأوامره كما اتبعها المشركون افتراء على الله، «إنه لكم عدو مبين»: ظاهر العداوة، «ثمانية أزواج»: بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا أو الزوج ما معه آخر من جنسه يزواجه، «من الضأن»: زوجين، «اثنين»: الكبش والنعجة، وهو بدل من ثمانية إن جوزنا البدل من البدل، وإلا فمن

(١) فيه أن العنب هو رأس الفواكه من شجرة البساتين/١٢ وحيز.

(٢) من قال: إن الآية مكية لا بد له أن يقول إن الواجب غير الزكاة، ومن قال: إن الآية مدنية، فعنده الواجب الزكاة فإنها فرضت في المدينة/١٢ منه.

(٣) وعلى هذا ظاهر القرآن ما عليه مالك: إن في كل حب وثمره زكاة واشترط أن يكون خمس أو سق، وفيه رخصة الأكل قبل أداء الزكاة والحصاد/١٢ وحيز.

الضأن بدل من الأنعام واثنين من حمولة وفرشا، «وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ»: التيس، والعتر، «قُلْ»: يا محمد، «الذَّكَرَيْنِ»^(١): من الضأن والمعز، «حَرَّمَ»: الله عليكم أيها المشركون، «أُمِ الْأُنثَيْنِ»: منهما، «أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ»^(٢) أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى كما قالوا "ما في بطون هذه الأنعام خالصة" الآية (الأنعام: ١٣٩)، «تَبَيَّنِي بِعِلْمٍ»: دليل على حرمة، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: في دعوى التحريم، «وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمِ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ» بل أكتسم حاضرين: «إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا»: حين وصاكم بتحريم بعض وتحليله وهذا من باب التهكم، «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ»: متلبسا بغير دليل، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»، وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي فإنه أول من غير دين إسماعيل.

«قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا

(١) المعنى إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة ذكرا أو أنثى أو ما يحمل إناثها رداً عليهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها/١٢ منه.

(٢) والمقصود إنكار الفعل لكنها وردت في صورة إنكار المفعول ليطابق ما ادعوا من التفصيل والترديد، فيكون إنكار الفعل بطريق برهاني؛ لأن الفعل لا بد له من متعلق فإذا انتفى جميع متعلقاته على التفصيل لزم انتفاء الفعل/١٢ منه.

حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ
وَأِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٦١﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ
عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦٢﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى
ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَأَنْتُمْ أَنْتُمُ الْتَّخِرُصُونَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿١٦٤﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا
تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٦٥﴾ *

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: طعاماً، ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾: يعني أن
التحليل والتحریم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى، ولا يعلم بالوحي أن شيئاً من الطعام
حرام في وقت، ﴿إِلَّا﴾: في وقت، ﴿أَنْ يَكُونَ﴾: الطعام، ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا
مَسْفُوحًا﴾^(١): مصبوحاً سائلاً لا كالكبِد والطحال، ومن قرأ برفع ميتة فعنده كان تامة

(١) وهو ما سأل من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فإن ذلك الدم حرام نجس وما
سوى ذلك كالكبِد والطحال، فإنهما حلال؛ لأنهما دمان جامدان وقد ورد الحديث
بإباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل قال عمران بن حدير: سألت
أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيه حمرة الدم، فقال: لا بأس بذلك
إنما نهي عن الدم المسفوح، وقال إبراهيم النخعي: لا بأس بالدم في عرق أو مخ إلا
المسفوح، وقال عكرمة: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود،
هذا ما في كتاب التأويل المعروف بالخازن وكذا في المعالم/١٢.

و(دماً) عطف على أن يكون أي: إلا وجود ميتة، ﴿أَوْ لَحْمَ خَيْرٍ فَإِنَّهُ﴾: لحمه أو الخنزير، ﴿رَجَسٌ﴾: حرام، ﴿أَوْ فَسْقاً^(١)﴾ عطف على لحم خنزير ﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ صفة له موضحة، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾: إلى كل شيء من ذلك، ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾: على مضطر مثله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: قدر الضرورة وقد مر معناهما في البقرة، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٢)﴾: لا يؤاخذ، والآية دالة على أن ما أوحى في حرمة إلى تلك الغايصة هو ذلك، وهذا لا ينافي التحريم في أشياء آخر بعد هذا، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ

(١) سمي فسقاً لتوغله في باب الفسق كما يقال: فلان كرم وجود إذا كان كاملاً فيهما فإن أجل العبادات المالية إراقة الدم تقرباً إلى الله، قد جمع الله بينها وبين الصلاة في قوله: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" (الأنعام: ١٦٢)، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه وفي قوله: "فصل لربك وانحر" (الكوثر: ٢)، فكما أن الصلاة أعظم العبادات البدنية وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية كذلك النحر من أجل العبادات المالية وما يجتمع له في نحره من إثبات لله وحسن الظن به، وقوة اليقين، والثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر ربه، فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده ثلاثاً وستين بدنة وكان ينحر في الأعياد وغيرها وفي قوله تعالى: "فصل لربك وانحر" لطيفة دالة على أن ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده، وتنحر له وفي إن شائتك هو الأبر، تعريض بحال الأبرتر الشائئ الذي صلاته ونسكه لغير الله كما في الحديث "ملعون من ذبح لغير الله" هذا ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره لسورة الكوثر وقد مر هذا البحث في البقرة، والمائدة فتذكر/١٢.

(٢) ولما ذكر أن التحريم ليس إلا من الله تعالى، وبين خطأ قريش كأن قائلًا قال: أليس تحريم بعض الأشياء من قبل إسرائيل كما قالت اليهود كذبهم الله تعالى فقال: "وعلى الذين هادوا حرمنا" الآية/١٢ وحيز.

ذِي ظُفْرِ أَي: حرمنا على اليهود ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والبط، أو كل ذي حافر، وقيل: كل ذي مخلب من الطير، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾ أَي: حرمنا جميع شحومهما، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: ما علق بالظهر من الشحوم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: ما اشتمل على الأمعاء، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ أَي: ما اختلط من الشحوم بالعظام فإنه حلال و أو هاهنا كأو في قولهم جالس^(١) الحسن أو ابن سيرين، وما بقى على الحرمة الثروب^(٢) وشحوم الكلى، ﴿ذَلِكَ﴾: التحريم والتضييق، ﴿جَزَيْنَاهُم بِبَعْثِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم ومخالفتهم أوامرنا، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: فيما أخبرنا من تحريمنا ذلك عليهم كما زعموا أن إسرائيل حرمه، ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: فيمهلكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه إذا نزل، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: فلا تغتروا^(٣) بالإمهال.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ﴾^(٤) أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ: خلاف ذلك، ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾: فإن ما لم يشأ لم يكن، وما شاء فهو مرضي مأمور به فأرادوا بذلك أن ما هم عليه مرضى عند الله مأمور به، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أَي: بهذه الشبهة الداحضة كذب الأمم السالفة أنبياءهم، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: فعلموا

(١) فإنه للإباحة، وهو أبلغ من الواو فإنه يدل على التساوي في الحكم كأنه قال كل من الثلاثة مستقل بحكم الحلية/١٢ وحيز.

(٢) الثروب جمع الثرب ومعناه الشحم الرقيق الذي على الكرش والأمعاء/١٢.

(٣) فبيت الظالم خراب، ولو بعد حين، والقوم المجرمون عام ومنهم المكذب/١٢ وحيز.

(٤) ولما بطل احتجاج المشركين في تحريم ما زعموا حرمة وثبت الرد عليهم عدلوا إلى أمر حق مغالطة، وإلحاد أو علم الله تعالى ذلك قبل وقوعه فأخبر به وردهم وقال: "سَيَقُولُ الَّذِينَ" الآية/١٢.

أَنَّهُمْ عَلَى دِينٍ مَبْغُوضٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ حَزِيهَمْ وَسُوءَ شَكِيمَتِهِمْ^(١)، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: يدل على رضى الله عنكم فيما أنتم عليه، ﴿فَتَخْرِجُوهُ لَنَا﴾: تظهروه لنا، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: في ذلك لا العلم، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ^(٢)﴾: تكذبون على الله فإنه منع الشرك، وغضب على المشركين مع أنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء لا يزاحمه أحد تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التي بلغت غاية المثانة وهي الكتاب والرسول والبيان، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لكن شاء هداية قوم، وضلال آخرين، والمعنى وإذا قد ظهر ألا حجة لكم فله الحجة لكن لا يهدي الله الكل إليها لعدم مشيئته، وله في ذلك حكم، ومصالح لا يهتدي إليها إلا من هداه الله، ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾: أحضروهم، اسم فعل متعد ويكون لازماً، ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: وهم قدوتهم ليلزمهم الحجة، ﴿إِنْ شَهِدُوا﴾: عناداً، ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾: لا تصدقهم فيه وبين فسادهم، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: لا تتبعهم فإنهم يكذبون بآياتنا، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: كعبدة الأوثان، ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدُلُونَ﴾: يجعلون له عديلاً سبحانه!

(١) والشكيمة الأنفة، ومن اللحام الحديدية المعارضة في فم الفرس يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان أنفاً أبيهاً، في مثل: ذو شكيمة لا ينقاد/١٢ صراح.

(٢) فالحاصل أنهم اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور المرضي والمشيئة كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا على حقية الإشراف، وينادي على ذلك قوله: "كذلك كذب" فإنه لو كان المراد أن ذلك بمشيئة الله تعالى لقال: "كذلك كذب" بالتخفيف لا بالتشديد، وهذه الآية عند من له أذن واعية تصيح على المعتزلة بالويل والثبور لكن في آذانهم وقر، ومن لم يهده الله فلا هادي له/١٢ وجيز.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾: أقرأ، ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: حقا لا ظنا ولا تخروفا متعلق بـ(حرم) أو (اتل)، ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ﴾: (أن) مفسرة يعني أي: لا تشركوا، ولا للنهي، ﴿شَيْئًا﴾، مصدر أو مفعول به، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: أحسنوا بهم، وضع أحسنوا موضع ألا تسيئوا للدلالة على أن عدم الإساءة في شأنهما غير كاف، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: من أجل فقر، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، بدل من الفواحش أي: العلانية والسرية فإن المشركين لا يستقبحون الزنا سرا، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: بجهة من الجهات، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: القود، والارتداد والرجم، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى المذكور، ﴿وَصَلَّكُمْ بِهِ﴾: بحفظه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: عنه أمره ونهيه أو ترشدون، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: إلا بطريقة هي أحسن الطرق كحفظه

وتثميره، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: حتى يصير بالغاً فادفعوا إليه جمع شدة^(١)، ﴿وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل أي: لا تبخسوهما، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا﴾: إلا ما يسعها ولا تعجز عنه فإن أخطأ بعد بذل جهده فلا حرج، ﴿وَإِذَا
قُلْتُمْ﴾: تكلمتم في شيء، ﴿فَاعْبُدُوا﴾: في القول لا تجوروا فيه، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقول
له أو عليه، ﴿ذَا قُرْبَى﴾: من قرابتكم، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: وبوصيته أوفوا فاعملوا
بكتابه لا تنكثوه، ﴿ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢): تتعظون به، ﴿وَأَنَّ
هَذَا﴾ إشارة إلى ما في الآيتين، وقيل إلى ما في السورة، ﴿صِرَاطِي﴾: ديني،
﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه، ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾: عطف على لا تتركوا "وأن هذا صراطي" إلخ
علة الاتباع أي: لأن (هذا) إلخ، والجمع بين حرفي العطف الواو والفاء عند تقديم
المعمول فصلا بينهما شائع، وربك فكبر، وقيل عطف على لعلكم تذكرون أي
وصاكم به لأن هذا ديني المستقيم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: الطرق المختلفة التي عدا
هذا الطريق، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ الباء للتعدي، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: الذي هو اتباع الحق،
﴿ذَلِكَُمْ﴾: الاتباع، ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣): الضلال، ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى

(١) وقيل جمع لا واحد له من لفظه، وقيل مفرد لا جمع له/ ١٢ وجيز.

(٢) لما كانت الخمسة المذكورة أولاً من الأمور الظاهرة ختمت بقوله: "لعلكم تعقلون"
وهذه الأربعة خفية لا بد فيها من الاجتهاد والذكر المكرر ختمت بقوله: "لعلكم
تذكرون"/ ١٢ وجيز.

(٣) أخرج أحمد وابن حميد وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود قال:
خط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطاً بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيماً" ثم
خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: "وهذه السبل ليس منها سبيل إلا
عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية، وقال ابن مسعود: من سره أن ينظر إلى

الْكِتَابَ»، عطف على ذلكم وصاكم وثم^(١) للتراخي للإخبار، ﴿تَمَامًا﴾: كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه، ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: جزاء على إحسانه في الطاعة وتبليغ الرسالة أو تماماً بمعنى كرامة، ونعمة أي: حال كون الكتاب نعمة على من أحسن القيام به أي: على المحسنين أو معنى تماماً زيادة أي: حال كون الكتاب زيادة على ما أحسنه من العلم أي: على علمه، ﴿وَتَفْصِيلاً﴾: بيانا مفصلاً، ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه عطف على تماماً، فهو حال، وقيل نصبهما بالعلية أو بالمصدر، ﴿وَهَدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ﴾: بني إسرائيل، ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لكي يؤمنوا بالبعث.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٥٠ ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۖ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ۖ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ اانتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ١٥١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا

= الصحيفة التي عليها خاتم محمد - صلى الله عليه وسلم - فليقرأ هؤلاء الآيات. أخرجه الترمذي وحسنه/١٢ فتح.

(١) لأن الإتياء قبله بدهر طويل كأنه قال هذه وصية قديمة بلسان الأنبياء جددناها/١٢ وحيز.

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٢﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٥﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن، ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ لَهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع، ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾: بواسطة العمل به، ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: علة لأنزلناه أي: كراهة أن تقولوا، ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ^(١)﴾: اليهود، والنصارى، ﴿مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا﴾ أي: وإنه كنا، ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم ﴿لِغَافِلِينَ﴾: ما نفهم ما يقولون فإنه ليس بلساننا، ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾، عطف على ما تقولوا، ﴿لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ^(٢) مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: إن صدقتكم^(٣) فيما

(١) وتخصيص الإنزال بكتاتبيهما لأنهما اللذان اشتهرا من بين الكتب السماوية بالاشتمال على أحكام، وفيه دليل على أن الجوس ليسوا بأهل الكتاب إذ لو كانوا منهم لكانوا ثلاث طوائف قاله ابن الكمال ١٢/فتح.

(٢) فهذا كتابكم بلسانكم ١٢/وجيز.

(٣) دلت الفاء الفصيحة على حذف الشرط نحو "فقد جئنا خراسانا" ١٢/منه.

قلتم فقد جاءتكم حجة واضحة فيها بيان الحلال والحرام، ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾: لمن عمل به، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيَّاتِ اللَّهِ﴾: بعد ما تمكن من معرفته، ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض أو صد الناس عنها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بسبب إعراضهم أو صدهم، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: أهل مكة أي: ما ينتظرون، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، وهم إن كانوا غير منتظرين لذلك لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بهم، ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾: المراد يوم القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: كطلوع الشمس من

(١) وزاد المصنف في الوجيز لفصل القضاء بين خلقه وإتيانه تعالى تؤمن به ولا نعرف كيفه انتهى.

أقول كيف لا يؤمن بإتيانه وحيثه تعالى يوم القيامة، وقد جاء في القرآن في عدة مواضع "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام" (البقرة: ٢٠٩)، "وجاء ربك والملك صفا صفا" (الفجر: ٢٢)، "إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك" (النحل: ٣٣)، وأي أمر أصرح منه في القرآن، وروى الطبري في تفسيره على ما نقله عنه الخازن بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيه مخفوفاً" وذلك قوله: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر" (البقرة: ٢١٠)، قال عكرمة: والملائكة حوله انتهى، فهذا من صفات الله تعالى يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت وإن لم نعرف كيفيتها، وعدم علمنا بكيفيتها بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه وهذا هو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة وأنشد بعضهم في المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته	ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها	وأخبارها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفناً فإنها	لتسليم دين المرء خير المراكب

المغرب، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صفة نفسا، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾: عطف على آمنت أي: لا ينفع الكافر إيمانه في ذلك الحيز ولا الفاسق الذي ما كسب خيراً في إيمانه توبته، فحاصله أنه من باب اللف التقديري أي: لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه أي: لا ينفعهم تلهفهم على ترك الإيمان بالكتاب، ولا على ترك العمل^(١) بما فيه، ﴿قُلِ انْتَضِرُوا﴾: إتيان أحد هذه الثلاث، ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾: له، وعيد شديد ﴿إِنَّ^(٢) الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: اليهود والنصارى أخذوا بعض ما أمروا وتركوا بعضه، أو أهل الشبهات والبدع من هذه الأمة، ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾: فرقاً بعضهم يكفر بعضاً، وقد ورد "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة"، ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: لست من عقابهم في شيء، ومن قال: إنه نهي عن التعرض لهم، فعنده الآية منسوخة وإذا كان المراد هذه الأمة فيحتمل أن يكون معناه أنت بريء منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^(٣)﴾: بالعقاب، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: عشر

(١) وعلى ما قررنا لا يتم استدلال المعتزلة بالآية على أن مجرد الإيمان بدون أن يكون فيه كسب خير ليس بنافع، ويوافق على ما قلنا الآيات والأحاديث الشاهدة بأن مجرد الإيمان ينفع ويورث النجاة من النار، ولو بعد حين ويلائم مقصود الآية/حيث وردت تحسراً لمن أخلف ما وعد من الرسوخ في الهداية عند إنزال الكتب حيث كذبوا به وصدفوا عنه/١٢ منه.

(٢) ولما ذكر أن الإيمان يوم ظهور بعض آيات القيامة من غير سبق الإيمان عليه غير نافع توجه القلب إلى أن إيمان أهل الكتاب الذي كانوا عليه هل هو نافع، فقال: "إن الذين فرقوا" الخ/١٢ وجيز.

(٣) ظاهر هذا الكلام مشعر بأنهم من أهل الضلال، وعاقبتهم العقاب بالعدل لا بالظلم/١٢ وجيز.

حسنت أمثالها فضلا من الله، وهذا أقل ما وعد لا ينقص منه، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: إلا جزاء مثلها لا يضاعف، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١): بنقص الثواب، وزيادة العقاب، ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي﴾: بالوحي^(٢)، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ أعني دينًا أو بدل من محل (صراط) إذ معناه وهداني صراطًا: ﴿قِيمًا﴾، مصدر بمعنى القيام أي: قائمًا ثابتًا لا زوال له كرجل عدل، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، عطف بيان لدينا لما في الإضافة من زيادة التوضيح، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن غير الصواب حال عن إبراهيم فإنه بمنزلة الحال من المضاف الذي هو معمول الفعل، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما يقول المشركون، ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَكُسْيِي﴾: الذبح^(٣) في الحج والعمرة وقيل: عبادة كلها، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: حياتي وموتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ملك له، وهو خالقه فأنا خالص في العبادة لا أشرك أو ما أنا عليه في حياتي ومماتي من الإيمان والطاعة خالص له، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾^(٤) وبذلك: القول والطريق، ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ غير الله حال من ربًا والهمزة للإنكار، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، حال في موقع العلة،

(١) أمره بالمبالغة في إعلان دينه ونبذ ما سواه/١٢.

(٢) لما بين أمر الفرق، وفصل حالهم وأظهر مآلهم ذكر فذلكت السورة ناظرا إلى ما مر من قوله: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه" فقال: "قل إنني هداني ربي" إلخ/١٢.

(٣) قال المصنف في الوجيز: ولا بأس إن قصدت العموم فإن ذبح قريش كانت باسم أصنامهم قال الله تعالى: "فصل لربك وانحر" (الكوثر: ٢/١٢) وجيز. وفي التفسير الكبير وأما قوله: "ونسكي" فقيل: المراد بالنسك الذبيحة بعينها يقول "من فعل كذا فعليه نسك أي دم يهرقه" وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: "فصل لربك وانحر" ١٢.

(٤) واحد أحد فرد ليس لشيء قابلية شرکه/١٢ وجيز.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، فإثم الجاني عليه لا على غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: لا تؤخذ نفس أثمة بإثم نفس أخرى، وهذا جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم قائلين: "اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم" (العنكبوت: ١٢)، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ رَبُّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فتعلموا^(١) أنسا على الحق أو أنتم، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾: يا أمة محمد، ﴿خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾^(٢): خلفاء الأمم السالفة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، لأنه يخلفه في الأرض، وقيل: يخلف بعضهم بعضا أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها فالخطاب عام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: بالغنى والرزق منصوب على التمييز أو بدل من بعضهم أو بترع الخافض أي: بدرجات، ﴿لِيَلْبُوَكُمْ﴾: ليختبركم، ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾: يمتحن الغنى في غناه، ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: بمن عصاه، وخالف رسله وكل ما هو آت قريب، ﴿وَأَنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن والاه واتبع رسله.

والحمد لله حق حمده..

-
- (١) فتعلموا الحق من المبطل ختم السورة بهذه الآية الآتية الدالة على أن هذه الأمة ختم الأمم ختامه مسك لا تقوم القيامة إلا عليهم، ولا نبي بعده ففيها منة وبشارة وإشارة إلى قرب القيامة، ووقت الجزاء، والعلم بالحق والمبطل فقال: "وهو الذي" ١٢/ وجزئ.
- (٢) فإن نبيهم خاتم الأنبياء كأتمته خلفت سائر الأمم ولا يجيء بعدها أمة تخلفها/ ١٢ وجزئ.

سورة الاعراف مكية اثمان آيات

من قوله "فاسألهم" إلى قوله "واذتقنا" وقيل إلى قوله "وأعرض عن

الجاهلين" وآياتها مائتان وست.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْمَصَّ ١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا
بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾
فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلَمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَأَلْوَزُ نَ يَوْمِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

﴿المص كتاب^(١)﴾ أي: هو كتاب أو خير المص إن كان اسم سورة ﴿أنزل
إليك﴾ صفته، ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي: شك^(١) ونهى عنه للمبالغة،

(١) قال ابن عباس: معناه أنا الله أفضل وعنه أنه قسم أقسم الله به وهي اسم من أسماء الله،
وقيل غير ذلك ولا يخفى عليك أن هذا كله قول بالظن وتفسير بالحدس ولا حجة في
شيء من ذلك والحق ما قدمناه في سورة البقرة والله أعلم بمراده وهو سره في كتابه
العزيز ١٢/فتح.

أو نهي لأمرته أو ضيق قلب من تبليغه مخافة التكذيب^(١) ﴿لَتُنذِرَ بِهِ﴾ متعلق بأنزل أو بلا يكن فإنه إذا لم يكن ذا حرج كان أجسر على الإنذار ﴿وَذِكْرِي﴾ موعظة، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقديره: لتنذر به الكافرين ولتذكر ذكرى للمؤمنين أو عطف على محل تنذر، أو عطف على كتاب ﴿اتَّبِعُوا^(٢) مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ اتبعوا أوامر الله ونواهيها، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾: من دون ربكم^(٣)، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من الجن والإنس فيضلوكم ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون اتعاظًا قليلًا وما مزيدة لتأكيد القلة ﴿وَكَمْ^(٤) مِنْ قَرْيَةٍ﴾ كثيرًا منها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالعذاب لمخالفة الرسل، أي: أردنا إهلاك أهلها ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بايتين ليلا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ عطف على بيئات فإنه حال من القيلولة، أي: الضحى وكلا الوقتين وقت غفلة واستراحة فالعذاب فيهما أظع ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ دعاؤهم وقولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: أقرروا بحقية العذاب تحسراً ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن إجابتهم الرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن إبلاغ^(٥) الرسالة وعما أجيبوا به

(١) قال مجاهد وقتادة الحرج: الشك/١٢فتح.

(٢) لأن انتفاء الشك في كونه من عند الله يقويه على الإنذار ويشجعه لأن المتيقن يقدم على بصيرة ويأبى بقوة نفس وصاحب اليقين جسور متوكل على ربه/١٢فتح.

(٣) لما أمره بالإنذار والتذكير أمر أمته بالاتباع/١٢وجيز.

(٤) أي: من دون كتاب الله وسنة رسوله أولياء تقلدوهم في دينكم كما كان يفعل أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحلونهم ويحرمونه عليهم/١٢فتح.

(٥) ثم بين أن هذه عادة قديمة أنتم أخذتموها وراثتها فانظروا عاقبتها واتركوا متابعتها وكس من قرية/١٢وجيز.

(٦) ولا يعارض هذا قول الله سبحانه "ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون" (القصص: ٧٨) لما قدمناه غير مرة أن في الآخرة مواطن ففي مواطن يسألون وفي مواطن لا يسألون وهكذا

﴿فَلَنَقْصَنَّ عَلَيْهِمُ﴾ على الرسل والأمم يخبر عباده بما عملوا من جليل وقليل ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بجملته ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾^(١) عنهم فيخفى علينا ﴿وَالْوِزْنَ﴾ أي: للأعمال ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم السؤال ﴿الْحَقُّ﴾^(٢) العدل ووزن الأعمال بتقليبها أجساما أو بوزن

= سائر ما ورد مما ظاهره التعارض بأن أثبت تارة ونفى أخرى بنفسه أنه إلى يوم القيامة فإنه محمول على تعدد المواقف مع طول ذلك اليوم طولا عظيماً ١٢/فتح.

(١) ولما قال: "فلنقصن عليهم بعلم" وهو مؤذن بجزاء الأعمال السيئة بمثلها وزاد في الحسنة تسعة أمثالها للفضل يخطر في الخواطر كيف يعلم المثلية والزيادة فقال: "والوزن"/ ١٢/ وجيز.

(٢) يومئذ الحق مذهب الجمهور أن في القيامة ميزاناً له كفتان ولسان ومثل ذلك ليس بثابت بالنص ولا بالسنة والثقل والخفة من صفات الأجسام فقالوا الموزون الصحف أو بتقليب الأعمال أجساما والكلام الحق أن الموازين يختلف كميزان الشعر وميزان العرض والطول وكيفية ميزان الأعمال علمها عند الله تعالى لا نعلم إلا بعد الرؤية ١٢/ وجيز. بلفظه. قال القشيري: وقد أحسن الزجاج فيما قال ولا يحمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد الأرواح دون الأجساد، والشیاطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى الحمودة. ثم قال: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصاً انتهى. والحق أن وزن الصحائف وزن حقيقي، وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فلم يأتوا في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية وليس في ذلك حجة لأحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل، وقال كل ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قلوبهم لها، بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب إليه هو ومن هو تابع له فتناقض عقولهم على

صحيفة الأعمال أو صاحب الأعمال، قيل: تارة توزن الأعمال وتارة صحيفتها وتارة صاحبها جمعًا بين الأحاديث، ويومئذ خبر الوزن والحق صفته. ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع موزون أي: أعماله مطلقًا أو ميزان وجمعه على الثاني باعتبار كثرة الموزون. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون الناجون.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتضييع الفطرة السليمة. ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(١) فينكرونها. ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بالتمليك والتصرف والقدرة. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ﴾^(٢) أسباب تعيشون بها. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكرًا قليلًا، وما مزيدة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِلْآدَمِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نَّارٍ وخلقته من طِينٍ ﴿١٦﴾ قال فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ

= حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف ومن أنكره فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب والتمذهب فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه، وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن والأحاديث في الباب كثيرة جدًا، وما في الكتاب والسنة يغني عن غيرها فلا يلتفت إلى تأويل أحد أو تحريفه مع قول الله ورسوله الصادق المصدوق والصباح يغني عن المصباح/١٢ فتح البيان في مقاصد القرآن.

(١) ولما تقدم الأمر باتباع القرآن وهو العمدة ووقع بعده ما هو في مورد الاعتبار والاتعاظ رجع إلى ما هو العمدة فقال مخاطبًا: "ولقد مكناكم"، والمخاطب المأمرون بقوله: "اتبعوا ما أنزل إليكم"/١٢ وجيز.

(٢) معاش جمع معيشة، وهي: ما يعاش به من المطعوم والمشروب وما تكون به الحياة/١٢ فتح.

لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٩﴾ ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ
وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْءُومًا
مَذْجُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾ وَيَتَذَكَّرُ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣٢﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٣٣﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٣٤﴾
فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ
لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٥﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١٣٧﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ
وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ خلق آدم من طين غير مصور ثم صورته نزل خلقه
وتصويره مثله خلق الكل وتصويره؛ لأنه أبو البشر، أو خلقناكم يا بني آدم ثم
صورناكم في أرحام أمهاتكم أو صورناكم في ظهر آدم أو يوم الميثاق حين أخرجهم

كالذر، أو خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام^(١) النساء، وعلى هذا
﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: للتراخي في الإخبار.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ وقد مر الكلام في أن المأمور به جميع
الملك، أو ملائكة الأرضين وأن إبليس منهم، أو من الجن ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾
منع بمعنى أحوج واضطر؛ لأن الممنوع عن شيء مضطر إلى خلافه، أي: ما أحوجك
إلى عدم السجدة؟ أو لا زائدة^(٢) مؤكدة^(٣) معنى الفعل الداخلة هي عليه والسؤال
للتوبيخ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ كأنه قال: المانع أي خير منه.

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار أطف وأنور، فقاس وقصر النظر^(٤)
بالعنصر، وما نظر إلى تشريف خلقه بيده ونفخ روحه فيه، وأخطأ في القياس أيضاً؛ فإن
من طين الحلم والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو، ومن النار الإهلاك
والطيش والسرعة والارتفاع.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء أو من منزلتك ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ ما
يستقيم ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٥) ممن أهانه الله لكبره.

(١) وهذا المعنى رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢ وحيث.

(٢) وقيل: الأولى إنها غير زائدة؛ لأن زيادتها في صدر الكلام معهود نحو "لا أقسم" "فلا
أقسم" ولها مواقع خاصة/١٢ وحيث.

(٣) بدليل قوله تعالى في سورة ص "ما منعك أن تسجد" (ص: ٥٧) قاله الكسائي والفراء
والزجاج/١٢ فتح البيان.

(٤) قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه
الله مع إبليس. قال ابن سيرين: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالقياس/١٢ معالم.

(٥) وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار فكل من تردى برداء الاستكبار عوقب بلبس رداء
الهُوان والصغار، ومن لبس لباس التواضع ألبسه الله رداء الترفع/١٢ فتح.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أمهلي فلا تميتني ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ إلى

ابتداء القيامة وهي النفخة الثانية فتموت حين موت الخلائق.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بسبب إغوائك إياي

أقسم بالله لأقعدن لهم كما يقعد القطاع للسابلة^(٢) طريق الإسلام والباء متعلق بأقسم

المقدر؛ ولأن لام القسم مانع من تعلقه بأقعدن، ونصب صراط على الظرف، أو تقديره

على صراطك ﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل آخرتهم فأشككهم فيها أو

دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ دنياهم أزين لهم أو آخرتهم ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من قبل

حسناتهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ قبل سيئاتهم، أو المراد من أي وجه يمكن، ﴿وَلَا تَجِدُ

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مطيعين، وإنما قاله ظناً وقياساً، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُوماً﴾ معيياً، والذام: أشد العيب ﴿مَذْهُوراً﴾ مطروداً، ﴿لَمَنْ

تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ لام توطئة القسم وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهو ساد

مسد جواب الشرط.

﴿وَيَا آدَمُ﴾ أي: قلنا ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وقد مر الخلاف في الشجرة ﴿فَتَكُونَا﴾ يحتمل النصب على

الجواب، والجزم على العطف ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) من الطائفة التي تأخرت آجالهم مثل الملائكة فإنهم ميتون عند النفخة الثانية فلم يبق فيها

أحد من ملك وغيره إلا الله هذا ما في الوجيز وفي سورة الحجر "إلى يوم الوقت

المعلوم" (الحجر: ٣٨) قال المصنف في المنهية هـ. الأولى أن يقال: إن يوم الدين ويوم

يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وتغيير الكلام للتفنن؛ لأنه قد مر في سورة الأعراف

أنه قال: "أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين" (الأعراف: ١٤، ١٥) فإنه يدل

على الإجابة والمعون عالم بأن لا يسأل عما لا يجاب عنه/ ١٢.

(٢) السابلة الطريق السلوكية والقوم المختلف عليها/ ١٢.

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا﴾ فعل الوسوسة لأجلهما ﴿الشَّيْطَانُ﴾ والوسوسة حديث يلقيه في القلب ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما، واللام إما للعاقبة وإما للغرض، فإن اللعين يعلم أن العصيان في الجنة سبب لسلب اللباس والفضيحة ﴿مَا وَوَرِيَ عَنْهُمَا﴾ ما غطى عنهما وستر ﴿مِنْ سَوْعَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ﴾ أكل ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ يحصل لكما ما للملائكة من القوة والاستغناء عن الغذاء وغيره ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ في الجنة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: أقسم لهما على ذلك، و"لكما" متعلق بالناصحين على حذف المفسر، أو التوسع في الظرف ﴿فَدَلَاهُمَا﴾ خدعهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرهما به من القسم ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ وجد طعمها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْعَاتُهُمَا﴾ بأن هافت عنهما لباسهما ﴿وَوَفَّقَا﴾ أحذا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ﴾ أشجار ﴿الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا﴾ ^(١) رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المالكين، والأصح أن هذه كلمات تلقاها آدم من ربه ^(٢) فتأب عليه

(١) فيه إثبات النداء لله تعالى، وأنه صفة من صفات الله تعالى أثبتته لنفسه في عدة مواضع من كتابه فلا بد من إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، ونفى مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ولا استوى كان معطلا جامداً ممثلاً له بالمعدومات والجمادات، ومن قال: له علم كعلمي وقوة كقوتي أو حب كحبي أو رضا كرضائي أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي كان مشبهاً ممثلاً له بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل وتزيه بلا تعطيل والله المثل الأعلى كذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام في رسالته التدمرية/١٢.

(٢) يعني قوله: "فتلقى آدم من ربه كلمات" (البقرة: ٣٧)، إشارة إلى هذه الكلمات/١٢.

﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ الخطاب لآدم وحواء وإبليس والحية والعمدة في العداوة آدم وإبليس كما قال تعالى في سورة طه "اهبطا منها جميعا" (طه: ١٢٣)، أو الخطاب لآدم وحواء وذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال أي: متعادين لكم ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتع إلى آجال معلومة^(١) ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿يَبْنِيٰ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿يَبْنِيٰ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَرَٰبَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنِ اتَّٰهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿يَبْنِيٰ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

(١) الله تعالى/١٢.

(٢) وهذا حال جميع الآباء والأولاد/١٢.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾^(١) أي: خلقنا لكم ولما كان بقضاء سماوي، وأسباب من السماء^(٢) قال: "وأنزلنا" وكم مثله في القرآن ﴿لِبَاسًا يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْعَاتِكُمْ﴾^(٣) فأغناكم عن خصف الورق ﴿وَرِيشًا﴾^(٤) مالا أو ما يتحمل^(٥) به من الثياب، أو جمالا ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ خشية الله أو الإيمان أو العمل الصالح، أو العفاف، أو هو اللباس الأول يعني لباساً يوارى عوراتكم، أو لباس الحرب وهو مبتدأ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ خبره ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق اللباس ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون فيتورعون عن كشف العورة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يضلنكم ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ﴾ فتنهما فأخرجهما ﴿مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال من أبويكم أو من فاعل أخرج، والشيطان سبب الإخراج والترع ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْعَاتِهِمَا﴾ فإن كل واحد منهما ما رأى عورة صاحبه قط ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ تعليل للنهي فإن عدواً يراك ولا تراه لشديد المؤنة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أحباء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم متابعوهم، أو سلطانهم عليهم ليزيد غيهم

(١) ولما ذكر بيان حال أبويهم من تطاير اللباس عنهما، وأكما يخصفان عليهما من ورق الجنة امتن على أولادهما وناداهم فقال: "يا بني آدم" ١٢/وجيز.

(٢) كالمطر والريح/١٢.

(٣) التي قصد الشيطان إبداءها فاحتاج أبوكم إلى خصف الورق ليسترها/١٢ منه.

(٤) تريش الرجل إذا تمول فسر به ابن عباس كما نقل عنه في البخاري ومجاهد وعروة ابن الزبير والسدي والضحاك/١٢ منه.

(٥) فإن الزينة غرض صحيح وفي بعض الأوقات سنة مستحبة/١٢.

(٦) ولما قص علينا حكاية إغواء الشيطان أبونا وبين عداوته القديمة أخذ يحذرنا منه فقال: "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان" الآية/١٢ وجيز.

﴿وَإِذَا^(١) فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ككشفهم عورتهم في الطواف نسائهم ورجلهم ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا﴾ على تلك الفعل المتناهية في القبح ﴿آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتقدوا أن فعل آباءهم مستند إلى أمر من الله وشرع^(٢) ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فإنه لا يأمر إلا بما لا ينفّر عنه الطبع السليم، ولا يستعييه العقل المستقيم ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل لا الإفراط ولا التفريط ﴿وَأَقِيمُوا﴾ عطف على أمر ربي، ومثله شائع^(٣) ﴿وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ استقيموا في العبادة في محالها وهي متابعة الأنبياء أو وجهوا وجوهكم إلى الكعبة في الصلاة حيث كنتم، أو صلوا في أي مسجد كنتم فيه إذا حضرت الصلاة ولا تؤخروها إلى مساجدكم ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ فلا تقبل عبادة إلا إذا كانت موافقة للشريعة خالصة ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة ﴿كَمَا^(٤) بَدَأَكُمْ﴾ أنشأكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ بإحيائكم وإيجادكم بعد موتكم وفنائكم أو كما خلقكم مؤمنًا وكافرًا تعودون^(٥) مؤمنًا وكافرًا ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ فوفقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ^(٦)﴾ وانتصابه بمقدر

(١) ولما ذكر أن الكافرين محبون تابعون للشياطين بين متابعتهم في شيء عجيب فقال: "وإذا فعلوا فاحشة" الآية/١٢ وجيز.

(٢) لما سمعوا من آباءهم أنهم على دين إسماعيل/١٢ وجيز.

(٣) يعني عطف الإنشاء على الإخبار وهو على سبيل الحكاية وتأويل هذا الكلام ومثله شائع/١٢ منه.

(٤) ولما أمر بالطاعة الخالصة لله تعالى توجه النفس إلى فائدتها وظهور إفادتها يوم الدين أشد على هذا اليوم فقال: "كما بدأ لكم" الآية/١٢ وجيز.

(٥) قال السدي: معناه كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضلال كذلك تعودون: تخرجون من بطون أمهاتكم/١٢ منه.

(٦) فنفوا واستحالوا الحشر كالمشركين والفلاسفة/١٢ وجيز.

تفسيره ما بعده، أي: وفريقاً أضل^(١) ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيتبعونهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ثيابكم التي تستر عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ صلاة وطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ نزلت حين كان بنو عامر لا يأكلون دسماً في أيام حجهم، ولا يأكلون إلا قوتاً فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك، أي: كلوا ما طاب ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بتحريم الحلال ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يرتضي فعل ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣) المعتدين حده في حلال أو حرام، أو معنله لا تسرفوا بإفراط الطعام والشراب.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿يَبْنِيْٓءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ

(١) وأما جعل المضمّر المفسر خذل دون أضل ليلائم الهدى، ولحقت عليهم الضلالة كما فعله الزمخشري فتبعه القاضي فاعتزل/١٢ منه.

(٢) ودلت الآية على أن المخطئ والمعاند سواء في الضلال فتدعو بالويل على الخوارج، وعلى كل مبتدع، ولما أمر ربنا بالقسط وهو الوسط بين الإفراط والتفريط يأمر وينهى بما هو الوسط وعما هو من أحد الشقيين فقال: "يا بني آدم" الآية/١٢ وحيز.

(٣) وفي البخاري عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة، أي: ما دام تعدم ولا تجد فيك الخصلتان اللتين هما السرف في الأكل والخيلاء في اللبس/١٢ منه. [ذكره البخاري معلقاً (١٠/٢٦٤)]

فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُمْ
مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ
أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ
أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَلَٰكُم رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَاتَبَتْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَقَالَتْ أُولَٰئِكَ لَٰكُمُ الْعَذَابُ لَٰكُمُ الْعَذَابُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٧٠﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ التي حرمتها على أنفسكم في الطواف ﴿الَّتِي أَخْرَجَ﴾
من النبات والحيوان والمعادن كالقطن والحريير والدروع ﴿لِلْعِبَادَةِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
الرِّزْقِ﴾ المستلذات من المأكول والمشرب كما حرمت من عند أنفسكم في أيام الحج
﴿قُلْ هِيَ﴾ أي: الطيبات مخلوقة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالأصالة والكفوة
شريكتهم تبعاً ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لا يشاركهم الكافرون وقيل: خالصة في الآخرة
من التنغيص والغم خلافاً للدنيا، ونصبه على الحال من المستكن في الظرف ﴿كَذَٰلِكَ﴾
كتفصيلنا هذا الحكم ﴿نَفَصِّلُ﴾ جميع ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله هو الذي يحرم
ويحلل أو لقوم غير جاهلين ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ ما تزايد قبحه كالكبائر
﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جهرها وسرها ﴿وَالْأَثَمَ﴾ كل ذنب، أو الصغائر أو

الخمير^(١) «وَالْبُغْيَ» الظلم «بِغَيْرِ الْحَقِّ» متعلق بالبغي مؤكداً له معنى «وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا» برهاناً ومن المحال إنزال البرهان على الإشراك فيكون هذا حكماً واستهزاء «وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ^(٢) مَا لَا تَعْلَمُونَ» بالافتراء عليه «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ» كذبت رسولها «أَجَلٌ» وقت معين لتزول العذاب والاستئصال «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» أي: إذا جاء وقت العذاب لا يتأخر ولا يتقدم أقصر وقت، ويصل إليهم في ذلك الوقت المقدر^(٣)، أو لا يطلبون التأخر والتقدم؛ لشدة الهول «يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» إن حرف شرط وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط «يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي» التي فيها الفرائض والأحكام «فَمَنْ اتَّقَى» الشرك منكم «وَأَصْلَحَ» عمله «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» في الآخرة «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» وهذا الشرط والجزاء إما يأتينكم «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» منكم عطف على من اتقى «وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا» فتركوا العمل بها «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» تَقَوَّلَ عليه ما لم يقله «أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ» أو كذب ما قاله «أُولَئِكَ يَتَأَلَّهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ» ينالهم

- (١) وأما تفسيره بالخمير فليس بشيء فإن السورة مكية وتحريم الخمير في المدينة ١٢/وجيز.
- (٢) لما ذكر أن بني آدم فريقان وأمر بخلاف قوله "وفريقاً حق عليهم الضلالة" ثم بين حال تلك الجماعة الضالة وما لهم فقال "ولكل أمة أجل" ١٢/وجيز.
- (٣) فهو بمنزلة المثل يقصد من مجموع الكلام ألا تغيير ولا تبديل لحكم الله تعالى، قالوا: قوله: "لا يستقدمون" لا يمكن عطفه على "لا يستأخرون"؛ لأن إذا شرطية لا يترتب عليها إلا ما يستقبل، ولا يترتب على مجيء الأجل في الاستقبال إلا مستقبل والاستقدام سابق على مجيء الأجل في الاستقبال، فالوجه أن يقال: إن قوله ولا يستقدمون منقطع من الجواب على الاستئناف أي: وهم لا يستقدمون الأجل أي: لا يسبقونه وتحقيق العلامة على هذا المنوال ١٢/وجيز.

ما كتب عليهم وهو قوله: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة" (الزمر: ٦٠)، أو ما وعدوا في الكتاب من خير وشر أو ما أثبت لهم في اللوح المحفوظ أو مما كتب لهم من العمل والرزق^(١) والعمر ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي: أرواحهم حال من الرسل ﴿قَالُوا﴾ جواب إذا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ما موصولة أي: أين الآلهة التي كنتم ﴿تَدْعُونَ﴾^(٢) تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهو سؤال وتقريع ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ غابوا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾^(٣) قال ﴿اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ادخلوا ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ أي: ادخلوا في النار كائنين في زمرة أمم تقدم زمامهم أي: كفار الجن والإنس ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ في النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ في الدين التي ضلت بالافتداء بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا﴾ تلاحقوا واجتمعوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِاهُمْ﴾ دخولا في النار ﴿لَأُولَاهُمْ﴾ أي: لأجل أولهم دخولا، أي: الأتباع للمتبعين، فإن المتبوع دخل قبل التابع؛ لأنه أشد جرماً، أو آخر كل أمة لأولها، أو أهل آخر الزمان لأولهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ أي: سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم ﴿فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفاً ﴿مِنَ النَّارِ﴾ أي: أضعف عليهم العقوبة ﴿قَالَ﴾^(٤) لِكُلِّ ضِعْفٍ أي: لكل واحد

(١) هذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه وإن كان الأول والثاني منقولين عن أكثر السلف/١٢ منه.

(٢) تستغيثونها في طلب حوائجكم/١٢ وجيز.

(٣) فالمقصود من الآية زجر الكفار عن الكفر؛ لأن التهويل بذكر هذه الأحوال مما يحمل العاقل على المبالغة في النظر والاستدلال والتشدد في الاحتراز عن التقليد/١٢ كبير.

(٤) الله تعالى/١٢.

ضعف من عذاب جهنم في هذا الحين، أو لكل عذاب لا مزيد له، أو عذاب ضعف ما يتصور أحدكم في شأن الآخر ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ﴾ القادة ﴿لَأُخْرَاهُمْ﴾ الأتباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ رتبوا هذا الكلام على قول الله يعني: أن القادة لما سمعوا قوله تعالى: "لكل ضعف" قالوا للسفلة: ما لكم فضل علينا فإننا متساوون في الضلال والعذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من قول القادة، أو من قول الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ أَنْهَارٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ﴾
لأرواحهم ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ بل يهوى بها إلى السجين^(١) أو لا يصعد لهم عمل صالح
ولا دعاء ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: حتى
يدخل البعير في ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل
ذلك الجزء الفطيع ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ﴾
غَوَاشٍ ﴿لِحَافٍ جَمْعُ غَاشِيَةٍ﴾ وكذلك نجزي^(٢) الظالمين ﴿سَمَاهُمْ مَرَّةً ظَالِمًا وَمَرَّةً﴾
بجرماً؛ لتعدد قبائحهم وتكررها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾
إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿لَا نُكَلِّفُ﴾ جملة معترضة بين
الابتداء والخبر للترغيب والإعلام بأن هذه المرتبة الجليلة ممكنة الوصول إليها بسهولة
﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ حسد وحقد كان بينهم في الدنيا
فلم يبق بينهم إلا التواد^(٣) ﴿نَجْزِي مِّنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت منازلهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ لما
رأوا تلك النعمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ لعمل هذا ثوابه ﴿وَمَا كُنَّا﴾
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿الْإِلَامُ﴾ لتوكيد النفي ويدل ما قبل لولا على جوابه ﴿لَقَدْ﴾
جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴿فَحَصَلْ لَنَا هَذِهِ النِّعْمَةُ بِإِرشَادِهِمْ﴾ ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ﴾
الْجَنَّةُ ﴿إِذَا رَأَوْهَا مِنْ بَعِيدٍ﴾ أو بعد دخولها، وأن هي المخففة أو مفسرة فإن المناداة من
القول ﴿أُورِثُوهَا﴾ حال من الجنة أو خير والجنة صفة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي/١٢ وحيز لمصنف جامع البيان.

(٢) وكفى لكل ظالم ومجرم نقصاً بأن وصف الكفار بتلك الألقاب زجراً/١٢ وحيز.

(٣) حتى تصير الجنة دار متمحض السرور قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا
وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم "ونزعنا ما في

صدورهم"/١٢ وحيز.

أعطيتموها بلا تعب كالميراث، أو ميراثكم من أهل الجنة، فقد ورد "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة وفي النار، والكافر يرث المؤمن منزله"^(١) من النار والمؤمن الكافر من الجنة "وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ تَبَحُّجًا بِحَالِهِمْ وَشِمَاتَةً بِالْكَفَرَةِ ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتمل المخففة والتفسير ﴿مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا﴾ في الدنيا من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب وأهوال الآخرة ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ "أن" كما مر ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة الظالمين أي: يمنعون الناس عن اتباع شرعه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ زيغًا وميلاً حتى لا يتبعها أحد ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ وبينهما حجاب بين الجنة والنار حاجز يمنع من وصول أهل النار إلى الجنة، وهو الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو السور المضروب^(٢) بينهما ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلَامًا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمَا﴾ بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها قبل دخول أهل الجنة الجنة والنار والنار وبَعْدَهُ لارتفاع محلهم وإشرافهم، وبإعلام الله تعالى إياهم فهم يعرفونهم بأشخاصهم، والأصح بل الصحيح أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ﴿وَنَادَوْا﴾ عطف على يعرفون ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وأن مثل ما مر ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ استئناف^(٣) ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها عطف، أو حال من النفي أي: هم عند عدم الدخول

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وغيرهما/١٢ وجيز. [وله أصل في مسلم (٦١٢/٥) ط الشعب.

ولفظة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ "إذا كانوا يوم القيامة دفع الله عز وجل

إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا مكانك من النار"]

(٢) وتصور هذا السور بين الجنة التي في الكرسي والنار التي في أسفل السافلين موقوف

بالمشاهدة/١٢ وجيز.

(٣) كأن سائلا سأل عن حال أهل الأعراف فقيل: لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون

دخولها/١٢ منه.

كانوا طامعين ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ فيه إشارة إلى أن نظرهم إلى أصحاب النار لا برغبة منهم وميل ﴿تَلْقَاءُ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١) في النار.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿

(١) معنى الآية: أنه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا إلى الله تعالى ألا يجعلهم من زمريهم، والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف حتى يقدم المرء على النظر والاستدلال، ولا يرضى بالتقليد ليفوز بالدين الحق فيصل بسببه إلى الثواب المذكور في هذه الآيات ويتخلص عن العقاب المذكور فيها/ ١٢ كبير.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفرة يقولون: يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل يا فلان يا فلان ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ لم تنفعكم كثرتكم أو جمعكم المال ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحق ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تمة قول أهل الأعراف لأولئك الكفار، والإشارة إلى ضعفاء الجنة التي كانت الكفرة يحتقرونها في الدنيا ويحلفون أنهم لا يدخلون الجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: ثم يقال لأهل الأعراف ذلك، أو لما عير أهل الأعراف أهل النار قال أهل النار: إن دخل هؤلاء الجنة فوالله أنتم لا تدخلونها تعبيراً لهم فقال الملائكة: أهؤلاء أي: أهل الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار أنه لا ينالهم الله برحمته؟!، ثم قالت الملائكة لهم "ادخلو الجنة" الآية ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ﴾ ألقوا^(١) علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ أي: ماء الجنة وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾^(٢) فاستهزؤا به أو جعلوا اللهو واللعب دينهم، وهو ما زين لهم الشيطان كتحريم البحيرة والتصيدية وغيرهما ﴿وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فتركوا الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ نعاملهم معاملة الناسين فنخليهم في جهنم ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ فلم يستعدوا له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وكما كانوا منكبين أنه من عند الله.

(١) قيل: طلبهم مع اليأس كالغريق يتشبث بالزبد لكن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما مشعر بأنهم طامعون في حصول ما التمسوا/١٢ وجيز.

(٢) وفي الآية لطيفة عجيبة وذلك لأنه تعالى وصفهم بكونهم كافرين ثم بين من حالهم أنهم اتخذوا دينهم لهواً أولاً ثم لعباً ثانياً ثم غرهم الحياة الدنيا ثالثاً ثم صار عاقبة هذه الأحوال والتدرجات أنهم جحدوا بآيات الله، وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدأ كل آفة، وقد يؤدي حب الدنيا إلى الكفر والضلال/١٢ كبير.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَلَّنَاهُ﴾ بينا مواعظه وأحكامه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بما فصلناه به حال من المفعول ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ نصبهما بالحال من المفعول ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يؤول إليه أمر الكتاب من صدق وعده ووعيده وكذبهما ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا الإيمان به والعمل له ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل إتيانه أي: في الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ونحن كذبناهم ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُردُّ﴾ أي: هل نرد إلى الدنيا؟ ﴿فَنَعْمَلْ﴾ جواب هل نرد ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بصرف العمر في الكفر ﴿وَضَلَّ﴾ غاب وبطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: لم ينفعهم آلهتهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦٧﴾﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سَقَنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ أَلَمَّا مِنْ قَوْمِي أَنَا لَنَرِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ أَبْلِغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٥﴾ * ﴿٦٦﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾^(١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ستة أيام الدنيا أو أيام الآخرة كل يوم ألف سنة^(٢) ﴿ثُمَّ اسْتَوَى^(٣) عَلَى الْعَرْشِ﴾

(١) ولما كان مدار القرآن على أصول أربعة التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة وبين كلا من الأربعة وأطال الكلام فيها رجع إلى بيان كل منها مفصلاً ومجملًا لأجل جدال الخصم وعناده فقال: "إن ربكم" الآية/١٢ وجيز.

(٢) وقدرته الشاملة وسعت أن يخلقها في لحظة لكن حكمته الباهرة اقتضت المدة وعلمها عند الله تعالى/١٢ وجيز.

(٣) قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد. ذكر القولين البغوي في تفسيره، وفي صحيح البخاري في كتاب الرد على الجهمية قال أبو العالية "استوى على السماء": ارتفع، وقال مجاهد "استوى على العرش": علا على العرش انتهى. وأبو العالية هذا تابع بصري راو عن ابن عباس، وفي كتاب العلو للحافظ الذهبي قال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: "الرحمن على العرش استوى" (طه: ٥)، أي: ارتفع، وقال محمد بن جرير الطبري في قوله "ثم استوى على العرش الرحمن" (الفرقان: ٥٩)، أي: علا وارتفع وقال الفراء "ثم استوى" أي: قعد قاله ابن عباس، وهو كقولك للرجل: كان قاعدًا ثم استوى قائمًا رواه البيهقي في الصفات له، وروى الدارقطني عن إسحاق الكاذبي قال: سمعت أبا العباس ثعلبا يقول في "استوى على

أجمع السلف على أن استواءه على العرش صفة له بلا كيف تؤمن به ونكل العلم إلى الله تعالى وليس المراد منه خلق العرش بعد السماوات والأرض كما فسر بعض العلماء **﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾** يغطيه به وفيه حذف، أي: ويغشى النهار الليل ولم يذكر للعلم

= العرش" علا واستوى بوجهه أقبل، واستوى القمر امتلاً، واستوى زيد وعمرو تشابهاً، واستوى إلى السماء أقبل هذا الذي يعرف من كلام العرب، وقال داود بن علي كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: ما معنى قوله "على العرش استوى"؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبد الله إنما معناه استولى. فقال: اسكت لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضاداً فإذا أغلب أحدهما قيل: استولى. وقال محمد بن أحمد بن النصر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها "الرحمن على العرش استوى" بمعنى استولى فقلت: والله ما يكون هذا، ولا أجبت، وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن الربيع بن أنس استوى أي: ارتفع، وقال البغوي في تفسيره: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن: ارتفع إلى السماء، وقال الخليل بن أحمد في "ثم استوى إلى السماء" (البقرة: ٢٩، فصلت: ١١)، ارتفع رواه أبو عمرو بن عبد البر في شرح الموطأ له انتهى. وذكر الذهبي في موضع آخر من الكتاب المذكور بسنده عن محمد بن جرير الطبري: وحسب أمرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز عن ذلك فقد خاب وخسر ومحمد بن جرير هو أحد الأئمة الكبار في وقته في التفسير والحديث والفقه والتاريخ وصاحب المصنفات الكثيرة ذكره أبو إسحاق وذكر ترجمته إلى أن قال: وقال أبو حامد الأسفرائني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً أو كلاماً هذا معناه، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما على آدم الأرض أعلم من محمد بن جرير، قلت: فمن أراد الإنصاف فليطالع تفسيره في آيات الصفات والعلو في مواردها، فمن ذلك قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء" نقل فيه عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع وقال في تفسير قوله "ثم استوى على العرش" في كل مواضعه أي: علا وارتفع انتهى/١٢.

به ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء، والجملة حال من النهار وحيثاً صفة مصدر، أي: طلباً سريعاً ﴿وَالشَّمْسُ﴾ عطف على السماوات ﴿وَالْقَمَرَ وَالْجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ نصب على الحال ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقضائه وتصريفه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لا خالق إلا هو ﴿وَالْأَمْرُ﴾ لا يجري^(١) في ملكه إلا ما يشاء ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى وتعظم ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: ذوي تذلل واستكانة وخفية، فالأصح أنه يكره الصياح والنداء في الدعاء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين في شيء أمروا به ومنه الإطناب في الدعاء بمثل مسألة الجنة ونعيمها وإسترقها وقصورها وأمثال ذلك ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يبعث الأنبياء، وقيل: لا تفسدوا بالمعاصي فإن من شؤمها يمسك المطر فتخرب الأرض بعدما كانت مخضرة ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ من عقابه وثوابه حالان من الفاعل ﴿إِنْ رَحِمَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين في أمره ونهيهم لم يقل قريبة، لأن الرحمة بمعنى الثواب ولاكتساب المرجع التذكير من المضاف إليه كما صرح الزمخشري في "ما إن مفاتحه لينوء" (القصص: ٧٦)، بالياء التحتانية ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ جمع بشير

(١) قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر نقل عنه البغوي في التفسير، وفي البخاري قال ابن عيينة: بين الله الخلق من الأمر بقوله "ألا له الخلق والأمر" انتهى. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: سئل سفيان بن عيينة عن القرآن أمخلوق هو؟ فقال: يقول الله تعالى: "ألا له الخلق والأمر" ألا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر، فالأمر كلامه، فلو كان كلامه مخلوقاً لم يفرق، ووضع البخاري باباً في صحيحه فقال: باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق، وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون/انتهى ١٢.

يشير بالمطر، أي: باشرات، أو للبشارة، ومن قرأ نشرًا بالتون وضمها وشين مضمومة أو ساكنة أو فتح النون وسكون الشين فمن النشر أي: ناشرات للسحاب الثقال ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر قيل: الصبا تثير السحاب والشمال تجمعها والجنوب تدره والدبور تفرقه ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا﴾ أي: سحاب ﴿ثَقَالًا﴾ بما فيها من الماء ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لأجل أرض لا نبات فيها ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾ بالبلد أو بسبب السحاب ﴿الْمَاءَ فَأَخْرِجْنَا بِهِ﴾ بسبب الماء أو بالبلد فالباء للظرفية ﴿مِنْ كُلِّ﴾ أنواع ﴿الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ مثل إخراج الثمرات وإحياء البلد ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بعد إحيائهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على ذلك قدر على هذا ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي: أرض كريمة التربة ﴿يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بمشيئته وتيسيره سريعًا حسنًا ﴿وَالَّذِي خُبْتُ﴾ ترابه ﴿لَا يُخْرِجُ﴾ أي: نباته حذف المضاف وأقيم المضاف إليه، أي: الضمير المحرور مقامه فصار مرفوعًا مستترًا ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ بطيئًا عدم النفع ونصبه على الحال ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ بينها مكرراً ﴿لِقَوْمٍ^(١) يَشْكُرُونَ﴾ فيتفكرون في الآية وهذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف ﴿نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ لما ذكر قصة آدم في أول السورة شرع في قصص الأنبياء ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة إله باعتبار محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ القيامة

(١) ولما قص في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني وقص من أخباره ما قص واستطرد من ذلك إلى المعاد، ومصير أهل السعادة إلى الجنة وأهل الشقاوة إلى النار أتبع ذلك بأحوال الرسل، فبدأ بقصة نوح إذ هو الآدم الثاني وأمه أدم تكذيبًا وأقل استجابة، وغرقهم وهلاكهم بالمطر الذي هو الرحمة فقال: "لقد أرسلنا نوحًا" الآية/ ١٢ وحيز.

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أي: الأشراف والسادة ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين
لأنك تركت دين آبائك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ أي: أقل ما يطلق عليه اسم
الضلال ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثابت على الصراط المستقيم^(١)
﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ صفة لرسول^(٢) أو استئناف ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ يقال نصحته
ونصحت له ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من جهته بالوحي ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من صفات
لطفه وقهره ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾ الهمة للإنكار، أي: أكذبتهم وعجبتم^(٣) من ﴿أَن جَاءَكُمْ
ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾ من جنسكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾
عاقبة المعاصي ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ من المعصية بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ بالتقوى
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ ظرف معه أي: صاحبه في الفلك،
أو حال من ضمير معه، أو من الموصول، والأصح أنهم ثمانون^(٤) ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾
بالطوفان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمى القلوب عن معرفة
الله تعالى.

﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا
تَتَّقُونَ﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا

(١) فيه إشارة إلى جواب ما يقال: لا بد أن يكون لفظ لكن متوسطاً بين كلامين متغايرين
نفياً وإثباتاً فكأنه قال: ليس بي ضلالة لكن ثابت على الطريق السوي؛ لأنى رسول من
رب العالمين/١٢ منه.

(٢) من قبيل أنا الذي سمتني أمي حيدرة فإن الظاهر يبلغكم/١٢ منه.

(٣) فيه بيان أن الواو للعطف على محذوف وهو كذبتهم/١٢ منه رح.

(٤) روى ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس/١٢ منه.

لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ قَالَ يَلْقَوْمٍ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٣﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ أُتْجِدِلُونَنِي فَمِنَ أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

﴿وَالِى عَادٍ﴾ أي: إلى قومه عطف على "نوحًا" ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب، أو واحد منهم كقولك: يا أخا العرب ﴿هُودًا﴾ عطف بيان لأخاهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ ومن أشرافهم من آمن به ^(١) ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ في خفة عقل ﴿وَأِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمٍ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي﴾ كامل ^(٢) العقل لأي

(١) صرح به مجاهد وغيره/ ١٢ فظهر فائدة قوله الذين كفروا حيث لم يقل قال الملأ من قومه كما قال في قصة نوح/ ١٢ منه.

(٢) إشارة إلى جواب سؤال قد كتبنا على حاشية "ولكني رسول من رب العالمين" في قصة نوح/ ١٢ منه. رح.

﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ^(١) نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ على الرسالة لا أكذب فيها ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ قد مر تفسيره قريباً فلا نعيده ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ في مساكنهم أو في الأرض بأن أخذ منهم وأعطاكم ﴿وَوَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَلَةً﴾ قامة وقوة ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ تعيم بعد تخصيص ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ بسبب ذكر النعم وشكره ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ مجاز من القصد والتعرض أي: أقصدتنا ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَخُذْهُ وَنَذِرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الوعد^(٢) ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب وحق أو جعل متحقق الوقوع كالواقع ﴿عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجَسٌ﴾ عذاب ﴿وَوَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أي: في أشياء ما هي إلا أسماء أحدثتموها فما هي إلا من موضوعاتكم ومخترعاتكم وليس تحتها مسميات، فإن معنى الألهية فيها بالكلية متنف فكيف تتخذونها إلهاً ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما جعل الله لكم في عبادتها حجة ولا دليلاً ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ أمر الله تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ حتى تروا حالكم وحالنا ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا

(١) وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في مواضع الضرورة إلى مدحها وفي إجابة الأنبياء من ينسبهم إلى السفاهة والضلال بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفهم أدب حسن وخلق عظيم وتعليم من الله لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيال حلمهم على ما يكون منهم/١٢فتح.

(٢) والوعيد مختص بالشر والوعد يطلق على الخير والشر/١٢ منه.

دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ﴿١﴾ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿٢﴾ عَنْ آخِرِهِمْ وَاسْتَأْصَلْنَاهُمْ ﴿٣﴾ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ وَالنَّاجِي فِي الدَّارِينَ الْمُؤْمِنُونَ.

﴿١﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَدِمُوا نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتِ صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٥﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أَعْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٨﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ

(١) وفي هذا توبيخ شديد لقريش فإنهم أيضًا كذبوا بآيات الله فحق عليهم رحس وغضب/١٢ وحيز.

(٢) والفارق بين الناجي والهاالك هو الإيمان هذا إخبار من الله تعالى أنهم ممن علم الله أنهم يموتون على الكفر قال صاحب فتح البيان - ونعم ما قال -: وقد أطال القوم في بيان قصة قوم هود وهلاكهم وإجمال القرآن يغني عن تفصيل لا يسند/١٢.

أَحَدٍ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ
 قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿١٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
 الْغَابِرِينَ ﴿١٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤﴾

﴿وَالِى ثَمُودَ﴾ أي: إلى قبيلته ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
 إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ
 آيَةٌ﴾ استئناف يبين البينة وإضافة الناقة إلى الله؛ لأنها جاءت من عنده بلا سبب معهود،
 فإنها خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضهم حين سألوا تلك المعجزة وعهدوا أن
 يؤمنوا به بعد ما تظهر، ونصب آية على الحال والعامل معنى الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ من الضرب والطرْد والأذى ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾^(١)
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿جواب للنهي﴾ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ﴾^(٢) ﴿جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ في
 مساكنهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾ سكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) ﴿تَتَخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾
 تبنون القصور من سهولة الأرض بما تصنعون منها من اللبن والآجر ﴿وَتَنْجِتُونَ
 الْجِبَالَ بِْيُوتًا﴾ كانوا يثقبون في الجبال ويسكنون في الشتاء فيها لتنعمهم، ونصب بيوتًا
 على الحال المقدرة^(٤)؛ لأن الجبل ما كان بيتًا في حال النحت، أو تقديره من الجبال

(١) وناسب الفعل أن المقدرة بعد الفاء ١٢/وحيز.

(٢) أي: نعمه ١٢/.

(٣) فيه دلالة على فسحة ديارهم وسعة تصرفهم ١٢/وحيز.

(٤) ضد المحققة.

يَبُوتَا ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا﴾ العثى: أشد الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تبالغوا في الفساد في حال فسادكم ﴿قَالَ الْمَلَأُ الْأَشْرَافَ﴾ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴿عَنِ الْإِيمَانِ﴾ ﴿مَنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ أي: الرعايا ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من للذين بدل البعض؛ لأن ضمير منهم راجع إلى للذين فإن المستضعفين كثيرون والمؤمنون أربعة آلاف ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قيل قالوه على الطر (*) والسخرية. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ عدلوا به عن مثل نعم إشارة إلى أن إرساله معلوم مسلم إنما الكلام في الإيمان به ونحن مؤمنون ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ فما سلموا إرساله الذي ادعوا ظهوره ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نحرها وكلهم راضون بنحرها فأسند الفعل إلى جميعهم ﴿وَعَتُوا﴾ استكبروا ﴿عَنْ﴾ قبول ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ^(١) ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة فإنه كان عذابهم صيحة من السماء وزلزلة من الأرض^(٢) تقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أرضهم ومسكنهم ﴿جَائِمِينَ﴾ خامدين ميتين ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب نبينا - عليه الصلاة والسلام - قليب بدر بقوله "هل وجدت ما

(٥) الطبر: الكلام باستهزاء. لسان العرب مادة (طر) (٢٧٠٩/٤) ط دار المعارف.

(١) حين قال لهم صالح: "ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم" ١٢/.

(٢) هكذا ذكره الإمام أبو جعفر بن الجريز وغيره من علماء التفسير فلا منافاة بين هذا وبين ما وقع في موضع آخر "فأخذتهم الصيحة" (المؤمنون: ٤١)، لأن في عذابهم رجفة وصيحة فبين في كل موضع شيئاً ١٢/ منه.

وعد ربكم حقاً" قيل: ويجوز أن يتولى عنهم ويقول ذلك حين مقدمة نزول العذاب وهذا كما قال بعضهم في الآية تقدم^(١) وتأخير.

﴿وَلُوطًا^(٢)﴾ أي: أرسلنا، أو واذكر لوطاً ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف على الأول وبدل من لوطاً على الثاني ﴿لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ تلك^(٣) الفعل القبيحة ﴿مَا سَبَقُكُمْ﴾ استئناف مقرر للإنكار ﴿بِهَا﴾ الباء للتعدية ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ من زائدة للاستغراق ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من للتبعية أي: ما فعلها أحد قط قبلكم ﴿إِنَّكُمْ﴾ الهمزة للإنكار ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ من أتى المرأة إذا غشيها ﴿شَهْوَةً﴾ للاشتهاء أنكر أن يكون الحامل على هذه القباحة مجرد الشهوة، أو حال أبي: مشتبهين غير ملتفتين إلى سماحتها ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ المخلوق لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ إضراب على الإنكار إلى الإخبار عن طريقتهم وعادتهم كأنه قال: بل أنتم قوم لكم الإسراف في الأمور كلها وهو الباعث لكم إلى تلك القبيحة ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: أخرجوهم في مقابلة النصح والإرشاد ﴿إِنَّهُمْ أَنْفُسُ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من دير الرجال^(٤) والنساء قيل قالوا سخرية ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ فإنه ما من

(١) وترتيبه إن كنت من المرسلين فتولى عنهم إلى قوله: "لا تحبون الناصحين" ثم "فأخذهم الرجفة" ١٢/ منه.

(٢) ولوطاً هو ابن هاران بن تارخ فهو ابن أخي إبراهيم وليس من أنبياء بني إسرائيل وكانا ببابل بالعراق فهاجرا إلى الشام، فزل إبراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، وبعثه الله إلى أمة يقال لها سدوم بالذال المعجمة وهي بلد بمحص ١٢/ فتح. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت ١٢/.

(٣) طهر فمه عن أن يمسه باسم النجس ١٢/ وجيز.

(٤) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة، وأما قول من يقول قولهم سخرية فمعناه أنهم أناس يتطهرون عن الفواحش ١٢/ منه، كما يقول الشياطين من الفسقة

أحد سوى أهل بيته ﴿إِلَّا أَمْرًا﴾ فَإِنَّمَا تَسْتُرُ الْكُفْرَ ﴿كَأَنَّ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(١) الْبَاقِينَ فِي دِيَارِهِمْ فَهَلَكْتَ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ نَوْعًا مِنَ الْمَطَرِ وَهُوَ حِجَارَةٌ ﴿فَانْظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفِرُوا يَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ * قَالَ أَلَمَلُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٢٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَمَحَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وَقَالَ أَلَمَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنْكُمْ إِذَا

= لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعادوا عنا هذا المتكشِف وأرْجَحونا من هذا المترهَد/١٢ كبير.

(١) ولم يقل من الغابرات كأنها من الرجال في فعلها/١٢ وحيز.

لَخَسِرُونَ ﴿١٦﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمُ فَكَيْفَ عَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٩﴾

﴿وَالِى مَدْيَنَ﴾ قبيلة، أو المراد بلد مدين ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿شُعَيْبًا﴾^(١) قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وليس في القرآن أنها ما هي ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به كالعيش على المعاش ﴿وَالْمِيزَانَ﴾^(٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ^(٣) لا تنقصوهم حقوقهم قيل كانوا مكاسين^(*) ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) بالكفر ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت

(١) عن عكرمة والسدي قال ما بعث الله نبياً مرتين إلا شعيباً مرة إلى مدين فأخذتهم الصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان/١٢ فتح.

(٢) وجاز أن يكون المراد المصدر كالميعاد فحينئذ المراد من الكيل المصدر فتطابقا/١٢ وجيز.

(٣) أمرهم أولاً بشيء خاص ثم نهاهم عن شيء عام فقال أشياءهم/١٢ وجيز.

(٤) المكس: النقص. أي ينقصون في المكيال.

(٤) وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع إلى أصلين التعظيم لأمر الله ويدخل فيه الإقرار بالتوحيد والنبوة، والشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك النجس والإفساد وحاصلها يرجع إلى ترك الإيذاء كأنه تعالى يقول إيصال النفع إلى الكل متعذر وأما كف الشر عن الكل فممكّن/١٢ كبير.

النبي وأمره بالعدل ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى العمل بما أمرهم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) مصدقين بمقالي ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ فإنهم يقعدون طرق الناس يوعدون الآتين إلى شعيب للإيمان بالقتل^(٢) وغيره، أو معناه النهي عن وعيد الناس لإعطاء أموالهم فإنهم مكاسين ويوعدون في موضع الحال ﴿وَتَصْدُونَ﴾ عطف على توعدون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بشعيب أو بالله وتوعدون وتصدون تنازعا في من آمن والعمل للثاني ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ وتطلبون لسبيل الله ﴿عَوَجًا﴾ بإلقاء الشبه ووصفها للناس بالاعوجاج ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ في العدد والعدد ﴿فَكَثَرَكُمْ﴾ بالأموال والبنين ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم فاعتبروا منهم ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المكذبين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣) لا حيف في حكمه ولا معقب له ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مَنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٤) أي: ليكونن أحد الأمرين إما الإخراج أو العود، وشعيب -عليه السلام- قط لم يكن على ملتهم لكن غلبوا قومه عليه فإنهم كانوا على ملتهم ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: أنعود في ملتكم وإن كنا

(١) وأما الكافر فلا خير له لا في الآخرة ولا في الدنيا/١٢ وحيز.

(٢) قاله السدي وكثير من المفسرين/١٢ وحيز.

(٣) هذا من أحسن المحاوراة إذا أبرز المتحقق في صورة المشكوك ومتعلق لم يؤمنوا محذوف أي: به، والخطاب في منكم لقومه، فاصبروا خطاب للطائفتين وبيننا أي: بين الجميع وفيه وعد للمؤمنين بالنصر ووعد للكافرين بالخسار/١٢ وحيز.

(٤) ويمكن أن يكون العود بمعنى الصيرورة فلا يستدعي الرجوع إلى حالة سابقة فإن شعيباً لم يكن قط على ملتهم/١٢ وحيز.

كارهين لها؟ ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذِ نَجَّأَنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ يدل على جواب الشرط قد افترينا، أي: قد افترينا الآن إن هممنا^(١) بالعود بعد الخلاص منها فإن المرتد مفترى في إثبات الند، وفي ظهور الحقية عنده للدين الباطل فهو أقبح من الكافر ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ لا يمكن ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) رَبَّنَا ارتدادنا فإنه مصرف القلوب كيف يشاء، ولو أراد الله بأحد سوء فلا مرد له ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه بما كان وما يكون وعلمًا تميز ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في تثبيتنا على الإيمان وتخليصنا منكم ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ اقض واحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ فأنزل على كل منا ما يستحقه^(٣) لا أن تهلكهم بدعائي وهم غير مستحقين للعذاب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ وَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ وَاللَّهُ ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَبًا مِنْكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ﴾ لاستبدالكم دينه الباطل بدين آبائكم الحق، وجملة إنكم إذا لخاسرون ساد مسد جواب القسم والشرط ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ مدينتهم ﴿جَائِمِينَ﴾ ميتين قد اجتمع عليهم أنواع من العذاب بسحابة فيها شر من النار ولهب وهو قوله تعالى "عذاب يوم

(١) جواب عما يقال ظاهره إخبار مقيد بالشرط وما تقدم بمرتلة الجزاء وظاهر أن الافتراء الماضي لا يتعلق بالعود وحاصل الجواب أن قد افترينا بمعنى المستقبل؛ لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال كأنه قيل: قد افترينا الآن إن هممنا العود قاله أبو البقاء رحمه الله ١٢ منه.

(٢) يعني لا يمكن الارتداد ونحن على هذا الطبع المستقيم نعم لو أراد ارتدادنا فهو قادر على تغيير طبعنا وتبدله كمرأة أكله الصداء فإنها لا تقبل الجلاء نعم للجلاء أن يذيعها ويجعلها مرآة تقبل الجلاء ١٢ وحيز.

(٣) هذا المعنى يستفاد عن قوله: "بالحق" وإلا فجميع حكم الله بالحق ولا يصدر عن الله شيء إلا وهو حق ١٢ منه.

الظلة" (الشعراء: ١٨٩) في سورة الشعراء ثم جاءهم صيحة من السماء وهو قوله تعالى "فأخذهم الصيحة" (الحجر: ٨٣) في سورة الحجر ورجفة من الأرض فزهقت أرواحهم وخذت أجسادهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ مبتدأ ﴿كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا﴾ خبره أي: كأن لم يقيموا فيها قط ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ لا الذين صدقوه كما زعموا ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الظاهر أنه بعد عذابهم وموتهم ﴿وَقَالَ﴾ تأسفًا هم ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ وقد كفرتم ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ مستحقين للعذاب.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ ٥ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٨﴾ أَوَإِنِ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبه أهلها ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ كي يتضرعوا ويتركوا الاستكبار عن الإيمان ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أعطينا السلامة والسعة مكان البلاء والشدة ابتلاء واستدراجًا ﴿حَتَّىٰ﴾ ^(١) عَفَوْا ﴿كَثَرُوا عَدَدًا وَمَالًا﴾ ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ

(١) عفا النبات والشجر والوبر إذا كثرت/ ١٢ وجيز.

وَالسَّرَّاءُ فَأَصَابَنَا مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ وَهَذَا عَادَةُ الدَّهْرِ وَلَمْ يَتَّبِعُوا وَغَفَلُوا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً﴾ فَجَاءَ مُصَدِّرُ أَيٍّ: هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْأَخْذِ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِتَزُولِ الْعَذَابِ
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ أَيٍّ: تِلْكَ الْقُرَى الَّتِي أَرْسَلْنَا فِيهَا رَسُولًا ﴿آمَنُوا وَاتَّقُوا﴾
الْمَعَاصِي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ يَسِّرْنَا الْخَيْرَ لَهُمْ ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ أَوْ قَطْرَ السَّمَاءِ وَنَبَاتِ الْأَرْضِ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ رَسَلْنَا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾^(١) بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعَصِيَانِهِمْ ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ وَهُوَ عَطْفٌ عَلَى
فَأَخَذْنَاهُمْ بِغْتَةٍ، أَوْ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا، وَحَاصِلُهُ فَعَلُوا كَيْتَ وَكَيْتَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِغْتَةٍ
أَبْعَدَ ذَلِكَ أَمِنْ ﴿أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عَذَابُنَا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ أَيٍّ: وَقْتُ بَيِّنَاتٍ، أَيٍّ:
بَيِّنَاتٌ فَنَصَبَهُ عَلَى الظَّرْفِ بِحَذْفِ الْمُضَافِ ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ جُمْلَةٌ حَالِيَةٌ ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ
الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ ضُحَاةُ النَّهَارِ ظَرْفٌ ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٢) مِنْ فَرْطِ
غَفْلَتِهِمْ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ اسْتِعَارَةٌ لِأَخْذِهِ الْعَبْدَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ^(٣) وَاسْتِدْرَاجُهُ
﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فَطَرَهُمْ.

(١) لَمَّا حَكَى عَنْ بَعْضِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ أَخَذَ بِحَذْرِ قَرِيبًا وَيُخَوِّفُهُمْ أَنْ يَصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ
فَقَالَ: "أَفَأَمِنَ" الْهَمْزَةُ لِلتَّوْبِيخِ دَخَلَتْ عَلَى أَمِنْ وَالْفَاءُ لِعَطْفِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى مَا قَبْلُهَا.
قَالَ صَاحِبُ الْبَحْرِ: مَا قَالَه الرَّمَحْشَرِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَنَّ الْفَاءَ بَعْدَ الْهَمْزَةِ عَاطِفٌ عَلَى
مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَ الْهَمْزَةِ مِنَ الْجُمْلَةِ رَجُوعٌ إِلَى مَذْهَبِ النُّحَاةِ وَيُخْرِجُ لِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى
خِلَافِ مَا قَدَّرَ مِنْ مَذْهَبِهِ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ أَنْ يَقْدَرَ مَحْذُوفًا بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَحَرْفِ الْعَطْفِ
كَمَا يَصْرَحُ بِذَلِكَ ١٢/١٠٢ وَجِيزٌ.

(٢) وَهَذَا وَقْتُ لَعِبِهِمْ وَاشْتَغَالِهِمْ بِدُنْيَاهُمْ قَيْدُ كُلِّ ظَرْفٍ بِمَا يَنَاسِبُهُ مِنَ الْحَالِ، وَجَاءَ نَائِمُونَ بِاسْمِ
الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّهَا حَالَةٌ ثُبُوتٍ وَاسْتِقْرَارٍ وَجَاءَ يَلْعَبُونَ بِالْمُضَارِعِ؛ لِأَنَّهُمْ يَشْتَغِلُونَ بِأَفْعَالٍ مُتَّحِدَةٍ
شَيْئًا فَشَيْئًا، وَكَلَا الْحَالَيْنِ حَالُ تَرْفِهِ وَطُمَأْنِينَةٍ فَجَاءَ الْمَصَائِبُ فِيهَا أَشَدُّ ١٢/١٠٢ وَجِيزٌ.
(٣) وَفِي الْحَدِيثِ: "اللَّهُمَّ أَمْنِي مَكْرَ الشَّيْطَانِ وَلَا تَأْمِنِي مَكْرَكَ يَا اللَّهُ" ١٢/١٠٢ وَجِيزٌ.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٥) تِلْكَ الْفَرَى نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٦) وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٧) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ (١٨) وَقَالَ مُوسَى يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩) حَقِيقٌ
عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ (٢٠) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢١)
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٢٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظَرِينَ (٢٣)

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي: يرثون ديار من قبلهم ﴿أَنْ﴾
أي: أن الشأن ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ﴾ بالبلاء ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسببها كما عذبنا من قبلهم
وجملة أن لو نشاء فاعل يهد ومن قرأ بالنون فهو مفعول وفي الهداية حيث شد تضمين
التبيين ولهذا عدى باللام ﴿وَنَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ هو استئناف ولهذا غير
الأسلوب أي: نحن نطبع، أو عطف على مدلول أو لم يهد يعني يغفلون ونطبع وليس
يعطف على أصبناهم؛ لاستلزام انتفاء كونهم مطبوعين مع بطلانه لقوله: "فهم
لا يسمعون" وقوله: "كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين" وقوله: "فما كانوا
ليؤمنوا"؛ لدلالته على أن حالهم منافية للإيمان ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة أبداً سماع
قبول.

﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ إشارة إلى قرى الأمم التي مر ذكرها ﴿نَقْصُ عَلَيْكَ﴾ حال، أو خبر إن جعلت القرى صفة تلك ﴿مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أي: بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: ما صلحوا للإيمان بعد رؤية المعجزات ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل رؤيتهم تلك المعجزات يعني بعدما طبعناهم لا يمكن لهم الإيمان بما جاءهم الرسول أو الباء للسببية أي: كفرهم السابق سبب كفرهم اللاحق وعن بعض السلف المراد من قبل يوم أخذ الميثاق فإنهم حينئذ أقروا باللسان وأضمرُوا التكذيب ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الوارثين والموروثون ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي: الأمم الماضية ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، أو عهدهم مع أنبيائهم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا﴾ أي: إن الشأن علمنا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعتنا وعند الكوفيين أن نافية واللام بمعنى إلا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا^(١) مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل الذين مر ذكرهم ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: بالآيات بأن وضعوا الكفر بها مكان الإيمان ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ على بمعنى الباء أي: بالآ أقول، كما تقول: رميت على القوس أو أصله حقيق على ألا أقول كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الإلباس، أو أراد موسى أن يغرق في وصف نفسه بالصدق فيقول: أنا حقيق على قول الحق، أي: واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله، ولا

(١) ولما قص أخبار الأمم وما آل إليه أمرهم أتبع بقصص موسى عليه السلام وفرعون وبني إسرائيل فإن معجزاته أظهر وأتمته أكثر الأمم عناداً وبين موسى وشعيب قرابة ونسب فقال "ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا" الآية/١٢ وجيز.

يرضى إلا بمثل ناطقاً به أو معناه أي حريص على ألا أقول ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً﴾ وهي العصا ﴿مَنْ رَبُّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة فإن فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ من عند من أرسلك ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ أحضرها عندي ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة لا يشك في أنها حية ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه بعدما أدخلها فيه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ لها شعاع غلب^(١) نور الشمس ثم أعادها إلى كفه فعدت إلى لوها الأول وللناظرين متعلق ببيضاء، أي: بيضاء للنضارة.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ١١٠ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٨﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٢٠﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ

(١) هكذا قاله مجاهد وغيره/١٢.

لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُضِلَّ بِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِمَا يَلِيَّتْ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ في صناعته أي: قالوا ذلك موافقين لقول فرعون كما حكاه تعالى: "قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم" (الشعراء: ٣٤)، فوافقوه وقالوا كمقالته أو قال الملأ بطريق التبليغ من لسان فرعون إلى القوم يعني قبط ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ يا معشر القبط ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(١) تشير في أمره ﴿قَالُوا﴾ بعدما اتفقوا رأيهم ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ الإرجاء التأخير أي: أخر أمره وأمر أخيه أو احبسه وأصله أرجئه ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي رجالا يحشرون إليك من في مدائن صعيد مصر من نواحي مصر من السحرة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾^(٢) قَالُوا إِنَّا لَنَآجِرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ على موسى ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمْ﴾ إن لكم أجرا ﴿وَأَيُّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٣) فهو معطوف على محذوف سد مسد نعم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ ﴿وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ما معنا من الحال ورغبتهم في أن

(١) من المؤامرة في إعرابه وجهان أحدهما ماذا مفعول ثان محذوف حرف الجر والمفعول الأول محذوف أي: بأي شيء تأمرونني، والثاني أن ما مبتدأ وذا بمعنى الذي خبر عنه ومفعول تأمرون محذوف أي: أي شيء الذي تأمرونني، أي: تأمرونني به/ ١٢ وجيز.

(٢) يعني بعدما بعث فأتوه/ ١٢ وجيز.

(٣) يعني لا أقتصر لكم في الأجر بل أزيدكم في الرفعة والمترلة/ ١٢ وجيز.

يلقوا قبله، ولهذا غيروا نظم الكلام إلى أكد وجه^(١) **﴿قَالَ﴾** موسى كرمًا ووثوقًا على الله **﴿أَلْقُوا﴾**^(٢) **﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾** خيلوا إليها ما لا حقيقة له^(٣) **﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾** خوفوهم^(٤) **﴿وَجَاعُوا بِسِحْرِ عَزِيمٍ﴾** قيل خمسة عشر ألف ساحر وقيل أكثر^(٥)، ومع كل عصى وحبال غلاظ طوال، وألقوا فإذا حيات قد امتلأت الوادي تركب بعضها بعضا **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾** فألقاها **﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾** تتلع **﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾** ما يزورونه من الإفك، فلما أكلت حباهم وعصيتهم بأسرها، قالت السحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا **﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾** ثبت وظهر **﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** من السحر **﴿فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾** صاروا أذلاء، وأرجعوا إلى مدينتهم أذلاء مغلوبين، والضمير لفرعون وقومه **﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾**^(٦) ألقاهم الله تعالى، أو ألهمهم أن يسجدوا، أو من سرعة سجودهم كأهم ألقوا^(٧) **﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾** لا رب

(١) من تأكيد ضمير المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر/١٢.

(٢) وليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل إباحة السحر بل لإبطاله/١٢.

(٣) فيه دلالة على أن سحرهم من باب التخجيل لا يقلب عينا/١٢ وجيز.

(٤) وأرهبوهم، فاستفعل بمعنى أفعل/١٢.

(٥) قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ونقل ابن جرير: أنهم سبعون ألف ساحر/١٢ منه.

(٦) وقد سجدوا شكرًا على المعرفة وظهور الحق وقد نفعهم علمهم وإن كان حرامًا، وقالوا رب موسى بالبدل من رب العالمين لتدفع توهم غير الله تعالى لقول فرعون "أنا ربكم الأعلى" (النازعات: ٢٤)/١٢ وجيز.

(٧) يعني أنه تمثيل شبه حالهم في سرعة الخرورج بالمال من ألقى/١٢ وجيز.

القبط فإنه فرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾ (١) ﴿لَكُمْ﴾ في الإيمان ﴿إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: حيلة صنعتوها أنتم وموسى في مصر قبل الخروج إلى هنا ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: القبط فتبقى المصر لكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة صنيعكم، ثم فصل ما أجمل وقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ (٢) من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَا صَلْبَ لَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا بِالْمَوْتِ مُتَقَلِّبُونَ﴾ فلا نخاف من وعيدك، أو مصيرنا ومصيرك إلى الله فيحكم بيننا ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ (٤) ثم أعرضوا عنه وفرعوا إلى الله تعالى، وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أفض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ حتى لا نرجع من الدين ﴿وَتَوْفَّقْنَا مُسْلِمِينَ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: كانوا أول النهار سحرة وفي آخره شهداء.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (٥) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

(١) من غير رخصتي في الإيمان، ولما خاف أن يصير إيمان السحرة حجة قومه ألقى في الحال نوعين من الشبهة: أحدهما أن هذا مما تواطؤوا بينهم لا أن هذا غلبة حقيقة، وأن ذلك طلب منهم للملك فقال: "إن هذا لمكر مكرتموه" الآية/١٢ وحيز.

(٢) لما ظهرت الحجة عاد إلى عادة ملوك السوء بالتهديد إذا غلبوا بحجة، قوله: "من خلاف"، أي من مختلفات من اليد اليمنى والرجل اليسرى وقد يجيء بسطه إن شاء الله تعالى في سورة طه/١٢ وحيز.

(٣) وما أوعدهم لا يعلم من القرآن أنه عمل به أو لم يعمل/١٢ وحيز.

(٤) وما هو إلا أصل المفاخر/١٢.

عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون ﴿أَنْذِرْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ﴾^(١) ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بدعوهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذْرَكَ﴾ وَالْهَتَا ﴿عُطِفَ عَلَىٰ يَفْسِدُوا، أَوْ جَوَابَ لِلْإِسْتِفْهَامِ بِالْوَاوِ، كَمَا يَجَابُ بِالْفَاءِ قِيلَ: لَفِرْعَوْنَ بَقَرَةَ يَعْبُدُهَا وَيَأْمُرُ أَنْ يَعْبُدُوا بَقَرَةَ حَسَنَاءَ، وَقِيلَ عَلِقَ عَلَىٰ عُنُقِهِ صَلِيبًا يَعْبُدُهُ، وَقِيلَ: اتَّخَذَ لِقَوْمِهِ أَصْنَامًا وَأَمَرَ بِعِبَادَتِهَا، وَقَالَ لَهُمْ: هَذِهِ آلِهَتُكُمْ وَأَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ﴿قَالَ سَتَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ كَمَا كُنَّا نَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ حِينَ حَكَمْتَ الْكُهَنَةَ بِوُجُودِ مَوْلُودٍ عَلَىٰ يَدِهِ زَوَالِ مَلَكُنَا ﴿وَكُنْتُمْ خِيَّيْنِ نِسَاءَهُمْ﴾ نَتْرَكُهُنَّ أَحْيَاءَ لِلْخِدْمَةِ ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ هُمْ تَحْتَ أَيْدِينَا مَقْهُورُونَ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ حِينَ شَكُوا إِلَيْهِ ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢) ﴿فَلَرَبَّمَا يَأْخُذُ مِنْهُمْ وَيُعْطِيكُمْ بِسَهُولَةٍ كَالْمِيرَاثِ﴾ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿أَي: عَاقِبَةُ الْأَمْرِ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ لِلْمُتَّقِينَ فَتَقُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهُ الْآخِرَةُ لِلْمُتَّقِينَ خَاصَّةً﴾ ﴿قَالُوا﴾ بَنُوا إِسْرَائِيلَ ﴿أَوْذِينَا﴾ بِقَتْلِ^(٣) الْأَبْنَاءِ ﴿مِنْ قَبْلِ﴾^(٤) ﴿أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بِالرَّسَالَةِ ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بِإِعَادَةِ الْقَتْلِ ﴿قَالَ﴾

(١) قالوا: ذلك إغراء لفرعون بموسى وقومه وتحريضه بقتلهم للخوف على الملك والجاه/١٢ وجيز.

(٢) وعدهم النصر بالصبر وذكرهم ما وعد الله تعالى به بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريث أرضهم وديارهم/١٢ وجيز.

(٣) وإخدام النساء/١٢.

(٤) مخافة ما كان يتوقع من هلاك ملكه على يد مولود منا/١٢ وجيز.

موسى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَذُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرضهم
وملكهم ﴿فَيَنْظُرَ﴾ يرى ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكر وكفران وطاعة وعصيان.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾
فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ
مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا يَطَّيَّرُهمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالُوا مَهْمَا
تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
وكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ آدَعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ
﴿٢١﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
غَافِلِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي
إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانِ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا
يَعْرِشُونَ ﴿٢٣﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ
أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَبْطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ
أَغْيَرِ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِنْ

ءَالِ قِرْعُونَ يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ *

﴿وَلَقَدْ﴾^(١) أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴿بِالْجُدُوبِ لِقَلَّةِ الْأَمْطَارِ﴾ ﴿وَنَقْصِ﴾^(٢) مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿لَكِي يَتَّبِعُوا وَيَتَعَطَّوْا﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ السَّعَةِ وَالْمَالِ ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ لَأَجْلُنَا وَنَحْنُ^(٣) مُسْتَحَقُّوهَا وَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَهَا ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بَلَاءٌ وَجَدَبَ ﴿يُطَيِّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يَتَشَاءُوا بِهِمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا بِشُؤْمِهِمْ ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي: شُؤْمُهُمْ^(٤) مِّن قَبْلِ اللَّهِ وَمِنْ عِنْدِهِ، أَوْ سَبَبُ شُؤْمِهِمْ وَهُوَ أَعْمَالُهُمُ الْقَبِيحَةُ عِنْدَهُ مَكْتُوبٌ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا أَصَابَهُمْ^(٥) مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَقَالُوا﴾ لِمُوسَى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ﴾ أَي: أَيُّ شَيْءٍ تَأْتِنَا بِهِ فَمَحَلُّ مَهْمَا الرِّفْعُ وَجَازُ النَّصَبِ بِفَعْلٍ يَفْسِرُهُ تَأْتِنَا أَي: أَيُّ شَيْءٍ تَحْضُرُنَا تَأْتِنَا بِهِ ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ بَيَانُ لِمَهْمَا وَسَمَوُهَا آيَةٌ عَلَى زَعْمِ مُوسَى ﴿لَتَسْحَرَنَّ بِهَا﴾ الضَّمِيرُ لِمَا فِي

(١) ولما وعد موسى قومه بهلاك عدوهم من جانب وحي الله تعالى شرع سبحانه ببيان مقدمات افتتاحهم فقال: "ولقد أخذنا"/١٢ وجيز.

(٢) أي: لم يبارك في طعامهم وفواكههم/١٢ وجيز.

(٣) ووجدوا خلاف ذلك ظلمًا/١٢.

(٤) أي: شؤمهم من عند الله وقبلة هم يتفاءلون بالطير بطيرانه من جانب إلى جانب وصوته فهذا اللفظ مستعار/١٢ وجيز.

(٥) والحاصل إنما أصابناهم يتضرعوا ويندرجوا تحت أمرنا ونهينا فلم يتضرعوا ولم يسلموا بل تنفروا عن رسولنا إليهم وشتموه وتطيروا به/١٢ وجيز.

(٦) يريد أنه من باب شريطة التفسير والمضمر تحضرنا الذي هو في معنى تأتينا فيكون من قبيل زيادًا مررت به/١٢.

مهما باعتبار المعنى فإن^(١) من آية فضلة جيء للتبيين ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم موسى عليه السلام ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ أرسل الله تعالى مطراً^(٢) سبعة أيام امتلئت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل مع أن بيوتهم مشتبكة^(٣) أو المراد من الطوفان الوباء أو الجدري^(٤) ثم فرغوا إلى موسى وعهدوا بالإيمان إن كشف عنهم العذاب، فلما كشف نقضوا عهودهم ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأرسل الله إليهم الجراد فأكل زروعهم وثيابهم حتى^(٥) مسامير أبواهم ثم عهدوا وكشف فنقضوا ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ فأرسل الله إليهم السوس^(٦) أو أولاد الجراد قبل أجنحتها أو الحممان^(٧) صغار القردان أو دواب سود صغار أو القمل بفتح القاف حتى أكلت أبدانهم ومصت^(٨) دماءهم فعهدوا فلما كشف نقضوا ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فأرسل الله تعالى إليهم الضفادع حتى لا يستطيعوا الطبخ والأكل فإنه يمتلئ قدورهم وظروفهم وأفواههم فعهدوا ونقضوا ﴿وَالدَّمَ﴾ صارت مياههم دماً وسالت النيل عليهم بالدم أو المراد بالدم

(١) قوله فإن من آية إلخ جواب لسؤال وهو أن الظاهر أن يكون الضمير لآية لا لما فما الموجب إلى العدول/١٢ منه.

(٢) مع ظلمة شديدة/١٢.

(٣) يعني مع بيوت القبط وزرعهم ينمو وزرع القبط يموت من الماء/١٢ وجزير.

(٤) الأول رواية عن ابن عباس وهو قول الضحاك والثاني لعطاء ومجاهد ورواية عن ابن عباس أيضاً وروى ابن جرير وابن مردويه عن عائشة مرفوعاً والثالث لأبي قلابة/١٢ منه.

(٥) كما قال مجاهد/١٢ منه.

(٦) الذي يخرج من الحنطة كذا قال ابن عباس/١٢ منه.

(٧) قاله أبو عبيدة/١٢.

(٨) كذا قاله مجاهد وعكرمة وقتادة/١٢.

العراف فعطشوا فعهدوا ونقضوا ﴿آيَاتِ مَفْصَلَاتٍ﴾ مبینات لا یشتبه علی أحد أھما
نقمة من الله ونصبها علی الحال ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ الآيات المفصلات أو الطاعون فهو عذاب سادس ﴿قَالُوا يَا
مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بحق عهده عندك وهو النبوة أو بما أنت
تعلمه من أسمائه التي تدعو بها فيستجيب الدعاء ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوءِ﴾
حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون أو مهلكون فيه وهو الغرق ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾
عهدهم أي: فلما كشفنا العذاب فجاءوا النقض بلا مهل وتأمل ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ أردنا
الانتقام ^(١) ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر العمیق ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتفكرون في آياتنا ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بقتل
أبنائهم واستخدام نسائهم ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ أرض الشام ﴿وَمَغَارِبَهَا﴾ ^(٢) التي باركنا
فيها بالسعة والرخاء ﴿وَوَدَّعْنَاهُمْ﴾ هي وعده إياهم بالنصر والظفر
﴿الْحُسْنَى﴾ صفة الكلمة ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم علی
الشدائد ﴿وَوَدَّعْنَاهُمْ﴾ استأصلنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات ﴿وَمَا
كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من البيوت والقصور أو من البساتین.

(١) فسرنا بذلك، لأن الإغراق هو الانتقام وجاز أن يكون فأغرقنا مجرد التفسير فحيث
فانتقمنا علی ظاهر معناه ولا حاجة إلى تأويل ١٢ منه.

(٢) هو مفعول ثان لأورثنا والمفعول الأول هو القوم بحذف مضاف أي: ذرية القوم فإنهم لم
يعودوا إلى أرض مصر بأعيانهم بل أقاموا بالأرض المقدسة وذريتهم كسليمان عليه
السلام دخل مصر التي باركنا ١٢ وحيث.

﴿وَجَاوَزْنَا^(١) بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ عبرنا بهم ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾ مروا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى﴾ عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى^(٢) اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ مثالا نعبدہ ﴿كَمَا لَهُمْ^(٣) آلِهَةٌ﴾ ما كافة ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لأن العاقل لا

(١) ولما ذكر إنعامه على بني إسرائيل وانتقامه على القبط أخذ يبين كفران بني إسرائيل نعمهم وصنيعهم في مقابلة ما أنعم عليهم فقال: "وجاوزنا"/١٢ وجيز.

(٢) قوله تعالى "اجعل لنا إلها" قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب المعروف بالكبير: واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبراً لأن الذي يجعل يجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبراً له ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناماً وتماثيل يتقربون بعبادتهما إلى الله تعالى وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر: ٣) إذا عرفت هذا فلنقاتل أن يقول: لم كان هذا القول كفراً فنقول أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلها للعالم أو اعتقد فيه أن عبادته تقربه إلى الله تعالى؛ لأن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام/١٢ كبير.

(٣) يعني كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا إلها نعبدہ ونعظمه قال البغوي: ولم يكن ذلك شكا من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم، فرد عليهم موسى عليه السلام بقوله "إنكم قوم تجهلون" يعني تجهلون عظمة الله وأنه لا يستحق أن يعبد سواه، لأنه هو الذي أنجاهم من فرعون وقومه فأغرقهم في البحر وأنجاهم منه. عن أبي واقد الليثي رضي عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة

يطلب معبودًا مخلوقًا لا يضر ولا ينفع ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى القوم ﴿مُتَّبِرٌ﴾ مكسر مدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي: دينهم فاعل متبرأ أو مبتدأ ومتبر خبره ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الربة لا محالة ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم ﴿إِلَهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بأن أعطاكم نعمًا وخصكم بها ﴿وَإِذْ أَتَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: واذكروا هذا اللطف العظيم ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ استئناف أو حال أي: ييغونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بدل من يسومون مبين له ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب ﴿بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قيل الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى المنحة^(١) لا المحنة.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَلْتِ رَبِّمَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَلْتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ يَلْمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ

= والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم" أخرجه الترمذي وصححه النسائي وأحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه/١٢ الباب التأويل المعروف بخازن. [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٧٧١) وفي "ظلال الجنة"].

(١) يعني أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة/١٢ الباب.

الشَّكْرِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ بِأَخْذُوهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَنِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ۖ (١) ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة للمناجاة وإرسال كتاب من عنده ﴿وَأَتَمَمْنَاَهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة نقل أنه بعد صوم الشهر استاك فزال خلوفه فلذلك أمر بصوم عشر ليكون لفته خلوف (٢) ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (٣) وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ ارفق بهم واحملهم على طاعة الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا تطع من دعاك إلى الفساد (٤).

(١) وعد موسى قومه وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهاهم بكتاب من الله فيه بيان ويأتون ويذرون فلما هلك فرعون سأل ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهر شهر ذي القعدة/١٢ وجيز.

(٢) وفي الحديث: "الخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" ١٢/١. [أخرجه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (٢٠٦/٣) ط الشعب.

(٣) نصب أربعين بالخير من تم؛ لأن تم من الأفعال الناقصة بمعنى التصيير فإن لم تجعله من الناقصة فنصبه على التمييز ١٢/١ وجيز.

(٤) وهو صلوات الله وسلامه عليه يعرف حيلة قومه ١٢/١ وجيز.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: لوقتنا الذي وقتنا له ﴿وَكَلَّمَهُ﴾^(١) رَبُّهُ﴾ فلما سمع كلامه اشتاق لقاءه ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي﴾ نفسك بأن تتجلى إلي ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أراك ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾^(٢) في الدنيا وقد وردت أحاديث صحاح صريحة على رؤية الله تعالى في الآخرة وأجمعت الأمة على ذلك سوى المعتزلة وحسبهم من الخسران والحسرة أن عاملهم الله تعالى في الآخرة بعقيدتهم وحرهم من نعمة لقائه كما قال جدي قدس سره ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ﴾^(٣) اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ﴾ ويطبق الرؤية مع أنه أعظم

(١) قال الرّمحشري تكليمه أن يخلق الكلام منظوقاً به في بعض الأحرام كما خلقه محفوظاً في الألواح انتهى. وإليه ذهب المعتزلة وهو مذهب فاسد يرده الكتاب والسنة وأين للشجر وذلك الجرم أن يقول: "إني أنا الله" (طه: ١٠٤)، وذهب الحنابلة ومن وافقهم من أهل الحديث أن كلامه تعالى حروف وأصوات مقطعة وأنه قديم وهو الحق وقد نطق به السنة المطهرة وقال جمهور المتكلمين: إن كلامه صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وأراد به الكلام النفسي ولا توجد له رائحة في السنة المطهرة وكذا ما ذكره الشيخ في التأويلات أن موسى سمع صوتاً دالاً على كلام الله وهو ظاهر البطلان لمخالفة نص القرآن، وقد سكت جمع من السلف والخلف عن الخوض في تأويل صفة كلام الله تعالى وقالوا: إنه متكلم بكلام قديم يليق بذاته بحرف وصوت لا يشبه كلام المخلوق ليس كمثله شيء وله المثل الأعلى/١٢ فتح البيان.

(٢) فإن الأعين الدنيوية لا تطبق النظر إلى وجهه الكريم والأحاديث الصحاح في رؤية الله تبارك وتعالى لا ينكرها إلا مخانيث الحكماء أي: المعتزلة وحسبهم من الخسران أن عاملهم بعقيدتهم في الرؤية وفي الخلود في النار من مات غير تائب من الكبيرة/١٢ وجيز.

(٣) فإن استقر مكانه عند تجليه سبحانه نبه على أن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالأدmi مع ضعف بنيته أولى بالأاستقر وفيه تسكين لفؤاد موسى؛ بأن المانع من الانكشاف إشفافي عليك وأما أن المانع محالية الرؤية لتجرد الرب فليس في القرآن إشارة إليه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورتين مرتين وهذا من

وأثقل جسمًا ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر نور ربه وقد ورد ما تجلى إلا قدر الخنصر^(١) ﴿جَعَلَهُ دُكَّا﴾ أي: مذكوكًا كالتراب ومن قرأ دكاء فمعناه أرضًا مستوية ﴿وَاخِرَ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ سقط مغشيًا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك مما لا يليق بك أو قال سبحانك لعظمة ما رأى ﴿ثُبْتُ إِلَيْكَ^(٢)﴾ من مسألة الرؤية بغير إذن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنه لا يراك أحد إلى يوم القيامة أو أول قومي إيمانًا.

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي﴾ بوحى ﴿وَبِكَلَامِي﴾ من غير واسطة ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الرسالة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ولا تطلب ما لا طاقة لك به.

﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ﴾ ألواح التوراة وقيل الألواح قبل نزول التوراة وهي من خشب أو من جوهرة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هم إليه محتاجون في أمر دينهم ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تبينًا لكل أمر وهي حلال وحرام فنصبهما على المفعول له أي: للموعظة ولتبين الحلال والحرام وقيل من كل شيء مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلًا بدل منه ﴿فَخُذْهَا﴾ أي: فقلنا له خذ الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجذ وعزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: التكليف عليك يا موسى أشد من التكليف على قومك قيل في الألواح ما هو أحسن كالصبر بالإضافة إلى الانتصار مثلاً فأمرهم على طريقة الندب

= خواصه وما أطاق أحد من الأنبياء غير نبينا صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين رؤيته وهو على صورته/١٢ وحيز.

(١) كما نقله الترمذي مرفوعًا عن ابن عباس/١٢ منه. [أخرجه الترمذي (٣٢٨٢) وصححه

الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه]

(٢) ما هو خلاف الأدب كمسألة الرؤية بغير إذن كالشفاعة من غير إذن فيها/١٢ وحيز.

أن يتبعوا أفضل ما فيها وهو الصبر والعتق ﴿سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: سترون عاقبة من خالف أمري كيف تصير إلى الهلاك أو هي جهنم فاحذروا أن تكونوا منهم أو منازلهم كيف تكون خاوية على عروشها قيل هذا بشارة بأنه سيرزقهم أرض أعدائهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أمنعهم عن فهم الحجج والأدلة الدالة على وحدانيتي وعظمي وأنزع عنهم فهم كلامي ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ صلة يتكبرون أو حال فإن تكبر الحق على المبتطل حق والتكبر على المتكبر صدقة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ﴾ معجزة ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم ^(١) ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ طريق الهدى والسداد ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ طريق الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ إشارة إلى مصيرهم إلى هذه الحالة ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرون فيها ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾ أي: لقائهم الدار الآخرة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت فليس لها نفع ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء أعمالهم.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي

(١) أو احتلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد/ ١٢ بيضاوي.

فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦١﴾

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ أي: اتخذ السامري^(١) لهم بإعانتهم ورضاهم فكأنهم هم الذين
اتخذوا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروا من القبط
﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ بدنا ذا لحم ودم بدل من عجلا ﴿لَهُ خُورٌ﴾ صوت البقر قال
بعضهم: استمر على كونه من الذهب إلا أنه يدخل في فيه الهواء فيصوت كالبقـر^(٢)
﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: ألم يروا حين اتخذه إلهـا أنه
حيوان لا يقدر على كلام ولا على إرشاد فكيف اعتقدوا على أنه خالق القوى
والقدر؟! ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهـا ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فلوضعهم الأشياء في غير موضعها
اتخذوه إلهـا ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن الندامة فإن النادم يعض يده ﴿وَرَأَوْا﴾
أعلموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بقبول توبتنا ﴿وَيَغْفِرَ لَنَا﴾ هذا
الذنب العظيم ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

(١) روي أنه لما وعد موسى قومه ثلاثين ليلة فأبطأ عليهم في العشر الزائدة قال السامري لبني
إسرائيل وكان مطاعاً فيهم: إن معكم حلياً من حلي آل فرعون الذي استعرجوه منهم
لتنزينا به في العيد وخرجتم وهو معكم وقد أغرق الله أهله من القبط فهاتوه فدفعوه
إليه فاتخذ منه العجل المذكور/١٢فتح.

(٢) وفي الوجيز وأما أنه صنع من حليهم شكل ولد البقر مجسداً من ذهب لا روح فيه إلا أنه
عمله مخوفاً بطور إن دخل فيه الهواء خرج منه صوت كصوت البقر فليس بوجهه شديد
لقوله تعالى في سورة طه "ما خطبك يا سامري قال بصرت" الآية (طه: ٩٥، ٩٦) وإذا
كان هو على صورة العجل لا حياة فيه فليس بقبض التراب من أثر جبريل دخل/١٢.

(٣) جمع القدرة/١٢.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ عَلَيْهِمْ﴾ ^(١) ﴿أَسْفًا﴾ شديد الغضب أو حزينًا فإنه قد أعلمه الله بذلك وهو على الطور ^(٢) كما قال تعالى: "فإنا قد فتننا قومك من بعدك" (طه: ٨٥)، ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي: فعلتم بعد ذهابي وفاعل بئس ضمير يفسره ما والمخصوص بالذم محذوف أي: بئس فعلا فعلتموه من بعدي فعلكم ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وهذا كما يقال لمن ولى أحدا غير مستحق للولاية: عجلت أمر السلطنة أي: في حالها وأمرها أو ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته أي: سبقتم أمر ربكم أو ميعاد ربكم أو سخط ربكم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ ^(٣) طرحها غضبًا ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بشعره ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ خوفًا عن أن يكون قد قصر في فهمهم وهارون أكبر من موسى ^(٤) ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ كانا أخوين من أب وأم وذكر الأم ليرققه ^(٥) ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ أي: بذلت وسعي في النهي حتى قهروني وقاربوا قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ لا تفعل بي شيئًا يشتمون ^(*)

(١) قال ابن جرير الطبري: أخبره الله قبل رجوعه بأنهم قد فتنوا وأن السامري قد أضلهم فلذلك رجع موسى وهو غضبان أسفا/١٢.

(٢) كما في سورة طه/١٢ منه.

(٣) من شدة الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل قال ابن عباس: لما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع إلا سدسها رفع الله منها ستة أسباعها وبقي سبع وقال مجاهد: لما ألقاها موسى ذهب التفصيل يعني أخبار الغيب وبقي الهدى أي: ما فيه المواعظ والأحكام وعن ابن جريج قال: كانت تسعة رفع منها لوحان وبقي سبعة/١٢ فتح.

(٤) بثلاث سنين هكذا قال محيي السنة/١٢ منه.

(٥) ويستعطفه عادة العرب التحنن بذكر الأم/١٢ وجيز.

(٥) في الأصل: يشتمون.

لأجله ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معدوداً في عداد عابدي العجل في عقوبتك.

﴿قَالَ﴾ لما علم براءة ساحته ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلَأَخِي﴾ أن قصر في نهيهم ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعام أو في جنتك ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَعَاقَبُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٢٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِثْنِي أُتْهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٢٥﴾ * وَاصْنُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو أمرهم بقتل أنفسهم للتوبة كما مر فهو حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى حين أخرجه أو غضب في الآخرة ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخراجهم من ديارهم وهوانهم إلى الأبد وقيل المراد من الذين اتخذوا العجل: أبناءهم وهم يهود زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصف الأبناء بقبائح فعل الآباء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الشرك ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد السيئات ﴿وَأَمَّنُوا﴾ أخلصوا الإيمان واشتغلوا بما هو مقتضى الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ^(١)﴾ أي: سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ^(٢)﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسَخَتِهَا﴾ أي: في الألواح فإنها نسخت من اللوح المحفوظ أو لما ألقى الألواح تكسرت ثم رد عليه لوحان أو لما تكسرت نسخ منها نسخة أخرى ﴿هُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ للخائفين ودخول اللام في المفعول لضعف الفعل بالتأخير^(٣) وقيل في يرهبون تضمين معنى الخضوع^(٤) ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ منصوب بترع الخافض أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ أمر موسى أن يختار^(٥) من بني إسرائيل سبعين ليدعوا ربهم فلما دعوا قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله تعالى ذلك

(١) كأنه جعل الغضب شخصاً آمراً ناهياً يهيجه لما فعل ويأمره بشتم قومه فسكت عن الإغراء/١٢ وجيز.

(٢) هو جواب لما/١٢.

(٣) يعني دخول اللام في المفعول مقربة لوصول الفعل إلى المفعول المتقدم نحو إن كنتم للرؤيا تعبرون/١٢ وجيز.

(٤) وهو مستعمل باللام/١٢ منه.

(٥) هذا قول ابن عباس وهذا يدل على أن ذلك قبل عبادتهم العجل/١٢ منه.

فأخذتهم الرجفة أو اختار^(١) سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا أو أخذتهم^(٢) الرجفة فإنهم علماء وما نوا بني إسرائيل عن عبادة العجل، وقال بعضهم: ما ماتوا ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمأنوا أو ماتوا لكن أحياهم الله تعالى بدعاء موسى ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ﴾ لو للتمني ﴿أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما يرى، أو المراد أهلكتهم أي: عبدة العجل من قبل عبادتهم ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ من التجاسر على طلب الرؤية فإن بعضًا من السبعين طلبوا الرؤية، أو من عبادة العجل، ولذلك قيل: علماءؤهم ما عبدوا العجل ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ اختبارك وامتحانك حين أسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية، أو حين خلقت في العجل خوارًا فضلوا ﴿تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ ضلاله ﴿وَتَهْدِي﴾ بها ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ هداية ﴿أَأْتِ وَلِينَا﴾ القائم بأمرنا ﴿فَاعْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا^(٣) الماضية ﴿وَارْحَمْنَا﴾ بأن لا توقعنا بعد في مثله ﴿وَأَأْتِ خَيْرُ الْعَافِرِينَ﴾ لأنك تغفر الذنوب جميعًا بلا عرض ولا عوض ﴿وَأَكْتُبْ﴾ أي: أثبت ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ عافية وطاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ جنة وقربة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ رجعنا وتبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ الله مجيبًا له في قوله: "إن هي إلا فتنتك" ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ

(١) وهو قول السدي ومحمد بن إسحاق/١٢ منه.

(٢) هو قول مجاهد وقتادة وابن جريج/١٢ منه.

(٣) اعلم أن كونه تعالى وليًا للعبد يناسب أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه وفضله وإلهيته وأيضًا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع والخشوع يناسب طلب هذه الأشياء لذكر السبب الأول أولا وهو كونه تعالى وليا له وفرع عليه طلب هذه الأشياء ثم ذكر بعده السبب الثاني وهو اشتغال العبد بالتوبة والخضوع فقال: "إننا هدنا إليك"/١٢ كبير.

أَشَاءُ» تعذيبه «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» في الدنيا حتى الشجر والحجر
«فَسَاكُنْهَا» فسأوجب رحمتي في الآخرة «لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» الكبائر «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ» بما أنزل على جميع الأنبياء لا يكفرون بشيء منها قيل لما
اختار موسى سبعين^(١) قال لهم: أجعل لكم الأرض مسجداً و طهوراً وأجعل السكينة
في قلوبكم وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم؟ فقالوا: لا نريد إلا أن نصلي
في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في القلوب، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظراً قال
تعالى: "فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" الآية «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ» أي: هم الذين أو بدل من
الذين يتقون، والمراد اليهود الذين في آخر الزمان وآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام أو
عامة أمته الصالحين «الرَّسُولَ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ» الذي لا يكتب ولا يقرأ «الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ» اسمه وصفته «فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ»^(٢) يَأْمُرُهُمْ» النبي

(١) هذا وإن كان كلام بعض السلف لكن فيه بعد لأنه يلزم رجوع الضمير إلى ما لا شعور
عليه بوجه فلذلك ذكرناه بصيغة التمريض/ ١٢ منه.

(٢) أخرج ابن سعد والبخاري وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن عطاء بن يسار قال:
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً للأمين أنت عبيد ورسولي سميتك المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً
وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وروى نحو هذا مع اختلاف في الألفاظ وزيادة ونقص في بعض
عن جماعة وذكر الخميس في تاريخه أن لفظ محمد مذكور في التوراة باللغة السريانية
بلفظ "لمنحمن" ومعنى هذا اللفظ في تلك اللغة هو معنى لفظ محمد وهو الذي يحمد الناس

«بِالْمَعْرُوفِ» والخير «وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ» والشر «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ» مما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم «وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا «وَيَضَعُ» يخفف ويسقط «عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ» أي: ثقلهم العهد الثقيل الذي أخذ عليهم بالعمل بالتوراة «وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» التكاليف الشاقة التي كانت في دينهم «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ» هذا الرسول «وَعَزَّزُوهُ» عظموه «وَوَصَّوهُ» على عدوه «وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ» أي: القرآن «الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ»^(١) أي: مع نبوته وقيل: متعلق باتباعوا القرآن مع اتباع النبي أي: اتبعوا الكتاب والسنة «أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الفائزون^(٢) في الدارين.

«قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» ﴿١٥٨﴾ «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» ﴿١٥٩﴾ «وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ»

= كثيراً وذكر أن لفظ أحمد مذكور في الإنجيل بهذا اللفظ العربي الذي هو أحمد/١٢

فتح. [الحديث أخرجه البخاري (٤٨٣٨)]

(١) إشارة إلى أن الظرف إن تعلق بأنزل فلا بد من تقدير مضاف كنبوته أو إرساله وإن تعلق باتباعوا على معنى اتبعوا القرآن والنبي لم يحتاج إلى تقدير/١٢ منه.

(٢) الفائزون في الدارين لا غيرهم ولما ذكر صفة النبي الأمي وأخير أن من أدركه فآمن به أفلح أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - باشتهار دعوته إلى الناس كافة فقال: "قل يا أيها الناس" ١٢/وجيز.

فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ
الْعَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ
الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٨﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(١) خطاب عام لا يشذ عنها أحد ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا﴾^(٢) الذي صفة الله والفصل غير أحبي أو منصوب بتقدير أعني ﴿لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل اشتغال من له ملك السماوات ﴿يُخَيِّ
وَيُمِيتُ فَأَمُتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ جمع كتبه
﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ في الإيمان بالله وجميع الكتب ، عما أمر ونهى ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا
﴿وَمِنْ قَوْمٍ﴾^(٣) موسى بني إسرائيل ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ﴾^(٤) محقين ﴿وَبِهِ﴾
بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم وهم الثابتون على الحق من اليهود قرنا بعد قرن أو من

(١) يا من أطلق عليه ناس/١٢.

(٢) بحيث لا يشذ عنكم فرد/١٢ وحيز.

(٣) ولما ذكر أن الرحمة الخاصة الثابتة لم تبعي نبينا الذي هو ثابت صفته في كتابين سماويين، وهو
مسقط عن المسلمين الإصر والأغلال التي كانت عليهم أخذ يبين أنه بقي من أهل الكتاب
من استمر على الطريقة الحسنى والدين القيم فقال: "ومن قوم موسى" الآية/١٢ وحيز.

(٤) بالحق فيه خلاف كثير أن المراد من هذه الجماعة من هم؟ وأن الظاهر أنهم قوم في
أطراف الأرض ليس لهم همة إلا اتباع الحق حيث كان/١٢ وحيز.

آمن منهم كعبد الله بن سلام وأتباعه أو قوم وراء الصين^(١) هم على الحق^(٢) آمنوا بمحمد لا يصل أحد منهم إلينا ولا منا إليهم.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ صيرنا بني إسرائيل قطعاً وفرقناهم ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ مفعول ثانٍ لقطع لأنه متضمن معنى صير أو حال وتأتيه للحمل على الأمة أو القطعة ﴿أَسْبَاطًا﴾^(٣) تميز له وهو من الجمع الذي وقع موقع المفرد فإن معناها القبيلة؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط أو بدل منه ﴿أُمَمًا﴾ بدل أو نعت لأسباطا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه^(٤) ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ جنس الحجر أو حجرا خاصا كان

(١) هذا قول الكلبي والضحاك والربيع وابن جريج ونقل عن ابن عباس السدي أيضا/١٢ منه.

(٢) وفي لباب التأويل وهذه الحكاية ضعيفة ولم يرو بها نقل صحيح ولا رواها أحد من أئمة الحديث، ولا يلتفت إلى قول الإخباريين والقصاص في ذلك انتهى ملخصا، وفي الفتح قال الكلبي والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على نهر يسمى نهر الأردن ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمحطون بالليل ويصحون في النهار ويزرعون ولا يصل إليهم أحد منا وهم على الحق إلى آخر القصة وما أبعدها عن الصحة وأقربها إلى الوضع وقد ابتلى بذكرها جمع من المفسرين الذين ليس لهم معرفة بعلم الحديث انتهى/١٢.

(٣) والأسباط أولاد الولد يعني اثنا عشر قبيلة من اثني عشر ولدا من أولاد يعقوب ولما ذكر أنهم جماعة كثيرة بين نعمته عليهم في مشرهم ومآكلهم فقال وأوحينا/١٢ وجيز.

(٤) التي وقعوا فيه لذنبهم كما مر / ١٢ وجيز.

(٥) أمما؛ لأن كل سبط كان جماعة كثيرة العدد وكانوا مختلفي الآراء يؤم بعضهم غير ما يؤمه الآخر، وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي بن أبي طالب قال: افترقت بنو إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة، وافترقت النصارى بعد عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة ولتفترق هذه الأمة على ثلاث

معه كما مر ذكره في سورة البقرة ﴿فَاتَّبَعْتَنِي﴾ أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل قبيلة ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ لدفع حر الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾ شيء كالترنجبين ﴿وَالسَّلْوَى﴾ طير كالسماني وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ما رجع ضر كفران نعمه إلينا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يضرون أنفسهم ووبال فعلهم راجع إليهم ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: واذكر هذا الزمان ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ^(١)﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: مغفرة يعني استغفروا أو أقروا بالذنب أو احطط عنا الخطايا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب البلد ﴿سُجَّدًا﴾ شكرًا لله تعالى على الفتح والإنقاذ من التيه ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابًا وهو استئناف^(٢) ولم يأت بالعطف إشعارًا على أنه تفضل محض ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ بدلوا بحطة حنطة استهزاء ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابًا مقدراً ﴿مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بسبب ظلمهم.

= وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة فأما اليهود فإن الله يقول: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" فهذه التي تنحوا وأما النصارى فإن الله يقول: "منهم أمة مقتصدة" (المائدة: ٦٦)، فهذه التي تنحوا وأما نحن فيقول: "ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف: ١٨١)، فهذه التي تنحوا من هذه الأمة وقد قدمنا أن زيادة كلها في النار لم تصح لا مرفوعة ولا موقوفة/١٢فتح.

(١) بيت المقدس وقد مر في سورة البقرة بتغييرات في الألفاظ من غير تناقض/١٢ وحيز.

(٢) كأن سأل سائلًا ماذا بعد الغفران لهم؟ فقال: ستريد المحسنين، ولو أتى بالواو لدل على أن زيادة الثواب جزاء لدخولهم الباب سجدةً ومقابل له/١٢ منه.

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تُعَذِّبُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَّيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّمَّا ثَقُّوا الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَأَسْأَلُهُمْ﴾ أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: خبر أهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قرية منه، وهي أيلة بين مدين والطور ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ بدل من اشتغال القرية أو ظرف كانت أو حاضرة،

ومعناه يتجاوزون حدود الله يوم السبت **﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾** ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل **﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾** أي: يوم تعظيمهم أمر السبت من سبت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة **﴿شُرْعًا﴾** ظاهرة على الماء حال من الحيتان **﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾** لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت **﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾** مثل ذلك الامتحان التام **﴿نَبْلُوهُمْ﴾** نختبرهم بإظهار السمك في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائها في اليوم الحلال لهم **﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى **﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾** عطف على إذ يعدون **﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾** أي: فرقة من أهل القرية فإنهم ثلاث فرق: فرقة ارتكبوا الخطيئة، وفرقة ناهية، وفرقة سكوا فما ارتكبوا وما هوههم، فقالت الفرقة الساكنة للناحية: **﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾** فإنهم علموا لكثرة عدم نفع الموعظة أنها لا تنفع لا محالة استحقوا سخط الله تعالى **﴿قَالُوا﴾** أي: الفرقة الناهية مبيناً لهم هذه **﴿مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾** حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر، ومن قرأ بالنصب فتقديره وعظناهم معذرة **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** عن الاصطياد في السبت فلا نياس من أن تدرّكهم الرحمة **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾** تركوا ترك الناسي **﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** خالفوا أمرنا **﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾** شديد^(١) **﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** بسبب فسقهم والأصح أن

(١) والأصح لدلالة بعض الأحاديث واتفاق السلف أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاث ولم يبق منهم نسل والفرقة الساكنة الذين قالوا: لم تعظون ناجية أو مهلكة فيه خلاف، وكان ابن عباس متوقفاً ثم صرح بأنهم من الناجين وفي القرآن إشارة إلى أنهم كانوا وعظوهم أولاً ثم سكوا حين علموا ألا نفع للوعظ ولما ذكر تعالى قبح أفعالهم واستعصائهم أخبر أنه حكم عليهم بالذل والصغار إلى يوم القيامة فقال: "وإذ تأذن" ١٢/ وحيز.

الفرقة المرتكبة دون غيرهم صاروا قردة والفرقتين الآخرين نجوا وعند بعضهم أن الفرقة الساكنة أيضاً مسخوا ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهَوَّا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ﴾ عن بعض السلف أنهم سمعوا منادياً قال: ﴿كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذليلين أو المراد من أمرهم سرعة التكوين وأهم صاروا كذلك لا حقيقة الأمر والأصح أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاثة أيام ولم يبق منهم نسل، والعذاب البئيس هو المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل ^(١) للأولى.

﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ﴾ أعلم أو قال أو أمر وحكم ﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود وأجرى تأذن كعلم الله وشهد الله مجرى القسم ولذلك أجيب بقوله ليعثن ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أوجب الله على نفسه ليسلطن عليهم من يعذبهم بضرب الجزية والإهانة وسيي النساء إلى آخر الدهر ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن أصر على المعصية ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على من تاب وأناب ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقناهم في البلاد فلا تجتمع كلمتهم مفعول ثلث؛ لأن القطع بمعنى التصيير ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ صفة أمم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ ^(٢) منحطون عن الصلاح ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ﴾ امتحناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما كانوا فيه ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد ذلك الجيل الذي فيهم الصالح والطالح ﴿خَلَفٌ﴾ والخلف بسكون العين البدل السوء ﴿وَوَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة من أسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذه الدنيا الحقير كالرشوة في تبديل حكم الله والجملة حال من فاعل ورثوا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ

(١) يعني لقوله: "وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس" وقيل المسخ معنوي لا صوري والعذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان أولاً ثم كان المسخ آخرًا/ منه.

(٢) فدون مرفوع بأنه صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ ومنهم خبره/ ١٢ منه.

لَنَا» الفعل مسند إلى الجار والمجرور «وَأِنْ يَأْتِيهِمْ عَرْضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ» أي: يرجون المغفرة والحال أنهم مصرون على الذنب عائدون على مثله. عن السدي كان بعضهم يطعن في حكامهم بأخذ الرشوة فإذا جعل مكان حاكمهم من يطعن بأخذ الرشوة هو أيضاً يأخذ فحاصله وإن يأت الآخرين عرض مثله يأخذوه «أَلَمْ^(١) يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ» أي: في التوراة «أَنْ لَا يَقُولُوا» أي: بأن لا يقولوا أو عطف ببيان لميثاق «عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ^(٢) وَدَرَسُوا مَا فِيهِ» فهم ذاكرون لهذا الميثاق عطف على ألم يؤخذ «وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» المعاصي لا للذين يخالفون أمر الله تعالى فإن مصيرهم إلى النار «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» فيعلموا ذلك ويرتدعوا عما هم فيه «وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ» اعتصموا بكتابتهم فآمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ» خبر الذين يمسكون «أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ^(٣)» أي: أجرهم لإصلاحهم «وَإِذْ نَقْنَا» رفعا «الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ» الظلة: كل ما أظلك «وَوَظَّنُوا» تيقنوا «أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ» ساقط عليهم إن خالفوا وقلنا لهم: «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ» من الكتاب «بِقُوَّةٍ» بجد واجتهاد في العمل به «وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ» فاعملوا به «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» كي تتقوا عن القبائح وذلك أنهم أبوا قبول أحكام التوراة فرفع الطور فوقهم وقيل لهم: إن قبلتم وإلا ليقعن عليهم فسجدوا وقبلوا.

(١) أي: أخذ عليهم الميثاق ودرسوا وليس من عطف الإخبار على الإنشاء؛ لأن الهمزة للإنكار لا لحض الاستفهام/١٢ منه.

(٢) استثناء منقطع البتة/١٢ منه.

(٣) إشارة إلى أنه من باب وضع المظهر موضع المضمرة، ولذلك لا يحتاج إلى ضمير المبتدأ فإن المصلحين هم الذين تمسكوا بالكتاب وجاز أن يكون والذين عطفوا على للذين يتقون وقوله إنا لا نضيع اعتراض/١٢ منه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٣٧﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٨﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٤٢﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٥﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من بني آدم ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء^(١) في

(١) والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وموفقاً على غير واحد من

الترتيب **﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾** أشهد بعضهم على بعض **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا^(١)﴾** قال بعضهم: شهدنا قول الملائكة لا قول بني آدم وهو أنه قال الله تعالى للملائكة اشهدوا على إقرارهم قالوا شهدنا **﴿أَنْ تَقُولُوا﴾** أي: كراهة أن تقولوا **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾** أي: عن إنك ربنا **﴿غَافِلِينَ﴾** لم ننبه عليه ولذلك نصبنا الأدلة على الربوبية وأرسلنا الرسل بذكرهم العهد فلا يكون لهم عذر **﴿أَوْ تَقُولُوا﴾** عطف على أن تقولوا **﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾** قبل زماننا **﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** فاقندينا بهم **﴿أَفْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** الآباء المبطلون بتأسيس الشرك. اعلم أن الأحاديث الصحاح الدالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة والنار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه رهم ففي حديثين موقوفين على ابن عباس (*) وابن عمر (**) - رضي الله عنهم - كما حققه الثقات من المحدثين

= الصحابة ولا ملجئ للمصير إلى المحاز وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل/١٢ف، واختلف الناس في كيفية الاستخراج على أقوال لا مستند لها والحق وجوب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله تعالى كما ورد في الصحيح قال المقبل في الأبحاث ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك/١٢فتح.

(١) أي: على أنفسنا بأنك ربنا واختلفوا في الإجابة هذه كيف كانت أجابوا بلسان المقال أم أجابوه بلسان الحال والظاهر الأول، ونكل علم كيفيتها إلى الله سبحانه/١٢فتح، والظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره قبض أرواحهم، وأما أن الأرواح أين رجعت بعد رد الذريات إلى ظهره فهذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر بأكثر من أن يقال: رجعت كما كانت عليه قبل حلولها في الذرات والحق أن كل ما لم يرد فيه نص من كتاب والسنة فإطوائه على غرة أولى وترك الخوض فيه أخرى/١٢فتح.

(*) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٥٩) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير واللالكائي في "السنة"]

(**) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٦١) وعزاه إلى ابن جرير وابن منده في "كتاب الرد على الجهمية".

ووافقهما أكثر السلف والخلف كأبي بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم وقال بعض السلف والخلف^(١): المراد بهذا الإشهاد أنه خلقهم على فطرة الإسلام ونصب لهم دلائل التوحيد ولظهورها صارت بمنزلة أنه قيل لهم: "ألمست بربكم قالوا بلى" وأنت تعلم أن ابن عباس حبر الأمة وأعلم الناس بمعاني القرآن^(٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿نَفَصَلُ الْآيَاتِ﴾ لفوائد جملة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكي يرجعوا عن اتباع الأصل.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ^(٣)﴾ على اليهود أو على قومك ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآيات بأن أعرض وكفر ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ لحقه وأدركه ﴿فَكَانَ مِنْ

(١) اعلم أن المتأخرين عدلوا عن تفسير الصحابة وعن ما يدل عليه الأحاديث الذي لا يمكن رده وعن ظاهر القرآن لشيعتين: الأولى أن لو كان المراد ما قالوا لكان المناسب أن يقال: وإذا أخذ ربك من آدم من ظهره الثاني: أنه تعالى جعل علة أخذ العهد هي أن لا يقولوا في القيامة إنا غافلون عن ربوبيتك وإذا كان كذلك فالواجب أن لا ينسيهم الله هذا العهد حتى يكون له فائدة، وإلا فهو كأن لم يكن وقد أشرنا إلى دفع الإشكال الثاني بقولنا ولذلك نصبنا الأدلة على الربوبية. إلخ فلا تغفل وأما الجواب عن الأول فهو أن الله أخرج من نفس آدم أولاده الذين من صلبه ثم من أولاده أولادهم وهكذا إلى أن أخرج جميع بني آدم فأخذ منهم الميثاق ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم وهل لمؤمن أن يعتقد تضيقاً في قدرة الله تعالى ففي الصحيحين أنه يقال لرجل من أهل النار: أرايت لو كان لك جميع الدنيا أكنت مفتدياً به يقول: نعم فيقال: قد أردت منك أهون من ذلك أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت أن لا تشرك بي/١٢ منه.

(٢) مع أن التمثيل يمثل تلك العبارة والحكاية لم يقع في كلام الله ولا في كلام البلغاء/١٢ وحيز.

(٣) ولما ذكر لأهل الكتاب الميثاق الخاص الذي في كتابهم واتبعوه الميثاق العام لهم ولغيرهم أمر نبيه أن يتلو عليهم حال من انسلك من الميثاقين كيف أسقطه من ديوان

الْقَاوِينَ» صار من الضالين^(١) هو رجل من بني إسرائيل والأكثر على أنه^(٢) بلعم بن باعوراء^(*) عالم باسم الله الأعظم سألوا عنه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى^(٣) ثم ألحوا فألحوا وجاءوه بالرشوة فقبل فدعا عليهم فقبل الله ثم دعا موسى عليه فترع عنه الإيمان والاسم الأعظم، وقال بعضهم: ما يسر الله له الدعاء على موسى لكن قال لهم: أخرجوا النساء تستقبلهم فعسى أن يزونا ففعلوا فوق واحد من بني إسرائيل في الزنا فزول عليهم الطاعون فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب قيل فحسب من هلك في الطاعون في ساعة من النهار فوجدوا سبعين ألفاً «وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ» إلى الدرجات العلى «بِهَا» بسبب تلك الآيات «وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ» مال إلى الدنيا وزخارفها فإن جميع زخارفها من الأرض «وَاتَّبَعَ هَوَاهُ» في أخذ الرشوة والإعراض عن أمر الله تعالى «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ» في أحسن أحواله وهو «إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ» إن شد عليه فطرد «يَلْهَثُ»^(٤): هو إخراج الكلب اللسان «أَوْ تَتْرَكْهُ» غير متعرض له بالزجر «يَلْهَثُ» قد نقل: إن بلعم لما دعا عليهم اندلع لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب أو مثله في أنه إن وعظته أو تركته فهو على

= السعداء بعد أن كان معدوداً في زمرة الأبرار الأخيار فقال: "واتل عليهم" الآية/ ١٢ وجيز.

(١) بعد أن كان من الهادين المهديين/ ١٢ وجيز.

(٢) صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس وقد صح عن عبدالله بن عمر أن المراد منه أمية بن أبي الصلت فقيل مراد ابن عمر أنه يشبهه في كثرة علمه وتلقيه كتب الأوائل ومع ذلك إلى موالاة المشركين ومناصرتهم/ ١٢ منه.

(٣) وفي حاشية النسخة: رجل كنعاني/ ١٢ وجيز.

(٣) كذا رواه ابن جرير وابن عساكر ومحمد بن إسحاق وغيرهم/ ١٢ منه.

(٤) اللهث التنفس بسرعة وتحرك أطراف الفم مع امتداد اللسان/ ١٢ وجيز.

الضلال كالكلب في لهشته في الحالتين أو إن قلب الكافر ضعيف كالكلب فإن لهث الكلب من ضعف قلبه ولا يلهث سائر الحيوان إلا في حال إعياء أو عطش ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾^(١) المذكور على اليهود أو على كفار مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلموا أنها شابت قصتهم وحالهم فيتعظوا^(٢) ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي: مثل القوم على حذف المضاف ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أي: وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فتقدم المفعول للتخصيص ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ والاهتداء من أعظم الصفات ﴿وَمَنْ يَضِلَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ والإفراد في الأول والجمع في الثاني إشارة إلى أن طريق الهدى واحد فهم كرجل واحد وأنواع الضلال مختلفة متكررة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾^(٣) خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ اللام للعاقبة ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وهم الذين حقت عليهم كلمة الشقاوة ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي: لا يتفهمون بشيء من هذه الجوارح التي خلقها الله للاهتداء ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم فقه معرفة الحق والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر بل صرفوا مشاعرهم وقصروها في أسباب التعيش ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإن الدواب تفعل ما خلقت له إما بالطبع وإما بالتسخير وترتدع عن مضارها بخلاف الكافر فإنه خلق ليعبد الله وهو يعبد الشيطان ويعلم بعضهم أنه يضره ويرتكبه عنادًا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أشد غفلة لا

(١) أي: القصة المذكورة عليهم/١٢.

(٢) فإن الله تعالى أعطاهم النعم ما لم يعط أحدًا ميزهم بالعلم وأنزل عليهم الكتب وجعل فيهم الأنبياء فيعرفون محمدًا كما يعرفون أبناءهم فلو مالوا إلى الأرض لأحل الله عليهم ذل الدنيا والآخرة/١٢ منه.

(٣) ولما علم من القصص أن أكثر الخلق هالك صرح بذلك مقسمًا؛ لأنه لا يكاد يصدق أن الإنسان أضل من البهائم قال "ولقد ذرأنا" الآية/١٢ وحيز.

غفلة بعد ﴿وَلِلَّهِ﴾^(١) الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى^(٢) هي أحسن الأسماء دالة على أحسن المعاني وليست منحصرة في التسعة والتسعين^(٣) ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ سموه بتلك الأسماء ﴿وَذَرُوا﴾^(٤)

(١) ولما ذكر حكاية بلعم وهو كان عالماً بالاسم الأعظم ثم بين لنا علامة من هو مخلوق لجهنم وختم بكمال غفلتهم نبهنا أن لا نكون من الغافلين فقال: "ولله الأسماء الحسنى" ١٢.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث يعني حديث الترمذي الذي سرد فيه الأسماء وأنهم جمعوها من القرآن/١٢فتح.

(٣) كما ورد: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك" ١٢/وجيز، ومنه الحديث رواه أحمد في مسنده وأخرج أبو حاتم وابن حبان في صحيحه بمثله ١٢فتح. [وقال الشيخ أحمد شاكر في "تعليقه على المسند" (٣٤١٢): إسناده صحيح].

(٤) قوله تعالى: "وذروا الذين يلحدون في أسمائهم" من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما يفعله كثير من الفلاسفة والمتكلمين المتفلسفين الذين يجعلون الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني تخالف لغة العرب وتناقض ثبوت الصفات فهؤلاء عمدوا إلى لفظ الغنى والقدم والواجب بنفسه فصاروا يجعلونها تدل على معاني وتستلزم معاني تناقض شيء من الصفات وتوسع في التعبير ثم ظنوا أن هذا الذي فعلوه موجب الأدلة غلط منهم فموجب الأدلة العقلية لا تتلقى عن مجرد التعبير وموجب الأدلة السمعية تتلقى من عرف التكلم بالخطاب لا من الوضع للأحداث فليس لأحد أن يجعل الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني بل هذا من فعل أهل الإلحاد المقترين، فإن هؤلاء عمدوا إلى معاني ظنوها ثابتة فجعلوها هي معنى الوحدة والوجوب والغنى والقدم ونفي المثل، ثم عمدوا إلى ما جاء في القرآن والسنة من تسمية الله بأنه أحد واحد وغني ونحو ذلك من نفي المثل والكفو عنه فقالوا: هذا يدل على المعاني التي سميناها بهذه الأسماء، وهذا من أعظم الافتراء على الله وكذلك فعل من فعل

= بلفظ المتكلم وغير ذلك من الأسماء ولو فعل هذا بكلام سيبيويه وبقراط؛ لفسد ما ذكروه من النحو والطب ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، لفسد العلم بذلك ولكان ملبوساً عليهم فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين وهذه طريقة الملاحدة الذين ألدوا في أسماء الله وآياته ومن شركهم في بعض ذلك مثل قول من يقول: الواحد هو الذي لا ينقسم ومعنى قوله لا ينقسم أي: لا يتميز منه شيء عن شيء ويقول: لا تقوم به صفة ثم زعموا أن الأحد والواحد في القرآن يراد به هذا ومعلوم أن كل ما في القرآن من اسم الواحد والأحد كقوله تعالى: "وإن كانت واحدة فلها النصف" (النساء: ١١)، وقوله: "قالت إحدهما يا أبت استأجره" (القصص: ٢٦)، وقوله: "ولم يكن كفواً أحد" (الإخلاص: ٤)، وقوله: "وإن أحد من المشركين استجارك" (التوبة: ٦)، وقوله: "ذري ومن خلقت وحيداً" (المدثر: ١١)، وأمثال ذلك يناقض ما ذكروه فإن هذه الأسماء أطلقت على قائم بنفسه مشار إليه يتميز منه شيء عن شيء وهو الذي يسمونه في اصطلاحهم جسمًا، وكذلك إذا قالوا الموصوفات تتماثل أو الأجسام تتماثل أو الجواهر تتماثل وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى: "ليس كمثله شيء" (الشورى: ١١)، على نفي مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث كان هذا افتراء على القرآن فإن هذا ليس هو المثل في لغة العرب لا لغة القرآن ولا غيرها، قال تعالى: "وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" (محمد: ٣٨)، فنفي مماثلة هؤلاء هؤلاء مع اتفاقهم في الإنسانية فكيف يقال: إن لغة العرب توجب أن كل ما يشار إليه مثل لكل ما يشار إليه وقال تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد" (الفجر: ٨، ٧)، فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد وكلاهما بلد فكيف يقال، إن كل جسم فهو مثل لكل جسم في لغة العرب حتى يحمل على ذلك قوله "ليس كمثله شيء" وقد قال شاعر العرب:

ليس كمثلي الفتي زهير.

وقال الآخر: ما إن كمثلهم في الناس من بشر

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ذُرُوهُمْ وَإِلْحَادُهُمْ فِيهَا بِإِطْلَاقِهَا عَلَى أَهْلَتِهِمْ بِزِيَادَةِ
وَنَقْصَانِ كَاللَّاتِ مِنَ اللَّهِ وَالْمَنَاتِ مِنَ الْمَنَانِ وَالْعَزَى مِنَ الْعَزِيزِ وَقِيلَ الْإِلْحَادُ فِيهَا تَسْمِيَتُهُ
بِمَا لَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السَّنَةِ كَمَا سَخِي وَيَا مَكَارَ، وَيَا عَاقِلَ ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْإِلْحَادِ ﴿وَمِمَّنْ﴾ ^(١) خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ يَقُولُونَهُ وَيَدْعُونَ
إِلَيْهِ ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يَعْمَلُونَ وَيَقْضُونَ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالْتَابِعُونَ بِإِحْسَانٍ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ وَهَذِهِ صِفَةٌ مِنْ ذُرَاً لِلْحَنَّةِ كَمَا وَصَفَ مِنْ ذُرَاً لِلْجَهَنَّمَ.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَأَمَلَى لَهُمْ
إِبْنَ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ
عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ مَنْ يَضِلَّ
اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مَرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي

= ولم يقصد هذا أن ينفي وجود جسم من الأجسام، وكذلك لفظ التشابه ليس هو
التمثيل في اللغة قال تعالى: "وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا" (البقرة: ٢٥)، وقال تعالى: "مُتَشَابِهًا وَغَيْرِ
مُتَشَابِهٍ" (الأنعام: ١٤١)، ولم يرد به شيئاً هو مماثل في اللغة، وليس المراد هنا كون
الجواهر متماثلاً في العقل أو ليست متماثلة فإن هذا مبسوط في موضعه، بل المراد أن
أهل اللغة التي بها نزل القرآن لا يجعلون مجرد هذا موجباً لإطلاق اسم المثل ولا يجعلون
نفي المثل نفياً لهذا فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن/١٢، هذا ما قاله شيخ
الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام قدس الله روحه في بعض رسائله.
(١) ولما قال: "ولقد ذرأنا لجهنم" قال في مقابله: "ومن خلقنا أمة يهدون" الآية/١٢
وحيز.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعَثُهُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا
 عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا
 وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا
 مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾ *

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقرهم إلى الهلاك والعذاب قليلا قليلا ﴿مِنْ
 حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كلما جددوا معصية جددنا لهم وأسبغنا عليهم النعم ونسئهم
 الشكر والاستدرج^(١) الاستصعاد أو الاستئزال درجة درجة ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم
 ليزدادوا ضلالا بعد ضلال ﴿إِنَّ كَيْدِي﴾^(٢) مَتِينٌ مكري شديد ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾^(٣)
 فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾^(٤) جنون
 نزلت^(٥) حين علا عليه الصلاة والسلام الصفا فدعاهم يحذر فقال قائل منهم: إن
 صاحبكم مجنون بات يهوت إلى الصباح ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنذاره ﴿أَوَلَمْ
 يَنْظُرُوا﴾ نظر استدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ربوبيتها وملكها وقيل

(١) من الدرجة وذلك؛ لأن الراقي والنازل يرقى ويترل مرقاة مرقاة/١٢ منه.

(٢) ولذلك لما قيل لحكيم فلان عدوك قال: اللهم طول عمره وزد ماله، ولما أمر في هذه
 السورة بالتوحيد، وعن مرة: عندهم الأمر بترك الطريقة القديمة مجنون سيما إذا قال
 كثرة النعمة وطول العمر مصيبة أمر بتفكرهم في أن يعلموا أنه ليس بمجنون فقال: "أو
 لم يتفكروا"/١٢ وحيز.

(٣) في الاستفهام معنى التحريض مع شيء من التوبيخ/١٢ وحيز.

(٤) حاصله أو لم يعملوا الفكر ليعلموا ما بصاحبهم من جنة وعدم إعمال الفكر في الأمور
 علامة الجنون سيما إذا انضم إليه التكلم بقضية ظاهر نقيضها على كل عاقل/١٢ وحيز.

(٥) قاله قتادة/١٢.

عجائبها والتاء فيه للمبالغة ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيما يقع عليه اسما لشيء ففي كل شيء له آية ﴿وَأَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ أي: أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم ليسارعوا إلى ما ينجيهم من العذاب واسم كان ضمير الشأن ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إن لم يؤمنوا به وليس بعد هذا البيان حديث آخر ينتظر وروده ليؤمنوا به ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ حال من هم ومن قرأ ويذرهم بالياء والجزم فعطل على محل فلا هادي.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ^(١) عَنِ السَّاعَةِ أَي: القيامة ﴿آيَانَ مُرْسَاهَا﴾ ^(٢) متى يكون، وأي وقت إنباتها؟ نزلت في قريش يسألون وقتها استبعاداً لوقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو أي: الخفاء به مستمر إلى وقت الوقوع واللام للتأنيث كقولهم كتب لثلاث من رجب ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عظمت وشقت ^(٣) على أهل السماوات والأرض لهُولها أو ثقلت ^(٤) عليهما عند الوقوع حتى انشقت وانهدمت، أو ثقل ^(٥) علمها وخفأؤها على أهلها وعلى الوجوه كلمة في استعارة منبهة على تمكن الثقل، أو معناه خفيت في السماوات والأرض لا يعلمها شيء وكل خفي ثقیل ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة على غفلة ونصبه على المصدر فإنما نوع من الإتيان ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: عالم بها

(١) ولما قال قد اقترب أجلهم وما هذا إلا تخويفهم من الساعة فقد سألوا منها فقال:

"يسألونك" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) رُسُوُ الشيء ثباته واستقراره/ ١٢ منه.

(٣) نقله ابن جرير عن ابن عباس واختاره من بين الأقوال/ ١٢ منه.

(٤) قول ابن عباس وابن جريج/ ١٢.

(٥) قاله ابن نجيح والضحاك وقد روى عن ابن عباس/ ١٢ منه.

من حفي^(١) عن الشيء بالغ في السؤال عنه، والمبالغة في السؤال مستلزم للعلم أطلق الحفي وأريد العالم، أو كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت، أو عنها متعلق بيسألونك أي: يسألونك عنها كأنك شفيق بهم من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشاً^(٢) قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة، وكأنك في موقع الحال أي: مشبهها حالك بحال الحفي ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يطلع عليه أحد كرهه تأكيداً ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها^(٣) مختص بالله ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: جلب نفع ولا دفع ضرر ﴿إِلَّا مَا شَاءَ﴾^(٤) الله أي: لكن ما شاء يصل فمنقطع أو إلا نفعاً وضراً يملكني الله ويوفقي به فمتصل ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ أي: لكانت حالي من استكثار الخير واستفراز^(٥) المنافع واجتناب السوء على خلاف ما هي عليه، فلم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى، ورايحاً وخاسراً في التجارة ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة لهم فإنهم المتفجعون بهما، أو أنا إلا نذير

(١) الأول أن حفي مجاز عن العلم والوجه الثاني أنه مستعمل في معناه الحقيقي فلا تغفل ١٢/ منه.

(٢) رواه قتادة وغيره/ ١٢.

(٣) لما اختص علم الساعة بأنه لا يعلمها إلا هو ربما ظن ظان أنه -صلى الله عليه وسلم- عالم بما لما يلقي إليه من الغيب فرفع الظن وقال: "قل لا أملك" الآية/ ١٢ وحيز.

(٤) هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي: أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالممالك إلا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني/ ١٢ مدارك، وهو إظهار للعبودية والتبرء عن ادعاء العلم بالغيوب/ ١٢ بيضاوي.

(٥) الاستكثار/ ١٢/ منه.

للكافرين وبشير للمؤمنين فمتعلق النذير محذوف، ونزلت حين قالت قريش: ألا تعلم الرخص قبل الغلاء فتشترى وتربح والأرض التي تريد أن تجذب فترتلل^(١) إلى المخصصة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٠﴾ خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ

(١) ولما ذكر من أول السورة إلى هذه الآية التي هي قريب من آخرها القصص والأمثال والأحكام في المهتدين والضالين وكل من القسمين أصناف مختلف بعضهم في ثبوت ورسوخ من حالهم وبعضهم في تزلزل وتقلب أخذ يبين أن هذا تقدير خالقكم من ابتداء خلقكم ولذلك يكون إلى الانتهاء فقال: "هو الذي" ١٢/ وحيز.

الْجَاهِلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِنَّا يَنْزَعْنٰكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَٰذَا بَصَآئِرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلق من ضلع آدم حواء ﴿لِيَسْكُنَ﴾ ليطمئن ﴿إِلَيْهَا﴾ ويأنس بها فإنها جزءه ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ عليها يعني النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ استمرت به أو قامت وقعدت بالحمل لحفته ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ صارت ذات ثقل لكبر الولد ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا﴾ بشرا سويا فإنهما أشفقا أن يكون بهيمة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾^(١) فيما آتاهما ﴿لما حملت حواء جاءها إبليس في غير صورته وقال: هذا الذي في بطنك ربما يكون بهيمة، وهل تدري من أين يخرج فخوفها مرارا كثيرة ثم قال: لي عند الله منزلة وإن دعوت أن يخرج سالما سويا أتسميه عبدالحارث وهذا اسم إبليس في الملائكة، فلم يزل بها حتى غرها فسمته عبدالحارث بإذن من آدم ولم تعرف حواء أنه إبليس وقد صح هذا النقل عن ابن

(١) قال قتادة أشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة/١٢ الباب.

عباس - رضي الله عنهما - وكثير من السلف^(١) والخلف، وهذا ليس بشرك حقيقي لأنهما ما اعتقدا أن الحارث ربه بل قصدا إلى أنه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شركاً للتغليظ ويكون لفظ شركاء من إطلاق الجمع على الواحد ﴿فَقَتَّعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢) فإن الأولى بهما أن لا يفعل ما أتيا به من الإشراك في الاسم، وعن الحسن البصري رحمه الله يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا، وعلى هذا تقدير الآية جعل أولادهما له شركاء فيما أتى أولادهما فسموه عبد شمس وعبد مناف وغيرهما، فحذف المضاف وهو الأولاد وأقيم المضاف إليه مقامه، وقوله: "شركاء" و"تعالى الله عما يشركون" بلفظ الجمع^(٣) يدل عليه قيل معناه هو

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والسدي وذكر الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحاكم في مستدركه وابن مردويه وابن أبي حاتم حديثاً مرفوعاً يدل على ما نقلناه عن ابن عباس لكن في رواية الكل نوع ضعف هكذا قال المحدثون/١٢ منه وفي الفتوح حسنه الترمذي وصححه الحاكم/١٢. [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن الترمذي"]

(٢) أي: شرك كان/١٢.

(٣) قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي وهذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى متخالفة في المبني ولا يخلو كل واحد منها من بعد وضعف وتكلف بوجوه: الأول أن الحديث المرفوع المتقدم يدفعه وليس في واحد من تلكم الأقوال قول مرفوع حتى يعتمد عليه ويصير إليه بل هي تفاسير بالآراء المنهي عنها المتوعد عليها. الثاني: أن فيه انخرام نظم الكلام سياقاً وسباقاً. الثالث: أن الحديث صرح بأن صاحبة القصة هي حواء وقوله: "جعل منها زوجها" إنما هو لحواء دون غيرها، والقصة ثابتة ولا وجه لإنكارها بالرأي المحض. الرابع: إن الحديث ليس فيه إلا ذكر حواء وكان هذا شركاً منها في التسمية، ولم يكن شركاً في العبادة، قيل: والشرك في التسمية أهون قلت: وفيه بعد ظاهر؛ لأن الله تعالى ساق آيات التشنيع عليها وهو شرك وإن لم يكن في العبادة، وما قيل إنها إنما قصدت أن الحارث كان سبب نجاته الولد كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيفه فهو

الذي خلق آل قصي وهم قريش من نفس واحدة وهو قصي فجعل من جنسها زوجها عربية قرشية فلما آتاها صالحا جعل له شركاء حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد المناف وعبد العزي وعبد القصي وعبد الدار وقيل تم الكلام عند قوله آتاها ثم ذكر كفار مكة فقال: "تعالى الله عما يشركون" **﴿أَيْشُرْكُونَ﴾** ابتداء كلام وإنكار على المشركين **﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾** كالأصنام **﴿وَهُمْ يُخْلُقُونَ﴾** مخلوقون لله جيء بضمير العاقلين بناء على اعتقادهم وتسميتهم إلهها **﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾** لعبادهم **﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾** لا يقدرُونَ على دفع مكروه كمن أراد كسرهم **﴿وَأِنْ تَدْعُوهُمْ﴾** أي: الأصنام أو المشركين **﴿إِلَى الْهُدَى﴾** إلى أن يهدوكم أو إلى الإسلام **﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾** إلى مرادكم ولا يجيبوكم **﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾** أي: سواء إحدائكم دعاءهم واستمراركم على الصمت عن دعائهم فإن الكفار إذا نزل عليهم أمر دعوا^(١) الله تعالى دون الأصنام.

= خطأ؛ لأن الأعلام كما يقصد بها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني، وكان اسم أبي بكر الصديق في الجاهلية عبد الكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي -صلى الله عليه وسلم- سماهما صديقاً وعبد الرحمن وما قيل: إنها سمته بعبد الحارث بإذن من آدم فهذا يحتاج إلى دليل يدل عليه ويصح وأن له الدليل ولعلها سمته بغير إذن منه ثم تاب من ذلك والحاصل أن ما وقع إنما وقع من حواء لا من آدم عليه السلام، ولم يشرك آدم قط وعلى هذا في الآية إشكال والذهاب إلى ما ذكرناه متعين تبعاً للكتاب والحديث وصونا لجانب النبوة عن الشرك بالله تعالى والذي ذكروه في تأويل هذه الآية الكريمة يرده كله ظاهر الكتاب والسنة كما تقدم وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والله أعلم/١٢فتح.

(١) فعادتهم المستمرة وطبيعتهم أنهم صامتون عن دعوة أصنامهم وليست دعوة الأصنام إلا بحسب هواهم المحدث لأجل بيان هذه الفائدة عدل إلى الجملة الاسمية فقال: "أم أنتم

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدوهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿عِبَادَ أَمْثَالِكُمْ﴾ مملوكون مسخرون ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: لا يقدرון على إنجاح سؤال سائل ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلهم آلهة ﴿اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا﴾ هذا بيان لقصور معبودهم عن عبادهم كأنه قال: عباد أمثالكم بل أنتم أكمل ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ﴾ يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ ثم بالغوا أنتم وشركاؤكم في مكروهي ﴿فَلَا تَنْظُرُونَ﴾ لا تمهلوني فإني لا أعبأ بكم ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ يلي أمرهم وينصرهم ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أخاف ذاك العابد وذاك المعبود ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ أي: ما هو صلاحهم أو إلى أن يهدوكم ﴿لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: كأنهم ينظرون فإنهم نحتوها مصورين بالعين والأنف والأذن ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنهم لا يقدرון إيجاد النور في أعين أصنامهم أو ضمير تدعوهم وتراهم إلى المشركين لقوله تعالى: "صم بكم عمي" (البقرة: ١٨) ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من أخلاق الناس من غير تحسس كقبول أَعذارهم والمساهلة معهم وقد ورد^(١) أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا يا جبريل قال: إن الله تعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من

= صامتون" ولم يقل أم صمتم كأنه قيل لم يفرق الحال بين إحداثكم دعائهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم عند الحاجة والشدائد ١٢ منه ووجيز.

(١) رواه ابن مردويه عن سعد بن عباد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وروى ابن جرير وابن أبي حاتم مرسلًا ١٢ منه. [وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٢٨٠) وعزاه لابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي].

قطعك" أو خذ الفضل وما تسهّل به من أموالهم وذلك قبل وجوب^(١) الزكاة ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف وهو كل ما يعرفه الشرع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ لا تقابل السفه بالسفه ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ نزغه إذا طعنه وكان الشيطان يطعن حين يغري الناس إلى المعاصي وحاصله إذا عرض لك منه أدنى وسوسة تصدك عن الإعراض عن الجاهل ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فإنه الملجأ أو المنجى ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ بالدعاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمصالح وبأحوال الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكبائر ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ لمة ووسوسة من طاف به الخيال يطيف أو من طاف يطوف ومن قرأ طيف فهو مصدر، أو تخفيف طيف كلين من لان يلين أو كهين من هان يهون ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرًا﴾ وعيد الله ووعده ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فأنابوا لا كالكفار العمي ﴿وَأَخْوَانُهُمْ﴾ أي: الكفرة فإنهم إخوان^(٢) الشياطين وأتى بضمير الجمع للشيطان؛ لأن المراد منه الجنس ﴿يُمْدُدُونَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للشياطين أي: يكون الشياطين مددًا لهم ﴿فِي الْغِيِّ﴾ أو المراد من الإخوان الشياطين وضمير إخوانهم للجاهلين أي: شياطينهم يكونون مددًا لهم ﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ لا يسكون على إغوائهم، أو الضمير للكفرة أي: لا يكفون عن الغي أو الضمير للكفرة^(٣) والشياطين جميعًا أي لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يسكون عنهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَايَةٌ﴾ من القرآن أو معجزة اقترحوها ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اختلقتها من قبل نفسك قيل: كانوا يسألون الآيات تعنتًا فإذا تأخرت أهموه وقالوا لولا اجتبيتها وأنشأها من نفسك، أو معناها لم لا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله

(١) فإنه لما نزلت أمر أن يأخذهم بما طوعًا وكرها/ ١٢ منه.

(٢) قال الله تعالى: "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" / ١٢ منه.

(٣) هو قول ابن عباس والسدي / ١٢.

تعالى حتى نراها ونؤمن بها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمخترلق أو إن منعها لا أسألها إلا بإذنه ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ للقلوب بما تبصر الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فلو كان لكم بصيرة لكفاكم القرآن آية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ ^(١) لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿الأصح﴾ أنها نزلت في ترك التكلم في الصلاة ^(٢) أو ترك القراءة مع الإمام إذا جهر فيها ولاشك أنه يستحب

(١) أي عما سواه فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الإمام في الجهرية للإجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر في غير الصلاة مع أن الإمام ملأوم بالسكوت وقت قراءة المأموم/١٢ تبصير الرحمن.

(٢) كذا قاله ابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وجماعة لا تحصى من السلف قال مجاهد: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وجاهير السلف أن المراد بذلك في الصلاة/١٢ منه، واختلف العلماء في القراءة خلف الإمام فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الأوزاعي وإليه ذهب الشافعي وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه القراءة، ولا يقرأ فيما جهر الإمام فيه يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر الإمام يروى ذلك عن جابر وإليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام هذه الآية، وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية أن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام، فحملنا مدلول الآية على الصلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على الصلاة السرية جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة، وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية والجهرية قال: الآية واردة في غير الفاتحة؛ لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يفرق بين السرية والجهرية، قالوا: وإذا قرأ الفاتحة خلف الإمام فيتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة، ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل

الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن مطلقاً ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أمر بذكره أول النهار وآخره ﴿تَضَرُّعًا﴾ متضرعاً ﴿وَخِيفَةً﴾ خائفاً ﴿وَوُذُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾

= عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال: صلى رسول الله صلى عليه وسلم الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: "أراكم تقرأون وراء إمامكم قال قلت: يا رسول الله أي والله. قال: لا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها" أخرجه الترمذي بطوله وفي الصحيحين أقصر منه: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، وروي مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج" يقولها ثلاثاً غير تمام. فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام قال: اقرأ بها في نفسك/ لباب التأويل المعروف بالخازن. وقال الرازي لا حجة لما نعي القراءة في الآية لأن الخطاب فيها مع الكفار؛ لأنهم طلبوا معجزة فبين تعالى أن القرآن بصائر وهدى لو استمعوا له وأنصتوا حتى يفقهوا فصاحته وعلومه الكثيرة الدالة على صدق محمد -صلى الله عليه وسلم- ولو قلنا إن المراد منه قراءة المأموم خلف الإمام لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلق بوجه من الوجوه، وانقطع النظم وحصل فساد الترتيب، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى فوجب أن يكون المراد منه شيئاً آخر سوى هذا الوجه، وعند هذا يسقط استدلال الخصوم بهذه الآية من كل الوجوه ومما يقوى أن حمل الآية على ما ذكرناه أولى وجوه: الأول: أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم قالوا: "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" (فصلت: ٢٦) فلما حكى عنهم ذلك ناسب أن يأمرهم بالاستماع والسكوت حتى يمكنهم الوقوف على ما في القرآن إلى آخر ما بين الوجوه وللقوم في المسألة كلام مشيع ورسائل متفرقة رداً وإثباتاً من شاء تفاصيل المسألة فليرجع إليها وذكر دلائل المسألة في هذا المقام أزيد مما بينا يوجب السأمة ويشغل عن أصل المراد منه:

فدع عنك غبا صيح في حجراته! وهات حديثاً ما حديث الرواحل/١٢.

وهو كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- أن تسمع نفسك دون غيرك ﴿بِالْغُدُوِّ﴾^(١) وَالْأَصَالِ ﴿بِهَذَيْنِ﴾^(٢) الوقتين لفضلهما ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكره وهذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء والآية مكية وأما حمل الآية على غير هذا المعنى فبعيد، ولا يساعده نقل سديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة المقربين ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يترهونه ﴿وَلَهُ﴾ لا لغيره ﴿يَسْجُدُونَ﴾ لا يشركون بالعبادة غير الله تعالى أي: هم مع كونهم آمنين من سوء العاقبة وعذابه متوجهون إلى الله تعالى دائماً فأنتم مع خوفكم تتمادون في الغفلة وتعبدون غيره وهذه أول سجدة في القرآن لتاليها ومستمعها بالإجماع.

والحمد لله حق حمده..

(١) الغدوة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والأصيل الوقت من بعد العصر إلى المغرب/١٢فتح.

(٢) والغدو جمع الغدوة والأصال جمع أصيل العشاء/١٢.

فهرس سور المجلد الأول

٣	مقدمة التحقيق
٧	ترجمة المؤلف
١٠	ترجمة صاحب الحاشية
٢٢	الفاتحة
٢٥	البقرة
٢١٦	آل عمران
٣٢٨	النساء
٤٣٧	المائدة
٥١٤	الأنعام
٥٩٩	الأعراف

جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه
حاشية
محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيقه
الزكي عبد الحميد هندووي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

المجلد الثالث

المحتوى:
من أول سورة الأنبياء - إلى آخر سورة الزمر

مستورات
محمّد رحاوي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مستشارات محمد رشدي بنوت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (٥ ٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P.: 11-9424 Beyrouth - Liban

سورة الأنبياء مكية

مائة واثناعشرة آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ① مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ③ قَالَ رَبِّیْ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ④ بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلَامُ بَلْ اقْتَرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوَّلُونَ ⑤ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ⑥ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ⑦ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ⑧ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ⑨ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ⑩ ﴾

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ ﴾: للكفار ، ﴿ حِسَابُهُمْ ﴾ ، فإنه قد ظهر خاتم الأنبياء ، الذي هو من علامات آخر الزمان ، ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾: عن الحساب ، ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾: عن التفكير فيه ، والإيمان به ، ﴿ مَا ① يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ ﴾ ، المراد من الذكر الطائفة النازلة من

(١) من ذكر من رهم محدث ، قال البخارى في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية ، باب قول الله: كل يوم هو في شأن ، "وما يأتيهم من ذكر من رهم محدث" ، وقول الله: "لعل =

= الله يحدث بعد ذلك أمراً"، وإن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين، لقوله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى: ١١)، وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة" انتهى. وأيضاً قال: فيه باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون انتهى . وقال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم قدس الله روحه في بعض فتاواه: وسائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء، وقد سمى الله القرآن حديثاً ومحدثاً، وقال: "الله نزل أحسن الحديث" (الزمر: ٢٣)، وقال: "ومن أصدق من الله حديثاً" (النساء: ٨٧)، وقال: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما شاء، وهذا مما احتج به البخاري في صحيحه وغير صحيحه واحتج به غير البخاري ، كنعيم بن حماد ، وحماد بن زيد ، ومن المشهور عن السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود انتهى. وأيضاً قال رحمه الله: قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته ، يتكلم بشيء بعد شيء ، كما قال تعالى: " فلما أتاه نودي يا موسى " فناداه حين أتاه ولم يناده قبل ذلك ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفَّاءٌ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (الأعراف: ٢٢) فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ، ولم ينادهما قبل ذلك . وكذلك قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (الأعراف: ١١)، فأمرهم بالسجود بعد أن خلق آدم وصوره ، ولم يأمرهم قبل ذلك، وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩)، فأخبر أنه قال له كن بعد أن خلقه من تراب، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير، يخبر أنه =

القرآن ، «مَنْ رَبِّهِمْ» ، صفة لذكر أو صلة يأتيهم ، «مُحَدَّثٌ» : تتريله ، جديد إنزاله ، «إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ» حال من فاعل استمعوه ، أي : ليستهزءون به ، «لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ» حال كونهم مشغولين بديانهم ، لا يصغون إلى القرآن ، ذو الحالين واحد ، أو حال من فاعل يلعبون ، «وَأَسْرُوا النَّجْوَى» : بالغوا في إخفائها أو تناجوا وأخفوا بنجواهم ، فلا يفتن^(١) أحد لتناجيهم ، «الَّذِينَ ظَلَمُوا» بدل من فاعل أسروا ، أو منصوب على الذم ، أو مبتدأ خبره أسروا النجوى ، وضع الذين ظلموا موضع هؤلاء

= تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما خرج إلى الصفا ، قرأ قوله تعالى : «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» (البقرة : ١٥٨) ، قال : "نبدأ بما بدأ الله به" فأخبر أن الله بدأ بالصفا قبل المروة ، والسلف اتفقوا على أن القرآن كلام الله ، نزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، انتهى كلامه رضي الله عنه .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في خطبته النونية : وأما القرآن فإني أقول إنه كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه منه جبريل حقاً ، وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم - وحياً ، وأن "كهيعص" ، و"حم" و"حم عسق" و"الر" و"ق" ، و"ن" عين كلام الله حقيقة وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر ، ومن قال : إنه قول البشر فقد كفر والله يصليه سقر ، ومن قال : ليس لله بيننا في الأرض من كلام ، فقد جحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله بعثه بيلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فإذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول . انتهى / ١٢ .

(١) إشارة إلى دفع إشكال ما قيل : إن التناجي لا يكون إلا خفية ، فما معنى قوله : " وأسرُوا النجوى " بوجهين : الأول : إن الإسرار واقع على ما تناجوا به من القول ، والثاني : إنه واقع على الحدث أعني : التناجي وهذا أظهر / ١٢ منه .

تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم، ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلام كله في موضع النصب بدل من النجوى ، أو مفعول لقول مقدر، استدلووا على كذبه في النبوة بأنه بشر، لأن زعمهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، فلا بد أن تكون المعجزة بمقتضى عقيدتهم سحراً، فلذلك قالوا إنكاراً: أفتحضرون السحر وأنتم تعانون أنه سحر، ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾: جهرًا كان أو سرًا، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فكيف يخفى عليه نجواهم، ومن قرأ قال فهو حكاية قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه شيء ، ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ^(١)﴾ اقتسم المشركون القول في القرآن، فقيل: سحر وقيل: تخاليط أحلام وأباطيل خيلت إليه، وخلطت عليه، وهذا أبعد فسادًا من الأول، وقيل: هو مفترى اختلقها من تلقاء نفسه، وهذا أفسد من الثاني ، وقيل: كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها، وهو أفسد من الثالث ، لأنه كذب مع علاوة فلذلك جاء بيل تزيلاً من الله لأقوالهم في درج الفساد، ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي: كما أرسل به الأولون، كاليد البيضاء، والناقة وغيرهما، ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ﴾: أهل، ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: ما آمنت قرية من القرى التي أهلكناها لما جاءهم الآيات المقترحة، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لو جئتهم بها مع أنهم أعنى من الذين اقترحوا الآيات وعهدوا الإيمان بها، وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بمقترحاتهم للإبقاء عليهم، إذ لو أتى به لم يؤمنوا، فنستأصلهم كمن قبلهم ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

(١) قيل: جاز أن يكون هذا بياناً لكونهم غير ثابتين في شأن القرآن بشيء، بل متحيرون، مرة يقولون: هذا أمره، ذلك كما هو شأن المبطل أنه رجاع غير ثابت على شيء واحد/ ١٢ منه .

إِلَّا رَجَالًا تُوحِي إِلَيْهِمْ» فما لهم ينكرون زاعمين أن الرسول لا يكون بشراً، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أهل الكتاب، والمشركون يشاوروهم في أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- ويتقون بقولهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(١)﴾ ، أن الرسل بشر ، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ أثبت لهم ثلاثة أشياء هي لا تكون للملك، وهي لبشر تحقيقاً لنفي الملكية عنهم ولإثبات البشرية لهم: كونهم أجساداً ، والجسد جسم ذو لون، والملك لصفائه لا يوصف باللون، كما لا يطلق الجسد على الماء والهواء، ووجد الجسد لإرادة الجنس، وأهم أكلوا الطعام، وأهم يموتون في الدنيا، وموت الملك لا يكون إلا بعد انقراض الدنيا ، أو لأن المشركين اعتقدوا خلود الملك ، ﴿ثُمَّ^(٢) صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ أي : في الوعد ، ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾: ومن في إبقائه حكمة، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ^(٣)﴾: في الكفر، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا

(١) أن الرسل بشر ، والعجيب أنهم يميزون أن يكون الرب حجراً، ولا يميزون أن يكون الرسول بشراً، قال الرازي: فأما تعلق كثير من الفقهاء بهذه الآية في أن للعامي أن يرجع إلى فتيا العلماء، وفي أن للمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر فبعيد ، لأن هذه الآية خطاب مشافهة، وهي واردة في هذه الواقعة المخصوصة ، ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين. انتهى. وفي الفتح استدل بالآية على أن التقليد جائز وهو خطأ ولو سلم لكان المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة لا عن الرأي البحت ، وليس التقليد إلا قبول قول الغير دون حجته والمقلد إذا سأل أهل الذكر عن كتاب الله وسنة رسوله لم يكن مقلداً، فالآية دليل الاتباع لا دليل التقليد / ١٢ .

(٢) وهذا بيان سنته تعالى مع الأنبياء ، فكذلك يسلك مع خاتم الأنبياء ، ومن يشاء من أمته فهذه عدة ووعيد/ ١٢ وجيز .

(٣) ولما توعدهم في تلك الآية ، عقب ذلك بوعدة ثم بما فيه وعيدهم إن لم يؤمنوا بما فيه شرف دينهم ودينهم فقال: "لقد أنزلنا إليكم" الآية.

قريش، ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: صيتكم^(١) وشرفكم أو موعظتكم وذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتؤمنون به.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(١)
 فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَائِهَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا
 أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا يَنْوِيلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤﴾
 فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذْنَاهُ مِنْ
 لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَلَعَلِينَ ﴿٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ
 وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٩﴾ يُسَبِّحُونَ أَكْثَلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا
 يَفْتُرُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿١١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةُ
 إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
 وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ
 مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾
 وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ
 بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

(١) هكذا فسره ابن عباس - رضى الله عنه - الصَّيِّت بالكسر الذكر الحسن / ١٢.

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ

إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَلَدِّكْ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: أهلكنا والقسم : الكسر الشديد ، ﴿مِّنْ قَرِيبَةٍ﴾: من أهلها ،
 ﴿كَأَنَّ ظَالِمًا وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: مكأها ، ﴿قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَسَنَّا﴾:
 أدركوا، وشاهدوا شدة عذابنا، ﴿إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: يهربون بسرعة،
 والركض ^(١) ضرب الدابة بالرجل، ﴿لَا تَرْكُضُوا^(٢)﴾ أي: قيل لهم لا تركضوا،
 ﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: من التلذذ والتنعيم والإتراف: إبطار النعمة ،
 ﴿وَمَسَاكِينُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ غداً من أعمالهم، أو تسألون شيئاً من دنياكم فتعطون
 من شئتم، وتمنعون من شئتم ، فإنهم أهل ثروة ينفقون رثاء الناس ، تهكم بهم الملائكة
 بهذا القول، ووبَّخهم وقيل: يسألكم خدمكم في أموركم، كيف تأتي ونذر كعادة
 المتعمين، أو يسألكم الناس في مهامهم ويستشفون بتدابيركم، ﴿قَالُوا﴾: حين رأوا
 العذاب، ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: ندموا حين لا ينفعهم الندم، ﴿فَمَا زَالَتْ

تِلْكَ﴾: المقالة، أي: الاعتراف بالظلم، ﴿دَعْوَاهُمْ﴾: دعوتهم نحو: آخر دعواهم أن
 الحمد لله، ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾: مثل ذرع محصود ، ﴿خَامِدِينَ﴾ ميتين ^(٣) من

(١) ضرب الدابة بالرجل والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها
 منهزمين ، أو شبهوا في عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين للدوابهم ١٢ / وجيز .
 (٢) قال المفسرون وأهل الأخبار : إن المراد بهذه الآية أهل حضور من اليمن ، وكان أهلها
 عرباً، وكان الله - سبحانه - قد بعث عليهم نبياً اسمه شعيب بن مهذب ، وقبره بجبل من
 جبال اليمن يقال له : صنين وبينه وبين حضور نحو بريد ، قالوا : وليس هو شعيب
 صاحب مدين / ١٢ فتح .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن وهب، قال: حدثني رجل من الجزريين، قال: كان باليمن
 قريتان يقال لأحدهما حضور وللأخرى قلابة، فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون

خدمت النار ، وهما بمنزلة مفعول واحد، كرايته حلواً حامضاً، وخامدين حال أو صفة،
﴿وَمَا خَلَقْنَا^(١) السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ، بل لنجزى الذين أساءوا
بما عملوا ونجزى الذين أحسنوا بالحسنى، **﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ
لَدُنَّا﴾**: لو أردنا اتخاذ ما يلعب ويتلهى به، لاتخذناه من عندنا، وما خلقنا جنة ولا ناراً
ولا موتاً ولا بعثاً ولا حساباً، أو لو أردنا أن نتخذ زوجة أو ولدًا لاتخذنا من الحور
العين أو الملائكة، أو لاتخذناه من عندنا بحيث لا يظهر لكم ويستتر عنكم، فإن زوجة
الرجل وولده يكونان عنده لا عند غيره، واللهم: المرأة والولد بلسان اليمن، وهو رد
على النصراني في أم المسيح ، أو المسيح، أو في المسيح، قيل: لو أردنا اتخاذ هو لقدرنا
عليه ومن لدنا، أي: من جهة قدرتنا لكن الحكمة صارفة عنه، **﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾**
أي: إن كنت فاعلاً لذلك، أو إن نافية ، فالجملة كالنتيجة للشرطية، **﴿بَلْ نَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾**: نغلبُ الحق الذي منه الجد على الباطل الذي منه اللهو،
﴿فَيَذْمُوهُ﴾: يمحقه، جعل الحق كحرم متين صلب ، قذف ورمي به على حيوان

= أبواهم، فلما أترفوا بعث الله إليهم نبياً فدعاهم فقتلوه، فألقى الله في قلب مختصر أن
يغزوهم، فجهز لهم جيشاً، فقاتلوه، فهزموا جيشه، فرجعوا منهزمين، فجهز إليهم
جيشاً آخر، أكثف من الأول ، فهزمهم أيضاً، فلما رأى مختصر أغزاهم هو بنفسه
فقاتلهم حتى خرجوا منها يركضون، فسمعوا منادياً يقول: لا تركضوا وارجعوا إلى ما
أترفتم فيه، ومساكنكم ، فرجعوا فسمعوا صوت مناد يقول: يا لثارات النبي ، فقتلوا
بالسيف فهي التي قال الله: "وكم قصصنا من قرية"، إلى قوله: "خامدين"، قلت: وقرية
حضور معروفة الآن بينها وبين مدينة صنعاء نحو بريد في جهة المغرب منها/ ١٢ فتح
البيان. [ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٣٦١٤)]

(١) ولما ذكر قصص تلك القرى الظالمة ، فلم يرحم عليهم حتى ندموا ، أتبع ذلك بما يدل
على أن ذلك عدل ومجازاة لأعمالهم ، وجميع ما قدر منه سبحانه حق عدل ، فقال: "وما
خلقنا السماء والأرض" الآية / ١٢ وجيز .

ضعيف فشق دماغه، وبل إضراب عن اتخاذ اللهو وتزنيه لذاته عن اللعب ، ﴿فَإِذَا هُوَ﴾: الباطل ، ﴿زَاهِقٌ﴾: هالك والزهوق ذهاب الروح ، ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ﴾^(١) مِمَّا تَصِفُونَ : مما تصفون الله به مما لا يليق بعظمته ، ﴿وَلَهُ مَنْ﴾^(٢) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : خلقاً وملكاً ، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ ، أي: الملائكة المقربون ، فإنهم منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك ، أو لأنهم في محل ظهور سلطانه ، وهو السماوات ، وهو مبتدأ خبره قوله : ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيرون ولا يتعبون قيل: "ومن عنده" عطف على "من في السموات" ، أفرده بالذكر للتعظيم ، أو المراد : من في العرش والكرسى ، ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾: دائبون في التسبيح ، عن كعب الأحرار: التسبيح لهم كالنفس^(٣) لبني آدم ، ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾^(٤) منقطعة ، والهمزة لإنكار اتخاذهم ، ﴿آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ ، ظرف لاتخذوا أو صفة لآلهة ، ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي: اتخذوا آلهة هم قادرون وحدهم على إحياء الموتى ، والمراد تجهيلهم والتهكم بهم ، والكفرة وإن لم يكونوا يدعون ذلك

(١) الويل كلمة جامعة للشر كله ، قال الأصمعي: ويل تقبيح / م .

(٢) ولما حكى كلام الطاعنين وبين أن غرضهم من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد ، بين في هذه الآية ، أنه تعالى مژه عن طاعتهم ، لأنه هو المالك لجميع المخلوقات فقال: "وله من في السموات" . الآية / ١٢ كبير .

(٣) فلا يشغلهم الكلام والرسالة والعمل عن التسبيح / ١٢ منه .

(٤) ولما ثبت أنه ينتقم في الدنيا ، عمن يكذب بآياته وأن كل ما صدر عنه حق عدل ، وأن جميع من في الأرض والسماء ملك له وأن الملائكة سيما الكاملين منهم ، دائبون في عبادته ، فهو الحقيق بالتوجه إليه ظاهراً أو باطناً ، والإعراض عما سواه ، ومن لم يكن كذلك فهو جدير بالتوبيخ والتفريع ، فقال : "أم اتخذوا آلهة من الأرض" ، الآية / ١٢ وجيز .

للأصنام ، لكن لما أثبتوا الألوهية لهم يلزمهم إثبات ذلك فإنه ممكن ، وإلا له لا بد أن يكون قادراً على الممكنات ، **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾** أي: غير الله، صفة لا بدل لفساد المعنى واللفظ^(١) ، قال صاحب المغني^(٢) : إذا اختلف الموصوف والصفة إفراداً أو غيره ، فالوصف للتأكيد لا للتخصيص ، كما قالوا: عندي عشرة إلا درهماً ، لزم عليه تسعة ، ولو قال : إلا درهم بالرفع فقد أقر له بعشرة ، فمعنى الآية: لو كان الإله غير واحد البتة ، والصفة تأكيد ، لأن كل متعدد غير واحد البتة ، **﴿لَفَسَدَتَا﴾** لأن الملك يفسد بتدبير مالكين لما يحدث بينهما من الاختلاف والتمايع عادة ، **﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾**^(٣) : المحيط بجميع الأجسام ، **﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾** : من الشريك والولد ، **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾** لانفراده في عظمته وسلطانه ، **﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** وهو سائل خلقه عما يعملون ، فإنهم عبيد ، **﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾** كرره استقباحاً لشأنهم واستعظاماً لكفرهم ، **﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾** من جهة عقل أو نقل ، أن له شريكاً ،

(١) أما فساد المعنى ، فلأن المراد نفى التعدد مطلقاً ، ولو كان مستثنى لكان المعنى: لو كان فيهما الآلهة المستثنى منهم الله لفسدتا ، فلو كان الله فيهم لم يفسدوا ، وأما فساد اللفظ ، فلأن المستثنى يجب أن يكون داخلاً البتة في المستثنى منه ، لو لم يؤت بالمستثنى ، والله لا يجب أن يكون داخلاً في آلهة / ١٢ منه .

(٢) هذا النقل إشارة إلى دفع إشكال على ما قررناه من أنه صفة ، وهو أن حقيقة معناه حينئذ لو كان فيهما من الإله متعدد غير واحد ولا شك لأحد أن المتعدد غير الواحد فالصفة حشو / ١٢ منه .

قال على القارى: وأما قول التفتازاني: الآية حجة إقناعية ، فالحققون كالغزالي وابن الهمام ما قنعوا بالإقناعية ، بل جعلوها من الحقائق القطعية ، بل قيل يكفر قائلها . انتهى / ١٢ .

(٣) فسبحان الله رب العرش الذي استوى عليه ، وهو محيط بجميع الأجسام فلا يمكن أن يكون الإله في الأرض / ١٢ .

﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ﴾ أي: عظة أمي، ﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ من الأمم السالفة، فهذا إشارة إلى الكتب السماوية، أي: هذا كتاب الله، فاطلبوا، هل تجدون فيها أن له شريكاً، أو إشارة إلى القرآن وحده، أي: القرآن فيه ذكر أمي وذكر أمم قبلي، إنهم مطالبون بالتوحيد، ممنوعون عن الشرك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: لا يميزون بينه وبين الباطل، ﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، عن التوحيد واتباع الرسل، من أجل ذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾^(١) أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾: وحدي، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من العرب من قال: الملائكة

(١) يعني أن عبادة الله وحده لا شريك له، هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب كما في هذه الآية، وقوله تعالى: "ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (النحل: ٣٦)، وكان - صلى الله عليه وسلم - يحقق التوحيد، ويعلمه أمته حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: "أجعلتني لله نداً"؟، قل ما شاء الله وحده، ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: "من حلف بغير الله فقد أشرك"، وقال: "اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد"، وقال: "لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا على حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني"، ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكثر الأسباب لعبادة الأوثان كان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - عند قبره أنه لا يتمرغ بحجرته، ولا يقبلها، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق بيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً" (النساء: ٤٨) ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه وأعظم آية في القرآن، آية الكرسي: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم"

بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عن ذلك، ﴿بَلْ﴾ هم، ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وليسوا بأولاد، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يقولون شيئاً حتى يقول الله، ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم، كما هو طريق الأدب، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ لا يعملون بما لا يأمرهم، ولا يبعد أن يكون ذلك كالدليل على أنهم غير الأولاد فإن الأولاد لا يكون كذلك، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: يحيط علمه بجميع أحوال عباد مكرمين مما قدموا وأخروا، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾: أن يشفع له، ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ مرتعدون لا يأمنون مكر الله، والإشفاق خوف مع اعتناء، فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإن عدي بعلی فبالعكس^(١)، والخشية خوف مع تعظيم، ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من الملائكة، وهذا على سبيل الفرض، ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ قيل: أراد إبليس حيث دعا الخلق إلى عبادة نفسه دون عبادة ربه، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: المشركين.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّن مَّتِّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً

= (البقرة: ٢٥٥) كل هذا قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمه الله

رحمة باقية إلى قيام الساعة وساعة القيام / ١٢ .

(١) فمعنى الاعتناء فيه أظهر / ١٢ منه .

وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا بِانْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٣﴾

﴿أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي : جماعة السماوات، وجماعة الأرض كانتا مرتوقيتن يعني جميعهما في أول الأمر متصل متلاصق بعضهما ببعض، ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فصارت السماوات سبعاً، والأرض كذلك، أو كانتا رتقاً لا تمطر ولا تنبت ففتقنا بالمطر والنبات، فعلى هذا المراد من السماوات سماء الدنيا، وجمعها باعتبار الأفق، أو جميع السماوات على أن لكل مدخلاً في الإمطار، والرتق هو الضم والالتحام، فإن قلت متى رأوها رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت: الفتق مشاهدة عارض يفتقر (*) إلى مؤثر واجب، والرتق ممكن أخبر به القرآن المعجز فهم لو نظروا لعلموا، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ^(١) كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي: كل شيء موجود أصله من الماء، فإن الله خلق الماء قبل الأشياء، ثم خلقها منه، أو خلقنا كل حيوان من الماء، أي: من النطفة، أو صيرنا كل شيء له نوع حياة كحيوان ونبات من الماء، ولا بد له

(٥) وفي النسخة (ن): مفترق.

(١) نقل الإمام أحمد وابن أبي حاتم أنه قال عليه السلام: "خلق كل شيء من الماء" ١٢/.

[وقال الشيخ أحمد شاكر في "التعليق على المسند" (٧٩١٩): إسناده صحيح]

منه نحو خلق الإنسان من عجل فعلى هذا جعل متعدٍ إلى مفعولين^(١)، «أَفَلَا يُؤْمِنُونَ^(٢)» وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ: جبلاً ثوابت، «أَنْ تَمِيدَ»: كراهة أن تميد، «بِهِمْ»: وتضطرب، «وَجَعَلْنَا فِيهَا»: في الرواسي، «فِجَاجًا»: مسالك وطرقاً واسعة، «سُبُلًا»، يعني: لما خلقنا الجبال حالت بين البلدان، فجعلنا فيها فجوة، وطرقاً ليسلك فيها من بلد إلى آخر، وسبلاً إما مفعول وفجاًجاً حال^(٣)، أو هو مفعول وسبلاً بدل، «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ^(٤)»: إلى مصالحهم، «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا»: على الأرض، «مَّحْفُوظًا^(٥)»: من أن يقع على الأرض أو من الشياطين بالشهب، «وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ»، لا يتفكرون فيما خلق فيها من الآيات، كالشمس والقمر والكواكب وغيرها، «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ^(٦)» أي: كل واحد منهما، «فِي فَلَكٍ^(٧) يَسْبَحُونَ» يسرعون على فلكه، كالسباح في

(١) يعني: قوله من الماء، وكل شيء مفعولاه/١٢ وجيز.

(٢) فيه معنى التعجب من ضعف عقولهم يعني: أفلا يتدبرون تلك الأدلة فيتركوا الشرك/١٢.

(٣) لأن أصله سبلاً فجاًجاً على الصفة تقدم فصار حالاً، قال تعالى: "سبلاً فجاًجاً" (نوح: ٢٠) والفج الطريق الواسع/١٢ منه.

(٤) جعلوا عسى ولعل شكاً وبقيناً كقوله تعالى: "لعلهم يهتدون"، أي: ليهتدوا.

(٥) وعن ابن عباس ونقل حديثاً مرفوعاً أن معناه محفوظاً عن الشياطين بالشهب/١٢ وجيز.

(٦) اعلم أن المراد من الكل، الكل المجموعي لا الإفرادي بدليل قوله: "يسبحون" بالجمع لا بالإفراد فيحتاج إلى تأويل في فلك بالإفراد فلا تغفل لثلاث تقع فيما وقع فيه بعض المفسرين/١٢ منه.

(٧) وظاهر القرآن أنهما يسبحان بنفسهما في الفلك، والحركة لهما، وعلى هذا جاز أن تكون جميع السيارات والثوابت في سماء الدنيا، كما قال الله تعالى: "إنا زينا السماء =

الماء، والفلك الجنس نحو كساهم الأمير حلة، والجمع باعتبار كثرة مطالعها وجمع العقلاء للوصف بفعلهم، وهو السباحة والجملة حال منهما.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾، نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب المتنون، استدل به بعضهم على عدم بقاء الخضر، ﴿أَفَإِن مَّتَّ﴾ الهمة للإنكار، والفاء لتعلق الشرط بما قبله، ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: مرارته، ﴿وَبَلَّوْكُمْ﴾: تعاملكم معاملة من يختبركم، ﴿بِالشَّرِّ﴾: بالمصائب تارة، ﴿وَالْخَيْرِ﴾: بالنعم أخرى، ﴿فِتْنَةً﴾: ابتلاء للنظر من يصبر ومن يجزع ومن يشكر ومن يكفر مصدر مؤكد من غير لفظه، ﴿وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ﴾ فنجازيكم، ﴿وَإِذَا^(١) رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا

إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ مهزوء به، ﴿أَهَذَا﴾ أي: قالوا أهذا، ﴿الَّذِي^(٢) يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بسوء، ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾: بصفاته الحسنى كالوحد، ﴿هُم كَافِرُونَ﴾ لا يصدقون به، فهم أحق بأن يهزأ بهم، ﴿خُلِقَ^(٣) الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾: لفرط استعجاله كأنه خلق منه، قيل: لما ذكر المستهزئين وقع في النفس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك ولهذا قال ﴿سَأَرِيكُمْ آيَاتِي﴾: نقماتي في

= الدنيا بزينه الكواكب" (الصفات: ٦)، فلا تحتاج إلى تأويل، ولا يدل دليل على خلاف ذلك فعلى هذا يكون الكل مجموعيًا، وجملة كل في فلك حال منهما، وجاز للقرينة، ولما مر قوله: "وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين" (الأنبياء: ٨)، وكانوا يشمتون بموته، فنفى الله عنه الشماتة، وقال: "وما جعلنا" الآية/ ١٢ وحيز.

(١) ولما ذكر شماتتهم ودفع عنه عقبة بذكر ما هو أشد وأقبح منها وهو سخريتهم فقال:

"وإذا رآك الذين كفروا" الآية / ١٢ .

(٢) يقال فلان يذكرك، إن كان الذاكر صديقًا فهو ثناء، وإلا فذم ولوم / ١٢ منه .

(٣) ولما ذكر شماتتهم بالرسول واستهزاءهم وكأنه استعجلت النفس سرعة انتقامهم فقال:

"خلق الإنسان من عجل" الآية / ١٢ وحيز .

الدنيا والآخرة، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾: بالإتيان بها وقيل: هذا جواب المشركين حين استعجلوا بالعذاب، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: وقت وعد العذاب أو القيامة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿صَادِقِينَ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وضع موضع يعلمون دلالة على ما أوجب لهم ذلك، ﴿حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: مفعول به ليعلم أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم النار فلا يقدرّون على دفعها، ولا يجدون ناصراً والجواب محذوف، أي: بما استعجلوا، ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ أي: لا يعلمون بل تأتيهم العدة أو القيامة أو النار، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة مصدر، لأنها نوع من الإتيان أو حال، ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تخبرهم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون، ﴿وَلَقَدْ^(١) اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾: يا محمد فليس بشيء بدع منهم فلا تغتم، ﴿فَوَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: من الأمم السالفة، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: جزاء ما فعلوا، أو هم استهزءوا بعذاب وعدهم الرسل إن لم يؤمنوا، فأحاط بهم ذلك العذاب فسيحيط بمن يتخذك هزواً.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ١٢ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِتَّا يُصْحَبُونَ﴾ ١٣ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ

(١) ولما ذكر استهزاءهم صريحاً في قوله: "إن يتخذونك إلا هزواً"، وغير صريح في قولهم: "متى هذا الوعد" سلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ولقد استهزئ برسل" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) فإنه ليس بأول قارورة كسرت منه معك، بل هذا عادتهم الخبيثة مع الجميع/ ١٢ وجيز.

عَلَيْهِمُ الْعُمْرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ
 الْغَالِبُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا
 يُنذَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَلْوِيْلَنَا إِنَّا
 كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
 شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٥﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ
 يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿١٧﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ
 مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿١٨﴾ *

﴿قُلْ﴾: للمستهزئين، ﴿مَنْ يَكْلُوْكُمْ﴾: يحفظكم، ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾:
 من عذابه، أو من بمعنى البدل نحو لا ينفع ذا الجند منك الجد، وفي لفظ الرحمن إشارة
 إلى أن لا حافظ سوى رحمته، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾: لا يخطر ببالهم
 ذكر ربه فضلًا عن أن يخافوا منه، حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكآلى،
 واصلحوا للسؤال عنه، ﴿أَمْ لَهُمْ﴾: بل لهم، ﴿الْهَيْهَاتَ تَمَنُّهُمْ﴾: من العذاب، ﴿مَنْ
 دُونَنَا﴾ حال من فاعل تمنع، أو صفة بعد صفة، كأنه قال: لا تسأل عنهم؛ لأنهم لا
 يصلحون للسؤال لغفلتهم عنا، بل لإقبالهم على نقيضنا^(١)، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
 أَنْفُسِهِمْ﴾ سيما نصر غيرهم مستأنفة تبين إبطال ما اعتقدوه، ﴿وَلَا هُمْ مِّنَّا
 يُصْحَبُونَ﴾: يجارون، يقال: فلان لك جار وصاحب من فلان، أي: يجيز منه، أو
 يصحبون بخير وتأيد، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ إضراب
 عن بيان بطلان ما هم عليه، ببيان ما غرهم فحسبوا أنهم على شيء، وهو أنه-

(١) قبل للترقي، والهمزة للإنكار / ١٢ منه.

تعالى - متعهم زمناً طويلاً في الدنيا فقصت قلوبهم وظنوا أنها لا تزال، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا
نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: أرض الكفرة، ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بأن نخرّب ديارهم ونسلط
المسلمين عليها، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، أم المؤمنون، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾: بما
أوحى إلى أو بأمر الله، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ﴾: من قرأ لا تسمع من باب
الإفعال، على خطاب النبي، فالصم الدعاء مفعولاه، ﴿إِذَا مَا يُنذِرُونَ^(١)﴾ ظرف
ليسمع أو الدعاء، واللام في الصم للعهد والمشركون صم آذان قلوبهم عن آيات الله،
﴿وَلَكِنَّ مَسْتَهِمَ نَفْحَةٍ﴾: رائحة وشيء قليل، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء،
مع أن البناء للمرة، ﴿مَنْ عَذَابَ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ دعوا على
أنفسهم بالويل وأقروا بظلمهم، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ^(٢)﴾، جمعه لكثرة ما يوزن به
ولا اختلافه، ﴿الْقِسْطَ﴾: ذوات القسط أو نحو^(٣) رجل عدل، ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: لأجل
جزائه أو لأجل أهله، أو اللام^(٤) بمعنى في، ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾: من الظلم أو من
العمل، ﴿وَإِنْ كَانَ﴾: العمل، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا^(٥) بِهَا﴾: أحضرنا
لنجازي بها، ومن قرأ: مثقال بالرفع فكان تامّة، ﴿وَوَكَّفَى بَنَى حَاسِبِينَ﴾ لكمال

(١) والتقييد به، لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة كأنه قال لا يسمعون أصلاً بوجه من
الوجه، فإن من لا يسمع الإنذار لا يسمع البشارة/ ١٢ منه .

(٢) لما ذكر حالهم في الدنيا استطرد لما يكون في دار هي مقر الثواب والعقاب فأخبر عن
عدله وأسند ذلك لنفسه بنون العظمة، وتقدم الكلام على الموازين في أول الأعراف/
١٢ وحيز .

(٣) كأنها في نفسها قسط، وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة / ١٢ منه .

(٤) نحو: جئت لحمس خلون من الشهر/ ١٢ منه .

(٥) ضمير بها للمثقال، والتأنيث لإضافة المثقال إلى الحبة نحو: ذهببت بعض
أصابعه/ ١٢ منه .

علمنا وعدلنا مفعول كفى محذوف ، أي : كفيما العالمين حال كوننا حاسبين لا يحتاجون إلى محاسب غيرنا ، ﴿وَلَقَدْ^(١) آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً^(٢) وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ : الكتاب الجامع لكونه ، فارقاً بين الحق والباطل وضياء في القلب ، وذكرًا يتعظ به المتقون ، أو الفرقان النصر على الأعداء والضياء التوراة ، ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ، صفة للمتقين ، ﴿بِالْغَيْبِ﴾ ، حال من الفاعل ، أو من المفعول ، ﴿وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ﴾ : القيامة ، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ : حائفون ، ﴿وَهَذَا﴾ : القرآن ، ﴿ذِكْرٌ^(٣) مُّبَارَكٌ أُنزِلَتْهُ أَفَانْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ استفهام توبيخ ^(٤) .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿١٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٥﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ

(١) ولما كان كتاب موسى وهارون الذي هو عضد موسى ، أعظم الكتب السماوية بعد القرآن ، وكان أهله قد أعرضوا عنه مراراً بعد إتياء الآيات ، التي تحيرت منها العقول ، وكتابهما فرقان مميّز بين الحق والباطل ، وضياء رافع للظلام مبين للحق ، كالميزان فلهذا أعقبه بقوله : "ولقد آتينا موسى" الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ومن شأن من كان في الضياء أن لا يضع شيئاً إلا في موضعه / ١٢ وحيز .

(٣) ولما ذكر مدح التوراة ، أعقبه بذكر القرآن فقال : "وهذا ذكر مبارك" / ١٢ وحيز .

(٤) ثم لما ذكر الكتابين الناهيين عن الشرك أعقبه بحكاية إبراهيم الذي هو فخر قريش وحدهم في نهي والده وقومه عن الشرك فقال : "ولقد آتينا إبراهيم رشده" الآية / ١٢ وحيز .

بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا
سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ
بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى
أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ
شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَلَنَّاكَ كُونِي
بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾
وَبَجَيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عِبْدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ
الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي
رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: الاهداء لوجوه الصلاح، والإضافة ترشد إلى أنه رشد
له شأن، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل موسى أو من قبل البلوغ، ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾:
علمنا أنه أهل لما آتيناه، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ ظرف لآتيناه، أو لرشده، أو تقديره

اذكر من أوقات رشدہ وقت قوله لأبيه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: الصور التي لا روح فيها، ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ عدى العكوف باللام لتضمن معنى العبادة، فإن العكوف يستعمل بعلی، ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾^(١): فقلدناهم، ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: المقلدون والمقلدون منحطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّاعِينَ﴾ أي أما تقوله جد أم هزل، فإنهم استعجبوا واستبعدوا تضليله آباءهم، ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه، ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ قيل الضمير للتماثيل، أو للسماوات والأرض، ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾: المذكور من التوحيد، أو على أنه خالقهن، ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾: المتحققين له المبرهنين عليه، ﴿وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ إِلَّا لَكُمُ﴾: أمكن بها في كسرها، ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوتُمْ﴾: عنها، ﴿مُدْبِرِينَ﴾: إلى عيدكم حين كانت البلدة خالية، وإنما قاله سرّاً، ولم يسمع إلا رجل واحد فأفشاه^(٢) عليه، ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي: الأصنام، ﴿جُذُودًا﴾: مقطوعاً، فعلاً بمعنى مفعول أو جمع جذيد، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾: للأصنام،

(١) فقلدناهم واقتدينا بهم، وأجابوه بهذا الجواب الذي هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز، والحبل الذي يتشبث به كل غريق، وهو تمسك بمجرد تقليد الآباء، أي: وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناهم اقتداءً بهم، ومشياً على طريقتهم، وهكذا يجب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة الإسلامية، فإن العالم بالكتاب والسنة إذا أنكر عليهم العمل بمحض الرأي المدفوع بالدليل قالوا: لهذا قد قال به إمامنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين، وبرأيه آخذين، قال الحفناوي: أي: فلم يكن جواهرهم إلا التقليد انتهى / ١٢ فتح .

(٢) هكذا نقله محيي السنة عن مجاهد وقتادة والمنقول عن السدي: أن ضعفاء القوم سمعوا ذلك القول منه/ ١٢ منه .

قطعهن بفأس ، واستبقى الكبير ، ووضع الفأس على عنقه ، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ : إلى كبيرهم ، ﴿يَرْجِعُونَ﴾ : فيعتقدون أنه هو الذي كسره من حسداً عليهن ، أو إلى إبراهيم فيحاجهم بأنه فعله كبيرهم ، أو إلى الله بتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ، ﴿قَالُوا﴾ : حين انصرفوا من العيد ، ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا﴾ : القائل . من سمع قواه : لأكيدن أصنامكم وهذا ^(١) كما يقال : أكرمني بنو فلان ، وإنما المكرم من بينهم رجل : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ : بعيهم ، ﴿يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ : مرفوع يقال لأن المراد به الاسم ^(٢) ، ﴿قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ : بمراى منهم بحيث يتمكن ^(٣) صورته في أعينهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ : عليه أنه الفاعل ، كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ، أو يحضرون عقابه ، وكان هذا هو المقصود الأكبر له لأن يبين لهم في محفل عظيم ، وفور جهلهم وقلة عقلهم في عبادة الجمام ، ﴿قَالُوا﴾ : حين أتوا به ، ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ : أراد أن يتفكروا فيعرفوا بعدم نطقهم ، وأن هذا

(١) لأن المناسب أن يقال : قال سمعنا ؛ لأن القائل مفرد ، على قول مجاهد وقتادة بخلاف ما قاله السيد / ١٢ منه .

(٢) فصح أن يكون مقولاً لا المسمى ، حتى لا يجوز تعلق القول به ، قال صاحب البحر : هذا التأويل الذي ذكرناه في إبراهيم يمنعه بعض النحويين ، إذ لا نحفظ من لسان العرب قلت زيد ولا قال ضرب ، فالأولى أن إبراهيم نداء مقدر بجملة يحكى يقال ، أي : يقال حين يدعى يا إبراهيم ، هذا ما في الوجيز وفي الفتح ، ومن غرائب التدقيقات النحوية وعجائب التوجيهات الإعرابية ، أن الأعلام الشنتمرى الأشبيلي قال : إنه مرتفع على الإعمال ، قال ابن عطية : ذهب إلى رفعه بغير شيء / ١٢ .

(٣) تمكن الراكب من المركوب / ١٢ منه .

لا يصدر عن صنم جماد ، فتقوم الحجة عليهم ، وفي الصحيحين : "إن إبراهيم لم يكذب^(١) غير ثلاث" ، قيل : أسند إلى الكبير لأن غاية تعظيمهم إياه سبب لمباشرة إبراهيم ، فأسند إلى السبب^(٢) ، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ : بالملامة ، أو راجعوا عقولهم وتفكروا ، ﴿فَقَالُوا﴾ : قال بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ : بهذا السؤال ، أو لما أنكم تركتم الأصنام بلا حافظ ، أو بعبادتكم من لا يتكلم ، ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ : أطرقوا^(٣) رءوسهم من الحيرة والخجل ، أو انقلبوا^(٤) إلى المجادلة بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم ، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليًا على أعلاه ، ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي : قالوا لقد علمت إلخ فكيف نسأهم ، ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ : إن عبدتموه ، أو تركتموه ، ﴿أَفَلَا لَكُمْ﴾ هو صوت المتضرجر ، أي : قبحًا وفتنًا لكم ، واللام لبيان المتأفف به ، ﴿وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ : أنتم مجانين لا تفهمون قبح مثل هذا الصنع ، قالوا حين عجزوا عن الجواب ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا

(١) وفي رواية أبي داود والترمذي : "لم يكذب إبراهيم في شيء قط ، إلا في ثلاث كلهن في الله ، قوله : إني سقيم ، ولم يكن سقيما ، وقوله لسارة : أختي وقوله : بل فعله كبيرهم هذا" / ١٢ فتح .

(٢) وفي الوجيز بعد نقل هذا القول ، وعندي أن مثل تلك التأويلات غير محتاج إليه على ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - كما ورد في الصحيحين : لم يكذب إبراهيم غير ثلاث وعد هذا منها ، ومثل هذا الكذب من الرخص كالتلفظ بالكفر عند التعذيب لكن هو عليه الصلاة والسلام من أولي العزم فعليه الاحتراز عن مثل ذلك لأنه يقال له : يا صاحب العزيمة إياك والرخص / ١٢ .

(٣) كذا فسر قتادة / ١٢ منه

(٤) كذا فسر السدي / ١٢ منه .

آلِهَتَكُمْ: بإهلاك عدوهم ، «إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ»: ناصرين لآلهتكم، أو إن كنتم فاعلين شيئاً، «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا» أي: باردًا فيه ما لا يخفى من المبالغة، «وَسَلَامًا»: يسلم من حرِّك، «عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»، جمعوا له حطبًا وأوقدوا نارًا وقد ذكر أنهم جمعوا حطبًا كثيرًا جدًا حتى إن كانت امرأة تمرض فتقول: إن عافاني الله لأجمعن حطبًا لإبراهيم، ثم أوقدوا نارًا كادت الطير في الجو تحرق ورموه بالمنجنيق فيها، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريل قائلاً: ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا، فقال: سل ربك، فقال: "حسبي من سؤالي علمه بحالي"، فما أحرقت منه سوى وثاقه^(١) وكان في النار سبعة^(٢) أيام وقيل خمسين، وقيل أربعين وهو ابن ست عشر^(٣)، وكان يقول: ما أنعم أيامي في النار، وقيل: لم يبق نار في الأرض إلا طفئت، وما من دابة إلا تطفي النار سوى الوزغ ولهذا عد من الفواسق، «وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا» مكرًا في إهلاكه، «فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ»: أخسر كل خاسر، «وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا»: ابن أخيه^(٤) من أرض العراق، «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ» أي: الشام، فإن أكثر الأنبياء بعثوا فيه، فانتشرت في العالم بركاتهم قيل: كل ماء

(١) كذا قاله ابن عباس والسدى وكعب الأجباز / ١٢ منه .

(٢) نقله محي السنة / ١٢ منه .

(٣) قاله شعيب الجبائي / ١٢ منه .

(٤) قاله ابن عباس، أي: هاران الأصغر وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور، والثلاثة أولاد آزر وإبراهيم خرج من كوئا من أرض العراق ومعه لوط وسارة، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج من حران حتى قدم مصر، ثم خرج ورجع إلى الشام فزل من أرض فلسطين، وترك لوطًا بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من اليسع فبعثه الله نبيًا إلى أهلها وما قرب منها ذكره الخازن / ١٢ فتح .

ينبع في العالم فأصله من الشام ، أو المراد مكة ، ﴿وَوَهَبْنَا^(١) لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي : عطية حال منهما ، أو النافلة ولد^(٢) الولد ، أو هو طلب ولداً فأعطي إسحاق وزاده يعقوب نافلة ، فيكون حالاً من يعقوب للقرينة ، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ : يقتدى بهم ، ﴿يَهْدُونَ﴾ : الناس بالحق ، ﴿بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ لأن يحثوا عليه ، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ من عطف الخاص على العام للتفضيل ، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ : موحدين مخلصين .

﴿وَلَوْ طَآءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ الفصل بالحق بين الخصوم ، ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ وهي قرية سدوم ، كان عمل أهلها اللواط ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ : في أهل رحمتهما أو في جنتنا ، ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ١٦ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ١٧ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ١٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ١٩ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ٢٠ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا

(١) أي : زيادة وفضلاً / ١٢ منه .

(٢) نقله العوفي عن ابن عباس / ١٢ منه .

فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٤١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ
وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُم حَافِظِينَ ﴿٤٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا
بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَكَ لِلْعَالَمِينَ
﴿٤٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي
رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ
نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ النَّعْمِ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ ﴿٤٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ ﴿٥٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُونِ ﴿٥٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى﴾ أي: اذكر نوحًا إذ دعا على قومه بالهلاك وإذ نادى بـدل من
نوحًا، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل المذكورين، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: دعاءه، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ﴾: الذين آمنوا به، ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: تكذيبهم وأذاهم، فإنه لبث فيهم
ألف سنة إلا خمسين عامًا يؤذونه ويوصون بمخالفته قرآنًا بعد قرن، ﴿وَوَصَرْنَاهُ مِنَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾: جعلناه منتصرًا منهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾،
فاسقين، ﴿فَاغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: فلم يبق على وجه الأرض منهم أحد، ﴿وَدَاوُدَ

وَسُلَيْمَانَ أَي: اذكرهما ، ﴿إِذْ يَخْضَمَانِ﴾ بدل منهما ، ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ كان ذلك كرمًا اثنت^(١) عناقيده ، وقيل زرعاً^(٢) ، ﴿إِذْ نَفَسَتْ﴾: رعت ليلاً^(٣) ، ﴿فِيهِ غَنَمٌ الْقَوْمِ﴾: فأفسدته ، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾: عالين ، وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما ، أو لأن الاثنين جمع ، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكومة ، أو الفتوى ، ﴿سُلَيْمَانَ﴾ دون داود ، فإنه حكم بأن الغنم لصاحب الكرم بدل إفساده وحكم سليمان بدفع الكرم لصاحب الغنم ، فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فينتفع بذرّها و نسلها و صوفها فإذا صار الحرث كما كان يأخذ كل منهما ماله ، ﴿وَكُلًّا﴾: من داود وسليمان ، ﴿آتَيْنَا^(٤) حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال بعض

(١) كذا قال ابن عباس - رضي الله عنه - ونقل ابن جرير عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ونقل ابن أبي حاتم عن مسروق / ١٢ منه .

(٢) وهو أشبه بالعرق / ١٢ فتح .

(٣) لو وقع مثل هذا اليوم فمذهب الشافعي الضمان إن كان بالليل ، وعند أبي حنيفة لا ضمان مطلقاً إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد / ١٢ منه .

(٤) وقد استدلل بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، ولا شك أنها تدل على رفع الإثم عن المخطئ ، وأما على كون كل واحد منهما مصيباً فلا تدل هذه الآية ولا غيرها ، بل صرح حديث الصحيحين ، وغيرهما أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ، فسماه النبي - صلى الله عليه وسلم - مخطئاً ، فكيف يقال إنه مصيب لحكم الله؟! فإن حكم الله - سبحانه - واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين ، وإلا لزم توقف حكمه عز وجل على اجتهد المجتهدين واللازم باطل فالملزوم مثله ، وأما لو وقع مثل هذا اليوم في الشريعة المحمدية فقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث البراء أنه شرع لأمته أن على أهل الماشية حفظها بالليل ، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار ، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلها ، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عنها أو قيمته ، وقد ذهب جمهور العلماء إلى العمل بما

السلف^(١): لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ، ولكن الله تعالى حمد هذا بصوابه ، وأثنى على هذا باجتهاده، **﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾** يقدس لله معه ، ويجاوبه قيل يصلين معه إذا صلى^(٢) وقيل : إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط، ويشتاق ويسبحن حال أو استئناف ، وآخر الطير ، لما أن تسبيح الجبال لأنها جماد أعجب، **﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾**: لأمثاله ليس بيدع منا ، **﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾**: عمل الدرع ، **﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾** الضمير لداود في قراءة الياء ، ولللبوس الذي هو الدرع في قراءة التاء، وهو بدل اشتمال من لكم بإعادة الجار، **﴿مَنْ بِأَسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾** أي: فاشكروا لي وكان قريش أهل حرب وقتال، **﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾** عطف على مع داود ، إن كان متعلقاً بسخرنا ، وإن تعلق بيسبحن فتقديره وسخرنا لسليمان، **﴿الرَّيِّحَ عَاصِفَةً﴾**: شديدة الهبوب ، **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾** حال ثانية، **﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾** الشام فإنه وطنه ، كان له بسط من خشب يوضع عليه ما أراد من الجند ، وغيره فتحملها الريح ، وتظله الطير من الحر إلى حيث يشاء ، والريح في قبضته إن أراد عاصفة فعاصفة ، وإن أراد رخوة فرخوة، وعلى الوجهين لينة لا تشوشهم ولا تزلزلهم ، **﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾** فتجرى الأشياء

= تضمنه هذا الحديث ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه وجماعة من الكوفيين إلى أن هذا الحكم منسوخ ، وأن البهائم إذا أفسدت زرعاً في ليل أو نهار لا يلزم صاحبها شيء ، وأدخلوا فسادها في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم - : "جرح العجماء جبار" قياساً لجميع أفعالها على جرحها ، ويجاب عنه بأن هذا القياس فاسد الاعتبار ، لأنه في مقابلة النص ، ومن أهل العلم من ذهب إلى أنه يضمن رب الماشية ما أفسدته من غير فرق بين الليل والنهار ، ويجاب عنه بحديث البراء / ١٢ فتح اليان.

(١) هو الحسن رضي الله عنه / ١٢ .

(٢) قال قتادة / ١٢ منه .

على ما يقتضيه علمنا ، ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾: فيخرجون من البحر الجواهر والالآئ ، والجملة مبتدأ أو خبر أو من يغوصون عطف على الريح ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾: سوى الغوص ، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾: من الزيغ والفساد ، ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي: واذكره ، ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي: بأني ، ﴿مَسْنِيَ الصُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ كان نبياً صاحب حرث وأنعام وأولاد فابتلاه الله بإهلاك كلها ثم ابتلاه بجسده فلم يبق منه سليم سوى لسانه وقلبه يذكر بهما ربه حتى تنافر عنه كل أنيس ، وتحاشى عنه كل جليس ، فلا يتردد عليه سوى زوجته ، ويقبل: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله فدعا الله لكشف كربه بعد^(١) مدد من الأيام المتطاولة بهذا الأسلوب البليغ ، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾: بالشفاء ، ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾: بإحياء من مات من أولاده ، وإعطائه مثلهم من الأولاد ، أو أعطيناه أولاده الذين ماتوا في الجنة ، ومثلهم معهم في الدنيا فقد نقل^(٢) أنه قيل له : إن أهلك في الجنة إن شئت أتيناك بهم ، وإن شئت تركناهم لك

(١) قال الحسن وقتادة: سبع سنين، وقال وهب بن منبه: ثلاث سنين ، ونقل ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أن أيوب لبث به بلاءه ثماني عشر سنة" قيل دعاؤه هذا بعد أن لأمه بعض أصحابه حين جاءوه وافدين من بعيد قائلين تب إلى الله من ذنب تلك عقوبته فتضرع بتلك العبادة في كشف كربه قائلاً : لا طاقة لي في أن ينسبني أحد إلى معصيتك ، لضر بالفتح الضر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال / ١٢ وجيز . [ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٣/١٩٠) وقال: رفع هذا الحديث غريب جدا وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/٥٩٣) وعزاه لابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وللحاكم وصححه]

(٢) عن مجاهد / ١٢ .

فيها وعوضناك مثلهم في الدنيا فاختار الثاني ، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ على أيوب مفعول له ، ﴿وَذَكَرَى﴾ : تذكرة ، ﴿لِّلْعَابِدِينَ﴾ : ليصبروا كما صبروا لثلاث يأسوا في البلاء ، ﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ كثير من السلف^(١) على أنه صالح من بني إسرائيل تكفل لني أن يكفيه أمر قومه ، ويقضي بينه وبينهم بالعدل وفعل فسمي ذا الكفل^(٢) لكن الظاهر أنه نبي قرنه في سلكهم ، ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ : على مشاق التكليف ، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ : النبوة والجنة ، ﴿إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ : الكاملين في الصلاح ، ﴿وَذَا النُّونِ﴾ : يونس ، ﴿إِذْ ذَهَبَ﴾ : من بين قومه ، ﴿مُغَاضِبًا﴾ لهم من غير إذن ربه حين أصروا على الكفر ، والمفاعلة للمبالغة ، أو هو أغضبهم أيضًا بالمهاجرة عنهم خوف العذاب ، ﴿فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ : لن نضيق عليه ، أو لن نقضي عليه بالعقوبة ولن نعمل فيه قدرتنا ، ويؤيده قراءة نقدر بالتشديد قيل : هذا من باب التمثيل ، أي : حاله مثلة بحال من ظن عدم قدرتنا عليه في مراغمة

-
- (١) كمجاهد وابن عباس - رضي الله عنه - وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم/ ١٢ منه .
(٢) أخرج أحمد والترمذي وحسنه ابن حبان والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن ابن عمر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال : ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت : لا ولكنه عمل ما عملته قط ، وما حملني عليه إلا الحاجة ، فقال : تفعلين أنت هذا وما فعلته ، اذهبي فهي لك ، وقال : والله لا أعصى الله بعدها أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابه إن الله قد غفر للكفل" [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (٤١٥٤)] وقد ذهب الجمهور إلى أنه ليس بنبي ، وبه قال أبو موسى الأشعري ومجاهد وغيرهما وقال جماعة : هو نبي ، ولعله هو الصحيح ، وبه قال الحسن ، لأن الله قرن ذكره بإسماعيل وإدريس ، ولأن السورة ملقبة بسورة الأنبياء/ ١٢ فتح .

قومه من غير انتظار لأمرنا ، وقيل : خطرة شيطانية سماها للمبالغة ظناً ، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ : ظلمة بطن الحوت والبحر والليل ، ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ أي : بأنه ، أو أن مفسرة ، ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لمبادرتي إلى الهجرة قبل الإذن ، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ : بأن قذفه الحوت بالساحل سالماً بعد ما مكث في بطنه أربعين يوماً^(١) ، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) إذا دعونا في الشدائد منييين إلينا ، سيما إذا دعوا بهذا الدعاء ، ففي الحديث "ما من مكروب"^(٣) يدعوا بهذا الدعاء إلا استجيب له" ، ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ : بلا ولد ، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٤) ثناء منه على الله بأنه خير من يبقى بعد ما سأل ولداً يبقى بعده ، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ : صيرناها ولوداً بعد ما كلنت عاقراً أو حسنة الخلق بعد ما كانت سيئة^(٥) الخلق ، ﴿إِنَّهُمْ﴾ : المذكورين من الأنبياء ،

(١) رواه ابن جرير عن الحسن البصري / ١٢ منه .

(٢) أخرج أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وصححه والبيهقى عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى ، دعوة يونس بن متى" ، قلت : يا رسول الله هل ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال : هي ليونس خاصة ، وللمؤمنين عامة ، إذا دعوا به ألم تسمع قول الله "وكذلك ننجي المؤمنين"؟ ، فهو شرط من الله لمن دعاه / ١٢ فتح . [أخرجه أحمد والترمذى والنسائى بغير هذا اللفظ وأخرجه الحاكم في المستدرك" (٥٠٥/١) بهذا اللفظ]

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم بغير هذه العبارة / ١٢ منه .

(٤) قيل : سأل أن يرزقه ربه ولداً يرثه ، كما مرورد أمره إلى الله فقال : وأنت خير

الوارثين ، أي : إن لم ترزقني من يرثني فأنت خير وارث / ١٢ وحيز .

(٥) قاله عطاء ومحمد بنكعب والسدى / ١٢ .

أو زكريا وأهل بيته ، ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾ : يبادرون ، ﴿فِي الْخَيْرَاتِ^(١)﴾ : في عمل القربات ، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ : راغبين في رحمتنا راهبين من عذبتنا ، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ لا يخافون ولا يخضعون لغيرنا ، ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي : مريم فإنها بكر ما ذقت حلالاً ولا حراماً ، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ : بأن أمرنا جبريل بالنفخ في جيب درعها ، وإضافة الروح إليه للتشريف ، وقيل من جهة روحنا جبريل ، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾ دالة على كمال قدرتنا ، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فإنما أتت به من غير فعل ، ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ : ملة الإسلام ، ﴿أَمَّتْكُمْ﴾ : ملتكم ، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ : غير مختلفة في ما بين الأنبياء ، نصب على الحال ، ﴿وَوَكَّا رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُونَ﴾ : لا غيرى ، ﴿وَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ إما بمعنى قطعوا ، أو نصب أمرهم بترع الخافض ، يعنى اختلفوا وصاروا فرقا التفت من التكلم إلى الغيبة لينعني عليهم ما أفسدوه إلى المؤمنين^(٢) ، ويقبح عندهم كأنه يقول : ألا ترون إلى قبح ما ارتكبوا هؤلاء في ديننا؟ ﴿كُلٌّ﴾ : من الفرق ، ﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ : فنجازيهم .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ ٥٦ ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ٥٧ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ٥٨ ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَوِيلِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٥٩ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ

(١) نقل ابن أبي حاتم عن أبي بكر - رضى الله عنه - قال في خطبة : إن الله أثنى على زكريا

وأهل بيته فقال : إنهم يسارعون في الخيرات / ١٢ منه .

(٢) متعلق بينعي لتضمين معنى الإتهام / ١٢ .

أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿١٦﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أُدْرِىَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِن أُدْرِىَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٣٠﴾

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾ الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر في إعطائه ، ﴿وَأَنَا لَهُ﴾ : لسعيه ، ﴿كَاتِبُونَ﴾ ، في صحيفة عمله ، أو إنا كاتبون لمن يعمل ما عمل ، ﴿وَحَرَامٌ﴾ : ممتنع ، ﴿عَلَى﴾ : أهل ، ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١) أي : رجوعهم إلى الدنيا ، فلا صلة ، وقيل معنى الحرام الواجب فلا غير صلة ، وقيل : معناه حرام على أهل قرية قدرنا إهلاكهم

(١) يريد أنهم يرجعون ، فزاد لا في أنهم لا يرجعون / تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .

بالكفر أن يرجعون عن كفرهم وينبوا ، وقيل : حرام عليهم عدم كفران سعيهم ،
لأنهم لا يرجعون عن الكفر ، «حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ» أي : حرام
عليهم الرجوع إلى الدنيا إلى أن فتحت سد يأجوج ومأجوج فإنهم يحيون ويرجعون إلى
الدنيا حيثئذ للقيامة ، أو تمتنع عليهم الإنابة إلى القيامة ، وإنابتهم في القيامة لا تنفع ،
«وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ» : مرتفع من الأرض ، «يَنْسِلُونَ» ، يسرعون في الحديث^(١)
"هم صغار العيون عراض الوجوه من كل حدب ينسلون" ، «وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ»
أي : القيامة عطف على فتحت ، «فَإِذَا هِيَ» ، جواب الشرط ، وإذا للمفاجأة سد
مسد الفاء فإذا دخل الفاء أيضًا تأكد الارتباط ، «شَاحِصَةً أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا»
فتحت أعينهم لا يكاد تطرف من الهول ، وضمير هي مبهم يفسره الأبصار ، أو ضمير
القصة ، «يَا وَيْلَنَا» أي : قالوا يا ويلنا ، «قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ» : في الدنيا ، «مِّنْ
هَذَا» ، اليوم ما كنا نعلم أنه حق ، «بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ» : لأنفسنا لأنه نبهنا الرسل
فكذبناهم ، «إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ» أي : الأصنام ، «حَصْبُ جَهَنَّمَ»
الحصب ، ما يحصب ويرمى به في النار ، «أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» استئناف ، والسلام^(٢)
للاختصاص فإن استعمال الورود بعلى ، وقيل لها خير وواردون خير ثان ، «لَوْ كَانَ
هَؤُلَاءِ» : الأصنام ، «آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ» : من العابد والمعبود ، «فِيهَا خَالِدُونَ
لَهُمْ» : للكافرين ، «فِيهَا زَفِيرٌ» : أنين ، «وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ» ، عن ابن
مسعود إذا بقي من يخلد فيها جعل لكل منهم تابوت من نار مسمر من نار فلا يظن
أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ، ثم قرأ وهم فيها لا يسمعون ، «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ

(١) رواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم / ١٢ منه . [وقال الهيثمي في "المجمع" (٦/٧) : رواه

أحمد والطبراني ورجاهما رجال الصحيح]

(٢) أي : أنتم خاصون مختصون لها / ١٢ منه .

لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى): الرحمة والسعادة ، ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ قد ذكر^(١) أنه عليه السلام لما تلا " إنكم وما تعبدون " الآية، قيل قد عبدت الملائكة وعزير ومسيح فكل منهم مع ألهتنا في النار فأجاب عليه السلام أنهم إنما يعبدون الشيطان ، ومن أمرهم بعبادته ثم نزل " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى " الآية، استثناء من المعبودين ، فعلى هذا " وما تعبدون " عام مخصص ، ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ هو صوت يحس به ، خير ثان لأولئك أو حال ، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾: دائمون في التنعم ، ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: النفخة في الصور، أو حين يؤمر بالكفار إلى النار، أو حين يطبق النار على أهلها، أو حين يذبح الموت، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة مهئين قائلين ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: للثواب، ﴿يَوْمَ﴾ عامله لا يحزهم أو تتلقاهم أو اذكر ، ﴿تَطْوِي السَّمَاءَ﴾ الطي ضد النشر، ﴿كُطِيَ السَّجَلُ لِلْكِتَابِ﴾ السجل الصحيفة ، صرح بذلك جماهير السلف ، أي: كطي الطومار لأجل ما يكتب فيه ، يعني : تطوى السماء كما يطوى الكتاب الطومار ويسوى ويضعه مطوياً حتي إذا احتاج إلى الكتابة لم يحتاج إلى تسوية ، أو السجل ملك يطوي كتب بني آدم وعلى هذا اللام زيدت للاختصاص ، وفي سنن أبي داود والنسائي أنه كاتب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكثير من الأكابر^(٢)

(١) روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبو بكر بن مردويه عنه أيضاً ورواه غيرهما أيضاً/ ١٢ منه كذا في الوجيز .

(٢) وفي الوجيز وأما أن السجل اسم لكاتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في أبي داود والنسائي ، فقد حكم النقاد أنه موضوع ، وليس في الصحابة من يسمى بالسجل. انتهى،

وفي الفتح قال ابن كثير: هذا منكر جدا، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه ، وإن كان في سنن أبي داود منهم الحفاظ المزي وقد أفرد الشوكاني لهذا الحديث جزءً على

صرحوا بوضعه^(١) ، وقالوا : لا يعرف من الصحابة أحد اسمه السجل ، ﴿كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٢) ، أي : نعيد أول الخلق كما بدأناه ، وأول الخلق عبارة عن
إيجاد العدم فنصب أول نعيد المقدر المفسر بنعيد وكم مفعول مطلق أو كما
مفعول به لنعيد المقدر وما موصولة ، وأول ظرف لبدأنا وحينئذ مفعول بدأنا ضمير لما ،
أي : نعيد مثل الذي بدأناه في أول الخلق حين الإيجاد عن العدم ، ﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ ، أي :
نعد وعدًا علينا إنجازه ، أو مصدر مؤكد ، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ : ذلك البتة ، ﴿وَلَقَدْ﴾^(٣)
كُتِبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ : الزبور ما أنزل من الكتاب ، والذكر اللوح
المحفوظ ، أي : كتبنا في الكتب بعد ما كتبنا في اللوح أو هو كتاب داود ، والذكر
التوراة ، ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ، أو أرض الكفار ، أو بيت المقدس ، ﴿يَرُثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ : المؤمن مطلقاً أو أمة محمد - عليه السلام ، ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ :
القرآن ، ﴿لَبَلَاغًا﴾ : لكفاية ، أو لوصولاً إلى البغية ، ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ : لله لا
للسطان ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾^(٤) : للعالمين : للبر والفاجر ، فإنه رُفِعَ ببركته

= حدة وقد تصدى الإمام ابن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد ، وقال : لا
نعرف في الصحابة أحداً اسمه سجل ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا معروفين وليس فيهم أحد اسمه السجل انتهى / ١٢ .

(١) كآبي الحجاج المزى والإمام أبي جعفر ابن جرير ، وقالوا : موضوع ركيك / ١٢ منه .
(٢) يعني كما أبرزناه من العدم نعيده ثاني مرة أو خبر من أن كل شخص يبعث على هيئته
التي خرج بها إلى الدنيا كما ورد في الحديث : "يحشر الناس حفاة عراة غرلاً كما بدأنا
أول خلق نعيده" / ١٢ وحيز .

(٣) ولما ذكر أن وعده حق لا يتخلف الموعد عنه أعقبه بما هو دال على ذلك فقال : " ولقد
كتبنا في الزبور " / ١٢ وحيز .

(٤) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : ادع الله
على المشركين ، قال : إني لم أبعث لعناً ، وإنما بعثت رحمة " ، ثم بين سبحانه أن =

الخسف والمسح والاستئصال ، أو إرساله للرحمة على الكل ، لكن بعضهم أعرضوا عن الرحمة ، وما تعرضوا لها فحر ما هم وشقاوتهم من سوء شكيمتهم ، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ : لا متعدد كما تقولون ، أو المقصود الأصلي من جميع^(١) الوحي العلم بالوحدانية ، فكأنه ما نزل عليه إلا هذا ، أو ما كافة ، ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ : مخلصون^(٢) العبادة لله ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ : عن الإسلام ، ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾ ، أنذرتكم بالعذاب ، ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ : مستويين في الإعدام ، أو إيذاناً على سواء ، أو حال من الفاعل والمفعول ، أي : مستويان في العلم بما أعلمتكم لا أدري وقته ، وقيل معناه : إن أعرضوا فقل أعلمتكم بما يوحى إلى مستويين في العلم ما كتبت شيئاً عن أحد ، ﴿وَإِنْ﴾ : نافية ، ﴿أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ، من^(٣) العذاب أو القيامة ، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ لا تفاوت عنده في إسراركم الطعن في الإسلام وإجهاركم ، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ : لعل تأخير العذاب ، ﴿فَتَنَّةٌ﴾ : اختبار ، ﴿لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ تمتع إلى أجل قدره الله ، ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم﴾ ، اقض بيننا وبينهم ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ : بالعدل ، أمرٌ باستعجال عذاب هو حقيق لهم ، وقد وقع بيد ، وفي الدعاء أيضاً إظهار لعبوديته والرغبة ، وإن كان المدعو أمراً محققاً ، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾^(٤) ، المسئول منه المعونة ، ﴿عَلَىٰ مَا

= أصل تلك الرحمة هو التوحيد، والبراءة من الشرك فقال : " قل إنما يوحى " الآية / ١٢ فتح .

(١) كما تقول لمن يعتقد قعود زيد : ما زيد إلا قائم ، فلا يلزم أن لا يوحى بالشرائع والقصص / ١٢ منه .

(٢) استفهام يتضمن الأمر بالإخلاص والانقياد / ١٢ وجيز .

(٣) من العذاب وهذا مشعر بأن الإيذان به إيذان العذاب لا لإعلام الوحي / ١٢ وجيز .

(٤) قوله : ربنا مبتدأ والرحمن صفة والمستعان خبره / ١٢ وجيز .

تَصِفُونَ^(١) ، من الحال فإن زعمهم أن راية الإسلام ستتكس عن قريب وتصير
الشوكة لهم فخيّب الله آمالهم وخرب مآلهم.

والحمد لله على ذلك

(١) أخرج البخارى وغيره عن ابن مسعود قال: "بنوا إسرائيل" [يعني: "الإسراء"]، والكهف
ومريم والأنبياء من العتاق الأول وهن من تلادي وعن عامر بن ربيعة قال لرجل من
العرب نزل به: لا حاجة في قطعك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا. يريد هذه
السورة/١٢فتح .

سورة الحج مكية، غير ست آيات وهي:

﴿هذان خصمان﴾ إلى ﴿صراط الحميد﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ هي النفخة الأولى قبل قيام القيامة المسماة بنفخة الفزع ، وهي من أشراط الساعة ، أو المراد قيام القيامة ، بإضافة المصدر إلى فاعله أي : شدة تحريكها للأشياء أو زلزال وأهوال هي فيها فمن إضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع في إجراءاته مجرى المفعول به ، أي : الزموا التقوى ، فإنه لا ينفعكم في هذا اليوم العظيم إلا التدرع بلباس التقوى ، ﴿يَوْمَ تَرَوْنها﴾ الزلزلة ، ونصب يوم بقوله : ﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ، ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ : في حال إرضاعها ، ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ : لشدة ذلك اليوم والذهول ، والوضع لبيان واقع إن كان المراد حين النفخة الأولى ، وإلا فتصوير لهولها ، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ : كأهم سكارى ، ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ : في الواقع ، أو كأهم سكارى من الخمر ، وماهم بسكارى منه ، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(١) فأدهش عقولهم أو فهم سكارى من الخوف ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ﴾ : في جداله ، ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ﴾ عار عن الخير مطلقاً جادل قريش ، وقالوا : محال إعادة الخلق بعدما صاروا تراباً ، وقد نقل أن واحداً منهم قال : أخبرنا عن ربك من ذهب أو فضة أو نحاس فصعقته صاعقة فاخطفتة ، ﴿كُتِبَ﴾ : قضي وقدر ، ﴿عَلَيْهِ﴾ على الشيطان ، ﴿أَنَّهُ﴾ أي الشيطان ، ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ : تبعه ، ﴿فَأَنَّهُ﴾^(٢) : الشيطان ،

(١) وروي أن الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلم تر باكياً أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يضربروا الخيام وقت النزول ، ولم يوقدوا ناراً وهم بين حزين وباك ومفكر — رضي الله تعالى عنهم أجمعين — ، ولما علم أن الناس قسمان من قوله : " يا أيها الناس اتقوا ربكم " فقسمهم المتقون ذكر قسيمهم فقال " ومن الناس " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) في الوجيز الضمائر الثلاثة أيضاً لمن يعني هذا المجادل لكثرة جداله الباطل صار إماماً لمن يتولاه ، والظاهر أن جملة : " أنه من تولاه " مفعول ما لم يسم فاعله ، لكُتِبَ إسناداً

﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ هذا من باب التهكم ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: فانظروا في بدء خلقكم، لتعلموا أن من قدر على هذا قدر على ذلك ﴿مِّنْ تُرَابٍ﴾^(١): خلق آدم منه ، ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾: ذريته من منيّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ فإن النطفة تصير دمًا غليظًا ، ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾: قطعة من لحم قدر ما يمزج ، ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾: تامة ، ﴿وغيرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: ساقطة، أو مسواة ومعيوبة ، ﴿لَنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: كمال قدرتنا على البدائع والحشو فرد منها، ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ أن نقره فلا نسقطه ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت الوضع ، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾^(٢) طفلاً ﴿نصب على الحال والمراد منه الجنس ، ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم المعطوف محذوف كما تقول: جاء زيد ثم عمرو وثم وثم أي: ثم نربيكم لتبلغوا أو تقديره: لنبين لكم ثم لتبلغوا فكأن الأمر التدريجي من النطفة والعلقة والمضغة ليس إلا للتبيين ، وأما تمكينه في الرحم ، ثم إخراجهم لمصلحتين التبيين والإيصال إلى كمال العقل ، أو تقديره ثم فعلنا ما فعلنا لتبلغوا ، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ

= لفظياً، أي: كتب عليه هذا الكلام ولا يذهب عن الخير أن ما ذكرنا في إعراب " أنه من تولاه" معناها واضح من غير إشكال وإغلاق ، ولما حذر الناس من ذلك اليوم وأخبر أن فيهم من يكذب وعرف مآله أقبل إليهم ثانياً — رحمة عليهم مستدلاً لهم على وقوعه بدليلين: نفسي وآفاقي فقال : " يا أيها الناس " الآية/ ١٢ وجيز . [دليل آفاقي تعني دليل كوني قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (فصلت: ٥٣)].

(١) وهذا أول تطور الإنسان في أطوار سبعة ، وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والإخراج طفلاً وبلوغ الأشد والتوفي أو الرد إلى أرذل العمر / ١٢ فتح .

(٢) وأحد يراد به جميع كقوله تعالى: "هؤلاء ضيفي فلا تفضحون" (الحجر: ٦٨) أو قوله تعالى: "أنا رسول رب العالمين" (الشعراء: ١٦).

يَتَوَفَّى: ﴿قَبْلَ الْهَرَمِ﴾ ، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾: الهرم والخرف ،
 ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ، كحال طفولية فسبحان من يعيد كما بدأ ،
 ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: ميتة يابسة شرع في دليل^(١) آخر للبعث ، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا
 عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ﴾: تحركت بالنبات ، ﴿وَرَبَّتْ﴾: انتفخت ، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ
 زَوْجٍ﴾: صنف ، ﴿بِهَيْجٍ﴾: حسن رائق ، ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور^(٢) ، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْحَقُّ﴾ ، بسبب أنه الثابت الموجود فإنه هو الموجد قيل تقديره: ذلك هادٍ بأنه هو
 الحق ، ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى﴾: لولا قدرته على إحياء الموتى ، كيف يحيى النطفة
 والأرض ، ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على مثل ذلك ، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ
 آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ وإلا فيكون ذلك سيما إخراج
 الطفل ، والتبليغ عبثاً لعباً لا طائل تحته - تعالى الله عن ذلك ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي
 اللَّهِ الْأُولَى بَيَانِ حَالِ الْمُقْلَدِينَ ، ولهذا قال: "ويتبع كل شيطان مريد" ، وهذه الآية
 حال المقلدين ، ولذلك يقول ليضل الناس ، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾:
 ليس له علم فطري ، ولا ما يستند إلى دليل عملي ، ولا إلى وحي ، ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾
 كناية عن الكبر أو عن الإعراض حال من فاعل يجادل ، ﴿يُضِلُّ﴾: الناس ، ﴿عَنِ
 سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اللام لام العاقبة ، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: مذلة كقتل وسي ، ﴿وَنَذِيقُهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: المحرق ، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ التفات أو
 تقديره يقال له ذلك ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ بل عادل ومن العدل تعذيب
 المسيء وإثابة المحسن ، والظالم قد يترك عقاب المسيء للعصبية كما يترك إثابة المحسن

(١) أفاقي للبعث ولما كان هذا مشاهدًا للأبصار بخلاف الدليل الأول فإن بعض مراتب

الخلقة فيه غير مرئي أحال الثاني على الرؤية / ١٢ وجيز .

(٢) من خلق بني آدم وإحياء الأرض / ١٢ .

قيل : لما أثبت له خزي الدنيا ، وعذاب الحريق صار مظنة لأن يتوهم أنه ظلم عظيم ، فعكس الأمر ، وقال : لست بظلام كما زعمت وقد مر في سورتي آل عمران والأنفال.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ٥١ ﴾
يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ٥٢
يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ٥٣ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٥٤
مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ٥٥
أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يُرِيدُ ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٧
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ٥٨
هَٰذَانِ حَصَمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رِيبِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ٥٩ يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ٦٠ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّن حديدٍ ٦١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٦٢ ﴾

﴿وَمِنَ (١) النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾: طرف من الدين لا على وسط منه كمن هو على طرف من العسكر إن أحس بظفر قرّ وإلا قرّ ، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: ما يحبه ، ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾: فاستقر على دينه ، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: ما يكره ، ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾: رجع عن دينه ، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ نزلت (٢) في ناس من الأعراب يسلمون فإن وجدوا عام غيث ونتجت فرسهم وما لهم وولدت امراهم غلاماً رضوا به وإلا ارتدوا ، ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِفْعَةَ﴾: جمادٍ لا يقدر على شيء ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: عن المقصد ، ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ (٣): النفع والضرر المنفيان قدرته عليهما والمثبت كونه بسبب من الضر المحقق ، وبمعزلة عن النفع المترتب (٤) ﴿لَيْئَسَ الْمُوَلَّى﴾: الناصر ، ﴿وَلَيْئَسَ الْعَشِيرُ﴾: الصاحب، اعلم أن يدعو الثاني إن كان تأكيداً ليدعو الأول ، فالموصول بصلته مبتدأ وفعل، لزم خبره ، والجملة مستأنفة إخبار من الله ، وإن كان بمعنى يقول ، فالجملة مقول له ، أي : يقول الكافر حين يرى ضر عبادته في الآخرة لمن ضره أقرب إلح، وقيل: اللام في لمن زائدة وقرأ ابن مسعود بلا لام .

(١) ولما ظهر حال الكافر وحال المؤمن المخلصين في الكفر والإيمان أعقبه بحال المذبذب فقال "ومن الناس" الآية / ١٢ وحيز .

(٢) كما في البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنه - / ١٢ .

(٣) الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة ، والتوسل بها إلى الله تعالى قاله القاضى / ١٢ منه .

(٤) قيل: المراد من النفي الأول نفي الضر والنفي الأول نفي الضر والنفع من الأصنام، ولهذا جاء بمن التى هى لذوى العقول فمنهم نفع دنيوى لعبديهم لكن ضرهم أعظم وأقرب / ١٢ وحيز .

﴿إِنَّ^(١) اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ولما ذكر إضلال قوم وإهداء آخرين قال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: لا يُسأل عما يفعل ، ﴿مَنْ^(٢) كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾، أي : نبيّه ، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ كما قال المشركون: ننتظر عليه الدوائر ، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾: يمد حبلًا إلى سماء بيته ، أي : سقفه ، ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعْ﴾: يختنق^(٣) ، ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾: يتأمل ، ﴿هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدَهُ﴾، سماه كيدًا لأنه منتهى ما يصل إليه يده ، ﴿مَا يَغِيظُ﴾: من نصر الله أو غيظه ، وحاصله أن الله ناصر رسوله فمن يتوقع من غيظه خلاف ذلك فليجتهد في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل الممتلى غيظًا، يعني ليس في يده إلا ما لا يذهب غيظه ، وعن بعض معناه فليتوسل إلى بلوغ السماء ، فإن النصر من السماء ثم ليقطع ذلك عنه ، قيل: المراد بالنصر الرزق وحيثئذ الضمير في ينصره لمن ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإنزال ، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: القرآن ، ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ أي : ولأن الله يهدي به من يريد هدايته أنزلناه كذلك ، فالجملة من التعليل والمعلل المحذوف عطف على "كذلك أنزلناه" إلخ، ﴿إِنَّ^(٤) الَّذِينَ

(١) ولما ذكر حال المذبذب وبين حال آلهتهم أعقبه بأن الله هو القادر على كل شيء يثيب المخلصين في الإيمان فقال: "إن الله". الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذم حال من لا يطمئن قلبه في بعض الأحوال ، وفطن في شأن نفسه أنه ربما لا يكون الرب ناصره لشك في دينه كما نقل أن بعض الأعراب قالوا : لو لم يكن الدين منصوراً ينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فأنزل الله تعالى : " من كان يظن أن لن ينصره الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ليختنق سمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه / ١٢ .

(٤) ولما كان ذلك موجباً للسؤال عن حال الفريقين المهدي والضلال أجاب عن ذلك فقال: " إن الذين آمنوا " / ١٢ وجيز .

آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴿١﴾: يقضي بينهم ويجازي كلًّا ما يليق به ، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إن دخل ﴿١﴾ على الخبر أيضاً لمزيد التأكيد ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: فيعرف ما يليق بهم ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ﴾: ينقاد ، ﴿لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٤) وَالنُّجُومُ (٥) وَالْجِبَالُ (٦) وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ (٨) ، وقد (٩) ورد: " الشمس والقمر حين يغيبان يقعان لله ساجدين ثم لا يطلعان حتى يؤذن لهما " ، وفي الحديث (١٠) " لا تتخذوا ظهور الدواب منابر فرب مركوب خير " أو أكثر ذكراً لله من راكمه " ، وبالجملة لا يستحيل سنيُّ مسلم أن يكون للجمادات خشوع وتسبيح ، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾: المسلمون ، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: هم الكفار فإنهم غير منقادين لله فهو بحسب المعنى استثناء من " مَنْ فِي الْأَرْضِ " ، ومن يُجَوِّز

(١) وحسن دخولها لطول الفصل ، قال أبو البقاء: خبر إن الأولى محذوف مثل يقتطفون والمذكور بعده كالتفسير له / ١٢ .

(٢) ولما ذكر أنه هو يقضى بين الخلائق ، أعقبه بما هو دال على أن الجميع في خضوع ، وانقياد سوى بعض من الإنس فقال : " ألم تر أن الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولا يبعد أن يراد بمن في السماوات والأرض كل شيء فيهما ، وجاء بمن لتغليب العقلاء / ١٢ .

(٤) عبدتها حمير / ١٢ .

(٥) عبدته كنانة / ١٢ .

(٦) تميم عبد الديوان ، وقريش ولخم عبد الشعري وطيء عبد الثريا / ١٢ .

(٧) الأصنام المنحوتة بعضها من الجبال ، وبعضها من الأشجار / ١٢ وجيز .

(٨) البقر معبود اليهود / ١٢ .

(٩) وفي الصحيحين بغير هذا اللفظ / ١٢ وجيز .

(١٠) في مسند الإمام أحمد / ١٢ وجيز . [وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام]

استعمال لفظ واحدٍ في حالةٍ واحدة على معنيين مختلفين فلا إشكال عنده فإنه يجمُل السجود على معانٍ ، قيل : وكثير من الناس مبتدأ خبره مقدر ، أي : مثاب بقرينة مقابلة ، وقيل : حق عليه العذاب خبر لهما^(١) أي : وكثير وكثير حق عليه العذاب ، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هَذَا^(٢) خَصْمَانِ﴾ : فوجان مختصمان ، ﴿اخْتَصِمُوا﴾ الجمع نظرًا إلى المعنى ، ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ : في أمره ودينه ، نزلت^(٣) في علي وحزمة وعبيدة بن الحارث بارزوا مع عتبة وشيبة والوليد يوم بدر ، قال علي : أنا أول من يحنوا بين يدي الرحمن للخصومة في القيامة أو في المسلمين واليهود ، قالت اليهود : نحن أفضل ، كتابنا ونبيُّنا أسبق ، فقال المسلمون : نحن أحق بالله آمنا بجميع كتبه ورسله وأنتم تعرفون كتابنا ورسولنا وكفرتم حسدًا ، أو المراد المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا ، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ ثَارٍ﴾ : كما يقطع الثياب بقدر القامة فيخيظ ، وهذا بيان فصل خصومة الكافر ، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ : الماء الحار الذي لو سقطت نقطة على جبال الدنيا لأذابتها خبر ثان ، أو حال من لهم ﴿يُصْنَعُ﴾ : يذاب ، ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ : الأمعاء ، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ : الجملة حال ، ﴿وَلَهُمْ مَّقَامِعٌ﴾ : سياط ، ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ : لو ضرب^(٤) جبل بمقمع منها لتفتت ، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ : من النار ، ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل من منها ، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ : حين خرجوا منها من غير مهلة وتراخ ، وعن الحسن

(١) فيكون وكثير الثاني تكرير، الأول مبالغة في تكثير المحققين بالعذاب/ ١٢ .

(٢) ولما ذكر الفريقين من أهل السعادة وأهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة في الدين فقال : " هذان خصمان " الآية / ١٢ وحيز .

(٣) كما في البخارى / ١٢ وحيز .

(٤) كما روي في مسند الإمام أحمد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم / ١٢ وحيز . [وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام]

أن أيديهم وأرجلهم موثقة لكن يدفعهم ليهيأ فتردهم مقامعها ، ﴿وَذُوقُوا﴾ أي : قيل لهم ذوقوا ، ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ : فيجمع لهم بين التعذيب الجسماني والإهانة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٢﴾ وَهُمْ فِيهَا عَلَى الطُّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُمْ فِيهَا عَلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَافِيَّةِ فِيهِ وَالْآبَادِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذَقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ، هذا بيان فصل خصومة المؤمن ، ﴿يُحَلَّونَ﴾ ، من حليته إذا جعلت له حلياً ، ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ، جمع سوار ، ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ ، بيان لأساور ، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالجر والنصب عطف على لفظ أساور ومحلها أو تقديره ويؤتون لؤلؤا ، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(١) : في مقابلة ثياب أهل النار ، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطُّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ : هدوا إلى مكان لا يسمعون فيه إلا الكلام الطيب وهو سلام الملائكة وتهنئتهم في مقابلة وذوقوا عذاب الحريق ، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ : الحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ، وعن بعض الكلام الطيب القرآن ، أو كلمة التوحيد في الدنيا ، أو قولهم في الجنة : الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وصراط الحميد : الإسلام ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : في ماضي

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة " / ١٢ فتح .

(٢) ولما بين ما للفريقين أكد ذكر الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، ويؤكد بيان جزاءهم فقال : " إن الذين كفروا " الآية / ١٢ وحيز .

الزمان ، ﴿و﴾ ، ﴿يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : يومًا فيومًا ، ﴿وَالْمَسْجِدِ﴾^(١) الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ : لمناسكهم كلهم ، ﴿سَوَاءٌ﴾^(٢) الْعَاكِفُ : المقيم ، ﴿فِيهِ وَالْبَادِ﴾ : الطارئ ، من قرأ برفع سواء فهو خير مقدم ، والجملة ثاني مفعولي جعلناه إن جعلته للناس حالاً وإن جعلت ثاني مفعوليه فهي حال ، ومن قرأ بنصبه فتاني مفعوليه أو حال بمعنى مستويا والعاكف مرتفع به ، ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ : ميل عن القصد ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول ، والباء للحال أو فيه تضمين معنى الهم ، وقيل الباء زائدة ، ﴿بِظُلْمٍ﴾ : بعمدٍ حال أو بدل فالمراد بالإلحاد كل كبيرة أو الشرك ، وعند بعض^(٣) أن من عزم سيئة بمكة أذاقه الله العذاب الأليم ، وإن لم يفعلها وهذا من

(١) عطف على لفظ الله أو على سبيل الله / ١٢ منه .

(٢) قال القرطبي : وأجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه واختلفوا في مكة ، فذهب مجاهد ومالك إلى أن دور مكة ومنازلها يستوى فيها المقيم والطارئ ، وذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة على أن للقدام أن يتزل حيث وجد وعلى رب المنزل أن يتويه شاء أم أبى ، وذهب الجمهور إلى أن دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام ولأهلها منع الطارئ من التزول فيها ، والحاصل أن الكلام في هذا راجع إلى أصليين : الأول ما في هذه الآية هل المراد بالمسجد الحرام نفسه أو جميع الحرم أو مكة على الخصوص .

والثاني : هل كان فتح مكة صلحاً أو عنوة ، وعلى فرض أن فتحها كان عنوة ، وهل أقرها النبي - صلى الله عليه وسلم - في أيدي أهلها على الخصوص أو جعلها لمن نزل بها على العموم ، وقد أوضح الشوكاني هذا في شرحه على المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه إلى زيادة / ١٢ فتح .

(٣) منهم ابن مسعود وقيل الإسناد على شرط البخاري ووقفه عليه أشبه من رفعه ، وفي الفتح قال ابن كثير : هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري ووقفه أشبه من رفعه . انتهى ، وقال بعض : الإلحاد فيه لا والله ، وبلى والله / ١٢ .

خصوصيات مكة، ﴿ثَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ﴾ ^(١) أليم، جواب لمن وخبر إن مقدر أي: نذيقه من عذاب أليم وحذف لدلالة جواب الشرط عليه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٨﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٦٩﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٧١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٧٢﴾ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٧٣﴾ ذَلِكَ

(١) وقد كان دور مكة في الصدر الأول بلا باب ليزل فيه الحاج رضي رب البيت أم لم يرض حتى كثرت السرقة فاتخذ شخص باباً لداره فأنكر عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقال: أتغلق على وجه الحاج، وقد قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد، فقال: أردت حفظ متاعهم فاتخذ الناس بعده الأبواب، وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة من السلف أنه لا يجوز لرب بيوت مكة منع الحاج عن التزول فيها، ولما ذكر صدهم عن المسجد الحرام وعظمه عقبه بحكاية بانيه الدالة على أنه بناء لكل موحد أراد زيارة فهذا البيت ليس للمشركين فكيف لهم صد الناس عن دخول بيتهم فقال: " وإذ بوأنا ". الآية/ ١٢ وجيز. [وكان سهيل بن عمرو هو أول من بوب داره كما قال ابن كثير (٣/ ٢١٥)]

وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿١٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٣﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا^(١) لِإِبْرَاهِيمَ﴾: واذكر زمان جعلنا له، ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: مباءة مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة وذكر مكان البيت لأن البيت ما كان حيث، ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أن مفسرة لبوأننا من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا، أي: ابنه على اسمي وحدي، ﴿وَطَهَّرْ بَيْتِي﴾: من الشرك، ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: حوله، ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾، عبر عن الصلاة بأركانها أو المراد بالقائمين: المعتكفون لمشاهدة الكعبة، وبالركع السجود المصلون، ﴿وَأَذِّنْ﴾: ناد، ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾: بدعوته والأمر به، نقل^(٢) أنه قام على مقامه أو على الحجر، أو على الصفا أو على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس إن ربكم اتخذ بيثا فحجوه، فأجابه كل شيء من شجر وحجر ومن كتب الله له الحج إلى يوم القيامة، وهم في أصلاب آبائهم: لبيك اللهم لبيك، ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة جمع راجل، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: ركبانا حال معطوف على حال، ﴿يَأْتِينَ﴾، صفة لضاامر، وجمعه باعتبار معناه، ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد، ﴿لِيَشْهَدُوا﴾: يحضروا، ﴿مَنَافِعَ﴾: دينية ودنيوية، ﴿لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: عشر ذي الحجة، أو يوم النحر وثلاثة بعده ويعضد الثاني قوله: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، فإن المراد التسمية عند ذبح الهدايا والضحايا، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾، الأمر للاستحباب أو للإباحة، فالجاهلية يحرمون أكلها،

(١) عَيْنًا ١٢/ .

(٢) هذا مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أورده ابن زيد وابن أبي حاتم بطوله / ١٢ منه .

وعند الأكثرين لا يجوز الأكل من الدم الواجب، ﴿وَأَطْعِمُوا﴾^(١) البائسَ الفقيرَ :
 الشديد الفقر المتعفف أو الزمين أو الضرير، ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾: يزيلوا ﴿تَفْشَهُمْ﴾،
 وسخهم بقص الشوارب والأظفار ولبس الثياب وغيرها أو التفت المناسك، ﴿وَلْيُوفُوا
 نُذُورَهُمْ﴾: أعمال حجة من وفى بنذره إذا خرج مما وجب عليه مطلقاً أو ما نذر
 وأوجب على نفسه في الحج، ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: طواف الإفاضة
 والعتيق^(٢) القدم أو أعتق من تسلط الجبابة عليه، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: الأمر ذلك وهو
 وأمثاله يطلق للفصل بين كلامين، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾: بترك ما نهى الله أو
 بتعظيم بيته، والشهر الحرام، والبلد الحرام، والإحرام، ﴿فَهُوَ﴾: التعظيم، ﴿خَيْرٌ لَهُ
 عِنْدَ رَبِّهِ﴾: ثواباً، ﴿وَأُحِلَّتْ﴾^(٣) لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى: آية تحريمه،
 ﴿عَلَيْكُمْ﴾، هي "حرمت عليكم الميتة" الآية في المائدة لا البحائر والسوائب،
 ﴿فَاجْتَنِبُوا﴾^(٤) الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ: الذي هو الأوثان بيان للرجس، وتمييز له
 كعندي عشرون من الدراهم، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٥): الكذب والبهتان ومنه
 شهادة الزور، ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ﴾: مخلصين له ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾، حالان من فاعل

(١) والإطعام واجب وظاهر القرآن وجوب الأكل أيضاً / ١٢ وحيز .

(٢) قال تعالى : " إن أول بيت وضع للناس " قيل: العتيق المحرر لم يملك قط موضعه أو معتق
 من طوفان أو الجحيد من قولهم عتاق الخيل، وعتاق الطير، وقيل: المراد بيت مازاره أحد
 إلا هو عتيق من النار / ١٢ وحيز .

(٣) ولما ذكر الهدايا والضحايا وذكر الحرام منها الذي أحل قريش وبين الحلال الذي أحل
 الله فقال: وأُحِلَّتْ الآية / ١٢ وحيز .

(٤) ولما حث على تعظيم حرمت الله وقول الزور أعظم الحرمات، أتبعه الأمر باجتنباب
 الأوثان، فإن الشرك أقبح كل زور "فاجتنبوا الرجس" الآية / ١٢ وحيز .

(٥) كأنه قال: اجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله / ١٢ وحيز .

اجتنبوا ، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ : سقط ، ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ﴾ : تسلبه ، ﴿الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي﴾ : تسقط ، ﴿بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ : بعيد يعني : من أشرك فقد أهلك نفسه غاية الإهلاك فهو كحيفة اختطفته الطير فتفرق قطعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة ، و أو للتخيير أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلاً ، ومنهم من يمكن خلاصه بالإيمان لكن على بعد^(١) ، ﴿ذَلِكَ﴾ : الأمر ذلك ، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ^(٢) اللَّهِ﴾ : البدن والهدي وتعظيمها استسمانها أو أعمال الحج ، ﴿فَاتَّهَا﴾ : تعظيمها ، ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي : ناشئ من تقوى قلوبهم أو من أعمال ذوى تقوى القلوب ، ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ : في الشعائر وهي البدن ، ﴿مَنَافِعُ﴾ : درها وصفوها وظهرها ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : وقت^(٣) النحر وإن سماها وجعلها هدياً أو الأجل المسمى تسمينها^(٤) وجعلها هدياً فما لم تسم بدنًا ينتفع به ، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ : منحرها ، ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ، أي : عنده يعني : الحرم مطلقاً .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالِلَّهِكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

(١) فإنه لا يؤمن من آلاف ألف إلا واحد / ١٢ وجيز .

(٢) وعن ابن عباس - رضى الله عنه - في الآيات قال الشعائر : البدن والاستسمان والاستحسان والاستعظام ، وينبغي للإنسان أن يترك المشاحة في ثمنها ، روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة وأن عمر أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار / ١٢ فتح .

(٣) هكذا قاله السلف / ١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ .

اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦٠﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَيَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٢﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٦٣﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ، لكل أهل دين ، ﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾ ، بفتح السين مصدر ، أي : ذبح المناسك، وبكسرهما موضع نسك يعني : إراقة الدماء مشروعة في جميع الملل ، وعن بعض لم يجعل الله لأمة منسكاً غير مكة ، ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي : المقصود من المناسك خلوص العبادة له ، ﴿فَالِهَهُمْ﴾ : أنتم ومن قبلكم ، ﴿إِلَهَ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ : انقادوا له لا لغيره ، ﴿وَبَشِّرِ^(١) الْمُخْبِتِينَ﴾ : الخاشعين الراضين بقضائه ، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ^(٢)﴾ : في أوقاتها ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ :

(١) وناسب من اتصف بالإخبات بتبشيره هنا لأن أفعال الحج من نوع الثياب ، وليس مثل الكفن وكشف الرأس والتردد إلى المواضع الغيرة والتلبس بالمشاق التي لا يعلم حكمتها إلا الله مؤذنة بالتواضع التام والاستسلام / ١٢ .

(٢) أمره أولاً بأن يبشر المتضرعين المتواضعين ، وثانياً بأن يبشر من أحسن إلى غيره ، فإن في أفعال الحج النفع اللازم والمتعدي ، ولما ذكر أعمال الحج وكان المشركون يؤذون المؤمنين سيما في أوقات الحج بشرهم بدفع الكافرين عنهم فقال : " إن الله يدافع " الآية/ ١٢ وحيز .

يتحدد إنفاقهم في جهات الخير، ﴿وَالْبَذَنَ﴾: جمع بذنة وهي الإبل أو البقر، وانتصابه على شريطة التفسير، ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام دينه، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: منافع الدارين، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عند نحرها يقول: بسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك، ﴿صَوَافٌ﴾: قائمات على ثلاثة قوائم^(١) معقولة يدها اليسرى أو رجلها اليسرى، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾: سقطت، ﴿جُنُوبُهَا﴾: على الأرض أي: ماتت، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْقَانِعَ﴾: السائل من قنع قنوعاً إذا سأل، أو فقيراً لا يسأل من القناعة، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل أو السائل، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾: مع عظمها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا إناعمنا، ﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ﴾: لن يصل إليه، ﴿لَحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ أي: النية والإخلاص فإنها هي المتقبل منكم، ويجزي عليها نزلت^(٢) في أن الكفرة إذا ذبحوها لآهتهم وضعوا عليها من اللحوم ونضحوا عليها من دمائها، وعن بعض كانوا ينضحون بلحومها ودمائها، فقال بعض المسلمين: نحن أحق أن ننضح البيت، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: كررها تذكيراً لنعمة التسخير وتعليلاً له بقوله ﴿لَتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: تعظموه ولا تثبتوا لغيره الكبرياء، ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: إلى كيفية التقرب إلى الله بها، ولتضمنين تكبروا معنى تشكروا عذاه بعلى، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا أعمالهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ﴾: يبالغ في مدافعة غائلة المشركين، ﴿عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: في أمانة الله، ﴿كَفُورٍ﴾: لنعمته، ومن تقرب بذبيحة إلى غير الله فهو خوان كفور.

(١) نقل عن ابن عباس - رضي الله عنه -.

(٢) روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - / ١٢ منه .

﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ٢٥ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُواتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٢٦ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ٢٧ ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ ٢٨ ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ٢٩ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ٣٠ ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ ٣١ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٣٢ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٣ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ ٣٤ ﴿

﴿أَذِنَ﴾: رخص في القتال ، ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾: يريدون القتال والمسلمون كانوا يتظلمون إلى رسول الله من أذى المشركين ويطلبون القتال قبل الأمر به قيل سماهم مقاتلين باعتبار المال ، ومن قرأ بصيغة المجهول فمعناه: يقاتلهم المشركون ، ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾: بسبب أنهم مظلومون، هي أول آية نزلت^(١) في الجهاد حين هاجروا من

(١) حين هاجروا إلى المدينة كذا ذكره المفسرون، وهو المنقول عن ابن عباس- رضى الله عنه- وعروة ومجاهد وقتادة- رضى الله عنه- وغيرهم ، وروى الترمذى والنسائى عن=

مكة واستدل بهذه الآية على أن السورة مدنية ، «وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ»
 عدة بالنصر وقيل معناه : إنه لقادر على نصرهم من غير قتال لكن صلاحهم في القتال ،
 «الَّذِينَ أُخْرِجُوا» ، بدل من للذين ، أو صفة ، «مِن دِيَارِهِمْ» : مكة ، «بِغَيْرِ
 حَقٍّ» ، موجب استحقوا الإخراج به ، «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» : سوى التوحيد
 الذي هو موجب للتمكين والتعظيم فلا استثناء بدل من حق ، وهذا من باب .

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
 وقيل منقطع ، «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ» : بالجهاد وإقامة الحدود ،
 «لَهَدَمْتُمْ» : خربت ، «صَوَامِعُ» : الرهبان ، «وَبِيْعٌ» : كنائس النصراني ،
 «وَصَلَوَاتُ»^(١) : كنائس اليهود سميت بها لأنهم لا يصلون إلا فيها ، «وَمَسَاجِدُ» :
 للمسلمين ، «يَذَكَّرُ فِيهَا» ، صفة لمساجد خصت بها تفضيلاً ، وقيل : صفة للأربع ،
 «اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» ، يعني : لولاه لهدم في زمن موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام
 مواضع عباداتهم باستيلاء الكفرة ، «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ» : من ينصر دينه
 ويعلي كلمته ، «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ» : على خلقه ، «عَزِيزٌ» : لا يغلبه غالب ،
 «الَّذِينَ» ، بدل أو صفة لمن ينصره ، «إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ» : نصرناهم
 فيتمكنوا من البلدان ، «أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» : مرجع الأمور إلى حكمه وفيه تأكيد لما وعد من

= سفيان الثوري وفيه إشكال لما قال المفسرون : "إن سورة الحج مكية إلا ست آيات وهن
 من قوله : "هذان خصمان" إلى "صراط الحميد" ، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير :
 استدل بعضهم بهذه الآية على أن السورة مدنية ، وهو قول المجاهد والضحاك وقتادة
 وغير واحد/ ١٢ وجيز . [حديث سفيان الثوري صحح إسناده الشيخ الألباني في
 "صحيح الترمذي" (٢٥٣٥)] .

(١) حذف المضاف وأقيم مقامه فالصلوات لا تهدم وإنما أراد بيوت الصلوات .

النصرة، قيل معناه: تصير الأمور إليه بلا منازع فيطل كل ملك سوى ملكه، وقيل: له عاقبة الأمور فيجزئهم، «وَأِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ»: رسلهم فأنت لست بأوحد في التكذيب فلا تغتم، «وَكَذَّبَ مُوسَى»: مع ظهور معجزاته كذبه القبط^(١) لا قومه بنو إسرائيل، «فَأَمَلَيْتُ»: أمهلت، «لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ»: إنكارى عليهم بتبديل منحتهم محنة وعمارتهم خراباً، «فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا» أي: أهلكنا كثيراً من القرى بإهلاك أهلها كأين منصوب بشريطة التفسير أو مرفوع، وأهلكناها خبره، والجملة بدل من فكيف كان نكير ولذلك جاء بالفاء، «وَهِيَ ظَالِمَةٌ»: أهلها جملة حالية، «فَهِيَ خَاوِيَةٌ»: ساقطة، «عَلَى غُرُوشِهَا» على سقوفها أي: خرت سقوفها ثم سقطت حيطانها فوق السقوف، أو خالية مع سلامة غروشها، والجملة عطف على أهلكناها، «وَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ» أي: وكم من بئر عامرة متروكة الاستقاء منها أهلكنا ملاءكها، «وَقَصْرٍ مَشِيدٍ»: رفيع أو محصص محكم أهلكنا أهلها وأخلىناه عن ساكنيه، «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ»، حث على السفر والتفكر في نعم ما حل بالأمم الماضية المكذبة، «فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا»: ما يجب أن يعقل كالإيمان بالرسول، «أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا»: ما يجب أن يسمع كالذكور، «فَإِنَّهَا»: ضمير القصة، «لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ» أي: ليس الخلل بمشاعرهم، «وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» أي: إنما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الأبصار، فكأنه ليس بعمى، ولكن العمى عمى القلوب، وذكر الصدور للتأكيد، ونفي التجوز كأنه قال: ما نفيت العمى عن البصر وأثبت للقلب سهواً، وقلته، بل تعمدت به إياه بعينه تعمداً، «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ»: سخرية

(١) القبط بالكسر: أهل مصر/ ١٢.

وتكدياً لك، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: ينجزه ولو بعد حين كما نجوا يوم بدر، ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: مقدار ألف سنة عند عباده كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه، لأنه قادر لا يفوته شيء بالتأخير أو كيف يستعجلون بالعذاب، وإن يوماً من أيام الآخرة التي هي أيام عذابهم كألف سنة من أيام الدنيا، أو إن يوماً من الأيام الستة التي خلق الله الخلق فيها كألف سنة فالمدد الطوال عندكم قصار عنده، أو كيف يستعجلون، وإن يوماً من العذاب بشدته كألف سنة! ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾: أمهلتهم كما أمهلتكم وإعرا به مثل ما مر، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: مثلكم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: بالعذاب، ﴿وَأَلَيَّْ الْمَصِيرُ﴾: فأجازيهم.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ١٠١ ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ١٠٢ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ١٠٣ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ١٠٤ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ١٠٥ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا السَّلَامَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٠٦ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ١٠٧ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ١٠٨ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ١٠٩

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾^(١) مُبَيِّنٌ: ليس إلى من حسابكم شيء، أمركم إلى الله إن شاء عجل العذاب ، وإن شاء أخر وإن شاء تاب عليكم وإن شاء أضل ، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: عما فرط عنهم ، ﴿وَرَزَقٌ كَرِيمٌ﴾: هو الجنة ، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾: بالرد والإبطال ، ﴿فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾: مسابقين بزعمهم ظانين أنهم يسبقوننا فلا نقدر عليهم ، أو سابقين لمن يسعى في تحقيق آياتنا وإثباتها ، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾^(٢) الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يطلق أيضاً على من يأتيه بإلهام أو منام قيل هو من له شريعة محددة ، والنبي أعم أو هو من أنزل عليه كتاباً والنبي أعم ، ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾: أحب شيئاً واشتراه من غير أمر الله ، أو معنى تمنى قرأ^(٣) وتلا ، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: وجد إليه سبيلاً أو ألقى في قراءته فأدخل

(١) منذر من عذاب الله لا مرسل بالعذاب فلا معنى للاستعجال مني فإن استعجلتم فاستعجلوا من المرسل لا من الرسول ، ذكر النذارة دون البشارة ، والتقسيم بعدها يقتضيها ، لأن الحديث مسوق للمشركون ، وإنما ذكر المؤمنين ليغبط المشركون وليحرضهم على الميل إلى نيل تلك الدرجة الرفيعة / ١٢ وجيز .

(٢) وقرأ ابن مسعود - رضى الله عنه - : " ولا نبي ولا محدث " وعن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مثله وزاد فنسخت: " محدث " قال: والمحدثون صاحب يس و لقمان ومؤمن آل فرعون وصاحب موسى هذا ما في الفتح ، وفي صحيح البخارى في مناقب عمر - رضى الله عنه - قال ابن عباس: من نبي ولا محدث وقال ابن حجر في شرحه أخرجه سفيان بن عيينة / ١٢ .

(٣) قال البغوى: وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: تمنى أى: تلا وقرأ كتاب الله - تعالى: " ألقى الشيطان في أمنيته " أى: تلاوته قال الشاعر: في عثمان حين قتل:

تمنى كتاب الله أول ليله وأخرها لاقى حمام المقادر

انتهى وذكر البخاري عن ابن عباس / ١٢ .

في مقروئه ما ليس منه قد ذكر أكثر المفسرين - بل كلهم - قصة^(١) الغرائق بروايات كلها مرسلة أو منقطعة إلا رواية واحدة عن ابن عباس فإنها متصلة ، وقد أنكر كثير

(١) روى القصة ابن أبي حاتم وابن جرير والبخاري والبيهقي في كتاب دلائل النبوة هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح قال البزار : هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسناد متصل ، وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة : إن هذه القصة من وضع الزنادقة ، قال ابن كثير قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرائق ، وما كان رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، وما ذكره المفسرون عن ابن عباس فمن رواية الكلبي وهو ضعيف جداً ، بل متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي وبنو الحافظ ابن حجر على ثبوت أصلها في الجملة ، وقال : إن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح لكنها مراسيل . انتهى ما في الفتح ، وقال الشيخ سليمان الجمل بعد ما ذكر قول الرازي في تكذيب هذه القصة بالوجوه العقلية والنقلية : وأن لا أصل لها قال : وليس كذلك ، بل لها أصل فقد خرجها ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابن بشر عن سعيد بن جبير ، وذكر طرقاً كثيرة إلى أن قال : وكل من طرقها سوى طريق ابن جبير إما ضعيف وإما منقطع ، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح إلى أن قال : وقال الحافظ ابن حجر - بعد ما ذكر أقوال الطاعنين : وجميع ذلك لا يتمشى على قواعد المحدثين فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح ، وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض . انتهى ما ذكر سليمان الجمل [قال ابن كثير (٣/٢٣١) : وقد ذكر محمد بن إسحاق في "السيرة" بنحو من هذا وكلها مراسيل والله أعلم.] ملخصاً قوله تعالى : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته " هذا فيه قولان ، والمأثور عن السلف

= يوافق القرآن بذلك والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل عن الزيادة في سورة النجم بقوله: " تلك الغرائيق العلى ، وإن شفاعتها لترتجى ، وقالوا : إن هذا لم يثبت ومن علم أنه ثبت قال: هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم - ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضاً ، وقالوا في قوله: "إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" هو حديث النفس ، وأما الذين قدرُوا ما نقل عن السلف فقالوا: هذا منقول نقلاً ثابتاً لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " إلى قوله: " إلى صراط مستقيم " فقالوا : الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث ، والقرآن يوافق ذلك فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكام آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته وتميز الحق عن الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها ، وجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم إنما يكون ذلك ظاهراً يسمعه الناس لا باطناً في النفس والفتنة التي يحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ ، وهذا النوع دل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأبعده عن الهوى من ذلك النوع فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما أمر عند الله ، وهو صدق في ذلك فإذا قال عن نفسه ، إن الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ ، وإن ذلك مرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك ، كان أدل على اعتماده للصدق وقوله الحق وهذا كما قالت عائشة -رضي الله تعالى عنها: "لو كان محمد كاتماً شيئاً من الوحي لكتب هذه الآيات ، "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" (الأحزاب: ٣٧) ، ألا ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدل على تحريه للصدق وبرأته من الكذب ، وهذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليماً ، ولهذا كان تكذيبه كفراً محضاً بلا ريب انتهى ما قاله شيخ الإسلام في شرح دعوة ذي النون عليه السلام / ١٢ .

من العلماء هذه الحكاية وبالغوا في الإنكار وطعنوا في الرواة ، و قال بعض : إنها من وضع الزنادقة وهي أنه عليه السلام تمنى أن يأتيه من ربه ما يقرب بينه وبين قومه رجاء أن يسلموا ، فكان يوماً في محضر قريش إذ أنزل عليه سورة "والنجم" فأخذ يقرأها ، فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في قراءته فسبق لسانه : سهواً أو تكلم الشيطان فحسب أن القارئ رسول الله أو نام نومة فجرى على لسانه تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فلما وصل قراءته إلى السجدة سجد فسجد من في النادي من المسلم والمشرک ، وفرح المشركون فأتاه جبريل وقال : ماذا صنعت؟! لقد تلوت ما لم آتک به عن الله فحزن حزناً وخاف خوفاً فعزاه الله بتلك الآية يعنى : ما أنت بأوحدی بهذا ، بل مكنا الشيطان ليلقي في أمانهم كما ألقى في أمانيك ابتلاء منا ليزيد المنافقون شكاً وظلمة ، والمؤمنون يقيناً ونوراً ، ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ﴾ : يزيل ويطل ، ﴿مَا يُلْقِي^(١) الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ : يثبتها بحيث لا تشبهه بكلام غيره ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ : فيما يفعل ، ﴿لِيَجْعَلَ﴾ ، أي : مكنا الشيطان منه ليجعل ، ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ : ضلالة ، ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ : شك ونفاق ، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ : المشركين فإنهم لما سمعوا نسخ قول الشيطان ازدادوا غيظاً وظنوا أنه ندم مما ألقى من عند نفسه ، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ : المنافقين والمشركين ، ﴿لَقِي

(١) وقد قيل في تأويل الآية : إن المراد بالغرائق الملائكة ، ويرد بقوله الآتي : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان " أي : يبطله وشفاعة الملائكة غير باطلة ، وقال مجاهد : إذا تمنى : إذا تكلم ، وأمنيته كلامه ، فأخبر تعالى في هذه الآية : إن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاله ، لأنه معصوم وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدرته وسعة علمه وشدة ساعدته في النظر فصوب هذا المعنى قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري / ١٢ فتح.

شِقَاقٌ: خلاف وعناد ، ﴿بَعِيدٌ﴾: عن الحق شديد ، ﴿وَلْيَعْلَمَ﴾: عطف على
 ليجعل ، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: القرآن وهم المسلمون ، ﴿أَنَّهُ﴾: ما أوحينا إليك ،
 ﴿الْحَقُّ﴾: الصدق ، ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: حال أو خير بعد خير ، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بالقرآن
 أو بالله ، فإن العقلاء لما رأوا أنه أعرض عما تكلم به ، ولم يعبا ببيان خطأه ولم يبال
 بمزيد عداوتهم مع كثرة حرصه بألفتهم ، علموا أن الشيطان دخل في أمنيته فنسخه الله ،
 وعصم نبيه ، فزادوا يقينهم وثبتوا (*) دينهم ، ﴿فَتُخْبِتُ﴾: تخشع ، ﴿لَهُ﴾: لله ،
 ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: واطمأن ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: في
 الدارين ، ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ، ﴿مَنْهُ﴾: من القرآن ، أو مما
 ألقى الشيطان قائلين : ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾:
 القيامة أو الموت ، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: كيوم بدر
 فإنه يوم لا خير للكفار فيه كما يقال: ربح عقيم ، أو المراد يوم القيامة ، فإنه يوم لا ليل
 له فكأنه قال: تأتيتهم الساعة أو يأتيتهم عذابها فوضع الظاهر موضع المضمر للتسهيل ،
 ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ﴾: لا منازع له بوجه ، ﴿يُخَكِّمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين المؤمنين والكافرين ،
 ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن
 عقابهم مسبب من أعمالهم بخلاف إثابة المسلمين فإنها فضل .

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا
 وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ لَيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ بَرَضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ
 حَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ

(٥٠) وفي نسخة (ن): ثبتوا على دينهم.

إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٥﴾

﴿وَالَّذِينَ﴾^(١) هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: تركوا الأوطان في طريق طاعته ورضاه ،
﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾: فيها ، ﴿أَوْ مَاتُوا﴾: حُتِفَ أَنْفُهُمْ ، ﴿لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾^(٢) ﴿هم أحياء عند ربهم يرزقون ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: فإنه يرزق من يشاء بغير حساب ، ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ﴾^(٣) : لما فيه ما تشتهي أنفسهم ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوال الفريقين ، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة ، ﴿ذَلِكَ﴾^(٤) : الأمر ذلك ، ﴿وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يزد على مثله سمي ابتداء الإضرار عقاباً للازدواج فإن العقاب جزاء من عَقِبَ فَعِلَ ، ﴿ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ﴾: بعقوبة أخرى ، ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ ، فإنه مظلوم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾: للمنتصر ، ﴿غَفُورٌ﴾: إن زاد في الجزاء، نزلت في رهط من المسلمين لقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم فناشدهم

(١) ولما حكم بين المؤمن والكافر عقبه بالحكم بين الشهيد ومن مات حُتِفَ أَنْفُهُ من المؤمنين الكاملين فقال "والذين هاجروا" الآية/ ١٣ .

(٢) قد مر بعض كبار الصحابة على قبرين أحدهما مقتول والآخر متوفى، فقال: "لا أبالي من أي حفرتهما بعثت، اسمعوا كتاب الله "والذين هاجروا في سبيل الله". الآية/ ١٢ منه .

(٣) لا يبعون عنها حولاً لما ذكر الرزق ذكر المسكن الذي فيه الرزق/ ١٢ وحيز .

(٤) ولما ذكر ثواب من هاجر أخبر بأنه ينصرهم في الدنيا فقال: "ذلك ومن عاقب" الآية/ ١٢ وحيز .

المسلمون أن لا يقاتلوا فأبوا فقاتلوا وبغوا فنصر الله المسلمين، ﴿ذَلِكَ﴾: النصر،
﴿بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، بسبب قدرته على
تغليب الأمور بعضها على بعض يداول بين المتعادين كما يزيد في أحد الملوك^(١) ما
ينقص من الآخر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: فيجازيهم بما يسمع ويصير،
﴿ذَلِكَ﴾: القدرة التامة والعلم الكامل، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثابتة إلهيته،
﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ وكل ما يدعون إلهًا دونه باطل الألوهية فلا
إله سواه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٢): لا شيء أعلى منه وأكبر شأنًا فلا محالة
يكون قديرًا عليمًا، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضِرَةً﴾: برفع تصبح لأنه بعد استفهام بمعنى الخبر أي: قد رأيت فلا يكون له
جواب والعدول إلى المضارع للدلالة على بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان، ﴿إِنَّ اللَّهَ
لَطِيفٌ﴾: واصل علمه أو لطفه إلى كل جليل ودقيق، ﴿خَبِيرٌ﴾^(٣): بالتدبير، ﴿لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾: في ذاته، ﴿الْحَمِيدُ﴾:
المستوجب للحمد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجَرَّى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ

(١) الملوك: الليل والنهار / ١٢ منه .

(٢) العالي على كل شيء والعظيم الذي كل شيء دونه / ١٢ معالم .

(٣) ولما ذكر ما دل على القدرة التامة الظاهرة ذكر مثلها من القدرة الكاملة المشاهدة فقال:

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ " الآية / ١٢ وحيز .

(٤) أي: إنه ذو خيرة بتدبير عباده وما يصلح لهم / ١٢ فتح .

﴿٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿١١﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ^(١)﴾: فتنفعون به ، ﴿وَالْفُلْكَ﴾ عطف على ما ، ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ ، حال ، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾: من ، ﴿أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِيَدِنِهِ﴾: بمشيئته كما تقع يوم القيامة ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث أثبت لهم المنافع ، ودفع عنهم المضار ، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾: بعد ما كنتم جهاداً تراباً ونطفة ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: في الآخرة ، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾: جحوداً لنعم ربه ، ﴿لِكُلِّ^(٢) أُمَّةٍ جَعَلْنَا

(١) هذه نعمة أخرى ثالثة ذكرها الله سبحانه فأخبر عباده بأنه سخر لهم، ذلل ما يحتاجون إليه من الدواب والشجر والأنهار والحجر والحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب والحمل عليه والنظر إليه وجعله لمنافعهم / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر أن الإنسان كفور عقبه بما يدل على كفرانه فقال: " لكل أمة " الآية / ١٢ وحيز .

مَنْسَكًا ﴿١﴾ أي: لكل أمة نبي جعلنا شريعة، ﴿هُم نَاسِكُوهُ﴾: عاملوه، ﴿فَلَا يُنَازِعُكَ﴾: سائر أرباب الملل، ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: في أمر الدين أو المراد هُيْه - عليه السلام - عن منازعتهم ، أي : لا تلتفت إلى منازعتهم ولا تمكنهم من المنازعة ^(١) ، أو معناه : لكل قوم جعلنا وقدرنا طريقة هم فاعلوها البتة بحكم القدر فلا تتأثر منازعتهم ^(٢) فيك ولا يصرفنك عما أنت عليه من الحق نحو "ولكل وجهة هو موليها" (البقرة: ١٤٨)، قيل : نزلت فيمن جادل وقال: ما لكم تأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله؟! ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى عبادته ، ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾: طريق موصل إلى المقصود، ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾: مرأء وعناداً، ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: هو أعلم بما تفيضون فيه ، وكفي به شهيداً بيني وبينكم، ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ^(٣) هذا خطاب من الله لرسوله وللمجادلين ، أو من تنمة ما يؤمر بأن يقول لهم أي قل: الله يفصل بينكم أيها الكافرون والمؤمنون فتعرفون حينئذ الحق من الباطل نحو: "فلذلك فادع واستقم كما أمرت" إلى قوله "الله يجمع بيننا وإليه المصير" (الشورى: ١٥)، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ ما في السماء والأرض، ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: إثباته في كتاب وحفظه، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: فلا يهمنك جدالهم لأننا قدرناه وهو بمرأى منا ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لا برهان سماوي ولا دليل عقلي في عبادته، بل اختلقوه واءتفكوه وتلقوا عن ضلال أسلافهم، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: ليس

(١) فالمراد هُيْه عن الكينونة على وصف يكون سبباً لمنازعتهم / ١٢ منه .

(٢) فيكون من نازعته فزعرتها إذا غلبته / ١٢ .

(٣) والاختلاف ذهاب كل واحد من الفريقين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر / ١٢ معالم .

لهم ناصر ينصرهم من نكال الله لأنهم وضعوا عبادة جهاد موضع عبادة الله ، ﴿وَإِذَا^(١) تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ : على أمتك ، أو على المشركين ، ﴿آيَاتِنَا بَيِّنَات﴾ : ظاهرات الدلالة على العقائد الحقّة ، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ : الإنكار ، أو العبوس والكراهة ، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ : يبطشون ، ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ^(٢) آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِّنْ ذٰلِكُمْ﴾ : بطشكم وقهركم عليهم ، أو من القرآن الذي تكرهونه ، ﴿النَّارُ﴾ كأنه قيل : ما هو؟ قال : النار أي : هو النار ، ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استئناف ، أو النار مبتدأ وهذه الجملة خبره ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ : النار .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٢﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٣﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٤﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٥﴾﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ

(١) إذا كان المراد من قوله : " إذا تتلى عليهم " المشركين فقوله : " في وجوه الذين كفروا المنكر " من باب ، وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بأن إنكارهم لكفرهم وجهلهم / ١٢ منه .

(٢) وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز أو من السنة الصحيحة مخالفاً لما اعتقده من الباطل والضلالة رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين والله ناصر الحق ومظهر دينه وهو حسبنا ونعم الوكيل / ١٢ فتح .

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٦﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ﴾ بين قصة مستغربة كالمثل السائر، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾: للمثل، ﴿إِنَّ (١) الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تدعوهم أي: الأصنام، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾: لن يقدورا على خلقه مع صغره، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا﴾: الأصنام، ﴿لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ (٢) مِنْهُ﴾، أي: بل هم أعجز من أن يخلقوا، فإنهم لا يقدرّون على استنقاذ ما اختطف هذا المخلوق الضعيف عنهم، ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ (٣)﴾: الصنم أو الذباب أو العابد، ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: الذباب أو الصنم أو المعبود ووجه الإطلاق الطالب والمطلوب على كل ظاهر، ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾: ما عظموه وما عرفوه، ﴿حَقَّ قَدْرُهُ﴾: حق عظمته ومعرفته، حيث أشركوا به شيئًا لا يقاوم أضعف مخلوقاته، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: قادر على كل شيء، ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يغلبه غالب، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾: يختار، ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾: يبلغون

(١) هذا دليل آخر على كفرانهم / ١٢ وحيز .

(٢) أي: الأصنام وهذا مثل لأي شيء يعبد غير الله من ذوي العقول أيضًا / ١٢ وحيز .

(٣) عن ابن عباس . الصنم والذباب ونقل الزمخشري عنه إنهم كانوا يطلون أصنامهم

بالزعفران ورءوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى

فيأكله / ١٢ وحيز .

رسالاته إلى عباده لما قرر الوحداية شرع يثبت أن في الملك والبشر رسلاً، لا الملك بنات الله، ولا البشر غير مستحقين للرسالة، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: مدرك للجزئيات، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: عالم بواقع الأشياء ومترببها، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، لأنه خالقها ومالكها فالله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا يُسئل عما يفعل، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: أنواع العبادات، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: ما هو أصلح كصلة الأرحام ومكارم الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ أي: افعلوا كل ذلك راجين الفلاح من فضل الله لا متكلين على الأعمال واثقين عليها، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾: في سبيله، ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾: أقيموا بمواجهه وشرائطه على وجه التمام بقدر الوسع، وإضافة الجهاد إلى الله للملابسة، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: اختاركم يا أمة محمد لنصرة دينه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: ما كلفكم ما لا تطيقون فلا عذر لكم في تركه وقد ورد^(١) "بعثت بالحنيفية السمحة"، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ^(٢)﴾، أي: أعني بالدين ملة إبراهيم نحو: الحمد لله الحمد، أو مصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف مضاف، أي: وسع دينكم توسعة ملته وهو أبو نبينا ونبينا كالأب لأمتيه أو لأن أكثر العرب من ذريته فهو من باب التغليب، ﴿هُوَ﴾: أي^(٣): الله، ﴿سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: بهذا الاسم الأكرم، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: في سائر الكتب، ﴿وَفِي هَذَا﴾:

(١) في الصحيحين / ١٢ وحيز . [في هذا العزو وهم، فليس الحديث في الصحيحين، وإنما هو في المسند (٢٦٦/٥)]

(٢) وهذا من باب التهيج، فإن أكثر القلوب راغب في اتباع آباءه سيما قريش، فإنهم يدعون أنهم على دين إبراهيم مفتخرين بذلك، أي: اتبعوا ملة إبراهيم، فإنه هو الناهي عن الشرك، ومعروف بأنه كاسر الأصنام / ١٢ وحيز.

(٣) هكذا فسره ابن عباس - رضي الله عنه - ومجاهد - رضي الله عنه - وعطاء والضحاك والسدي وقتادة ومقاتل وابن حبان / ١٢.

القرآن، وفي الشواذ الله بدل هو، وفي النسائي: "من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم، قال رجل: يا رسول الله: وإن صام وصلى؟ قال: نعم وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنون عباد الله"، وقيل^(١) الضمير لإبراهيم فإنه دعى بقوله: "ومن ذريتنا أمة مسلمة لك" (البقرة: ١٢٨)، وفي هذا معناه وفي القرآن بيان تسمية إياكم بهذا الاسم حيث حكى فيه مقالته، أو لما كان تسميتهم في القرآن بسبب تسميته من قبل كأها منه، وفيه بعد ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: يوم القيامة بأنه بلغكم رسالته ولعصمته تقبل شهادته لنفسه قيل: يشهد عليكم بطاعة من أطاع وعصيان من عصى، ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: بأن الرسل بلغتهم، ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: أي: إذا خصكم^(٢) بتلك الكرامات فتقربوا إليه بأنواع الطاعات، ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾: وثقوا، ﴿بِاللَّهِ﴾ لا إلى سواه، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو فإنه لا مولى ولا نصير على الحقيقة سواه.

(١) هذا قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم / ١٢ منه.

(٢) يعني: إن التعقيب بالفاء مشعر بالعلية، لأن الأوصاف مناسبة للحكم، وهذا مشعر بترجيح القول بأن الضمير لله لا لإبراهيم / ١٢ منه.

سورة المؤمنون مكية

آياتها مائة وتسع عشرة وعند الكوفيين ثمانى عشرة

وهي ست ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ
مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ
عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ
غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرِضِ وَإِنَّا عَلَى
ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ
فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ

تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، ظفروا بالمراد وفازوا بأمانيتهم ، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ، خائفون من الله ساكنون ، وعلامته ألا يلتفت ^(١) يمينا وشمالا ولا يرفع البصر عن موضع السجود ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ : عن الشرك ^(٢) ، أو عن كل ما لا يعينهم من قول وفعل ، ﴿مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي : زكاة ^(٣) الأموال ، فإن قيل السورة مكية ، والزكاة قد فرضت بالمدينة قلت : قال بعض ^(٤) المحققين فرضت بالمدينة نصابها وقدرها ، وأما أصلها ^(٥) فقد كان واجبا ^(٥) بمكة ، أو المراد زكاة النفس وتطهيرها ^(٦) من الرذائل ، والزكاة اسم مشترك بين المعني والعين فإن

(١) لشغل قلوبهم والأصح أنه من فرائض الصلاة ، وهو أول علم يرفع من الناس كذا نقل عبادة بن الصامت/ ١٢ وجزير .

(٢) هكذا فسره كثير من السلف/ ١٢ وجزير .

(٣) قيل : العين المخرج لا يسمى زكاة ، فالتعبير بالفعل عن إخراجه أولى منه بالأداء فلا يراد ما أورده من لا ذوق عنده من العربية أن مؤدون هو الفصاحة لا فاعلون ، وفي إشعار الفصحاء الفاعلون للزكاة ولا يبعد أن " فاعلون " مؤذن بأن هذا شغلهم ليسوا بتاركيين كما قالوا في : " اعملوا آل داود شكرا " (سبأ: ١٣) / ١٢ وجزير .

(٤) لعله أراد صاحب الوجيز / ١٢ .

(٥) في الأصل (صلها) .

(٥) قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية " وآتوا حقه يوم حصاده " (الأنعام: ١٤١) / ١٢ منه .

(٦) نحو : " قد أفلح من زكاها " (الشمس: ٩) ونحو : " ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة " (فصلت: ٦، ٧) على القولين في تفسيره/ ١٢ منه .

أريد الثاني فهو على حذف مضاف ، أي : لأداء الزكاة فاعلون ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي : حافظون لفروجهم من أن يقعن على أحد ، ﴿إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ﴾ أو حافظون بمعنى لا يبذلون ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ : أجزاها من بحرى
غير^(١) العقلاء ، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الضمير لمن دل عليه الاستثناء ، أي : غير
الحافظين من أن يقعن على الأزواج والسرايى ، ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ^(٢) ذَلِكَ﴾ :
المستثنى ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ : الكاملون فى العدوان ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ، إذا أؤتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا أوفوا ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى
صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ : يواظبون لا يتركونها بوجه وذكر المضارعة لما فى الصلاة من
التجدد الدائمى ، ﴿أُولَئِكَ﴾ : الجامعون لتلك الصفات ، ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ : هم
أحقاء بأن يسموا ورثاً دون غيرهم ، ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ : لما أنهم من
أعمالهم نالوا الفردوس كأنهم ورثوها منها أو يرثون من الكفار منازلهم فى الجنة ، وقد
ورد "ما منكم"^(٣) إلا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فإن مات ودخل النار

(١) ولم يقل من ملكت / ١٢ .

(٢) قال سليمان الجمل الاستمناء باليد حرام عند الجمهور ، وكان أحمد بن حنبل يميز ذلك
لأنه فضلة فى البدن يجوز إخراجها لحاجة كالفصد والحجامة ، لكن بشروط ثلاثة : أن
يخاف الزنا ، ويفقد مهر حرة أو ثمن أمة كما ذكر فى كتاب المنتهى ، وأن يفعله بيده
ومفهومه فيه تفصيل وهو أنه إن كان بيد زوجته أو أمته جاز وإن كان بيد أجنبية حرم
إلا من الرازي انتهى .

وفى الفتح وللشوكاني فى ذلك رسالة سماها بلوغ المنى فى حكم الاستمناء ، وذكر فيها
أدلة المنع والجواز وترجيح الراجح منهما / ١٢ .

(٣) رواه ابن أبى حاتم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
[ظاهر هذا العزو يوهم أنه لم يخرجهم أحد من أهل السنن ، وهو خطأ فقد أخرجه ابن =

ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله: "أولئك هم الوارثون"، أو مبالغة في استحقاقهم، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: الفردوس^(١) أعلى الجنة ، ولهذا أنت ضميره ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي : جنسه ، ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾، سمي المني سلالة ، لأنه خلاصة سُلَّت من الظهر ، ﴿مَنْ طِينٍ﴾ أي : من آدم فمن في الموضعين ابتدائية ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾: السلالة، وتذكير الضمير باعتبار الماء والإنسان ، ﴿نُطْفَةٍ﴾ بأن خلقنا منها أو معناه خلقنا آدم من خلاصة من طين ، ثم جعلنا نسله من نطفة فمن طين على هذا للبيان، أو صفة لسلالة أو متعلق بها ، لأنه بمعنى مسلوقة ، وضمير جعلناه للإنسان بحذف مضاف ، ﴿فِي قَرَارٍ﴾: مستقر ، ﴿مَكِينٍ﴾: حصين يعني الرحم، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: قطعة لحم ، ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾: بأن صلبناها ، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: مباينًا للخلق الأول مباينة بعيدة فإنه كان جمادًا فصار حيوانًا سميعًا بصيرًا وثم هنا ، وفي

ماجه (٤٣٤١) بسند صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣)، والصحيحة (٢٢٧٩)، وفي مسلم "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى" وفي لفظ له "إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فكاكك من النار" ١٢/ منه . [أخرجه مسلم في "التوبة"، (٦١٢/٥) ط الشعب]

(١) في الصحيحين "إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن" ١٢/ منه . [أخرجه البخاري في "التوحيد"، (٧٤٢٣)، وليس عند مسلم]

(٢) ولما ذكر أن المتصفين بتلك الأوصاف الحميدة هم وارثون للفردوس فتضمن ذلك المعاد الأخروي ذكر النشأة الأولى يستدل بها على صحة النشأة الأخرى فقال : "ولقد خلقنا" الآية/ ١٢ وحيز .

الأولين لكثرة تفاوت الخلقين ، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾: تعالى شأنه ، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: خلقاً وحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ، والخالقين^(١) هنا بمعنى المقدرين ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ^(٢) لَمَيْتُونَ﴾ : صائرون إلى الموت البتة ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: للجزاء ، ﴿تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سماوات سماها طرائق ، لأن كل شيء فوقه مثله فهو طريقة ، وقيل: لأنها طرق الملائكة ، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: بل نعلم جميع المخلوقات جلها ودقها فتدبر أمرها أو المراد من الخلق السماوات فإنه حفظها من الخلل والسقوط ، وقيل : المراد منه الإنسان ، أي ما غفلنا عنهم فإننا خلقنا السماوات لمنافعهم ، ﴿وَأَنْزَلْنَا^(٣) مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانبه أو من نفسه ، ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار معين أو بمقدار ما يكفيهم ، ﴿فَأَسْكَنَاهُ﴾ أي : فجعلنا الماء ثابتاً ، ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ أي : نحن قادرون على وجه من وجوه الذهاب^(٤) إما التصعيد أو التنشيف أو الإفساد أو غيرها ، ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ ، بالماء ، ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ : في الجنات ، ﴿فَوَاكِهَ

(١) فإنه هو الخالق وحده كما في الحديث: " لا إله إلا هو لا خالق غيره " ١٢/ منه .

(٢) نبه على عظيم قدرته بالاختراع ثم بالاعدام ثم بالإيجاد وقد بالغ في إثبات الموت أكثر من البعث مع أن الموت لا ينكره أحد؛ تنبيهاً على أن الموت هو الذي يليق بأن لا ينساه ولا يغفل عن تربيته ، ويكون بين عينيه فلا يعمل عمل مخلد ولا يحسب أن ماله أحلده ، ومن كان كذلك تحقق عنده دار البقاء فلا حاجة إلى تأكيد في إثباته ، فلهذا قيل : العلم بالبعث من العقل عند من اعتقد أن الله لا يظلم مثقال ذرة لكن أكثر الخلق عاملون عمل الخالدين في الدنيا فالمناسب في إثبات الموت مزيد التأكيد/ ١٢ وحيز .

(٣) قال ابن عباس - رضي الله عنه - : إن الأمطار النافعة تنزل من بحر هو في السماء وقد مر في أصل التفسير/ ١٢ منه .

(٤) إشارة إلى نكتة تنكير ذهاب/ ١٢ منه .

كَثِيرَةٌ: تتفكهون بها ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: من زرع الجنات وثمارها تأكلون ، أو منها تحصلون معاشكم كما تقول : أنا أكل من حرفتي ، ﴿وَشَجَرَةً﴾ ، عطف على جنات ، ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ ، الطور : الجبل وهو مضاف إلى البقعة أو المركب اسم لجبل موسى ، والزيتون فيه أكثر وأحسن ، وقيل: أول ما نبت نبت فيه ، ﴿تَنْبِتُ بِالذُّهْنِ﴾ ، أي: متلبساً به مستصحباً له أو الباء للتعدية ، ومن قرأ تنبت من باب الإفعال فهو بمعنى نبت أو تقديره تنبت زيتونها متلبساً بالدهن ، ﴿وَصَبْغٍ لِّلَّاكِلِينَ﴾ ، معطوف على الدهن ، والصبغ الإدام الذي يغمس فيه الخبز أي : تنبت بشيء جامع بين كونه دهنًا وكونه إدامًا، وعن بعض الدهن : الزيت والإدام نفس الزيتون ، ﴿وَإِنَّ^(١) لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ : تعتبرون بها ، ﴿تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ : من الألبان أو من العلف فإن اللبن منه يحصل ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ : من ظهورها وأصوافها ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا﴾ : على الأنعام فإن منها ما يحمل عليه ، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ : في البر^(٢) والبحر .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَهَ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٢٣ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا

(١) خص هذه الثلاثة لأنها أكرم الأشجار وأنفعها ولما دل بسبحانه على قدرته بما أحياى بالماء حياة قاصرة عن الروح أتبعه بما فيه حياة كاملة فقال : " وإن لكم في الأنعام الآية/ ١٢ وحيز .

(٢) يقال : إن الحمل سفينة البر ، ولما عدد نعمه وقدرته يبين كفرانهم من قديم الزمان مع أن ذكر الفلك مناسب لمن صنعه أولاً فقال : " ولقد أرسلنا نوحاً " الآية/ ٢٣ وحيز .

بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى
 حِينٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٨﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ
 الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْثُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
 زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي
 الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ ﴿٣٩﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى
 الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَقُلِ رَبِّ
 أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا
 لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٣﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ
 رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، لما عدد نعمه بين كفراهم من قديم الزمان ،
 ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده ، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، استئناف لتعليل
 الأمر بالتوحيد ، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عن عبادة غيره ، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف ،
 ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: لعوامهم ، ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ
 عَلَيْكُمْ﴾: إن يطلب الفضل عليكم فيكون متبوعاً لكم ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾، إرسال
 رسول ، ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: للرسالة ، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: الذي يدعوننا إليه أو
 يبعث البشر رسولاً ، ﴿فِي﴾^(١) آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ: جنون ،
 ﴿فُتَرَبَّصُوا بِهِ﴾: اصبروا عليه وانتظروا ، ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: لعله يفيق من جنونه أو

* (١) قالوا هذا اعتماداً على التقليد ، واعتصاماً بحبله ولم يقنعوا بذلك حتى ضموا إليه
 الكذب البحت ، والبهت الصراح فقالوا : "إن هو إلا رجل" ١٢/ فتح .

يموت ، ﴿قَالَ﴾ نوح بعد اليأس من إيمانهم: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾: عليهم ، ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾: بسبب تكذيبهم أو بدله ، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَ﴾ بِأَعْيُنِنَا: متلبساً بحفظنا وكلاءتنا ، ﴿وَوَحَيْنَا﴾: بأن نعلمك كيف تصنع ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بعذابهم أو بالركوب ، ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾: نبع الماء فيه ، والتنور تنور الخبز ، وقيل ^(١) كان تنور آدم ، وعن بعض ^(٢) التنور أعلى موضع في الأرض ، وقيل هو مثل يضرب في شدة الأمر نحو حمي الوطيس ^(٣) ، ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: أدخل في الفلك ، ﴿مِنْ كُلِّ﴾: من كل نوع ، ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: ذكرًا وأنثى واثنين تأكيد ، ومن قرأ بالإضافة فمعناه : حمل اثنين من كل زوجين أي : من كل صنف ذكر وصنف أنثى ، ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أهل بيتك ، أو من آمن معك عطف على زوجين ، أو اثنين ، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: بهلاكه يريد ابنه وزوجته ، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدعاء إنجائهم ، ﴿إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾: لكثرة ظلمهم محكوم عليهم بالإغراق ، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾: علوت واستقررت ، ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي﴾: منها أو فيها ، ﴿مُتَرَلًّا مُبَارَكًا﴾: يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين ومن قرأ مترلاً بضم الميم وفتح الزاي ^(*) فالمعنى: إنزالاً أو موضع إنزال ،

(١) تقدمى السنة عن الحسن / ١٢ .

(٢) الزهري وعكرمة / ١٢ .

(٣) وطيس تنوراً مني يقال حمي الوطيس عبارة ارسخت شدة حرب / ١٢ صراح . [وهذه

العبارة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين كما في صحيح مسلم (٤/٤٠٣)

ط الشعب]

(*) (الزاي) ترجمتها حمي الوطيس، عبارة تستخدم عند شدة الحرب.

﴿وَأَتَتْ خَيْرَ الْمُرَلِّينَ^(١) إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما فعل بنوح وقومه ، ﴿لَايَاتٍ﴾: يستدل بها ، ﴿وَإِنْ﴾ أي : إنه ، ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مختبرين قوم نوح بالبلاء ، أو عبادنا لننظر من يعتبر ، أو مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم ، وقد مر في سورة هود تمام القصة ، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا﴾: أحدثنا ، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ، هم^(٢) عاد وثمود ، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ ، هو هود^(٣) أو صالح^(٤) جعل القرن موضع الإرسال ليعلم أنه أوحى إليه وهو فيهم ، وما جاء إليهم من مكان آخر ، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ، أن مفسرة لأن في أرسلنا معنى القول ، ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عذابه .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٣﴾﴾

(١) قيل : أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخول السفينة ، وقيل : عند خروجه منها وأراد بالبركة النجاة من الغرق ، وكثرة النسل بعد الإنجاء ، والآية تعليم من الله لعبادة إذا ركبوا ثم نزلوا أن يقولوا هذا القول / قال الواحدى : قال المفسرون : إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك : الحمد لله ، وعند نزوله منها رب أنزلني منزلاً مباركاً / ١٢ فتح .

(٢) يشعر بذلك قول الله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ ، وبجئ قصة هود عليه السلام على إثر قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف وهود والشعراء/ ١٢ منه .

(٣) إن كان المراد من آخرين عاد / ١٢ .

(٤) إذا كان من آخرين ثمود / ١٢ .

أَيَعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٦٠﴾ * هِيَ هَاتِ هَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٦٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٦٥﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴿٦٧﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٧٠﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٧١﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ الْمُهْلَكِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٧٤﴾ وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا عَلَى رُسُلِنَا وَمَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيعَادِ الْآخِرَةِ﴾: المعاد الجسماني، ﴿وَأَتَرَفْنَاهُمْ﴾^(١): أنعمناهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: تشربونه أو منه، ﴿وَلَيْنَ

(١) عطف على صلة الذين أو الواو للحال ، أي : وقد أترفناهم وعلى الوجهين مشعر بعلية

التكذيب ، يعني : أحسنا إليهم فقابلوا نعمتنا بالتكذيب وينبغي أن يكون الأمر على

خلاف ذلك / ١٢ .

أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِّثْلَكُمْ»: في ترك دينكم ، «إِنَّكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ»: إذا واقع في جزاء الشرط جواب لما قال الملائمة من قومهم ، «أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا»: بلا لحم وعصب ، «أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ»^(١) : من الأحداث ثنى أنكم للتوكيد لما طال الفصل بينه وبين خبره بالظرف ، «هِيَئَاتَ هِيَئَاتَ»: البعد البعد ، «لَمَّا تُوْعِدُونَ»: نزل منزلة المصدر فهو مبتدأ وخبر أو بمعنى بعد ، وفاعله ضمير مصدر مخرجون أو ضمير البعد ، أي : بعد البعد ووقع ثم قيل : لماذا؟ فقيل : لما توعدون ، «إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» أي : لا حياة إلا هذه الحياة ووضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها حذراً عن التكرير ، «نَمُوتُ وَنَحْيَا»: يموت بعض ويولد بعض ، «وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ»: بعد الموت ، «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا»: فيما يعدنا من البعث ، «وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ»: بمصدقين ، «قَالَ رَبِّ انصُرْنِي»: عليهم ، «بِمَا كَذَّبُونِ»: بسبب تكذيبهم إياي ، «قَالَ اللَّهُ: عَمَّا قَلِيلٍ»: عن زمان قليل ، وما صلة لتوكيد القلة ، «لَيُصْبِحَنَّ»: ليصيرن ، «نَادِمِينَ»: على التكذيب حين عاينوا العذاب ، «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ»: صيحة العذاب ، أو صاح جبريل عليهم فدمرهم ، «بِالْحَقِّ»: بالعدل؛ لأنهم مستحقون ، «فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً» أي : كالغثاء وهو ما يحمله السيل من الأوراق والعيذان البالية المسودة ، «فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» من المصادر التي تحب حذف فعلها، أي : بعدوا وهلكوا ، واللام لبيان من دعي عليه كهيت لك ، «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا

(١) أعاد إنكم لما طال الكلام ، ومعنى الكلام : أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعضاماً

أنكم مخرجون ، وكذلك هو في قراءة عبد الله نظيره في القرآن ، "ألم يعلموا أنه من

يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها" (التوبة: ٦٣) / ١٢ فتح .

(٢) قال ذلك لما يشس من إيمانهم ، وحرب منهم مدى الأيام الإصرار/ ١٢ وحيز .

آخِرِينَ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ ﴿١﴾ من للاستغراق ، ﴿أَجْلَهَا﴾: الوقت الذي حد لهلاكها ،
﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾: ما يؤخرونه ، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾: متواترين واحداً بعد
واحد ، والألف للتأنيث ، فإن الرسل جماعة ، والتاء بدل من الواو فإنها من الوتر
كتيقور من الوقار ، ومن قرأ بالتونين فمصدر وقع حالاً بمعنى المواترة ، ﴿كُلَّمَا جَاءَ
أُمَّةٌ رُسُولُهَا كَذَبُوهُ﴾ أي: جمهورهم وأكثرهم ، ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾: في
الإهلاك ، ﴿وَجَعَلْنَاَهُمْ أَحَادِيثَ﴾^(١) ، جمع أحدىثة التي هي مثل الأضحوكة
والأعجوبة ، وهي ما يتحدث به تلهياً وتعجباً ، ﴿فَبَعَثْنَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ثُمَّ
أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا^(*): الدالة على صدقهما ، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:
حجة واضحة ملزمة للخصم ، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن المتابعة ،
﴿وَكَانُوا قَوْمًا غَالِينَ﴾: متكبرين ، ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾: البشر يكون
واحداً أو جمعاً ، ومثل وغير يوصف بهما المفرد وغيره ، ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾: بنو إسرائيل ،
﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾: خادمون كالعبيد ، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾:
بالغرق ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: بني إسرائيل ،
﴿يَهْتَدُونَ﴾ وإنزال التوراة بعد إهلاك القبط ، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾: دالة

(١) قال الأحفش : لا يقال هذا إلا في الشر جمع حديث يعني لم يبق منهم عين ولا
أثر الحديث عنهم ، قال صاحب البحر الصحيح : إنه جمع تكسير كعباديد
وأقاطع لا اسم جمع كما قال الزمخشري؛ لأن أفاعيل ليس من أبنيتها اسم الجمع / ١٢
وجيز .

(٢) إعرابه ما مر غير بعيد فلذا ما أعاده / ١٢ منه .

(*) أخرج مسلم في "الصلاة" ، (٩٨/٢) من حديث عبد الله بن السائب أن النبي صلى الله
عليه وسلم صلى بهم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون ، حتى إذا جاء ذكر موسى
وهارون -أو ذكر عيسى- أخذته سعلة فرقع .

على كمال قدرتنا^(١) ، «وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ»: مكان مرتفع من الأرض ، «ذَاتِ قَرَارٍ»: مستقر من الأرض منبسطة ، «وَمَعِينٍ»: الماء الجاري هي بيت المقدس وهي أقرب^(٢) أرض من السماء أو دمشق أو الرملة أو فلسطين أو مصر .

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْا ﴿٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١١﴾ وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿١٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ ﴿١٤﴾ لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصِرُونَ ﴿١٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿١٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿١٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ

(١) فإنه خلقه من أنثى بلا ذكر كحواء من ذكر بلا أنثى / ١٢ وحيز .

(٢) بثمانية عشر ميلاً نقله الزمخشري عن كعب وكذا البغوي ، وفي الفتح فيزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً فهو أقرب الأرض إلى السماء / ١٢ منه .

جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٥٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَقَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦١﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَكِبُونَ ﴿٦٢﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طُعْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٦٤﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٦٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(١): الحلالات، «وَأَعْمَلُوا صَالِحاً»
 الصلاح: الاستقامة على ما يوجبه الشرع، والمقصود من الخطاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإعلامه بأن كل رسول في زمانه وصى به ونودى لذلك فهو أمر من لدنه قديم لا يجوز التجاوز عنه بوجه، «إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» فأجازيكم به، «وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ»: ملتكم، «أُمَّةً وَاحِدَةً»: ملة واحدة هي الدعوة إلى عبادة الله وحده، نصب على الحال، «وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ»، أي: خافوني، لأن ملتكم واحدة، وأنا ربكم فقلوه: "وإن هذه أمتكم" علة لقوله: "فاتقون"، أو تقديره: "فاتقون".

(١) فيه إيذان بأن ترتيب مبادئ التنعيم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل إباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل ووصاؤه/ ١٢ فتح. [وأخرج مسلم في "الزكاة"، (٥١/٣) ط الشعب من حديث أبي هريرة: "يأبها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يأبها الرسل كلوا من الطيبات...» الآية]

واعلموا أن هذه أمتكم إلخ .. ، «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ» : أمر دينهم وتقطع بمعنى قطع ، أو نصب أمرهم بترع الخافض^(١) بالتمييز^(٢) لأنه معرفة ، «يَنْتَهُمُ زُبْرًا» : قطعاً حال قيل : ثاني مفعولي تقطع فإنه متضمن معنى جعل أي : جعلوا أمر دينهم قطعاً أدياناً مختلفة ، «كُلُّ حِزْبٍ» : من المتحيزين ، «بِمَا لَدَيْهِمْ» : من أمر دينهم ، «فَرِحُونَ» : يحسبون أنهم على شيء ، «فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ» : جهالتهم التي غمروا فيها ، الغمرة الماء الذي يغمر القامة ، شبه جهالتهم لأنهم مغمورون فيها ، «حَتَّى حِينٍ» : حين الهلاك ، «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ» : نعطيهم ، «مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ» ، بيان لما ، «نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ» أي : نسارع به لهم فيما فيه خيرهم فضمير اسم مقدر ، «بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» : كالبهائم لا شعور ولا فطنة فإنه لو كان لهم فطنة لتأملوا فيعلموا أن المال والبنين استدراج لا معالجة خير ومسارة لطف ، «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ»^(٣) رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ أي : حذرون عن معاصيه من أجل خشية رهم يعني : خشيتهم علة لاجتناب المعصية ، أو معناه حذرون من خوف عذابه ، «وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» : الكونية والشرعية ، «يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ» : يعطون ، «مَا آتَوْا»^(٤) : ما أعطوه من

(١) أي : في أمرهم / ١٢ وجيز .

(٢) تعريض على القاضي / ١٢ .

(٣) لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم شرع في ذكر المؤمنين ، ووعدهم فذكرهم بأبلغ صفاتهم ، وهو أنهم حذرون من معاصيه من أجل خشية رهم ، وهذا هو تمكن الإيمان في القلب أو حذرون من خوف عذابه / ١٢ وجيز .

(٤) والمراد مما آتوا النوع ، أي : نوع مما آتوه فإنه لا يمكن أن يعطى أحد ما أعطاه فقيه إشارة إلى دوام خوفهم ، ويمكن أن يقال المقصود والذين أعطوا ما أعطوه لكن ذكر بصيغة المضارع استحضاراً لتلك الصفة الحميدة والفعل الجميلة / ١٢ وجيز .

الصدقات ، ﴿وَقُلُوبُهُمْ﴾^(١) وَجِلَّةٌ : خائفة من عدم القبول ، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ : مرجعهم إلى الله أو قلوبهم وجلة من أن مرجعهم إليه ، وهو يعلم ما لا يعلمون ، ﴿أَوَلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي : أولئك يسارعون في نيل خيرات الدارين بمزاولة الأعمال الصالحة فيعطيهن خير الدنيا والآخرة ، قيل : معناه أولئك يبادرون الطاعات ، ويرغبون فيها أشد رغبة ، ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ ، أي : إلى الخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾ ، أو لأجلها فعلون السبق ، ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ : قدر طاقتها لا يريد الله بكم العسر ، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ : اللوح المحفوظ أو صحيفة الأعمال ، ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ : بالصدق وليس فيه إلا ما فعلوا ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ : بنقص ثواب وعقاب على ما لم يفعلوا ، ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ : قلوب الكفرة ، ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ : غفلة ، ﴿مِّنْ هَذَا﴾ : الكتاب الذي هو عندنا ، أو من هذا الذي عليه المؤمنون ، أو من القرآن ، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ : خبيثة ، ﴿مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ : الذي وصفنا في شأنهم ، أو متجاوز لما وصف به المؤمنون ، ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ : متنعيمهم ، ﴿بِالْعَذَابِ﴾ : القحط الحادث فيهم حتى أكلوا الجياف ، والقتل يوم بدر ، ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ : فاجئوا الصراخ بالتضرع هو جواب الشرط ، ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أي : يقال لهم ذلك ، ﴿إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ : لأنكم لا تمنعون منا فلا ينفعكم الجوار ، ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ : القرآن ،

(١) أخرج الترمذی والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله قول الله : " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة " أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال : لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه " / ١٢ فتح . [صحيح ، وانظر سنن الترمذی (٢٥٣٧) .]

(٢) إشارة إلى أن حصول المسابقة ليس بأمر شاق / ١٢ وحيز .

﴿تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: تعرضون عنها ، والنكوص الرجوع قهقري ، ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: بالبيت ^(١) والحرم تفتخرون بأنكم ولاته ، والقائمون به وشهرتهم بأن تعظمهم بهذا البيت أغنت عن سبق ذكره ، أو معناه مكذبين بالآيات استكباراً ففيه تضمين معنى التكذيب ، وتذكير الضمير باعتبار أنها قرآن ، ﴿سَامِرًا﴾ السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلاً ، نصب على الحال قيل : به متعلق به ، أي : تستمرون القرآن فإنهم يجتمعون الليالي حول البيت يطعنون في القرآن ، ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الهجر بمعنى: الهذيان ^(٢) أي: تهذون ، أو من الهجرة أي : تعرضون عنه ، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ ^(٣) ، أي : القرآن ، ليعلموا حقيقته ، ﴿أَمْ

(١) هذا المعنى منقول عن ابن عباس رضي الله عنه نقله النسائي وهذه عبارته إنما كره السمر حين نزلت "مستكبرين به (٥) سامراً تهجرون" فقال: مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامراً / ١٢ منه.

(٥) سقطت من الأصل.

(٢) وبجهم على إعراضهم وهذيانهم بوجوه، الأول: إنهم لم يدبّروا القرآن والعاقل يدبر شيئاً فإن لم يجده حقيقاً بالتوجه إليه يعرض عنه، والالتفات إلى الغيبة لعدم الالتفات إليهم، والثاني : إن سبب إعراضهم أنه ما جاء إلى آبائهم الأقدمين مثل ما جاء إليهم ، والمقصود أنه قد جاء الكتب والرسل إلى الأقدمين من آبائهم.

الثالث : إن سبب إعراضهم عدم عرفان رسولهم والحال أنهم معترفون بحسبه ونسبه وصدقه وأمانته.

والرابع : إن سبب إعراضهم اعتقاد جنونه ، والحال أنهم يقولون بلسانهم ما ليس في قلوبهم ، بل ليس لإعراضهم سبب إلا أنه جاء بالحق ، والحق لا يوافق مشتهاهم / ١٢ وجيز .

(٣) هو قول ابن عباس رضي الله عنه وكثير من السلف / ١٢ منه .

جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾: من الرسول والكتاب، يعني إرسال هذا الرسول إليهم ليس ببدع ، فإنه مثل ما أرسلنا إلى آبائهم الأقدمين ، وأم منقطعة ، أي: بل جاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروا ، ﴿وَأَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: بالحسب والنسب والصدق والأمانة ، ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: والمجنون لا يصلح للنبوة ، ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: من عند الله لا بالمهل من الجنون ، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ، فعدم الاتباع لأنه لا يوافق مشتاهم ، قيد الحكم بالأكثر لأن فيهم من لم يؤمن لتوبيخ قومه أو لقلّة فطنته وعدم تدبره ، ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي : الله أو القرآن ، ﴿أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: فإن أهواءهم أن تكون له شريك وولد، منهم من يريد عظمة نفسه وحقلرة غيره ، ومنهم من يريد عكسه فيفضي إلى نساء العالم، فإنه يلزم النقيضين وهو محال ، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: بكتاب هو وعظهم ، أو هو صيتهم وشرفهم ، ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾: على التبليغ، ﴿خُرْجاً﴾: أجراً أو جعلاً ، ﴿فَخَرَّاجُ رَبِّكَ﴾: عطاؤه وأجره ، ﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أم ^(١) هذه قسيم أم يقولون به جنة فهذا إلزام لهم به للسبب ، والتقسيم في أنه كإبراهيم وغيره رسول معروف الحال عندكم تام العقل ليس له طمع في خسائس أموالكم ، فما هو إلا أنه يريد هدايتكم ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي : الإسلام ، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾: الذي تدعوهم إليه ، ﴿لَنَّاكِبُونَ﴾: عادلون ، ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾: من القحط والشدائد ، ﴿لَلَّجُوا﴾: أثبتوا ، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: إفراطهم في المعاصي ، ﴿يَعْمَهُونَ﴾: متحيرين ، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾: بالمصائب والشدائد من الموت ونقص الثمار

(١) يعني في قوله : "أم تسألهم" / ١٢ منه .

والأموال ، ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا لِلرَّبِّهِمْ﴾ : ما انتقلوا من كون إلى كون^(١) واستمروا على ما هم عليه ، ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي : وليس من عادتهم^(٢) أن يتضرعوا وهم كذلك ، ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ : هو عذب الآخرة ، ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ، آيسون من كل خير واعلم أن كثيرًا من المفسرين فسروا العذاب بيوم بدر ، والعذاب الشديد بالجزع ، ونقلوا^(٤) أن أبا سفيان قال : قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع ، وأنت تزعم أنك رحمة للعالمين ، فادع الله أن يكشف عنا القحط فدعا ، وكشف فزلت الآية ، وليت شعري كيف يصح هذا واتفقوا على أن السورة كلها مكية من غير استثناء فأين^(٥) القتال حينئذ وقضية بدر والله أعلم .

(١) كاستحال إذا انتقل من حال إلى حال / ١٢ منه .

(٢) فيه إشارة إلى سبب العدول من الظاهر في الإتيان بلفظ المضارع ، فإن المناسب وما تضرعوا بحسب الظاهر / ١٢ منه .

(٣) نقل محيى السنة عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، أنهما فسرا العذاب الشديد بالقتل يوم بدر / ١٢ منه .

(٤) وفي الوجيز : وأما أن سبب نزوله أن أبا سفيان الخ فمحل بحث بل لا يصح للاتفاق على أن السورة مكية انتهى .

والقصة أخرجها البيهقي وغيره عن ابن عباس على ما نقله صاحب الفتح / ١٢ .

(٥) والشيخ ابن كثير ما تعرض لسبب النزول ، وليس في تفسيره شيء مما نقل ، هذا ما في المنهية ، وفي الفتح : أخرج النسائي والطبراني والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال : جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أشدك الله الرحم فقد أكلنا العلهز يعني : الوبر بالدم فأنزل الله : " ولقد أخذناهم بالعذاب " إلى آخر الآية .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾
 ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا
 قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾
 ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾
 ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾
 ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
 يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى
 تُسْحَرُونَ ﴾ ﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ
 وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى
 بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ﴿ عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ : لتحسوا آياته وتدبروا فيها ،
 ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ، ما مزيدة للتأكيد ، أي : تشكرون شكراً قليلاً كأنه قال :
 قليلاً ما تستعملون السمع والبصر والفؤاد فيما خلقناها له ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴾ :
 بكم بالناسل ، ﴿ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ : تجمعون بعد التفرق في القيامة ،
 ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ : هو متولي الاختلاف لا
 يقدر على تعاقبهما غيره ، أو لأمره الاختلاف ، وانتفاص أحدهما وازدياد الآخر ،
 ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ : أليس لكم عقول تدلكم على شمول قدرتنا الممكنات التي منها

البعث ، ﴿بَلِّ قَالُوا﴾: أهل مكة ، ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَيْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استفهام الثاني تأكيد للأول واستبعاد بعد استبعاد ، ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ أي : البعث ، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: بلسان من يدعي أنه رسولهم ، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم التي كتبوها ، ﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من أهل العلم ، ﴿سَيَقُولُونَ^(١) لِلَّهِ﴾ فإنهم معترفون بأنه خالق الكل ، ﴿قُلْ﴾: بعد ما قالوه ، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلموا أن فاطر الأرض ومن فيها قادر على الإعادة حقيق^(٢) على أن لا يشرك به شيء ، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

(١) اعلم أن الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك ، فإن هذا يقره كل مشرك قبل بعثة الرسل كما أخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية وغيرها ، ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار مصحوبة باستفهام لتقرير هل من خالق غير الله " أفي الله شك فاطر السماوات والأرض " (إبراهيم: ١٠) بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيدته وإفراجه بالعبادة " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " (الأعراف: ٥٩) أن لا تعبدوا إلا الله " (هود: ٢) ، " أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون " (النحل: ٣٦) ، " قالوا أجبنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا " (الأعراف: ٧٠) ، " أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " (المؤمنون: ٣٢) ، " وإياي فاعبدون " (العنكبوت: ٥٦) وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا غيره ، ولا من غيره " فلا تدعو مع الله أحداً " (الجن: ١٨) " له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (المائدة: ١١) ، " وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين " (المائدة: ٢٣) قاله الشوكاني/ ١٢ .

(٢) فإن بدء الخلق ليس أهون من إعادته / ١٢ منه .

عقابه فتنتهوا عن نسبة العجز إليه وتسويته بجماد ، ﴿قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ : ملك وخزائن ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ﴾ : يغيث من يشاء ويحفظ ، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ : لا يغيث أحد منه أحدًا ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : ذلك ﴿سَيَقُولُونَ﴾ ^(١) **لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ** : تخدعون فتصرفون عن الرشد مع تظاهر الأدلة ، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ ، من بيان التوحيد والنبعث ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ : حيث أنكروا ذلك ، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ ^(٢) **إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** أي : لو كان معه آلهة لتفرد كل إله بمخلوقاته متميزاً ملكه عن ملك الآخرين ^(٣) ولغلب بعضهم بعضاً كالعادة بين الملوك فلم يكن بيده ملكوت كل شيء واللازم باطل ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ : من الولد والشريك ، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ ، بالرفع خبر محذوف وبالجر صفة ، ﴿وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من له علم كل شيء لا يحتاج إلى شريك مع أنهم معترفون بأنه المتفرد بإحاطة العلم .

﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿١٢﴾ **رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿١٣﴾ **وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ** ﴿١٤﴾ **أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**

(١) قرأ من القراء السبعة أبو عمرو في الثاني والثالث سيقولون الله مرفوعاً كذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة ، وهذا هو المطابق لفظاً ومعنى ، أما قراءة الله لباقي السبعة جاءت على المعنى ، لأن قولك من ربك ولمن أنت في معنى واحد ولم يختلف في الأولى أنه باللام جواب مطابق لقوله "لمن الأرض" / ١٢ وحيز .

(٢) يعني أن "إذا" جواب لمخاتهم وجزاء شرط محذوف / ١٢ منه .

(٣) ومحسوس أن العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ما تـرى في خلق الرحمن من تفاوت / ١٢ منه .

الْسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيَاطِينِ ﴿٣٢﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٣٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٣٤﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي
الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٣٨﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا
كَالْحُوتِ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٠﴾
قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا
مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿٤٣﴾
إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوا رَبَّنَا ءَامِنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٤﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ
مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٤٥﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٤٦﴾
﴿٤٧﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾
﴿٥١﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عِبَاً وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَتَعَالَى
اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٥٣﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَقُلْ رَبِّ آغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥٥﴾

﴿قُلْ﴾ ^(١) رَبِّ إِمَّا تُرِيتَنِي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ أَي : إن كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب فلا تجعلني معهم ولا فيهم ومن دعائه عليه السلام ^(٣) " وإذا أردت بقوم فتنه فتوفني إليك غير مفتون " وما والنون للتأكيد ، وتكرار رب حث على فضل تضرع وتواضع وإظهار عبودية وافتقار وعجز ، ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾ : من العذاب ، ﴿لَقَادِرُونَ﴾ : لَكِنَّا لَحْلَمْنَا وَحَكَمْنَا لَا نَسْتَعْجَلُ فِي عَذَابِهِمْ ، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ أَي : ادفع من أذاك وطعنهم في الله بالشرك بالخصلة التي هي أحسن الخصال الحلم والصفح والإلزام بطريق بيان الدليل نحو : " وجادلهم بالتي هي أحسن " (النحل: ١٢٥) قيل : هي منسوخة بآية السيف ، ﴿تُخَنُّ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ : فَكَلِّ إِلَيْنَا أَمْرَهُمْ ، ﴿وَقُلْ﴾ ^(٣) رَبِّ أَعُوذُ بِكَ

(١) ولما أعلم الله نبيه أنه ينتقم من ادعى الولد والشريك له ولم يبين أن ذلك مني يكون قريباً أو بعيداً في حياة نبيه أو بعده ، أمره أن يدعوا بهذا الدعاء "قل رب" الآية/١٢ منه .

(٢) كما ذكره الإمام أحمد وصححه الترمذی .

(٣) أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" قال فكان ابن عمرو يعلمها من بلغ من أولاده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه وفي إسناده محمد بن إسحاق وفيه مقال معروف .

وأخرج أحمد عن الوليد بن الوليد أنه قال : يا رسول الله إن أجد وحشة قال : " إذا أخذت مضجعتك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنه لا يحضرك وبالحري لا يضرك " / ١٢ فتح .

مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١﴾ : وساوسهم ونزغاتهم ^(١) ، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَخَضُّرُونَ﴾ : فيحوموا حولي ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ متعلق بـ " يصفون " وما بينهما اعتراض لا يزالون على سوء ^(٢) الذكر حتى الآية ، ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ، خاطب الله بلفظ الجمع أو الملائكة ، وقيل : لتكرير الفعل أي : ارجعني ارجعني ، ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي : ردوني إلى الدنيا لعلني أعمل صالحًا في الإيمان الذي تركته ، أو في المال أو في الدنيا ، ﴿كَلَّا﴾ ، ردع عن طلب الرجعة واستبعاد ، ﴿إِنَّهَا﴾ أي : رب ارجعون الخ ، ﴿كَلِمَةً﴾ : طائفة من الكلام المنتظم بعضها ببعض ، ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ لا محالة عند استيلاء الحسرة والاضطرار ، وعن بعض المفسرين أنها كلمة إلخ علة لردعهم ، أي : سؤاله الرجوع للعمل الصالح مجرد عدة وقول لا وفاء ولا حقيقة تحتها نحو " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون " (الأنعام: ٢٨) ، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ : أمامهم ، ﴿بُرْزَخٌ﴾ حاجز بينهم وبين الدنيا ، ﴿إِلَىٰ يَوْمٍ يُنْعَثُونَ﴾ هو إقناط كلي للعلم بأن لا رجعة إلى الدنيا يوم البعث فلا رجعة أصلاً ، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ : النفخة الأخيرة ، ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ : لا تنفع الأنساب ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ويفرح ^(٣) المؤمن أن قد وجب له حق على والده وولده فيأخذ منهما ، ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يسأل حميم ولا قريب حميمه وقريبه وهذا في أول

(١) ومن دعاء بعض السلف : أعوذ بك من الترغ عند الترغ / ١٢ منه .

(٢) وقيل قبلها جملة محذوفة وهذا غاية لها تدل عليها ما قبلها ، أي : فلا أكون لمن يهزمهم

الشياطين ، يعني مدة عمرهم ، حتى إذا جاء وشبه ذلك بقول الشاعر :

فيا عجباً حتى كليب يسبني

فدل ما بعد " حتى " في هذا على المحذوف ، أي : يسبني الناس حتى كليب / ١٢

وجيز .

(٣) قاله ابن مسعود ورواه ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

يوم (*) القيامة ولما^(١) تزوج عمر ابنة علي من فاطمة قال: أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كل سب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسي " فأصدقها أربعين ألفاً إعظاماً لها، وروى الحافظ ابن عساكر عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً: "سألت (***) ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمي ولا يتزوج إلى أحد منهم إلا كان معي في الجنة فأعطاني^(٢) ذلك"، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن يكون له عقائد وأعمال صالحة تثقل ميزانه، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن ليس له عقائد وأعمال صالحة تثقل ميزانه، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: حيث بطلوا^(٣) استعدادها، ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾، خبر ثان وبدل من الصلوة، ﴿تَلْفَحُ﴾: تحرق، ﴿وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾: عابسون هو تقلص الشفتين عن الأسنان، وفي الترمذي قال عليه السلام: "تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، ولتسترخي شفته السفلي حتى تضرب سرتة" (***)، ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي^(٤) تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ الشقاوة: سوء العاقبة، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾: عن الهدى،

(*) في نسخة (ن): هول.

(١) رواهما الطبراني والبيهقي وغيرهما / ١٢ وجيز .

(**) أخرجه الحاكم (١٣٧/٣) وصححه وأقره الذهبي، من حديث ابن أبي أوفى مرفوعاً.

(٢) ونقل الإمام أحمد: "إن فاطمة بضعة مني يبغضني ما يبغضها وينشطني ما ينشطها وإن الأنساب يقطع إلا نسبي وصهري" قال الشيخ ابن كثير: هذا حديث له أصل في الصحيحين.

(•) في النسخة (ن): أبطلوا.

(***) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما بسند ضعيف.

(٣) أي: يقال لهم ذلك تقريباً؛ لأن يجتمع لهم العذاب الجسماني والروحاني / ١٢ .

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾: لما تكره ، ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾: لأنفسنا ، ﴿قَالَ﴾
 اخْسُئُوا فِيهَا﴾ أي: ذلوا وانزجروا كما تنزجر الكلاب ، ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾: في رفع
 العذاب أو مطلقاً، وعن بعض السلف: إنه لم يكن لهم بعد ذلك إلا شهيق وزفير
 وعواء كالكلب، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن ، ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا
 فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾^(١) سَخِرِيًّا ، بكسر
 السين وضمها لغتان بمعنى الهزء زيدت ياء النسبة للمبالغة ، وعند الكوفيين المضموم من
 السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ، ﴿حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي﴾: لتشاغلكم باستهزائهم ،
 ﴿وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾: بما صبروا(*) :
 بصبرهم على أذاكم ، ﴿أَلَهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ استئناف ، ومن قرأ بفتح إن فتأتي
 مفعولي جزيت أي : جزيتهم الفوز مخصوصين به ، ﴿قَالَ﴾: الله، ومن قرأ "قل" فهو
 خطاب لأهل النار في أن مجموعهم في حكم شخص أو الخطاب مع كل واحد أو ومع
 بعض رؤسائهم أو مع الملك الموكل بهم ، أي: قل لهم ، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾:
 أحياء ، ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ ، تمييز لكم ، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا
 مدة لبثهم في الدنيا ونسوا لعظم ما هم^(٢) فيه ، ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾: القادرين على
 العد فنحن في شيء لا نقدر معه إعمال الفكر ، أو العادين الملائكة الحفظة ، ﴿قَالَ إِنْ
 لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما مكثتم فيها إلا زماناً قليلاً على

(١) بضم السين وكسرهما القراءتان بمعنى : الهزء وزيدت ياء النسبة للمبالغة ، قال يونس:
 إذا أريد التحدث فالضم لا غير ، وإذا أريد الهزء فالضم والكسر ، والآية بمعنى الهزء ،
 ألا ترى إلى قوله: "وكنتم منهم تضحكون" / ١٢ وجيز .

(٥) في الأصل "صبر".

(٢) من الهول / ١٢ .

فرض أنكم تعلمون مدة لبثها وقد^(١) ورد "أن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال : يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض، قالوا: يوماً أو بعض يوم قال لنعم ما أتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكنوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يسأل أهل النار فيجيبون مثلهم فيقول : بئس ما أتجرتم في يوم أو بعض يوم ناري وسخطي امكنوا خالدين مخلدين"، «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا» أي: عابثين بلا فائدة حال أو مفعول له، أي : تلهيّا بكم وما زيدت للتأكيد ، «وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»، عطف على إنما ، «فَتَعَالَى اللَّهُ» عن أن يخلق عبثًا ، «الْمَلِكُ الْحَقُّ» الذي يحق له الملك أو الثابت الذي لا يزال ملكه ، «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»^(٢) رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ^(٣) ، لأن الرحمة تنزل منه أو لأنه منسوب إلى أكرم الأكرمين ، «وَمَنْ يَدْعُ» : يعبد ، «مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» ، لا برهان صفة أخرى لإلهها لازمة له جيء بها للتأكيد ، أو جملة^(٤) معترضة بين الشرط والجزاء ،

(١) نقله ابن أبي حاتم وغيره / ١٢ وجزير .

(٢) أخرج الحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في عمل اليوم والليلة وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود أنه قرء في أذن مصاب "أفحسبتم" حتى ختم السورة فقرأ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: بماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:- "والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال" / ١٢ فتح .

(٣) فإن الرحمة منه ينزل على الأرض وهو الله سبحانه مستو عليه / ١٢ وجزير .

(٤) السرير الحسن وقيل المرتفع / ١٢ معالم .

(٥) لتنبهه على أن قبول ما لا دليل عليه في العقائد ممنوع فضلاً عما دل على نقيضه الدليل / ١٢ .

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فيجازه بما يستحقه، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن ، ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ﴾: يا محمد ، ﴿رَبِّ﴾^(١) اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ .

* والحمد لله حق حمده *

(١) أمر نبيه أن يقول مثل قول فريق من عباده الذين يقولون " ربنا آمنا " الآية ، افتتح السورة بقوله : " قد أفلح المؤمنون " واحتتمها بقوله : " لا يفلح الكافرون " اللهم اجعلنا من الأولين لا من الآخرين في الأولى والآخرة/ ١٢ وحيز .

سورة النور مدنية

وهي اثنتان وأربع وستون آية، وتسع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ
فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ
أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ
لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ
أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا
إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿سُورَةُ﴾، أي : هذه السورة ، ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ ، أي : فرضنا أحكامها ،
ومن قرأ بالتشديد فمعناه فصلناها ، أو التشديد للمبالغة ، ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ

بَيِّنَات^(١) لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ: تتعظون ، «الزَّانِيَةُ»^(٢) وَالزَّانِي ، رفعهما على الابتداء ، والخبر محذوف ، أي : جلدتهما فيما فرض عليكم أو خبره قوله : «فَاجْلِدُوا كُلَّ

(١) ظاهرات المعاني ١٢/ وجيز .

(٢) قدمت الزانية لقلة عقلها التي هي الموجبة للفاحشة ، وزناها أفحش لوجوه ١٢/ وجيز
قال الشيخ ابن القيم في " الهدى " ، "فصل" وأما نكاح الزانية فقد صرح سبحانه وتعالى بتحريمه في سورة النور وأخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك فإنه إما يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أولاً فإن لم يلتزمه ولم يعتقد أنه مشرك ، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان ، ثم صرح بتحريمه فقال : "وحرم ذلك على المؤمنين" ولا يخفى أن دعوى النسخ للآية بقوله تعالى : " وأنكحوا الأيامي منكم " من أضعف ما يقال ، وأضعف منه حمل النكاح على الزنا إذ يصير [كذا في زاد المعاد (١١٤/٥)] ، وفي المطبوع (تصير) والصحيح المثبت] معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك وكلام الله ينبغي أن يصان عن مثل هذا ، وكذلك حمل الآية على امرأة بغية مشركة في غاية البعد عن لفظها وسياقها ، كيف وهو سبحانه إنما أباح نكاح الحرائر والإماء بشرط الإحصان وهو العفة فقال : " أنكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أصدقاء " ، وإنما أباح نكاحها في هذا الحال دون غيرها ، وليس هذا من باب دلالة المفهوم ، فإن الإبطاع في الأصل على التحريم فيقتصر في إباحتها على ما ورد به الشرع وما عداه فعلى أصل التحريم ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : " الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات " والخبيثات : الزواني ، وهذا يقتضي أن من تزوج بهن فهو خبيث مثلهن ، وأيضاً فمن أقبح القبائح أن يكون الرجل زوج بغية ، وقبح هذا مستقر في فطر الخلق وهو عندهم غاية المسبة ، وأيضاً فإن البغي لا يؤمن [كذا في زد المعاد (١١٥/٥)] وفي المطبوع (تؤمن) والصحيح المثبت] أن تفسد على الزوج فراشه وتعلق عليه أولاداً من غيره ، والتحريم يثبت بدون هذا ، وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، والفاء لتضمنها معنى الشرط إذ اللام فيها بمعنى الذى ، والجلد ضرب الجلد ، وهذا مطلق محمول على بعض هو حر بالغ عاقل ما جامع في نكاح شرعي ، فإن حكم من جامع فيه الرجم للأحاديث الصحاح ، والآية الرجم المنسوخ لفظها دون معناها ، وعند بعض ^(١) الإسلام شرط آخر ، «وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ» : رحمة ، «فِي دِينِ اللَّهِ» ، فتعطلوا أحكامه ، أو تسامحوا فيها ، «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ، فإن الإيمان يقتضي الصلابة في دينه ، والاجتهاد في إقامة أحكامه ، «وَلَيُشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» ، أي : يجلد بحضرة

= المرأة التي وجدها حلي من الزنا وبين زوجها ، وأيضاً فإن مرثد بن أبي مرثد الغنوي استأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج عناق وكانت بغياً فقراً عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آية النور وقال لا تنكحها انتهى بلفظه [زاد المعاد (١١٥/٥)].

وقال رحمه الله في "الهدى" في حكم عدم جواز وطء الحامل قبل وضع الحمل ، والذي يقتضي منه العجب ، تجوز من جوز من الفقهاء الأربعة العقد على الزانية قبل استيرائها ووطئها عقيب العقد فتكون الليلة عند الزاني وقد علقت منه ، والليلة التي تليها فراشاً للزوج ، ومن تأمل كمال هذه الشريعة علم أنها تأتي ذلك كله كل الإباء وتمنع منه كل المنع ، ومن محاسن مذهب الإمام أحمد قلنس الله روحه أن حرم نكاحها بالكلية حتى تتوب ويرتفع عنها اسم الزانية والبغي والفاجرة ، فهو - رحمه الله - لا يجوز أن يكون الرجل زوج بغية ومنازعوه يجوزون ذلك ، وهو أسعد منهم في هذه المسألة بالأدلة نصاً كلها من النصوص والآثار والمعاني والقياس والمصلحة والحكمة وتحريم ما رآه المسلمون قبيحاً ، والناس إذا بالغوا في سب الرجل صرحوا له بالزاني والقاذف فكيف تجوز الشريعة مثل هذا . انتهى بلفظه .

(١) هو أبو حنيفة رضي الله عنه/ ١٢ .

طائفة من المؤمنين أقلها أربعة أو ثلاثة أو اثنان أو واحد^(١) للشهرة ، والتخجيل ، فإِن الفاسق بين المؤمنين الصالحين أخلج ، وعن بعض إنما ذلك لأن يدعوا الله له بالتوبة .

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ ، هو خير ، أي : الغالب أنه لا يرغب الجنس إلا إلى مثله ، ﴿وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، لما فيه من التشبه بالفساق ، والتسبب لسوء المقالة فيه ، والغيبة ، والشبهة في الولد ، وغير ذلك من المفاصد ، فللمبالغة عبر عن التنزيه بالتحريم ، وقد نقل أُلها نزلت في فقراء المهاجرين حين أرادوا نكاح البغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهن من أكسأهن كعادة الجاهلية ، وعن بعض السلف نكاح العفيف البغية ، وتزويج الصالحة بالفاجر فاسد حتى يتوبان ، وبعض الأحاديث يؤيد قوله فالنفي بمعنى النهي ، وعن بعض هذا النكاح صحيح لكنه حرام وعن بعض الآية منسوخة ، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ : يقذفون بالزنا ، ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾^(٢) : المسلمات الحرائر العاقلات البالغات العفيفات عن الزنا ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾ : على ما رموهن به ، ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ ، يشهدون عليهن ، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ ، أي : كل واحد من الرامين ، ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ ، وتخصيص النساء لخصوص الواقعة ، ولأن قذفهن أغلب وأشنع وإلا فلا فرق فيه بين الذكر والأنثى ، ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ : في أي واقعة كانت ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) : عند الله ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، أي : القذف ،

(١) قال النخعي ومجاهد: الطائفة تقع على واحد وبه قال أحمد رضي الله عنه/١٢ منه .

(٢) وخص النساء بذلك لأن القذف بالزنا فيهن أشنع وأقبح لإزالة عرضهن وعرض أقاربهن ، وشبهة أولادهن وإن كان الرجال يشاركون في الحكم /١٢ وجيز .

(٣) لأنهم أثبتوا الفسق العظيم لغيرهم فانقلب إليهم ولما كانت الزنا من أمهات الكبائر ، وقلما يطلع على ذلك أحد شدد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة رحمة ، وسترأ على عباده سيما على النساء ، والظاهر وجوب جلد الرامي ، وإن لم يطالب المقذوف ،

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أعمالهم ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) ، علة للاستثناء ومحل الاستثناء الجر على البدل من هم في لهم ، فحاصله: اجلدوهم إذا لم يأتوا بأربعة شهداء، ولا تقبلوا أبداً شهادتهم إلا التائبين فاقبلوهم بعد التوبة^(٢) وعند من قال قوله : " وأولئك هم الفاسقون " مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط ، والاستثناء من (الفاسقون) يكون محله النصب ، ويحكم برد شهادته بعد التوبة أيضاً ، وهو مذهب بعض السلف^(٣) ، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ ، إلا بمعنى غير صفة شهداء ، ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾: التي تمنع الحد ، ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾: أربع مرات ، ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فيما قذفها به ، وأصله "على أنه" فحذف على وكسر إن ، وعلق عنه العامل باللام تأكيداً وقرئ بنصب أربع

= والظاهر أن قوله : " وأولئك هم الفاسقون " جملة على حيالها غير داخلية في خير " والذين يرمون " مؤكداً لعدم قبول شهادتهم ١٢ / وحيز .

(١) الظاهر أن الاستثناء من الفاسقون ، ومحل النصب فعلى هذا يجلد ولا يقبل شهادته بعد التوبة أيضاً ، وهذا مذهب كثير من السلف ، فقال الشعبي والضحاك : إن اعترف بعد التوبة على نفسه بأن ما قاله هتان يقبل شهادته ، وإلا فلا والجمهور على أن الجلد واجب وإن تاب ، وأما قبول شهادته بعد التوبة فخلافاً ، قال صاحب البحر : الذي يقتضيه النظر ويعضده كلام العرب أن الاستثناء إذا تعقب جملاً يصلح أن يخص كل منها بالاستثناء لا بد أن يحمل التخصيص في الجملة الأخيرة لا عودة إلى الجمل كلها ، وهذه مسألة في أصول الفقه سيما في هذه الآية ، فإن الجلد لا يسقط عنه بالتوبة إلا أن يقال رد شهادتهم لفسقهم ، والفسق زال بالتوبة فرجع إليهم قبول شهادتهم ١٢ / وحيز .

(٢) هذا مذهب مالك والشافعي . وأحمد وصرح على ذلك سعيد بن المسيب وجماعة من السلف ١٢ / منه .

(٣) كقاضي شريح والنخعي وسعيد بن جبير ومكحول وهو مذهب أبي حنيفة / ١٢ منه .

فتقديره : فالواجب أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع منصوب على المصدر من شهادة ،
«وَالْخَامِسَةُ» ، أي : الشهادة الخامسة ، «أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ
الكَاذِبِينَ» : في الرمي ، وحكم لعان الرجل سقوط حد القذف وبانت منه بنفس
اللعان وحرمت عليه أبداً على الأصح^(١) ويتوجه عليها حد الزنا إلا أن تلاعن ، وهو
قوله ، «وَيَذَرُ» : يدفع ، «عَنْهَا الْعَذَابَ» : الحد ، «أَنْ تَشْهَدَ» ، فاعل يذراً ،
«أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ» : الزوج ، «لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» : فيما رماني به ،
«وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ» : الزوج «مِنَ الصَّادِقِينَ» : في
ذلك ، ومن قرأ الخامسة بالنصب فهو عطف على أربع كأن رجل وجد على فراشه
رجلاً فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فأراد عليه السلام أن يأمر بحده بحكم
آية الرمي إذ نزلت آية اللعان فتلاعنا ، «وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ
اللَّهُ تَوَّابٌ حَكِيمٌ» ، لعاجلكم بالعقوبة ، وفضحكم ، فجواب لولا متروك ليبدل
على أنه أمر عظيم لا يكتنه .

«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ
لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ
عَظِيمٌ» ﴿٦٠﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا
هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿٦١﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ
فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٣﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ

(١) للحديث الصحيح ، وعليه الأكثر من السلف / ١٢ وحيز .

بِالْأَسْتِثْنَاءِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ
 اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ هَذَا
 سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ
 اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ *

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾: هو أبلغ ما يكون من الكذب ، أي : إفك عائشة أم
 المؤمنين ^(١) رضي الله عنها وصفوان ، ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ ، خير إن ، والعصبة جماعة من
 العشرة إلى الأربعين ، ورأسهم ابن أبي بن سلول رئيس النفاق لعنه الله ، ﴿لَا
 تَحْسِبُوهُ﴾ ، أي : الإفك ، ﴿شَرًّا لَكُمْ﴾ : الجملة مستأنفة ، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ،
 لأنه ظهر منه البراءة لها ولجميع أزواجه ، ورفعة القدر مع الثواب الجزيل ، ﴿لِكُلِّ
 أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ﴾ : جزاء ما اكتسب ، ﴿مِنَ الْإِثْمِ﴾ : بقدر ما خاض فيه
 مختصاً به ، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ : معظيه ، ﴿مِنْهُمْ﴾ ، أي : من الخائضين ، وهو

(١) كما هو المشهور المذكور في الصحيحين ، وغيرهما وذلك لأنها خرجت من هودجها
 تلتبس عقداً لها انقطع من جزع فرحلوا وهم يظنون أنها في هودجها فرجعت
 وقد ارتحل الجيش والهودج معهم فأقامت في ذلك المكان ، ومر بها صفوان بن المعطل
 وكان متأخراً عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها فلما رأى ذلك أهل الإفك قالوا ما
 قالوا فبرأها الله مما قالوا ، هذا حاصل القصة مع طولها وتشعب أطرافها كذا في
 الفتح / ١٢ .

ابن أبي بدأ به وأشاعه ، ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) : الفضيحة والشهرة بالنفاق ، والطرْد في الدارين ، ﴿لَوْلَا﴾ : هلا ، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ : حاصله هلا ظننتم خيراً أيها المؤمنون ، والمؤمنات بالذين هم كأنفسكم حين سمعتم الإفك من اخترعه ، وقلتم بناء على ظنكم خيراً ، هذا إفك مبين ، كما يقول المستيقن المطلع على الحال ، فالالتفات إلى الغيبة للمبالغة في التوبيخ ، والإشعار بأن^(٢) الإيمان يقتضي ظن الخير بمن هو كنفسه ، فإن المؤمنين كنفس واحدة ، ﴿لَوْلَا﴾ : هلا ، ﴿جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ، أي : التفصّل بين الرمي الصادق ، والكاذب شهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها ، والذين رموا حبيبة حبيب الله الطاهرة ، ولم تكن لهم بينة ، فكانوا كاذبين عند الله في حكمه^(٣) وشرعه ، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ

(١) وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل عذري قام النبي -صلي الله عليه وسلم- فذكر ذلك ، وتلى القرآن ، فلما نزل من المنبر أمر برجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم ، حسان ، ومسطح ، وحمئة [وسنده صحيح] ، واختلفوا في وجه تركه -صلي الله عليه وسلم- لجلد عبد الله بن أبي ، ف قيل لتوفير العذاب العظيم له في الآخرة ، و حد من عداه ليكون ذلك تكفيراً لذنبيهم ، وقيل احتراماً لابنه وإطفاءً لنار الفتنة ١٢/ فتح .

(٢) وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به ، والحافظ له ، وليتك تجسد من يسمع فيسكت ، ولا يشيع ما يسمعه بإخوانه ، وكفي بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ، قال العلماء: في الآية دليل على أن درجة الإيمان ، والعفاف لا يزيلها الخير المحتمل وإن شاع/ ١٢ فتح .

(٣) أو معدودون فيمن اعتادوا بالكذب ، والكذب ليس من عادة المؤمنين كما في الصحيح "أنه يتحري الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" ١٢/ وحيز . [أخرجه في الصحيحين]

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، جواب لولا الامتناعية قوله: «لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ»: خضتم ، «فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»: يستحق في جنبه الجلد واللوم ، «إِذْ»، ظرف لمسكم ، أو أفضتم ، «تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِكُمْ»: يأخذه بعض من بعض ، يعني ما اكتفيتم بتهاونكم في تكذيب الرامين حتى أفشيتموه ، «وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ»: من غير روية وفكر ، «مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ»: وما هو إلا قول يدور في فيكم من غير ترجمة عن علم به في القلب ، «وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا»: سهلاً لا تبعه له ، «وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»: في الوزر ، «وَلَوْلَا»: هلا ، «إِذْ سَمِعْتُمُوهُ»: من المخترعين ، «قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا»: ما ينبغي، وما يصح لنا ، «أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهَذَا» قدم الظرف ، وجعله فاصلاً بين لولا وفعله ، لأن ذكره أهم لبيان أن الواجب عليهم التهامي(*) عن التكلم به أول ما سمعوه ، «سُبْحَانَكَ»، أنزهك عن أن يكون لحرمة نبيك عيب يفضي إلى نقصه أو ذكره للتعجب ، فإنه لفظ يذكر عند رؤية عجيب ، «هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا»، أي : كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا ، «لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: فإن الإيمان يمنع عنه ، «وَيُيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ»: لكي تتعظوا ، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ»: تنتشر ، «الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا^(١) وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ»: السرائر ، «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»: فيعاقب على ما في قلوبكم من مثل محبة إفشاء الفاحشة ، «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ»، تكريم للمنة ، وتعظيم للحرمة بحذف جواب لولا^(٢) ولا يخفي ما فيه من المبالغات .

(*) كذا بالأصل ولعل الصواب "التناهي".

(١) فيه دليل على أن إرادة الفسق ، والرضاء به فسق ، والمؤمن من يريد الخير لإخوانه ١٢/ وحيز .

(٢) كأنه قال "لنرون ما لا يخطر ببالكم" .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٧٠﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِنْ مَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾: وساوسه وأوامره ، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾: فهو ضال ، غاو ، ﴿فَإِنَّهُ﴾: الشيطان ، ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾: ما أفرط قبحه ، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: ما أنكره الشرع ، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١): فيوفقه على تهذيب الأخلاق ، والتوبة الماحية دنسه ، كما وفق بعض من أغواه بالإفك على التوبة وطهرهم ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ

(١) ومن دعائه - صلى الله عليه وسلم - اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها/ ٢. [أخرجه مسلم وغيره]

عَلِيمٌ : بالاقوال ، والنيات ، «وَلَا يَأْتَلِ» : لا يحلف ، «وَأُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» :
 في الدين ، «وَالسَّعَةِ» : في المال ، «أَنْ يُؤْثُوا» ، أي : في شأن إعطاء ، «أُولِي
 الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ، يعني : لا يحلف على أن لا
 يعطيهم ، ولا يتصدق عليهم ، وقيل معناه لا يقصر في إعطائهم على أن يأتل من الإلو
 نزلت ^(١) حين حلف الصديق أن لا ينفق أبداً على ابن خالته المسكين المهاجر مسطح ،
 لأنه قد زلق زلقة في الإفك ، «وَلْيَغْفُوا» : ما فرط منهم ، «وَلْيَصْفَحُوا» :
 بالإغماض عنه ، «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» : بعفوكم عن الناس وصفحكم
 ، «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» : لما سمع الصديق الآية قال : بلى أحب أن يغفر الله لي
 فرجع إلى مسطح نفقته ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً ، «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
 الْمُحْصَنَاتِ» : العفاف ، «الْعَافِلَاتِ» : عما قذفن به ، «الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ، عن بعض السلف : إن من رمي الأزواج أمهات
 المؤمنين فهو ملعون ، وليس له توبة ، فالآية خاصة بمن والأصح أن الآية عامة
 مشروطة ^(*) بعدم التوبة ، وقد عد عليه السلام قذف المحصنات من السبع الموبقات ^(*) ،
 وورد قذف المحصنة يعدم عمل مائة ^(٢) سنة ، «يَوْمَ تَشْهَدُ» ، ظرف لمتعلق لهم ،
 «عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» : بأن أنطقهن الله من
 غير اختيارهم ، عن ابن عباس : هذا خاص بالكفرة حين جحدوا كفرهم ، و حلفوا
 على إيمانهم ، «يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمْ» : جزاءهم ، «الْحَقُّ» : الواجب

(١) أخرجه ابن المنذر عن عائشة / ١٢ فتح . [بل هو في الصحيحين]

(٥) بالأصل "عام مشروط".

(٥) أخرجه في الصحيحين.

(٢) أخرجه الطبراني / ١٢ وجيز . [وسنده ضعيف]

المستحق، ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: علماً عياناً، ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: ذو الحق البين أي: العادل الظاهر العدل، ﴿الْحَيِّثَاتُ﴾: من القول أو من النساء، ﴿لِلْخَيْشِثِينَ وَالْخَيْشُوثُونَ﴾: من الرجال، ﴿لِلْخَيْشِثَاتِ﴾، من القول أو من النساء، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾: من القول أو من النساء، ﴿لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ﴾، من الرجال، ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾، من القول أو من النساء، فما نسبوه إلى الصديقة هم أولي به، وهي أولي بالبراءة والثناء الجميل، ولا يكون أهل بيت الرسالة إلا طيبات مبرات من الخباث، ﴿أُولَئِكَ﴾: عائشة، وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع، أو أهل بيت الرسالة، ﴿مُبْرَعُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، لأنها حليمة خليل الله، طيبة لطيب، عليه وعلى آله وأزواجه شرائف الصلوات والتحيات، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٥) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٢٦) قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوْنَ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى لَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٧) وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ

بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرَةِ مِنْ
الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُقْلِحُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا
تُكْرِهُوا فَتِيْلَتَكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنَا لَيَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ
يُكْرِهُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ
مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٣﴾ * ﴿٦٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا﴾ (١) الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ: التي تسكنونها ، ﴿حَتَّىٰ
تَسْتَأْذِنُوا﴾ (٢) ، تَسْتَأْذِنُوا ، ﴿وَتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ : بأن تقولوا: السلام عليكم ،

(١) ولما وجد أهل الإفك سبيلاً إلى البهتان لاتفاق الخلوة أعقبه تعالى بشيء لا يكون لأحد
طريق في النهم فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا " الآية، هذا ما في الوجيز وفي
الفتح ، ولما زجر عن الزنا والقذف شرع في الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان ، لما
في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء ، فرمما يؤدي إلى أحد الأمرين المذكورين فقال : " يا
أيها الذين آمنوا لا تدخلوا " الآية ١٢ .

(٢) وفي مصحف عبد الله " حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا " وعن عكرمة نحوه ، أخرج
ابن أبي شيبة ، والطبراني وغيرهما عن أبي أيوب قال : قلت : يا رسول الله أرايت قول
الله : " حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها " هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس ،

أَدْخِلْ؟ وَيَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ أَذِنَ لَهُ دَخَلَ ، وَإِلَّا رَجَعَ ، وَإِنْ كَانَ بَيْتُ أُمِّهِ وَبَنَتِهِ ، **﴿ذَلِكُمْ﴾** : الاستئذان والتسليم ، **﴿حَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** ، أى : أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تتعظوا ، وتتأدبوا ، **﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾** : في البيوت ، **﴿أَحَدًا﴾** : يأذن لكم ، **﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾** ، يعني : حتى يأتي من يأذن لكم أو لا تدخلوها إلا بإذن مالكها ، **﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾** : ولا تلحوا ، **﴿هُوَ﴾** : الرجوع ، **﴿أَرْكَبِي﴾** : أظهر وأصلح ، **﴿لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** : فيجازيكم به .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ، حرج ، **﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾** ^(١) ، هذا تخصيص بعد تعميم ، **﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾** ، كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة ، وعن بعض : المراد منها الخانات والرُّبُط ، وقوله : " فيها متاع لكم " أي : استمتاع لكم ، **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾** ، فلا تدخلوا الفساد ، ولا تطلعوا على عورات ، **﴿قُلْ﴾** ^(٢) **﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾** ، أي : عما يحرم ، **﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾** : عن الحرام دخل من التبعض في النظر دون الفرج دلالة على

= قال : " يتكلم الرجل بتسييحه وتكبره وتحميدة ، ويتنحج فيؤذن أهل البيت ، قال ابن كثير : هذا حديث غريب [وأخرجه أيضا ابن ماجه (٣٧٠٧)] ، وهو ضعيف ، وانظر ضعيف ابن ماجه (٨٠٩)] ، وأخرج الطبراني عن أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الاستئناس أن تدعو الخادم حتى يستأنس أهل البيت الذين تسلم عليهم [وهو ضعيف كالذي قبله] ، وقال الأكثرون : إنه يقدم السلام على الاستئذان فيقول : " السلام عليكم أدخل ؟ ، وهو الحق ، لأن البيان منه صلى الله عليه وسلم للآية كان هكذا / ١٢ فتح .

- (١) فإن الغرض من الأذن كف النظر عن العورات ، وليس في غير المسكون عورة / ١٢ .
(٢) ولما ذكر الاستئذان لثلاث يقع النظر على عورة قال : " قل للمؤمنين " الآية / ١٢ وحيز .

أن أمر النظر^(١) أوسع وعن بعض: حفظ الفروج ههنا سترها ، ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ
اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: فكونوا على حذر منه في حرركاتكم ، وسكناتكم ،
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ^(٢) يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾: عما يحرم عليهن النظر إليه ،
﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: عما يحرم ، ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ ، لا يظهرن ، ﴿زِينَتَهُنَّ﴾:
كالخلخال والقرط ، وغيرهما ، ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ^(٣) مِنْهَا﴾: كالخاتم والكحل ،
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ ، جمع خمار وهو المقنعة ، ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ ، ليسترن بذلك
القرط ، والأعناق والصدر ، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ ، أي : الزينة الخفية ، ﴿إِلَّا
لِبُعُولَتِهِنَّ^(٤)﴾ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾: المؤمنات أما الكافرات فعند أكثر^(٥)

(١) لأن أول النظر لا يملك ، ولهذا في الحديث " لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك
وليست لك الثانية " [وهو حديث حسن، وانظر صحيح الجامع (٧٩٥٣)]، وقدم
النظر لأنه هو بريد الفجور ، والبلوى فيه أكثر ، وقد فسره ابن كثير بحفظ الفرج عن
الزنا وكشف العورة وهو حسن ١٢/ وجيز .

(٢) أمرهن مصرحاً لا في ضمن أمر الرجال لكمال الاهتمام في شأن غض البصر وحفظ
الفرج ١٢/ وجيز .

(٣) كالخاتم ، والكحل ، قال ابن مسعود : " ما ظهر منها: هو الثياب ، ونص على هذا
أحمد ، قال تعالى : " خذوا زينتكم عند كل مسجد " وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة
في الأمر بالستر فعلم ستر مواضعها بطريق الأولي ١٢/ وجيز .

(٤) قدم الأزواج ، لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة ، بل الزينة لهم ١٢/ وجيز .

(٥) وقد كتب عمر بن عبد العزيز [وهذا وهم وصوابه (عمر بن الخطاب - رضي الله عنه)
تفسير القرطبي (٢١٦/٦) وتفسير ابن كثير (٢٨٥/٣)] إلى أبي عبيدة أن امنع نساء أهل
الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات ١٢/ .

السلف أهن كالأبعد^(١) ، قال بعض السلف ، الأولى أن يُستَرَن من العم ، والخال حذراً عن أن يصفاهن لأبنائهما ، ولهذا لم يذكرهما^(٢) ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ ، أكثر السلف على أن العبيد كالأباء^(٣) ، والأبناء ، وعن بعض: أن المراد ما ملكت من إماء المشركات فإنهن محرمات ، ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ ، الإربة الحاجة ، والمراد منهم من لا حاجة لهم إلى النساء ، ويتبعون ليصيبوا من أفضل الطعام ، أو الأحق الغبي ، أو من لا يستطيع غشيان النساء ، ومن قرأ غير بالنصب فعنده أنه حال أو بتقدير أعنى ، ﴿أَوِ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ ، وصف المفرد بالجمع ، لأن المراد به الجنس ، أي : أطفال لا يعرفون ما العورة ، فمعنى الظهور الاطلاع أو المراد أطفال لم يبلغوا من الظهور بمعنى الغلبة ، ﴿وَلَا يَضُرُّنَ بَارِجُلهُنَّ﴾ : الأرض ، ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ : من صوت الخلخال ، وهذا من عادات الجاهلية ، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً﴾ : من التقصير في أوامره ، ونواهيه ، أو المراد توبوا عن مثل^(٤) ما كنتم عليه في الجاهلية من أمر النظر ، وغيره ، ﴿آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾^(٥) : راجين الفلاح ،

(١) صرح بذلك عمر بن الخطاب ومجاهد / ١٢ منه .

(٢) قال الشعبي ، وعكرمة : الأولى أن تتحاشى منهما حذراً من أن يصفاهن لأبنائهما فلهذا لم يذكرهما / ١٢ وجيز .

(٣) وعليه حديث صحيح / ١٢ وجيز . [وهو قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة لما وهبها عبداً ورآها تستر نفسها منه: " لا بأس عليك إنما هو أبوك وغلارك " أخرجه أبو داود وغيره بسند صحيح]

(٤) وفي معنى إبداء مثل الخلخال والتطيب عند الخروج من بيتها كما ثبت في الترمذى " إذا استعطرت فمرت بمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية " / ١٢ وجيز . [صحيح]

(٥) قيل ليس في كتاب الله آية أكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين للمؤمنات من مخفوض ومرفوع ، ولما كان النظر بالشهوة ، وهم الوقوع هذا في الزنا غالباً في العزب

﴿وَأَنْكِحُوا^(١)﴾: أيها الأولياء والسادة ، ﴿الْأَيَامَى﴾: العزب ذكراً كان أو أنثى بكرةً أو ثيباً ، ﴿مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، خص الصالحين ، لأن إحصان دينهم والاعتناء بحالهم أهم وأكثر ، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، يعني: لا يمنعكم فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة ، قال تعالى: "وإن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء" قال الصديق رضى الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغني قال تعالى: "وإن خفتن عليه فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء" ، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: لا ينفد جوده، ﴿عَلِيمٌ﴾: بصلاح أحوال عباده في البسط والقبض ، ﴿وَلَيْسَ تَعْفَفٍ﴾: ليجتهد في العفة عن الحرام ، ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، أي: أسبابه^(٢) ، ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: فيجدوا ما يتزوجون به ، ﴿وَالَّذِينَ^(٣) يَتَتَّعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي: يطلبون من مواليتهم أن يكاتبوهم ، ويبيعوهم منهم ، ﴿فَكَاتَبُوهُمْ﴾، خبر للموصول أو مفسر لفعل ناصب للموصول ، والفاء لتضمن معنى الشرط ، والأمر للندب عند الأكثرين ، ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، في الحديث^(٤) إن

= أعقب أمر غرض البصر ، وحفظ الفرج بالتزوج فقال: " وأنكحوا الأيامى " الآية/ ١٢ وجيز .

(١) والأمر في " أنكحوا " للندب عند الأكثرين / ١٢ .

(٢) وقيل النكاح اسم لما يمهر به كاللخاف ، واللباس اسم لما يلحف به ، ويلبس / ١٢ وجيز .

(٣) أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ، وهو غرض البصر ، ثم بالنكاح الذى هو عاصم ، ثم بالحمل على النفس(*) الأمانة بالسوء عند العجز عن النكاح على رزق القدرة ، ولما ذكر العبيد والإماء الطالبين الراغبين في النكاح ، وبعث السيد على تزويجهم رغبتهم في أن يكاتبوهم إن طلبوا ذلك فقال: " والذين " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) رواه أبو داود في المراسيل / ١٢ منه . [وهو ضعيف]

علمتم فيهم حرفة ، ولا ترسلوهم كلاباً على الناس ، أو أمانة وكسباً ، أو صدقاً وصلاًحاً في الدين ، ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ، أي : اطرحوا لهم من الكتابة بعضها والأكثر على أن طرح شيء منها واجب ، والمراد أمر المسلمين بإعطائهم سهمهم من الزكاة أو بإعانتهم في أداء الكتابة ، ﴿وَلَا^(١) تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ ، إماءكم ، ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ : على الزنا ، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾ ، هذا الشرط للتعاطي يعني : ينبغي أن يحترز من تلك الرذيلة ، وإن لم يكن زاجر شرعي حتى لا تكون أمته خيراً منه ، وحاصله لو كانت للأمة هذه الخصلة فما أقبح على مولاها أن يكرها على الرذيلة ، والإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التعفف ، ﴿لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، يعني : ما يؤخذ من أجورهن نزلت^(٢) حين شكت فتيات ابن أبي بن سلول عند النبي عليه السلام عن إكراههن على الزنا ، ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ﴾ : على الزنا ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ : لمن ، ﴿رَحِيمٌ﴾ ، والوزر على المكروه وفي مصحف ابن مسعود لفظ لمن مكتوب ، ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ ، بينت وأوضحت آي القرآن ، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ ، أمثال من أمثال من قبلكم ، وما حل بهم من مخالفتهم أوامر الله قال تعالى : " فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين " ، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ^(٣)﴾ ، فإنهم المنتفعون بمواعظ القرآن .

(١) ولما أمر سبحانه بالرفق بهم نهي عن ضده فقال : " ولا تكرهوا فتياتكم " الآية ١٢/ وحيز .

(٢) كما نقله البزار في مسنده ، والمفسرون ١٢/ وحيز . [ذكره الهيثمي في "المجمع" (٨٣/٧) وقال : " رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح "]

(٣) فإنهم المنتفعون بمواعظ القرآن ولما قال آيات مبينات ، ومثلاً ، وما القرآن إلا هدي ونور كما وصفه الله بذلك أعقبه بقوله : " الله نور السماوات " الآية ١٢/ وحيز .

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ﴿٦٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٦٧﴾﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٨﴾﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعٍ يَخْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٩﴾﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَنَّهُا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٧٠﴾﴾

﴿اللَّهُ﴾ (١) نُورُ السَّمَوَاتِ (٢) وَالْأَرْضِ ﴿﴾ : منورها أو مدبرها ، يقال : فلان نور قومه يهتدون به في أمورهم ، أو موجداهما عن ابن مسعود "إن ربكم ليس عنده ليل ،

(١) قال الإمام شمس الدين ابن القيم في القصيدة النونية: فصل:

أوصافه سبحانه ذي البرهان	والنور من أسمائه أيضاً ومن
ه الدارمى عنه بلا نكران	يقال ابن مسعود كلاماً قد حكا
قلت تحت الفلك يوجد دان	ما عنده ليل يكون ولا نهار
والأرض كيف النجم والقمران	نور السماوات العلي من نوره

ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه " ، قال حجة الإسلام : النور في الحقيقة اسم لكل ما هو ظاهر بذاته مظهر لغيره ، والله سبحانه هو المتصف بهذه الصفة ، فهو النور الحقيقي ، ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ : صفة نور الله ، وهدهد في قلب المؤمن ، وكان

وكذا حكام الحافظ الطبران
سبع الطباق وسائر الأكوان
نور كذا المبعوث بالفرقان
نور على نور مع القرآن
لأحرق السبحات للأكوان
في الأرض يوم قيامة الأبدان
نور تاللاً ليس ذا بطلان
صف ما هو والله متحدان
محسوس ومعقول هما شيان
كم قد هوي فيها على الأزمان
فهوى إلى قعر الحضيض الدان
دة ظننها الأنوار للرحمن
ما شئت من شطح ومن هذيان
من ههنا حقاً هما أخوان
الحجب الكثيفة ما هما سيان
وبظلمة التعطيل هذا الثان
هذا له من ظلمة يريان

= من نور وجه الرب جل جلاله
فيه استنار العرش والكرسي مع
وكتابه نور كذلك شرعه
وكذلك الإيمان في قلب الفتي
وحجابه نور ولو كشف الحجاب
وإذا أتى للفصل يشرق نوره
وكذلك دار الرب جنات العلي
والنور ذو نوعين مخلوق وو
وكذلك المخلوق ذو نوعين
احذر تزل فتحت قدمك هوة
من عابد بالجهل زلت رجله
لاحت له آثار أنوار العبا
فأتى بكل مصيبة وبلية
وكذا الحلولي الذي هو خدنه
ويقابل الرجلين ذو التعطيل و
ذا في كثافة طبعه وظلامه
والنور محجوب فلا هذا ولا
انتهى من عينها .

(٢) أي : منورهما ويؤيد هذا المعنى قوله : " مثل نوره " بالإضافة إلى ضميره وقراءة على ابن أبي طالب وأبي جعفر وعبد العزيز المكي وزيد بن علي وثابت بن أبي حفصة وسلمة بن عبد الملك وأبي عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن إياس بن أبي ربيعة "نور" فعلاً ماضياً والأرض بالنصب ١٢/ وجيز .

ابن مسعود يقرأ: "مثل نور الله في قلب المؤمن"، وعن بعض: الضمير للمؤمن السدال عليه سياق الكلام، وكان أبي يقرأ "مثل نور من آمن به" أو المراد من النور القرآن، أو محمد -عليه السلام- أو طاعة الله، قيل: إضافة النور إلى ضمير الله دليل على أن إطلاق النور على الله ليس على ظاهره، ﴿كَمْشَكَاةٌ﴾: أي صفته صفة كوة غير نافذة، أو هي موضع الفتيلة من القنديل، وعليه أكثر السلف، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، سراج أو فتيلة مشتعلة، فالكوة صدر المؤمن، والمصباح نور من الله في قلبه أو القرآن، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: قنديل من الزجاج، ﴿الزُّجَاجَةُ﴾: لما فيها من النور، ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: مضئ متألئ كالزهرة في صفائه منسوب إلى الدر، أو فعيل من الدر فإنه يدفع الظلام بضوئه، أو كوكب يُدْرَأ، أي: يدفع ويرمي به، والكواكب في ذلك الحين أشد استنارة من سائر الأحوال، وقلبت همزته ياء، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، أي: ابتداء ثقبه من شجرة الزيت المتكاثر نفعه، يعني رويت ذبالبته بزيتها، وفي تكبير الشجرة ووصفها ثم الإبدال عنها تفخيم لشأن الزيت، ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ﴾: وحدها فلا تصيبها الشمس في المساء، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾: وحدها فلا تصيبها في الغداة، بل في مكان عليها الشمس مشرقة من أول طلوعها إلى آخر غروبها كصحراء أو رأس جبل فزيتها أضوء، وهذا نحو فلان ليس بأسود ولا أبيض، أو لا في مضحي تشرق عليها الشمس فتحرقها، ولا في مقناة تغيب عنها دائماً فيتركها نياً، أو لا نابتة في شرق الأرض، ولا في غربها، بل في وسطها، وهو الشام فإن زيتونه أجود أو لا في شرقية من الشجر، ولا في غربية، بل في وسط الشجر أو ليست من أشجار الدنيا، إذ لو كانت منها لكانت أحدهما، لكنه مثل ضربه الله لنوره فإن نور قلب المؤمن من نور الله، ﴿يُكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: بنفسه، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: لفرط بريقه وضوء إشراقه،

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾^(١)، نوره متضاعف نُورُ النار ونور ذلك الزيت ، ونور القنديل ، وضبط المشكاة لأشعته ، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ، يزين فؤاد عباده المؤمنين بنور من نوره ، فيشرح صدورهم لمعارفه ، عن ابن عباس يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدي قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدي ونوراً على هدي ونور وعن بعضهم: القرآن المصباح ، والزجاجة قلب المؤمن ، والمشكاة لسانه ، وفمه والشجرة الوحي ، يكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ "نور على نور" نور القرآن والدلائل العقلية ، ونور البصيرة ، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ : تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسبيل الإدراك ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ : من المعقول ، والمحسوس الظاهر ، والخفي الكلي ، والجزئي .

﴿فِي بُيُوتٍ﴾^(٢) ، أي : كمشكاة في بعض بيوت ، وهي المساجد كأنه قيل : مثل نوره في قلبه كما ترى في المساجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت ، وقيل

(١) وهنا تم المثال وأما أحسن ذلك حيث ذكر المصباح مرتين نكرة ومعرفة ، وكذلك الزجاجة ، وما اكتفي بقوله كمشكاة مصباح المصباح في زجاجة للتفخيم والتعظيم ، ولقد أحسن أبو تمام وقد مدح ملكاً وقال :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
ف قيل له شبهت ملكاً عظيماً بأجلاف العرب ، فقال مرتجلاً .

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في النداء والبأس
والله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنيراس
النيراس أي : المصباح ، فإن المثل للتفهيم ١٢/ وحيز .

(٢) ولما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور فذكر أشرف عباداتهم القلبية ، وهي التزهي عن النقائص ، في أشرف بيوت وهو المساجد ، وقد جاء التقسيم لقابل الهداية ، وغير قابلها ، فبدأ بالصالحين ثم الطالحين فقال : " في بيوت " الآية ١٢/ وحيز .

متعلق بما بعده أى: يسبح في بيوت ، ولفظ فيها تكرير نحو زيد في الدار جالس فيها ، أو بمحذوف أي : سبحوا في بيوت ، ﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾: أمر الله ، ﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾، أن يعظم قدرها فيطهرونها من الدنس ، واللغو ، وكل ما لا يليق فيها ، ﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ، المراد من التسبيح إما الصلاة ، وبالغدو الصبح ، وبالأصال باقي الصلوات ، لأن اسم الأصيل يجمعها أو صلاة الصبح والعصر^(١) ، وإما التسبيح والتزنية ، والذكر في طرفي النهار ، ﴿رِجَالٌ﴾، فاعل يسبح ، وعند من قرأ يسبح بصيغة المفعول ففاعل محذوف كأنه قيل من يسبح^(٢) فأجاب يسبح رجال ، ﴿لَّا تُلْهِهِمْ﴾: لا تشغلهم ، ﴿تِجَارَةً﴾: معاملة رائجة ، ﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ^(٣) اللَّهِ﴾، أو المراد بالتجارة الشري^(*)، فإنه أصلها ومبدؤها ، أو التجارة الجلب فإن من يجلب الأمتعة من بلد إلى بلد للبيع هو التاجر ، ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾، عطف على ذكر الله ، أي : لا يشغلهم شيء عن إقامة الصلاة ، ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: مع تلك الطاعات ، ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾، تضطرب ، وتتغير من الهول وهو يوم القيامة ، ﴿لِيَجْزِيَهِمْ﴾، متعلق بيسبح ، أو لا تلهيهم ، ﴿اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، أي : أحسن جزاء أعمالهم ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾: أشياء لم تخطر

(١) يعني أو المراد بالغدو صلاة الصبح وبالأصال صلاة العصر/ ١٢ منه .

(٢) نحو :

فلبيك يزيد ضارح لخصومة

١٢ /

(٣) يعني لهم تجارة وبيع ولكن ذكر الله أخذ بمجامع قلوبهم فلا يشغلهم شيء عن ذكره

١٢/ وحيز .

(٥) كذا بالأصل، وأرى أن تكتب "الشراء".

بإلهم ، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ^(١) حِسَابٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ ، هو ما يرى في الفلاة وقت الظهيرة فيظن أنه ماء ، ﴿بِقِيعَةٍ﴾ ، هي بمعنى القاع ، وهو الأرض المستوية ، ﴿يَخْسِبُهُ الظَّمْآنُ﴾ : العطشان^(٢) في القيامة ، ﴿مَاءٍ﴾ ، فتوجه إليه ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ : جاء السراب ، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ : مما ظنه ، ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ : محاسبًا إياه ، ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ : جزاء عمله ، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ، لا يشغله حساب عن حساب كذلك الكافر يحسب أن عمله مغن عن عقاب الله ، فإذا جاء إليه ليغنيه عند الموت في أشد أوقات الحاجة لم يجد عمله ينفعه ووجد الله عنده ، أو وجد عقابه عنده ، فوفاه جزاء عمله ، فيجر إلى جهنم وبئس المهاد.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ ، عطف على كسراب وأو للتخيير أو للتنويع ، فإن الأول حال رؤسائهم وعقلائهم ، والثاني حال مقلديهم وجهالهم ، ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ : عميق كثير الماء ، ﴿يَعُشَّاهُ﴾ : يعلو البحر ، ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ : أمواج مترادفة ، ﴿مِّنْ فَوْقِهِ﴾ ، الضمير إلى الموج الثاني ، ﴿سَحَابٌ﴾ ، يظلمه ، ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ ، أي : هذه ظلمات^(٣) ، ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ، وقراءة جر ظلمات على أنها بدل من

(١) ولما ذكر حال المؤمنين بين حال الكافرين فقال : " والذين كفروا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) يعني المشبه به سراب يراه العطشان في القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد إلا نقيض ما رجاه وقلنا العطشان في القيامة ليحصل التقرب من أول التشبيه ، وتمته وهو قوله (وجد الله عنده) إلخ وعلى هذا المشبه به أمر خيالي لا موجود فتأمل ولا تغفل / ١٢ منه .

(٣) إشارة إلى أن ظلمات خبر لمبتدأ محذوف / ١٢ منه .

ظلمات ، ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا﴾ : لم يقرب من أن يراها فضلاً عن أن يراها والضمائر لمن في البحر للدلالة الفحوى عليه شبه أعمالهم في سوادها وظلمتها ، وما في قلوبهم من الجهل والحيرة بظلمات متراكمة في غاية ما يكون بحيث لا يمكن أن يهتدي إلى النور سبيلاً ، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ ، هذا في مقابلة يهدي الله لنوره من يشاء ، وقوله : " نور على نور " .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَقَلَتْ كُلُّ قَدَّةٍ عِلْمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ⑤ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ⑥ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ⑦ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ⑧ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑨ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ⑩ وَيَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ⑪ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ⑫ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ⑬ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ⑭

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم علماً كالمشاهدة في اليقين ، ﴿أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، من تغليب ذوى العقول والمراد أعم ، ولكل من الجمادات أيضاً لسان به يذكرون الله يسمعه من يسمع ، وقيل المراد لسان الحال ، ﴿وَالطَّيْرِ﴾ ، عطف على من ، ﴿صَافَاتٍ﴾: باسطات أجنحتهن في الهواء يسبحن بتسبيحات هو يلهمها ، قيل: خصها ؛ لأنها ليست في أرض ولا في سماء ، ﴿كُلٌّ﴾: منهم ، ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ ، أي: قد علم هو صلاة نفسه كيف يصلي ويسبح^(٢) أو قد علم الله صلاته ، وتسبيحه لا يخفي عليه ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: مرجع الكل إليه ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ ، يسوقه ثم يجمع بين قطعه ، وأجزائه ، ويضم بعضه إلى بعض ، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾: متراكماً بعضه فوق بعض ، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: فرجه وفُتُوْقه ، ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا جِبَالًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ ، أي: ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد برداً ، فيكون من برد بيان للجبال ، والمفعول محذوف^(٤) ، أو من الثالثة للتبعية وهو المفعول ، وعن بعض

(١) ولما أخبر أن الله هو نور السماوات والأرض وعلم أن ظهورهما وظهور ما فيهما من نوره بين أن الموجودات التي ظهرت من نوره دالة مبينة لموجودها فقال: " ألم تر "

الآية/ ١٢ وجيز

(٢) بإلهام الله إياه كما ألهم الطير دقائق العلوم بحيث تحير فيه عقول العقلاء / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر أن الكل منقاد له وذكر ملكه والمصير إليه أخذ يؤكد ذلك بعجيب من أفعاله

مشعر بانتقال من حال إلى حال منبه على إمكان الانتقال إلى المعاد فقال: " ألم تر أن

الله يزجي " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) هو قولنا برداً لما قدرنا / ١٢ منه .

السلف^(١) إن في السماء جبال برد يترل الله منه البرد ، أو معناه يترل الله من جانب السماء من قطع عظام من الغيم يشبه الجبال بعض برد ، **﴿فَيَصِيبُ بِهِ﴾** : بالبرد ، **﴿مَنْ يَشَاءُ﴾** : أن يصيبه ، **﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾** : أن يصرفه عنه ، **﴿يَكَادُ سَنًا﴾** : ضوء ، **﴿بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾** : من فرط الإضاءة ، فهو الله سبحانه مخرج الماء والنار ، والظلمة ، والنور من شيء واحد^(٢) ، **﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾** : يصرفهما في اختلافهما ، وتعاقبهما ، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾** ، المذكورات ، **﴿لَعِبْرَةً﴾** : دلالة ، **﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾** : لذوي العقول ، **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾** ، وهو النطفة ، **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾** ، كالحية : قدّمه ، لأنه أدخل في القدرة وأغرب ، **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾** ، كالإنسان والطيور ، **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾** ، كالنعم جعل الدواب وهي ما يدب في الأرض كلها مميزين تغليبا^(٣) للعقلاء ، فلذلك قال : " فمنهم من " إلخ ... ، وعن بعض : أن الماء أول مخلوق ، والريح والنار والطين خلق منه ، **﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾** : أن يخلقه ، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ : لكمال قدرتنا ، **﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** : هدايته ، **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** ، فيبصره آياته ، ويعلمه الكتاب والحكمة ، **﴿وَيَقُولُونَ﴾** : الذين مع محمد -صلي الله عليه وسلم- ،

(١) نقله محيي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٢) وعادة الله جارية بأن برق غيم البرد أضوء ، ورعده أشد / ١٢ وجيز .

(٣) فإنه دخل في قوله : كل دابة الإنسان ، وهم ذروا العقول فغلبهم فلما غلبهم في الجمل استعمل لفظة من التي هي لذوي العقول في تفصيله ، ليكون على وتيرة الجمل ، وطريقته فافهم / ١٢ منه .

﴿أَمَّا^(١) بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: لهما ، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾: يعرض عن قبول حكم الله ورسوله ، ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: كالمنافقين ، ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: القول ، والاعتراف ، ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ﴾: الفريق ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أو ما أولئك الذين يقولون آمنا وأطعنا مجموعهم بمؤمنين ، بل فيهم كافرون^(٢) ، ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: الحاكم نبي الله عليه السلام يحكم بحكم الله ، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ^(٣)﴾: فاجئوا الإعراض لعلمهم أنه لا يحكم إلا بالحق ، وهم يريدون الباطل إن كان الحق^(٤) عليهم ، ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾: لا عليهم ، ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾: إلى رسول الله ، ﴿مُذْعِنِينَ^(٥)﴾: منقادين قيل نزلت^(٦) في منافق ، ويهودي ، وهو يجره إلى النبي - عليه السلام - ، والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ، ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: كفر ونفاق ، وقيل جنون ، ﴿أَمْ ارْتَابُوا﴾: في نبوتك ، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾: في الحكومة ، ﴿بَلْ أَوْلَيْكَ هُمْ

(١) ولما ذكر دلائل التوحيد اتبع ذلك بدم قوم آمنوا بالسنتهم دون قلوبهم فقال : " ويقولون آمنا بالله " الآية ١٢/ وجيز .

(٢) على الأول أولئك إشارة إلى المنافقين خاصة ، وعلى الثاني إلى المجموع من حيث المجموع ١٢/ منه .

(٣) وهذا هو شأن مقلدة المذاهب بعينه اليوم يعرضون على إجابة الداعي إلى الله ورسوله ، وعن التحاكم إليهما أي : إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم / ١٢ فتح .

(٤) هذا القيد يعلم من مقابلة قوله : " وإن يكن لهم الحق " / إلخ .. فلا تغفل / ١٢ منه .

(٥) وما أصدق هذه الآية على المقلدين في صنيعهم مع أهل القرآن وأصحاب الحديث/ ١٢ فتح .

(٦) نقله محي السنة رضي الله عنه / ١٢ .

الظَّالِمُونَ ﴿١﴾، أي : لا يرتابون ، ولا يخافون لعلمهم بنبوتك ، وبأن الله لا يظلم وإنما هم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم أو معناه لا يظلم ، ولا يحيف ^(١) الله لأحد ؛ بل هم الظالمون لأنفسهم .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ يَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٣﴾ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَّتَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلٌّ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالْسِقُونَ ﴿٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

(١) على الأول، بل إضراب عن قوله : " أم ارتابوا " وقوله : " أم يخافون " ، وعلى الثاني عن قوله : " أم يخافون " وعلى قول أن فسر المرض بالجنون يمكن أن يكون بل إضراباً عن الثلاثة / ١٢ منه .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ ، سواء كان الحق لهم أو عليهم ، ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ ، اسم كان ، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : فيما ساءه وسره ، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ : على ما مضى من ذنوبه ، ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ : فيما بقي من عمره في بعض اللغات إذ أسقط الياء للجزم يسكنون ما قبلها فيقال : لم أشتر طعاماً ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ : يوفق ، بل فوق بغيتهم ، ﴿وَأَقْسَمُوا^(٢) بِاللَّهِ جَهْدَ^(٣) أَيْمَانِهِمْ﴾ : قسماً غليظاً ، ﴿لَئِنْ

(١) وفي هذه الآية دليل على وجوب الإجابة إلى القاضي العالم بحكم الله العادل في حكمه لأن العلماء ورثة الأنبياء ، والحكم من قضاة الإسلام العالمين بحكم الله العارفين بالكتاب والسنة ، العادلين في القضاء هو حكم بحكم الله ورسوله ، فالداعي إلى التحاكم إليهم قد دعي إلى الله وإلى رسوله ، أي : إلى حكمهما فإن كان القاضي مقصراً لا يعلم بأحكام الكتاب والسنة ، بل كان جاهلاً جهلاً بسيطاً ، وهو من لا علم له بشيء من ذلك أو جهلاً مركباً ، وهو من لا علم عنده بما ذكرنا ولكنه قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين ، واطلع على شيء من علم الرأي (٥) فهذا في الحقيقة جاهل وإن اعتقد أنه يعلم بشيء من العلم فاعتقاده باطل فمن كان من القضاة هكذا فلا تجب الإجابة إليه لأنه ليس ممن يعلم بحكم الله ورسوله ، بل هو من قضاة الطاغوت ، وحكام الباطل وإذا تقرر لديك هذا ، وفهمته علمت أن التقليد والانتساب إلى عالم العلماء دون غيره ، والتعبد بجميع ما جاء به من رواية ورأي وإهمال ما عداه من أعظم ما حدث في هذه الملة الإسلامية من البدع المضلة والفوارق الموحشة ، فإننا لله وإنا إليه راجعون / ١٢ فتح .

(٥) بالأصل "الرأي" .

(٢) ولما استطرد حكاية قول المؤمنين رجوع إلى بيان أحوال المنافقين فقال : " وأقسموا بالله "

الآية ١٢ .

(٣) مر مرار أن جهد مفعول مطلق من أقسم من غير لفظه أو تقديره يجهدون جهد أيمانهم /

١٢ منه .

أَمَرْتَهُمْ: بالخروج إلى الغزو ، «لِيَخْرُجْنَ» ، جواب لأقسموا ، «قُلْ»: لهم ،
«لَا تُقْسِمُوا»: على الكذب ، «طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ»، أي : طاعتكم طاعة مشهورة
معلومة بأنما قول لا فعل معه ، أو الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا إيمان بمجرد
الأفواه أو طاعة معروفة أولى وأمثل من هذا الإيمان ، «إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»:
فلا يخفي عليه سرائركم ، «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ^(١) تَوَلَّوْا»:
تولوا عن الطاعة ، «فَإِنَّمَا عَلَيْهِ»: على محمد : «مَا حُمِّلَ»: من تبليغ الرسالة ،
فإذا أدى خرج عن عهده ، «وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»: من القبول فإن أعرضتم فقد
تعرضتم لسخط الله ، «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا»: إلى الحق ، «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»: التبليغ الموضح فضرر عدم القبول ليس إلا لكم ، «وَعَدَ اللَّهُ^(٢)
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ»: ليجعلهم
خلفاء متصرفين في الأرض لما كان الوعد من الله في تحقيقه كالقسم تُلقَى بما يُتَلَقَّى به
القسم أو تقديره وعد الله الذين آمنوا وأقسم ليستخلفنهم ، «كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ»، داود وسليمان ، وغيرهما أو بني إسرائيل أهلك القبط ، وأورثهم
أرضهم ، «وَلَيُمْكُنَنَّ لَهُمْ دِينُهُمْ»: تمكنه تثبيتته وإحكامه ، «الَّذِي ارْتَضَى

(١) اعلم قوله : " فإن تولوا " خطاب بدليل قوله : " فإنما عليه " وقوله : " وإن تطيعوه " والأصل فإن تولوا فإنما عليك ما حملت وعليهم ما حملوا ففيه التفات لأنه جعلهم غيياً حيث أمر الرسول بخطابهم في قوله : " قل " ، أي : قل لهم ، ثم خاطبهم بقوله " فإن تولوا " على أنه خطاب مستقل من الله لا من تنمة المقول فهو التفات حقيقي / ١٢ منه .

(٢) ولما قال : " وما على الرسول إلا البلاغ " وصارت النفوس طامحة بأن يعلموا الحال بعد تبليغ الرسول ، وعدم قبولهم قوله قال مبيناً حال المؤمنين السامعين ، ومن ضمنه يعلم حال الجاحدين " وعد الله الذين آمنوا " الآية / ١٢ وحيز .

اختار ، ﴿لَهُمْ وَلِيْدَلْنَهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ : من الأعداء ، ﴿أَمْنَا﴾ ، منهم نزلت^(١) حين قالوا : يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون ، ما يأتي علينا يوم نضع السلاح ، ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ ، استئناف كأنه قيل : لم يستخلفون ، ويؤمنون ، فقال : " يعبدونني " أو حال أي : وعدهم ذلك في حال عبادتهم ، ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ ، حال من فاعل يعبد ، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ : هذه النعمة ، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ : بعد حصول الخلافة والأمن أو كفر بمعني ارتد ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ : الكاملون في الفسق ، ﴿وَأَقِمْوَا^(٢) الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ : فيما أمر ونهي ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ : راجعين رحمة الله ، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ^(٣)﴾ : يا محمد ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ : الله عن إهلاكهم ، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ، وفي قراءة بالغيبة ، والذين فاعله ، ومعجزين في الأرض مفعولاه ، أي : لا يحسبن الكفار في الأرض أحدا يعجز الله حيي يطمعوا في مثل ذلك ، ﴿وَمَا وَاهُمْ النَّارُ﴾ ، حال أي : لا ينبغي هذا الحسبان ، وقد أعد لهم النار ، ﴿وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ ، النار .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَتِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ

(١) نقله محي الدين ، والشيخ عماد الدين ابن كثير / ١٢ منه .

(٢) ولما تمت لهم البشري ومعناه اعبدوا ولا تشركوا ، ولا تكفروا نعمه أو لا ترتدوا عطف عليه بقول : " وأقيموا الصلاة " الآية / ١٢ وحيز .

(٣) ولما وعد المؤمنين ما وعدهم كأن قائلًا قال : كيف والكفار في كثرة وقوة؟ ، فقال : لا تحسبن أيها المخاطب الذين كفروا الآية / ١٢ وحيز .

جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الْآيَةَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا
كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَدُّوا مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحِشُهُ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَةَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ^(٢) آمَنُوا لَيْسَ أَذْنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من
العبيد والإماء نزلت لما دخل^(٣) غلام أسماء بنت أبي مرثد عليها في وقت كرهته ، أو لما

(١) ولما كانت السورة معقودة لبيان أحكام العفاف ، والستر بين بعض أحكامه وفي خلاها
أثبت نصائح ومواظب استطراداً للدلالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام
وغيره ، ووعد علي امتثالها وأوعد على الإعراض ، ثم رجع إلى المقصود ، ومن المعقود
من السورة فقال : " يا أيها الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) المراد خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال / ١٢ منه .

(٣) قاله مقاتل بن حيان / ١٢ منه .

دخل^(١) على عمر غلام وقت الظهيرة وهو نائم منكشف عنه ثوبه ، قيل هذا رجوع إلى تمة الأحكام السابقة بعد الفراغ عن الآيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيره ، ووعد عليها ووعد على الإعراض عنها ، **﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾** : من الأحرار ، **﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾** : في اليوم والليلة ، **﴿مَنْ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾** ، بدل من ثلاث مرات ، أو تقديره هي من قبل صلاة الفجر ، **﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾** : لأجل القبلولة ، **﴿مَنْ الظُّهْرِ﴾** ، بيان للحين ، **﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾** : الآخرة ، **﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾** ، أي : هذه الأوقات ثلاث أوقات عورات سمى هذه الأوقات عورات ، لأن الناس يحتل فيها تسترهم ، والعورة الخلل ، وقراءة نصب ثلاث بالبدلية من ثلاث مرات ، **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ﴾** : في ترك الاستئذان ، **﴿بَعْدَهُنَّ﴾** ، بعد هذه الأوقات والآية السابقة في الأحرار البالغين ، وهذه في المماليك^(٢) والصبيان ، **﴿طَوَافُونَ﴾** ، أي : هم طوافون ، **﴿عَلَيْكُمْ﴾**^(٣) ، استئناف يبين العذر في ترك الاستئذان في غير تلك الأوقات ، **﴿بَعْضُكُمْ﴾** : طائف ، **﴿عَلَى بَعْضٍ﴾** ، أو تقديره يطوف بعضكم على بعض فيكترون التردد لحوائجكم ، فيغتفر فيهم ما لا يغتفر في غيرهم ، **﴿كَذَلِكَ﴾** : مثل ذلك التبيين ، **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾** : بأحوالكم ، **﴿حَكِيمٌ﴾** :

(١) نقله محي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٢) فلا تكون ناسخة للآية الأولى، وعن ابن عباس أن الناس ليس لهم ستور على أبواهم ، ولا حجال فرما فاجأ الرجل والده أو خادمه ، وهو على أهله فأمرهم الله بالاستئذان ، ثم بسط الله عليهم في الرزق فاتخذوا الستور والحجال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان فتهاونوا وتركوا العمل بتلك الآية / ١٢ منه .

(٣) والظاهر أن السرية خارجة من هذا الحكم إلا أن يكون لسيدها زوجة أو سرية أخرى وتكون عنده / ١٢ وجيز .

فيما أمركم ، «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ» ، أي : ذلك الأطفال الذين يستأذنون في ثلاث أوقات ، «فَلْيَسْتَأْذِنُوا» : في جميع أوقات الدخول ، «كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ» : بلغوا الحلم ، «مِنْ قَبْلِهِمْ» ، وهم الرجال الأحرار ، «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» ، كرره تأكيداً في الأمر بالاستئذان ، وعن كثير من السلف ^(١) إذا بلغ الغلام الحلم فليستأذن على أبويه في جميع الأحوال ، «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ» : العجائز اللاتي قعدن عن الحيض ، «اللاتي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً» : لا يطمعن فيه لكبرهن ، «فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ» : الثياب الظاهرة كالجلباب يعني ليس على العجائز من التستر ما على غيرها من النساء ، «غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ» : مظهرات ، «بِزِينَةٍ» ، أمر بإخفائها أو غير قاصدات بوضع الثياب ^(٢) تبرز الزينة ، «وَأَنْ يَسْتَغْفِفْنَ» : فلا يضعن الجللاب أيضاً ، «خَيْرٌ لَّهُنَّ» : لأنه أبعد من التهمة ، «وَاللَّهُ سَمِيعٌ» : لفاهن للرجال ، «عَلِيمٌ» : بمقاصدهن ، «لَيْسَ ^(٣) عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ امْهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ» ، كان المؤمنون إذا دخل عليهم الأعمى وغيره وليس في بيوتهم شيء يضيفونه يذهبون به إلى بيت أحد من هؤلاء المذكورين في الآية ،

(١) كسعيد بن جبير ويحيى بن أبي كثير / ١٢ منه .

(٢) علم التوجيه للأخير الزينة غير مقيدة بخلاف الوجه الأول ، فإنه مقيدة بزينة خفية لسبق العلم باختصاص الحكم بها لأن الوضع بقصد التبرج مذموم أبداً / ١٣ منه .

(٣) ولما حجر في أمر البيوت لبعض ووسع لبعض لأجل صيانة العرض ضيق ووسع أيضاً في

أمر المال ، فقال : " ليس على الأعمى " الآية / ١٢ وحيز .

فيأكل هو وضيئه من بيوتهم ، فخافوا أن يكون أكلاً بغير حق ، ويلحقهم إثم لقوله تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " ، فترلت ، أي : ليس على الضعفاء ، ولا على أنفسكم حرج في ذلك أو كانوا^(١) يخرجون إلى الغزو ويدفعون مفاتيح أبوابهم إلى هؤلاء القاعدين ، ويأذنون أن يأكلوا من بيوتهم ، وهم يتخرجون ، ولا يأكلون فترلت رخصة لهم ، ولغيرهم أن يأكلوا من بيوت هؤلاء أو كان^(٢) هؤلاء المرضي من الأعمى ، وغيره يتترهون عن مؤاكلة الأصحاء ، فترلت ، أو معناه^(٣) ليس على الأعمى والأعرج ، والمريض حرج في القعود عن الغزو ، ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت ، وقوله : " أن تأكلوا من بيوتكم " ، أي : التي فيها أزواجكم ، وعيالكم ، وعن بعض المفسرين : ذكره ليعطف عليه الباقي ليعلم أن بيوت الأقارب كبيت نفسه ، فلا يحترز عنها بوجه ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ ، عطف على ما بعد من أي : أن تأكلوا عما في يده^(٤) وتصرفه وملك المفاتيح كناية عن ذلك (كالناطور)^(٥) جاز له أن يأكل من البستان ، والراعي من لبن الغنم ، والمأذون مما في بيت بيده مفاتيحه ، أو عطف على ما يضاف البيوت إليه أي : بيوت الذين ملكتم مفاتيحهم^(٥) وهم المماليك ، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾^(٦) ، أو بيوت

(١) نقله الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها / ١٢ منه

(٢) نقله محي السنة عن سعيد بن جبير والضحاك ، وغيرهما / ١٢ منه .

(٣) قاله العطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وجعلوا كالأية التي في سورة الفتح ، وتلك الجهاد البتة / ١٢ منه .

(٤) هو قول عائشة رضي الله عنها / ١٢ منه .

(٥) النّاطور : حافظ الزرع والتمر والكرّم .

(٥) قاله سعيد بن جبير والسدي / ١٢ منه .

(٦) عن ابن عباس : الصديق أوكد من والديه ألا ترى استغاثة أهل النار لم يستغيثوا بالآباء والأمهات ، وقالوا : "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم" قيل لعالم : أحوك أحب إليك أم صديقك ؟ فأجاب لا أحب أحبي إلا إذا كان صديقي . وما تعرض لبيت

صديقكم ، وهو يقع على الواحد ، والجمع وهذا كله إذا علم رضى صاحب المال وإن كان بقرينة ، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ : مجتمعين ، ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾ : متفرقين ، كانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده^(١) فرخصهم في ذلك أو كان الغني يطلب^(٢) فقيراً من قرابته ليأكل معه ، فيقول : والله لأتخرج أن أكل معك وإني فقير وأنت غني ، أو كانوا^(٣) إذا نزل بهم ضيف يتخرجون أن لا يأكلوا إلا معه ، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ : من هذه البيوت لتأكلوا ، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ : على أهل الذي هو منكم ديناً وقرابة ، أو إذا دخلتم بيوت^(٤) أنفسكم فسلموا على أهل بيتكم ، أو إذا دخلتم^(٥) بيوتاً خالية فقولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ : ثابتة بأمره من عنده نصب على المصدر ، لأنها بمعنى التسليم ، ويجوز

= الأولاد لأنه داخل بيوتكم فإن ولد الشخص بعضه ، ولأن الولد أقرب ممن عدد من القرابات ، وفي الحديث : " أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه "

١٢/ وجيز . [صحيح] ، انظر صحيح الجامع (١٥٦٦) ، وراجع الإرواء (١٦٢٦)]

(١) قاله ابن عباس ، وقتادة والضحاك ، وابن جريج / ١٢ منه .

(٢) نقله عطاء الخراساني عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) قال عكرمة وأبو صالح / ١٢ منه .

(٤) هو قول جابر ، وطاووس ، والزهري ، وقتادة ، والضحاك ، وعمرو بن دينار / ١٢

منه .

(٥) قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد / ١٢ منه .

(٦) معناها فتعملون على مقتضاها أو تدخلون في زمرة العقلاء ، ولما بين الاستئذان في

دخول البيت ، وجواز الأكل من بعض البيوت واستحباب السلام حين دخول البيت ، وجواز الأكل من بعض البيوت واستحباب السلام حين دخول البيت عقبه بالاستئذان =

أن يكون معناه قولوا سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، ﴿مُبَارَكَةٌ﴾ : يرجي بها زيادة الخير ، ﴿طَيِّبَةٌ﴾ : تطيب بها نفس المستمع ، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) : الحق والخير .

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا تجعلوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ : من صميم القلب ، ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ : مع الرسول عطف على آمنوا ، ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ : كالحروب ، والجمعة ، والمشورة ، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ : عن محضره ، ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ ، حذف قوله : " ويأذن لهم " ، لأنه كالمستغني عنه ، وكانت الصحابة إذا أرادوا أن يخرجوا من المسجد لحاجة ،

= عن محضر النبي المصطفى -صلي الله عليه وسلم- الذى هو في بيت الله فقال : " إنما المؤمنون " الآية/ ١٢ وحيز

(١) ولما ذكر من الحكم ما هو من خصوصيات رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أعقبه بشئ آخر من خصوصياته الدال على تعظيمه كالأول فقال : " لا تجعلوا دعاء الرسول " الآية/ ١٢ وحيز .

وهو عليه السلام في المنبر لم يخرجوا حتى يقوموا بحباله فيأذن فيخرج ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ : إيماناً صدقاً ، ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ : مهامهم ، ﴿فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ : فالأمر مفوض إليك ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ﴾ : فإن الذهاب عن مجلسك ربما يكون زللاً لهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ : لفرطات العباد ، ﴿رَحِيمٌ﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ ^(١) بَعْضاً : لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً ، فقولوا: يا نبي الله ، يا رسول الله لا: يا ^(٢) محمد يا أبا القاسم ، أو اأذروا ^(٣) دعاءه عليكم إذا أسخطتموه ، فإن دعاءه موجب ليس كدعاء بعضكم على بعض ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ ، أي : يتسلون ، ﴿مِنْكُمْ﴾ : قليلاً قليلاً ، ويخرجون ، ﴿لِوَاذًا﴾ : ملاوذين ^(٤) مستترين بعضهم ببعض للخروج أو يلوذ بمن يؤذن ، فينطلق معه كأنه تابعه من لا يلوذ ، وكأن هذا ديدن المنافقين يهربون بأي وجه يمكن لهم من محضر حضرة النبوة صلوات الله وسلامه عليه ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾ : معرضين ^(٥) ، ﴿عَنْ

(١) ومعناه لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في إجابته ، والرجوع بعد الإجابة بغير إذنه فإن المبادرة إلى إجابته واجبة وإن كنتم في الصلاة والمراجعة بغير إذنه محرمة / ١٢ وجيز .

(٢) قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، ومقاتل بن حیان ، وزيد بن أسلم / ١٢ منه .

(٣) حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي / ١٢ منه .

(٤) ملاوذين يلوذ بعضهم ببعض بحيث يدور معه إذا دار استتاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم / ١٢ وجيز .

(٥) قوله معرضين عن أمره إشارة إلى أن تعدية المخالفة بعن لتضمنين معني الإعراض وإلا فالمخالفة متعدية بنفسه كما أشار إليه بقوله مخالفين أمره / ١٢ منه .

أَمْرُهُ: منصرفين عنه بغير إذنه مخالفين أمره ، ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: في الدنيا ،
 ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة ، ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ^(١) عَلَيْهِ﴾، من النفاق والإخلاص أكد
 علمه بقدر لتأكيد الوعيد يعني من خلَقَ جميع الخلق وملكهم كيف يخفي عليه أحوال
 المنافقين ، وإن اجتهدوا في الإخفاء ، ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾، المنافقون: ﴿إِلَيْهِ﴾:
 للجزاء، ويوم ظرف^(٢) لقوله ، ﴿فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: بالمجازات ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣)﴾.

(١) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ويوم يرجعون المنافقون الظاهر عطف يوم على ما أنتم
 عليه فهو مفعول يعلم ، وفيه التفات آخر من الخطاب / ١٢ وعزيز .

(٢) ومعمول ينبئهم أعني يوم لما قدم عليه للاختصاص جيئ بحرفي العطف عليه ، ومثله غير
 عزيز / ١٢ .

(٣) عن عقبة بن عامر قال : " رأيت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وهو يقرأ هذه الآية
 في خاتمة سورة النور وهو جاعل أصبعيه تحت عينيه يقول بكل شيء بصير " أخرجه
 الطبراني وغيره قال السيوطي بسند حسن / ١٢ فتح . [كما في الدر المنثور (١١٢/٥)
 وقال الهنمى في المجمع (٨٤/٧): "هكذا وقع، فإن كانت قراءة شاذة، وإلا فالتلاوة بكل
 شيء عليهم. رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ وفيه ضعف، وبقي رجاله
 ثقات".]

سورة الفرقان مكية

وهي سبع وسبعون آية وست ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ١ الَّذِي لَهُ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ٢ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا
وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوَةً
وَلَا نُشُورًا ٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا ٤ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ
تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٥ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ٦ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ٧ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ
لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ٨
أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ٩

﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خيره ، أو تزايد عن كل شيء وتعاضم ، أو ثبت ودام ، ﴿الَّذِي﴾^(١)
نَزَّلَ ، منحما لا جملة واحدة ، ﴿الْفُرْقَانَ﴾ ، سمي القرآن به لأنه فارق بين الحق

(١) تكلم سبحانه في هذه السورة على التوحيد ، لأنه أقدم وأهم ، ثم في النبوة ؛ لأنها
الواسطة ، ثم في المعاد ، لأنها الخاتمة / ١٢ فتح .

والباطل^(١) ، ﴿عَلَىٰ عِبْدِهِ لِيَكُونَ﴾ ، العبد أو الفرقان ، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ ، :الإنس والجن ، ﴿تَذِيرًا﴾ ، : منذراً مخوفاً ، أو بمعنى الإنذار كالنكير ، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ، بدل من الذي^(٣) أو رفع أو نصب على المدح ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ، : في ملكه وسلطانه ، ﴿وَوَخَّلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ، أي : أحدث كل شيء له ، الكون مراعى فيه التسوية ، فهيأه لما أراد منه كما سوى الإنسان من مواد وصور مخصوصة ، ثم هيأه للإدراك ، ومزاولة الأعمال الغريبة ، أو قدره للبقاء إلى أمد معلوم ، ﴿وَاتَّخَذُوا﴾^(٤) من دونه إلهة لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا : عاجزين ، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾^(٥) : فإن عبدتهم ينحتونهم ، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا﴾ أي : دفعه ، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي : جلبه ، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ ، إماتة أحد ﴿وَلَا حَيَاةً﴾ : إحياءه ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ : بعثه ثانياً فكيف يستحقون الألوهية ، وهم متصفون بصفات تنافيها ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا : ما القرآن ، ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ ، يعنون رسول الله ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ، : اليهود ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا﴾ : يجعل كلام الله إفكاً ، ﴿وَزُورًا﴾ ، بنسبة رسوله إلى ما هو برىء منه ، وجاءوا بمعنى فعلوا أو نصب ظلماً

(١) أو لأنه مفرق مفصول بين آياته في الإنزال ، قال الله تعالى : " وقرآنًا فرقناه " (الإسراء: ١٠٦) الآية / ١٢ وحيز .

(٢) دون غيره لا استقلالاً ولا تبعاً فهو المتصرف فيهما / ١٢ فتح .

(٣) والفصل ليس بأجنبي ؛ لأنه من تمة الصفة ، ومتعلقاها / ١٢ وحيز .

(٤) الضمير للعالمين أي : اتخذ الإنس والجن مع ثبوت دلائل الوحدة وعلمهم بأن الله خالقهم من دونه آلهة / ١٢ وحيز .

(٥) ونسبة الخلق إلى العباد مجاز كأحسن الخالقين لعبادهم بمزلة إله لأهلهم / ١٢ وحيز .

بحذف الجار ، «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» : ما سطره المتقدمون «اكتتبها»^(١) استكتبها «فهي» ، الأساطير ، «ثُمَّ لِي عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا» ، ليحفظها فإنه أُمِّي لا يقدر أن يقرأ من الكتاب ، «قُلْ أَنْزَلَهُ»^(٢) الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ، ولذلك ترى القرآن مملوءاً من المغيَّات ، «إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» ، ولولا رحمته لاستأصلهم ، وما أمهلهم ، «وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ» ، أي : من يدعي الرسالة ، «يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» : لا مَلِكٌ ولا مَلِكٌ ، «لَوْلا» هلا ، «أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ» : الملك ، «مَعَهُ نَذِيرًا» : منذراً هو خير كان ، ومعه حال أو بالعكس ، أو مع متعلق بنذيراً ، أي : يشاركه في النبوة ، «أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَثرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا» : حاصله إن لم يكن ملكاً ، ولا ملكاً ، فلا أقل من أن يكون معه ملك أو يكون صاحب كثر وثروة ، وأقلها أن يكون رجلاً له بستان كما للدهاقين ، «وَقَالَ الظَّالِمُونَ» أي : قالوا لظلمهم «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا»^(٣) : سحر فغلب على عقله ، «انظُرْ» يا محمد ، «كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ» : من مسحور ، ومحتاج ، وغير ذلك ، «فَضَلُّوا» : عن الحق ، «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» : إليه .

«تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلَ لَكَ قُصُورًا» ﴿١٦﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

(١) جمعها أو أمر بكتابتها نحو احتجم واقتصد ، وهو خير ثان لمبتدأ محذوف / ١٢ وجيز .

(٢) أي : الفرقان ، ولم يقل أنزلها إشارة إلى أنه ليس بأساطير الأولين / ١٢ وجيز .

(٣) أي : ما اكتفيتكم بأنكم تتبعون رجلاً مثلكم ، بل تتبعون رجلاً مسحوراً ، أي : رجلاً أنقص من أمثالكم / ١٢ وجيز .

سَعِيرًا ﴿١٠﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١١﴾ وَإِذَا أَلْقَوْا
مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٢﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا
وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٣﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمِ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ؕ
كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٤﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ؕ كَانَ عَلَى
رَبِّكَ وَعْدًا مُّسْتَوْلاً ﴿١٥﴾ وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ؕ أَنْتُمْ
أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٦﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي
لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ
وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٧﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ
صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنْهَافٌ لِّأَكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ؕ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ ، : تكثر خير ، ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ أي : إِنْ أَرَادَ وَهَبَ لَكَ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا مِّمَّا
قَالُوهُ ، وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ مِثْلَ مَا وَعَدَكَ مِنَ الْجَنَّاتِ ، وَالْقُصُورِ ، وَنَصَبَ جَنَّاتٍ عَلَى
الْبَدَلِيَةِ مِنْ خَيْرٍ ، أَوْ الْجَزْمِ وَالرَّفْعِ فِي يَجْعَلُ لِأَنَّ الشَّرْطَ إِذَا كَانَ مَاضِيًا فِيهِ جَزَائِهِ الْجَزْمُ
وَالرَّفْعُ ، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ وَهُوَ أَعْجَبُ وَأَغْرَبُ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ ، أَوْ لِهَذَا
كَذِبُوكَ يَعْنِي : تَكْذِيبُ الْقِيَامَةِ حَمْلُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ
بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ : نَارًا شَدِيدَةَ الْاشْتِعَالِ ، ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي : السَّعِيرُ ، ﴿مِّن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ : أَقْصَى مَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَى مِنْهُ ، ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ :
صَوْتُ تَغِيْظٍ وَتَغَضُّبٍ ، وَالزَّفِيرُ صَوْتُ يَسْمَعُ مِنْ جَوْفِ الْمُغْتَاطِ فِي حِينِ شِدَّتِهِ وَعَدَمِ

تجويز الرؤية على النار من قلة البصارة ، وقد ورد^(١) "من يقل على ما لم أقل فليتبوأ
بين عيني جهنم مقعداً، قيل : وهل لها عينان؟! قال : أما سمعتم الله يقول : ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ
من مكان بعيد﴾" الآية ، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا﴾ : منها بيان تقدم فصار حالاً ،
﴿ضَيْقًا﴾ : لمزيد العذاب ، وفي الحديث (والذي نفسي بيده إنهم ليستكروهن في النار
كما يستكروه الوند في الحائط) ، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ : قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ،
﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ : هلاكاً يقولون : يا ثوراه تعال فهذا حينك ، ﴿لَا
تَدْعُوا﴾ أي : يقال لهم لا تدعوا ، ﴿الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ ،
فإن الخطب أعظم مما حسبتموه ، ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ : ما وصفنا من أنواع العذاب ،
﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ﴾ ، أي : وعدنا ، ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ ، وفي ذلك تقرع مع
حكم ، ﴿كَانَتْ﴾ : الجنة في علم الله ، ﴿لَهُمْ﴾ ، أو لأن ما وعد الله كالواقع ،
﴿جَزَاءً﴾ ، : على أعمالهم بالوعد ، ﴿وَمَصِيرًا﴾ ، : مرجعاً ينقلبون إليه أما غير
المتقين من المؤمنين كالتبع لهم أو المراد من المتقين من يتقي الكفر ، والتكذيب ، ولهم
إما حال أو متعلق بجزاء ، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ﴾ : ما يشاءونه ،

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وغيرهما بروايات متنوعة ، وعلى هذا لا حاجة
إلى بيان جهة المجاز بمثل أن هذا من باب لا تترا أي نارهما هذا ما في الوجيز ، وفي
الفتح بعد نقل معني هذا الحديث أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير من طريق
خالد بن دريك ، ونحو عند رزين في كتابه ، وصححه ابن العربي في قبسه وله لفظ
بمعناه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ، ولسان
ينطق يقول : إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ،
وبالمصورين " ، وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى : هذا حديث حسن
غريب/ ١٢ فتح .

﴿عَلَى رَبِّكَ وَعَدًا﴾ : موعوداً ، ﴿مَسْئُولًا﴾ : عن بعض السلف يقول المؤمنون : يا رب عملنا بما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا ، وذلك قوله وعداً مسئلاً ، وعن بعض الملائكة تسأل لهم ذلك قال تعالى "ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم" (غافر: ٨) ، ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : المراد ذوو العقول كالملائكة وعيسى^(١) واستعمال ما لأنه في الأصل أعم ، أو لأنه أريد بالوصف ، أي : معبوديهم أو لإجرائهم مجرى غير ذوى العقول ، تحقيراً لشأنهم لقصورهم عن معنى الربوبية أو المراد أعم ، وينطق الله الأصنام^(٢) ، ﴿فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ^(٣) عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ : من غير دعوة منكم ، وحذف الجار للمبالغة ، أي : عن السبيل ، وهذا السؤال لتقريع العبد وتبكيثهم ، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ : تعجب منهم مما قيل لهم ، أو سبحانك من أن يكون لك ند ، ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي﴾ : ما يصح ويستقيم ، ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي : نحن لا نعبد إلا أنت ، فكيف ندعو أحداً أن يتولى غيرك ؟ قيل : أرادوا من ضمير المتكلم جميع الخلائق ، ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ : في الدنيا بالنعم ، ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي : نسوا ما أنزلته إليهم أو غفلوا عن ذكرك ، ﴿وَكَاثُوا﴾ : في علمك ، ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ : هالكين أشقياء راعوا الأدب ، وما قالوا : أنت أضلللتهم صريحاً ، لأن المقام غير مقام البسط^(*) كما قال موسى في مقام الإنبساط : "إن هي إلا فتنتك" (الأعراف: ١٥٥) ،

(١) قاله مجاهد وابن جريج بدليل خطاهم وجواهرهم فيما بعد / ١٢ فتح .

(٢) قاله الضحاك وعكرمة والكلبي / ١٢ فتح .

(٣) ولما كان السؤال عن تعيين الفاعل قدم أنتم ، وهم نحو "أأنت فعلت هذا بأهنتنا"

(الأنبياء: ٦٢)/ ١٢ وجيز .

(*) في حاشية الأصل : في (ن) : الانبساط .

﴿فَقَدْ^(١) كَذَّبُواكُمْ﴾ التفات ، أي : قال الله لهم فقد كذبكم المعبودون ، ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ : في قولكم : إهم آلهة أو هؤلاء أضلونا ، فالباء بمعنى في أو بما تقولون بدل اشتمال من مفعول كذبوا ككذبوا بالحق ، وفي قراءة " يقولون " بالياء فمعناه كذبوكم بقولهم : " سبحانك ما كان ينبغي " إلخ ، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ : للعذاب عنكم ، ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ وقراءة التاء فمعناه ، فما تستطيعون أيها العابدون صرف العذاب عن أنفسكم ولا نصر أنفسكم ، ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ﴾ ، يترك^(٢) ، ﴿مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا : رسلاً ، ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ ، ما بعد إلا صفة أقيمت مقام موصوفها ، وهذا جواب قولهم : " ما لهذا الرسول " الآية ، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ : أيها الناس ، ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ : ابتلاء ، وامتحاناً كابتلاء المرسلين بالمرسل إليهم ، والفقراء بالأغنياء ، ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾^(٣) ، علة للجعل أي : لنعلم أيكم يصبر كقوله تعالى : " ليلوكم أيكم أحسن عملاً " (هود: ٧) ، الملك: ٢) ، وقيل : حث على الصبر على ما افتتنوا به ، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ ، عالماً بالصواب فيما يتبلى به وغيره ، فلا يضيّقن صدرك ، أو بمن يصبر .

(١) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة ، وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونظيرها " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا " (المائدة: ١٥، ١٩) ، وقول القائل :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا / ١٢ فتح .

(٢) كذا فسرہ ابن عباس وغيره وهو المناسب ؛ لأن الكلام من مفتتح السورة في الكافرين ، ووعيدهم / ١٢ وحيز .

(٣) روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " / ثم وعد الله الصابرين بقوله : " وكان ربك بصيرا " / ١٢ فتح .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ۚ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ۝ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلِيكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ۝ ﴿١٧﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝ ﴿١٨﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَالْمَلَكُ الْمَلِيكَةُ تَنْزِيلًا ۝ ﴿٢٠﴾ أَلَمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ ﴿٢٢﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ ﴿٢٣﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝ ﴿٢٥﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝ ﴿٢٧﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ ، لا يخافون البعث ، أو لا يأملون لقاءنا بالخير ،
﴿ لَوْلَا ﴾ ، : هلا ، ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ ﴾ ، : فتخبرنا بصدق محمد ، ﴿ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ ،
فيخبرنا بذلك ، ﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ : حتي تمنوا ما لم يحصل للرسول ،
اللام توطئة القسم ، ﴿ وَعَتَوْا ﴾ ، : تجاوزوا الحد في الظلم ، ﴿ عُتْوًا كَبِيرًا ﴾ ،
يَوْمَ ، أي : اذكر يوم ، ﴿ يَرَوْنَ الْمَلَايِكَةَ ﴾ ، : عند الموت ، أو في القيامة ، ﴿ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ،
أي : لهم ، لأهم مجرمون يتحلى الملائكة للمؤمنين

فتبشرهم حين الموت وفي القيامة بالرحمة والرضوان ، وللكافرين فتبشرهم بالخيبة والخسران ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: الملائكة لهم ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾^(١) : حراماً محرماً عليكم الجنة والرحمة ، أو البشري ، فالجملية حال من الملائكة ، أي : وهم يقولون أو يقول المجرمون عند لقاء الملائكة هذه الكلمة ، وهي من المصادر المتروكة فعلها ، ومن الكلمات التي تتكلم بها العرب عند لقاء العدو ، وهجوم النازلة في موضع الاستعاذة يعني أنهم يطلبون نزول الملائكة ، وهم إذا رأوهم كرهوا^(٢) واستعاذوا ، وقوله : محجوراً كموت مائت للتأكيد ، ﴿وَقَدِمْنَا﴾^(٣) إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ، أي : قصدنا وعمدنا إلى أعمال عملها الكفار من المكارم كقرى ضيف ، وإغاثة ملهوف ، ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ : أحبطناه ، لأنها لم تكن خالصاً موافقاً للشرعية ، والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة شبه عملهم بالغبار في الحقارة وعدم النفع ، ثم بالمنثور منه في انتشاره وتفرقه ، ومنثوراً إما صفة هباء أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر ، ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ : موضع قرار ، ﴿وَأَحْسَنُ﴾^(٤) مَقِيلًا^(٥) : مكان استراحة ، وعن بعض السلف يفرغ الله من الحساب نصف النهار ، فيقيل أهل الجنة في مناظر حسان ، وروح ، وريحان منها ،

-
- (١) قيل: هذا قول الملائكة للمجرمين ، يعني : حراماً محرماً عليكم رحمة الله في الدنيا/ ١٢ .
(٢) أي : يقول المجرمون عند لقاء الملائكة على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة من لقاء عدو أو غيره ، أي : عوداً معاداً ، أي : أطلب عوداً معاداً يستعيزون من الملائكة/ ١٢ .
(٣) شبه حالهم بحال من خالف سلطاناً عظيماً فقدم إلى أسبابه فمزقها ، ولم يبق لها أثر ، وقوله : " من عمل " بيان للتعميم / ١٢ وحيز .
(٤) والقليلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم يعني : هولاء في أسوأ حال ، وهم في أحسنها / ١٢ .

(٥) وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف النهار ، كما ورد في الحديث/ ١٢ جلالين .

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ﴾، أي : تشقق ، ﴿السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾، أي : بسبب طلوع الغمام ،
وقيل بالباء بمعنى عن ، ﴿وَكُنُوزَ الْمَلَائِكَةِ﴾ ، : في ذلك الغمام ، ﴿تَتَرِيلاً﴾ ، يعني :
تتفتح السماء بغمام يخرج منها ، وفي الغمام ملائكة يزلون ، فيحيطون بالخالقين في
مقام المحشر ، ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ ، الحق خبر وللرحمن متعلق به ، أي :
الملك ثابت له لا يبقى لغيره ، أو صفة للملك ، وللرحمن خبره ، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ، شديداً ومع طوله وشدته يخفف على بعض من المؤمنين ، حتى
يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلحها^(١) في الدنيا ، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى
يَدَيْهِ﴾ ، عض اليدن والأنامل وأمثاله كنايةات عن كمال الحسرة والغيظ ، وهذا عام ،
وإن كان مورده في عقبة بن أبي معيط لما ارتد لأجل خاطر أبي^(٢) بن خلف ، ﴿يَقُولُ
يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ : إلى الهدى ، والنجاة ، ﴿يَا وَيْلَتَى﴾ ، تعال
فهذا أوانك ، ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ ، أي : من أضله ، والفلان كناية عن
الأعلام ، ﴿خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ : عن القرآن أو عن ذكر الله ، ﴿بَعْدَ
إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ^(٣)﴾ ، كل من صدك عن الحق فهو شيطانك ، ﴿لِلْإِنْسَانِ
خَذُولًا﴾ ، تاركه لا نفعه عند البلاء ، وقوله : "كان الشيطان" ، إما من تنمة كلام

(١) كما وقع في مسند الإمام أحمد / ١٢ وجيز .

(٢) كان صديقاً لعقبة فعاتبه على الإسلام فارتد ، رواه ابن جرير مرسلأ / ١٢ .

(٣) صرح كثير من السلف على أن حكم هذه الآية عام في جميع المتحايين المتفقيين في

معصية الله / ١٢ وجيز ، وفي الفتح وحكم الآية عام في كل خليلين ومتحايين اجتماعاً

على معصية الله عز وجل ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"يحشر المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل" أخرجه أبو داود والترمذي /

١٢ فتح .

الكافر ، وإما من كلام الله سبحانه من غير حكاية ، «وَقَالَ الرَّسُولُ^(١)» ، محمد عليه السلام يومئذ ، أو في الدنيا ، «يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي» : قريشاً ، «اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» ، متروكاً أعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ، أو بمنزلة الحجر والهذيان ، فالمهجور بمعنى الحجر كالمجلود ، وفيه تخويف لقومه ، وتسليية لرسول الله بقوله : «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا» : يحتمل الواحد ، والجمع ، «مِّنَ الْمُجْرِمِينَ» : الذين يهجون شرائعهم فاصبر كما صبروا ، «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا» : إلى اتبيلك وإن كان قومك يصدون الناس عنك ، «وَنَصِيرًا» لك عليهم فلا تبال بمن يعاديك ، «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا» ، هلا ، «نُزْلُ^(٢) عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» كالتوراة والإنجيل ، ونزل بمعنى أنزل كخبر وإلا يكون متدافعاً ، وهذا من ممارهم التي لا طائل^(٣) تحتها ، «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ» : هذا من الله تعالى جواب لهم ، أي أنزلناه كذلك مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك لتعيه ، وتحفظه شيئاً بعد شيء ، ولا يعسر عليك حفظه ، لأنك أُمي بخلاف سائر الأنبياء ، فإنهم ممكنون من القراءة والكتابة ، ولأنه كلما أنزل عليك وحي من ربك يزداد لك قوة إلى قوة ، وللأعداء كسراً على كسر ، «وَرَكَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً» : وبيناه تبيناً على مهل بحسب الوقائع ، عطف على فعل مقدر ناصب لكذلك ، «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ» : بشيء عجيب في القدح في القرآن ، وفيك ، «إِلَّا جِنَّاتِكَ بِالْحَقِّ» : الذي يرد ما جاءوا به من المثل ، «وَأَحْسَنَ

(١) والأظهر أن قوله : هذا مما جرى له في الدنيا بدليل إقباله عليه مسلياً بقوله : " وكذلك

جعلنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قال صاحب البحران: نزل وأنزل مترادفان لا يقتضي التفريق في الترتول ، وعلى هذا لا

يحتاج إلى كلفة توجيه / ١٢ وجيز .

(٣) لأن أمر الاحتجاج به والإعجاز لا يختلف بتروله جملة واحدة أو مفرقاً / ١٢

وجيز .

تَفْسِيراً ﴿١﴾ : بياناً وكشفاً في جواب اعتراضهم ، وهذا أيضاً من علل جهة إنزاله مرفقاً ، ﴿الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ : مرفوع بالذم أو بدل من ضمير يأتونك ، أو مبتدأ خبره أولئك وعلى أي وجه ففيه بيان أنهم يضربون لك الأمثال ، ويحقرونك ، ولا يدرون أنهم على تلك الفضيحة ، وفي الصحيح أن رجلاً قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ فقال : " إن من أمشاه على رجله قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة " ، ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ : منزلاً أو منزلة ، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ^(١) ، نسب الضلال إلى السبيل ، وهو لهم فيها للمبالغة مجازاً .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ وَقَوْمِ نُوحٍ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَرَجَّوْنَ نُشُورًا﴾ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ

(١) وقوله شر وأضل ليس على باهما من الدلالة على التفضيل ، فيمكن أن يكون من باب العسل أحلى من الخل ، يعني قبح مكان الكفرة ، وضلال سبيلهم أكثر من حسن مكان المؤمنين ، وهداية سبيلهم واستقامتها ، ولما سلى رسوله بقوله : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا " كما ذكرنا أخذ يبين أعداءهم مجملأً بقوله : " وقرونأ بين ذلك كثيراً ، وكلأ ضربنا له الأمثال " ومفصلاً بحكاية موسى ونوح وغيرهما فقال : " ولقد آتينا موسى الكتاب " الآية ١٢ وجيز .

ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْقُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٤﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ : الألواح ^(١) أو معنى آتينَا أردنا إيتاءه ، أو المراد من الكتاب ما يستلزمه وهو الرسالة ، لأن التوراة ما كان إلا بعد هلاك فرعون كما مر في سورة الأعراف لما سلى رسوله بقوله كذلك جعلنا لكل نبي عدوا شرع يبين أعداءهم مجملًا ومفصلاً ، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ : معيناً يعاونه في أمر النبوة ، ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ، فإن قوم فرعون لما أشركوا بالله كذبوا بما جاء به الأنبياء من قبلهم ، ﴿فَدَمَّرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا﴾ ^(٢) ، أي : فذهبنا فكذبوهم فاستأصلناهم ، اختصر القصة فذكر مجملها ، لأن المقصود إلزام الحجة ببعثة الرسل أو استحقاق الهلاكة بالتكذيب ، ﴿وَوَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ : نوحاً ومن قبله أو لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ، لأن بعضهم يصدق بعضاً ، ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ : بالطوفان ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ : إغراقهم أو قصتهم ، ﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾ ، عبرة ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ : سوى عذاب الدنيا ، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا وَعَذَابًا وَثْمُودًا﴾ : عطف على قوم نوح ، وناصبه مخدوف ، أي : لما فعلوا مثل ما فعل المذكورون عذبناهم كما فعلنا بهم ، أو عطف على هم في جعلناهم على أن يكون وجعلناهم عطفاً على مجموع الشرط والجزاء ، ﴿وَأَصْحَابَ الرُّسُلِ﴾ ، اختلف فيهم

(١) كثير من السلف على أن الألواح غير التوراة ١٢/ وحيز .

(٢) اقتصر القصة بمحمل الحكاية فإن المقصود إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق العذاب بالتكذيب ١٢/ وحيز .

فمن قائل عباد الأصنام كانوا حول بئر فحسب بهم ، والرس البئر الغير المطوية ، أو قوم دفنوا ودرسوا نبهم في بئر أو أصحاب يسن ، أو أصحاب الأخدود ، أو قرى من اليمامة ، «وَقُرُونًا»^(١) ، أهل أعصار ، «بَيْنَ ذَلِكَ» : الذين ذكرناهم ، «كَثِيرًا وَكَلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ» ، : في إقامة الحجة عليهم وأندرناهم من وقائع أسلافهم فلم يعتبروا ، نصب كلاً بما دل عليه ضربنا إلخ مثل أندرنا ، «وَكَلًّا تَبَرَّنَا تَتَبَرًّا» ، أي : كسرناهم وفتسناهم ، «وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ» ، أي : مر قريش في طريق الشام بقرى قوم لوط التي أمطرت عليها الحجارة ، «أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا» ، فيتعظوا بما يرون من آثار العذاب مع أنهم مروا عليها مراراً ، «بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا» : لا يخافونه أو لا يأملونه فهذا لم يعتبروا «وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا» : مهزوءاً به أو موضع هزاء ، «أَهَذَا الَّذِي» ، أي : يقولون أهذا الذي ، والإشارة للاستحقار ، «بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» ، : قالوه تهكمًا ، «إِنْ كَادَ» ، مخففة من المثقلة ، «لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا» : شارفنا أن نترك ديننا لفرط اجتهاده في تقوية دينه وإبطال دين غيره ، ويصرفنا عن عبادتها ، «لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا» : استمسكنا بعبادتها وثبتنا عليها ، وجوابه ما دل عليه قبله ، «وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا» : جواب عن قولهم إن كاد ليضلنا ،

(١) القرون جمع قرن ، والقرن مائة سنة قاله قتادة ، وقيل : مائة وعشرون قال زادة بن أوفى ، وقيل : أربعون سنة وقيل غيرها وقد سمي الجماعة من الناس قرناً كما في الحديث الصحيح "خير القرون قرني" [كذا قال والذي في الصحيح بلفظ: "خير الناس قرني" وأما اللفظ الذي أورده لا يصح نبه على ذلك الحافظ وغيره] وأخرج الحاكم في الكنى عن ابن عباس قاله : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون" ١٢/ فتح . [موضوع ، انظر الضعيفة (١١١)] .

لأنهم نسبوه إلى الضلال ، وفيه وعيد بأنه لا يهملهم وإن أمهلهم ، ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ^(١) هَوَاهُ﴾ ، الاستفهام للتعجيب ، فإن دينهم ما هوى أنفسهم ، وهم كانوا يعبدون حجراً وإذا رأوا حجراً أحسن منه ترك الأول ، ﴿أَفَأَنْتَ تُكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ : حفيظاً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أو ما أنت عليهم بوكيل فتمنعهم عن اتباع الهوى فالآية منسوخة ، ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ ، : بل أتحسب ، ﴿أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ^(٢)﴾ ، فيسمعوا أو يعقلوا الحق خص الأكثر ؛ لأن فيهم من عقل وآمن ، أو ما آمن استكباراً ، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ، فإنما تنقاد لمن يتعهدها وتعرف المحسن إليه ممن يسيء ، وتجنب المضار وما لها إضلال ، وإن كان لها ضلال .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْفَاسٍ كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ * وَهُوَ

(١) قوله إلهه هواه مفعولاه ، والمعنى إنه يتخذ إلهاً إلا هواه ، وليس من باب القلب فإنه من

ضرورات الشعر / ١٢ وجيز .

(٢) وهذه المذمة بحسب الظاهر أشد عما قبله فحقيق بالإضراب إليه عنه / ١٢ وجيز .

الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَبَ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ
الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٦٠﴾ قُلْ مَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦١﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا ﴿٦٢﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَىٰ الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهٖ خَبِيرًا ﴿٦٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ
قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٤﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : تنظر ، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ : إلى صنعه ، ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ، وهو ما
بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدوداً ؛ لأنه ظل لا شمس معه ، قال تعالى :
" وظل ممدود " (الواقعة: ٣٠) ؛ ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ : ثابتاً دائماً لا يزيله
الشمس ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ، فإنه لو لم تكن لما عرف الظل ، فإن
الأشياء تعرف بأضدادها ، أو جعلنا مستتعبة عليه تتلوه ، وتتبعه كما يستتبع الدليل
المدلول وثم لبيان أن هذا أعظم من الأول ، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ ، أزلنا
الظل قبضاً على مهل أو سهلاً أو سريعاً بأن أوقفنا موقعه الشمس ، وفيه من المنافع ما
لا تحصى والقبض في مقابلة المد ، وثم هنا أيضاً لبيان أن الثالث أعظم من الأولين ،

(١) لما بين جهل المعارضين على دلائل حقيقة كلامه ورسوله ورد بأوضح وجه وأحكمه
وأثبت عليهم كمال جهلهم ، ذكر أنواعاً من الدلائل على قدرته التامة العامة ، فقال :
" ألم تر " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ^(١) لِبَاسًا﴾ ، : شبه الظلام في ستره باللباس ، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا^(٢)﴾ ، راحة ، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ، بعثنا من أخ الموت ، أو ذا نشور ينتشر فيه الخلق لمعايشهم وأسبابهم ، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ^(٣) الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ : مبشرات وقرئ نشراً ، أي : ناشرات للسحاب ، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ : قدام المطر ، قد مر تفصيل معناه ، وقراءته في سورة الأعراف ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ، هو اسم لما يتطهر به كالسحور ، عن بعض أن المطر منه ما يتزل من السماء ، وكل قطرة منه في البر وفي البحر در يعني : لا يمكن أن لا يكون له فوائد ، ومنه ما يسقيه الغيم من البحر ، فَيَعْدِيهِ الرعد والبرق ، ﴿لِنُخَيِّبَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا﴾ ، وصفها بمذكر لمعنى الموضع والبلد ، ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْـَاسِيَّ﴾ ، : جمع إنسي أو إنسان ، ﴿كَثِيرًا﴾ : فإن بعضهم أهل مدن لا يحتاجون غاية الاحتياج إلى المطر ، وخص الأنعام من الحيوانات لأنه في معرض تعداد النعم ، والأنعام ذخيرة الإنسان متعلقة بهم ، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ^(٤)﴾ ، المطر ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ، مرة ببلد ، ومرة بأخرى ، وعن ابن مسعود مرفوعاً أن ليس من سنة بأمطر من أخرى ، ولكن الله قسم هذه الأرزاق ، فإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً فإلى البحار والفيافي(*) ،

(١) شرع في آية أخرى ١٢ .

(٢) ومنه يوم السبت ، ويقال للعليل - إذا استراح من تعب العلة : مسبوت / ١٢ وجيز .

(٣) شرع في آية أخرى / ١٢ .

(٤) عن ابن عباس الضمير للقرآن لوضوح هذا الكلام فيه ، ويعضده قوله : " وجاهدتهم به " فإن الضمير فيه للقرآن بلا خلاف ، وعن بعض وهو المنقول عن ابن عباس أيضاً معناه صرفنا المطر مرة ببلدة ، وأيضاً مرة بأخرى كما نقل عن ابن مسعود مرفوعاً / ١٢ وجيز .

(٥) أخرجه بنحوه الحاكم (٤٠٢/٢) عن ابن عباس موقوفاً ، وصححه وأقره الذهبي .

﴿لِيَذْكُرُوا﴾، ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم ، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ :
كفران النعمة أو جحوداً فإنهم قالوا مطرنا^(١) بنوء^(٢) كذا ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ
قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ : نبياً ينذرهم ليسهل عليك أعباء النبوة ، ولكن ما فعلنا تعظيماً لأجرك ،
﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ : فيما يريدونك عليه ، وهذا يهيج له ولأمته ، ﴿وَجَاهِدْهُمْ
بِهِ﴾ بالقرآن ، ﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾ : لا يخالطه فتور بأن تلزمهم بالحجج والآيات أو بما
يأمرك القرآن وما علمت منه ، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ^(٣) الْبَحْرَيْنِ﴾ : أرسلهما في
مجاربهما وخلاهما ، ﴿هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾ : بليغ عذوبته ، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ :
هو نقيض الفرات ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ : حاجزاً حتى لا يخلط أحدهما بالآخر ،
﴿وَحِجْراً مَّخْجُوراً﴾ : وهو كلمة يقولها المتعوذ كما مر في هذه السورة ، كأن كلا
منهما يقول لصاحبه ما يقوله المتعوذ عنه وهو كدجلة تدخل المالح فتشقه ، فتجري في
خلاله فراسخ ولا تختلط ، وقد ذكر أن في سواحل بحر الهند مثل الدجلة ، وأغرب
فالحاجز محض القدرة فقط ، أو المراد بالعذب الأثمار ، والعيون والآبار ، وبالمالح البحار
المعروفة ، وبالبرزخ الأرض الحائل بينهما ، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ^(٤) مِنَ الْمَاءِ﴾ : النطفة ،
﴿بَشِراً فَجَعَلَهُ نَسَباً﴾ : ذوي نسب ، أي : ذكوراً ينسب إليهم ، فيقال : فلان ابن
فلان ، وفلانة بنت فلان ، ﴿وَصِهْراً﴾ : ذوات صهر أثنائاً يصاهر بهن ، أو النسب ما
لا يحل نكاحه والصهر ما يحل ، وقيل في ابتداء أمره ولدأ نسياً ثم يتزوج ، فيصير

(١) قال النحاس : ولا نعلم بين أهل التفسير اختلافاً أن الكفر هنا قولهم : مطرنا بنوء كذا ،
والنوء كما هو المختار سقوط نجم من المنازل في المغرب ، وظلوع رقيه من المشرق في
ساعته ١٢ .

(٢) قاله عكرمة / ١٢ .

(٣) بين آية أخرى / ١٢ .

(٤) ذكر آية أخرى : ١٢ .

صَهْرًا ، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ : على ما يشاء ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ : ما له كل العجز ، ويتركون القادر المختار ، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ : يظهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، وقيل من ظهرت به إذا خلفته خلف ظهره غير ملتفت إليه ، أي : هيناً مهيناً لا وقع له عند الله ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ^(١) إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ، على ما أرسلت به من البشارة ، والإنذار ، ﴿مِنَ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بإنفاق ماله في سبيله فليفعل ، أو لا أطلب أجراً إلا فعل من شاء التقرب إليه كأن فعله الطاعات جعله من جنس^(٢) أجره إظهاراً لغاية الشفقة ، ودفعاً لشبهة الطمع كما تقول : ما أطلب في تعليمك منك أجراً إلا عزتك ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ : في الاستغناء عن أجورهم واستكفاء شروهم فإنه باق حقيق بالتوكل عليه ، ﴿وَسَبِّحْ﴾ : نزهه عن كل نقص ، ﴿بِحَمْدِهِ﴾ ، متلبساً مثنيّاً بنعوت كماله ، ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ : كفى^(٣) الله ، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ : مطلعاً فلا عليك إن آمنوا أو كفروا ، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ^(٤) عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، قد مر في سورة

(١) ولما ذكر أن الكافر مهين غير ملتفت إليه على الله ، فذكر بعده ما يدل على أن اللائق بحلل رسوله أن لا يزيد همه فيهم لما بلغ رسالته ، فقال : " وما أرسلناك " الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) ولا شك أنه ليس بأجر له ١٢/ وجيز .

(٣) بكل اعتبار انتهى ، وكفى : كلمة يراد بها المبالغة يقال : كفى بالعلم جمالاً وبالآدب مالا يعني : حسبك لا تحتاج معه إلى غيره ١٢/ وجيز .

(٤) قوله تعالى : ثم استوى على العرش قال مجاهد : استوى على العرش : علا على العرش ، وقال أبو العالية : استوى إلى السماء ارتفع نقل القولين البخاري في صحيحه ووقعهما من النسخة الأحمدية في صفحة ١١٠٣ ، وقال ابن جرير " ثم استوى على العرش الرحمن " ،

الأعراف تفصيل معناه ، «الرَّحْمَنُ» ، خير الذي أو خير محذوف ، ويكون الذي صفة

= أى: علا وارتفع وقال فى تفسير قوله : ثم استوى على العرش فى كل مواضعه أى : علا وارتفع نقله الذهبي فى كتاب العلو/ ١٢ قال الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله فى خطبة النونية : فإن قيل : ما تقولون فى مسألة الاستواء ، قيل نقول فيها ما قال ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا -صلى الله عليه وسلم- نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل ثبت له سبحانه ما أثبت له نفسه من الأسماء والصفات ونفى عنه النقائص والعيوب ، ومشاهدة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل وتزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه أو ما وصفه به رسوله تشبيهاً فالشبه يعبد صنماً ، والمعطى يعبد عدماً ، والموحد يعبد إلهاً واحداً صمداً ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، والكلام فى الصفات كالكلام فى الذات، فلما أنا ثبت ذاتاً لا تشبه الذوات فكذا نقول فى صفاته إلهاً لا تشبه الصفات ، فليس كمثله شيء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فلا تشبه صفات الله بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين ، وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدريّة لنا بجزرية ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا بحسمة مشبهة حشوية إلى أن قال : ونقول : إن الله فوق سمواته مستوياً على عرشه بائن من خلقه ليس فى مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا فى ذاته شيء من مخلوقاته ، وإنه سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب ، وتخرج الملائكة والروح إليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه وإن المسيح رفع بذاته إلى الله وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج به إلى الله حقيقة وإن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه وإنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلى ، وإن المؤمنين والملائكة المقربون يخافون رهم من فوقهم وإن أيدي السائلين ترفع إليه وحوائجهم تعرض عليه وإن الله سبحانه العلي الأعلى بكل اعتبار انتهى.

للحي ، ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾^(١) أي : سل ما ذكر من الخلق والاستواء علماً بخبرك
ومن أعلم من الله؟ أو المراد سل جبريل ، وقيل : أهل الكتاب ليصدقك فيه ، والسؤال
يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء ، أو به متعلق بخبير ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا
لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ ، فإنهم ما يطلقون هذا الاسم على الله ، ﴿أَنسَجُدُ
لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ : للذي تأمرنا بسجوده ، أو لأمرك لنا ، وما نعرفه وقرئ يأمرنا بالياء ،
فيكون هذا كلام بعضهم لبعض ، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ، الأمر بالسجود ، ﴿نُفُورًا﴾ : عن
الإيمان .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(٢) وَهُوَ
الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا^(٣) وَعِبَادُ
الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا^(٤) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا^(٥) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا^(٦) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا^(٧) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا^(٨) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا^(٩) يُضَاعَفْ لَهُ
الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا^(١٠) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا^(١١) وَمَن

(١) بالرحمن فإن أهل الكتاب يعرفون ما يراد به في كتبهم وإن قريشاً أنكروا إطلاقه على
الله/١٢ وجيز .

تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ
الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبِأَيِّ رَيْبِهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٦٩﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ
بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٧١﴾ قُلْ مَا يَعْبَهُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ
لِزَامًا ﴿٧٢﴾

﴿تَبَارَكَ﴾^(١) الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴿٧٣﴾ : قصوراً عالية هي الكواكب السبعة
السيارة كالمنازل^(٢) لسكانها أو البروج الكواكب العظام ، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ :
الشمس ومن قرأ سرجاً فمراده الكواكب الكبار ، ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ : مضيئاً بالليل ،
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي : ذوى خلفه يعقب هذا ذاك وذاك
هذا ، ويخلف كل واحد منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه فمن فاته
عمله في أحدهما قضاه^(٣) في الآخر والفعله بالكسر كالجلسة للحالة ، وبالفتحة للمرة ،
﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ : لينظر في اختلافهما فيعلم أن له صانعاً قادراً حكيماً ، ﴿أَوْ

(١) ولما ذكر أنه خلق السماوات والأرض ، عقبه بما خلق في السماء ، وبأعظم ما خلق في
السماء من منافع السماء والأرض ، فقال : (تبارك الذي) ١٢/ وحيز .

(٢) وهو المروي عن علي وابن عباس وغيرهما وهي الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ،
والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت ١٢/

وحيز .

(٣) قاله ابن عباس ١٢/ وحيز .

أَرَادَ شُكُورًا ﴿١﴾ : أن يشكر الله أو ليكونا وقتين للمتذكرين ، والشاكرين من فاتمه ورده في أحدهما قام به في الآخر ، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ، هينين أو مشياً هيناً بسكينة ووقار من غير جبرية ، واستكبار لا مشي المرضى ، فإنه مكروه وهو مبتدأ خبره الذين يمشون ، أو أولئك يجزون الغرفة ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٢) ، أي : إذا خاطبهم بما يكرهونه قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإثم أو تسليماً منكم لا خير بيننا ولا شر قال تعالى : " وإذا سمعوا اللغو " الآية (القصص: ٥٥) ، وعن الحسن البصري قالوا: السلام ، وفي الحديث ما يؤيده ، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (٣) ، تخصيص البيوتة ، لأن الصلاة

(١) ولما أنه جعلهما خلفه لمن أراد الذكر والشكر عرفه وبينه فقال: "وعباد الرحمن" الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) ويسمى هذا سلام متاركة قال تعالى: " وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه " الآية (القصص: ٥٥) ، يعني يتركونه ولا يعارضونه فإن من عارض جاهلاً فهو مثله ، وعدم معارضة الجاهل من تنمة الوقار ، ولهذا لم يقل والذين إذا خاطبهم الجاهلون / ١٢ وجيز . في الفتح قال النضر بن شميل حدثني الخليل قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام ، وقال لنا استنوا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال ، فقال لنا: أعرابي إلى جنبه : أمركم أن ترتفعوا قال الخليل: هو من قول الله : " ثم استوى إلى السماء " فصعدنا إليه فقال : هل لكم في خبز فطير ، ولبن هجير؟ فقلنا : الساعة فارقناه ، فقال: سلاماً فلم ندر ما قال فقال الأعرابي: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ، ولا شر قال الخليل : هو من قول الله عز وجل : " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً " ، قال الحسن: هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلتهم بقوله : " والذين يبيتون " الآية / ١٢ .

(٣) المراد إحياء تمام الليلة أو أكثره بالصلاة ، فالقيام والسجود حالان من أحوال الصلاة والبيوتة أن يدركك الليل نمت أو لم تنم والصلاة في الليل أفضل ، قال تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع " الآية (السجدة: ١٦) / ١٢ وجيز .

بالليل أفضل ، ﴿وَالَّذِينَ﴾^(١) يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿﴾ ، هلاكاً ملحاً^(٢) لازماً ، ﴿إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ، مستقراً مفسر لضمير مبهم في ساءت ، والمخصوص بالذم المقدر هو سبب الربط بين اسم إن وخبرها، أي : بنست مستقراً هي ، قيل : التعليلان من كلام الله أو حكاية لكلامهم ، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ : ليسوا مبذرين ، ولا بخلاء ، بل يكون إنفاقهم عدلاً وسطاً^(٣) ، وقواماً إما خبر ثان أو حال مؤكدة ، وقد فسر بعض المفسرين الإسراف بالنفقة في معصية الله وإن قلت ، والإقتار بمنع حق الله ، وليت شعري كيف يصح مع قوله ، وكان إنفاقهم بين الإسراف ، والتقتير قواماً فتأمل ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ، قتلها ، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ، : متعلق بلا يقتلون ، أو بالقتل المقدر ، ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ، جزاء إثمه ، أو الآثام واد ، أو بئر في جهنم ، ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، بدل من يلق أثاماً ، ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ ، وتضعف العذاب والخلود فيه لانضمام الكبيرة إلى الكفر ، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ، أي : تنقلب بنفس التوبة النصوح فإنه كلما تذكر ما مضى تحسر وندم واستغفر ، فيقلب الله ذنبه طاعة ، فالعبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر من ذلك ، والأحاديث الصحاح تدل على هذا المعنى، أو أنه يححوها ويثبت مكانها الإيمان ، وما عمل من الطاعة في إسلامه ،

(١) فيه إيدان بأنهم مع اجتهداهم في العبادة خائفون مبتهلون في صرف العذاب عنهم لا معجبون بعبادتهم ١٢/ وحيز .

(٢) من ألح السحاب ، أي : دام مطره وأقام/ ١٢ .

(٣) وعن عمر من اشترى أي شيء اشتبه فهو مسرف ١٢/ وحيز .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا^(١) رَحِيمًا﴾، فلذلك يعفو عن السيئات ، ويدلها ، ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ ، : عن المعاصي ، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾ ، يرجع إليه بذلك ، ﴿مَتَابًا^(٢)﴾ : مرضياً عنده ، أو يرجع إلى ثوابه مرجعاً حسناً ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ : لا يحضرون محاضر الباطل ، أو لا يقيمون الشهادة الباطلة ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ : المعاصي كلها لغو ، ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ : مكرمين أنفسهم عما يشينهم مسرعين معرضين يعني لم يحضروا مجالسه ، وإذا اتفق مرورهم به لم يتدنسوا بشيء ، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ : وعظوا بالقرآن ، ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ ، : لم يسقطوا ولم يقيموا ، ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعَعْمِيَانًا﴾ ، يعني لم يقيموا عليها غير واعين ولا غير متبصرين بما فيها ، بل سامعين بأذان واعية مبصرين بعيون راعية ، فالنفي متوجه إلى القيد^(٣) ، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ : يسألون أن تكون أزواجهم وأولادهم مطيعين لله أبراراً تفر بهم^(٤) عيونهم ويسرون برؤيتهم ، ومن بيانية كرايت منك أسداً أو ابتدائية ، ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ : أئمة يقتدي بنا في الخير ، ولنا نفع متعدٍ إلى^(٥) غيرنا ، وحّد إماماً لأن المراد كل واحد ، أو لأن مجموع لاتحاد طريقتهم كنفس واحدة ، أو لدلالته على الجنس ، ولا لبس قيل : جمع أم أي : اجعلنا قاصدين تابعين للمتقين ، ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ : الدرجة

(١) والظاهر من الآية قبول توبة المسلم القاتل بغير حق / ١٢ وجيز .

(٢) أو المراد من تاب فقد تاب إلى من له اللطف الشامل والرحمة الواسعة / ١٢ وجيز .

(٣) أي : ليس نفيّاً للخير بل هو إثبات له ونفي للصمم والعمى نحو : لا يلقاني زيد مسلماً هو نفي للسلام لا للقاء / ١٢ وجيز .

(٤) مأخوذ من القر وهو البرد ، يقال : أقر الله عينك وأسخن عين عدوك فقيـل : دمع

السرور بارد ودمع الحزن حار / ١٢ .

(٥) كالأنباء / ١٢ منه .

الرفيعة في الجنة ، وهي اسم جنس أريد به الجمع ، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ : على طاعة الله وبلائه وعن محارمه ، ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴾ : تحييم الملائكة ، وتسلم عليهم ، وبعضهم بعضاً لقاهم كذا أى : استقبلهم به ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾ ، مقابل ساءت مستقراً ومقاماً في المعنى والإعراب ، ﴿قُلْ^(١) مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ﴾ : ما يصنع بكم ، ﴿رَبِّي﴾ : لا وزن ولا مقدار لكم عنده ، ﴿لَوْلا دُعَاؤُكُمْ^(٢)﴾ : إيمانكم وعبادتكم ، أو ما يعبأ بخلقكم لولا عبادتكم يعني أن خلقكم لعبادته ، أو ما يبالي مغفرتكم لولا دعاءكم معه آلهة أخرى ، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم ، وما إن كانت استفهامية نصبت على المصدر ، أي : أي : عبأ يعبأ بكم ، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ : بما أخبرتكم به ، حيث خالفتموه ، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ : التكذيب أي : جزاؤه ، ﴿لَزَاماً﴾ : لازماً لا ينفك عنكم .

اللهم اجعلنا ممن أحسنت مستقرهم ومقامهم .

(١) لما ختم أوصاف عباد الرحمن بالدعاء والإخلاص وذكر حسن جزائهم أمر الرسول النذير بأن يقول لمن تكبر عن سجود الرحمن فقال : " قل ما يعبأ بكم " الآية/ ١٢ وحيز .

(٢) قيل : معناه ما يعبأ بعذابكم في الدنيا لولا دعائكم في الشدائد فالعذاب لنفعلكم كما قال الله : " فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون " (الأنعام: ٤٢) / ١٢ وحيز .

سورة الشعراء مكية

إلا قوله: "والشعراء يتبعهم الغاؤون" إلى آخره

وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية وأحد عشر ركوعاً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طَسَّ ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُثَرِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا
كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

﴿طسم﴾ عن بعض السلف إنه من أسماء الله ، وعن بعض إنه قسم ﴿تلك﴾ إشارة
إلى السورة ﴿آيات الكتاب المبين﴾ القرآن ﴿لعلك باخع﴾ قاتل ﴿نفسك﴾
أشفق^(١) على نفسك أن تقتلها ، ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ لئلا يؤمنوا ، ﴿إن نشأ
ننزل عليهم من السماء آية﴾ ملجئة إلى الإيمان ﴿ظلت أعناقهم لها خاضعين﴾
منقادين فلا يقدرון بعدها على الإعراض ، ولم يقل خاضعة؛ لأن المقصود أهل
الأعناق ، وزيدت الأعناق لبيان موضع الخضوع ، أو كما وصفت بالخضوع الذي
هو للعقلاء أجريت مجراهم ، أو المراد من الأعناق الرؤساء ، أو الجماعات ، وعطف
بصيغة الماضي على المضارع الذي هو الجزاء إشعاراً بأن انقيادهم أمر مقطوع به كأنه

(١) لعل للإشفاق / ١٢.

مضى فيخبر عنه ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ﴾ طائفة من القرآن تكون موعظة ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾^(١) مجرد إنزاله ﴿لَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ استمروا على

(١) قال البخاري في صحيحه : قال ابن مسعود : عن النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة" [علقه البخاري في صحيحه (٤١٦/١٣) بصيغة الجزم، ووصله أبو داود وغيره بإسناد حسن] وعن ابن عباس قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم ، وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهداً بالله تقرأونه محضاً لم يشب ، قال البخاري : إن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (الشورى: ١١) انتهى ، قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه : مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك ، وإن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد كما أن علمه لا يماثل علمهم ، وقدرته لا تماثل قدرتهم ، وقد قال الإمام أحمد حينئذ وغيره: لم يزل الله متكلماً إذا شاء ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء ، وقالت طائفة : هو معنى واحد ، وهو الأمر بكل مأمور ، والنهي عن كل منهي ، والخبر بكل مخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وبالعبرانية كان تورا ، وبالسريانية كان إنجيلاً ، فجعلوا آية الكرسي ، وآية الدين ، وسائر آيات القرآن ، والتورا ، والإنجيل ، وكل كلام يتكلم الله به معنى واحداً لا يتعدد ، ولا يتبعض وهذا القول مخالف للشرع والعقل ، وقالت طائفة : هو حروف وأصوات قديمة والأعيان ملازمة لذات الله لم تزل لازمة لذاته ، وأن الباء والسين والميم موجودة مقترنة بعضها ببعض معاً أزلاً ، وأبداً لم تزل ، ولا تزال لم يسبق منها شيء شيئاً ، وهذا أيضاً مخالف للشرع ، والعقل ، وقالت الطائفتان : إن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وإنه في الأزل كان متكلماً بالنداء الذي سمعه موسى ، وإنما تجدد استماع موسى ؛ لأنه ناداه حين أتى الوادي المقدس ، بل ناداه قبل ذلك بما لا يتناهى ، ولكن تلك الساعة سمع النداء ، وهؤلاء وافقوا الذين قالوا: إن القرآن مخلوق في أصل قولهم ، فإن أصل قولهم إن الرب =

إعراضهم ، فلم يرفعوا إليه رءوسهم ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بالذكر ، وأدى تكذيبهم إلى الاستهزاء ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أهو حقيق ^(١) بالتعظيم حق أم بالاستهزاء باطل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لم ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ إلى عجائبها ﴿كَمْ أَتَيْنَا

= لا تقوم به الأمور الاختيارية ، فلا يقوم به كلام ، ولا فعل باختياره ومشيقته ، وقالوا : هذه حوادث ، والرب لا تقوم به الحوادث ، وإنه يتكلم بكلام لا يقوم بنفسه ، وإنه لم يستو على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض ولا يأتي يوم القيامة ، ولم يناد موسى حين ناداه ، ولا تغضبه المعاصي ، ولا ترضيه الطاعات ، ولا تفرحه توبة التائبين ، وقالوا في قوله تعالى : "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" (التوبة: ١٠٥) ونحو ذلك إنه لا يراها إذا وجدت ، بل إما أنه لم يزل راثيا لها ، وإما أنه لم يتحدد شيء موجود ، بل تعلق معدوم إلى أمثال هذه المقالات التي خالفوا فيها نصوص الكتاب والسنة مع مخالفة صريح العقل ، وخالفوا السلف والأئمة في قوله : لم يزل الله متكلمًا إذا شاء ووافقوا الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم : إن الرب لا تقوم به الحوادث ، والقرآن المجيد يدل على بطلان هذا الأصل في أكثر من مائة موضع وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب ، وقد جرد الإمام أحمد الآيات التي من القرآن تدل على بطلان قولهم ، وهي كثيرة جدًا ، بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسمونها حلول الحوادث كثيرة جدًا فخالفوا صحيح المنقول ، وصريح المعقول ، واعتقدوا أنهم بهذا يردون على الفلاسفة ، ويثبتون حدوث العالم ، وأخطئوا في ذلك فلا للإسلام نصر ، ولا للفلاسفة كسروا انتهى . ملتقطًا من مواضع مع اختصار ، وقد مر بعض الكلام على هذا في صورة الأنبياء فتذكر .

تسأل الله قد لاح الصباح لمن له عينان نحو الفجر ناظرتان
وأحو العماية في عمايته يقول الليل بعد أيسوى الرجلان

. ١٢

(١) فيه وعيد بعذاب الدنيا والآخرة ، ولما كان إعراضهم لعدم التأمل في الصنائع نهيهم ببديع يشبه الموت ، والحشر ، فقال : " أو لم يروا إلى الأرض " الآية / ١٢ وحيز .

فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ صنف ﴿كَرِيمٌ﴾ كثير النفع، والكريم صفة لكل ما يرضى في بابه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنبات ﴿لَايَةً﴾^(١) على أن منبتها قادر حكيم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في علم الله ، وقضائه ، فلهذا لا تنفعهم الآيات ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾^(٢) الرَّحِيمُ فيمهلهم مع أنه لا غالب عليه أحد.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْخَبَا بِأَيْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٥﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

(١) ولما كان الإنبات شيئاً واحداً أفرد آية أو أراد أن في كل واحد من تلك الأزواج / ١٢ وحيز .

(٢) ولولا اجتماع العزة والرحمة لانتقم منهم من غير مهل ، ولما ذكر تسجيلهم بكفر أكثرهم سلى نبيه بقصة موسى مع فرعون ، وإغراق القبط مع كثرتهم وما قاساه منهم، فقال : " وإذ نادى ربك موسى " الآية / ١٢ وحيز .

ءَابَايَكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٦١﴾
 قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ لَنْ
 اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ
 بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٦٤﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٥﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ
 فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٦٧﴾
 ﴿وَإِذْ نَادَى﴾ مقدر باذكر ﴿رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ﴾ أي بأن ، أو أن مفسرة ﴿الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ قَوْمٌ﴾ (١) ﴿فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ تقديره اتهم قائلاً قولي لهم " ألا يتقون "
 نحو : " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب " (البقرة: ١٨٦) أو استئناف أتبعه إرساله
 إليهم تعجيباً لموسى من أمنهم العواقب ، وعدم خوفهم عقاب الله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي
 أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بعد التكذيب فأعجز
 عن جوابهم ﴿فَأَرْسِلْ﴾ (٢) جبريل ﴿إِلَى هَارُونَ﴾ اجعله نبياً يقوي قلبي ، ويتكلم
 حيث تعروني حبسة ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ تبعة ذنب وهي قصاص قتل قبطي قتله
 موسى ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به فلم يتم أمر الرسالة ﴿قَالَ كَلَّا﴾ لن يقتلوك
 ﴿فَاذْهَبَا﴾ عطف على ما دل عليه كلا ، أي : ارتدع عما تظن فاذهب أنت
 وهارون ، وغلب الحاضر ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (٣) لما يجري بينكم ، وبين

(١) الأجدود نصب قوم بأنه عطف بيان سجل عليهم بالظلم ، أولاً ثم عينهم وبينهم ألا
 يتقون ، أي : اتهم قائلاً قولي لهم " ألا يتقون " / ١٢ وحيز .

(٢) يعني لي ثلاثة أشياء ، خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وعدم انطلاق اللسان / ١٢ وحيز .

(٣) يعني لهذه الثلاثة أرسل / ١٢ منه .

(٤) قوله تعالى : " إنا معكم " وليس معني قوله " إنا معكم " أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا
 توجهه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، =

عدوكم ، فأظهركم عليه ، فلا تخف ذكر " معكم " بلفظ الجمع كـ " مستمعون " للتعظيم مثل نفسه بمن حضر محضراً ليصغي إلى مقاولتهم فيمد أوليائه ، ومعكم إما حال ، أو ظرف مقدم ، أو خبر أول ، ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لوحدة المرسل به وحد الرسول أو لاتحادهما في الأخوة ، أو لأنه أراد كل واحد منهما ، أو لأنه مصدر وصف به أى : ذوو رسالة ﴿أَنْ أَرْسِلَ﴾ بأن أرسل ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلهم يذهبوا معنا إلى الشام^(١) ﴿قَالَ﴾ فرعون بعدما أتيا وأديا

= بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيم عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معني ربوبيته ، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يسان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله "في السماء" أن السماء تقله ، أو تظله ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ، فإن الله قد وسع كرسیه السماوات والأرض ، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره"(الروم: ٢٥) / ١٢ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام .

(١) أي: فلسطين ولا تستعبدهم ، وكان فرعون استعبدهم أربعمئة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلثين ألفاً ، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك ، وفي القصة (إن موسى رجع إلى مصر ، وعليه جبة صوف ، وفي يده عصا والمكتل معلق في رأس العصا ، وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون بأن الله أرسلني إلى فرعون وأرسلني إليك حتى ندعوا فرعون إلى الله ، فخرجت أمهما وصاحت وقالت : إن فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما إليه قتلكما فلم يمتنعاً لقولها ، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً ودقا الباب ، ففرع البوابون ، وقالوا: من بالباب؟ وروى أنه اطلع البواب عليهما وقال : من أنتما ؟ فقال موسى : أنا رسول رب العالمين ، فذهب البواب إلى =

رسالتهما : ﴿أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ طفلًا ﴿وَأَبَيْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ أي : قتل القبطي ، وبخه بما جرى على يده ، وعظمه حيث أتى به جملًا كأنه لفظاعته لا ينطق به بعدما عدد عليه نعمه ، ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين لم يأتي من الله شيء ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ نبوة أو فهمًا وعلماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي : تلك التربية نعمة ، لأنك اتخذهم عبيدًا ، وما اتخذتني عبدا فهذا اعتراف بنعمته ، أو تلك نعمة لأجل أنك عبدتهم ، ولولا ذلك لكفلي أهلي ، وما كنت إلى تربيتك محتاجًا يعني هذا منة ، ونعمة لا حقيقة تحتها ، بل نعمة في الحقيقة ، أو تلك إشارة إلى ما في الذهن ، وقوله أن عبدت إلخ عطف بياها أي : تعبيدك إياهم منة تمنها عليّ ، وليست إلا غاية نعمة وبلية ، أو همزة الإنكار مقدره أي : أو تلك نعمة ، وقوله : أن عبدت إلخ علة للإنكار ، أي : هل يبقى إحسان مع تلك الإساءات ، وكيف تقابله ؟! ، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي : أي شيء هو وهذا إنكار منه أن يكون إله غيره ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ما بين الجنسين ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ من أهل الإيقان والنظر الصحيح ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لَمَنْ حَوْلُهُ﴾ من أشراف قومه تعجبا : ﴿أَلَا تَسْتَمْعُونَ﴾ هذا كأنه سمع ما لم يسمع قط ﴿قَالَ﴾ موسى : ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ حين لم يكن فرعون ، ولا قومه إشارة إلى أن الإله لا بد أن يكون قديما فالحوادث لا يليق ﴿قَالَ﴾ فرعون : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ حيث يتكلم بما

فرعون وقال : إن مجنونًا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين ، فترل حين أصبح ، ثم دعاها هذا ما نقله البغوي بصيغ التمريض في المعالم ، والله بصحته وسقمه أعلم /

لم نعهد أن نسمعه ، وينفي ما اتفق عليه الخلق من ألوهيته ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فإن طلوع الشمس من جانب ، والغروب من آخر علي هيئة مستقيمة مع اختلاف المطالع في فصول السنة من أظهر ما استدل به ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إن كنتم عقلاء عارض " إن رسولكم لجنون " به قيل: سؤال (*) فرعون بقوله ، وما رب العالمين ، عن حقيقة المرسل ، وموسى عرفه بأظهر خواصه وآثاره، إشارة إلى أن بيان حقيقته ممتنع ، ولهذا قال : إن كنتم موقنين الأشياء محققين لها ثم استعجب فرعون لأنه سأل عن الحقيقة ، وأجيب بالأفعال ، ثم عدل إلى ما أقرب إلى الناظر ، وأوضح عند التأمل ، ثم صرح فرعون بجنونه لأنه يسأل عن شيء ، ويحيب عن آخر ، ثم استدل بشيء من غرائب آثاره الظاهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ، فعدل فرعون إلى التهديد ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ اللام للعهد فسجنه هوة بعيدة العمق مظلمة ، أي : ممن عرفت حالهم في السجن ﴿قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ الواو للحال ، أي أتفعل بي ذلك ، ولو جئتكَ بشيء يبين لك صدقي؟ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك أو في أن لك بينة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر^(١) ثعبانته ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ تتلأأ كالشمس لها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق.

﴿قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حَوَّلُوهُ إِنِّي هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ﴾

(٥) في النسخة (ن): سأل.

(١) ليست من التي تزور بالشعبذة/١٢ .

﴿٢٧﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ **﴿٢٨﴾** لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ **﴿٢٩﴾** فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ **﴿٣٠﴾** قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ **﴿٣١﴾** قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ **﴿٣٢﴾** فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ **﴿٣٣﴾** فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ **﴿٣٤﴾** فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ **﴿٣٥﴾** قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ **﴿٣٦﴾** رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ **﴿٣٧﴾** قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ **﴿٣٨﴾** قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ **﴿٣٩﴾** إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ **﴿٤٠﴾** *

﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ ظرف في محال الحال: **﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾** في سحره **﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾** بأن يذهب بقلوب الناس ، فيكثر أعوانه ، فيغلبكم على دولتكم ، فيأخذ البلاد منكم **﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** من المؤامرة وهي المشاورة ، أي : أشيروا على فيه ما أصنع أو من الأمر أي : أي أمر تأمرون؟ وعلى الوجهين كلامه من فرط الدهش **﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾** أخره **﴿وَأَخَاهُ﴾** أو احبسهما **﴿وَأَبْعَثْ﴾** شرطاً **﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾** يجمعون السحرة **﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾** لعلهم يغلبونه **﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾** الميقات وقت الضحى ، واليوم يوم عيدهم **﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾** حثهم على الإنطلاق كما تقول لعبدك هل أنت منطلق إلى فلان؟ **﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾** ولا نتبع موسى **﴿إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾** قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ **﴿٣٠﴾** يعني : إن غلبتم

لكم الأجر ، والقربة "فإذا" جواب وجزاء ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ هذا إذن منه في تقديم ما هم فاعلوه ^(١) البتة ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ جمع عصى ﴿وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ أقسموا بعزته لفرط اعتقادهم الغلبة ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تطلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يزورونه ^(٢) أو ما مصدرية ، وتسمية المأفوك إفكاً للمبالغة ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ لعلمهم أن هذا وراء السحر يعني لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض كلهم أخذوا فطرحوا طرحاً على وجوههم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ﴾ فوادعكم ^(٣) ذلك وتواطأتم عليه ، أو فعلكم شيئاً دون شيء يريد التلبس على قومه من خوف اعتقادهم حقيقته ، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ مختلفات اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ﴾ ^(٤) أجمعين قالوا لا ضير لا ضرر لنا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ نرجع إليه ، وهو لا يضيع أجر الصابرين ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَاَنَا أَنْ كُنَّا﴾ لأن كنا

(١) فلا يلزم الإذن في فعل الحرام قيل: أذن فيه لبيطله من أسه ، ويظهر على الخلق بطلانه/ ١٢ وحيز .

(٢) ويقبلونه عن وجهه بتمويههم ، وتزويرهم ، فيخيلون حبالهم وعصيتهم أنهم حيات تسعى ، وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق بخيل شيئاً لا حقيقة له/ ١٢ بيضاوي .

(٣) وادعهم صالحهم/ ١٢ ق ، موادة مصالحة/ ١٢ صراح .

(٤) قيل إنهم فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع والتصليب ، وقيل: لم يفعله بهم ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل بهم ذلك ، فلما سمعوا ذلك من قوله قالوا : " لا ضير " الآية / ١٢ فتح .

﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لموسى من القبط ، أو بالله من أهل زماننا ، وقد مر في سورة الأعراف وطه بسطها فأرجع إليهما .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَادِرُونَ ﴿١١٤﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١١٥﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١١٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١٧﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿١١٨﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿١١٩﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢٠﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٢١﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ من مصر ، وذلك بعد مدة متطاولة هو بين أظهر القبط يدعوهم إلى الله ، وهم لا يزيدون سوى الكفر ، والإصرار ﴿إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده ، وهذا علة الأمر بالإسراء لأنه سبب هلاك الأعداء ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين علم خروجهم ، ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يحشرون العساكر ليتبعوهم فيأخذوهم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي : قال لهم إن بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة قليلة ﴿قَلِيلُونَ﴾ صفة ، أو خبر بعد خبر ، قيل : إنهم ستمائة وسبعون ^(١) ألفاً ،

(١) قاله ابن مسعود / ١٢ فتح .

ومقدمة جيش فرعون سبعمائة^(١) أَلَفٌ **﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾** لفاعلون ما يغيظنا **﴿وَأَنَا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾** لَجَمَعَ من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، وهذه معاذيره لئلا يظن به الخوف **﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾** من كلام الله لا حكاية كلامهم، أي : بهذه الداعية **﴿مِّن جَنَّاتٍ﴾** بساتين بنوا على شاطئ النيل **﴿وَعُيُونٍ﴾** أثمار جارية **﴿وَكُنُوزٍ﴾** أموال جمعوها ولم يعطوا حق الله **﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾** منازل حسنة **﴿كَذَلِكَ﴾** الأمر وأخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا **﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أعطيناهم ديارهم ، وأموالهم **﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾** فلحقوهم **﴿مُشْرِقِينَ﴾** داخلين في وقت الشروق ، أي : طلوع الشمس **﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ﴾** رأى كل منهما الآخر **﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾** ملحقون **﴿قَالَ﴾** موسى ثقة بوعد الله **﴿كَلَّا﴾** لن يدركوكم **﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾**

(١) وجملة جيشه ألف ألف وستمائة ألف قال صاحب الفتح - بعدما ذكر أقوالاً مختلفة في ذلك: هذه الأقوال ، والروايات المضطربة قد روى عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب والاختلاف ، ولا يصح منها شيء عن النبي - صلى الله عليه وسلم / ١٢ .

(٢) قالوا حين رأوا عدوهم والبحر أمامهم فسألت ظنونهم / ١٢ وجيز .

(٣) قال شيخ الإسلام أبو العباس - رحمه الله - في شرح حديث التزول : اعلم أنه قد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية في الرد على الجهمية ، ولفظ المعية في كتاب الله جاء عاماً كما في قوله تعالى : " وهو معكم أينما كنتم " (الحديد: ٤) وفي قوله : " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم " (المجادلة: ٧) إلى قوله : " إلا هو معهم أينما كانوا " (المجادلة: ٧) ، وجاء خاصاً كما في قوله : " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل: ١٢٨) ، وقوله : " إني معكما أسمع وأرى " ، وقوله : " لا تحزن إن الله معنا " (التوبة: ٤٠) ، فلو كان المراد بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص ، فإنه قد علم أن قوله : " لا تحزن إن الله معنا " (التوبة: ٤٠) ، أراد به تخصيص نفسه ، =

بالنصرة ﴿سَيَهْدِين﴾ طريق^(١) النجاة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ﴾ أن مفسرة ﴿بَعْصَاكَ الْبَحْرَ﴾ القلزم^(٢) ﴿فَانْفَلَقَ﴾ أي : ضرب فانشق ، أوحى إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، فبات البحر تلك الليلة يضطرب يضرب بعضه بعضاً فرقاً من الله ، وانتظاراً لما أمره الله ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ كل قطعة من البحر ﴿كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل الضخم ﴿وَأَزَلَفْنَا﴾ قربنا ﴿ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى

= وأبا بكر دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله : " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل: ١٢٨) خصهم بذلك دون الظالمين ، والفجار وأيضاً فلفظ معية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن ، أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى كما في قوله : " محمد رسول الله والذين معه " (الفتح: ٢٩) ، وقوله : " فأولئك مع المؤمنين " (النساء: ١٤٦) ، وقوله : " اتقوا الله وكنوا مع الصادقين " (التوبة: ١١٩) ، وقوله : " جاهدوا معكم " (الأنفال: ٧٥) ، ومثل هذا كثير فامتنع أن يكون قوله : " وهو معكم " يدل على أن ذاته تكون مختلطة بذوات الخلق ، وأيضاً فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم ، وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر ، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى الجماعة والمصاحبة والمقاربة فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ، ويكون حكم معيته في كل مواطن بحسبه ، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد ، وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور : وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا : هو معهم بعلمه ، وقد ذكر ابن عبد البر ، وغيره أن هذا إجماع الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله ، وهو مأثور عن ابن عباس ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وسفيان الثوري ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم ، ثم ذكر الأسانيد ، وأطال الكلام / ١٢ .

(١) ولا يبعد أن موسى عليه السلام استنبط ذلك من قول الله : " إنا معكم مستمعون " / ١٢ وجيز .

(٢) وهو اسم الخليج من البحر الأخضر ، وهو على تسع منازل من مصر / ١٢ وجيز .

دخلوا مدخلهم من أثرهم ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ ﴿١﴾ مُؤْمِنِينَ﴾ ما آمن منهم إلا
رجل وامرأتان ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧﴾
قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٩﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٢﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
الَّذِينَ كَفَرُوا قَالُوا لَا نَبِيَّ إِلَّا رَّبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهْدِينِ ﴿١٤﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿١٥﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْخَفِيَّ بِالصَّلَاحِ ﴿١٩﴾
وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٢١﴾
وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٢﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ
لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٢٤﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَأُزْلِفَتِ
الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٢٧﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٢٩﴾ فَكُتِبَ فِيهَا
هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٣٠﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا

(١) أي : ما كان أكثر القبط مؤمنين ، فإنه قد آمن السحرة ، وآسية امرأة فرعون ،
ومؤمن آل فرعون ، وامرأة أخرى اسمها مريم / ١٢ .

يَخْتَصِمُونَ ﴿١٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴿١٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَا
 صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٢١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٤﴾
 ﴿وَاتْلُ﴾^(١) يَا مُحَمَّدُ ﴿عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ سَأَلَهُمْ
 لِيَرِيَهُمْ أَن مَعْبُودَهُمْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ﴾ نَدُوم ﴿لَهَا
 عَاكِفِينَ﴾ عَابِدِينَ، أَطْنَبُوا فِي الْجَوَابِ كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِصَنِيْعِهِ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾
 يَسْمَعُونَ دَعَاءَكُمْ ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ وَجِئْتَهُ مَضَارِعًا مَعَ إِذْ عَلَى حِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ
 اسْتَحْضَارًا لَهَا ، ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ إِذْ تَعْبُدُونَهَا ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إِذْ تَعْرِضُونَ عَنْهَا
 ﴿قَالُوا﴾^(٢) بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فَقَلَّدْنَاهُمْ أَسْنَدُوا فَعَلَهُمْ إِلَى التَّقْلِيدِ

(١) ولما قدم قصة موسى ، لأن قومه حضار مصدقون بالحكاية أتبعه قصة إبراهيم ، لأنه
 أب العرب له شأن عند الجميع ، فأمر بتلاوتها ، وقال : " واتل " الآية / ١٢ .

(٢) لما لم يجد أبوه وقومه ما يدفعون به حجته عدلوا إلى التقليد ، وهذا من أقوى الدلائل
 على فساد التقليد ، ووجوب التمسك بالاستدلال إذ لو قلبنا الأمر فمدحنا التقليد ،
 وذمنا الاستدلال لكان ذلك مدحاً لطريقة الكفار التي ذمها الله تعالى ، وذما بطريقة
 إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي مدحها الله تعالى ، فأجابهم إبراهيم عليه السلام
 بقوله: " أفرأيتم " إلخ أراد به أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديماً وحديثاً ، ولا بأن
 يكون في فاعليه كثرة أو قلة هذا ما في الكبير ، وفي الفتح لم يجدوا الحجة إبراهيم جواباً
 إلا رجوعهم إلى التقليد البحث ، وهذا الجواب هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز ،
 ويمشي بها كل أعرج فإنك لو سألت هذه المقلدة للرجال التي طبقت الأرض بطولها ،
 والعرض ، وقلت لهم: ما الحجة لكم على تقليد فرد من أفراد العلماء ، والأخذ بكل ما
 يقوله في الدين ، ويتدعه من الرأي المحالف للدليل لم يجدوا غير هذا الجواب ، وأخذوا =

الحض ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ فإن التقدم ، والأولية لا يكون برهاناً على الصحة ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ أراد أن يقول عدو لكم لكن بنى الكلام على التعريض ؛ لأنه أدخل في القبول كقولك لمن يسيء الأدب: ليت والذى أدبني، يعني هل عرفتم أنكم عبدتم أعداءكم ، قال تعالى: " كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً "(مریم: ٨٢) قيل معناه : عدو لي لو عبدتهم ، فلهذا لا أعبدهم ، وقيل من باب القلب ، أي : إني عدو لهم ، ووحد العدو لأنه في الأصل مصدر ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ منقطع ، أو متصل لأنهم يعبدون الأصنام مع الله ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى طريق مصالح معاشي ومعادي ، وعطف الجملة الاسمية بالفاء للدلالة على استمرار الهداية المتأخرة ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ تكرار الموصول للدلالة على استقلال كل باقتضاء الحكم ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ عطف على الصلة من غير إعادة الموصول ، لأن الصحة والمرض في الأكثر يتبعان المأكول ، والمشروب ، وراعى الأدب كما حكى الله تعالى عن الجن : "وأنا لا ندرى أشأ تريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً"(الجن: ١٠) وأيضاً غرضه تعداد النعم ، والمرض من النقم بحسب الظاهر ، وأما الإمامة مع أنها وسيلة للسعداء إلى نيل الفوز ، وللأشقياء إلى تقليل أسباب عذابهم ، وتطهير الدنيا من دنسهم ، فبموت الظالم تفرح الطير في أوكارها ، فأمر لا ضرر فيه ، لأنها غير محسوس إنما الضرر في مقدماتها أعني المرض ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

= يعدون عليك من سبقهم إلى تقليد هذا من سلفهم ، وظنوا أنهم خير أهل الأرض وأعلمهم فلم يسمعوا لنصح نصحاء ، ولو فطنوا لرأوا أنفسهم في غرور عظيم ، وجهل شنيع ، فعليك أيها العامل بالكتاب والسنة أن تورث عليهم حجج الله ، فإنه ربما انقاد لك منهم من لم يستحكم داء التقليد في قلبه ، وأما من استحكم فيه فإنك لا تهدى من أحبيت ، ولكن الله يهدي من يشاء / ١٢ .

يعني إن صدر عني صغيرة «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا» علمًا وفهمًا أو نبوة «وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» الكاملين في الصلاح الذين ما أذنبوا «وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» ذكرًا جميلًا ، وثناء حسنًا بعدى إلى القيامة أذكر به ، ويقتدى بي في الخير ، وقيل صادقًا من ذريتي يدعو الناس إلى الله «وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» أي : ممن لهم الجنة كأخص أموالهم «وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ» وهذا قبل أن يتبين أنه عدو لله كما مر في سورة التوبة «وَلَا تُخْزِنِي» لا تفضحني ولا تذللني «يَوْمَ يُنْعُثُونَ» يبعث الخلائق ، أو هؤلاء المشركون ، وجميع الأنبياء عليهم السلام مشفقون من سوء العاقبة ، فإنه لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، أو لا تخزني بإهانة والدي ، وقد ورد^(١) أن إبراهيم يلقي أباه في القيامة ، فيقول : وعدك أن لا تخزني يوم يبعثون ، فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» لكن من أتى بقلب سليم عن الشرك ، أو صحيح لا مريض كالمنافق يسلم ويتنفع ، أو حال^(٢) من أتى بهذا القلب ينفعه ، أو لا ينفع شيء إلا^(٣) حال من أتى الله به ، أو لا ينفعان أحد إلا سليم^(٤) القلب ، لأنه صرف المال في الخير ، وأرشد الأولاد أو جعل سلامة^(٥) قلبه من جنسهما كما تقول : هل لك مال وأولاد ؟ فيقول : مالي ، وأولادي غنى قلبي

(١) كما في البخاري ، والترمذي / ١٢ وجيز .

(٢) فعلى هذا المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة ، بل بضرب من الاعتبار كما في قوله : تحية بينهم ضرب وجيع أي : إلا حال من أتى الله بقلب سليم عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل إلا سلامة قلب من أتى الله ، الآية .

(٣) على هذا الاستثناء منقطع / ١٢ .

(٤) فعلى هذا المستثنى منه محذوف ، وهو مفعول ينفع / ١٢ .

(٥) فالمضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى ، وهو المستثنى منه / ١٢ .

﴿وَأَرْزَلَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قربت ^(١) لهم عطف على لا ينفع ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ ^(٢) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ كما زعمتم أنهم شفعاء ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ^(٣) بدفع العذاب عن أنفسهم ، فإنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿فَكُتِبُوا﴾ ألقوا، والكبكة : تكرير ، الكب جعل تكرير لفظه لتكرير معناه ، كأنه ينكب فيها مرة بعد أخرى ﴿فِيهَا﴾ في جهنم ﴿هُمْ﴾ المعبودون ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ العابدون أو التابعون والمتبعون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ متبعوه ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد للجنود ﴿قَالُوا﴾ السفلة للكبراء ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ جملة حالية معترضة بين القول ومقوله ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا﴾ أي : إنه كنا ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ تُسَوِّيكَ﴾ ^(٤) رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث كنا لكم تبعاً ، أو ضمير قالوا للأصنام ، وعابديها وتسويتهم أنهم عبدوها ، واتخذوها آلهة ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا

(١) قربت لينظروا إليها ، ويزيدهم قوة ونوراً وسروراً / ١٢ وحيز .

(٢) من شملته الغواية ، وهم الكفرة لتعجيل همهم ويقين شقاوتهم / ١٢ وحيز .

(٣) بدفع العذب عن أنفسهم ، فإنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم / ١٢ وحيز .

(٤) حيث كنا لكم تبعاً قال الله : " اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله " (التوبة: ٣١/ ١٢) وحيز .

وكان تسويتهم إياها بالله في الحب والتعظيم مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربهم ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ، ولا تميت ولا تحيي ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم ، والعبادة كما قال الله تعالى : " ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله " (البقرة: ١٦٥) ، وقال : " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " (الأنعام: ١) ، وأصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة والموالة والمحبة ، فإنهم ما ساووههم به في الذات والأفعال ، ولا قالوا إن آلهتهم خلقت السماوات والأرض وأنها تحيي وتميت ، وإنما ساووها به في محبتها وتعظيمها كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينسب إلى الإسلام كذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله / ١٢ .

الْمُجْرِمُونَ ﴿١﴾ على الوجه الأول من باب الالتفات ، وعلى الثاني المراد من المجرمون آباؤهم وسادتهم ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين ﴿وَلَا﴾ من ﴿صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الاحتمام ، أي : الاهتمام ، أو من الحامة ، أي : الخاصة ، ولتعدد أنواع الشفاء من الملك والنبي والولي جمع الشفيع بخلاف الصديق ، ولأن الصديق الحقيقي قليل^(١) ولذلك قيل هو اسم لا معنى له ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونُ﴾ نصب بجواب " لو " التي للتمني ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم ﴿لَايَةً﴾ حجة وعظة ، فكم فيها من الإرشاد والتنبيه والاستدلال على ترتيب أنيق نصحهم ووعدهم وأوعدهم بأحسن طريق ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ مؤمنين وإن ربك لَهُوَ الْعَزِيزُ^(٢) القادر ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال.

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * ﴿٥﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿٦﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) ولذلك قيل : هو اسم لا معنى له ، قيل : الصديق كالعدو يقع على الواحد وعلى الأكثر / ١٢ وحيز .

(٢) مع ظهور الدلائل التي استدلت بها ، وفي ذلك مسلاة لخاتم النبيين صلاة الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين / ١٢ وحيز .

(٣) قال: بعض المفسرين قد تم حكاية قول إبراهيم عند قوله : " ولا تخزني يوم يبعثون " وقوله: " يوم لا ينفع " ابتداء كلام من الله أو صلة إلى كلام إبراهيم إلى قوله: " وهو العزيز الرحيم " ، وعندني أن هذا ليس ببعيد ، بل هو الصواب إن شاء الله / ١٢ وحيز .

﴿١٢﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَنْتُوح لَتَكُونَنَّ مِنْ
الْمَرْجُومِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٥﴾ فَانْفَتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ القوم بدليل تصغيرها على قومية مؤنثة^(١) ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ فإن من
كذب رسولا فقد كذب الرسل ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ لأنه منهم ﴿أَلَا
تَتَّقُونَ﴾ الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عرفتموني قبل الرسالة بالأمانة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أدعوكم إليه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ كرهه تأكيدا، و تنبيها على أن كلا من
الأمانة، وحسم الطمع موجب لقبول النصيح ، فكيف إذا اجتماعا ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ^(٢)
لَكَ﴾ الهمزة للإنكار ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُثُونَ^(٣)﴾ الواو للحال ، وأتباعه الحاكمة والسوقة
حينئذ ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ما أعلم صنائعهم ، وليس لي من
دناءتهم شيء إنما كلفت بالدعوة المطلقة ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ أي : لا
أطلب إلا التصديق فيما جئت به ، والله مطلع على السرائر ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لعلمتم
ذلك ، قيل مرادهم أنهم سفلة اتبعوك لعزة ولقمة لا لاعتقاد ويقين كما قال تعالى
حكاية : " الذين هم أراذلنا بادي الرأي " (هود: ٢٧) فأجاب بأني لا أعلم أعمالهم ،

(١) ولهذا قال : " كذبت " / ١٢ .

(٢) شرع أشراف قومه في تنقيص متبعيه ، وأن انتفاء إيمانهم لهذا ١٢ وجيز .

(٣) كما قاله قريش في شأن عمار وصهيب وغيرهما / ١٢ وجيز .

وأهم مخلصون فيها أو لا وأنا لا أطلب سوى التصديق ، وحسبهم على الله^(١) ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فقيرا كان أو غنيا شريفا أو دثيا ، ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(٣) مُبِينٌ فليس لي طرد أحد واجتباء آخر ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ المقتولين بالحجارة ، أو المشتومين ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ﴾ وما دعا وما شكا عليهم ، وعنهم إلا بعد أيام متطاولة يدعوهم ، وهم في كفرهم يعمهون ﴿فافتح﴾ فاحكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من بلاء تنزل عليهم ، أو من كيدهم وشؤمهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من أنواع الأشياء ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي : بعد إنجاء المؤمنين ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على أن المكذبين في معرض العقوبة ولو بعد حين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٠﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢١﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٢٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢٤﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٢٦﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

(١) وعلى هذا الجواب ألصق / ١٢ وحيز .

(٢) وهذا مشعر بأنهم طالبوا طردهم كما طلب قريش مثل هذا ، ونزلت : " ولا تطرد

الذين يدعون رهم " الآية (الأنعام: ٥٢) / ١٢ وحيز .

(٣) فلا اشتغال إلا بما هو شغلي / ١٢ وحيز .

عَظِيمٍ ﴿١٧٦﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٧٧﴾
 إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٨﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٧٩﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨١﴾

﴿كَذَّبْتَ عَادَ﴾ التأنيث باعتبار القبيلة ، وهو في الأصل اسم أيهم ﴿الْمُرْسَلِينَ إِذِ
 قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ^(١) هُودٌ﴾ هو أيضاً منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ تصدير القصص بمضمون عبارة واحدة ليعلم أن كلمتهم متفقة ، وإن
 اختلف في بعض الفروع ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿آيَةً﴾ عمارة مشيدة
 عالية كآية في الشهرة ﴿تَعْبُثُونَ﴾ في بنائها^(٢) لا تحتاجون إليها ، بل للشهرة قيل: بنوا
 على الطرق عمارات كالقصور يجلسون فيها يسخرون بمن يمر ، أو المراد منها بروج
 الحمام ، فإنهم متولعون بها ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ قصوراً أو حصوناً ، أو مأخذ الماء
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ^(٣)﴾ ترجون الخلود ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾ سطوتم ﴿بَطِشْتُمْ^(٤)﴾

(١) كان أخاهم من النسب تاجراً جميلاً أشبه الخلق بآدم عليه السلام عاش أربعمائة
 سنة وأربعاً وستين ، ومنازلهم بين عمان إلى حضرموت أمرع البلاد فجعلها مفاوزاً ،
 ورمالاً / ١٢ .

(٢) في بنائها من غير احتياحكم إليها ، ونعم ما قيل: إن في هذا نعي على المترفين بينون
 للتنعم والتلذذ / ١٢ وحيز .

(٣) يعني يشبه حالكم حال من لا يأمل الموت كما قال تعالى : " يحسب أن ماله
 أخلده " (الهمزة: ٣) / ١٢ وحيز .

(٤) قال الزجاج : إنما أنكر عليهم ذلك ، لأنه ظلم ، وأما في الحق فالبطش بالسوط ،
 والسيف جائر قال الكرخي : علم أن اتخاذ الأبنية العالية تدل على حب الدنيا ، واتخاذ =

جَبَّارِينَ ﴿١﴾ متسلطين ظالمين بلا رحمة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٢﴾ فَإِنْ أَعْمَالَكُمْ تَوْرَتْ
 الخزي والندامة ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أعطاكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ من الخير نبههم
 على نعم الله مجملًا ، ثم فصلها بقوله ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤﴾ ثم
 أوعدهم فقال ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥﴾ إن بقيتم على الكفر
 والكفران ﴿قَالُوا سَوَاءٌ﴾ مستو ﴿عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي :
 مستو علينا وعظك وعدمه ، فإننا على ما نحن فيه لا نرعى ^(١) عنه ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ
 الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦﴾ ما هذا الدين الذي نحن عليه إلا دين الأوائل ، ونحن سالكون وراءهم
 نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا نشور ، أو ما هذا الذي جئنا به إلا
 عادهم يكذبون ويزخرفون ، ومن قرأ " خَلَقُ " بفتح الخاء وسكوت اللام ، فالمراد
 اختلافهم واختراعهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ فلا نخاف مما تخاف علينا وتخوفنا به
 ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ الْأَمْرَسَلِينَ﴾ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢﴾ إِنِّي
 لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
 أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ أَتُنْكِحُونَ فِي مَا هَلُنَا ءَامِنِينَ ﴿٦﴾ فِي جَنَّتٍ
 وَعُيُونٍ ﴿٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٨﴾ وَتَنجِتُونَ مِنْ

= المصانع يدل على حب البقاء ، والجبرية تدل على حب التفرد بالعلو ، وهذه صفات
 الألوهية وهي ممتعة للحصول للعبد انتهى ، ثم لما وصفهم بهذه الصفات القبيحة الدالة
 على الظلم والعتو والتمرد والتجبر أمرهم بالتقوى فقال : " فاتقوا الله " الآية / ١٢
 فتح .

(١) لا نكف عنه / م .

الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ
 الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٤٧﴾ قَالُوا إِنَّمَا
 أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٤٨﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ ﴿١٤٩﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٠﴾
 وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥١﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا
 نَادِمِينَ ﴿١٥٢﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٤﴾

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ^(١) الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ
 رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
 عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ إنكار لأن يتركوا مخلصين في
 نعيمهم ، أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم ، وما يتمتعون فيه آمنين ، فالهمزة
 للإنكار ، أو للتقرير ، و " ما " موصولة ، أي : في الذي استقر في هذا المكان من
 النعم ، ثم فسر الجمل بقوله : ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾
 لطيف ضامر طلع إناث النخل بالنسبة إلى فحوها لطيف ، وطلع البري^(*) ألطف من
 غيره ، أو مكسور مظلوم من كثرة الثمر ، وإفراد النخل لفضله على الأشجار
 ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ حاذقين متقنين لنحتها ، قيل من رأي منازلهم
 لرأى عجباً ، أو أشرين^(٢) بطرين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾

(١) كان بين عاد وثمود مائة سنة / ١٢ منه .

(*) البرني: ضرب من التمر أصفر مدور وهو أجود أنواع التمر (اللسان. برن).

(٢) هذا على قراءة " فرهين " من الفراهة ، وهو النشاط وأما فارهين فحاذقين في القاموس:

فره ككرم فراهة حذق حذاقة / ١٢ .

رؤسائهم^(١) ، وقادهم ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر ، وأنواع المعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ قطعاً ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(٢) الذين سحروا كثيراً حتى غلبوا على عقولهم ، أو من الذين لهم سحر ، أي : رية يعني أنت لست بملك ، فكيف تكون نبياً ؟! ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ هذا على الوجه الثاني تأكيد ﴿فَأَتَتْ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ دعا الله تعالى فأخرجها من الصخرة في محضرهم باقتراحهم ﴿لَهَا شَرِبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ هو يوم لا تشرب فيه الماء ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أسند العقر إليهم لأن كلهم راضون به ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ زلزال مع صيحة اقتلعت قلوبهم هما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِبَّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا لَنْ لَّمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ

(١) أي : المشركين ، وقيل التسعة الذين عقروا الناقة / ١٢ فتح .

(٢) أي : الذين أصيبوا بالسحر قاله مجاهد وقتادة ، وقيل المسحر هو المعلل بالطعام ، والشراب / ١٢ ، قاله الكلبي ، وغيره فيكون المسحر الذي له سحر ، وهو الرية فكأنهم

قالوا إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب / ١٢ فتح .

إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿٣٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٤٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٥﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي : أتأتون من بين العالمين الذكران يعني إنكم مختصون بتلك الفاحشة لا يشاركم شيء ، أو أتأتون الذكران من بين أولاد آدم مع غلبة الإناث الموضوع له ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ (١) (من) بيان (٢) (لما) ﴿بَلْ﴾ (٣) أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ مفرطون في المعصية ، حيث تختصون بفاحشة لا تشاركم بهيمة ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عما تنازعنا فيه ﴿يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من أرضنا ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ من المبغضين غاية (٤) البغض ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من وباله ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أهل بيته ومن تبعه ﴿أَجْمَعِينَ﴾ بأن أخرجناهم من بينهم حين حلول العذاب ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي : موصوفة بكونها في الباقيين في العذاب هي امرأة

(١) قال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال / ١٢ معالم .

(٢) قيل : من للتبعيض بدل من (ما) فالمراد مما خلق المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود "ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم" / ١٢ وجيز .

(٣) والإضراب للانتقال من شيء إلى شيء لا أنه إبطال لما سبق وجاء تصدير الجملة بضمير الخطاب تعظيمًا لقبح فعالهم ، وتنبهًا على أنهم هم المختصون بذلك / ١٢ وجيز .

(٤) ثم دعا ربه فقال : " رب " إلخ / ١٢ .

لوط خرجت معهم ، وهم مأمورون بأن لا يلتفتوا إلى القرية إذا سمعوا صيحة العذاب وهي التفتت لأنها كانت تحبهم راضية بعملهم، فأهلكها الله بحجارة من السماء ، أو هي ما خرجت معهم ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا﴾ أهلكنا ﴿الْآخِرِينَ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿قلب الله ديارهم ، وحين التقليب أمطر عليهم الحجارة ، أو إمطار الحجارة على مسافرينهم ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ مطرهم ، ولام المنذرين للجنس، لأنه يجب أن يكون فاعل المدح والذم جنسًا ، أو مضافًا إليه ليكون فيه إبهام ، ويكون المخصوص بالمدح أو الذم تفسيره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَتَقِفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ شجرة كانوا يعبدونها ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ

لم يقل هنا أخوهم مع أنه أخوهم نسبيًا ، لأنه نسبهم إلى عبادة شجرة فقطع نسبة الأخوة بينهم ، والأصح أنهم أهل مدين ، ولهذا وعظهم ، وأمرهم بوفاء الكيل كما في

قصة مدين سواء ، وعن بعض : هم غيرهم ، وشعيب من أهل مدين لا منهم ، فلهذا لم يقل أخوهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿بِالْمِيزَانِ السَّوِيِّ قِيلَ الْقِسْطَاسُ الْقَبَانُ﴾^(*) ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوا شيئاً من حقوقهم ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ لا تغلوا في الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل ، وقطع الطريق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ ذوى الجبلية ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ يعني : وخلق الخلائق الأولين ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أتوا بالواو هؤلاء دون قوم ثمود دلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ، وكذا أكدوا في نفيها عنه بقولهم : ﴿وَإِنْ تَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ والظن بمعنى العلم^(٢) بدليل " إن " واللام ، ولذا أيضاً ما طلبوا الرهان عنه ، بل قطعوا بما يدل على اليأس ، حيث قالوا : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ قطعة ، أو عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الدعوى ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم بما أنتم تستحقون ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ سلط عليهم حر شديد ، فأظلمت سحابة ، واستظلوا جميعاً بظلمها ، فخرجت نار من السحابة ، وأحرقتهم ، وعن بعض : كشف عنهم الظلة ، وحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلبي

(١) وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة، ولتبليغ الرسالة/ ١٢ معالم .

(*) في اللسان (قبن): القبان: الذي يوزن به، قال الجوهري: القبان، القسطاس مُعَرَّب.

(٢) بدليل (إن) المخففة من المثقلة ، واللام / ١٢ .

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)
 هذا هو العلة في نزول العذاب على الأمم ، ولو آمن أكثرهم كما آمن قريش لأمهلهم
 ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب المنتقم من الأعداء ﴿الرَّحِيمُ﴾^(٢) على أوليائه ،
 وهذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار بعدما فصلها مكررة تسليية
 لرسوله ، وتهديداً^(٣) لمن خالفه .

﴿وَإِنَّهُمْ لَتُنَزَّلِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ
 لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَفِي زُبُرِ
 الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢١﴾
 وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٢﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
 حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٥﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
 فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٧﴾ أَفَعِذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٨﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ
 مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا

(١) وعلم من نصائحهم مع كفرهم بترك ذنوبهم الخاصة بكل واحد من الأمم أن الكفار
 يؤخذون بالفروع / ١٢ وحيز .

(٢) ولما قص حكاية الأمم السوالف عاد إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما
 يأتيهم من الذكر ليناسب المفتتح والمختتم ، فقال : " وإنه لتنزِيل رب العالمين " الآية /
 ١٢ وحيز .

(٣) وتبهيها على أن لكل من الرسل دعوة واحدة ، ونصائح مختلفة بحسب ما هم فيه من
 المعاصي / ١٢ وحيز .

كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿١٨﴾ ذَكَرَكَ
وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا
يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَاخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئْءٍ
مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٧﴾ الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٢٨﴾ وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ هَلْ
أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾ يُلْقُونَ
السَّمْعَ وَآكْثَرَهُمْ كَذِبُونَ ﴿٣٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا
ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَأَنَّهُ﴾^(١) القرآن^(٢) ﴿لَتَنْزِيلٌ﴾ منزل ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ ﴿الباء للتعديّة
﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ جبريل ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ لأنه بلسانك ولغتك ، ففهمه أولاً من غير
أن تلاحظ الألفاظ كيف جرت ، ولو لم يكن بلغتك لكان نازلاً على سمعك تسمع
الألفاظ ، أولاً ثم تخرج المعاني منها وإن كنت ماهراً بتلك اللغة أيضاً ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمُنْذِرِينَ﴾ عن كل ما لا يرضى به الله ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ واضح المعنى متعلق

(١) لما ختم ما اقتضاه من خبر الأنبياء ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته ، فقال : " وإنه

لتنزيل رب العالمين " / ١٢ كبير .

(٢) قاله أكثر المفسرين وقال مقاتل : ذكر محمد ونعته / ١٢ معالم .

بزل ، وقيل بالمنذرين أي : لتكون ممن أنذروا بلغة العرب ، وهم خمسة هود ،
 وصالح ، وإسماعيل ، وشعيب ، ومحمد عليهم أفضل الصلوات وأتمها ومن التحيات
 أزاها «وَأِنَّهُ» أي : ذكر القرآن «لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ» كتبهم «أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
 آيَةٌ» على صحته «أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أي : ليس علم علمائهم بأنه
 من الله دليلاً دالاً على صحته ، والمراد العدول^(١) منهم كعبد الله بن سلام وسلمان ،
 وقرئ تكن بالثناء مع رفع آية فآية اسم كان ، ولهم خبره " وأن يعلمه " إلخ بدل من
 الاسم ، أو اسم كان ضمير القصة " وأن يعلمه " إلخ مبتدأ أو آية خبره ، والجملة خبر
 كان «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ» القرآن الفصيح الذي عجز دونه أفصح فصحاء العرب «عَلَى
 بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ» الذين لا يدرون من العربية^(٢) «فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 مُؤْمِنِينَ» لفرط عنادهم ، قال تعالى : " إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
 ولو جاءهم كل آية " الآية (يونس: ٩٦) ، قيل : معناه ، ولو نزلنا القرآن بلغة العجم
 على بعض الأعجمين فقرأه على أهل مكة ما كانوا به يؤمنون قال تعالى : " ولو جعلناه
 قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته " (فصلن: ٤٤) «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ» أدخلنا الكفر
 والتكذيب «فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» فلا
 ينفعهم حينئذ «فَيَأْتِيهِمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» يأتيان العذاب «فَيَقُولُوا هَلْ
 نَحْنُ مُنْظَرُونَ» يتمنون النظرة «أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» وهم يطلبون النظرة عند

(١) فكان قريش في كثير من الأمور النقلية ترجع إلى علماء اليهود يسألونهم قائلين : " إنهم
 أصحاب الكتب الإلهية ، وقد تمود وتنصر كثير من العرب ، وعن ابن عباس : إن أهل
 مكة بعثوا إلى أحبار يثرب يسألونهم عن النبي ، فقالوا: هذا زمانه ووصفوا نعته ، ذكره
 التعلبي / ١٢ وحيز .

(٢) والأعجم في الأصل من يكون في لسانه عجمة وعقدة ، ثم استعمل فيمن تكلم بلسان
 غير لسانهم ، فالعرب عند العجم أعجمي وبالعكس ، وأما العجم فكل من هو غير
 العرب / ١٢ وحيز .

نزول العذاب كما قالوا : " فأتنا بما تعدنا " (الأعراف: ٧٠) نقل أنه لما نزل لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ، قالوا : متى هذا العذاب؟ فنزل " أفبعذابنا يستعجلون ؟! ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ لم ينفعهم تمتعهم^(١) في أيام متطاولة ، ولم يدفع شيئاً من العذاب عنهم ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ رسل ينذروهم^(٢) ﴿ذِكْرَى﴾ مصدر لمنذرون^(٣) لأن أنذر وذكر متقاربان ، أو مفعول له أي : منذرون لأجل الموعظة ، أو أهلكناهم بعد إلزام الحجة تذكره وعبرة لغيرهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فهلك قبل الإنذار ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ نزل به الروح الأمين لا الشياطين ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ ما يصح للشياطين أن يتزلوا به فإنهم يتزلون لفساد ، وما في القرآن إلا الرشاد ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ إنزاله وإن أرادوا ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ عن استراق السمع من السماء بحيث يكون المسموع كلاماً مفيداً تاماً ﴿لَمَعَزُوْلُونَ﴾^(٤) محجوبون كما قالوا : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " الآية (الجن: ٩) ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً

(١) وفيه إشارة إلى أنهم في حالة إمهالهم لا يؤمنون ، ولا يكتسبون ما ينفعهم ، ولما ذكر أن إمهالهم لا ينتجهم إلا مزيد نكالهم بين أنه أخبرهم ومهلهم وأمهلهم للسعادة لكن تقدمت شقاوتهم ولم يلتفتوا فقال : " وما أهلكنا من قرية " الآية/ ١٢ وحيز .

(٢) وأمهلناهم ليحذروا عما أنذروا ، وجمع منذرون لأن من قرية عام كأنه قال ، ما أهلكنا القرى الظالمة / ١٢ وحيز .

(٣) أو لتوغلهم في التذكير جعلهم نفس العظة كرجل عدل / ١٢ وحيز .

(٤) نفى أولاً تنزيههم به ، وما نفى الإمكان ، ثم نفى صلاحيتهم ، كأنه قال ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له ، ثم نفى قدرتهم على ذلك وأنه مستحيل في حقهم فارتنى من نفى الفعل إلى نفى الصلاحية ، ومن نفى الصلاحية إلى نفى الاستطاعة ، ولما أشار إلى أن الشياطين يدعون إلى الطواغيت ، والقرآن هو الداعي إلى الحق سبب عنه بقوله : " فلا تدع مع الله " الآية / ١٢ وحيز .

آخَرَ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ» عن ابن عباس يحذر به غيره يقول : يا محمد أنت أكرم خلقي ، ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) فإن الاعتناء بشأنهم^(٢) وفو ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ لين جانبك ، وتواضع ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا من المنافقين^(٣) ، فإنهم أيضاً يتبعونك بحسب الظاهر ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ لم يتبعوك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الذي يقدر على قهر الأعداء ، ونصر الأولياء يكفيك شر من يعصيك ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾

(١) وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فعم وخص ، فقال : "يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، فإنني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، فإنني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ، ويا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، فإنني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإنني لا أملك لك ضراً ولا نفعاً ، ألا إن لكم رجماً ، وسأب لها بيلها" ، قال الشوكاني في شرح الصدور بعد ذكر الحديث : فإذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحص قرابته به ، وأحبهم إليه فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسل مرسلين ، بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية ، وواحد من هذه الملة الإسلامية فهو أعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضراً ، وكيف لا يعجز عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه شيئاً من ضر ولا نفع ، وأنه لا يغني عن أحص قرابته من الله شيئاً ، فإعجاباً كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم أو أقل حظاً من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة ، والحال أنه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه ، فهل سمعت أذنك أرشدك الله بضلال عقل أكبر من هذا الضلال الذي وقع فيه أهل القبور ، إنا لله وإنا إليه راجعون / انتهى ١٢ .

(٢) فإنهم والناس سواء في أنهم معذبون إن لم يهتدوا / ١٢ وجيز .

(٣) بل واغلظ عليهم ومأواهم جهنم / ١٢ .

إلى الصلاة وحدك^(١) ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ عطف على كاف يراك ، أي : تصرفك بأركان الصلاة فيما بين المصلين يعني : يراك إذا صليت منفرداً ، وإذا صليت في جماعة أو تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين ، أو تقلبك في أصلاب آبائك الأنبياء من نبي إلى نبي ، حتى أخرك يعني : توكل على من يراك في أحوال اجتهداك في مرضاته ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَلْ^(٢) أَنْبَتُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ بعدما قال : " وما تنزلت به الشياطين " ، قال : هل أحرركم بأن الشياطين على من تنزل " ﴿تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم هم الكهنة والمنجمون ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي : يسترق الشياطين السمع من السماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس مع مائة كذبة ، وفي الحديث^(٣) " ربما أدركه الشهاب قبل أن يلقاها ، وربما ألقى قبل أن يدركه " ، وهذا يدل على أن الاستراق حينئذ أيضاً واقع ، أو معناه يلقى الأفاكون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنون وأمارات أكثرها أكاذيب ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ قل من يصدق منهم ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ أي : الضالون يعني : شعراء الكفار الذين يهجون النبي عليه السلام ، ويقولون : نحن نقول مثل ما يقول محمد يجتمع إليهم غواة يستمعون ويروون عنهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِّنْ أَوْدِيَةِ الْكَلَامِ يَهِيْمُونَ^(٤)﴾ يذهبون كالمنحنون ، فإن أكثر الأشعار وأحسنها خيالات لا حقيقة^(٥) لها ﴿وَأَنَّهُمْ

(١) في أثناء الليل ، وفيه حث على التهجد / ١٢ وحيز .

(٢) ولما قال : " وما تنزلت به الشياطين " قال : " هل أنبتكم " الآية / ١٢ وحيز .

(٣) كما في الصحيحين / ١٢ وحيز .

(٤) الهائم : الزاهب على وجهه لا مقصد له ، وتمثيل لذهابهم في كل شعب من القول / ١٢ .

(٥) حتى يجعلون في المدح أجهل الناس أفضلهم وأبخلهم أسخاهم وأجبنهم أشجعهم ، وأسفلهم أعلاهم ، وفي الدم يعكسون وينكسون / ١٢ وحيز .

يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ^(١)﴾ فعلم أن القرآن ليس بشعر ، وأنت لست بشاعر ، فإن أتباعك هداة مهديون ، والقرآن كله حق صدق وأنت بالصدق موصوف ، وبالوفاء معروف ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين المادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجين لأعداء الله ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في شعرهم ، وغير شعرهم ﴿وَأَنْتَصِرُوا﴾ من الكفار بهجوهم ﴿مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا﴾ أي : مكافأة هجائهم هجوا للمسلمين لما نزلت " والشعراء يتبعهم الغاؤون " جاء حسان ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إليه عليه السلام ، وهم ييكونون ، فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فأنزل الله " إلا الذين^(٢) آمنوا " الآية ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بأن ذموا قومًا ، ومدحوا قومًا بباطل ، وتكلموا بالكاذب ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ أي : مرجع يرجعون بعد الموت ، فيه تهديد شديد وسياق الآية ، وإن كان في الكفار وشعرائهم لكن عام لكل ظالم ، ولهذا كتب الصديق رضي الله عنه عند الوصية : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . فإن يعدل فذاك ظني به ، ورجائي فيه ، وإن يجرؤ ويدل فلا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

(١) ينسبون إلى أنفسهم من مثل فرط الحب والعشق ، وما ليس فيهم فهم كاذبون في شأن غيرهم ، وفي شأن أنفسهم / ١٢ وحيز .

(٢) وهذه الآية إلى آخر السورة مدنية كما صرح بذلك محيي السنة وغيره ، والباقي من أول السورة إلى هذه الآية مكية ، فلا إشكال في سبب النزول على ما نقلنا ، والمورد خاص والحكم عام ، فمن كان شعره في أمر ديني أو في مكافأة ظلم بقدره ، وهو متصف بما وصفه الله فهو من الذين استثناهم الله / ١٢ وحيز .

سورة النمل مكية

وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية وسبع ركوعات
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ
الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَمِيَائِهَا بَخْرٌ
أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ
مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَلْمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعِقِّبْ يَلْمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ
حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا
جَاءَتْهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿طس﴾ عن ابن عباس : هو من أسماء الله ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ إشارة إلى آيات
تلك السورة ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ : وهو القرآن ، وعطفه لعطف إحدى الصفتين على

الأخرى^(١) ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حالان من الآيات ، أو خبران لمحذوف ، أو بدلا من الآيات ، أو خبران بعد خبر ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٢) تكرير الضمير للاختصاص ، والواو للعطف أو للحال ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي : أعماهم القبيحة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ عنها لا يدركون قباحتها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ : في الدارين ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ : ما أخذ أشد منهم خسرانا ﴿وَأِنَّكَ لَتَلْقَىٰ﴾ لتؤتى ﴿الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي حكيم أي عليم ، ولهذا المعنى نكرها ، وهذا تمهيد لذكر هذه القصص التي تأتي ، فكم فيها من لطائف حكمه ، ودقائق علمه ﴿إِذْ قَالَ﴾ مقدر باذكر ، كأنه قال خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ، أو متعلق بعليم ﴿مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ حين مسيره من مدين إلى مصر ، وقد ضل الطريق ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾ : أبصرت ﴿نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا﴾ : من أهل النار ﴿بِخَبْرٍ﴾ عن حال الطريق ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ الشهاب : الشعلة ، والقبس : النار المقتبسة من جمر ونحوه ، فهو إما بدل أو صفة ، وقراءة الإضافة من إضافة الخاص إلى العام ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها من البرد فإنهم في ليل شتوى ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾ أي : بأن ، أو (أن) مفسرة ، فإن في النداء معنى القول ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ عن ابن عباس وغيره أي : قدس من في النار ، وهو الله سبحانه ، والنار نوره تعالى على معنى أنه نادى موسى منها ، وأسمعه كلامه من جهتها ،

(١) نحو: هذا فعل السخي والجواد / ١٢ .

(٢) لما كانت الصلاة والزكاة مما يتجدد ، ولا تستغرق الأزمنة جاءت الصلة فعلاً مضارعاً ، ولما كان الإيمان مما هو ثابت مستقر الديمومة جاءت الجملة الاسمية ، وتكرير الضمير وتغيير الأسلوب للدلالة على قوة يقينهم وأنهم الأوحدون فيه / ١٢ وحيز .

أو المراد من في طلب النار وهو موسى ، أو المراد الملائكة ، فإن فيها ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ﴿وَمَنْ حَوَّلَهَا﴾ الملائكة ، أو موسى ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من تمام ما نودى به ، لئلا يتوهم أنه مكاني يشبه شيئاً من مخلوقاته ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ أو راجع إلى المتكلم ، و"أنا" خبره ، والله بيان له ، أو خبر بعد خبر ﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعله ﴿وَأَلْقِ^(١) عَصَاكَ﴾ عطف على بورك ، أي : قيل له بورك من في النار ، وقيل له : ألق عصاك ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا﴾ أي : فلما ألقى رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌ﴾: حية خفيفة سريعة ، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ أي : هرب موسى ، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ^(٢)﴾: لم يرجع ، ﴿يَا مُوسَى﴾ أي : نودى يا موسى ، ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ^(٣) لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق ، قيل معناه: من أمنت ، من عذابي لا يخاف من حية ، ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ، لكن من ظلم من العباد نفسه ، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾: تاب وعمل صالحاً ، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أغفر له ظلمه أي : لستم أيها المرسلون من الظالمين التائبين ، فلا خوف عليكم بوجه ، أو لكن من ظلم قبل النبوة ، ثم تاب فإني أغفر له ، ومن غفر له لا يخاف ، أو الاستثناء متصل أي : لا يخافون إلا الذين ظلموا بارتكاب الصغائر حينئذ تم الكلام ، ويكون (ثم بدل) عطفاً على محذوف تقديره: فمن ظلم ثم

(١) عطف على " إنه أنا الله " عطف جملة الأمر على جملة الخبر ، وقد نص سيبويه على

جوازه سيما في مثل هذا الموقع ، فإنه لا ينكره أحد من العلماء / ١٢ وجيز .

(٢) عطف على (ولَّى) يقال عقب المقاتل ، إذا كر بعد الفرار وأقبل بعد الإدبار / ١٢ وجيز .

(٣) قيل : لا يخاف إلا من ظلم نفسه من مثل الصغائر ثم تاب فإنه يخاف مع أي غفرت له ،

وهذا كما وقع في الحديث الصحيح من حكاية الشفاعة إن كل نبي أحال الشفاعة إلى

نبي آخر لأجل خوفهم إلا خاتم النبيين فإنه قام بالشفاعة صلوات الله وسلامه عليه ،

وعليهم أجمعين / ١٢ وجيز .

بدل إلخ ، فإني أغفر له ، أو معناه لا يخافون إلا من فرط منه ما غفر له فإنه يخاف ، وقد تحقق أن المغفور له المرحوم لا يخاف من الذنب المغفور البتة ، فإذا لا يخاف منهم أحد البتة على القطع ، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي : في جيب درعك ، وقد نقل^(١) أنه كان عليه مدرعة من صوف لا كم لها ، ﴿تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ﴾ كأنها قطعة قمر تتلألاً ، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ كبرص ، ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي : اذهب في تسع آيات ، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أو معناه أدخل يدك في جملة تسع آيات وعدادهن ، وعلى هذا (إلى فرعون) متعلق بمحذوف ، أي : مبعوثاً مرسلأ إليه ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾ بأن جاءهم موسى بها ، ﴿مُبْصِرَةً﴾ : ظاهرة للناظرين ، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا﴾ : كذبوا ، ﴿بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي : وقد استيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، الواو للحال^(٢) ، ﴿ظَلَمًا﴾ أي : جحدوا للظلم ، ﴿وَعَلَوْا﴾ : ولترفع والتكبر عن اتباعه ، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ في الدارين .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٠ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيِّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ ٥١ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٥٢ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ اللَّامِلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَّيِّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

(١) نقله محيي السنة / ١٢ وحيز .

(٢) يعني جحدوا وكذبوا بالآيات للظلم والتكبر عن اتباعه ، والحال أنهم متيقنون أنها آيات

الله ليست بسحر / ١٢ وحيز .

أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦﴾ وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا
أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٧﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٨﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا
لَمْ تُحِطْ بِهِمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿١٩﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ
﴿٢١﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ * قَالَ
سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٤﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ
تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِيْتُ أَلْقَىٰ إِلَيْكَ كِتَابَ
كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٧﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ
وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ أَيْ عِلْمَ﴾ ، ﴿وَوَدَّعَا الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي

فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : شكرًا على ما أعطاهما من العلم ، ﴿وَوَرِثَ

(١) ولما أتم قصته شرع في قصة أخرى فقال: (ولقد آتينا داود) / ١٢ و جيز .

(٢) قيل: هذا موقع الفاء دون الواو فقال السكاكي : أخبر تعالى عما صنع بهما ، وأخبر

عما قالوا ، فكأنه قال نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد تفويضًا لاستفادة ترتب

الحمد على إيتاء العلم إلى فهم السامع / ١٢ و جيز .

سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» نبوته، وعلمه وملكه دون سائر^(١) أولاده ، «وَقَالَ» سليمان يعدد نعم الله عليه «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا^(٢) مَنْطِقَ الطَّيْرِ»: نفهم ما يقصد بصوته ، «وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٣)» أي : أوتينا ما يحتاج إليه الملك ، أو المراد الكثرة كما تقول : فلان يعلم كل شيء ، «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ^(٤)» وَحُشِرَ: جمع ، «لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ» وكانوا هم حول الإنس ، «وَالْإِنْسِ» وهم يلونه ، «وَالطَّيْرِ» وهن فوق رأسه فإن كان حر أظلمته منه بأجنحتها ، «فَهُمْ يُوزَعُونَ»

(١) قيل: له تسعة عشر ابناً / ١٢ وجيز .

(٢) قيل: كانت الطير تكلمه معجزة ، وهذا خلاف ظاهر القرآن ، وقوله: (علمنا) كليلين للميراث هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح قال جماعة من المفسرين: إنه علم منطق جميع الحيوانات ، وإنما ذكر الطير لأنه كان جنداً من جنوده يسير معه لتظليله من الشمس ، فخص بالذكر لكثرة مداخله ، وقال قتادة والشعبي: إنما علم منطق الطير خاصة ، ولا يعترض ذلك بالنملة فإنها من جملة الطير ، وكثيراً ما تخرج لها أجنحة فتطير ، وكذلك كانت هذه النملة التي سمع سليمان كلامها وفهمه أخرج أحمد في الزهد ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال : خرج سليمان بن داود يستسقي بالناس، فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك ، فإما أن تسقينا ، وإما أن تهلكنا ، فقال سليمان للناس: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ، وقد ذكر الخازن والنسفي في تفسيريهما: منطق بعض الطيور وما تقوله القمرى وغيرها ، وكذا القرطبي بلا إسناد صحيح متصل يعتمد عليه ويصار إليه، فتركنا ذكره هاهنا فإنه لا يأتي بكثير فائدة للمنقحين / ١٢ فتح .

(٣) وقد رويت قصص في عظم ملك سليمان عن القرطبي وغيره، لا تطيب النفس بذكر شيء منها فالإمساك عن ذكرها أولى / ١٢ فتح .

(٤) قال ذلك شكراً لا فخرأ / ١٢ فتح .

يجبس أولهم على آخرهم ليحتمعوا ، ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ هو بالشام ، أو بالطائف ، ولما كان إتيانهم من فوق عدى بعلى ، أو المراد قطعه كما تقول : أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره ، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ لما نسب إليهم ما يختص به العقلاء بحسب الظاهر خاطبهم خطاب العقلاء ، ﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ أي : لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، استئناف ، أو بدل من الأمر ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يحطمونكم ، فيه إشعار بأنهم لو علموا لم يحطموا؛ لأنهم جنود نبي ، ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ أي : تبسم مقدراً الضحك ، فإن المتبسم يصير ضاحكاً إذا اتصل وداوم ، وهو للتعجب أو للسرور ، ﴿مَنْ قَوْلُهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ : ألهمني شكرها ، أو أولعني وحرصني به ، ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي﴾ : عداد ، ﴿عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ : الكاملين في الصلاح ، ﴿وَتَفَقَّدَ﴾ : تعرف ، ﴿الطَّيْرَ﴾^(١) فلم ير فيها الهدهد ، ﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ كأنه ظن أنه حاضر^(٢) ، ولا يراه لساتر ، ثم لاح أنه غائب فقال : ﴿أَمْ كَانَ﴾ بل أكان ، ﴿مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ، عن ابن عباس : إن الهدهد يدل سليمان على الماء ينظر الماء تحت الأرض ، ويعرف كم مساحة بعده ، ويخبره فيأمر الجن بالحفر ، فتزل بفلاة يوماً ولم يجده^(٣) فقال :

(١) تعرفها ، وذلك للاهتمام بالرعايا ، قيل : كان يأتيه من كل صنف واحد فلم ير فيها

الهدهد / ١٢ وجيز .

(٢) لأن العادة أن لا يذهب من جنده إلا بإذنه / ١٢ وجيز .

(٣) نقله محيي السنة وقال : قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن

الأزرق : يا وصاب انظر ما تقول ! إن الصبي منا يصنع الفخ ، ويحثوا عليه التراب فيجسيء

الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه ، فقال له ابن عباس : ويحك إن القدر إذا جاء حالي

دون البصر ، وفي رواية : إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر / ١٢ منه .

﴿لَاْعَذْبَتُهُ عَذَابًا﴾^(١) شَدِيدًا أَوْ لَاذْبَحْتُهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، بحجة تبين عذره ، حلف على أحد الثلاثة التعذيب أو الذبح أو العفو بشرط العذر ، أو الحلف على الأولين إن لم يكن الثالث ، والثالث للتقابل ، أدخل في سلكهما لا أنه محلوف عليه بالحقيقة ، ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدد ، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ : زمانًا غير مديد ، ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ : علمت ما لم تعلمه ، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ : مدينة باليمن ، أو اسم قبيلة هم ملوك اليمن ، ﴿بَنِيَّ﴾^(٢) : بغير ، ﴿يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً﴾ أي : بلفيس ، ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ الضمير للسبأ باعتبار أهلها ، ﴿وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، يحتاج إليه الملوك ، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) بالنسبة إلى عروش أمثالها من ذهب مكلل بأنواع

- (١) قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج : هو أن يتنف ريشه جميعًا ، وروى نحو هذا عن جماعة من التابعين ، قال البغوي : أظهر الأقاويل أن يتنف ريشه وذنبه ، ويلقيه في الشمس معطًا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض ، وقيل غير ذلك / ١٢ .
- (٢) لا شك في صدقه بادر [في الأصل : يادر] إلى جوابه بما يسكن غيظه ، وأهم أولاً حتى يتشوق النفس إلى معرفته ، وتجاوز بأن له معلومًا لم يكن لنبي الله ، ثم انتقل إلى ما هو أقل إهمًا إذ فيه إخبار بما كان جاء منه وإن له علم بغير يقيني ، وراعى على الفصاحة في كلامه بوجوه ، ثم صرح بما كان أهم فقال : (إني وجدت) إلخ / ١٢ وجيز .
- (٣) وما أحسن انتقالات خبر هذا الطير بعد تهديد الهديد ، وعلمه بذلك أخير أولاً : باطلاعه على ما لم يطلع تحصنًا من العقوبة لعلمه برتبة العلم عنده ، ثم أخير ثانيًا : بأنه أمر متيقن ليزيد شوق السامع ، ثم أخير ثالثًا : عن ملك عظيم لامرأة وكان سليمان قد سأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم أخير رابعًا : بما ظاهره الاشتراك بين سليمان وامرأة بشيء ليس لفحول الرجال وهو أن لها كل شيء ، ثم أخير خامسًا : بأن لها عرشًا عظيمًا تجلس عليه ، وقد كان لسليمان بساط عظيم قد صنع له ، ولما علم أن سليمان عال همته لم يتأثر بأمر دنويي أخيره سادسًا : بما يهزه لطلب تلك المملكة ودعائها إلى الإيمان ، فقال : (وجدتها) إلخ / ١٢ وجيز .

الجواهر ، ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: فلا يهتدون إلى قبائح أعمالهم ، ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: منعهم ، ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق ، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه ، ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ أي: صدهم أو زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا ، ومن قرأ "ألا" بالتخفيف، فمعناه: ألا يا قوم اسجدوا، وهو استئناف أمر من الله بالسجود ، أو من الهدد ، أو من سليمان ، ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾: يظهر ما خفي في غيره ، وهو عام^(١) لإتزال المطر ، وإنبات النبات ، وإنشاء البنين ، والبنات ، وغيرها ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ فله استحقاق السجود لا لكرة تدور علي الفلك بأمر مديرها ، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: المحيط بجملة^(٢) المكوّنات ، ﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ ، نتعرف من النظر بمعنى التأمل ، ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: أم كذبت فالتغير للمبالغة ، ومحافظ الفواصل ، ﴿أَذْهَبَ بَكِتَابِي﴾^(٣) هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ ، تنح عنهم إلى مكان قريب^(٤) ، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يردون بالجواب ، أو ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول ، ﴿قَالَتْ﴾ بعدما ألقى الكتاب إليها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ خاطبت عظماء قومها ، ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ لوجازته وفصاحته ، أو لأنه مختوم^(٥) أو لشرف صاحبه ، أو لغرابته من جهات ،

(١) هكذا فسره ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والحسن ، وغير واحد من السلف /

(٢) فهو العرش لا عرش بلقيس ، ولما فرغ الهدد من كلامه أخر سليمان أمره إلى أن يتبين صدقه فقال : (سننظر) إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) يعني أمر بكتابة كتاب وذهاب الهدد إليهم فقال : (اذهب) إلخ / ١٢ .

(٤) بحيث تسمع كلامهم / ١٢ .

(٥) وقد روى: كرامة الكتاب ختمه / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّهُ﴾^(١) مِنْ سُلَيْمَانَ استئناف ، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي : المكتوب أو المضمون^(٢) ، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، وعن السلف لم يكتب أحد قبله البسملة ، ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ أي : المقصود ألا تتكبروا علي ، أو عليكم أن لا تتكبروا علي ، ف(أن) مصدرية ، ﴿وَأَتُونِي﴾^(٣) مُسْلِمِينَ : مؤمنين أو متقادين لما أظهر عندهم المعجزة ، وهي إلقاء الكتاب على تلك الحالة أمرهم بالإسلام والانقياد ، ونقل بعض المفسرين أن عبارة الكتاب "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" الآية، فعلى هذا لما قالت : "ألقي إلى كتاب كريم" كأن سائلاً قال : بين لي مضمونه ومكتوبه؟ فأجابت وقرأت ، وعن بعضهم^(٤) إن عبارته : من عبد الله سليمان ابن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فلا تعلموا على وأتوني مسلمين ، فحيث أن سائلاً يقول : بعدما قالت : ألقي إلي ، ما فيه ؟ فقالت : إن مضمونه ، وما فيه من سليمان ، وإن فيه بسم الله الرحمن الرحيم إلخ ، وترك الواو في "ألا تعلموا" ليدل على أنه المقصود من الكتاب .

(١) قيل : "إنه من سليمان" بيان لعنوان الكتاب فكذا قوله : من عبد الله سليمان إلى ملكة سبأ وليس من أصل الكتاب ، كذا قاله الإمام ، ويشعر به كلام الزمخشري فسؤال تقلد سليمان اسمه على اسم الله ساقط / ١٢ منه .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية ، فكان يكتب البسملة ، وبعدها السلام على من اتبع الهدى / ١٢ فتح .

(٣) وهذا أي : إنه سليمان من إلى مسلمين عبارة الكتاب ، ولما قرأت على الملأ استشارهم استعطافاً ، وتطبيعاً لقلوبهم ليقوموا معها ، قالت : "يا أيها الملأ" إلخ / ١٢ وجيز .

(٤) نقله الزمخشري غفر الله زلاته / ١٢ منه .

﴿قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾
 ﴿٢٦﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ
 ﴿٢٧﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً
 وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ
 الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ
 مِّمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٠﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ
 لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ
 أَفْتُكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ
 أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٣﴾ قَالَ الَّذِي
 عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ
 مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ
 فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٤﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا
 عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ
 أَهَلْكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا آلَ عِمْلَانَ مِّن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قِيلَ لَهَا
 ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ
 مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أجيئوا لي في أمرى الحادث ، ﴿مَا كُنْتُ فَاطِعَةً﴾: فاصلة ﴿أَمْرًا﴾: ما أبته ، ﴿حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾: إلا بمحضركم^(١) ، ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً﴾^(٢): عدد كثير ، ﴿وَأُولُوا بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾: بلاء ونجدة في الحرب كان الملأ ثلاثمائة واثنى عشر أميراً مع كل منهم عشرة آلاف ، ﴿وَالْأَمْرُ﴾ موكول ، ﴿إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: من المقاتلة والصلح نطعك ، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وقهراً ، ﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾^(٣) ، ذكرت لهم عاقبة الحرب ، وسوء مغبتها ، وأنها سجال لا يدرى عاقبتها ، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من كلام الله تصديق لها ، وقيل: من تنمة كلامها تقريراً ، وتأكيذاً لما وصفت ، ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾: بأيادى رسل ، ﴿فَنَازِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: بأي شيء يرجعون من حالة حتى أعمل بحسب ذلك ، عن ابن^(٤) عباس وغيره قالت : إن قبل الهدية فهو ملك نحاربه ، وإن لم يقبل فهو نبي نتبعه ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ ما أهدى إليه أو الرسول ، ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ﴾ خطاب للرسول ، أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب ، ﴿بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾: من النبوة والملك والمال ، ﴿خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ﴾ فلا وقع لهديتكم عندي ﴿بَلْ﴾^(٥) أنتم بهديتكم التي يرسل بها بعضكم إلى بعض ،

(١) وإذا كان هذا عادي في الأمور فكيف لا أستشيركم في هذه الحادثة الكبرى/ ١٢ وحيز.

(٢) حاصل الجواب أنهم ذكروا أمرين إظهار القوة الذاتية والعرضية إن أرادت الحرب والدفع ، وإظهار الطاعة لها إن أرادت السلم ، ولا يمكن ذكر جواب أحسن من هذا/ ١٢ كبير .

(٣) مالت إلى المهادنة والصلح لما رأت من الملوك ، وكتب الله سعادتها / ١٢ .

(٤) نقله محيي السنة / ١٢ .

(٥) لما أنكر عليهم الإمداد ، وعلل ذلك أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم على الإمداد ، وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا/ ١٢ منه ، قال

تَفَرَّحُونَ ﴿١﴾ أو بل أنتم بهذه الهدية التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك ، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ، وأما أنا فغني عنها ، وقيل معناه : بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم ، وتفرحوا بها ، فيكون عبارة عن الرد ، والهدية الذهب والجواهر مع الجواري والغلمان ﴿ارْجِعْ﴾ أيها الرسول ، ﴿إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ : لا طاقة ^(١) ، ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ ، من بلدتهم ، ﴿أَذَلَّةٌ﴾ ، ذليلين بذهاب أسباب عزهم ، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ : أسراء ^(٢) ، ﴿قَالَ﴾ ^(٣) يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤﴾ لما وصف الهدهد عرشها أعجبه فأراد أن يأخذه قبل إسلامها ، لأنه يحرم عليه أموالهم بعد الإسلام ، أو طلب عرشها ليربها معجزة أخرى ، أو أراد اختبار عقلها بأن تعرف عرشها ، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ : خبيث قوي ، ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾ بيان له ، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ : من مجلسك للحكومة ، وكان يجلس إلى نصف النهار ، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ : على حملة ، ﴿لَقَوِيٌّ﴾

= الرازي: أما الكلام في صفة الهدية فالناس أكثرها فيها لكن لا ذكر لها في الكتاب ، وقولها : " فناظرة بما يرجع المرسلون " فيه دلالة على أنها لم تثق بالقبول وحوزت الرد ، وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان / ١٢ ، وفي الوجيز: وذكروا في الهدية أقوالاً مختلفة ، ومن حال سليمان مع الرجل حين وصلت الهدية ما الله أعلم بصحته ، ولا مدخل له في تفسير كلام الله ، فأضربنا عنه / ١٢ .

(١) وحقيقة القبل: المقاومة والمقابلة / ١٢ وجيز .

(٢) أسراء جملة حالية، قيل: في ذلك دليل على جواز الحالين الذي حال واحد ، وهي مسألة خلافية ، فقيل: يمكن أن يكون الثانية تأكيد الأولى فإيهما حال واحدة / ١٢ وجيز .

(٣) سليمان حين رأى جماعة من بعيد فسأل عنهم قالوا : فوج بلفيس " يا أيها الملأ أيكم " إلخ / ١٢ وجيز .

أَمِينَ^(١) على ما فيه من الجواهر ، فقال سليمان : أريد أسرع^(٢) من هذا ، **﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾** جنس الكتب السماوية ، وهو آصف^(٣) كاتبه صديق يعلم اسم الله الأعظم ، وعن بعض هو خضر ، وكان عرشها في اليمن وسليمان في بيت المقدس ، **﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** أي : قبل أن ترد طرفك التي أرسلت نحو شيء ، وهذا مثل في الإسراع ، وآتيك في الموضعين يحتمل الفعل واسم الفاعل ، **﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾** : العرش ، **﴿مُسْتَقِرًّا﴾** : حاصلًا ، **﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾** اعترف بأنه فضل ، وهو غير مستحق به ، **﴿لِيُبْلُوَنِي﴾** : يعامل معي معاملة من يختبر عبده ، **﴿أَشْكُرُ﴾**^(٤) نعمه فأرى ذلك من فضله بلا حول ولا قوة مني ، **﴿أَمْ أَكْفَرُ﴾** بأن أرى نفسي مستحقًا له أقصر في أداء مواجبه ، والفعالان بدلان من مفعول يبلو ، **﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** ترجع فوائده إليه ، **﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾** عن شكره ، **﴿كَرِيمٌ﴾** بالإفضال علي من يكفر ، **﴿قَالَ نَكِّرُوا﴾** : غيروا ، **﴿لَهَا عَرْشَهَا﴾** بتقدم شيء ، وتأخير شيء من أجزائه ، وتبديل جواهره عن مكانها ، **﴿نَنْظُرُ﴾** جواب الأمر ، **﴿أَتَهْتَدِي﴾** : إلى أنه عرشها ، **﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾** : بلهاء^(٥) لا تعرف شيئًا إذا ذكرت عندها بسخافة العقل ، **﴿فَلَمَّا**

(١) لا أحتلس منه شيئًا / ١٢ .

(٢) لأنه أراد أن يكون عرشها حين قدومها قائمًا عنده / ١٢ وجيز .

(٣) يعلم اسم الله الأعظم ودعاؤه : يا ذا الجلال والإكرام ، أو يا حي يا قيوم ، أو يا إلهنا وإله كل شيء إلهًا واحدًا لا إله إلا أنت اتني بعرشها / ١٢ منه .

(٤) والشكر كما قيل قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة / ١٢ وجيز .

(٥) قال وهب ومحمد بن كعب : خاف الجن أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن ، فإن أمها حنية فقالوا : إن في عقلها شيئًا وإن رجلها كحافر حمار ، وإنها شعراء الساقين ، قيل : معناه لتهتدي للإيمان بأن رأت تلك المعجزة الأخرى ، أم هي من

جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿ رعت الحزم فما جازمت لقيام احتمال عقلي ، وهذا من ذكائها ، ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ﴾ بصحة نبوته ، ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾: قبل تلك المعجزة التي رأيناها اليوم ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: منقادين له قبل مجيئنا ، ﴿وَصَدَّهَا﴾: منعها ، ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام ، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ، مستأنفة بمتلة العلة ، وقوله : " وصدّها " إلى هنا إما من كلام الله ، أو من كلام سليمان ، أو قوله : " وأوتينا العلم " إلخ من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها ؛ لأنه لاح من جوابها إيمانها بالله ورسوله ، حيث جوزت خرق العادة الذي هو من معجزات الأنبياء أي : وأوتينا العلم بالله قبلها ، وكنا منقادين لم نزل على دين الله ، وغرضهم من هذا الحديث التحدث بنعم الله شكراً له ، وقيل معناه : وصد سليمان بلبقيس عن عبادة الشمس ، أو صدّها عن التوحيد عبادتها للشمس وكونها نشأت بين أظهر المشركين لا سخافة عقلها كما قيل ، ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي﴾^(١) الصَّرْحُ ﴿الْقصر أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج أبيض وتحت

= المتأصلين في الكفر ، ومن حيث هذا لم يقل من اللاتي مثل قوله - في شأن مريم : "وكانت من القانتين" (التحریم: ١٢) / ١٢ وجيز .

(١) أخرج ابن المنذر وعبد بن حميد ، وابن أبي شيبه وغيرهم عن ابن عباس في أثر طويل : إن سليمان تزوجها بعد ذلك ، قال أبو بكر بن أبي: شيبه ما أحسنه من حديث ، قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول : بل هو منكر جداً ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم ، والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقة من أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم لروايات كعب ووهب ساعهما الله فيما نقلنا إلى هذه الأمة من بني إسرائيل من الأقاويل والغرائب ، والعجائب مما كان وما لم يكن ، وما حرف وبدل ونسخ انتهى ، وكلامه هذا هو شعبة مما قد كررناه في هذا التفسير ، ونبها عليه في عدة مواضع ، وكنت أظن أنه لم ينبه على ذلك غيري ، فالحمد لله على =

الماء ، وألقي فيه حيوانات البحر ، ووضع سريره في صدره ، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماءً راكداً ، ﴿وَكَشَفْتَ عَنْ ساقِهَا﴾ وإنما فعل ذلك ليربها عظمته ومعجزته ، أو لأنه أراد أن يتزوجها ، وقد قيل له : إن قدميها كحافر حمار ، فأراد أن يبصرها فرأى أحسن الناس ^(١) ساقاً ، ﴿قَالَ﴾ لها : ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ ، ملمس ، ﴿مَنْ قَوَارِيرَ﴾ : زجاج فلا تخافي ولا تكشفي عن ساقيك ، ﴿قَالَتْ﴾ لما رأت معجزاته ودعاها إلى الإسلام : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بالشرك ، ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ ^(٢) مع سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ فيما أمر به عباده .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ ٥٦ ﴿قَالَ يَلْقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٥٧ ﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمْنًا مَعَكَ قَالَ طَبَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ ٥٨ ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ٥٩ ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ٦٠

= هذه الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف ، وقيل : انتهى أمرها إلى قولها : (أسلمت) ، ولا علم لأحد وراء ذلك ، لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح / ١٢ فتح .
(١) وعند بعض : إن المقصود من الصرح إرادة عظمته ، وحصول كشف الساق تبع ، وإما أنها كانت شعراء ، فأمر الجن فاحتالوا النورة فمذكور في القصص / ١٢ وجيز .
(٢) مع اسم يدل على الصحبة واستحداثها ، كما صرح به الزمخشري في سورة "يوسف" عند قوله : "ودخل معه السجن فتيان" (يوسف : ٣٦) ، وفي سورة "والصافات" في قوله : "فلما بلغ معه السعي" (الصافات : ١٠٢) فعلى هذا فالمراد أسلمت بالموافقة ، أو بأن لقنها / ١٢ وجيز .

وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَأَحْمِلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِي أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿١٩﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٢٠﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٢١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٢٣﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ ^(١) أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ ﴿أَي﴾ : بَأْن ، ﴿اعْبُدُوا﴾ ^(٢) اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ ﴿فَرِيقٌ مِّنْ مُّؤْمِنٍ وَفَرِيقٌ كَاْفِرٌ﴾ ، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ ^(٣) ، واختصاصهم ما مر في سورة الأعراف " قال الذين استكبروا " (الأعراف: ٧٥) الآية ، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ : بالعقوبة فتقولون: اثنا بما تعدنا ، ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ : التوبة ،

- (١) ولما ذكر قصة داود وسليمان وهما من بني إسرائيل، ذكر قصة من هو من العرب يذكر بهم العرب ، وينبئهم على أن العرب والعجم من الأنبياء يدعون إلى منع الشرك ليعلموا أنهم في ضلال من عبادة الأصنام فقال : " ولقد أرسلنا " الآية / ١٢ وجيز .
- (٢) قد مر مراراً (أن) في مثله جاز أن تكون تفسيرية ، ومصدرية بتقدير حرف الجر/ ١٢ وجيز .
- (٣) وعطف بالفاء؛ لأنهم بادروا بالاختصاص متعقباً دعاء صالح إياهم إلى عبادة الله وحده ، و"يختصمون" بصيغة الجمع على المعنى / ١٢ وجيز .

فتؤخرونها إلى نزول العذاب ، كانوا يقولون إن صدق إيعاده: تبنا حينئذ، زاعمين أنها مقبولة حينئذ، فخطبهم على حسب اعتقادهم ، ﴿لَوْلَا﴾: هلا ، ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ قبل العذاب ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإنها لا تقبل حينئذ ، ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾: تشاء منا ، ﴿بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ فإنهم قحطوا وتفرقت كلمتهم منذ كذبوه ، ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي : شؤمكم عنده أتاكم منه بكفركم ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تختبرون بالخير والشر، أضرب عن بيان الطائر إلى ذكر ما هو الداعي إلى الضراء ، ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: في مدينة ثمود ، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي : أنفس ، وقع تميزاً للتسعة ، لأنه بمعنى الجماعة ، وهو من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة ، وهم الذين عقروا الناقة أبناء أشرافهم ، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يعني: أعمالهم محض فساد ، ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي : قال بعضهم لبعض احلفوا ، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ أي : لنقتلنه ليلاً ، ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ، والبيات: مباغته العدو ليلاً ، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ يَكُنَّا قَدِ احْتَفَا بِأَرْهَافِهِمْ لَنَسْفَعُ بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي : لنسحقنهم ، ﴿وَأَهْلَهُ﴾: ما حضرنا إهلاكهم ، ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ أي : ونخلف إنما لصادقون ، أو نقول له ذلك ، والحال إنما عند الناس عظماء صادقون قيل: إنما لصادقون في ذلك القول لأنما ما حضرنا مهلكهم وحده ، بل مهلكه ومهلكهم كأن الكذب عندهم أقبح من قتل نبي الله والمؤمنين ، ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ بتلك المواضع ، ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾: جازيناهم على ذلك ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا ، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ فإنهم لما خرجوا لإهلاكهم بعد عقر الناقة دمغتهم الملائكة بالحجارة ، أو جثم عليهم جبل فماتوا ، ﴿وَقَوْمَهُمْ﴾^(١) أجمعين : وإهلاكهم

(١) روى أن صالحاً أخبرهم بعدما عقروا الناقة بمجيء العذاب فاتفقوا على قتل صالح ، فاختفوا في غار شاهرين أسيافهم بالليل ، فأهلكهم الله ولم يشعر كل واحد بملاك الآخر

بالصيحة ، وقراءة "إنا" بكسر الهمزة بالاستئناف ، وخبر كان "كيف" ، وإن جعلتها تامة فـ(كيف) حال ، أو بدل ، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾: خالية أو ساقطة، حال عاملها معنى الإشارة ، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإن الجاهل لا يتأملون حتى يتعظوا ، ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: صالحاً ومن معه ، ﴿وَلُوطًا﴾ أي : اذكره ، ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل ، ﴿لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ كأنها لقبها ليست الفاحشة إلا إياها ، ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: يبصر بعضكم بعضاً لا تستترون ، وتأتون في ناديكـم المنكر ، أو تعلمون أنها فاحشة^(١) ، ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً﴾: تتركـون المانع الشرعي والزاجر العقلي بمجرد شهوة ، ﴿مَنْ دُونَ النِّسَاءِ﴾ التي لا مانع لها لا شرعياً ولا طبعياً ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: سفهاء^(٢) ، ولما كان القوم في معنى المخاطب ذكر الفعل بصيغة الخطاب ، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾: يتزهون عن أفعالنا ويعدونها أقداراً، وعن ابن عباس: هذا استهزاء ، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي : قدرنا كونها من الباقيـن في العذاب ، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: هو الحجارة ، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ قد مر إعرابه في آخر سورة الشعراء فتذكر ، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ^(٣) وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ أمره أن يحمد على نصرته أوليائه وإهلاك أعدائه وأن السلام على عباد الله المصطفين الأخيار ، وهم الأنبياء ، وعن ابن عباس هم الصحابة

(١) فلما مع العلم أقبح / ١٢ .

(٢) لا عقل ولا طبع / ١٢ .

(٣) لما فرغ من تلك القصص أمر نبيه بحمده ، وبالسلام على المصطفين على نصرته أوليائه وإهلاك أعدائه ، ثم أخذ في مباحنة واجب الوجود للأصنام التي أشركوها مع الله تعالى ، فقال : " الله خير أما يشركون " الآية / ١٢ و جيز .

اصطفاهم لنبية رضي الله عنهم ، ﴿اللَّهُ﴾ الذي نَجَّى من وَحْدَه من الهلاك ، ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الأصنام التي لم تغن شيئاً عن عابديها ، وهو إلزام لهم وتسفيه لرأيهم ، فمن المعلوم ألا خير^(١) فيما أشركوه أصلاً .

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَابٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أَيْ لَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَيْ لَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَيْ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَيْ لَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْ لَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَبَانَ يُبْعَثُونَ ﴿١١﴾ بَلِ ادْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا مَنهَا عَمُونَ ﴿١٢﴾

(١) وهم اعتقدوا فيه نفعاً بالجهل ، ولهذا عبر عنه بما لا يمن ، هذا ما في الوجيز ، وفي

الفتح : وهذه الخبرية ليست بمعناها الأصلي ، بل هي كقول الشاعر :

أتهجوه ولسنت له بكفءٍ فشركما لخيركما الفداء

فيكون ما في الآية من باب التهكم بهم ، إذ لا خير فيهم أصلاً / ١٢ فتح .

﴿أَمَّنْ﴾ بل أَمَّنْ ، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل: تقديره أما يشركون خير أَمَّنْ خلق السماوات والأرض ، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ عدل إلى التكلم، للتنبيه على أن الإنبات الذي هو عندكم من أنفع الأشياء مختص به لا يقدر عليه غيره ، ﴿حَدَّثَاتِ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: بسايتين ذات حسن ، ﴿مَا كَانَ لَكُمْ﴾ ليس في قدرتكم ، ﴿أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ﴾: أغیره يقرن به ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحق ، ﴿إِمْأَنٌ^(١) جَعَلَ﴾ بدل من (أَمَّنْ خلق) ، ﴿الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: دحاها وسواها للاستقرار ، ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾: وسطها ، ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية ، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾: جبالاً ثوابت ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والمالح ، ﴿حَاجِزًا﴾: مانعاً من قدرته لا يختلطان كما مر في سورة الفرقان ، ﴿أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلاء ، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ الكفرة يعترفون بذلك لا يلجئون في حال الاضطرار إلا إليه ، ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: سكاها يهلك قرناً وينشئ آخر ، ﴿أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (ما) صلة ، أي : تذكرون تذكرًا قليلاً لا يترتب عليه نفع ، أو المراد من القلة العدم ، ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بما خلق من الدلائل السماوية كالنجوم ، والأرضية كالجبال ، ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾: مبشرات ، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: قدام المطر ، ﴿أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ﴾ يقدر على مثله ، ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الكفرة وإن أنكروا الإعادة، لكن كانت مبينة بالحجج الواضحة فهي ثابتة ، ﴿وَمَنْ^(٢) يَرْزُقُكُمْ

(١) ولما ذكر شيئاً مشتركاً بين السماء والأرض من إنزال الماء وإنبات الحدائق ذكر ما هو مختص بالأرض، فقال : " أَمَّنْ جعل الأرض " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولما كان إنعام الإيجاد لا يتم إلا بالرزق قال : " ومن يرزقكم من السماء والأرض " الآية / ١٢ وحيز .

مَنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» بأسباب سماوية وأرضية ، «إِلَهَ مَعَ اللَّهِ» يفعل ذلك ، «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ»^(١) على أن مع الله إلهاً آخر ، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ، في دعواكم ، «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ»^(٢) إِلَّا اللَّهُ» ، لما بين اختصاصه بكمال القدرة أتبعه ما هو كاللازم له ، وهو التفرد بعلم الغيب ، وقد ذكر أنها نزلت حين سأل المشركون متى البعث والإعادة ، والاستثناء منقطع ، ورفع على لغة بني تميم ، واختيار تلك اللغة لنكتة ، وهي المبالغة في نفي علم الغيب عن غيره كما قالوا في :

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيسس^(٣)
والمراد بمن فيهما الموجودون ، فإن العوام يحسبون أن كل موجود فيهما البتة ، فعلى هذا الاستثناء متصل ، «وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْعَثُونَ»^(٤) : متى ينشرون ، «بَلْ ادْرَكْ»^(٥) عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ» : انتهى واضمحل ، في شأن الآخرة لا يقرون بوجوده سيما بوقته ، وقراءة "ادرك" بمعناه ، أي : تتابع حتى انقطع قيل : بمعنى تلاحق ، وتساوى أي : هم في الجهل في أمر الآخرة سواء ، أو بمعنى أدرك انتهى وتكامل وادرك : تتابع ،

(١) هذا يدل على أنه لا بد في الدعوى من البرهان ، وعلى فساد التقليد ، ولما بين أنه المختص بالقدرة ، أخذ يبين أنه مختص بعلم الغيب ، وإذا ثبت ذلك ثبت أنه هو الإله المعبود ، لأن الإله هو الذي يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس بأهل العقاب ، فقال : " قل لا يعلم " الآية / ١٢ كبير .

(٢) ولا يخفى على من له أدنى فهم ، أن من أخبره الله بشيء من المغيبات لم يصدق عليه بحال أنه عالم الغيب ، كيف وهو جاهل إلا بما لقنه؟! / ١٢ وجيز .

(٣) رجز لجران العود في ديوانه ص ٩٧ .

(٤) نقل محيى السنة إن هذه الآية نزلت ، حين سأل المشركون تهكمًا متى البعث والإعادة؟ /

١٢ وجيز .

(٥) كذا أوردها المصنف على وجه للقراءة .

واستحكم علمهم في يوم القيامة حين عاينوها ، ولا ينفعهم العلم كما قال تعالى " أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا " (مریم: ۳۸) ، الآية ، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي : لا يقرون بوجودها ، بل لهم الشك فيها فإن عدم الإقرار بشيء قد يكون لعدم التوجه إليه ، وقد يكون بعده ، والثاني أقبح ، وبحسن الإضراب ، ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾^(۱) : عيون قلوبهم عُمي ، ومنشؤ عماهم الآخرة ، فلذلك عداه بمن دون عن ، فإن الكفر بها صيرهم أضل من البهائم ، وهذا وإن كان خاصًا بالمشركين ممن في السماوات والأرض ، نسب إلى الجميع كما يسند فعل البعض إلى الكل .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَبْنَاءُ لَمُخْرَجُونَ ۖ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(۲) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۖ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۖ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا قُرْآنٌ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۖ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۖ

(۱) ولما ذكر أنهم غير مقرين ، بل شاكون عُمي القلوب ، أثبت بالدليل فقال : " وقال الذين كفروا " الآية / ۱۲ وجيز .

إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٦١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٢﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنْتُمْ لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور أحياء ،
والعامل في "إذا" فعل يدل عليه " أننا لمخرجون " ، وهو يخرج ؛ لأن ما بعد كل من
الهمزة وإن واللام لا يعمل فيها قبله ، وتكرير الهمزة لتأكيد الإنكار ، ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا
هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ : من قبل بعث محمد ، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ :
سمرهم وأكاذيبهم ، ﴿قُلْ﴾ لهم : ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُجْرِمِينَ﴾ حتى تعلموا أن هذا ليس بكذب وإسمار ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ يا محمد ،
﴿عَلَيْهِمْ﴾ : على تكذيبهم وإعراضهم عنك ، ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ : حرج صدر ،
﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ : من مكرهم فإن الله يعصمك ، ﴿وَيَقُولُونَ^(١) مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ :
القيامة ، وقيل : وعد العذاب ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ
لَكُمْ﴾ ، دنا لكم وتبعكم ، ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ كيوم بدر ، فإنه قامت فيه
قيامتهم ، وحكم لعل وعسى في مواعيد الملوك حكم الجزم ، وإنما يطلقونه إظهاراً
لوقارهم ، وأن الرمزة منهم كافية في الأغراض ، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

(١) ولما ذكر أنهم في شك من القيامة ، وأورد من كلماتهم ما دل ظاهره على شكهم ،
ثم أوعدهم بالهلاك ، وسأل فؤاد نبيه ذكر منهم ما دل على عنادهم وتماديهم في
جهلهم مما يدل ظاهره أيضاً على شكهم ، فقال : " ويقولون متى هذا الوعد " الخ/١٢
وجيز .

النَّاسِ ﴿بِتَأْخِيرِ عَذَابِهِمْ مَعَ اسْتِحْقَاقِهِمْ﴾ ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَإِنْ^(١) رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ : ما تخفي ، ﴿صُدُّورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ^(٢)﴾ : خافية ، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(٣)﴾ : اللوح المحفوظ ، ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ : كأمر عيسى وعزير ، وأحوال الجنة والنار ، ﴿وَأِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ : فإنهم أهل الانتفاع به ، ﴿إِنْ^(٤) رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ : بين المختلفين في الدين ، ﴿بِحُكْمِهِ﴾ : بما يحكم به ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ : فلا يرد حكمه ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ : بأحوال من يحكم عليه وله ، ﴿فَتَوَكَّلْ^(٥) عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ : والحق يعلو ولا يعلو ، ﴿إِنَّكَ^(٦) لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ : الكفار ، فإنهم كالموتى في عدم الانتفاع بما يستمعون ، ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ : والكفار كالصم في تلك الحال ، التي هي أبعد من الاستماع ، فإن الأصم إذا كان حاضراً قد يسمع ، ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ﴾ : وهم عمي ، ﴿إِنْ تُسْمِعْ﴾ : سماع انتفاع ، ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ : من

(١) ولما كان الإمهال ربما يكون لجهل بذنوب المذنب نفاه بقوله : " وإن ربك ليعلم " الآية

١٢ / وحيز .

(٢) ما من شيء في غاية الغيوبة والخفاء ، والتاء للمبالغة كراوية وعلامة / ١٢ .

(٣) فصَحَّ أن الله محيط علمه ، إذ لا خصوصية لهذا دون غيره بالنسبة إلى علمه / ١٢ وحيز .

(٤) ولما ذكر الاختلاف ، قال : " إن ربك يقضى " الآية / ١٢ .

(٥) ولما ثبت حكمه وعلمه ، أمر نبيه بأن يعتمد كل الاعتماد عليه فقال : " فتوكل على

الله " الآية / ١٢ وحيز .

(٦) ولما قال : " إنك على الحق المبين " كأن سائلاً سأل فما بالهم لا يذعنون ؟ فقال :

" إنك لا تسمع الموتى " الآية / ١٢ وحيز .

هو في علم الله مصدق بآياتنا، ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون منقادون ، فبلغ أنت رسالتك ، ولا تضيق صدرك ، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾: وجب العذاب والسخط ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾^(١) حين لا يقبل من كافر الإيمان ، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾^(٢) مِّنَ الْأَرْضِ: من نفس مكة ، أو من بواديها ، وفي الحديث^(٣) (*) أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريب) ، ﴿تَكَلَّمُهم﴾ من الكلام ، أو من الكلم ، أي : الجرح ، فقد ورد^(٤) إن عصا موسى تكون بيدها فتنتك في وجه المؤمنين نكتة بيضاء فتبيض منها وجوههم ، وبيدها خاتم سليمان ، وتنكت الكافر بها في وجهه فتسود منها وجوههم^(**) ، وفي الشواذ (تكلمهم) بفتح التاء وحزم الكاف ، ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قرئ بفتح الهمزة وكسرهما ، ومن قال : إن هذا كلامها ، فيكون تقديره: بأن الناس ، والكسر لتضمين الكلام معنى القول ، وعند من يقول: إنه من الكلم ، أو كلامها إبطال كل دين سوى الإسلام ، أو لعنة الله على الكافرين، فتقديره: لأن الناس علة

(١) وعن أبي العالية، إنه فسر وقع القول بما أوحى إلى نوح "إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن" (هود: ٣٦) نقله صاحب الفتح ، وفي الوجيز وقع القول: أنجز وعد عذابهم الذي يضمنه القول الأزلي الأول من الله ، ولا يقبل من كافر إيمانه/ ١٢ .

(٢) والظاهر أنها واحدة ، وروى أنها تخرج في كل بلدة ، فعلى هذا دابة اسم جنس ، واختلف في کیفیتها اختلافًا لا ينضبط/ ١٢ وجيز .

(٣) رواه مسلم / ١٢ وجيز .

(٥) أخرجه مسلم في "أشراط الساعة" / باب: ذكر الدجال (٧٩٨/٥) ط الشعب.

(٤) رواه ابن ماجه وأبو داود ، وابن جريج / ١٢ وجيز

(**) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٦) وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (١٦٠٨).

لتكلمهم ، أو لأخرجنا ، وعلى كسرهما مستأنفة ، ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني بخروجها ،
وسائر أحوالها ، فإثما من آيات الله ، أو بالقرآن ، فإن أكثر الناس حينئذ كفار ، ﴿لَا
يُوقِنُونَ﴾ وكلامها على بعض التوجيهات حكاية لقول الله .

﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٢٠ حَتَّى إِذَا
جَاءُ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَوَقَعَ
الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿١٢٢﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِ كُنُوتِ
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَقَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَخِرِينَ ﴿١٢٤﴾
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ
شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢٥﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ
فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ
تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٨﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ
فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٢٩﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾
﴿وَيَوْمَ﴾ ١) نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ﴿من" للتبويض ، ﴿فَوْجًا﴾: جماعة ، ﴿مِمَّنْ﴾ "من"
للبيان ، ﴿يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ، وهو

(١) ولما كان من فعل الدابة التمييز بين المؤمن والكافر دفعة ، تلاه بتمييز كل فريق منهما عن
صاحبه بنوع آخر ، فقال : " ويوم نخسر " الآية / ١٢ وحيز .

عبارة عن كثرتهم ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ إلى الحشر ، ﴿قَالَ﴾ الله لهم : ﴿أَكْذَبْتُمْ بآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال أي : أكذبتموها بادئ الرأي من غير إحاطة علم بكنهها أو للعطف ، أي : أجمعتم بين التكذيب ، وعدم التأمل لتحقيقها ﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم أي شيء كنتم تعملون بها بعد ذلك؟! وهذا توبيخ وتبكيت كما تقول لعبدك الذي أكل مالك ، وأنت تعلمه : أكلته أم بعته أم ضل عنك أم ماذا عملت به؟! ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حل عليهم العذاب الموعود ، ﴿بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾^(١) بحجة وعذر في جواب هذا السؤال عنهم ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم ينظروا ويتفكروا؟ ﴿أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾ بالقرار والنوم ، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ في نصب مبصرًا بالحال مبالغة ، فإن ما هو حال لأهله جعله من أحواله يعني: لو تأملوا لعلوموا كمال قدرته ولطفه على خلقه ، فما أنكروا الحشر وشكروا نعمه فما أشركوا به ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) فإنهم المتأملون في مثل تلك الآيات ، ﴿وَيَوْمَ﴾ أي : اذكر يوم ، ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه إسرافيل في آخر عمر الدنيا ، والمراد الزمان الممتد الشامل لزمان النفختين ، ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) من الهول ، وعن بعضهم معناه يلقى عليهم الفرع

(١) لأنه لا عذر لهم ، وقيل: يختم على أفواههم ، فيكون ذلك في موطن من القيامة ولما ذكر الحشر استدلل عليهم بحشرهم كل ليلة إلى المبيت ، والختم على مشاعرهم وبعثهم من المنام، فقال : " ألم يروا أنا جعلنا " إلخ / ١٢ وحيز .

(٢) فإنهم لو تأملوا لعلوموا كمال قدرته ولطفه على خلقه وأن النوم كالموت ، والنهار كالبعث ، فما أنكروا البعث وما أشركوا ، ولما ذكر هذا الحشر الخاص الذي هو كالدليل على الحشر العام أعقبه بالحشر العام ، فقال : " ويوم ينفخ في الصور " الآية / ١٢ وحيز .

(٣) عن أبي هريرة إن النفخ ثلاث نفخة فزع في حياة الدنيا ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام من القبور / ١٢ وحيز .

إلى أن يموتوا ، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ^(١) اللَّهُ﴾ ، عن كثير من السلف : هم الشهداء^(٢) لا يصل إليهم الفرع أحياء عند ربهم ، أو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، لا يصل إليهم الفرع ثم يقبض أرواحهم ، أو موسى بدل صعقته في الدنيا ، أو الحور والرضوان ومالك والربانية ، وقيل غير ذلك ، ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ﴾ المراد حضورهم الموقف ، ﴿دَاخِرِينَ﴾ : صاغرين ، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ : ثابتة في مكانها ، ﴿وَهِيَ تَمُوتُ مَرَّةَ السَّحَابِ﴾ في السرعة والأجرام العظام إذا تحركت لا يكاد تتبين حركتها^(٣) كالسحاب ، ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لنفسه من مضمون (يوم ينفخ) الآية ، ﴿الَّذِي أَتَقَنَ﴾ : أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ وأودع فيه من الحكم ما أودع ، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه ، ﴿مَنْ جَاءَ﴾ في ذلك اليوم ، ﴿بِالْحَسَنَةِ^(٤)﴾ : كلمة التوحيد ، والإخلاص ، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ : رضوان الله ، أو تضعيف حسنته ، ﴿وَهُمْ مَنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ نوع فرع ، وهو فرع دخول النار ، أو الفرع مطلقه ، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أجمع السلف على أن المراد من السيئة هنا الشرك ، ﴿فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ، المراد من الوجوه : الأنفس ، أو ذكر الوجوه للإيذان

(١) فلا ينالهم الفرع ، ونعم ما قيل : الله أعلم بشيائه / ١٢ وجيز .

(٢) مقلدون السيوف حول العرش / ١٢ وجيز .

(٣) وذلك أحوال الجبال تسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن ، ثم تكون هباء منثوراً / ١٢ وجيز .

(٤) وبالحسنة الإيمان أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن مردويه عن أبي هريرة (عن النبي صلى الله عليه وسلم "من جاء بالحسنة فله خير منها" قال : هي لا إله إلا الله" ومن جاء بالسيسة فكبت وجوههم في النار" قال : هي الشرك) ، وإذا صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمصير إليه في التفسير متعين / ١٢ فتح .

بأنهم يكون فيها منكوسين ، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ^(١) تَعْمَلُونَ﴾ أي : قيل لهم ذلك ، ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أمر رسوله أن يقول لهم ذلك ، والبلدة مكة حرم الله صيدها ونباتها وأشجارها^(٢) ولقطنها ، ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ : ملكًا ، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله ، ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ على الناس ، ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ : بالقبول والاتباع ، ﴿فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لا ينفع إلا نفسه ، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ : بعدم القبول والاتباع ، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ فلا علي من ضلالكم شيء ، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم علي من النبوة والعلم ، ﴿سِيرِكُمْ آيَاتِهِ﴾ في الدنيا كوقعة بدر ، ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ حين لا ينفعكم ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فتأخير العذاب ليس لغفلة ، بل لرحمة .

والحمد لله رب العالمين

(١) فما ذلك إلا عدل ، ولما رغب ورهب بقوله "هل تجزون" أمر الله نبيه بأن يبين شغله وحال أمته معه ليطمئن القسيمان القسيما ، فقال : "إنما أُمِرْتُ" الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولما في الحديث (إن إبراهيم حرم مكة) فالمراد أنه أخبر بذلك ، ومنه ظهر حرمتها ، وله كل شيء خلقًا وملكًا ، فله التحريم والتحليل / ١٢ وحيز .

سورة القصص مكية

قيل لإقوله: "الذين آتيناهم الكتاب" إلى قوله: "الجاهلين"

وهي ثمان وثمانون آية وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم *

﴿ طسّم ﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى
وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَصْطَلِحُ أَتْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِيهِ
نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٤﴾ وَنُكَلِّمُ
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
يَحْذَرُونَ ﴿٥﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ
قَالَتْ فِيهِ أَلَيْمٌ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا
إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٧﴾ وَقَالَتْ أُمُّ
فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ
وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَحًا إِنَّ
كَادَتْ لَتَبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ

أَذْلَكُمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٦﴾ فَرَدَدَتْنَاهُ إِلَىٰ آثِمِهِ كِىَ تَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾

﴿طسم تلك﴾ إشارة إلى السورة ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿تَتْلُوا﴾: نقرأ بلسان جبريل أو نزل ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ﴾ مفعول تتلوا ومن للتبعض ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ محقين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأهم المتفعلون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ استئناف يبين بعض النبأ ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استكبر في أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أصنافاً يصرف كل صنف فيما يريد ﴿يَسْتَظْفِرُ﴾ حال من فاعل جعل ﴿طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعنى: بني إسرائيل ﴿يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ بدل من يستضعف ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ يخلين أحياء للخدمة ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وثريدٌ حكاية حال ماضية ﴿أَن تَمُنَّ﴾ تنفضل ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَظْفَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بإنقاذهم من بأسه ، والجملة عطف على " إن فرعون " أو حال من مفعول يستضعف " وأن ممن " مستقبل وإرادة الله إذا تعلقت بشيء في زمان مترقب وجب أن لا يتوقف عن ذلك الزمان ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة في الخير أو ملوكاً ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾: لما كان في تحت يد فرعون وقومه ، ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: نسلطهم في أرض مصر والشام ﴿وَنُثِرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل متعلق بنرى ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب ملكهم في يد مولود من بني إسرائيل فإن القبط قد سمعوا ذلك من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من قول إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾

(١) ألهما : أى هذا وحي إلهام لا وحي نبوة قال قتادة : قذفنا في قلبها ، وأم موسى يوحاند بنت لاوى بن يعقوب هذا ما قاله محبى السنة ، وفي الفتح وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية وإنما كان إرسال الملك إليها عند من قال به على نحو تكليم الملك للأقرع =

أَلْهَمْنَا ^(١) «إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ» ما دمت غير خائفة عليه «فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ» من أن يحس فرعون به «فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ» ^(٢) «وَلَا تَخَافِي» عليه فعلينا حفظه «وَلَا تَحْزَنِي» في هجره «إِنَّا رَادُّوهُ» ^(٣) إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ فَإِنَّ أُمَّهُ جَعَلَتْهُ فِي تَابُوتٍ ، وَسِيرَتْهُ فِي النَّيْلِ فَوَقَعَ التَّابُوتُ فِي نَهْرٍ كَانَ يَجْرِي مِنْهُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ فَأَخَذَهُ أَهْلُ دَارِهِ «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا» اللام لام العاقبة «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» مذنبين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم على أيديهم ، أو خاطئين في الأفكار فأخطئوا في تربية عدوهم «وَقَالَتِ امْرَأَةُ» ^(٤) فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ حِينَ فَتَحَتْ التَّابُوتَ وَرَأَتْ ^(٥) فِيهِ غُلَامًا مِثْلًا «قَرَّتُ» أى : هو قرة «عَيْنِي لِي وَلَكَ» فأجابها أما لك فنعم ، وأما لي فلا فكان كذلك «لَا تَقْتُلُوهُ» ^(٦) فإنه جاء من أرض أخرى ، وهو أكبر ^(٧) من ابن سنة «عَسَى

= والأبرص والأعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما ، وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت الصحيح فلم يكن بذلك نبياً / ١٢ .

(١) أى : ألهمناها الذي صنعت قاله ابن عباس / ١٢ فتح .

(٢) يعني اجعليه في تابوت كما مر في سورة طه / ١٢ وجيز .

(٣) وهذا كما قيل يمكن تحمل الفراق حين رجاء التلاق / ١٢ وجيز .

(٤) وقد هم مع أعوانه بقتله ، وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء وبنات الأنبياء ، وقيل : كانت من بني إسرائيل ، وقيل : كانت عمة موسى حكاه السهيلي / ١٢ فتح .

(٥) ألقى الله حبه على قلب آسية / ١٢ وجيز .

(٦) قيل : إنها قالت لا تقتلوه فإن الله أتى به من أرض بعيدة ، وليس من بني إسرائيل ثم عللت ما قالته بالترجي منها الحصول النفع منه لهم أو التنبئ له فقالت " عسى أن ينفعنا " الآية / ١٢ فتح .

(٧) وفرعون لا يخاف إلا من أبناء تلك السنة / ١٢ وجيز .

أَنْ يَنْفَعَنَا» فَإِنْ آثَرَ الْيَمَنَ تَظْهَرُ مِنْهُ «أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا» تَتَبَّاهُ فَلَيْسَ لَهَا وَلَدٌ مِنْهُ «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَيْ : التَّقَطُّوا ، وَقِيلَ : كَذَا وَكَذَا أَوْ الْحَالُ أَهْمُ لَا يَشْعُرُونَ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ بِالتَّقَطُّاطِهِمْ إِيَّاهُ وَقِيلَ : مِنْ كَلَامِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَالضَّمِيرُ لِلنَّاسِ ، أَيْ : نَتَّخِذْهُ وَلَدًا وَالنَّاسُ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ وَلَدٌ غَيْرُنَا «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ^(١) أُمِّ مُوسَى فَارِغًا^(٢)» خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كَالْمَجْنُونِ فِي غَمٍّ وَلَدَهَا^(٣) «إِنْ كَادَتْ» إِذَا كَادَتْ «لَتُبْدِيَ بِهِ» أَيْ : مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ كَادَتْ تَظْهَرُ أَنَّ لَهَا وَلَدًا ذَهَبَ بِهِ الْمَاءُ «لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا» بِالصَّبْرِ جَوَابُهُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٤)» مِنَ الْمَصْدِقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ حِينَ أَهْمَهَا بِأَنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَهُوَ عِلَّةُ الرِّبْطِ قِيلَ : مَعْنَاهُ أَصْبَحَ فُؤَادُهَا خَالِيًا مِنَ الْغَمِّ لِسَمَاعِهَا أَنَّ فِرْعَوْنَ تَبَّاهُ وَكَادَتْ مِنَ الْفَرَحِ تَظْهَرُ حَالَهُ «وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ» أُخْتُ مُوسَى مَرْيَمَ^(٥) «قُصِّيه» اتَّبَعِيَ أَثَرَهُ وَتَتَّبَعِيَ خَبْرَهُ «فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ» عَنْ بَعْدِ «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أَمَّا أُخْتُهِ «وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ» تَحْرِيمًا قَدْرِيًا ، يَعْنِي مَعْنَاهُ مَنْ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنَ الْمَرْضَعَاتِ «مِنْ قَبْلُ^(٦)» مِنْ قَبْلِ تَتَّبَعِهَا

(١) لما علمت بالتقاطعه / ١٢ .

(٢) من كل شيء إلا من أمر موسى كأنها لم تهتم بشيء سواه ، قاله المفسرون / ١٢ فتح .

(٣) حين سمعت أن ولدها التقطه آل فرعون / ١٢ وجيز .

(٤) قال يوسف بن الحسين : أمرت أم موسى شيئين وبشرت عن شيئين وبشرت بشيئين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها / ١٢ فتح .

(٥) وقال الضحاك : إن اسمها كائمه ، وقال السهيلي : كلثوم ذكره الماوردي / ١٢ فتح .

(٦) أي : قبل رده إلى أمه ، أي : منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة / ١٢ جلالين ، وكانت امرأة فرعون طلبت لموسى المراضعات ليرضعه فلم يرضع من واحدة منهن / ١٢ .

فَقَالَتْ^(١) : «هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ» يضمنونه ويرضعونه ، لكم : لأجلكم «لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» لا يقصرون في خدمته قيل لما قالت ذلك القول أخذوها ، وقالوا: عرفت هذا الولد فدلينا ، فقالت : لا أعرفه وإنما أردت أنهم للملك ناصحون لا للولد حتى استدلتهم على أبي أعرفه فخلوها فأنت بأمرها فالتقم ثديها فقالوا: من أنت منه ، فقالت: إني امرأة طيبة النشر لا أوتى بصبي إلا قبلني فأعطوه إياها مع أجر وعطاء جزيل فذهبت به إلى بيتها شاكراً «فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» برؤيته «وَلَا تَحْزَنَ وَتَعْلَمِ» علم مشاهدة «أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ» في رده إليها وجعله من المرسلين «حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٢)» غرضنا في رده إليها، أو لا يعلمون أن وعدنا رده إليها أو أن وعده حق.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغْثَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

(١) لما رأت حنوم عليه وامتناعه من الرضاع / ١٢ .

(٢) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرها لكل يوم دينار وأخذها لأنها مال حربي فأنت به فرعون فترى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء: " ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين "(الشعراء: ١٨)/ ١٢ جلالين .

فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾
فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي
كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ
أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ
يَمْوَسَى إِنَّ أَلْمَلَ بِاتِّمِرُونَ بِكَ لَيُقَتِّلُوكَ فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ
الْنَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ منتهى قوته وهو ما فوق الثلاثين ﴿وَأَسْتَوَى﴾^(١) اعتدل عقله
﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بالدين أو حكمة وفهما قبل النبوة ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ﴾ مثل ذلك الجزاء نجزيهم ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ مدينة بأرض مصر وهذه
الجملة ذكر سبب وصوله إلى النبوة وقصته على الوجه الأول الذي فسرنا الحكم
بالنبوة ، فإنها كانت قبل بعثته ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ كان وقت القيلولة وقيل
بين العشائين ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ من بنى إسرائيل
﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ من القبط والإشارة على الحكاية ﴿فَاسْتَعَاثَهُ﴾ طلب أن يغيثه

(١) أى : بلغ أربعين سنة كذا روى ابن أبى حاتم ، وابن جرير عن مجاهد أن بلوغ الأشد
في ثلاث وثلاثين والاستواء في أربعين ، وعن ابن عباس أن الأشد ما بين ثماني عشرة
إلى ثلاثين ، والاستواء ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، والتحقيق أن أصل معناه القوة ،
وهي تختلف باختلاف الأوقات والأعصار ، ولذا وقع له تفاسير مختلفة في كتب اللغة ،
والتفسير بحسب القرائن ١٢/ كمالين حاشية جلالين .

بالعون ﴿الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ لما كان فيه معنى طلب العون
 عدى على ﴿فَوَكَزَهُ﴾ هو الضرب بجمع الكف أو الدفع بأطراف الأصابع ﴿مُوسَى
 فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ فقتله ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه لم يؤمر بقتل الكفار ﴿إِنَّهُ
 عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَ لَهُ
 إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾ اعصمني ﴿فَلَنْ
 أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ معينا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ لمن أدت مظاهرتة إلى جرم أو معناه أقسم
 بإنعامك علي وجوابه محذوف ، أي : لأتوبن ، وعن ابن عباس لم يستثن ، فابتلى به
 مرة أخرى ، أي : لم يقل فلن أكون إن شاء الله ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ
 خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾^(١) يتتظر^(٢) سوء ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾ ذاك الإسرائيلي
 ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾^(٣) يستغيثه ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فإنك تسببت لقتل ،
 ثم تدعوني إلى آخر ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾
 بالقبطي ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي : ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا
 بِالْأَمْسِ﴾ لما سمى الإسرائيلي غويًا ظن أن البطش عليه ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا
 فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بين الناس فلما سمع القبطي هذا
 الكلام منه راح إلى باب فرعون ، وأخبره فأمر بقتل موسى وأخذ جنوده الطرق
 لأخذه ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ من آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع صفة لرجل
 ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ فرعون وأشرافه ﴿يَأْتِمُرُونَ﴾ يتشاورون ﴿بِكَ﴾ بسبك

(١) أو يترقب الأخبار هل وقفوا على ما كان منه ، قيل : يترقب نصرة ربه / ١٢ وحيز .

(٢) لحوق طالب أو غوث الله إياه / ١٢ .

(٣) يستغيث به على قبطي آخر من الصراخ والمعنى يطلب منه أن يزيل

صراخه / كمالين ١٢ .

﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من البلد ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ لك بيان لا صله مقدم
﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق شر ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴾ من شرهم.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١١)
وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ
دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ
الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ
إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١٣﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ
أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ
وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ قَالَتْ
إِحْدَاهُمَا يَبَاطُتُ أَسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجِرَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿١٥﴾ قَالَ
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ
فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا
عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٧﴾ *

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ^(١)﴾ قَبَالَةَ ﴿مَدْيَنَ﴾ قَرِيَةَ شَعِيبَ ، وَلَمْ تَكُنْ تَحْتَ سُلْطَانِ فِرْعَوْنَ
﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قَصْدَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ
الطَّرِيقَ إِلَى مَدْيَنَ فَتَوَكَّلَ وَتَوَجَّهَ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وَصَلَ إِلَى بَثْرِ لَهِمْ ﴿وَوَجَدَ عَلَيْهِ
أُمَّةً﴾ جَمَاعَةً ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مُوَاشِيَهُمْ ﴿لَوْ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ فِي مَكَانٍ أَسْفَلَ مِنْ
مَكَانِهِمْ ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تَمْنَعَانِ غَنَمَهُمَا عَنِ الْمَاءِ انْتِظَارًا لِّخُلُوِّ شَفِيرِ الْبَثْرِ ﴿قَالَ﴾
مُوسَى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ مَا شَأْنُكُمَا تَذُودَانِ؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ﴾ يَصْرِفُ
﴿الرَّعَاءُ﴾ مُوَاشِيَهُمْ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ لِلْسَّقْيِ ، وَنَحْنُ ضَعْفَاءُ لَا
نَقْدِرُ عَلَى مَزَاحِمَةِ الرِّجَالِ ﴿فَسَقَى﴾ مُوَاشِيَهُمَا ﴿لَهُمَا﴾ رَحْمَةً عَلَيْهِمَا عَنْ عَمْرِ: " لَمَّا
فَرَعَ^(٢) النَّاسَ جَعَلُوا صَخْرَةً لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعُهَا إِلَّا عَشْرَةٌ عَلَى رَأْسِ الْبَثْرِ فَرَفَعَ مُوسَى
الْحَجَرَ وَحْدَهُ ثُمَّ لَمْ يَسْتَقِ إِلَّا ذُنُوبًا وَاحِدًا وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ وَرَوَى غَنَمَهُمَا ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى
الظِّلِّ﴾ ظِلِّ شَجَرَةٍ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طَعَامٍ ﴿فَقِيرٌ﴾ حَتَّاجٌ
سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ شَيْئًا لِأَكْلٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْجُوعِ فِي غَايَةِ "وَمَا" مُوصُوفَةٌ وَتَنْكِيرٌ خَيْرٌ
لِّلشُّيُوعِ أَيْ: قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ ، وَتَعْدِيَةٌ فَقِيرٌ بِاللَّامِ لِأَنَّهُ ضَمِنَ مَعْنَى طَالِبٍ وَسَائِلِ
﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مُسْتَحْيِيَةٌ مُسْتَرَةٌ بِكُمْ^(٣) دَرَعُهَا ﴿قَالَتْ
إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ فَإِنَّهُمَا لَمَّا رَجَعَتَا سَأَلَ أَبُوهُمَا عَنْ سُرْعَتِهِمَا الْيَوْمَ فِي السَّقْيِ فَقَصَّتَا ،

(١) جَهَّتْهَا وَهِيَ قَرِيَةُ شَعِيبَ مَسِيرَةَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مِنْ مِصْرَ سَمِيَتْ بِمَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَمْ يَكُنْ
يَعْرِفُ طَرِيقَهَا قَالَ : " عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ " فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مُلَكًا بِيَدِهِ
عِزَّةً فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَيْهَا / ١٢ جَلَالِينَ .

(٢) قَوْلُهُ " عَنْ عَمْرِ " أَخْرَجَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ كَثِيرٍ: إِنَّ إِسْنَادَهُ
صَحِيحٌ / ١٢ وَجِيزٌ .

(٣) أَيْ : وَاضِعَةٌ كَمْ دَرَعُهَا عَلَى وَجْهِهَا حَيَاءً مِنْهُ كَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِ
وَفِيهِ مَشْرُوعِيَّةٌ سَتَرُ الْوَجْهِ لِلْحَرَةِ ، وَأَنَّهُ لَا بَاسَ بِكَلَامِهَا مَعَ الرِّجَالِ / ١٢ كَمَالِينَ .

فبعث إحداهما لتدعوه ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ جزاء سقيك ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ موسى ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أخبره بأمره الذي أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ﴾^(١) ﴿تَجَوَّتْ﴾^(٢) مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿فَرَعُونَ وَقَوْمَهُ﴾ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعى الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ وهو كذلك علمت قوته من قلع الحجر ، وأمانته من أنه أمرها بأن تكون خلفه في الطريق كيلا يراها ، واختلف في أنهما ابتتا شعيب أو ابن أخيه أو رجل مؤمن من قومه (*) ﴿قَالَ

(١) قيل: قرب إليه طعاماً فقال موسى: إنا من أهل بيت لا نبيع ديننا على ملء الأرض ذهباً فأجابه شعيب: ليس هذا عوض السقي ، ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف فأكلا عليهما الصلاة والسلام / ١٢ وحيز .

(٢) لأن فرعون لا سلطان له على مدين ، وفيه دليل على جواز العمل بخير الواحد ، ولو عبداً أو أنثى ، وعلى المشي مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وللرازي في هذا الموضوع إشكالات باردة [هذه الكلمة ترد كثيراً في تعليقات الشارح] جدا لا تستحق أن تذكر في تفسير كلام الله عز وجل ، والجواب عليها يظهر للمقصر فضلاً عن الكامل ، وأشف ما جاء به أن موسى كيف أجاب الدعوة المعللة بالجزاء لما فعله من السقي ويجاب عنه بأنه اتبع سنة الله في إجابة دعوة نبي من الأنبياء ، ولم تكن تلك الإجابة لأجل أخذ الأجر على هذا العمل ، وفي الكشف إن طلب الأجرة لشدة الفاقة لا يكره ، ويشهد لصحته " لو شئت لاتخذت عليه أجراً" (الكهف: ٧٧) / ١٢ فتح .

(*) الراجح بعد التحقيق أنه ليس بشعيب النبي، وإليه جنح ابن كثير، والذي يحمل على هذا الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه المكذبين له، ولم يبق معه إلا المؤمنون به، فلو كان هو شعيب النبي بين بقية قومه المؤمنين، ما سقوا قبل بني نبيهم الشيخ الكبير، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، يضاف إلى هذا أن شعيباً قال لقومه كما حكى الله عنه: ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾، ولوط عليه السلام كان في عهد الخليل إبراهيم، وبين إبراهيم ومزسى مفاوز، فكيف يكون الشيخ الكبير هو شعيب النبي؟!

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ^(١) إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي» من أجرته إذا كنت له أجيراً ، فقوله: «ثَمَانِي حَجَجٍ» ظرفه ، أو من أجرته كذا إذا أثبتته إياه ، فثماني حجج ثاني مفعوله ، أى : رعية ثماني حجج «فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا» عمل عشر حجج «فَمِنْ عِنْدِكَ» فإتمامه من عندك تفضلاً وتبرعاً ، ويمكن أن يكون مثل هذا النكاح جائزاً في شرعهم ، ويمكن أن يكون هذا استدعاء العقد لا نفسه «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ» بالإلزام إتمام العشر «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» في حسن الصحبة ، والوفاء بالقول «قَالَ» موسى: «ذَلِكَ» الذي عاهدتني فيه «بَيْنِي وَبَيْنَكَ» قائم لا يخرج عما شرطنا «أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ» الأقصر والأطول «فَقَضَيْتُ» ما زائدة «فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ» لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه ، ولي الخيار مطلقاً «وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ» من المصارطة ، «وَكِيلٌ» شاهد.

«فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ» ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَدْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٢٢﴾ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ

(١) فيه مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل وهذه سنة ثابتة في الإسلام كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على أبي بكر وعثمان والقصة معروفة ، وغير ذلك ومما وقع في أيام الصحابة ، وأيام النبوة / ١٢ فتح .

فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٦٧﴾ وَأَخِي هَارُونُ
 هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُكَذِّبُونِ ﴿٦٨﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا
 يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي
 ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٧٠﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ
 وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
 يَتَّيَّهَا أَلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنَ إِلَٰهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْلِمَنُ عَلَى الْطَّيْنِ
 فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ
 الْكٰذِبِينَ ﴿٧٢﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
 إِلٰهِنَا لَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عَقِيبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٧٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ
 الْقِيٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٧٥﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ
 مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٧٦﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ (١) في الحديث قضى أطولهما ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ بامرأته
 بنته الصغرى وقيل الكبرى ﴿آسَى﴾ أبصر ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ وكان في البرية
 في ليلة مظلمة شديدة البرد ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ لعل معها غيرها أو عظمها لأنها ابنة

(١) روي البخاري عن ابن عباس أنه قضى أطولها / ١٢ وجيز .

نبي ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ من الطريق فإنه أخطأ الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةً﴾ عود غليظ ﴿مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها من البرد ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئٍ﴾ جانب ﴿الْوَادِيِ^(١) الْأَيْمَنِ﴾ عن يمين موسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ متصل بالشاطئ ، أو صلة لنودي ﴿مِّنَ الشَّجَرَةِ^(٢)﴾ بدل اشتمال من شاطئ فإنها نابتة على الشاطئ ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾ أن مفسرة ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٣)﴾ أي : الذي يكلمك رب العالمين ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على أن يا موسى ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا﴾ أي : فألقاها وصارت ثعباناً تهتز فلما رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾ تتحرك بسرعة ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ، حية صغيرة من سرعة حركتها^(٤) ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ منهزماً من الخوف ﴿وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ لم يرجع ﴿يَا مُوسَى﴾ أي: نودي يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿فرجع ووقف في مكانه الأول﴾ اسألك ﴿أَدْخُلْ﴾ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءُ ﴿كَأَنَّمَا قِطْعَةُ قَمَرٍ﴾ مِنْ غَيْرِ شَوْءٍ ﴿كَبُرَ صَاحِبُكَ﴾ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴿أمر أن يضم إليه يده إذا خاف من شيء ، وعن ابن عباس وغيره إذا خاف أحد ووضع يده على فؤاده يَخِيفُ ويزول خوفه فمن الرهب أي : من أجله أو معناه تجلد ولا ترتعد من الخوف ، والطائر ينشر جناحيه حين خوفه ويضم حين اطمئنانه ﴿فَذَانِكَ﴾ العصا واليد ﴿بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ معجزتان ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾

(١) صفة لشاطئ أو الوادي على معنى اليمن والبركة وبركتها لما خصت به من آيات الله وأنواره تكليمه لموسى ، ولما خلق فيها من الأرزاق والثمار الطيبة / ١٢ وجيز .

(٢) قيل: هي عنب / ١٢ وجيز .

(٣) وقد حكى الله تعالى في كل سورة من مثل طه والنمل بعض ما اشتمل عليه النداء / ١٢ وجيز .

(٤) وإن كانت هي في نفسها عظيمة الجثة / ١٢ وجيز .

أي : مرسلًا بهما إليه ﴿وَمَلَأْنِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ^(١) ﴿هَا وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ وقد مر أن له نوع لكنة ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْعًا﴾ معينا ﴿يُصَدِّقْنِي﴾ بإتمام الحجة ورفع الشبهة ويصدقني بالجزم جواب ، وبالرفع صفة ردعًا ، وعن مقاتل أرسله يصدقني فرعون لأن خبر الاثنين أوقع ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ﴿نَقِيْبِكَ﴾ ﴿بِأَخِيكَ﴾ فإن اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن تقوى بشدة^(٢) اليد ﴿وَنَجْعَلَ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكم ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بسبب إبلاغكما آيات الله ، وقيل متعلق بنجعل ﴿أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ وقيل : بآياتنا متعلق بالغالبون على أن يكون اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعونا إليه أو السحر ﴿فِي آيَاتِنَا الْأُولَى﴾ في أيامهم ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ بعد أن كذبه ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيعلم حقيتي وبطلانكم ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ النصرة والعاقبة المحمودة في الدنيا ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴿أظهر عند الرعية أن وجود إله غيره غير معلوم ، وأنه يستطيع أن يحقق ذلك ، فلذلك أمر ببناء صرح وقال : ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ﴾ أطبخ لي الآجر ﴿فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا﴾ بناءً مشرفًا عاليًا ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ﴾^(٣) إِلَى إِلَهٍ مُوسَى ﴿كأنه ظن

(١) ولم يتم أمر الرسالة / ١٢ وجيز .

(٢) على مزاولة الأمور ، فهو مجاز مرسل من باب إطلاق السبب على المسبب بمرتبتين/ ١٢ وجيز .

(٣) كأنه سمع من موسى أن الله في السماء هذا ما في الوجيز ونقل شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام عن الإمام أبي الحسن الأشعري أنه قال في كتابه (اختلاف

= المصلين ومقالات الإسلاميين): كذب فرعون موسى في قوله إن الله فوق السماوات. انتهى . وفي كتاب العلو للذهبي يعني : أظن موسى كاذباً في أن إلهه في السماء ، ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى أنه في السماء لما قال هذا ، إذ لو كان موسى قال له إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء لكان هذا القول من فرعون عبثاً وكان بناء القصر جنوباً انتهى ، وقال العلامة الحافظ ابن قيم في القصيدة النونية :

هذا وسابع عشرها إخباره	سبحانه في محكم القرآن
عن عبده موسى الكليم وحره	فرعون ذي التكذيب والطغيان
تكذبه موسى الكليم بقوله	الله ربي في السماء بنان
ومن المصائب قولهم إن اعتقا	د الفوق من فرعون ذي الكفران
فإذا اعتقدتم ذا فأشياح له	أنتم وذا من أعظم البهتان
فاسمع إذا من ذا الذي أولى بفر	عون المعطل جاحد الرحمن
وانظر إلى ما جاء في القصص التي	تحكى مقال إمامهم ببيان
والله قد جعل الضلالة قدوة	بأئمة تدعو إلى النيران
فإمام كل معطل في نفيه	فرعون مع غمroud مع هامان
طلب الصعود إلى السماء مكذباً	موسى ورام الصرح بالبنيان
بل قال موسى كاذب في زعمه	فوق السماء الرب ذو السلطان
فابنوا لي الصرح الرفيع لعلي	أرقى إليه بحيلة الإنسان
وأظن موسى كاذباً في قوله	الله فوق العرش ذو سلطان
وكذاك كذبه بأن إلهه	ناداه بالتكليم دون عيان
هو أنكر التكليم والفوقية السـ	عليها كقول الجهم ذي صفوان
فمن ذا الذي أولى بفرعون إذا	منا ومنكم بعد ذا التبيان

بجهله أنه لو كان لكان جسمًا في السماء يمكن الصعود إليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي : موسى ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في أن لكم إلها غيرى وهو رسوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بغير استحقاق ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ اعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ ألقيناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ ككف رماد ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ فحذر قومك عن مثلها ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ قدوة وسادة للضلال ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ يلعنهم الرسل والمؤمنون ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ سود الوجوه زرق العيون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا

يا قومنا والله إن لقولنا	إلّا تدل عليه بل إلّان	=
عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة	الأولي وذوق حلاوة القرآن	
كل يدل بأنه سبحانه	فوق السماء مبائن الأكلوان	
أترون أنا تاركوا ذا كله	لججاجع التعطيل والهديان	

انتهى . وقال شيخ الإسلام: ولا ريب أن قول هؤلاء يعني منكري الفوقية والتكليم يُتَوَلَّى إلى قول فرعون وإن كانوا يفهمون ذلك فإن فرعون كذب موسى في ما أخبره به من أن ربه هو الأعلى وأنه كلمه كما قال تعالى : " وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً " إلى " وإني لأظنه كاذباً " وهو قد كذب موسى في أن الله كلمه / ١٢ .

قَرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
 ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا
 وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
 يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦١﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا
 رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾
 فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ
 يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ
 كَذِّبُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
 أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٥﴾ *

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾^(١) التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم
 فرعون ونوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ من عمى القلب والغى ، نصب
 على الحال من الكتاب ﴿وَهَدًى﴾ إلى الطريق المستقيم ﴿وَرَحْمَةً﴾ لو عملوا به نالوا
 رحمة الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر ﴿وَمَا كُنْتَ﴾
 يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ حاضراً في جانب الغربي من الجبل الذى كلم الله موسى
 من الشجرة التى هي شرقية ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ فوضنا إليه أمر الرسالة
 ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك حتى تعرف هذه القصة وترى هذه الأحوال فما

(١) التوراة وهو أول كتاب فيه الفرائض والأحكام / ١٢ وجز .

هو إلا من إعلام الله ووحيه ، فكيف يرتاب أحد في نبوتك ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ خلقنا أمما بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فخرّبوا الشرائع ، وكذبوا الرسل وأفسدوا ، ونسوا عهودهم فلذلك كذبوك وإن كانت دلائل نبوتك ظاهرة ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هم شعيب(*) والمؤمنون به ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمُ﴾ تقرأها عليهم تعلماً منهم ﴿آيَاتِنَا﴾ التي فيها قصتهم فتحكى ما رأيت ، وتعلمت قال بعض المفسرين معناه : ما كنت فيهم رسولاً تتلوا عليهم آياتنا فتقص ما قد رأيت منهم ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إليك أخبارهم بوحينا ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾^(١) موسى وأعطيناه التوراة، وقلنا له خذ الكتاب بقوة، وعن بعض السلف

(*) في القطع بأنه شعيب النبي نظر، وانظر التعليق السابق.

(١) اعلم أنه تعالى وصف نفسه بالمناداة ، والمناجاة في قوله : وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً" (مریم: ٥٢) وقوله : " ويوم يناديهم " (القصص: ٦٢) وقوله "وناداهما ربهما" (الأعراف: ٢٢) ووصف عبادته بالمناداة والمناجاة فقال : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " (الحجرات: ٤) ، وقال : "إذا ناجيت الرسول" (المجادلة: ١٢) ، وقال : "إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان " (المجادلة: ٩) ، وليس المناداة كالمناداة ، ولا المناجاة كالمناجاة ولا بد من إثبات ما أثبتته الله لنفسه ، ونفي مماثلته لخلقه ، فمن قال: ليس له نداء ولا نادى ، ولا ناجى كان معطلاً جاحداً ممثلاً له بالمعدومات والجمادات ، ومن قال: له نداء كنداء المخلوقات كان مشبهاً ممثلاً له بالحيوانات ، بل لابد من إثبات بلا تمثيل وتزيه بلا تعطيل والله المثل الأعلى ، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في القصيدة النونية :

والله قد نادى الكليم وقبله	سمع النداء في الجنة الأبوان
وأتى النداء في تسع آيات له	وصفاً فراجعها من القرآن
واذكر حديثاً في صحيح محمد	ذاك البخاري العظيم الشأن
فيه نداء الله يوم معادنا	بالصوت يبلغ قاصياً والدان

معناه إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم حين سألني موسى رؤيتك ، وقلت له إنك لن تصل إلى ذلك لكن إن شئت أسمعتك صوت أمتك ﴿وَلَكِنْ﴾ علمناك وأوحينا إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ عليك وعلى أمتك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بما قدرناه عاملاً في رحمته ﴿مَا أَنَا أَنَّهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فإنهم في فترة بينك وبين عيسى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يتعظوا ﴿وَلَوْلَا﴾ هي امتناعية ﴿أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا﴾ الفاء للعطف على تصيبهم ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ﴾ الفاء جواب لولا الثانية ﴿آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وجواب لولا الأولى محذوف ، أي : لما أرسلناك وحاصل الآية لولا قولهم ربنا هلا أرسلت رسولاً نؤمن به ويعلمنا الدين، إذا عاقبناهم بسبب ما كسبت أيديهم من المعاصي لما أرسلناك

= وفي صحيح البخاري عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان " وعن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان " عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يقول الله : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار " انتهى . وقال شيخ الإسلام في بعض رسائله : وهو سبحانه نادى موسى

بصوت سمعه موسى ، فإنه قد أخبر أنه نادى موسى في غير موضع من القرآن والنداء لا يكون إلا صوتاً باتفاق أهل اللغة انتهى ، وقال الحافظ ابن قيم في القصيدة المذكورة :

أيصح في عقل وفي نقل نداء	ليس مسموعاً لنا كأذان
أم أجمع العقلاء والعلماء من	أهل اللسان وأهل كل لسان
إن النداء الصوت الرفيع وضده	فهو النجاء كلاهما صوتان
والله موصوف بذلك حقيقة	هذا الحديث ومحكم القرآن

انتهى .

فإرسالك لثلاث يكون لهم حجة علينا إن عذبناهم يعنى هم مستحقون للعقاب لكن تأخيره وإرسالك لقطع الحجة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي: محمد عليه السلام ﴿قَالُوا﴾ عناداً ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من اليد والعصا وغيرهما ﴿أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا﴾ أي: ألم يؤت موسى ما أوتي وألم يكفروا أى أبناء جنسهم، وهم كفرة زمان موسى ﴿بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا﴾ في موسى وهارون ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ تعاونا واتفقا، وقراءة " سحران " في معني ذوا سحر أو سموهما سحران للمبالغة ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ﴾ منهما ﴿كَافِرُونَ﴾ أو معناه يطلب قريش منك مثل معجزات موسى، أو لم يكفروا بمعجزاته وقالوا فيكما يا محمد وموسى ساحران كل يصدق الآخر، ويعاونه أو القرآن والتوراة سحران كل يصدق الآخر، وقالوا: نحن بكل منهما كافرون ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ من التوراة والقرآن ﴿اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا ساحران وهذا إلزامهم وتبكيتهم ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك إلى الإتيان بكتاب أهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لأهم ما رجعوا بعد ما ألزمتهم بالحجة عن العناد ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ استفهام إنكار ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ حال للتوكيد وقيل للتقيد فإن هوى النفس قد يكون من الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المتبعين للهوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَاْمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ
نُخْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ
رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلِكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا
نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا
رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا
ظَالِمُونَ ﴿٥٤﴾ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿وَلَقَدْ﴾^(١) وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أي : القرآن أتاهم متتابعاً متواصلاً قصصاً للأمم
الخالية ونصائح ووعداً ووعيداً أو نزل عليهم نزولاً متصلاً بعضه ببعض ﴿لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يتعظوا ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن ﴿هُمْ﴾
لا قريش ﴿بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب أو في وفد جاءوا من عند
النحاشي من الحبشة ، " وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول " الآية (المائدة: ٨٣) ، ﴿وَإِذَا
يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لأننا نعلم
قبل ذلك حمداً والقرآن لأن وصفهما مذكور في كتابنا ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم
مَّرَّتَيْنِ﴾^(٢) مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن ، وإن كانوا مؤمنين به

(١) ولما ذكر دلائل صحة نبوته ، وكررها بطرق مختلفة لئلا يبقى لهم شبهة وأنزل عليهم

آيات بينات بين سبب تواصلها وتواليها فقال : " ولقد وصلنا لهم القول " الآية/ ١٢ .

(٢) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الأول

من قبل ﴿يَمَّا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم وثباتهم على اتباع الحق أولاً وآخرًا ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ بالطاعة ﴿السَّيِّئَةِ﴾^(١) المعصية ، أو لا يقابلون الأذى بمثله بل يعفون ، بل يجازون بالإحسان ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في الخير ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّعْنَ﴾ القبيح من القول كشتهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تَكْرَمًا ﴿وَقَالُوا﴾ للاغين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ المراد سلام المتاركة والتوديع ﴿لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ لا نريد صحبتهم وطريقتهم وذلك حين كان المشركون يسبون مؤمني أهل الكتاب قائلين تَبَّا لكم تركتم دين آبائكم ﴿إِنَّكَ﴾^(٢) لا تهدي مَنْ أَحَبَّ^(٣) نزلت حين عرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإيمان على أبي طالب في حين موته فأبى ورد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بالمستعدين لذلك ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ نؤمن بك ﴿تَتَخَطَّفُ مِنْهُ﴾^(٤) أَرْضِنَا نخرج من بلادنا ، نزلت في قوم قالوا: نحن نعلم صدقك لكننا إن اتبعناك خفنا أن يخرجنا العرب من أرضنا مكة لإجماعهم على خلافنا فرد الله قولهم

= والآخر ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده " / ١٢ فتح .

(١) كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ: " أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " / ١٢ وجيز . [حسن، وانظر صحيح الجامع (٩٧)]

(٢) ولما بين أنه فصل القول لقريش لكن سبقت السعادة لغيرهم أعقبه بقوله " إنك لا تهدي من أحببت " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) قد أجمع أهل الدين على أنها نزلت في أبي طالب وحديثه مسطور في الصحيحين / ١٢ وجيز .

(٤) كما يتخطف العصافير من أوكارها ، لمخافة كافة العرب لأننا نصير قليلاً من غير نصير والاختطاف الانتزاع بسرعة / ١٢ وجيز .

بقوله ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ﴾ أو لم نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ مع كفرهم ، فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف إذا كانوا موحدين ! يعني : هم كاذبون في عذرهم ﴿يَجِبَى﴾ يجمع ويحمل ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي : ثمرات كثيرة^(١) ﴿رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ مصدر من معنى يجيى ؛ لأنه في معنى يرزق أو مفعول له أو حال بمعنى مرزوقاً من ثمرات وجاز لتخصصها بالإضافة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جهلة ، ولذلك قالوا ما قالوا ثم بين أنهم أحمقاء بأن يخافوا بأس الله لا العرب ، فقال : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أى : من أهلها ﴿بَطَرْتِ﴾ طغت وأشرت تلك القرية ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ أى : في معيشتها منصوب بترع الخافض أو مفعول بطرت بتضمنين كفرت يقال : بطر فلان نعمة الله أى : استخفها وكفرها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ حاوية ﴿لَمْ تُسْكَنْ﴾ من السكنى ﴿مَنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أى : إلا سكنى قليلاً إذ لا يسكنها إلا المسافر حين العبور ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ إذ لم يبق أحد منهم يرثهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أى : ما جرت عادة الله على إهلاكها ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا﴾ أصلها وأعظمها فإنما الأشرف فيها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ فإن أنكروا نزل عليهم العذاب ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسول وارتكاب المعاصي وعن بعض المفسرين معناه ما كان في حكمنا وقضائنا أن هلك القرى ونحرب الدنيا حتى نبعث في أم القرى "

(١) أى : ثمرات كثيرة من أنواع متباينة من ثمرات البلاد الحارة والباردة ففيه الفواكه مع أنه واد غير ذى زرع وفي فعل المضارع إشارة إلى أن هذا يبقى مستمراً / ١٢ .

(٢) ولما ذكر تأمينهم وإنجائهم وتمكينهم مع أنهم قاتلون معترفون بضعفهم أتبعه بما وقع من إهلاك قرى أقوىاء يخاف الناس من سطوتهم فالأول ترغيب والثاني ترهيب فقال : " وكم أهلكنا من قرية " الآية / ١٢ وحيز .

مكة " رسولاً إلح ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ ^(١) مِّنْ شَيْءٍ ﴿قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا﴾ ﴿فَمَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ ما هو إلا تمتع وزينة أياماً قلائل ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الجنة ونعيمها
﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ^(٢) ﴿فَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا
إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِبَانًا يَعْبُدُونَ ﴿٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٤﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ
الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾

(١) ولما اعتلوا في الوقف عن الإيمان بالخوف والتخطف والخوف، إما على الأنفس أو على
ما في أيديهم من الدنيا وذكرهم نعمته في الأمن وخوفهم سطوته وهم في مسكنهم
وقوتهم إشارة إلى أنهم فوتوا بعدم الإيمان ما هو أغلى وأعلى وأفضل وأولى فقال : "
وما أُوتِيتُمْ " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل قال الشافعي : من وصى بثلاث ماله لأعقل
الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله / ١٢ فتح .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٩﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أَفْمَنْ﴾ (١) وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا﴾ حسن الوعد بحسن الموعد كالجنة ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ مدركه ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الذى هو مشوب بأنواع الغصص ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب والعذاب وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ، ولذلك رتب عليها بالفاء نزلت في النبي عليه السلام وأبي جهل أو في علي وحمة وأبي جهل ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي : اذكر يوم ينادى المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي : تزعموهم شركائى بحذف المفعولين ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب ، أي : شياطينهم وسادتهم في الضلال خوفاً من أن يقول السفلة لا ذنب لنا إنما الذنب لسادتنا ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ أي : أغويناهم ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي : أغويناهم فغوا غيًّا مثل ما غوينا هي خير هؤلاء والذين مع صلته صفته أو الموصول خبره وهذه مستأنفة ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم

(١) ولما بين التفاوت البين بين المتاعين شرع بين تفاوت المنتفعين بهما فقال : " أفمن وعدناه " الآية / ١٢ وجيز .

﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَاعِبُونَ﴾ فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَهْوَاءَهُمْ فَنَحْنُ سَوَاءٌ فِي الْغَوَايَةِ شَاهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْغَوَايَةِ وَالْإِغْوَاءِ ثُمَّ تَتَّبِعُوا مِنْ عِبَادَتِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : "إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا" الْآيَةَ (البقرة: ١٦٦) ، ﴿وَقِيلَ ادْعُوا^(١) شُرَكَاءَكُمْ﴾ لِتَخْلُصَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لِعِزِّهِمْ ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ لَهُمْ وَلِأَرْبَابِهِمْ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ جَوَابُ لَوْ مُحذوف ، أَيِ مَا رَأَوْا الْعَذَابَ أَوْ لَوْ لِلتَّمَنِي فَهُوَ عَلَى الْحِكَايَةِ كَأَقْسَمٍ لِيُضْرِبَنَّ أَوْ عَلَى تَأْوِيلِ رَأَوْا مُتَمَنِّينَ هِدَايَتِهِمْ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ سَأَلَ أَوَّلًا عَنْ إِشْرَاكَهُمْ ثُمَّ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ صَارَتِ الْأَنْبَاءُ كَالْعَمَى عَلَيْهِمْ لَا تَهْتَدِي إِلَيْهِمْ وَفِيهِ مَبَالِغَةٌ لَيْسَ فِي عَمَوْا عَنْ الْأَنْبَاءِ وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْكَافِرُ فِي قَبْرِهِ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي^(*) قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ فَخْفِيتَ عَلَيْهِمُ الْحُجُجَ ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِفَرْطِ حَيْرَةٍ كُلِّ مِنْهُمْ ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ مِنَ الشَّرْكِ ﴿وَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿أَيِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فليُطْمَعِ فِي الْفَلَاحِ وَلِيَكُنْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَعَسَى مِنَ الْكِرَامِ تَحْقِيقُ﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لَا مَعْقِبَ وَلَا مَنَازِعَ لِحُكْمِهِ ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أَيِ : التَّخْيِيرُ يَعْنِي لَيْسَ

(١) لما سألوا وأجابوا بغير جوابه سألوا ثانياً وأضاف الشركاء إليهم لمزيد نكاحهم وروباهم فقال ادعوههم لأن يخلصوكم عما هم فيه تهمكاً بهم " فدعوههم " لحماقتهم وسخافتة عقولهم " فلم يستجيبوا لهم " الآية / ١٢ وجيز .

(*) هو حديث البراء بن عازب الطويل في عذاب القبر ونعيمه ، أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح .

لأحد أن يختار عليه أو معناه ليس لهم اختيار أصلاً بل هم عاجزون تحت^(١) قدره قيل: ما موصولة مفعول يختار والعائد محذوف أي يختار الذي كان لهم فيه صلاحهم ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم نقل أنها نزلت حين قالوا: "لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" (الزخرف: ٣١) ، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تستر ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى﴾ الدنيا ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ فإنه مولى النعم في الدارين ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ فصل القضاء بين الخلق ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾^(٢) أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لا نهار معه ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ﴾ سماع فهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ هو من السرد ، والميم مزيدة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ، لا ليل معه ، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ ، استراحة عن المتاعب وصف الليل دون النهار ، لأن النهار مستغن عن الوصف ، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ختم الأولى بقوله أفلا تسمعون ، والثانية بأفلا تبصرون لمناسبة قوة السامعة بالليل ، وقوة الباصرة بالنهار

(١) والصحيح أن ما نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس فإن المقام في بيان انفراده بالخلق والاختيار ، ولهذا عقبه بقوله: "سبحان الله" قال الله تعالى: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" (الأحزاب: ٣٦) / ١٢ وحيز .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح تعليم الاستخارة وكيفية صلاحها ودعائها فلا نأول بذكرها / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر أن الله العلم العام التام وليس له شريك وهو الموصوف بجميع الصفات الحسنى ، وهو الحاكم يرجع إليه الأمر ، شرع يثبت المدعى بحجة ثابتة مفحمة فقال: "قل أَرَأَيْتُمْ" الآية / ١٢ وحيز .

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالنهار بأنواع المكاسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولكي تشكروا نعمه ﴿وَيَوْمَ^(١) يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ^(٢) الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ التكرار للتفريع بعد التفريع ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ نبههم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للآثم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم تدعوناه ﴿فَعَلِمُوا﴾ حيثُذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ ولرسله لا لهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ غاب غيبة الضائع ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ من الباطل.

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ^ط وَعَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُمْ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذُو حَظٍّ

(١) ولما أثبت أن له القدرة والحكمة والإحسان وأفحمهم وفهمهم به على عجزهم عن

البرهان مرة بعد أخرى لكي يرجعوا إلى الحق ويدعوا فقال : " ويوم يناديهم ١٢/ وحيز.

(٢) وتكرار ذلك كمن أورد مدعى الخصم وأبطله ثم بعد الإبطال أعاد المدعى ليقرعه ويقر

بالإبطال / ١٢ وحيز .

عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقْلَلُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٧٧﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٧٩﴾

﴿إِنْ قَارُونَ﴾^(١) كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى^(٢) ابن عمه آمن به ثم نافق ﴿فَبَقِيَ﴾ تكبر عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ^(٣) جمع مفتاح وهو ما يفتح به ﴿لَتَشْوَهُ﴾ تنقل ﴿بِالْعَصْبَةِ﴾ الجماعة الكثيرة ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ ما الموصولة مع صلته التي

(١) ولما صاغ تلك السورة من قصص موسى عليه الصلاة والسلام فصل حكايته في أول السورة مع جنابته ، ولما أتمها بين فائدتها ثم شرع في حكاية أخرى منه مع أحد من أقاربه كما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم حذو النعل بالنعل فقال : " إن قارون " (القصص: ٧٦) / ١٢ وجيز .

(٢) من بني إسرائيل بلا خلاف واختلف في قرابته فعن ابن عباس أنه ابن عم موسى ، وكان يسمى المنور لحسن صورته كان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم لكنه نافق كما نافق السامري حسداً / ١٢ وجيز .

(٣) قال الواحدي: إن المفاتيح الخزائن في قول أكثر المفسرين كقوله : " وعنده مفاتيح الغيب " (الأنعام: ٥٩) قال: هو اختيار الزجاج قال: الأ شبه في التفسير أن مفاتيحه خزائن ماله وقال آخرون: هي جمع مفتاح ، وهو ما يفتح به الباب ، فهذا قول قتادة ومجاهد وعن خيثمة قال: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود الإبل كل مفتاح مثل الإصبع كل مفتاح على خزائنه على حدة فإذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلاً أغر محجل ، وعنه قال : وجدت في الإنجيل أن بغال مفاتيح خزائن قارون غير محجلة قال الشوكاني : لم أجد في الإنجيل هذا الذي ذكره خيثمة / ١٢ فتح .

هي أن واسمها وخبرها ثاني مفعولي " آتينا " ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لتنوء ﴿لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحُ﴾ بدياك ، فإن الفرح بها مدة قصيرة وهو يورث غمًا سرمداً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ الأشرين البطرين بالدنيا ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تصرفه في مرضاة الله ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فإن نصيب كل أحد ليس إلا ما يأكل ويلبس ، أو النصيب ما ينفعك مالا وما هو إلا أعمال الخير ، قيل النصيب الكفن ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى الناس ﴿كَمَا﴾ ^(١) أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ قيل: أحسن بالشكر كما أحسن الله بالإنعام إليك ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ﴾ الظلم والكبر والمعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ قَالَ ^(٢) إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى ^(٣) عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: أعطاني على علم وفضل عندي أستحقه لذلك ، ولولا معرفته بفضلي ورضاه ما أعطاني وهو كان أقرأ بنى إسرائيل وأحفظهم بالتوراة ، قيل (عندى) خير محذوف أى

(١) لا يلزم أن تكون المشابهة من كل جهة / ١٢ وجيز .

(٢) قارون جواب النصح / ١٢ وجيز .

(٣) قيل أراد علم الكيمياء أى الإكسير المزبل لعيوب حدثت لبعض الفلزات من معادنه/ ١٢ وجيز . ورد بعض المفسرين بأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيلن لا يقدر عليها أحد إلا الله أقول : ليس هو من باب التقلب ، وهو علم حق ومن ظن ذلك فمن جهله بحقيقة ذلك العلم هذا ما في المنهية ، وقال الخطابي: تحت حديث (لعن الله الواشمات) إنما نهي عن ذلك لما فيه من الغش والخداع ، ولو رخص في ذلك لاتخذته الناس وسيلة إلى أنواع الفساد ، ولعله قد يدخل في معناه صنعة الكيمياء فإن من تعاطاه إنما يروم أن يلحق الصنعة بالخلقة ، وكذلك كل مصنوع يشبه بمطبوع ، وهو باب عظيم من الفساد انتهى ، وقد صنف شيخ الإسلام كتاباً في إبطال الكيمياء سماه (إبطال الكيمياء وتحرعها ولو صحت) وكذلك تلميذه شمس الدين ابن القيم صنف كتاباً سماه (بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً) وهو مجلد/ ١٢ .

هذا في اعتقادي وظنى وقيل: متعلق بأوتيت^(١) كقولك جاز ذلك عندي ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ﴾ عطف على محذوف أى: ألم يقرأ ولم يعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، فلا تدل كثرة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضى الله ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أى: لا يسأل الله أو الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، بل يدخلهم النار بلا سؤال وحساب وهذا في موطن خاص أو هو سؤال علم، بل هو سؤال توبيخ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾^(٢) من مراكب وملابس وخدم وحشم ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أى: المؤمنون الراغبون في الدنيا ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الدنيا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أى: الأخبار لمن تمنى ويلكم ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء بالهلاك مستعمل في الزجر ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أوتى قارون ﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾ الثواب والتأنيث لأنه بمعنى المثوبة أو الجنة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ على حكم الله، وهو من تتممة النصيحة أو المعنى ما يلقى هذه الكلمة التى تكلم بها العلماء إلا الصابرون فعلى هذا من كلام الله منقطع عن الأول

(١) والأظهر أن (عندى) صفة علم / ١٢ وجيز .

(٢) ابتداء كلام من الله / ١٢ .

(٣) في بيان زينته ذكر أشياء الله أعلم بصحتها منها أنه خرج في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات ، والحلي راكبين وراجلين هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خرج على قومه في أربعة آلاف بغل" أخرجه ابن مردويه ، وقد روى عن جماعة من التابعين أقوال في بيان ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصح منها شيء مرفوعاً بل هي من أخبار أهل الكتاب كما عرفناك غير مرة ، ولا أدري كيف إسناد هذا الحديث الذي رفعه ابن مردويه فمن ظفر بكتابه فلينظر فيه / ١٢ .

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ نقل^(١) أنه كان يؤذى موسى كل وقت فأعطى يوماً مالا لامرأة لتنسبه إلى الزنا فلما كان يوم العيد في محضر الخلق رمته بنفسها فناشدها موسى أن تصدق ، فقالت: أعطاني قارون جعلاً على أن أفذك بنفسى فدعى عليه موسى فأوحى الله إليه أن جعلنا الأرض مطيعة لك فأمرها تأخذه^(*) فأخذته وإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ أعوان ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ من الممتنعين من عذاب الله ، أو من المنتصرين بنفسه ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ﴾ مترلته ﴿بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنُ اللَّهُ﴾ مركب من "وى" وهى كلمة تندم و "كأن" أو ويل بمعنى ويلك وأن الله منصوب بمقدر وهو اعلم ﴿يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ بمتقاضى إرادته لا لكرامة وفضل ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا﴾ لأننا وددنا أن نكون مثله ﴿وَيَكَآئِهِ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لنعمه أو بالله ورسله.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ عَائِلَةِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم ، وصححه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن

عباس/١٢ فتح .

(٥) بالأصل (يأخذه) .

رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ في تلك الإشارة تعظيم للآخرة أى : التى سمعت بذكرها ، وبلغك وصفها ﴿نَجْعَلُهَا﴾ إما خبر تلك والدار صفته أو الدار خيره وهو استئناف ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ تكبراً أو استكباراً عن الإيمان ﴿وَلَا فَسَاداً﴾^(١) عملاً بالمعاصى أو دعوة الخلق إلى الشرك ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الحسنى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن معاصيه ﴿مَنْ﴾^(٢) جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴿من وضع الظاهر موضع المضمحل لزيادة تبغيض السيئة إلى قلوب السامعين﴾^(٣) إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿أى : إلا مثله فحذف المثل للمبالغة﴾^(٤)

(١) إعادة "لا" دالة على أن كلاً من العلو والفساد مقصود لا جمعهما ، والويل للجامع كقارون ، ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما نحو : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا " (هود: ١١٣) قرأها فضيل فقال : ذهبت الأمانى ولا يبعد أن يراد لا يريد أن يكون جباراً مسلطاً على العباد ، ولا يريد الفساد في البلاد ، وقوله في الأرض مشعر بما قلنا فلا يتخذ عباد الله خولاً ولا مال الله دولاً. همته ونيتة إعلاء الدين وإصلاح المسلمين / ١٢ وجيز .

(٢) ولما حصل التمييز بين أهل الآخرة وأرباب الدنيا فكأن قائلاً قال : ما حال من أحسن وما حال من أساء ؟ فقال : " من جاء بالحسنة " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كأنه لا يصل إليه إلا هذه السيئة بعينها التى أعد لنفسه والشخص إذا خرج من جلاباب البدن الكثيف وإن كان كافراً يعرف بعقله وبين بين مساواة الجزاء ، وزيادته ونقصه ، ولما ذكر أن العاقبة للمتقين وأعقبه بقوله : " من جاء بالحسنة فله خير منها " توجه الفهم إلى حال إمام المتقين وسيد المحسنين باليقين فقال : " إن الذي فرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أى : تلاوته وتبليغه ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ وأى معاد ، وهو معاد ليس لغيرك مختص بك وهو المقام^(١) المحمود أو إلى مكة ، فقيل : نزلت حين المهاجرة في طريق المدينة ، وعن بعض المفسرين : إن ابن عباس فسره مرة بالموت^(٢) ومرة بالعود إلى مكة ، ومراده بالثاني أيضاً الموت ، لأن ابن عباس يرى فتح مكة من علامات قرب موته ، وكان التفسيرين واحداً ﴿قُلْ﴾^(٣) يا محمد لمن ينسبك إلى الضلال ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ يعلم ﴿مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فمن جاء مفعول لفعل دال عليه أعلم ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ ما كنت تظن وتأمل الوحي والنبوة قبل ذلك ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لكن ألقى إليك لرحمة من ربك وقيل : الاستثناء متصل محمول على المعنى كأنه قال : ما ألقى إليك الكتاب لأمر إلا لرحمة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾ فخالفهم ونابذهم ، نقل أنه نزل حين دعى إلى دين آبائه ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ العمل بالقرآن ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى معرفته وطاعته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ حقيقة الخطاب لأهل دينه ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤) إلا ذاته المقدس عن الفناء أو معناه إلا ما أريد به وجهه ، أي : كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل فان ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَالِئِنَّهُ تَرْجَعُونَ﴾ ، للجزاء .

والحمد لله رب العالمين

-
- (١) كما رواه البخاري والنسائي عنه / ١٢ .
(٢) كما روى السدي وغيره بطرق متعددة عنه / ١٢ .
(٣) ولما كان المشركون يقولون : لو كان محمد على حق وهدى لما رضي ربه بأن يكون مخرجاً من بيته وغربته وكريته ، قال : "قل" يا محمد "ربى أعلم" الآية / ١٢ وحيز .
(٤) في البخاري يقال : إلا وجهه إلا ملكه ويقال : إلا ما أريد به وجه الله ، وفي المعالم قال أبو العالية : ما أريد به وجهه / ١٢ .

سورة العنكبوت مكية

وهي تسع وستون آية وسبع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَ ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ
جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ
فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا
كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِّنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ
وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

﴿الْم أَحْسِبُ﴾^(١) الهمة للإنكار ﴿النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ على عافية وفراغ ، ولما كان صلة أن مشتملة على مسند ، ومسند إليه يسد مسد مفعولى حسب ، وهذا هو الأولى ﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ أي : بأن أو لأن ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ بل يمتحنهم الله بالمصائب ، ومشاق التكاليف ليميز المخلص من المنافق ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ﴾^(٢) الله ﴿لِيَتَّعِلَّقَ عِلْمُهُ بِالامْتِحَانِ عِلْمًا حَالِيًّا يَتَمَيَّزُ بِهِ﴾ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ أم منقطعة ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يعجزونا فلا نقدر على انتقامهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بشئ الذى يحكمونه حكمهم هذا ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ وصوله إلى ثوابه أو من يخشى حسابه وجزائه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ فليستعد وليعمل لذلك الوقت المضروب للجزاء فإنه آت لا محالة أو معناه من يأمل لقاء الله في الجنة فوقت اللقاء آت فليبادر إلى ما يحقق رجاءه ولذلك قال بعض المحققين: هذه تعزية من الله للمشتاقين إلى لقائه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فيعلم الأقوال والعقائد ﴿وَمَنْ جَاهَدْ﴾^(٣) نفسه في منعها عن المناهي ، وحملها على المعروف ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) قال الشعبي : نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يقبل فيكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوه فممنهم من قتل ، ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين / ١٢ معالم .

(٢) وفي البخاري : فليعلمن الله ، علم الله ذلك إنما هي بمنزلة فليميز الله كقوله : " ليميز الله الخبيث " (الأنفال: ٣٧) / ١٢ .

(٣) ولما أمره بالمبادرة والاستعداد قال : " ومن جاهد " إلخ / ١٢ وحيز .

أحسن جزاء أعمالهم ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ بإيتاء أو بإيلاء والديه ﴿حُسْنًا﴾ أي : فعلاً ذا حسن أو للمبالغة جعل الفعل حسناً لفرط حسنه ، قيل تقديره : وصيناه بتعهد^(١) الوالدين افعل بهما حسناً ، وعلى هذا يحسن الوقف على بوالديه ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ﴾ أي : وقلنا إن جاهداك ﴿لِتَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بإلاهيته ﴿عِلْمٌ﴾ فإن ما لا يعلم صحته لا يتبع سيما إن علم بطلانه ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك فلا طاعة في معصية ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ مرجع الكل المؤمن والمشرک والبار والعاق ﴿فَأَنْتُمْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء عليه ، نزلت^(٢) في سعد بن أبي وقاص حلفت أمه ، إنها لا تأكل ولا تشرب حتى تموت إن لم يرجع إليها^(*) من الإسلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ جملة ﴿الصَّالِحِينَ﴾ وكمال الصلاح منتهى الدرجات ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أصابه مضرة من المشركين للإيمان بالله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما أصابه من جهتهم في الصرف عن الإيمان ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الآخرة فجزع من عذابهم وأطاعهم كما يجزع ويطيع الله من يخافه وشتان ما بينهما ، أو معناه إذا نزل عليهم مصيبة اعتقدوا أنها من نعمة الله للإسلام فارتدوا ﴿وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فتح وغنمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين فأعطونا من المغنم ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ﴾ عطف على محذوف أي : أقولهم ينحيهم وليس الله؟ ﴿بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من الإخلاص والنفاق ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعرف المؤمنين حقيقة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾^(٣) لا يشبهه عليه ولا

(١) من جملة ما فتناه / ١٢ وحيز .

(٢) رواه مسلم / ١٢ وحيز .

(*) في الأصل " ابنه "

(٣) بترك الإسلام عند نزول البلاء واختلفوا في نزول هذه الآية قال مجاهد: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بالسننهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا ، وقال =

يمكن الإلباس عليه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا وطريقنا ﴿وَلْتَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ إن كان ذاك خطيئة عطفوا "ولنحملن" وهو أمر لأنفسهم على "اتبعوا" وهو أمر للمؤمنين إرادة للمبالغة وأن كليهما لابد من الحصول ، وهذا قول صناديد قريش ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أى : شيئاً من خطاياهم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) في إنحاز وعدهم هذا ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال أنفسهم ﴿وَأَثْقَالَ﴾ أخر ﴿مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي أثقال أوزار من أضلوه من غير أن ينقص من أوزار متبعيهم شيئاً ﴿وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال تقريع وتوبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الأباطيل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

= عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم في بدر وهم الذين نزل فيهم " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم " (النساء: ٩٧)، وقال قتادة : نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وقال الشعبي هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ها هنا مدنية وباقي السورة مكية/ ١٢ معالم .

(١) وحاصل المعنى إن تتبعونا ، وبلغكم في ذلك مكروه ، فحن نرفع منكم مكروهكم، فالجزاء خير لا يطابق الواقع فهو كذب صريح ، ومن قال: الوعد إنشاء وليس الكذب إلا في الخير والجواب أن لو سلمنا ذلك فهذا الإنشاء ملزم للخير والكذب باعتبار اللازم ١٢/ وحيز .

فَاتَّبَعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٤﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾

﴿وَلَقَدْ﴾^(١) أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ بعد نبوته ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ﴾^(٢) عَامًا﴾ هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ بعد هذه المدة لما لم يزدحم دعاؤه إلا فراراً ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنجَيْنَاهُ﴾ نوحاً ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ من كان معه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ السفينة أو القصة ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣) ﴿عن ابن عباس﴾^(٤) : بعث نوح وهو ابن أربعين سنة وعاش بعد الطوفان

(١) ولما كان السياق للبلاء والامتحان والصبر ذكر من الرسل من هو أولهم وطال صبره ولم يفتر عزمه عن النصح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً له ولأصحابه فقال : " ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) فيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له : إن نوحاً لبث هذه المدة الكثيرة يدعو قومه ولم يؤمن منهم إلا قليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر / ١٢ .

(٣) من بعدهم فقد هلك سوى أصحاب السفينة وما بقى في الديار ديار ولما كان بلاء إبراهيم وصبره من أعظم البلايا لقذفه في النار وكون عدوه أباه أتبع حكايته حكاية نوح ، فقال : " وإبراهيم إذ قال لقومه " الآية / ١٢ وحيز .

(٤) عزاه بعض المحشين إلى الحاكم / ١٢ .

ستين ، فمجموع عمره ألف وخمسون سنة ، وفي جامع الأصول أنه عاش بعد الطوفان خمسين ، ومدة الطوفان ستة أشهر آخرها يوم عاشوراء ﴿وَأِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على نوحاً ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لأرسلنا ﴿لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ﴾ تكذبون ﴿إِفْكًا﴾ كذباً في أنها شركاء الله شفعاء أو تحتونها للإفك ، جعل نحتهم خلقاً وإيجاداً ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ ولا يكون المعبود إلا الرازق ، ورزقاً مفعول به من غير تأويل ، والتكثير للتعميم ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كله فإنه مالكة وحده ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فاستعدوا للقاءه ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ أي : تكذبوني ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم كقوم شيث وإدريس ونوح ، ولم يضرهم تكذيبهم فلا يضرني تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾ اللام للجنس ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وهذه الآية والتي بعدها إلى قوله : "فما كان جواب قومه" الأظهر أنها من جملة قول إبراهيم لقومه ، ويحتمل أن يكون معترضة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنقيساً بين نصيحته وجواب قومه ، أي : وإن تكذبوا محمداً إلخ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من العدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ عطف على "أَوَلَمْ يَرَوْا" لا على "يُبْدِئُ" فإنه في معرض الاستدلال من الأول على الثاني وما تعلق به رؤيتهم وإنما هو إخبار^(١) على حياله ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الإعادة بعد الإنشاء ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا﴾ حكاية كلام الله لإبراهيم على التقدير الأول ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ مع اختلاف أجناسهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ^(٢) الْآخِرَةَ﴾ عطف على سيروا

(١) قيل: معناه يعيد الأشياء كالنبات والأشجار إن قطعت أو ييسر وكالثمار إن قطعت/ ١٢ وحيز .

(٢) وأصرح باسمه الأقدس في كيف يبدأ الله وأضر ثم يعيده وهنا أضر وأبرز بالعكس من

الأول الدلالة على تفخيم النشأة الآخرة كأنه قيل : ثم ذلك الذي بدأ الخلق هو ينشئ

النشأة الآخرة / ١٢ وحيز .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعلق قدرته على جميع الممكنات على السواء
﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَالِيهِ تُقْلَبُونَ﴾
تردون ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم إن هربتم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالتواري فيها ﴿وَلَا
فِي السَّمَاءِ﴾ بالتحصن فيه أو ولا في السماء لو كنتم فيها قيل تقديره ولا من في
السماء ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ لو أراد الله بكم ضرًا.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ
حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالَ
إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَّيَلَعُنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿١٨﴾ * فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ
رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا
فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ
وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا
بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٣﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بكتبه أو بدلائل وحدته ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث ﴿أُولَٰئِكَ
يَسْأَوْنَ مِنْ رَّحْمَتِي﴾ لإنكارهم البعث والجنة ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لكفرهم

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ^(١) قَوْمِهِ﴾ أي : إبراهيم له ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ أي : عذبوه أحد العذابين ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ بعد ما قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إنجائه منها ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإن الكفار غير موفقين على التدبر في مثل ذلك ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : لتوادوا بينكم وتتواصلوا كما يتفق الناس على مذهب ليكون ذلك سبب تحاهم ، وثاني مفعولي اتخذ محذوف وهو آلهة أو هو مودة بحذف مضاف ، أي : سبب مودة ، أو بأنها بمعنى مودودة وقراءة رفعها على تقدير هي مودة ، أو سبب مودة على أنها صفة "أوثانًا" أو خير لأن ، وما موصولة ، أي : إن الذين اتخذتموها ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴿وَمَا وَآكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ فَاَمَّنَ لَهُ﴾ لإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ هو ابن أخي إبراهيم لا ابن أخته فإنه لوط بن هاران بن آزر وهو أول من آمن به ، وفي الحديث "ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك خاطب به امرأته(*)" فالمراد والله أعلم أن ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ^(٢)﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ هاجر من سواد الكوفة إلى حران ثم

(١) لما بين إبراهيم سفههم في عبادة الأوثان رجعوا إلى الغلبة التي هي عادة العاجز عن الجواب / ١٢ وجيز .

(*) جزء من حديث أخرجه البخاري مطولا في قصة إبراهيم وبناء البيت .

(٢) قال النخعي وقتادة : الذي قال إن مهاجر هو إبراهيم ، قيل هو أول من هاجر إلى الله وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه عن أنس قال : أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله) أخرجه أبو يعلى / ١٢ فتح . [أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣١١) بسند ضعيف]

منها إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيمنعني من الأعداء ، ويوفقي بما هو صلاحه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وهو ولد إسحاق تولد في حياة إبراهيم ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي : جنسه وكل نبي بعده كان من ذريته ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ جمع له بين السعادتين سعادة الدنيا أي : الرزق الواسع ، والمثل الرحب ، والزوجة الحسنة ، والثناء الجميل إلى يوم القيامة ، وسعادة الآخرة وهي لا يعرفها إلا الله ﴿وَلُوطًا﴾ عطف على نوحًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أرسل في حياة خليل الله إلى أهل سدوم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الفعلة القبيحة ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١) استئناف مقرر لغاية قباحتها ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ^(٢) السَّبِيلَ﴾ فإنهم كانوا يقتلون المارين وينهبون أموالهم ، وقيل : يقطعون سبيل النسل ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ﴾ مجلسكم الغاصة ﴿الْمُنْكَرَ﴾^(٣) وفي الحديث "هو خذف أهل الطريق بالخصى والاستهزاء بهم" ، أو الصغير ولعب الحمام وحل أزرار القبا ومضع العلك وتطريف الأصابع بالحناء ، أو الضراط والضحك والفحش في المزاح ﴿فَمَا كَانَ

(١) يعني : أتأتون تلك الفعلة القبيحة مبتدعين غير مسبوقين بها وفيه دليل على أنه لم يتر [في اللسان (نز): فلان نزيز أي: شهوان، وقتلته الترة أي: الشهوة] ذكر على ذكر قبل قوم لوط/١٢ وجيز .

(٢) قيل: المراد سبيل الولد بتعطيل الفروج، وهم أول من لاط رجلاهم وسحقت نسائهم/١٢ وجيز .

(٣) وفي المنكر خلاف في حديث أحمد والترمذي وحسنه هو الاستهزاء بالمارين [ضعيف]، وعن الكثير كانوا يأتون الرجال في مجالسهم ينظر بعضهم بعضًا/

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بَعْدَآبِ (١) اللَّهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ فِي النُّبُوَّةِ، أَوْ فِي الْوَعِيدِ ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢﴾ بِإِزْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ.

﴿١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تُهَاجِرُ مِنْ الْغَيْرِينَ ﴿٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٦﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٧﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٨﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا

(١) أما ما وقع من جوابهم " أخرجوا آل لوط من قريبتكم " (النمل: ٥٦) في آية أخرى

فإنهم قالوا أولاً في جوابه: ائتنا بعذاب الله ثم تكرر لما منه نهي ووعده ووعيد قالوا: "

أخرجوا " فهذان جوابهم / ١٢ وجيز .

(٢) فإنهم مصرون لا يذعنون الحق بوجه / ١٢ وجيز .

بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ
مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ ﴿١٩﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ من الله بإسحاق وولده جاءوا
على طريقة أضياف ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ﴾ مستمرون على الكفر والفسق ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا﴾ في القرية
﴿لُوطًا﴾ وهو نبي غير ظالم ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَهُ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ﴾ أن صلة زيدت لاتصال
الفعلين ، وتأكيدهما ﴿رُسُلُنَا لُوطًا﴾ بعدما ساروا من عند إبراهيم في صورة أمارد
حسان ﴿سَيِّءَ بِهِمْ﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم ﴿وَضَاقَ﴾ ^(١) بِهِمْ ذَرْعًا أي: عجز
وضاق بسببهم وتدبير أمرهم طاقته فإنه خاف عليهم من قومه ﴿وَقَالُوا﴾ لما رأوا غمه

(١) أن زيادة لاتصال الفعلين كأنه قيل لما أحس بمحبتهم فاجأ به المساءة من غير مكث
خيفة عليهم من القوم وضاق بشأهم وتدبير أمرهم ذرعه وطاقته، قد جعلت العرب
ضيق الذراع عبارة عن فقد الطاقة والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا
يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة / ١٢ وحيز .

﴿لَا تَخَفْ﴾ علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾ نصب أهلك لعطفه على محل الكاف أو بإضمار فعل ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُتْرَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْرًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا﴾ من كلام الله تعالى ﴿مِنْهَا﴾ من قرية لوط ﴿آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هي آثار منازلهم الحرية أو أثارهم المسودة أو الأحجار المطورة التي أهلكوا بها ﴿وَالِإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ عطف على نوحًا إلى قومه ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا﴾ اخشوا ﴿الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وقيل: افعلوا ما ترجون به ثواب يوم الآخر من إقامة المسبب مقام السبب ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ العتو أشد الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يعني لا تزيدوا^(١) في الفساد حال كونكم مفسدين ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة أو الصيحة أخرجت قلوبهم ، أو عذاب يوم الظلة ، وقد مر في سورة الأعراف وهود والشعراء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ منصوبان بفعل دل عليه ما قبله مثل أهلكنا وعدم انصراف ثمود بتأويل القبيلة ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ﴾ بعض مساكنهم باليمن أو تبين لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا رأيتموها ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة^(٢) ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن الطريق المستقيم ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء عند أنفسهم معجبين برأيهم أو كانوا في نفس الأمر متمكنين من النظر أو مستبصرين بضلالهم لكنهم لجوا ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ عطف على عادًا وثمودا ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾^(٣) فائتين بل

(١) فإن العتو أشد الفساد / ١٢ وحيز .

(٢) حتى حسبوها حسنة / ١٢ .

(٣) قيل: ما كانوا سابقين الأمم إلى الكفر تلك عادة الأمم مع الرسل / ١٢ وحيز .

أدرکہم أمر الله ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحًا صرصراً تحمل الحصباء فتلقيها عليهم ، وتقتلعهم من الأرض ثم تنكسهم على أم رأسهم فتشدخهم ، فكأنهم أعجاز نخل منقعر ، وهم قوم عاد ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ قارون ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا﴾ فرعون وهامان وروى عن ابن عباس أن الأول قوم لوط ، والرابع قوم نوح ، والأظهر ما ذكرنا قال بعض المحدثين: الرواية منقطعة عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيما فعل بهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فاستحقوا مقت الله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يتكلمون إليه ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ تعتمد عليه وتحسب أنه لها بيتاً ﴿وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتُ لَيَكُنَّ الْعَنْكَبُوتُ﴾ لا بيت أضعف من بيتها مما يتخذها الهوام لا يدفع حرّاً ولا برّداً ، ولا يحجب عن الأعين ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لعلوا أن هذا مثلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أى : الذي تدعونه من دون الله من شيء أى : شيء^(١) كان فيجازيكم قيل ما نافية ومن شيء مفعول تدعون يعنى الله يعلم أنهم ما يعبدون شيئاً من دون الله ، بل الذي يعبدون لا شيء ، فعلى هذا تأكيد للمثل وتجهيل لهم ، ولا يخفى بعده ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيقدر على الانتقام ولا يظلم ، بل في أفعاله حِكْمٌ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ هذا المثل ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ نبينها تقريباً لما بعد من أفهامهم ﴿وَمَا يَقْلُهَا﴾ لا يفهمها ولا يتدبر فيها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ^(٢)﴾ في الحديث في تفسير تلك الآية العالم من عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه ﴿خَلَقَ اللَّهُ

(١) من ملك أو بشر أو حجر أو شجر ، وهو يجازيكم / ١٢ وحيز .

(٢) وكان جهلة قريش يضحكون قائلين: إن رب محمد يضرب الأمثال بالذباب

والعنكبوت ، ولما بين أنه هو العزيز الحكيم أثبت ما بين بشيء مشاهد دال على ذلك ،

فقال : " خلق الله السموات والأرض " الآية / ١٢ وحيز .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴿لَا عَلَى وَجْهِ الْعِثِّ﴾ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الْخَلْقِ ﴿لَايَةً﴾
لِّلْمُؤْمِنِينَ^(١) ﴿فَإِذَا هُمْ يَتَدَبَّرُونَ فِي صَنَائِعِ مُلْكِهِ﴾.

﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٦﴾ وَلَا
تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا
ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿٧﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾
وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُّ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ
الْمُبْتَطِلُونَ ﴿٩﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا
يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا
أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أمره بقراءة القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ أي : إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك ، وفي

(١) المتدبرين في صنائع خلقه ، ولما أفاد القرآن هذا الإخبار ودل على أن فهم أمثاله من

رسوخ الإيمان خاطب سيد أهل الإيمان بتلاوة ما يفيد الإخبار ، فقال : (اتل ما أوحى

إليك) الآية / ١٢ وحيز .

الحديث : (من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا^(١) بعداً) أو مراعاتها تجره إلى الانتهاء ، وفي الحديث^(٢) (قيل له عليه السلام إن فلاناً يصلى بالليل فإذا أصبح سرق قال: سينهاه ما تقول) والصلاة تنهاه عن ذلك حين الصلاة **﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** وأفضل من كل شيء فالصلاة لما كانت كلها مشتملة بذكره تكون أكبر من غيرها من الطاعة ، أو ذكر الله لعباده أكبر من ذكرهم إياه ، وهذا هو المنقول عن كثير من السلف **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** فيجازيكم **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** إلا بطريقة هي أحسن فإن من أراد الاستبصار منهم إذا رأوا منكم ليناً وسمعوا منكم حججاً لا هتدوا ، قال تعالى: "ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (النحل: ١٢٥) الآية ، والظاهر أنها غير منسوخة بآية السيف **﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾** بالإفراط في المعادة فانتقلوا معهم من الجدال إلى الجلال **﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم﴾** هذا كأنه من المجادلة الحسنة **﴿وَالِهَنَا وَالْهَكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ﴾**، خاصة **﴿لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** فيه تعريض بأنهم اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله **﴿وَكَذَلِكَ﴾** مثل ذلك الإنزال **﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾** كتاباً مصداقاً لسائر الكتب قال ابن جرير : معناه أنزلنا إليك الكتاب يا محمد كما أنزلنا على من قبلك من الرسل **﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** كمؤمني أهل الكتاب **﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾** الذين بين ظهرانيك **﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾** كمؤمني العرب **﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾** مع ظهور معجزاتها **﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾** المتوغلون فيه **﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾** قبل نزول القرآن **﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾**

(١) أخرجه الطبراني وغيره عن ابن عباس / ١٢ فتح . [رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث بن

أبي سليم، وهو ثقة، ولكنه مدلس، كذا قال الهيثمي في "المجمع"، (٢/٢٥٨)]

(٢) رواه الإمام أحمد وغيره / ١٢ وجيز . [أخرجه أحمد (٢/٤٤٧) وصحح إسناده الشيخ

الألباني كما في تعليقه على المشكاة (١٢٣٧)]

ذكر اليمين زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتباً ﴿إِذَا﴾ لو كان شيء من التلاوة والخط ﴿لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فيقولون لعله قرأه والتقطه من الكتب المتقدمة ﴿بَلْ هُوَ﴾ القرآن ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يتلونه من حفظهم لا من مصاحفهم وذلك من خاصة هذا الكتاب فإن سائر الكتب ما كان يقرأ إلا من المصاحف ، ولهذا جاء في صفة أمة محمد في الكتب المتقدمة صدورهم أناجيلهم أو معناه ، بل العلم بأنك أمي لا تقرأ أو لا تخط آيات بينات في صدور العلماء الأخيار ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾^(١) المكابرون مع وضوح دلائل صدقه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّنْ رَبِّهِ﴾ كناقصة صالح ، وعصا موسى ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو القادر على إنزالها لا غير ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢) ليس من شأني إنزال الآيات ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ﴾ أي : ألم يردعهم عن طلب آية ولم يكفهم ﴿أَنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ مع علمهم بأنك أمي لا تخط ولا تقرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ القرآن وإنزاله ﴿لِرَحْمَةٍ﴾ نعمة ﴿وَذِكْرَى﴾ تذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم المنتفعون به.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ

(١) ختمت الأولى بالكافرين ، لأنه قسيم للمؤمنين لقوله : " و من هؤلاء من يؤمن به "

والثانية بالظالمين لأنه جحد بعد إقامة الحجج والدلائل / ١٢ وجيز.

(٢) فأنا على شغلي / ١٢ .

بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
 وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ يَلْعَبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ
 فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٨﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٩﴾
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى
 رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦١﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
 وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ الباء يزداد في فاعل كفى ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يرى تبليغي
 ونصحي ، وتكذيبكم وتعنتكم ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفي عليه
 حالي وحالككم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كالطواغيت ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ﴾ في صفتهم ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ كما يقولون: أمطر علينا
 حجارة من السماء ﴿وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ لعذاب قومك ﴿لَجَاعَهُمُ الْعَذَابُ﴾
 عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ ^(١) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿يَأْتِيَانَهُ﴾ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ
 جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا يبقى منهم أحد إلا دخلها ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾

(١) منصوب بالمصدر لأنها نوع من الإتيان / ١٢ ومنه .

ظرف محيطة يعني لا يليق استعجالهم ، ومثل هذا العذاب معد لهم وعن بعض السلف : إن جهنم هو البحر ، وهو محيط بهم ينتشر فيه الكواكب ثم يستوقد فيكون هو جهنم ، وفي مسند الإمام أحمد أنه قال عليه السلام: "البحر^(١) هو جهنم" فعلى هذا يوم ظرف لمحدوف ، أي : يوم يغشاهم العذاب كيت وكيت^(٢) ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ الله ﴿ذُوقُوا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا عِبَادِيَ﴾^(٣) الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي^(٤) وَأَسِعَةَ فَيَايَا فَاعْبُدُونِ ﴿ نصب فيأيا بفعل يفسره ما بعده ،

(١) قال في الفتح : وفي هذا نكارة شديدة فإن الأحاديث الكثيرة الصحيحة ناطقة بأن جهنم موجودة مخلوقة على الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة / ١٢ .

(٢) يقصر الوصف عن بيانه / ١٢ .

(٣) ولما أبلغ في الإنذار وحذر من الذنوب الكبار لم يهمل الإشارة إلى الصغار وقال : " إن جهنم محيطة بالكافرين " وقد كرر أن هذه المواعظ للمؤمنين خاطبهم لطفًا وعناية وقال : " يا عبادي الذين آمنوا " / ١٢ وجيز .

(٤) فيه أنه يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ، ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته قال على القاري: وأما اليوم فإننا بحمد الله لم نجد أعوانًا على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرده للشيطان وأبعد من الفتى وأربط للأمر الديني وأظهر له من مكة جرمها الله تعالى. أقول: لولا ما فيه الآن من استطالة أهل البدع على أهل السنة وإثارة التنظيمات السلطانية على الأحكام الرحمانية ، وظلم أهل المكس على الحجاج ، وعدم الانتصاف من أهل الاعتساف على العمل بالسنة والتمسك بالحق ، والله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد. قال سهل: إذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين قلت: وأنى لنا هذا اليوم؟! لو علمنا أرضًا طائعة على وجه البسيطة على حسب ما نطق به الكتاب والسنة أو ما ذهب إليه فقهاء الأمة لخرجنا إليه إن شاء الله تعالى، ولكن كم من أمنية ضاعت فإننا لله وإننا إليه راجعون / ١٢ فتح البيان .

وهو جواب شرط محذوف ، أي : أرضي واسعة فإن لم تتمكنوا في إخلاص العبادة في أرض فاعبدوني في غيرها ولما حذف الشرط عوض عنه تقديم المفعول مع أن التقديم مفيد للاختصاص نزلت في ضعفة المسلمين الذين لم يستطيعوا الهجرة إلى المدينة ، أو في قوم خافوا من ضيق العيش ، وتخلفوا عن الهجرة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فاستعدوا له بأي طريق تيسر لكم أو خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ نزلتهم ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ نصب غرفاً على قراءة لنبؤنهم أي : لنقيمهم مفعول ثان أيضاً لإجرائه مجرى لنزلهم أو بترع الخافض أو تشبيهه الظرف المعين بالمبهم لأنه منكر كأرضاً في " أو اطرحوه أرضاً " (يوسف: ٩) ﴿تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ذلك ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على مفارقة الأوطان والمشاق لله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ لا على غيره ﴿يَتَوَكَّلُونَ وَكَانَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا ترفع رزقها معها ولا تدخره ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا^(١) وَإِيَّاكُمْ﴾ أيضاً إن كنتم تجمعون وتدخرون فلا تخافوا على معيشتكم بالهجرة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم فلا يغفل عنهم أبداً ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي : أهل مكة ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي : إذا كان هذا جواهرهم فكيف يصرفون عن توحيده فإنهم مقرون بأنه خالقها ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ هذا الضمير غير عائد إلى من ، بل وضع موضع لمن يشاء بجامع كونهم مبهمين ، وهذا من توسعهم فيتعدد المرزوق أو عائد إليه والتعدد بحسب أحواله ييسر له تارة ويقبض له أخرى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم وهذه

(١) قال سفيان بن عيينة: ثلاث تدخر الفأر ، والنمل ، والبشر لا رابع لها ، في الحديث : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خفافصاً وتروح بطائناً) أخرجه الترمذی ، وقال: حديث حسن كذا في الوجيز . [صحيح وانظر صحيح الجامع (٥٢٥٤)] =

الآية لبيان أنه كما هو خالق فهو رازق ، وهم معترفون به أيضاً كما بين بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فإن المطر هو السبب الكلي لوجود الرزق ، وهم مع اعترافهم بخالقيته ورازقيته يعدلون عنه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور حجتك عليهم ، وعلى عصمتك عن مثل تلك الضلالة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يقولون من الدلالة على بطلان الشرك.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إشارة تحقير ﴿إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ كما يجتمع الصبيان سوية مبتهجين ، ثم يفرقون وليس في أيديهم سوى إمتاع البدن ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ الحياة الحقيقية التي لا موت فيها ، فكأنها في نفسها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حية ففيه شذوذان قلب الباء واواً وترك الإدغام ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة لعلوا صحة^(٢) ما قلنا ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

(١) والآية لبيان أنه كما هو الخالق فهو الرازق ، وهم معترفون بذلك أيضاً وكيف لا " ولئن سألتهم " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولم يؤثروا دار الفناء عليها فالخزف الباقي أحسن من الذهب الفاني سيما إذا كان الخزف هو الفاني / ١٢ وحيز .

الدِّينَ» يدعون أصنامهم ولا يدعونها، يبين أنهم مع الاعتراف بخالقته ورازقته في بعض الأحيان يعترفون بوحدانيته ومع ذلك يشركون ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجئوا المعاودة إلى شركهم من غير تأمل وسبب ، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ اللام لام الأمر على التهديد من باب " اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير " ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما فعلوا ﴿أَوْ لَمْ^(١) يَرَوْا﴾ أهل مكة ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ جعلنا بلدكم ذا أمن لا يغار على أهله ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يختلسون تغزوا العرب بعضهم بعضاً حولهم ، وهم آمنون مع قلتهم وكثرة العرب ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ أي : أبعد هذه النعمة الظاهرة بالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ بالرسول أو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ بلا تأمل واستعمال فكر ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ تقرير لثوائهم فيها أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء وكذبوا هذا التكذيب ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا^(٢)﴾ في حقنا ومن أجلنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الطرق الموصلة إلى جنابنا وثوابنا أو لتريدهم هداية إلى سبيل^(٣) الخير ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ^(٤)﴾ بالنصرة والإعانة.

والحمد لله حق حمده.

(١) ولما أوعدهم لاطفهم بنعمة جليلة ظاهرة فقال : " أو لم يروا " الآية / ١٢ .

(٢) في حقنا ورضانا ولم يجاهدوا في أنفسهم والشياطين / ١٢ وجيز .

(٣) قوله : " والذين اهتدوا زادهم هدى " (محمد: ١٧) / ١٢ .

(٤) عن عيسى كلمة الله صلوات الله وسلامه عليه (إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك) رواه ابن أبي حاتم/ ١٢ وجيز .

سورة الروم مكية الا قوله " فسبحان الله "

وهي ستون أو تسع وخمسون آية وست ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿الْم ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ۝ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۝ أُولَئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ثُمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوا السُّوْءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ۝﴾

﴿الْم غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ غلبوا في أدنى أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام أو أدنى أرضهم إلى عدوهم، وهي الجزيرة أو الأردن، ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ﴾^(١)،

(١) قالوا لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- لما قرأ عليهم "الم غلبت الروم" أهذا

كلامك أم كلام صاحبك فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله

تعالى، ذكره شيخ الإسلام أبو العباس في بعض فتاواه في كلام الباري عز وجل/١٢/.

من إضافة المصدر إلى المفعول^(١)، ﴿سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ^(٢) سَنِينَ﴾، البضع ما بين الثلاث إلى العشر أو إلى التسع نزلت حين بلغ خير غلبة فارس على الروم إلى مكة^(٣) فشمت أهلها وقالوا: أنتم أيها المؤمنون والنصارى أهل كتاب، ونحن وأهل فارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهن نحن عليكم، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل كونهم غالبين، ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾: بعد كونهم مغلوبين يعني: ليس مغلوبيتهم

(١) أى غلبة فارس إياهم/ ١٢.

(٢) أخرج الترمذى وصححه والدارقطنى فى الأفراد والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل، والبيهقى فى الشعب عن نيار بن مكرم الأسلمى قال: لما نزلت "الم غلبت الروم" كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين الروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل الكتاب، وفى ذلك يقول الله: ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله " إلخ. وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا أهل الكتاب، ولا إيمان بيعت فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح فى نواحي مكة "الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين" فقال ناس من قريش لأبى بكر: ذلك بيننا وبينكم يزعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس فى بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك فقال: بلى وذلك قبل تحریم الرهان فارهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبى بكر لم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطاً تنتهى إليه قال: فسموا بينهم ست سنين فمضت الست قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبى بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم فعاب المسلمون على أبى بكر تسميته ست سنين لأن الله تعالى قال: "فى بضع سنين" فأسلم عند ذلك ناس كثير، [حسن، وانظر صحيح الترمذى (٢٥٥٢)] وأخرج الترمذى وحسنه عن ابن عباس -رضى الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال لأبى بكر: "ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع" [صحيح، انظر صحيح الجامع (٢٥٥١)]، وأخرج البخارى عنه فى تاريخه نحوه، وفى الباب روايات وما ذكرنا يغنى عما سواه/ ١٢ فتح.

(٣) وكان ذلك قبل هجرة النبى -صلى الله عليه وسلم- إلى مكة/ ١٢ كمالين.

وغالبيتهم إلا بإرادته وقضائه، ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: يوم يغلب الروم فارس، ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾
بِنَصْرِ اللَّهِ: بتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له أو لأجل ظهور صدقهم فيما
أخبروا به من غلبة الروم، ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: ينتقم من عباده تارة
بالمغلوبية، ﴿الرَّحِيمُ﴾ فيفضل أخرى بالنصر، ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾، مصدر مؤكد لنفسه،
﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: صحة وعده لكفرهم،
﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإن لها ظاهراً وهو التمتع بزخارفها، والتنعيم
بملاذها وباطناً وهو أنها مجاز إلى الآخرة، ومزرعتها، جملة مستأنفة لبيان موجب
جهلهم، ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾: لا يخطر ببالهم، فهم عقلاء في أمور
الدنيا بلبلة في أمور الدين، ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾، التفكير لا يكون إلا في
القلوب لكن فيها زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك: أضمره في نفسك، ﴿مَا خَلَقَ
اللَّهُ﴾، ما نافية متعلق بمحذوف، أي: فيقولوا أو فيعلموا ما خلق الله، ﴿السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾: متلبسة، ﴿بِالْحَقِّ﴾: لا عبثاً وباطلاً، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾:
تنتهى عنده وهو قيام الساعة، عطف على الحق، أو معناه أو لم يتفكروا في أمر أنفسهم
فإنها عالم صغرى فيعلموا حقيقة خلق العالم الكبرى وفناءه، ومن عرف نفسه فقد
عرف ربه، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ^(١) بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: قيام الساعة، ﴿لَكَافِرُونَ﴾:
جاحدون، ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: ألم يسافروا؟! ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: فينظروا مصارع الأمم السالفة المكذبة، فيعتبروا، ﴿كَانُوا
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، كعاد وثمود، ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾، قلبوها للزراعة، ﴿وَعَمَرُوهَا﴾:
بالأبنية أو بالزراعة، ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، فإنهم في واد غير ذى زرع، ﴿وَجَاءَتْهُمْ

(١) لما كان معظم نعيم الآخرة لقاء الله سمي الآخرة باللقاء، فيا رب لا تحرمنا من النظر إلى وجهك الكريم / ١٢ وحيز.

رُسِّلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ: فكذبوهم، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، فإنه حرم الظلم على نفسه، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، حيث عملوا ما استحقوا^(١) به التدمير، ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى﴾ أي: هم عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم عقوبة هي أسوء العقوبات السوأى تأنيث الأسوء كالحسنى، ﴿أَنْ كَذَبُوا﴾ أي: لأن، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، قيل: السوأى مفعول أساءوا أي: اقترفوا الخطيئة، و"أن كذبوا" خبر كان، أي: كان عاقبتهم أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا واستهزءوا بالآيات.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُفَرِّقُونَ ﴿٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٥﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٦﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٧﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَيَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٨﴾

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، بعد الإعادة للجزاء، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾: يسكت^(٢) أيساً من كل خير، ﴿المُجْرِمُونَ﴾: الكاملون في الجرم،

(١) وما أغنى عنهم غناهم فليحذر قريش ومن يحذو حذوهم ١٢/ وحيز.

(٢) يقال: ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج / ١٢.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾: ممن أشركوا بالله، ﴿شُفَعَاءُ﴾^(١) وَكَانُوا: في الآخرة، ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾: يكفرون بهم بعد اليأس من شفاعتهم، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ﴾، تأكيد ليوم تقوم الساعة، ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾، أي: المؤمنون والكافرون تفرقاً لا اجتماع بعده، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ هي أرض ذات نبات وماء، ﴿يُخْبِرُونَ﴾^(٢): يسرون سروراً تهلل له وجوههم، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ لا يغيبون عنه أبداً وهذا تفصيل لتفرقهم، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، تزيه منه تعالى لنفسه الأقدس وإرشاد لعباده إلى تسيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾^(٣) وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: هو الحمود فيهما وعلى أهلها أن يحمده، ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على حين تمسون، وله الحمد إلخ، اعتراض مناسب للتسبيح، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهيرة وسط النهار وفي الحديث^(٤)

(١) لا من ملك ونبي كعيسى وعزير ولا من صنم / ١٢ وحيز.

(٢) نكر روضة لإيهام أمرها وتفخيم شأنها وجاء "يمجرون" بصيغة المضارع لأن لهم في كل لحظة

ما يسرون به من متجددات النعم وإذا جعلت في روضة خيراً فيحبرون حال / ١٢ وحيز.

(٣) جاء في الكافرين باسم المفعول لدوام عذابهم كأنه وصف لازم لهم ولما ذكر الوعد

والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد فقال: "فسبحان الله"

الآية / ١٢ وحيز.

(٤) وتخصيص التسبيح بالصباح والمساء لظهور آثار القدرة فيهما وتخصيص الحمد بآخر

النهار ووسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر / ١٢ وحيز.

(٥) رواه الطبراني، وأبو داود في سننه / ١٢ وحيز [ضعيف جداً، وانظر ضعيف

الجامع (٥٧٤٥)].

"من^(١) قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون (الآية) أدرك ما فاتته في يومه، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته"، وعن ابن^(٢) عباس الآية جامعة للصلوات الخمس حين تمسون المغرب، والعشاء وعشيا العصر والباقي ظاهر، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: كالإنسان من النطفة، والنطفة منه، ﴿وَيُخَيِّمُ الْأَرْضَ﴾: بإخراج النبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: ييسها، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإخراج، ﴿تَخْرُجُونَ﴾: من قبوركم.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ٢١ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ ٢٣ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ٢٤ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢٥ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ٢٦ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَلْبَتُونَ﴾ ٢٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْأَمَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٨

(١) وفي الفتح وإسناده ضعيف / ١٢.

(٢) أخرجه الحاكم / ١٢ [في المستدرک (٢/ ٤١٠)] وصححه وأقره الذهبي.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾، فإنه أصل الكل، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ أي: ثم فاجأكم وقت كونكم بشرًا منتشرين في الأرض، فثم لتراخي الرتبة، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: من جنسكم، أو المراد خلق حواء من ضلع آدم، قيل: المراد خلقن من نطف الرجال، ﴿لِتَسْكُنُوا﴾: لتميلوا وتأنفوا، ﴿إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ بين الرجال والنساء، ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: بعد أن لم تكن سابقة معرفة ولا سبب يوجب التعاطف، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في غرائب صنعه، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ^(١) أَلْسِنَتِكُمْ﴾: لغاتكم وإم الله إنه من غرائب صنعه، فلكل لغة والكل مركب من تسعة وعشرين حرفًا، ولو تكلم صاحب لغة بلغته من مبدأه إلى منتهاه بحكايات مختلفة متميزة لتمكن منه، ولا يتحد كلام بكلام مع اتحاد ما ركب منه، ﴿وَأَلَوَانَكُمُ﴾، هيئاتكم وحلاكم بحيث وقع التمايز حتى بين التوأمين، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ لا تكاد تخفى على أحد، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من باب اللف^(٢)، أي: منامكم، وابتغائكم من فضله بالليل والنهار وهما ظرفان والواقع فيهما مظروفهما، والظرف والمظروف كشيء واحد فلا فصل بالأجنبي والنكتة في العدول هي الاهتمام بشأن الظرف، أو المراد منامكم في الزمانين وطلب المعاش فيهما فحذف من أحد المتقابلين ما يقابل الآخر للدلالة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهم، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ أي: إراءة البرق نزل الفعل مترلة المصدر، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: إراءة خوف وطمع أو إخافة

(١) قيل: المراد كيفية النطق فلا أحد لكنة وللآخر فصاحة ولا تسمع منطقتين متفقيين في ممر

واحد ولا جھارة ولا حدة ولا رخاوة / ١٢ وجيز.

(٢) قال الله تعالى: "جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله"، [القصص: ٧٣]

و"جعلنا الليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا" [النبا: ١٠-١١] / ١٢ وجيز.

وإطماعاً من الصاعقة، وفي الغيث أو خائفين وطامعين أو مفعول له لفعل يلزم المذكور كأنه قيل يجعلكم راثين البرق خوفاً وطمعاً، ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: إنزاله منه، ﴿فَيُخْضِ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ يعنى قائمتان بأمره لهما، وتسخيره إياهما من غير مقيم مشاهد لما كان القيام غير متغير أخرج الفعل بما يدل على أنه اسم، وهو إن ليدل على الثبوت لكن إراءة البرق لما كانت من الأمور المتجددة لم يذكر معها ما يدل على المصدر، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُم تَخْرُجُونَ﴾، عطف على أن تقوم أي: ومن آياته قيام السماء ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وثم لعظم ما فيه، ومن الأرض ظرف دعاكم وإذا الثانية للمفاجأة تنوب مناب الفاء في جواب الشرط، ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً، ﴿كُلُّ لَّهُ قَانُتُونَ﴾: منقادون لتصرفه فيهم، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ﴾ أي: أن يعيده، ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، بالقياس إلى أصولكم وإلا فهما عليه بالسوية، أو أهون بمعنى هين قيل: أهون على الخلق فإنهم يقومون بصيحة واحدة فهو أهون من أن يكونوا نطفاً، ثم كذا ثم كذا ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾: الوصف العجيب الشأن الذي ليس لغيره ما يدانيه كالوحدة والقدرة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي يغلب ولا يغلب، ﴿الْحَكِيمُ﴾^(٢): في أفعاله.

(١) وهذه نتيجة جميع الآيات المتقدمة فإن من أذعن وفهم تلك الآيات يعرف أن هذه

الآيات العظيمة ظاهرة ثابتة لا ينكرها إلا من ليس له تدبر وسمع وعقل/ ١٢ وحيز.

(٢) فكيف لأحد أن يتخذ أحداً شريكاً له في ألوهيته، ضرب لكم مثلاً من أنفسكم منتزعاً

• من أحوال أنفسكم في فساد اعتقاد أن لله شركاء هل لكم من ما ملكت أيمانكم من

ممالككم مع أن الملكية فيه عارض قابل للزوال ومملوككم مثلكم في أنه بشر وفي

الهيئات، ومملوك الله مبائن غير مشابه في شيء/ ١٢ وحيز.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ
 شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ
 كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾
 فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
 لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُبِينٌ
 إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِّنَ
 الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾
 وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينٌ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا
 فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
 تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ
 يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا
 قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن
 يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتَاكَ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ
 وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ
 اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ
 يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: منتزعا من أحوالها من للابتداء، ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من ممالككم، من للتبويض، ﴿مِّنْ شُرَكَاءَ﴾، من زیدت للتأكيد، لأن الاستفهام بمعنى النفي، ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من أموال وأولاد، ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، يعنى: هل ترضون أن يشارحكم بعض ممالككم في أموالكم فتكونون أنتم وهم على السواء من غير تفصلة في التصرف، ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: تهابون أن يستبدوا بتصرف، ﴿كَخِيفَتَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾، كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف لرب الأرباب مالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء، كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التفصيل، ﴿تَفْصِيلُ﴾: نبين، ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١) بل اتبع الذين ظلموا: أشركوا، ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين ليس لهم رادع، ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: من يقدر على هداية من أراد الله إضلاله، ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾: يخلصونهم من الغواية وبوائقها، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾^(٢): قوم، ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: لا تلتفت عنه وتوجه بكليتك إليه، وحنيفا حال إما من فاعل أقم أو من الدين، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾: الزموا فطرته، أي: خلقته أو دينه، ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فإنه فطر الخلق على معرفته وتوحيده^(٣) ثم طرأ على بعضهم العقائد الفاسدة، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ﴾: ما ينبغي أن يبدل تلك الفطرة، وقيل: لا تبديل لما

(١) لا لجاهل لا يعرف الغث من السمين / ١٢ وحيز.

(٢) يعنى لما علمت أن الله أضلهم وليس لهم ناصر فأعرض عنهم؛ وتوجه بكليتك إلى الله / ١٢ وحيز.

(٣) كما قال -صلى الله عليه وسلم-: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه [أخرجاه في الصحيحين] يعنى العقائد الفاسدة لم تطرأ إلا من خارج / ١٢ وحيز.

جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة، ﴿ذَلِكَ﴾، إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة المفسرة بالدين، ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستوى الذى لا عوج فيه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: استقامته، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه بالتوبة حال من فاعل الزموا أو أقم وخطاب^(١) الرسول خطاب لأمته، ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل من المشركين، ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: جعلوه أدياناً مختلفة، ﴿وَكَانُوا شِيْعًا﴾: فرقاً، ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: منهم، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ﴾: مسرورون بمذهبهم يحسون أنهم على شيء، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾: شدة، ﴿دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾^(٢): بالدعاء، ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾: خلاصاً من تلك الشدة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرِهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجأ بعضهم بالإشراك بالله، ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، اللام لام العاقبة، ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أو لام الأمر للتهديد فيناسب قوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾، لكن فيه التفات للمبالغة، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة تمتعكم، ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ﴾: بل أنزلنا، ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: حجة، ﴿فَهُوَ﴾^(٣)، ﴿يَتَكَلَّمُ﴾: ينطق، ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: الحجة ناطقة بالأمر الذى بسببه يشركون أو بإشراكهم بالله، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة، ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: فرح البطر، ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدة، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، من المعاصي، ﴿إِذَا هُمْ﴾^(٤) يَقْنَطُونَ فاجأوا القنوط من رحمة الله، ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ

(١) ولذا أتى بصيغة الجمع / ١٢.

(٢) وحدوه بالتضرع، والدعاء وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لا يكشف السوء إلا الله / ١٢.

(٣) والتكلم مجاز نحو: " هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق " [الجنائية: ٢٩] / ١٢ وحيز.

(٤) قال صاحب البحر: لا نعلم إذا الفجائية جواب إن إلا فى موضعين هذا وفى " وإن لم

يعطوا منها إذا هم يسخطون " [التوبة: ٥٨] / ١٢ وحيز.

يَشَاءُ وَيَقْدِرُ: يضيق لمن يشاء فما لهم يقنطون من رحمته ولا يشكرون كالمؤمنين، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، فإنهم مستدلون بها على حكمته وقدرته، ﴿قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾: من الصلة والبر، لما ذكر بسط الرزق أتبعه ذكر الصدقة، فجيء بالفاء، ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وحقهم نصيبهم من الصدقة، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: جهته، وجانبه أو يريدون النظر إليه في الآخرة، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم، ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا﴾، أي: ما أعطيتم من أجل ربا، ﴿لَيَرْثُو﴾: ليزيد ويزكو، ﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ أي: بين أموالهم^(١)، ﴿فَلَا يَرْثُو﴾: لا يزكو، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، ولا يثاب عليه يعني من يعطى عطية يريد أن يرد المهدى له أكثر مما أهدى فلا ثواب له لكن هذا ليس بحرام أو الآية في الربا المحرم والأول هو قول السلف، ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾: صدقة، ﴿تُرِيدُونَ﴾: به، ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: مخلصين، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ﴾ أي: ذو الإضعاف من الثواب وضمير ما محذوف أي المضعفون به، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّنْكُمْ مِّن شَيْءٍ﴾، "من" موصولة مبتدأ و"من شركائكم" خبره و"من" للتبعض، و"من شيء" مفعول يفعل ومن زیدت لتعميم المنفى ومن في "من ذالكم" إمّا للبيان قدم أو للتبعض، قيل من استفهامية ويفعل خبره ومن شركائكم بيان من قدم عليه وفي هذا الوجه من المبالغة ما ليس في الأول ولما أثبت صفات الألوهية لله ونفاها عن الشركاء استنتج من ذلك تقدسه عن الشركة فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾، عطف على ناصب سبحانه، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(١) بين أموال الناس فيرجع إليه كمن أرسل غنمه بين غنم الناس ليسمن في مراعاتهم فيرجع إليه بعد سمنها / ١٢.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ
 الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿١١﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْقَنِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿١٢﴾ مَنْ
 كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿١٣﴾ لِيَجْزِيَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾
 وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ
 الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ
 أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ
 فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ
 يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ
 يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ
 لُمُبْتَاسِينَ ﴿١٨﴾ فَانظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا
 رِيحًا قَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى
 وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ
 ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٢﴾ * ﴿

﴿ظَهَرَ^(١) الْفَسَادُ﴾ كالجذب وقلة الأمطار، وقلة الريح وكثرة الوباء، والخن ومحقق
البركات، ﴿فِي الْبَرِّ﴾: الفيافي، ﴿وَالْبَحْرِ﴾: الأمصار والعرب تسمى الأمصار البحار
أو المراد منهما المعروفان، وقالوا: إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وختل أجواف
الأصداف، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾: من المعاصي، ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ﴾ أي: جزاء
بعض، ﴿الَّذِي عَمِلُوا﴾: في الدنيا واللام للعلة متعلق بظهر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ^(٢)﴾:
عما هم عليه، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾،
ليروا في منازلهم آثار البلاء وكيف خسر كان، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾، استئناف
للدلالة على سوء عاقبتهم لفشو الشرك فيهم، ﴿فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: قوم وجهك
له وعدله، ﴿الْقِيمِ﴾: البليغ الاستقامة، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾: لا يقدر
أن يرده أحد، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، ظرف يأتي أو مرد أي: لا رد من جهته لأن إتيانه في
علمه القديم ومرد مصدر بمعنى الرد، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾: يتفرون فريق في الجنة
وفريق في السعير، ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ^(٣)﴾: لا على غيره، ﴿كُفْرُهُ﴾: وبال كفره،
﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: عملاً صالحاً، ﴿فَلَا نَفْسِهِمْ﴾ لا لغيرها، ﴿يَمْهَدُونَ﴾:
يسوون في آخرهم منزلاً، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾،
علة ليصدعون أو للا مرد أو ليأتي، والاقتصار على جزاء المؤمن للإشعار بأنه المقصود

(١) ولما ذكر دلائل الوحدة، ونفى الشرك وظهر من الكلام عنادهم ولجاجهم في ارتكاب
ما لا يرضى به الله تعرض لبيان ما يستلزمه في الدنيا فقال: "ظهر الفساد" وبارتفاع
البركات وحدوث الرزايا والفتن أو غلبة الكفار / ١٢ وحيز.

(٢) يعني أنه تعالى أفسد أسباب دنياهم ومحققها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن
يعاقبهم بها جميعاً في الآخرة لعلهم يرجعون فلا يذيقهم الباقي / ١٢ وحيز.

(٣) ذكر في الكفر بعلية دلالة على الثقل والمشقة، وفي المؤمن باللام التي كلام الملك والنفع
ليجزى أي: يصدعون ليجزى إلخ / ١٢ وحيز.

بالذات أو الاكتفاء على فحوى قوله «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ»، فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين، ومن فضله دال على أن الإثابة تفضل محض، «وَمِنْ آيَاتِهِ^(١) أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ^(٢)»: بالمطر فالصبا والشمال والجنوب رياح رحمة، «وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ»: التابعة لتزول المطر كالخصب، وزكاء الأرض وغيرهما عطف على مبشرات بحسب المعنى أو على محذوف أى مبشرات بالمطر لفوائد جمعة وليذيقكم، «وَلِتَجْرِيَ^(٣) الْفُلُكُ»: هذه الرياح، «بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ»، يعنى تجارة البحر، «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»: ولتشكروا نعمة الله، «وَلَقَدْ^(٤) أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ» كما أرسلناك، «فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ»: المعجزات الظاهرات فبعضهم كذبوا بها، «فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا» وهم المكذبون، «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا» من جهة الوعد واللطف، «نُصْرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٥)»، فيه تبشير النبى

(١) ولما بين أن معاصى الإنسان سبب لظهور الفساد فى البر والبحر ذكر ما أنعم فيهما فقال: "ومن آياته أن يرسل الرياح" الآية / ١٢ وحيز.

(٢) بعضها لتحصيل السحاب وبعضها لجمعه وبعضها للأمطار والصبا والشمال رياح الرحمة بخلاف الدبور / ١٢ وحيز.

(٣) فى ذهابه وإيابه ولولم يكن الرياح المختلفة لا يستوى سير الفلك المختلف مقصدها/ ١٢ وحيز

(٤) ولما بين دلائل الوحدة والمعاد بين الأصل الثالث الذى هو النبوة التى كالغيث كما فى الصحيحين (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كالغيث) الحديث بطوله وأتبعه بقوله: "ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً" الآية / ١٢ وحيز.

(٥) هو اسم كان وأخره رعاية للفاصلة والاهتمام بالخبر وفى هذه العبارة بشارة عظيمة قيل يوقف على حقا، وفى كان ضمير أى الانتقام حق لا ظلم ثم ابتدأ وقال: "علينا نصر المؤمنين" ولما أجمل أمر بشارة الرياح لطفًا عامًا لأن، يشكروا ووعد الشاكر وأوعد الكافر وأنس نبىه - صلى الله عليه وسلم- فصل أمر الرياح واستدل بما يتبعها للمعاد فقال: "الله الذى" الآية / ١٢ وحيز.

عليه السلام والمؤمنين، «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا»: تخرجه من أماكنه، «فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ»: في سمتها، «كَيْفَ يَشَاءُ»: سائراً وواقفاً مطبقاً وغيره إلى غير ذلك، «وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا» أي: تارة يبسطه وتارة يجعله قطعاً، «فَتَرَى الْوَدْقَ»: المطر، «يَخْرُجُ»: في التارتين، «مِنْ خِلَالِهِ»: وسطه، «فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» فاجأوا بالاستبشار، «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ»: المطر، «مِنْ قَبْلِهِ» تكرير للتأكيد ومعنى التأكيد الدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم، «لَمُبْلِسِينَ» آيسين، عن بعض الفضلاء إن الظرف الأول لمبلسين، والثاني ليتزل، أي: يتزل من قبل وقت نزوله كما إذا كنت معتاداً لعطاء من أحد في وقت معين فتأخر عن ذلك الوقت، ثم أتاك به فتقول: قد كنت آيساً من قبل أن تجيئني بهذا من قبل هذا الوقت، «فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ»: الغيث، «كَيْفَ يُخَيِّى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ» أي: من هو يحيى الأرض، «لَمُخَيِّى الْمَوْتَى»: بعد إماتتهم، «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا^(١) رِيحًا»: مضرة، «فَرَأَوْهُ» الضمير لأثرها أي: النبات والزرع، «مُضْفَرًا»: من الجائحة، «لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ» من بعد اصفرار الزرع، «يَكْفُرُونَ» وأما المؤمنون فيفرحون بتزول الرحمة لا فرح بطر ويشكرون ويرون الجائحة من شؤم أنفسهم ويستغفرون، واللام موطئة للقسم، وقوله " لظلوا " جواب له ساد جزاء الشرط، «فَإِنَّكَ^(٢) لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى»: والكفار في عدم جدوى السماع مثلهم، «وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» الأصم

(١) وفي الحديث (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) [ضعيف، أخرجه الطبراني وغيره]،

أيها: إن أرسلنا ريحاً مضرة/ ١٢ وجز.

(٢) ولما علم من قوله: " لظلوا من بعده يكفرون " أن ليس لهم تدبر ولا بصيرة ناسب أن

يتبعه بالفاء في قوله: " فإنك لا تسمع الموتى " الآية / ١٢ وجز.

المقبل ربما يظن من الكلام بمعونة مشاهدة القرائن شيئاً منه بخلاف المدبر، ﴿وَمَا أَلْتَّ بِهِادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ﴾ والكفار كمن لا عين له يضل الطريق وليس لوسع أحد أن يترع عنه العمى، ويجعله بصيراً، ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: ما ينفع الإسماع إلا لمن علم الله أنه يصدق بآياته وما طبع على قلبه، ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون لما تأمرهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٣٦﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَذِي لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جُنَّتْهُمْ بَيَّاتَةٌ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٤٠﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿اللَّهُ﴾^(١) الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً*﴾، يعني: ابتداءكم ضعفاً كقوله: "خلق الإنسان من عجل" [الأنبياء: ٣٧] يعني أساس أمرهم

(١) ولما ذكر من الدلائل الآفاقية ما هو دال على الإعادة ذكر شيئاً من الأنفسية دالاً على ذلك فقال: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ" الآية / ١٢ وجيز.

(٥) قرأ حفص (أي: في "ضعف" الأولى، و"ضعف" الثانية، و"ضعفاً" الثالثة) بضم الضاد وفتحها في الثلاثة لكن الضم مختار / ١٢.

وما عليه جبلتهم الضعف، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(١): رجع إلى حالة الطفولية، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ فإن هذا التردد في هذه الأحوال أظهر دليل على صانع عليم قدير، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، ﴿يُقْسِمُ﴾: يحلف، ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون، ﴿مَا لَبِثُوا﴾ في الدنيا، ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ واحدة، ومقصودهم بذلك عدم الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا، أو لم يمهلوا ليؤمنوا أو مرادهم ما لبثوا في قبورهم، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الصرف، ﴿كَأَنَّهُمْ يُؤْفَكُونَ﴾^(٢)، عن الصدق في الدنيا أراد الله تفضيحهم فحلفوا على ما تحقق كذبه على الكل، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾: ردًا عليهم، ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: في علم الله أو اللوح المحفوظ، ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ يعني: مبين في كتاب الله أنكم لبثتم من ساعة، بل إلى يوم البعث، ومعلوم أنه مدة ممتدة، وعن بعض معناه: الذين أوتوا العلم في كتاب الله يعني: الذين قرءوا في القرآن، "ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون" [المؤمنون: ١٠٠] قالوا للمنكرين: لقد لبثتم في البرزخ إلى يوم البعث، وقيل: معناه لبثتم في تصديق كتاب الله إلى يوم القيامة، ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ أي: إن كنتم منكرين البعث فهذا^(٣) يومه، ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يطلب منهم إزالة غضب الله عليهم بالتوبة، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: بينا لهم من كل مثل يرشدهم إلى التوحيد والبعث، ﴿وَلَكِنَّ جِثَّتَهُمْ بَايَةٌ﴾ أي آية كانت، ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ

(١) قد صرح بعض اللغويين أن الضعف بالضم في البدن وبالفتح في العقل/ ١٢ وحيز.

(٢) ولما أثبت قدرته على البعث ذكر شيئاً من أحواله فقال: "ويوم تقوم

الساعة / ١٢ وحيز.

(٣) فالغرض من الإغراق في وصف المحرمين بالتمادي، والإصرار على الباطل/ ١٢ وحيز.

(٤) فالفاء لجواب شرط مقدر / ١٢.

كَفَرُوا: من فرط عنادهم، ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ أي: ما الرسول والمؤمنون، ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: مزورون، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الطبع، ﴿يُطَبِّعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فلا يدخلها إيمان ولا إيقان والأصل على قلوبهم وضع المظهر موضع المضمحل لبيان جهلهم، ﴿فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: فينصركم ولو بعد حين، ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ﴾^(١): لا يحملنك على الخفة والجرع، ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢): المشركون.

والحمد لله رب العالمين

(١) النهي وإن كانت لغيره لكنه في الحقيقة راجع إليه فهو كقوله: لا أرينك هاهنا/١٢ كمالين.

(٢) بل شاكون ضالون ولا يليق بأهل اليقين أن يستخفه مثلهم/١٢ وحيز.

سورة لقمان مكية

قيل الإثلاثا من قوله: "ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام"

وهى أربع وثلاثون آية وأربع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿الْم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن
لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَآءٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ
حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي
الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ المشتمل على الحكم، أو المحكم آياته قيل:

وصف كتاب الله بصفة الله على الإسناد المجازي، ﴿هُدًى﴾ حال ^(١) عن الآيات،

(١) العامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة أي: أشير إلى آياته حال كونه هدى

ورحمة ١٢/ جلالين مع الكمالين.

﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: أيقنوا بالدار الآخرة، والجزاء فيها فرغبوا إلى الله وأخلصوا العمل، ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١): في الدارين، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ^(٢) الْحَدِيثِ﴾، من^(٣) يحب الغناء ويختاره، والمزامير على حديث الحق أو يشتري المغنيات ويرغب الناس في سماعها أي: ذات هو الحديث أو نزلت في من^(٤) اشترى كتب أخبار سلاطين العجم، ويحدث بها قريشًا فيختارون استماعه على

(١) ولما وصف القرآن بأنه مشتمل على الحكم فمن تمسك به فهو حكيم، ومن أعرض عنه فهو سفيه ذكر على سبيل التعجب فقال: "ومن الناس" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) هو الحديث قال القرطبي: إن أولى ما قيل في هذا الباب هو تفسير هو الحديث بالغناء قال: وهو قول الصحابة والتابعين، وعن ابن عباس -رضى الله عنه- قال: هو الغناء وأشباهه، أخرجه البخاري في الأدب المفرد وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: هو والله الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات [أخرجه الحاكم (٤١١/٢) وصححه] قال الطبري: قد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد، وعبد الله العنبري قال الشوكاني في نيل الأوطار بعد نقل الاختلاف فيه مع الأدلة: لا يخفى على الناظر أن محل النزاع إذا خرج عن دائرة الحرام يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح، (ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) [جزء من حديث أخرجه في الصحيحين] ولا سيما إذا كان مشتملاً على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال والهجر والوصال ومعاقرة العقار وخلع العذار والوقار فإن سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وإن كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتل دمه مظلول وأسير المهموم غرامه وهيامه مكبول نسأل الله السداد والثبات / ١٢ فتح.

(٣) رواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود / ١٢ كمالين.

(٤) وهو النضر بن الحارث / ١٢ جلالين.

استماع القرآن، «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»: عن دينه، «بِغَيْرِ عِلْمٍ» حال من فاعل يضل قال قتادة رضى الله عنه: بحسب المرء من الجهل أن يختار حديث الباطل على الحق أو يشره بغير علم بالتجارة^(١) وبغير بصيرة، «وَيَتَّخِذَهَا» أي: سبيل الله، «هُزُوءًا»: سخرية، «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ»: لإهانتهم^(٢) الحق، «وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى»: أعرض عنها، «مُتَّكِبِرًا» متكبرًا، «كَأَنَّ» أي: كأنه، «لَمْ يَسْمَعْهَا»، حال أي: مشابهاً حاله بحاله أو استئناف، «كَأَنَّ فِي أَذُنِهِ قِرَاءًا»، ثقلًا مانعًا عن الاستماع بدل من كان أو حال من فاعل لم يسمع أو استئناف، «فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» فيه هكـم^(٣)، «إِنَّ»^(٤) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ مصدر مؤكد لنفسه، «حَقًّا» مؤكد لغيره، «وَهُوَ الْعَزِيزُ»: الغالب المطلق، «الْحَكِيمُ»: في أفعاله، «خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»: صفة لعمد يعنى لها عمد غير مرئية أو استئناف أي: ترونها لا عمد لها، «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ»: جبالاً شوامخ، «أَنْ تَمِيدَ» كراهة أن تميد «بِكُمْ» فإن الأرض كانت تضطرب قبل خلق الجبال، فلا يمكن السكون على وجهها، «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ»: من كل صنف كثير النفع، «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ»: مخلوقه، «فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ

(١) بالتجارة وبغير بصيرة بالبيع والشراء حيث استبدل الضلال بالهدى / ١٢ وحيز.

(٢) بالسخرية / ١٢.

(٣) فإن من قال البشارة تستعمل في ما لا يسر أيضاً يسلم أن المتبادر منها السرور وضمير ليشتري ويضل محمول على لفظ من، وفي أولئك لهم حمل على المعنى ثم في عليه وفيما بعده على اللفظ / ١٢ وحيز.

(٤) لما بين سبحانه وتعالى من يعرض عن الآيات بين حال من يقبل عليها فقال: "إن الذين آمنوا" الآية / ١٢ فتح.

دُونِهِ ﴿١﴾ أَي: أَلْهَنَكُمْ حَتَّى اسْتَوْجَبُوا عِنْدَكُمْ عِبَادَتَهَا وَنَصَبَ مَاذَا بَخْلَقَ أَوْ مَاذَا مَبْتَدَأَ وَخَبِرَ أَي: مَا الَّذِي خَلَقَ وَحَيْثُذَ أَوْ أَرُونِي مَعْلَقَ عَنْهُ، ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أَضْرَبَ عَنْ تَبْكِيَّتِهِمْ إِلَى التَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِضَلَالٍ لَيْسَ بَعْدَهُ ضَلَالٌ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ اللَّهِ فِي عَمَينِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦﴾ يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٩﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ الْأَصْح، بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهُ ^(١) مَا كَانَ نَبِيًّا، بَلِ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا أَدْرَكَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّهُ عَبْدٌ

(١) وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ إِلَّا عِكْرَمَةُ فَإِنَّهُ قَالَ: كَانَ لُقْمَانُ نَبِيًّا، وَتَفَرَّدَ بِهَذَا الْقَوْلِ / ١٢ كَمَالِينَ.

أسود^(١) آتاه الله تعالى الحكمة، وعن بعض: إن الله خيرته بين النبوة، والحكمة، فاختار الحكمة فإن فيها السلامة، ﴿أَنْ اشْكُرْ﴾، أي: لأن أو مفسرة فإن إيتاء الحكمة في معنى القول، ﴿لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: نفعه لا يعود إلا إليه، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: لا يحتاج إلى شيء، ﴿حَمِيدٌ﴾: حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد، ﴿وَإِذْ قَالَ^(٢) لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ﴾، تصغير إشفاق، ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، نقل أن ابنه وامراته كانا كافرين فما زال بهما حتى أسلما، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾: برعايتهما، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ^(٣)﴾: تضعف ضعفاً فوق ضعف أو ذات^(٤) وهن على وهن، ﴿وَفَصَّالَةٌ﴾: فطامة، ﴿فِي عَامَيْنِ﴾، أي: في انقضائهما، وذلك أقصى مدة الرضاع عطف على الجملة الحالية التي هي تهن وهناً على^(٥) وهن لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المتاعب في حملة، وفصالة إيجاباً للتوصية بها خصوصاً، ﴿أَنْ اشْكُرْ﴾ تفسير لوصينا

(١) روى أنه تعجب شخص من وجاهته عند الخلق مع أنه أسود غليظ الشفتين فقال: غضى لبصرى وكفى لسانى وتركى ما لا يعننى صيرنى كما ترانى/ ١٢ وجيز. وقد حكى الله سبحانه من مواعظه لابنه ما حكاه وفيه كفاية، وما عدا ذلك مما لم يصح فليس في ذكره إلا شغلة للخير وقطیعة للوقت، ولم يكن نبياً حتى يكون ما نقل عنه شرع من قبلنا ولا صح إسناده ما روى عنه من الكلمات حتى يكون ذكر ذلك من تدین وكلام الحكمة التي هي ضالة المؤمن / ١٢ فتح.

(٢) أى اذكر إذ قال حتى تعرف من كلامه وحكمته / ١٢ وجيز.

(٣) عن ابن عباس رضى الله عنه شدة بعد شدة / ١٢ وجيز.

(٤) على الوجه الأول، وهناً مصدر لفعله المحذوف، والجملة الحالية وعلى الثانى وهناً حال

مفرد بتقدير مضاف / ١٢ منه.

(٥) عطف الاسمية على الفعلية / ١٢ وجيز

أو علة له^(١)، «إِلَى وَلَوِ الدِّينُكَ إِلَى المَصِيرِ» فأجازيك^(٢)، «وَإِنْ جَاهَدَاكَ»: بالغناك وحرصناك، «عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» أي: ما ليس بإله يعني: ما ليس لك علم باستحقاقه للإشراك تقليدًا للوالدين فـ "ما ليس" مفعول تشرك، «فَلَا تُطْعِمُهُمَا»: في ذلك، «وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» أي: صاحبًا معروفًا مشروعًا حسنًا بخلق^(٣) جميل وحلم وبر ومروءة، «وَاتَّبِعْ»: في دينك، «سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ»: رجع، «إِلَيَّ»: بالتوحيد والطاعة، «ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ» أي: المولد والوالدين، «فَأُتْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»: يجزاء عملكم والآيتان أعني: ووصينا إلى هنا وقعتا في أثناء وصية لقمان على سبيل الاستطراد^(٤) تأكيدًا لما في وصيته من النهي عن الشرك، وقد نقل أهما نزلتا حين قالت أم سعد لسعد حين أسلم: لتدعن دينك أو لأدع الطعام والشراب حتى أموت، فأجاب: والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا بشيء إن شئت كلى وإن شئت لا تأكل، «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا» أي: الخصلة السيئة قيل: إن لقمان قال^(٥) ذلك في جواب ابنه حين قال له: إن عملت

(١) فإن موجدك وهما واسطتان / ١٢ وحيز.

(٢) فأجازيك في شكرك عن ابن عيينة -رضي الله عنه- في هذه الآية: من صلى الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين / ١٢ منه ووجيز.

(٣) وكفى بهما وصية إنهما إن أمرا بالشرك فليس عليه سوى اللين والكلام الطيب مثل أن يقول: هل ترضين يا أمي الشقاوة لي والعذاب المخلد، ومثل ذلك / ١٢ وحيز.

(٤) وفيها تشديد وتأكيد لاتباع الوالد والوالدة، والنهي عن الشرك والصحيح أن هذه الآية وآية العنكبوت نزلتا في سعد بن أبي وقاص، وعن جماعة من السلف الآيتان مما أوصى به لقمان لابنه أخبر الله عنه بذلك بعبارته المنسوبة إلى نفسه الأقدس وقيل: من كلام الله قاله للقمان يعني: وقلنا له ووصينا / ١٢ وحيز.

(٥) نقله محيي السنة عن قتادة / ١٢ منه.

خطيئة حيث لا يرى أحد كيف يعلمها الله؟ ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ^(١) مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾: في أخفى مكان وأحرزه، وعن بعض^(٢) إن المراد منها: صخرة تحت الأرضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار، ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾، أو فى أعلى مكان أو أسفله، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾: يحضرها يوم القيامة للجزاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: يصل علمه إلى كل^(٣) خفى، ﴿يَا بُنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾: من الشدائد، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الصبر أو المذكور كله، ﴿مِنْ عَزْمٍ^(٤) الْأُمُورِ﴾ أي: مما عزمه الله أى قطعه وأوجه من الأمور، وهو مصدر للمفعول أى من معزوماتها أو مفروضاتها، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾: لا تمل، ﴿لِلنَّاسِ﴾، كما يعمل المتكبرون، يعنى: لا تعرض عن الناس بوجهك إذا كلموك تكبراً، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: لا تفرح مفرحاً أو للفرح والبطر كما قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس) [الأنفال: ٤٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: ذى تكبر، ﴿فَخُورٍ﴾: يفنخر^(٥) على

(١) فى موقع الصفة لحبة.

(٢) نقله السدى عن ابن مسعود -رضى الله عنه- وابن عباس -رضى الله عنه- وجماعة من الصحابة/ ١٢ منه.

(٣) جواب لـ "إن" / ١٢.

(٤) فإنه هو خالقه وحافظه / ١٢.

(٥) جاز أن يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل أي: من عازمات الأمور من قوله تعالى: " فإذا عزم الأمر " [محمد: ٢١] نحو: جد الأمر وصدق القتال / ١٢ منه. وفى الوجيز وقد ورد (إن الله يحب أن يعمل برخصه كما يحب أن يعمل بعزائمه) [صحيح، بنحوه فى صحيح الجامع (١٨٨٥)، والإرواء] بمعنى مفروضاته.

(٦) على الناس ولهذا دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بـ "اللهم أحيى مسكيناً وأميتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين" [صحيح، انظر صحيح الجامع (١٢٦١)] / ١٢ وجيز.

الناس، ولا يتواضع، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسط بين الديب والإسراع،
 ﴿وَاغْضُضْ^(١)﴾: وانقص وأقصر، ﴿مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾: أوحشها،
 ﴿لِصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾ أي: لصوت ذلك الجنس من الحيوان، فإنه صوت رافع لا
 فائدة فيه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
 نِعْمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
 كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا
 عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ وَمَن
 يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ
 عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم
 بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ
 عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
 قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ
 وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبْحَرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ۝ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
 بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا

(١) وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت / ١٢ وحيز.

تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٧﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾^(١) أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ: بأن جعله أسباب منافعكم،
﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ﴾: أوفى وأتم، ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً﴾: محسوسة وما
تعرفونه، ﴿وَبَاطِنَةً﴾: معقولة وما لا تعرفونه، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾
أي: مع هذا بعض الناس يجادل في صفاته وإرساله للرسل، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ غير مستند
بحجة عقلية، ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أي: ولا نقلية من اتباع رسول وكتاب
واضح مضىء، بل قلدوا جهالهم كما قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ﴾: أتبعوهم ويقلدوهم؟ ولو كان الشيطان يدعوهم إلى جهنم! ﴿وَمَنْ
يُسْلِمْ﴾^(٢) وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ: انقاد لأوامر الله وتوكل عليه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله
باتباع الشرع، ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: اعتصم بأوثق حبل، مثل حال
المتوكل المطيع بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاستمسك بأوثق عروة من حبل
مأمون انقطاعه، ﴿وَالِإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: مرجعها إليه، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ
كُفْرُهُ﴾، فإنه بإرادتنا ولا يضرك، ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ يعني: لا

(١) ولما كانت السورة لاتباع القرآن الأمر بالتوحيد وحسن الأخلاق وأتى بحكاية لقمان،
فإنه مقدم على نزول القرآن وهو أمر بما أمر به القرآن رجع إلى دليل وجوب اتباع
كلامه فقال: "ألم تروا أن الله " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) معنى أسلم إن استعمل مع السلام الإخلاص نحو: "بلى من أسلم وجهه
للَّهِ" [البقرة: ١١٢]، وإن استعمل مع إلى فإنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى أحد
والمراد التوكل / ١٢ منه وكذا في الوجيز.

يضررك كفرهم، ونحن ننتقم منهم فعليهم ضره، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: فيجازيهم عليه فضلاً عن أعمالهم الظاهرة، ﴿ثُمَّ نَصْطَرُّهُمْ﴾: نلجئهم في الآخرة، ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد ثقيل على المعذب، ﴿وَلَئِنْ^(١) سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، إذ قامت الحجة عليكم باعترافكم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن ذلك إلزام لهم، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ المطلق لا يحتاج إلى عبادة عابد، ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد وإن لم يحمد، ﴿وَلَوْ^(٢) أَلَمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ﴾، عطف على محل (أن ما في الأرض) فإنه في المعنى فاعل لثبت المقدر بعد لو، ﴿يَمُدُّهُ﴾ أي: البحر وهو حال أو البحر مبتدأ ويمده خبره، والواو للحال من غير ضعف، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذلك البحر، ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾، فاعل يمدّه وهي للتكثير لا للحصر، وقد نقل أن في العالم سبعة أبحر محيطة بالعالم، ﴿مَا نَفَدَتْ^(٣)

(١) يعني: هم لا يتبعون رسولنا ولا كتابنا والله إن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله فهم معترفون بأنه هو الخالق مضطرون إلى هذا الجواب الحق، قل الحمد لله إذ قامت الحجة عليكم باعترافكم، بل أكثرهم لا يعلمون أن هذا اعتراف على ضلالهم وانتهى جهلهم إلى أن لا يعلمون موقع الحمد في هذا المقام ١٢/ وجيز.

(٢) ولما أثبت أنه غني حميد أخذ يبين أن لا حدً لغناه، ولا ضبط ولا حصر لمعلوماته الموجبة لحمده فقال: "ولو أن ما في الأرض" الآية ١٢/ وجيز.

(٣) قوله تعالى: "ما نفدت كلمات الله" فكلمات الله لا نهاية لها فإن قيل هذا تسلسل، فيقال: هذا ليس تسلسلاً في الفاعلين والعلل الفاعلية، فإن هذا ممتنع باتفاق العقلاء، بل هو تسلسل في الآثار والأفعال وحصول شيء بعد شيء وهذا محل النزاع، فالسلف يقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء، وقد قال تعالى: "قل لو كان البحر" إلى =

= " ولو جئنا بمثله مدداً " فكلمات الله لا نهاية لها، وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل، فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية / ١٢ شيخ الإسلام، وقال الحافظ ابن القيم في النونية:

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل	قلنا صدقتم وهو ذو إمكان
كتسلسل التأثير في مستقبل	هل بين ذينك قط من فرقان
والله ما افترقا لدى عقل ولا	نقل ولا نظير ولا برهان
في سلب إمكان ولا في ضده	هذى العقول ونحن ذو أذهان
فليأت بالفرقان من هو فارق	فرقاً يبين لصالح الأذهان

إلى أن قال:

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي	إذا هم بخلاف ذا التبيان
ولأى شيء لم يقولوا إنه	سبحانه هو دائم الإحسان
فاعلم بأن القوم لما أسسوا	أصل الكلام عموا عن القرآن
وعن الحديث ومقتضى المعقول بل	عن فطرة الرحمن والبرهان
بنوا قواعدهم عليه فقادهم	قسراً إلى التعطيل والبطلان
نفى القيام لكل أمر حادث	بالرب خوف تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم	إثبات صانع هذه الأكوان
إذ أثبتوه بكون الأجسام حا	دثة فلا تنفك عن حدثان
فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن	لحدوثها إذ ذاك من برهان
فلأجل ذا قالوا التسلسل باطل	والجسم لا يخلو عن الحدثان

إلى أن قال:

هذا الدليل هو الذى أرداهم بل هد كل قواعد القرآن =

كَلِمَاتُ اللَّهِ ﷻ يعنى لو ثبت أن أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر
وكتببت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات علم الله وحكمته لما نفذت ونفذت الأقلام
والمداد وهو كقوله^(١):

وهو الدليل الباطل المردود
ما زال أمر الناس معتدلاً إلى
ومكنت أجزأه بقلوبهم
رفعت قواعده ونحت أسه
إلى أن قال:

أ يكون حقاً ذا الدليل وما اهتدى
وفقتموا للحق إذا حرموه في
وهديتمونا للذى لم يهتدوا
وخلتم للحق من باب وما
وسلكتموا طرق الهدى والعلم
وعرفتم الرحمن بالأجسام
وهم عرفوه منها بل من
الله أكبر أنتم أو هم على
دع ذا أليس الله قد أبدى لنا
متنوعات صرفت وتظاهرت
معلومة للعقل أو مشهودة

إلى آخر ما بين وفصل وميز الحق عن الباطل والصواب عن الخطأ فجزاه الله خير
الجزاء/ ١٢.

(١) بيانه أن ما هو علة للنفاذ لو وجد يكون علة لعدم النفاذ فكيف لو لم يوجد علة للنفاذ!
فافهم ١٢/ منه.

(نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)^(١) نزلت حين قال أحبار اليهود: يا محمد بلغنا أنك تقول، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً أفغنيتنا أم قومك؟ فقال: كلاً، فقالوا: إنك تتلوا إنا قد أوتينا التوراة، وفيها تبيان كل شيء، فقال عليه السلام: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، وهذا يقتضى أن الآية مدنية، والمشهور أنها مكية، قال بعض السلف: أمر اليهود وفد قريش أن يسأله وهو بمكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾: في جميع شئونه، ﴿مَا خَلَقَكُمْ﴾^(٢) وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَي: إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، فإنه يكفى في الكل تعلق الإرادة، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: يسمع ويصير كل مسموع ومبصر لا يشغله شأن عن شأن^(٣)، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: فيطول النهار ويقصر الليل، ﴿وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾: منهما، ﴿يَجْرِي﴾: في فلكه، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقت معين الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر، أو الأجل المسمى يوم القيامة فحينئذ ينقطع جريهما، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ﴾: أي: اختصاصه تعالى بسعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع، ﴿بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت إلهيته، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

(١) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" (٣٩١/٢) وقال: "اشتهر في كلام الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية من حديث عمر، وبعضهم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم"، وذكره البهاء السبكي أنه لم يظفر به بعد البحث، وكذا كثير من أهل اللغة، لكن نقل في المقاصد عن الحافظ ابن حجر أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد.

(٢) ولما بالغ في عدم تناهى علمه شرع يبالغ في قدرته، فقال: "ما خلقكم" الآية / ١٢

وحيز.

(٣) كذلك الخلق والبعث / ١٢.

الباطل»: إلهيته، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ مترفع ومتسلط على كل شيء أو معناه ذلك الذى أوحى إليك بسبب بيان أنه هو الحق وأن إلهًا غيره باطل وأنه على كبير أن يشرك به.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾: برحمته وإحسانه، ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: لكل مؤمن فقد ورد "الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر" (٢) أو لأن كون الفلك وأحوالها آية لا يدرى كما هي إلا كثير الصبر والشكر ممن ركبها فلم يقلق فيها وتأمل في غرائبها ثم إذا خرج منها ما كفر، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾: علاهم، ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كالجبال والسحاب، ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: لا يدعون معه غيره تركوا التقليد واتبعوا الفطرة،

(١) ولما تم قدرته في السماء شرع في بيان قدرته في الأرض فقال: "ألم تر أن الفلك" الآية

/ ١٢ وحيز.

(٢) صبر عن المألوف وشكر على المعروف [وهو ضعيف جدًا، وراجع الضعيفة] ١٢/ وحيز.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: متوسط في العمل لا يعمل بكل ما عهد ولا يترك كله، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾، الختر: أشد الغدر، ﴿كُفُورٍ﴾ للنعم والحاصل أن الناجي من البحر قسمان قسم بين بين، وقسم ينكر نعم الله، وأما العامل بجميع ما عهد فقليل نادر، ﴿يَا أَيُّهَا^(١) النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي: لَا يَقْضِي، ﴿وَالِدٌ^(٢) عَنْ وَلَدِهِ﴾: فيه، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ^(٣) مَبْدَأٌ، ﴿هُوَ جَاZ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾، خبره قيل: تغيير للأسلوب بطريق التأكيد لقطع أطماع المؤمنين أن ينفعوا آباءهم الكفرة في الآخرة فإن آباء أكثر الصحابة ماتوا على الجاهلية، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ: بِالْجَزَاءِ، ﴿حَقٌّ﴾: لَا يُمْكِنُ خُلْفُهُ، ﴿فَلَا تَعْرَتُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: الشيطان فينسيكم عقابه ويطمعكم في رحمته بلا طاعة، ﴿إِنَّ اللَّهَ^(٤) عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: علم وقت قيامها عنده لا يعلمه غيره وعنده خبر علم الساعة والجملة خبر إن، ﴿وَيُنَزَّلُ الْغَيْثُ﴾، الظاهر أنه عطف على خبر إن ولا شبهة أن المقصود اختصاص هذا العلم لا محض القدرة على الإنزال واسم الله الجامع إذا وقع مسند إليه ثم

(١) ولما ذكر من أول السورة دلائل التوحيد والبعث شرع في النصيح والموعظة فقال: " يا أيها الناس " الآية / ١٢ وحيز.

(٢) ولما كان الوالد أشفق على الولد من الولد على أبيه بدأ به وشفقته متجددة في الأحوال فنفي شفقته المتجددة بصيغة المضارع / ١٢ وحيز.

(٣) أتى بصيغة اسم الفاعل الدال على الثبوت والثبوت يصدق بالمرّة الواحدة والولد يطلق على ولد الولد لكن المولود لا يطلق إلا على من ولد منك فيه أن أحدكم لو شفع لأبيه لم تقبل فضلاً أن يشفع لجدّه، وشيئاً يحتمل أن يكون من باب التنازع لا لا يحزى ولجاز/ ١٢ وحيز.

(٤) ولما أثبت قيام القيامة وكرر وبالع بأن طول الحياة والتمتع بزيتها والشيطان لا ينسيكم اليوم طالت الأعناق إلى العلم ترقبها فقال: " إن الله عنده علم الساعة " / ١٢ وحيز.

بنى عليه الخبر على إرادة تقوى الحكم أفاد تخصيصاً لاسيما إذا كان عطفاً على
 المختص كما حققه الزمخشري في مواضع، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: أنه ذكر أو أنثى
 لا يعلم أحد وقت نزول الغيث إلا عند أمر الله به فإنه يعلم حيثئذ الملك ومن شاء من
 خلقه وكذلك لا يعلم أن ما في الرحم ذكر أو أنثى إلا حين ما أمر بكونه ذكر أو أنثى
 شقياً أو سعيداً، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: خيراً أو شراً عطف على
 جملة إن الله، أثبت اختصاصه به تعالى على سبيل الكناية على الوجه الأبلغ، ﴿وَمَا
 تَدْرِي نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وإن استوفى حيلها وإذا كان حال شيء أخص به
 فكيف هو من معرفة ما عداهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: فلا يخفى عليه خافية، وفي
 الحديث (مفاتيح الغيب خمس) وتلا هذه الآية (*).

والحمد لله رب العالمين.

(*) أخرجاه في الصحيحين، من حديث ابن عمر مرفوعاً.

سورة السجدة مكية

قيل إلا ثلاث آيات من قوله "أفمن كان مؤمناً"

وهي ثلاثون أو تسع وعشرون آية وثلاث ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
 افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ
 لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
 أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ
 كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ
 الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾
 ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ
 وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا
 ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ *
 قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
 تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿الْم تَزِيلُ الْكِتَابِ﴾ هو خير (الم) إن كان (الم) اسماً للسورة ، والتزِيل بمعنى: المتزل، وإلا فخير مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لأن نافي الريب معه، وهو كونه معجزاً، وقوله: ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثان أو هو الخبر و(لا ريب

فيه) اعتراض لا محل له وضمير فيه لمضمون الجملة يعني: لا ريب في كونه مترلاً من رب العالمين ، ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل أيقولون ، ﴿افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أثبت أولاً أن تنزيله من الله وأن ذلك لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك بقوله: (أم) إنكاراً لقولهم، وتعجيباً منه لظهور بطلانه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من الله ، ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ فإنه ما أتاهم رسول منهم مبعوث إليهم ينذرهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك ، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ^(١) عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد مر في سورة الأعراف ، ﴿مَا

(١) وفي كتاب العلو، قال الإمام ابن جرير في تفسير قوله : " ثم استوى على العرش " في كل مواضعه، أى: علا وارتفع ، قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى علا على العرش انتهى ، وقال أبو عبيدة : أى: صعد ، ذكره البغوي، قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: من لم يقر أن الله على عرشه استوى فوق سماواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريجه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، نقله في كتاب العرش والعلو وقال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، في العقيدة الواسطية فصل: وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به الله في كتابه، وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه علا خلقه انتهى.

وذكر الشيخ شمس الدين ابن القيم في الإغاثة: أن الأساطين(*) قبل أرسطو كانوا يقولون: بحدوث العالم وإثبات الصانع ومبائنته للعالم وأنه فوق العالم وفوق السماوات بذاته كما حكاه أبو الوليد رشيد في كتاب مناهج الأدلة وهو أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم ، فقال: فيه القول في الجهة، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيتها متأخروا الأشاعرة، كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، إلى أن قال: والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماوات نزلت الكتب وإليها كان=

لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِهِ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ» ، لا ولي ولا شفيع لكم من دون الله، حال مقدم ، «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» بمواعظ الله، «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»: يدبر أمر الدنيا متراً من السماء إلى الأرض إلى يوم القيامة، فإن السماء محل حكم الله ومنه يتزل الأمور ، «ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ» ذلك الأمر كله، أي : يصير إلى الله لأن يحكم فيه ، «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ^(١) سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» وهو من يوم القيامة الذي كله خمسون ألف سنة، يوم يعرض فيه الأعمال أو معناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه في يوم واحد من أيام الدنيا ولو قطعه أحد من بني آدم لما قطعه في ألف سنة لأن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة فالتزول والعروج لا يمكن إلا بألف سنة، والملائكة يقطعونها في يوم واحد فعلى هذا ضمير إليه للسماء أو يتزل قضاءه وقدره من السماء إلى الأرض ثم يرفع الأعمال إلى ديوانها فوق السماء بيوم واحد مع أن المسافة مسافة ألف، قيل: معناه يدبر من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض يبين ما تحت

= الإسراء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول ، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال : فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأن إبطاله إبطال الشرائع انتهى موضع الحاجة منها.

وقال الشيخ عبد القادر في الغنية: وكونه سبحانه وتعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف انتهى.

نقله في كتاب العلو.

والله ما بعد البيان لمنصف
إلا العناد ومركب الخذلان
(٥) يعني من الفلاسفة .

(١) وعن ابن عباس: أنه سئل عن خمسين ألف سنة؟ فقال: أيام سماها الله لا أدرى ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم / ١٢ كمالين .

تصرفه وسلطانه، ثم يرفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة وسمك السماء خمسمائة أخرى، ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عنكم وما حضر، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ^(١) كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أتقنه وأحكمه وأوفر عليه ما يستعده على وفق الحكمة، وخلقَه بدل اشتغال، وفي قراءة فتح اللام جملة فعلية صفة لكل شيء، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾: آدم، ﴿مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ذريته، ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾، سلالة الشيء: ما استل منه، ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: حقير مبتذل، ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: قومه، والضمير لآدم أو لنسله، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ أضافه إلى نفسه تشريفاً^(٢)، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا فتشكروا، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ما زائدة أي: تشكرون شكراً قليلاً، ﴿وَقَالُوا أَنِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن تمزقت أجسامنا وصرنا تراباً أو غبنا فيها، ﴿أَنَّا﴾ تكرر الهمزة لتأكيد التعجب والإنكار، ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ العامل في إذا بُعثَ الدال عليه أننا لفي خلق جديد فإن ما بعد إن لا يعمل فيما قبله، ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم﴾: يستوفي روحكم ويميتكم، ﴿مِثْلُكُمُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾: بقبض روحكم، في الحديث^(٣)

(١) أخرج أحمد والطبراني عن الشريد بن سويد قال: "أبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً قد أسبل إزاره فقال: (ارفع إزارك) فقال: يا رسول الله إني أحنف تصطبك ركبتي فقال: (ارفع إزارك كل خلق الله حسن) [صحيح، أخرجه أحمد والطبراني والطحاوي وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٤٥٢٢)، وراجع الصحيحة (١٤٤١)] وزاد في رواية للطبراني: (إن الله لا يحب المسبلين) / ١٢ فتح.

(٢) نحو بيت الله / ١٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم وغيرهلاً [وهو ضعيف لانقطاعه، وانظر العلل المتناهية لابن الجوزي (٤١٤/٢)] / ١٢.

(إن ملك الموت قال: يا محمد ما في الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى إني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم) ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: للجزاء .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوءِ ﴿٢٧﴾﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰ^(١) إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾: مطأطئوها ، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ، حياةً وندماً ، ﴿رَبَّنَا﴾ ، أي : قائلين : ربنا ، ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما كذبناه ، ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك ، قيل معنى أبصرنا وسمعنا: أيقنا حقيقة الأمر ، ﴿فَارْجِعْنَا﴾ ، إلى الدنيا ، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ جواب لو محذوف أي : لو ترى لرأيت العجب العجائب ، ولو وإذ كلاهما للمضى فإن المترقب من الله بمثلة الموجود ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا^(٢) لَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُذَاهَا﴾: ما تمهدى به من الإيمان والأعمال الصالحة ، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ سبق وعيدى وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الذين هم في علم الله أشقياء ، ﴿أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا﴾ أي : يقال لهم ذلك على سبيل التقرير ، ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي : جازيناكم جزاء نسيانكم فهو على المقابلة أو النسيان بمعنى: الترك ، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذه الآية جواب عن قولهم : " فارجعنا نعمل صالحاً " يعني : لو أردنا لهديناكم في الدنيا لكن ما أردنا ، فذوقوا العذاب المقدر بسبب كسبكم العقائد الفاسدة والأعمال القبيحة ، وهذا إما مفعول ذوقوا ، أو صفة يومكم ، وإم الله إنها لكسرت أنياب المعتزلة لكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾: وعظوا ، ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾: سقطوا على وجوههم ساجدين^(٣) خوفاً ، ﴿وَسَبَّحُوا﴾: سبحوه عما لا يليق بجلاله ، ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: حامدين له شكراً ، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، عن طاعته فيتبعون رسله ، ﴿تَتَجَافَى﴾: ترتفع وتنحى ،

(١) ولما قص دليل البعث بما لا خفاء فيه شرع يقص بعض أهوالهم عند ذلك فقال: " ولو

ترى إذ المجرمون " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر ما طلبوا من الرجوع إلى الدنيا لأن يهتدوا فيها أتبعه أن شقاوتهم بإرادة الله

ولولاها لهداهم الله في الدنيا فقال: " ولو شئنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كأن الخرور عند الوعظ طبعهم وجلبتهم من غير كلفة واختيار / ١٢ وجيز .

﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: عن^(١) الفراش ، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: داعين إياه ، ﴿خَوْفًا﴾ من عقابه ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في مصارف الخير، والمراد التهجد وقيام الليل وفي الأحاديث الصحاح ما يدل عليه ، وعن بعض هو صلاة العشاء والصبح في جماعة ، وعن بعض هو صلاة الأوابين بين العشاءين ، وعن بعض: هو انتظار صلاة العتمة ، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمُ﴾ ما موصولة مفعول تعلم بمعنى: تعرف، وفي الحديث^(٢) القدسي (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ونعم ما قيل: أخفوا أعمالهم فأخفى^(٣) الله ثوابهم، ﴿مَنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: مما تقر به عيونهم ، ﴿جَزَاءً﴾ أي : أخفى للجزاء أو جوزوا جزاء ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾: خارجًا عن طاعة ربه ، ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ في المثوبة والمترلة، جمعه للحمل على المعنى، نزلت في علي رضي الله عنه والوليد أخي عثمان من أمه بينهما تنازع فقال لعلي : إنك صبي وأنا والله أبسط لسانًا وأحد سنًا وأشجع منك جنائًا ، فقال له علي : اسكت فإنك فاسق، ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ هي المأوى الحقيقي لا الدنيا ، ﴿نَزُلًا﴾: هو ما يحضر للنازل قبل الضيافة، منصوب على الحال من

(١) وهم المنتهجدون في الليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش، وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجمهور ، وعن معاذ بن جبل قال : قيام العبد من الليل ، وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديثًا وأرشد فيه إلى أنواع من الطاعات ، وقال فيه: (وصلاة الرجل في خوف الليل ، ثم قرأ هذه الآية) أخرجه أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي وغيرهم / ١٢ فتح[صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥١٣٦)، وراجع الإرواء].

(٢) كما في الصحيحين / ١٢ وجيز .

(٣) وفيه دليل على أن المراد الصلاة في خوف الليل ليكون الجزاء وفاقًا، ثم بين سبحانه أن ذلك بسبب أعمالهم الصالحة، فقال : " جزاء بما كانوا يعملون " / ١٢ فتح .

جَنَاتٍ ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا﴾ :
 تَمْنُوا ، ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ : فصعدوا إلى أبواب جهنم ، ﴿أَعِيدُوا فِيهَا﴾ : إلى أسفل
 دركاتها ، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ ، إهانة : ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ
 وَلَنَذِيقَنَّهُمْ﴾ ^(١) ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ : مصائب الدنيا ^(٢) ، ﴿ذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ :
 عذاب الآخرة ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ : يتوبون عن الكفر ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ
 بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ يعني : ومن أظلم ممن أذقناه المصائب الدنيوية مدة
 متطاولة وأريناه فيها الآيات ، ثم بعد تلك المدة خاتمة أمره الإعراض ، فثم وقع موقعه ،
 لكن في سورة الكهف ذكر بالفاء لأنه ما بين أولاً إلا جدالهم مع الرسل واتخاذ الآيات
 هزواً فما هو إلا أنهم حين رأوا رسلهم وآياتهم أنكروا بادئ الأمر من غير تأمل ، ﴿إِنَّا
 مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ : المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
 هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٦٦﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
 وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ شَوْ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٨﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ
 يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٦٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
 نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ
 وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ

(١) ثم يبين أن هذا التعذيب عدل منه لا ظلم فقال : " ولنذيقنهم " الآية / ١٢ وجز .

(٢) هكذا فسره جماهير السلف ، ونقل عنهم البخاري ومسلم والترمذي والسدي / ١٢

منه . ومصائب الدنيا من القتل والأسر والنهب والقطوع وغيرها / ١٢ .

صَدِّقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وَلَقَدْ﴾^(١) آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴿كَمَا آتَيْنَاكَ﴾ ، ﴿فَلَا تُكِنُّ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ، ﴿مَنْ لَقَائِهِ﴾ أي : من لقاء موسى ربه فاطمع أنت أيضاً فيه ، فالإضافة إلى المفعول ، هكذا فسرہ النبي عليه السلام ، رواه الطبراني^(*) أو من^(٢) لقائك موسى ليلة المعراج^(٣) أو من تلقى موسى الكتاب بالرضاء والقبول ، قيل : معناه آتينا موسى مثل ما آتيناك فلا تك في شك من أنك أوتيت مثله ، فالضمير للكتاب الذي أريد به الجنس ، أي : لقائك الكتاب نحو " وإنك لتلقى القرآن " (النمل: ٦) ، ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ﴾ الناس ، ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا﴾^(٤) صَبَرُوا ﴿عَلَى أَوْامِرِ اللَّهِ وَمِصَابِيهِ الَّتِي قَدَرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ ، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِفُونَ﴾ وكان هذه الآية وعد وتسليية لنبیه عليه الصلاة والسلام وإرشاد لأصحابه وأمته ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يقضي فيميز الحق من المبطل ، ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمور دينهم ، ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ عطف على مقدر مثل : ألم ينههم ، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ فاعل "يهد" ما يدل عليه ذلك الكلام ، كأنه قال : أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا ، وكم منصوب بأهلكنا ، وله صدر الكلام لا يعمل فيه ما

(١) ولما قرر الأصول الثلاثة: التوحيد والمعاد والرسالة، عاد إلى أمر الرسالة الذي السورة له فقال: "ولقد آتينا موسى" الآية / ١٢ وجيز .

(*) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، كما في الجمع (٩٠/٧)

(٢) كما في البخاري / ١٢ .

(٣) كما وصفه صلى الله عليه وسلم "أنه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة" / ١٢

وجيز .

(٤) علة للجعل قرئ "لما" بكسر اللام وتخفيف الميم / ١٢ وجيز .

قبله، ﴿يَمْشُونَ﴾ أهل مكة، ﴿فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ حين يسافرون للتجارة ، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع اتعاط ، ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ أي : ألم يسمعوا ولم يروا؟، ﴿أَنَا^(١) نُسُوقُ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: التي قطع نباها ، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾: بالماء ، ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾: من الزرع ، ﴿أَنْعَامُهُمْ^(٢)﴾ من أوراقه ، ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ من حبوبه ، ﴿أَفَلَا يَنْصَرُونَ﴾ فيستدلون على كمال القدرة ، ﴿وَيَقُولُونَ^(٣) مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي: في أي وقت يكون النصر كما تزعم يا محمد؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أن لكم وقتًا علينا تنتقمون منا ، ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾: وهو يوم حلول سخط الله وعقابه، كان في نياتهم أنه لو نزل عليهم من السماء بلاء لآمنوا حين يرونها ، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: يمهلون ، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تبال بكلامهم ، ﴿وَانْتَظِرْ﴾ موعد النصر ، ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ حوادث الزمان عليك، قيل : انتظروا عذابهم إنهم منتظرون ذلك أيضًا ، ولذلك لم يؤمنوا ، وعن بعض الآية منسوخة وكان عليه السلام^(٤) لا ينام بالليل حتى يقرأ (تبارك) و (الم تتريل).

والحمد لله وحده.

-
- (١) أولاً: أقام الحجة على المشركين بالأمم السالفة، ثم أقامها عليهم بإظهار قدرته الكاملة المنبهة على البعث ، والأظهر أن المراد من سوق الماء المطر / ١٢ وجيز .
- (٢) وقدم الأنعام، لتقدم مأكلاها من الزرع والإنسان قد يتغذى في غير الزرع، والعرب يقدم أنعامهم على أنفسهم، فيسكن في غير مسكن لرغد دوابهم / ١٢ وجيز .
- (٣) ليروا تلك الآية البينة فمن رآها، وأصر، ولم يتنبه، فليس له بصر ولا بصيرة، ولما كانت الآية أول دليل على البعث أتبع لجاحهم باستهزائهم تعجيباً من عمهم وعماهم فقال : "ويقولون " الآية / ١٢ وجيز .

- (٤) رواه الإمام أحمد فيارب وفقنا لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم [صحيح، أخرجه أحمد والترمذي والدارمي وغيرهم، وراجع الصحيحة] / ١٢ وجيز.

سورة الأحراب مدنية

وهي ثلاث وسبعون آية وتسع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيَسْأَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾: اثبت عليه، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ نقل أن بعض قریش نزلوا على منافق المدينة بأمان النبي - عليه السلام - وقالوا للنبي: ارفض

ذكر آلهتنا بسوء، وقل إنها تشفع لمن عبدها ندعك وربك فأخرجهم النبي عن المدينة فترلت، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: فهو أحق أن يطاع ويتبع، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فلا تخالفوه، ومن قرأ يعملون بالياء فمعناه إنه خير بمكائد الكفار والمنافقين فلا تبال فإنه يدفعها عنك، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافظًا موكلًا إليه كل أمر، ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين لأن القلب سلطان ولا يليق بمملكة إلا سلطان واحد، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ والمظاهرة مثل أن تقول: أنت كظهر أمي وفي الجاهلية بالمظاهرة تحصل الفرقة الأبدية وتصير كالأم، وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب والتباعد، ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾: إن أمهاتكم إلا اللائي ولدنكم والأمهات مخدومات والزوجات خادמות، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾: الذين تدعوهم ولدًا، ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾، فإن النبوة أمر ذاتي والتبني عارضى فكيف يكون هو إياه، فحاصله أنه تعالى كما لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين فيفعل بأحدهما غير ما يفعل بالآخر لئلا يكون أحدهما فضلة غير محتاج إليه فيؤدى إلى اتصاف شخص بالعلم، والظن والمحبة والكراهة وغيرهما في حالة واحدة ولم ير أيضًا أن تكون امرأة لرجل مخدومة وخادمة وأن يكون رجل دعيا غير أصيل وابنا أصيلا وعن بعض السلف إن الأولين للثالث أى: كما لا يكون لرجل قلبان، ولا يصير غير الأم أمًا كذلك لا يكون الدعي ابنًا فلا تسموا زيد بن حارثة مولى النبي الذي تبناه قبل النبوة زيد بن محمد (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) (الأحزاب: ٤٠)، وعن كثير^(٢) من السلف إن الأول

(١) ولما نهى عن إطاعة المعاندين لأهل الدين وأمره بالتوكل والتوجه بالكلية إليه تعالى، نبه عليه أنه لا يجتمع الإقبال على الله بالكلية والتوجه إلى الغير، إلا بأن يكون لشخص

قلبان، وهذا أمر لا يمكن "ما جعل الله لرجل" الآية / ١٢ وحيز .

(٢) كابن عباس رضى الله عنه وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة / ١٢ منه .

نزل في شخص يقال له ذو القلبين يقول: لى قلبين أعقل بكل، أفضل من عقل محمد، وعن بعض: لما سها^(١) عليه السلام في صلاته قال المنافقون: له قلبان، قلب معهم، وقلب معكم، **«ذَلِكُمْ»**: إشارة إلى المجموع أو إلى الأخير، **«قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ»** لا حقيقة له، **«وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ»**: المطابق للواقع، **«وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ»**: طريق الحق، **«ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ»** انسبوا إليهم، وفي إفراده بالذكر إشعار إلى ما نقلنا من أن الأولين للثالث، **«هُوَ»**، راجع إلى مصدر ادعوهم، **«أَفْسَطُ»** من القسط بمعنى العدل، **«عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ»** حتى تنسبوا إليهم، **«فَإِخْوَانُكُمْ»** أى: فهم إخوانكم، **«فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ»**: أولياءكم فيه فقولوا أخى ومولاى، **«وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ»**: إثم، **«فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ»**: فيما فعلتموه مخطئين على النسيان أو سبق اللسان، **«وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ»**: ما تعمدت عطف على ما أخطأتم أى: وعليكم جناح فيما أو مبتدأ مقدر خبره أى ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح، **«وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»** فى الحديث^(٢) "ثلاث فى الناس كفر: الطعن فى النسب والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم" وفى الحديث (إن فى القرآن المنسوخ، ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)^(*)، **«التَّيِّبِ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»**: فى أمور الدارين قال عمر: لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي، فقال عليه السلام:

(١) نقله الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه، ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم عن زهير [أخرجه أحمد (١/١٦٨)، والترمذى (٣٢٥١)، وضعفه الشيخ الألبانى بقابوس بن أبى ظبيان] / ١٢ منه.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده وكذا مسلم فالعزو إليه أولى وفى الحديث (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه كفر) / ١٢ منه.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(لا يا عمر^(١) حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال : (والله لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء حتى من نفسي)، فقال : (الآن يا عمر)، وعن بعض المفسرين معناه : النبى أولى من بعضهم ببعضهم فى وجوب طاعته عليهم، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: فى التوقير وتحريم نكاحهن على التأيد لا فى النظر والخلوة والأصح^(٢) أن لا يقال هن أمهات المؤمنات، وفى الشواذ^(٣) وهو أب لهم، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: ذوو القربات، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: فى الميراث، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فى حكمه، أو فى اللوح المحفوظ، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ صلة لأولى أى : هم بحق القرابة أولى بالميراث منهم بحق الإيمان والهجرة قال الزبير : أنزل الله فىنا معشر قريش والأنصار خاصة وذلك لما قدمنا المدينة قدمنا ولا مال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم وأورثاهم حتى أنزل الله فىنا هذه الآية فرجعنا إلى موارثنا، ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ الاستثناء منقطع أى : لكن فعلكم إلى أحبائكم معروفاً جائز يعنى: ذهب الميراث وبقي البر والإحسان والوصية، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أى : هذا الحكم^(٤) فى الكتاب^(٥) القديمة

(١) فى البخارى: (والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين)[وقد أخرجه مسلم أيضاً/ ١٢].

(٢) وهو الأصح من مذهب الشافعى، وقد صح عن عائشة -رضى الله عنها- النهى عن ذلك/ ١٢ منه.

(٣) وعن أبى بن كعب وابن عباس اتفهما قرءا "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"/ ١٢ منه.

(٤) وهو أن أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله / ١٢ منه.

(٥) فيه إشارة إلى دفع طعن الملحدين، بأنه ليس من باب البداء، فإنه غير جائز على من لا يخفى عليه شيء، ولما كان تغيير المؤلف شديداً على النفوس، وقد ذكر أشياء من تغيير المؤلف، بين أن إقامة الدين هو عهد وميثاق مع أول الرسل وآخرهم فقال : (وإذ أخذنا من النبيين) الآية / ١٢ وحيز.

الذى لا يدل مسطوراً وإن كان تعالى شرع خلافه في وقت لما له من الحكمة البالغة، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ أى : اذكره، ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: في إقامة دينه وإبلاغ رسالته والتعاون والإنفاق، ﴿وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، صرح بأسماء أولى العزم الخمسة من بينهم وقدم ذكر خاتم الأنبياء لشرفهم وشرفه عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(١): عهداً شديداً مؤكداً، ﴿لَيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ أى : فعلنا ذلك ليسأل الله الذين صدقوا عهدهم من الأنبياء عن تبليغهم تبيكيتاً للكفار وقيل عن تصديقهم إياهم، ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢)، عطف على ما دل عليه ليسأل كأنه قال فأتاب المؤمنين وأعد للكافرين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٣) إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(٤) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(٥)

(١) هذا الميثاق هو الميثاق الأول بعينه، كأنه قال: أخذنا ميثاقاً غليظاً لمحمد صلى الله عليه وسلم داخلاً في أخذ الميثاق الغليظ من الأنبياء، والغلظ في الأجسام استعير للمعنى/ ١٢ وجيز.

(٢) والحاصل أنه أخذ الموائيق على الأنبياء في التبليغ، لكن جعل من يبلغ إليه فرقتين فرقة يسألها عن صدقها فيجيب بأنها صدقنا الله في أمره ونهيه ويشيها على ذلك، وفرقة كفرت فيناها ما أعد لها من العذاب، لما أمر نبيه في أول السورة بالتوكل على الله في دفع المعاندين، وما وقع في البين إلى هذه الآيات من متفرعات التوكل كما أشرنا إليه، ذكر من نعمه ما هو محض حماية الله وعنايته ليرى فائدة التوكل فيزيد وثوقه فقال: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله) الآية / ١٢ وجيز.

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلَ يَتَرَبَّ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٢٨﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَبَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُ أَلَا أَذْبَنًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿٣٠﴾ قُلْ لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٣٢﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٣﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٤﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَثْلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾^(١)
يعني الأحزاب لما اجتمع المشركون وأهل الكتاب كيدٍ واحدةٍ لعداوة المؤمنين أمر عليه

(١) أى : إنعام الله عليكم وقت مجيء الجنود، وذلك في غزوة الأحزاب حين اجتمع المشركون من قريش وأهل الكتاب كيد واحدة، وهم نحو من خمسة عشر ألفاً وجاءوا =

السلام بحفر الخندق بشورى سلمان فترلوا وحاصروا المدينة قريبا من شهر، ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أى الصَّيْبَا، ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: من الملائكة أرسل تعالى بعد مدة من المحاصرة فى ليلة مظلمة باردة ريحا صرصرا فنسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم، وقلعت خيامهم فماجت خيولهم بعضها ببعض فقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانبهم فارتحلوا خائفين خائبين، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من حفر الخندق، ﴿بَصِيرًا إِذْ جَاءَكُمْ﴾ بدل من جاءكم، ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾: من أعلى الوادى من قبل المشرق، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: من قبل المغرب، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت أبصار المسلمين عن سبتها حيرة لشدة الأمر، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: رعبا وهذا مثل فى الاضطراب، قيل: إذا انتفخت الرئة من فزع أو غضب ارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحجر وهى متهى الحلقوم، ﴿وَتَظُنُّونَ^(١) بِاللَّهِ

= إلى المدينة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق بشورى سلمان، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا، وهم كانوا ثلاثة آلاف، فالخندق إثنا عشر ألف ذراع، فترل الأحزاب خلف الخندق، وزعمهم أنهم لا يرجعون وقد بقى للإسلام باقية، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة، وظهر نفاق المنافقين واشتد الخوف على المؤمنين وتفصيل الحكاية مسطور فى السير/ ١٢ وجيز.

(١) ظن كل من المؤمن الخالص والمؤمن الضعيف والمنافق مختلف، وظن المنافقين ما حكى الله عنهم بقوله: "وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية" إلى قوله "يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا" (آل عمران: ١٥٤)، قال بعض الأئمة بعد بيان سوء الظن: وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، ولهذا يتوعدهم فى كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد، كما قال تعالى: "الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا" (الفتح: ٦) إلى أن قال: واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال=

= والبدع، وجدت أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين: أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء، والثاني: أنهم لم يقدرُوا الرب حق قدره، قال الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله في الهدى النبوى : من ظن أن الله سبحانه وتعالى أخير عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحقائق المقصورة من كلامه سبحانه وتعالى، ورمز إليهم رموزاً بعيدة وأشار إليهم إشارة ملغزة وصرح بالتشبيه، والتمثيل والأمور الباطلة التي لا تجوز عليه ولا تليق، وأراد من خلقه أن يتبعوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة شرعاً وعقلاً، والتأويل التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحاطهم في معرفته وأسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم أن لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطائهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق، الذي ينبغي التصريح به ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في الاعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان، فقد ظن به السوء، فإنه إن قيل: أنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه، فقد ظن العجز بقدرته وإن قيل: أنه قادر ولم يبين، وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى ما يوهم بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء، ومن ظن أنه وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهدى والحق في كلامهم وعبادتهم، وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام المتهورين الخائرين هو الهدى والحق، هذا من سوء الظن بالله، فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية، ومن ظن بأنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أنه أسفل كما هو أعلى وإن من قال: سبحانه ربى الأسفل كما قال: سبحانه ربى الأعلى، فقد ظن به =

الظُّنُونُ»، حتى قال بعض المنافقين : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر والآن لا نقدر أن نذهب إلى الغائط، والألف زيدت تشبيهاً للفواصل بالقوافي، «هَذَاكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ»: اختبروا فظهر المخلص من المنافق، «وَرُزِلُوا»: أزعجوا، «رُزِلَا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ» شبهة لم تطمئن قلوبهم على الإيمان، «مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا»: وعدًا لا وفاء له، «وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ» وهم المنافقون: «يَا أَهْلَ يَثْرِبَ» كان اسمًا للمدينة أى : أهل المدينة، «لَا مَقَامَ لَكُمْ»: لا موضع قيام لكم هاهنا أى عند النبی المصطفى في مقام المرباط، «فَارْجِعُوا»: إلى بيوتكم، «وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ» للرجوع فإنه كان عليه السلام خارجًا من المدينة بحيث أسند المسلمون ظهورهم إلى سلع ووجوههم نحو العدو والخندق بينهم، «يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ»: غير حصينة نخاف عليها السراق، «وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ»: فإنها حصينة، «إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا^(١)»: من القتال، «وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا» يعنى : لو دخلت هذه العساكر المدينة من جوانبها، «ثُمَّ سَلُّوا»: سألت هذه العساكر من قال إن بيوتنا عورة، «الْفِتْنَةَ»: الردة ومحاربة المسلمين، «لَا تَوْهَا» لأعطوها، «وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا»: بالفتنة، «إِلَّا يَسِيرًا»: تلبثًا يسيرًا قدر سؤال وجواب فأسرعوا الإجابة، «وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ»: من قبل

= أقبح الظن وأسوأه، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن أحدًا يشفع عنده بغير إذنه، وأن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم في حاجتهم إليه سبحانه وتعالى، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، إلى آخر ما بين وفصل رحمه الله تعالى/ ١٢.

(١) قال الضحاک رجع ثمانون من غير إذن / ١٢ وحيز.

تلك المحاربة، «لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَارَ»: لا يفرون من الزحف، «وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا»: عن الوفاء به، «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ» فإنه لا بد لكل من الموت حتف أنفه أو قتل في وقتٍ معين، «وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ»: بعد الفرار، «إِلَّا قَلِيلًا»: زمانًا قليلًا يعنى: لو فرضتم أنه ينفعكم لا ينفعكم إلا قليلًا، «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا»: مصيبة، «أَوْ أَرَادَ بِكُمْ عَظْفًا عَلَى مَنْ ذَا تَقْدِيرُهُ أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي يَصِيكُكُمْ بِسُوءٍ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً» أو عطف على أرادوا العصمة بمعنى المنع مجازًا ولا حذف، «وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا»: ينفعهم، «وَلَا نَصِيرًا»: يدفع ضرهم، «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ»: الذين يعوقون المسلمين عن معاونة النبي -عليه السلام-، «مِنْكُمْ»، وهم المنافقون، «وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ» من ساكني المدينة: «هَلُمُّوا إِلَيْنَا»: قربوا أنفسكم إلينا فنحن في ظلال وثمار وراحة في بيوتنا، عن مقاتل: أرسلت اليهود إلى المنافقين فخوفوهم وقالوا: هلموا إلينا والمنافقون كانوا يخوفون المؤمنين يقولون انطلقوا معنا إلى إخواننا، أى: اليهود، «وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ»: الحرب مع المؤمنين، «إِلَّا قَلِيلًا»: يخرجون ولا يبارزون إلا شيئًا قليلًا، أو معناه لا يحضرون إلا زمانًا قليلًا ثم يعتذرون ويرجعون قيل هذا من تمة قولهم يعنى: الذين قالوا لإخوانهم هلموا إلينا، والمؤمنون لا يحاربون الكفار إلا زمانًا قليلًا فيغلبون، «أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ» بخلاء بالشفقة أو بالنفقة أو في الغنائم نصب على الحال من فاعل لا يأتون وهو حال من ضمير القائلين أو هما حالان من ضمير القائلين، «فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ»: وقت الحرب، «رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ»، فى أحداقهم، «كَالَّذِي يُعْشى عَلَيْهِ» أى: كدوران^(١) عين

(١) أى: كدوران عين الذى قرب من الموت، وهو الذى نزل به الموت وغشيته أسبابه،

فيذهل له ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف، كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم

لما يلحقهم من الخوف / ١٢ فتح.

من يغشى عليه، ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: من معالجة سكراته، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُواكُمْ﴾: ضربوكم، ﴿بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ﴾: لأجل الغنيمة وغيرها، ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ بخلاء على الغنيمة، أو ليس فيهم خير فهم جمعوا بين البخل والجبن وقلة الحياء وعدم الوفاء، ﴿أَوَلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطل جهادهم وصلاتهم وصيامهم ومثل ذلك، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾: الإحباط، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هينًا، وهذا كما في الحديث "ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أى واد أهلكه" (*)، ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾: يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا، ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾: كرة ثانية مع ما رأوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وقرارهم، ﴿يُودُّوا﴾: تمنوا، ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْنَ﴾: خارجون إلى البدو، ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾: حاصلون فيهم، ﴿يَسْأَلُونَ﴾: الناس، ﴿عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾: يعنى: يتمنون إن لم يكونوا بينكم ويسألون الناس عما جرى عليكم، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾، هذه الكرة ولم يفرّوا ولم يرجعوا إلى المدينة، ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١): رياء.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا
وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۖ
مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ

(*) "حسن"، انظر صحيح سنن ابن ماجه (٤١٠٦).

(١) رياء ونفاقًا كما فعلوا قبل ذهابهم، ولما أخرج عنهم بحال هي غاية المخالفة عن طريق

رسول الله صلى الله عليه وسلم، توجه إلى الكل فقال: "لقد كان لكم"

الآية/١٢ وجيز.

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ
وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٨﴾
وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿١٩﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
صَيَاصِبِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا
﴿٢٠﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْغُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولٍ (١) اللَّهُ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: هو من باب التجريد جرد من
نفسه الزكية شيئاً يسمى قدوة يقتدى به سيما في مقاساة (٢) الشدائد وثبات القلب في
الحرب، ﴿لَمَنْ كَانَ﴾ صلة لحسنة لا لأسوة لأنها قد وصفت أو صفة لها أو بدل بعض
من لكم، ﴿يَرْجُوا اللَّهَ﴾ أى : لقائه، ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أى : نعيمه أو يخاف عذابه،
﴿وَذَكَرَ﴾ (٣) الله كثيراً ولَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

(١) وهذه الآية وإن كان سببها خاصا فهي عامة في كل شيء، وقد استدل بهذه
الآية جماعة من الصحابة في مسائل كثيرة اشتملت عليها كتب السنة، وفيه دلالة
على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذى أصيب به الإسلام أى مصيبة / ١٢
فتح.

(٢) قاتل بنفسه فكسرت رباعيته، وشج وجهه الكريم، وقتل عمه وأوذى ضروراً من
الإيذاء فاقتدوا به، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه / ١٢ وجيز.

(٣) فالمقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك، لما أخبر عن حال المنافقين
وقولهم : " ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا " بين حال المؤمنين وقولهم فقال : " ولما
رأى المؤمنون الأحزاب " الآية / ١٢ وجيز.

وَرَسُولُهُ» عن ابن عباس وغيره يعنون قوله تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم " (البقرة: ٢١٤)، «وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(١)» : في الوعد، «وَمَا زَادَهُمْ» ذلك البلاء والضيق، «إِلَّا إِيمَانًا» بالله، «وَتَسْلِيمًا» : انقياداً لأوامره، «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» فثبتوا وقاتلوا، يقال : صدقه الحديث أى : قال له الصدق فى الحديث والعاهد إذا وفى بالعهد فكأنه قال له الصدق، «فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ»، النحب : المدة أى : استشهد كحمزة وأنس بن النضر، «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ» أى : الشهادة، كعثمان -رضى الله عنهم- أو معناه، ومنهم من قضى نذره فإن أنس بن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال : لئن أراى الله شهيداً فيما بعد ليرين الله ما أصنع، فقاتل يوم أحد حتى قتل، ووجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية^(*)، «وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا» : ما غيروا العهد شيئاً من التبديل، والتغير فيه تعريض على المنافقين بالتبديل، «لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ»، اللام متعلق بمعنى قوله : " ولما رأى المؤمنون الأحزاب " كأنه قال : إنما ابتلاهم الله برؤية هذا الخطب ليجزى الصادقين، ويعذب المنافقين، أو متعلق بما بدلوا مع ما يفهم منه بالتعريض، كأنه قال : ما بدل المؤمنون وبدل المنافقون ليجزى، الآية، «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا» : فيقبل توبة من تاب، «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى : الأحزاب، «بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا» هما حالان أى : المتغيظين غير ظافرين، «وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» بالريح والملائكة، «وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا» على إيجاد ما شاء، «عَزِيزًا» : غالباً مطلقاً، «وَأَنْزَلَ»

(١) لم يقل وصدقاً للتلذذ بصريح الاسم، ولما قيل : الجمع بين اسم الله ورسوله فى الضمير سوء أدب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بئس الخطيب) حين قال : (ينهيانكم) يعنى الله ورسوله [أخرجه مسلم وغيره] / ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخارى وغيره.

الله، ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾: عاونوا الأحزاب، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: يعنى : بنى قريظة
نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن آباءهم نزلوا الحجاز قديمًا طمعًا في
اتباع النبي الأمي المكتوب في التوراة، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ﴿مِّنْ
صِيَاصِيهِمْ﴾: حصونهم، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف، ﴿فَرِيقًا
تَقْتُلُونَ﴾: رجالهم، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: نساءهم وذراريهم، لما انهزمت الأحزاب
رجع رسول الله ^(١) إلى المدينة، وكان على ثنياه نفع الغبار جاء جبريل وقال: أو قد
وضعت السلاح؟! لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح، أخرج إلى بنى قريظة،
وقاتلهم فخرجوا إلى حصونهم ^(٢) وحاصروهم خمسة وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم
سعد بن معاذ ^(٣)، فحكم بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم وتقسيم أموالهم ^(٤)، ﴿وَأَوْرَثَكُمُ
أَرْضَهُمْ﴾: مزارعهم، ﴿وَوَدْيَارَهُمْ﴾: حصونهم، ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾: من النقود والمواشي،
﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَاوَهَا﴾: خير أو مكة أو فارس والروم، أو كل أرض تفتح إلى القيامة،
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

(١) هكذا ثبت في كتب الحديث بتفصيل وتطويل / ١٢ منه.

(٢) فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بألا يصلى العصر أحد إلا في بنى قريظة، فمنهم
مصل في الطريق، ورأى أن هذا من باب الاستعجال، ومنهم مصل بعد العشاء، وكل

مصيب / ١٢ وحيز.

(٣) بعد ما أبوا أن يتزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بما هو في
القرآن، وقال صلى الله عليه وسلم : (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة)
ثم استترهم في خندق في سوق المدينة وضرب أعناق ستمائة أو أكثر إلى تسعمائة،
وتفصيله في كتب السيرة / ١٢ وحيز.

(٤) ذكر صاحب الفتح بعض هذه القصة وعزاها إلى أحمد وابن مردويه وابن أبي

شيبه / ١٢.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿١٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾
يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْلَعُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ
صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾ يَنْسَاءَ
النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٢٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ^(١) قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: السعة والمال،
﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أعطكن متعة الطلاق، ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾: أطلقكن،
﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: طلاقًا من غير ضرار، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ

(١) ولما أمر نبيه من أول السورة بالتقوى والتوكل وحب الدنيا رأس كل خطيئة، فلا

يناسب أن يكون الدنيا في بيته وأهل بيته من أهلها، فقال: (يا أيها النبي قل

لأزواجك) الآية / ١٢ وحيز.

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ ﴿١﴾ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢﴾ يستحقرونه الدنيا برمتها، نزلت حين (٢) سألن ثياب الزينة، وزيادة النفقة بغيرة بعضهن على بعض، فلما نزلت بدأ بعائشة فاخترت الله ورسوله ثم خير سائرهن فاخترن كما اختارت، وأكثر أهل العلم على أنه لم يكن تفويض الطلاق فلم يقع بنفس الاختيار، بل لو اخترن الدنيا طلقهن، ثم الأكثرون على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها يقع واحدة رجعية عند الشافعي بآئنة عند أبي حنيفة، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ كَبِيرَةٍ﴾: «مُبِينَةٍ»: ظاهر قبحها، عن ابن عباس هي الشوز وسوء الخلق، ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفى عذاب غيرهن، فإن الذنب أقبح من العارفين والشرط لا يقتضى الوقوع قال تعالى: "قل إن كان للرحمن ولد" (الزخرف: ٨١)، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً، لا ينظر إلى كونهن نساء نبيه، بل هو السبب ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾: يطع، ﴿مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مثلى ثواب غيرها، وتعمل بالتساء وبالبراءة محمول على معنى من وعلى لفظه، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣)، في أعلى

(١) فكلهن محسنات وذكر المحسنات ليعلم أن الأجر للإحسان، لما فتح الله على نبيه بالغنائم قعدت أزواجه حوله، وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في حلى وحلل وإماء وخول ونحن على ما ترى من فاقة، وآلن قلبه المنور، فأمره الله بأن يتلو عليهن كما نزل في أمرهن، فتلا أولاً على عائشة فاخترت الله ورسوله، ثم اخترن كما اختارت، ولما أن وقعت تلك الخطيئة منهن ورجعن عنها هدهدن وأدهن الله عناية وحماية فقال: "يا نساء النبي" الآية ١٢/ وجيز.

(٢) كذا في صحيح البخارى وصحيح مسلم / ١٢ منه.

(٣) حلالاً من غير تعب في الدنيا، وفي الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وذكر صيغة الماضي لتحققه واستيثاقهن ثم خاطبهن وحاملهن فقال: "يا نساء النبي لستن" الآية / ١٢ وجيز.

عليين من الجنة، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ أى : لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء، وأصل أحد^(١) واحد بمعنى: واحد، ثم وضع فى النفى العام مستويًا فيه التذكير والتأنيث والواحد وما وراءه، ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾: راعيتن التقوى، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: لا تكلمن كلامًا لينًا خثًا^(٢)، يعنى لابد لكن من الغلظة^(٣) فى المقالة مع الأجانب، ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: فجور أو نفاق، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ يرتضيه الدين والإسلام من غير خضوع، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من وقر أو من قر، والأمر منه أقررن أو أقررن حذف الأولى من الرائين بعد نقل حركتها إلى ما قبلها كظن وظللن، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: جاهلية الكفر، والجاهلية الأخرى: جاهلية الفسوق فى الإسلام، أو الأولى لا أخرى لها كما قيل فى أهلك عادًا الأولى، أو الأولى: زمن داود وسليمان أو زمن نمrod، فإن المرأة تلبس درعًا من لؤلؤ وتخرج عارضة نفسها على الرجال، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى جميع ما أمركن وهماكن، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: خبائث القلب، أو ما ليس لله فيه رضا، ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن الذنوب، ﴿تَطْهِيرًا﴾ فى مسلم (إن عليًا وفاطمة وحسنا وحسينًا جاءوا فأدخلهم النبی

(١) وفى الوجيز ذكر صاحب البحر: أن "أحد" الذى يستعمل فى النفى العام مخصوص بنوى العقول بخلاف واحد، ثم ذكر أن النحويين صرحوا أن مادة "أحد" الذى للعموم همزة وحاء ودال، ومادة "أحد" بمعنى: واحد أصله واو وحاء ودال، فقد اختلفا مدلولاً ومادة/ ١٢ وجيز.

(٢) فى الأساس: خنث تكسر وتثن وقد خنث وخنث كلامه: لينه / ١٢ منه.

(٣) لا كما كانت الحال فى نساء العرب من مكالمة الرجال برخييم الصوت ولينسه / ١٢ وجيز.

عليه السلام في كساء من شعر أسود كان عليه، ثم قال : " إنما يريد الله ليذهب عنكم " الآية، وفي مسند الإمام أحمد وغيره^(١) بروايات عن أم سلمة: "أنه عليه السلام كان في بيته، فجاء على وفاطمة وابناهما وجلس عنده على كساء خيري فأنزل الله هذه الآية، فأخذ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج يده وألوى إلى السماء، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم، وطهرهم تطهيراً، قالت : فأدخلت رأسي البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله، فقال : (إنك إلى خير، إنك إلى خير)"، والأحاديث التي هي أصرح في هذا المعنى كثيرة، والأصوب أن أزواجه المطهرات من أهل بيته، وإذا كان أزواجه من أهل بيته فهؤلاء أحق وأولى بهذه التسمية، وهذا مثل ما نقلنا في آية "لمسجد أسس^(٢) على التقوى" (التوبة: ١٠٨)، ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أمرهن أن لا ينسين النعمة الجليلة القدر، وهي ما يتلى في بيوتهن من الكتاب الجامع بين أمرين، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^(٣) فلذلك خير كن ووعظكن.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ

(١) كابن أبي حاتم وابن جرير، والحافظ البزار وغيرهم [وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٢) / ١٢ منه.

(٢) كما مر بيانها فإنها نزلت في مسجد قباء، وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: "هو مسجدى هذا" والتوفيق أنه إذا كان ذلك أسس على التقوى فمسجدي هذا أولى وأحرى بهذه التسمية، والله أعلم/ ١٢ منه.

(٣) فيختار ما ينفعكم في الدنيا والدين والظاهر والباطن، ولما ذكر ما هو خاصة لأهل بيته ونصحهم، عمم الوعد والنصح للرجال والنساء فقال : " إن المسلمين والمسلمات " الآية/ ١٢ وحيز.

فَرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لأمر الله، ﴿وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بما يجب التصديق به، ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ﴾: المداومين على الطاعة، ﴿وَالْقَانِتَاتِ﴾^(١)

(١) ثم إذا آمن وعمل صالحاً كمل فيكمل غيره ويأمر بالمعروف، وينصح أخاه ويصدق في كلامه عند النصيحة، وهو المراد بقوله والصادقين والصادقات، ثم إن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه، كما قال تعالى: "والصابرين والصابرات" ثم إنه إذ أكمل وكمل قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله: "والخاشعين والخاشعات"، ولما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها هو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة فقال: "والمصدقين والمتصدقات" أى: الباذلين =

وَالصَّادِقِينَ» فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، «وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ»: عَلَى الْمَصَائِبِ،
«وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ»: الْمُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ، «وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ»: الْمُحْسِنِينَ
إِلَى النَّاسِ، «وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ مَنْ صَامَ بَعْدَ الْفَرَضِ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ دَخَلَ فِي الصَّائِمِينَ، «وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ»
عَنِ الْحَرَامِ، «وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» فِي الْحَدِيثِ ^(١) "مَنْ
أَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ كَانَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ"، «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً»، لَذُنُوبِهِمْ، «وَأَجْرًا عَظِيمًا» ^(٢) عَنْ أُمِّ

= الْأَمْوَالِ الَّذِينَ لَا يَكْتَرُونَهَا لَشَدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ قَالَ: "وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ" إِنْشَاءً
إِلَى الَّذِينَ لَا تَمْنَعُهُمُ الشَّهْوَةُ الْبَطْنِيَّةُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ" أَيْ: الَّذِينَ لَا تَمْنَعُهُمُ الشَّهْوَةُ الْفَرْجِيَّةُ، ثُمَّ قَالَ: "وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ" يَعْنِي هُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَيَكُونُ إِسْلَامُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ
وَقَنُوتُهُمْ وَصَلَقَتُهُمْ وَصَبْرُهُمْ وَخُشُوعُهُمْ، وَصَلَقَتُهُمْ وَصَوْمُهُمْ بَنِيَّةٌ خَالِصَةٌ لِلَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى فِي أَكْثَرِ الْمَوَاضِعِ حَيْثُ ذَكَرَ الذِّكْرَ قَرَنَهُ بِالْكَثَرَةِ هَاهُنَا، وَفِي قَوْلِهِ بَعْدَ هَذَا: "يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا" وَقَالَ مِنْ قَبْلُ: "لَمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" [الْأَحْزَابُ: ٢١] لِأَنَّ الْإِكْتَارَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ غَيْرُ مُمْكِنٍ أَوْ عَسِيرٍ،
وَلَكِنْ لَا مَانِعَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ آكِلٌ، وَيَذْكُرُهُ وَهُوَ شَارِبٌ أَوْ مَاشٍ أَوْ بَاتِعٌ أَوْ شَارٍ،
وإِلَى هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ" (آلْ عِمْرَانَ: ١٢ / ١٩١) وَكَبِيرٍ.

(١) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ [وَكَذَا أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، وَانْظُرْ
صَحِيحَ الْجَامِعِ] ١٢ / وَجِيزٌ.

(٢) لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ قَدْرَ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ، وَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَرَضَ
أُمَّتَهُ عَلَى إِطَاعَتِهِ وَحَذَرَهُمْ مِنْ مَخَالَفَتِهِ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ "وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا لِلْمُؤْمِنَةِ"
الْآيَةُ ١٢ / وَجِيزٌ.

سلمة أنها قالت : "قلت يا نبي الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال، فزلت" (١)، «وَمَا كَانَ»: ما صح، «لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» أى : أن يختاروا من أمر الله ورسوله ما شاءوا، بل يجب عليهم اتباع اختيار رسول الله وترك رأيهم، وجمع ضمير لهم علي المعنى فإن المؤمن والمؤمنة وقعا تحت النفي، «وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» لما خطب (٢) النبي عليه السلام زينب بنت جحش ابنة (٣) عمته لمولاه زيد بن حارثة فامتنعت نزلت ثم أجابت، «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ»: بالإسلام، «وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ»: بالعق و هو زيد اشتراه في الجاهلية وأعتقه وتبناه، «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» زينب حين قال : أريد أن أطلقها، «وَأَتَّقِ اللَّهَ» فيها ولا تطلقها، «وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» أى : شيئاً الله مظهره، وهو علمه بأن زيداً سيطلقها وهو ينكحها، فإن الله قد أعلمه بذلك أو ميل قلبه إليها وإلى طلاقها، فإن نفسه الأقدس مالت إليها بعد أن تزوجها زيد (*)، «وَتَخْشَى النَّاسَ»: تكره

(١) رواه النسائي وغيره ١٢ وجيز، وعزاه في الفتح إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه [وسنده صحيح] / ١٢.

(٢) منقول عن ابن عباس رضى الله عنه، ومجاهد ومقاتل بن حيان وغيرهم / ١٢ منه.

(٣) فإنها بنت أميمة ابنة عبد المطلب / ١٢ منه.

(*) هذا التأويل يحمل على سوء الظن بالنبي صلى الله عليه وسلم - وحاشاه من ذلك لمكان العصمة، وقد أورده الحافظ في "الفتح" (٣٨٤/٨) أثراً اعتمده في تأويل هذه الآية أخرجه ابن أبي حاتم عن السدى أن النبي صلى الله عليه وسلم - لما زوج زيداً زينب أعلمه الله تعالى بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم - أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً، ثم قال الحافظ: ووردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي =

قالتهم وتعيرهم، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فلا تأمر بما تعلم يقيناً أنه لا يتم، أو فلا تظهر بلسانك ما تحب بقلبك غيره، فإن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بتساوى الظاهر والباطن، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾: حاجة، ﴿زَوْجَنَا كَهَا﴾ بعد طلاقها وانقضاء عدتها بلا ولى من بشر ولا شاهد ولا مهر، ولهذا تقول افتخاراً: زوجنى الله^(١) من فوق سبع سموات والسمير جبريل، ﴿لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ بالبنوة، ﴿إِذَا قُضُوا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أى: دخلوا عليهن، قيل قضاء الوطر: كناية عن الطلاق يعنى لثلا يظن أن حكم الأدعياء حكم الأبناء، فإنه جاز أن يتزوج موطوءة دعيه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاءه، ﴿مَفْعُولًا﴾: مكوّنًا لا محالة، ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾: قدر وقسم له، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: سن ذلك سنة، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء أى: كثرة الأزواج سنة الأنبياء وطريقتهم من قبل، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾: قضاءه قضاء مقضيًا، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾، صفة مادحة للذين خلوا، ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فلا يمنعهم شيء من الإبلاغ بوجه فيه تهيج، بأن يسلك هو عليه السلام طريقتهم، ولذلك قالت عائشة^(٢): لو كنتم محمد عليه السلام شيئاً من

= حاتم والطبرى ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغى التشاغل بها، والذي أوردته منها هو المعتمد. والحاصل أن الذى كان يخفيه النبى صلى الله عليه وسلم - هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى، بأمر لا أبلغ منه وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخطب فى تأويل متعلق بالخشية. والله أعلم.

(١) كما رواه البخارى وأحمد والترمذى وغيرهم / ١٢ فتح.

(٢) رواه ابن جرير وغيره / ١٢.

الوحى لَكُمْ " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه " ،
 ﴿وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا﴾: كافيًا للمخاوف ، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾
 حتى ثبت بينه وبينه ما بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها ، والمراد ولده لا
 ولد ولده ، وأما قاسم وإبراهيم وطاهر مع أنهم لم يبلغوا مبلغ مبلغ الرجال ، فما كلنوا
 من رجالهم ، ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ أى : ولكن كان رسول الله ، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ :
 آخرهم ، وعيسى عليه السلام يتزل بدينه مؤيدًا له ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾
 فهو أعلم حيث يجعل رسالته .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
 إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ
 وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا
 وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ
 لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْلَهُمْ
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
 نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِّن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ
 مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ
 إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِى ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا
 أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَتِكَ
 الَّتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ

يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي
 أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿٥﴾ * تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُعْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَعْتَ
 مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَخْزَلَ
 وَتَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
 عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٦﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ
 وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 رَقِيبًا ﴿٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا﴾ (١) الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٢)﴾، في الحديث (أكثرُوا ذكر الله
 حتى يقال مجنون) (*)، وعن ابن عباس رضى الله عنه: ما فرض الله على عباده فريضة إلا
 جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، ﴿وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً﴾:
 أول النهار، ﴿وَأَصِيلًا﴾ وآخره خصوصًا، وعن بعض: المراد صلاة الصبح والعصر أو

(١) لما وعد بأنه أعد للذاكرين الله كثيرًا والذاكرات المغفرة والأجر العظيم وأثبت أنه بكل
 شيء عليم، أمر المؤمنين بالذكر فقال: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله" الآية/ ١٢
 وحيز.

(٢) روى الإمام أحمد والترمذى والطبرانى وابن ماجه "أنه سئل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمنا بأمر نتشبه به فقال: صلوات الله
 عليه وسلامه لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله" [صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧٧٠٠)]
 / ١٢ وحيز.

(*) "ضعيف" انظر الضعيفة .

العصر والعشائين، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾: يتعطف الله وملائكته عليكم ويترحمون، فإن استغفارهم تعطف سيما وهم مستجابوا الدعوة، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: من ظلمات الكفر والمعاصي، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الإيمان والطاعة، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ﴾: إضافة المصدر إلى المفعول، ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ في الجنة أو عند الموت، ﴿سَلَامٌ﴾ أى: يسلم الله عليهم وعن قتادة تحية بعضهم بعضاً في الدار الآخرة (سلام)، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: الجنة ونعيمها، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ لله بالوحدانية أو على الناس بأعمالهم في القيامة، وهو على الثاني حال مقدرة، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾، للكافرين، ﴿وَدَاعِيًا﴾ للخلق، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: إلى توحيده وطاعته، ﴿يَا ذُنُوبَهُ﴾^(١): بتيسيره قيد الدعوة به، إيذاناً بأنه أمر صعب لا يتيسر إلا بإعانتة، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: بيناً أمره يستضاء به عن الجهالة، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على محذوف، مثل: فراقب أحوال الناس، وصفه بخمسة أوصاف وحذف مقابل الأول لأن الباقي كالتفصيل له، فيكون وبشّر في مقابلة مبشراً، ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ كتضعيف الحسنات، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ دم واثبت على ما أنت عليه، وهو مع قوله، ﴿وَدَعِ أَذَاهُمْ﴾ مقابل لنذيراً أى: دع إيذاءهم إياك اصبر عليها ولا تغتم به، أو إيذاءك إياهم ولا تجازيهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ مقابل لداعياً، فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: موكولاً إليه الأمور وهو مقابل لسراجاً فإن من جعله برهاناً جدير بأن يكتفى به، وجاز أن يكون دع في مقابلة داعياً، فإن الداعى للخلائق لا بد له من الصبر، والمواساة حتى يتم له الأمر، وتوكل في مقابلة سراجاً وكفى بالله تأييد وتأكيد

(١) بتيسيره وإعانتته فإنه أمر صعب، يقال: البخيل غير مأذون في الإنفاق، أى غير مسهل

للتوكل، ﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ^(٢) طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾: تجامعوهن، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾: تستوفون عددها، وقوله: (المؤمنات) تحريض على نكاحهن، وظاهر الآية إن العدة بعد الجماع لا بمجرد^(٣) خلوة، وأن الطلاق بعد النكاح، وعليه جمهور السلف، ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ بنصف الصداق إن كان لهن صداق، وإلا فالمتعة على قدر حاله، وعن بعض المتعة غير النصف وهو أمر ندب، وعن بعض أمر وجوب، ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ومنع حق، ﴿يَا أَيُّهَا^(٤) النَّبِيُّ إِنَّا أَحْمَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ^(٥)﴾: مهورهن وتعجيل إعطاء المهر سنة، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ^(٦) اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: مما غنمك الله من دار الحرب، ﴿وَبَنَاتِ عِمَّاكِ﴾

(١) لما كان معقود تلك السورة بيان الأحكام وما وقع بينها متعلق بها، وحين تم حكم وما تعلق به يرجع إلى حكم آخر مناسب لما يليه، وأكثر أحكامها متعلق بالزواج والنساء، وكذلك ترى فيها تصريحًا باسمهن ما لم تر في غير تلك السورة وجميع أحكامها متناسقة فقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) لما كان العقد: رغبة، والطلاق: نفرة، والغالب أن يتخلل بينهما مهلة أتى بشم/ ١٢ وجيز.

(٣) وهذا في المطلقة، لكن المتوفى عنها زوجها عليها العدة مسها أو لا، وحكم الكتابيات حكم المؤمنات، فقوله: "المؤمنات" تحريض على نكاحهن / ١٢ وجيز.

(٤) ولما بين بعض أحكام أنكحة سائر الخلق، أتبعه بذكر طرف من نساء النبي فقال: "يا أيها النبي" الآية / ١٢ وجيز.

(٥) وهؤلاء في مقابلة ما ملكه الله، والواهبات أنفسهن والسراري / ١٢ وجيز.

(٦) غنمك الله من دار الحرب، وصفية وجويرية من ذلك فأعتقهما وتزوجهما وأما مارية وريحانة فمن السراري / ١٢ وجيز.

وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ لا كالنصارى فإنهم لا يتزوجون امرأة بينه وبينها سبعة أجداد، ولا كاليهود يتزوج أحدهم ابنة أخيه وأخته، ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة لا يحل^(١) له غير المهاجرات، وعن بعض معناه: اللاتي أسلمن، ﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ دون غيرها، نصبها بأحللنا لأن معنى أحللنا قضينا أو أعلمنا حلها، فلا ينافي الماضي الشرط المستقبل، أو نقول أحللنا جواب الشرط بحسب المعنى والحقيقة، فهو أيضاً مستقبل، ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ أى : طلب نكاحها يعنى هبتها نفسها منه لا توجب حلها إلا بإرادته نكاحها، فإنها جارية مجرى القبول، عدل إلى الغيبة ثم إلى الخطاب بقوله: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الدُّنْيَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للإيدان بأنه مما خص به لشرف النبوة والخطاب أدخل في التخصيص، والاسم في التعظيم والأصح أنه ينعقد في حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولى وشهود ومهر، وعند بعض لا ينعقد في حقه أيضاً إلا بلفظ الإنكاح واختصاصه في ترك المهر فقط، ونصب خالصة على المصدر المؤكد لمضمون جملة "امرأة مؤمنة" إلخ، أو على الحال من ضمير "وهبت" أو تقديره: هبة خالصة لك، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾، من حصرهم في أربع نسوة واشتراط عقد ومهر وشهود، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، من توسيع الأمر فيها، ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾، متعلقه خالصة أى : اختصاصتك بأشياء في الزواج لئلا يكون عليك ضيق فقوله : " قد علمنا " إلى " أيمانهم " معترضة بين خالصة ومتعلقها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للزلات، ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة، ﴿تُرْجَى﴾: تؤخر، ﴿مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾: من نسائك ومن الواهبات، ﴿وَتُؤَيَّ﴾: تضم، ﴿إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: من نسائك والواهبات، يعنى: أنت بالخيار في أمرهن قد

(١) كما في حديث الترمذى وغيره [وسنده ضعيف، فإنه من رواية السدى عن أبى صالح]

حط عنك القسم فلا يجب عليك^(١) بعد، وفي أمر الواهبات إن شئت قبلت وإن شئت رددت، «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ»: طلبت وأردت إصابتها، «مِمَّنْ عَزَلْتَ»: من النساء اللاتي عزلتهن عن القسمة، «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» في ذلك، «ذَلِكَ» التفويض إلى مشيئتك من غير وجوب القسم، «أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ» أى : أقرب إلى قرءة عيونهن، وقلة خزنهن ورضاهن جميعاً، فإنه إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختياراً فرحن به، وحملن جميلتك في ذلك واعترفن بعدلك وكمال إنصافك في قسمك، وإن رجحت بعضهن علمن أنه بفسحة من الله لك ورضاه، فتطمئن^(٢) نفوسهن، وعن بعض معناه تطلق من تشاء منهن، وتمسك من تشاء، ومن ابتغيت ممن طلقت بالرجعة فلا إثم، والتفويض إلى رأيك أقر لرضاهن، لأنك لو لم تطلقهن حملن في ذلك جميلتك " وكلهن " تأكيد لفاعل "يرضين"، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» من الميل إلى بعضهن مما لا يمكن دفعه، «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا» فلا يؤاخذكم بما في قلوبكم، «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ»، من بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشرة فما فوقها، «وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ»: بأن تطلق واحدة من هؤلاء وتزوج بدلها أخرى، «وَلَوْ أَغْنَبَكَ حُسْنُهُنَّ»^(٣) أى : مفروضاً إعجابك بهن، حال من فاعل تبدل، وعن

(١) وذلك أشهر الأقوال في الآية وأصحها كما قاله القرطبي وقال ابن عباس : تطلق من تشاء، وتمسك من تشاء / ١٢ كمالين.

(٢) واتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم راعى القسم إلى وفاته وأخذ بالفضل، غير ما جرى لسودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة لئلا يطلقها، فتكون محشورة بين نسائه / ١٢.

(٣) وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء، ويؤيده ما روى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل) أخرجه أبو داود [حسن، وانظر صحيح الجامع] / ١٢ فتح.

كثير من السلف: لما خبرن بين الدنيا والآخرة فاخترن الآخرة كما تقدم جازاهن الله بتحريم التزويج لغيرهن، ثم نسخ حكم هذه الآية كما دل عليه الأحاديث الصحاح وأباح^(١) له التزوج أى عدد أراد لكن لم يقع منه بعد ذلك لتكون المنة له عليه السلام وعن بعض معناه: لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة التى مر ذكرها فى قوله: "إنا أحللنا" الآية، فلا يحل له عريية غير بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، ولا غير مهاجرة وإن كانت قريبة، ولا غير مؤمنة فقوله "ولا أن تبدل بهن" على هذا تأكيد بخلافه فى المعنى الأول، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ^(٢) يَمِينُكَ﴾ استثناء متصل من النساء المتناول للأزواج والإماء، أو منقطع، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ فلا تتخطوا عما حد لكم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَالِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ

(١) كما صرحت بذلك عائشة كما روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى فى سننهما عنها/ ١٢ وجيز. وأخرج أحمد والترمذى فى صحيحه والنسائى والحاكم وصححه، عن عائشة قالت: (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم لقوله "ترجى من تشاء منهن" الآية، وعن ابن عباس رضى الله عنه مثله / ١٢ فتح.

(٢) وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية القبطية أهداها له المقوقس ملك القبط، وهم أهل مصر والإسكندرية، وولدت له إبراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان، ومات فى حياة أبيه، وله سبعون، يوماً وقيل: سنة وعشرة أشهر / ١٢ فتح.

وَرَأَى حِجَابٌ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿١٧﴾ إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٨﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا^(٢) بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أى : إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذونًا، أو إلا بأن يؤذن لكم، ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى، ﴿غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّاهُ﴾: غير منتظرين إدراكه أو وقته، حال من ضمير لكم، فمى عن جميع الأوقات إلا وقت وجود الإذن المقيّد، يعنى : لا ترقبوا طبخ الطعام حتى إذا قارب الاشتواء تعرضوا للدخول فإنه مذموم، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: اخرجوا من بيته ولا تمكثوا فيه، ﴿وَلَا مُسْتَنْسِينَ

(١) لما بين ما تجب مراعاته عليه من حقوقهن، شرع يبين ما تجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي " الآية / ١٢ فتح.

(٢) هذا الأمر بعد ضرب الحجاب بقوله: " وقرن في بيوتكن " / ١٢ وجيز.

لِحَدِيثٍ أَيْ : لِحَدِيثِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا عَظَفَ عَلَى نَاضِرِينَ، «إِنَّ ذَلِكُمْ» الْمَكْثُ،
«كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» : مِنْ إِخْرَاجِكُمْ، «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ
الْحَقِّ» أَيْ : اللَّهُ لَا يَمْتَنِعُ وَلَا يَتْرَكَ الْحَقَّ تَرْكَ الْحَيِّ مِنْكُمْ، يَعْنِي : إِنْ إِخْرَاجَكُمْ حَقٌّ
يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَسَحَّيَ مِنْهُ، نَزَلَتْ ^(١) حِينَ تَزُوجُ زَيْنَبَ، وَأَوَّلَ، فَلَمَّا طَعَمُوا جُلَسَ ثَلَاثَةَ
مِنْهُمْ مُتَحَدِّثِينَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَتَرْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ لِيَدْخُلَ وَهُمْ جُلُوسٌ، وَكَانَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ شَدِيدَ الْحَيَاءِ فَرَجَعَ، «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا» : حَاجَةً، «فَاسْأَلُوهُنَّ» الْمَتَاعَ،
«مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ»، أَيْ : سِتْرٍ، هَذِهِ آيَةُ الْحِجَابِ نَزَلَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ
الْخَامِسَةِ أَوِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، «ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» مِنْ وَسَاوِسِ
الشَّيْطَانِ وَالرِّيْبَةِ، «وَمَا كَانَ» : مَا صَحَّ، «لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» بِوَجْهِهِ،
«وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا» نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ هُمْ أَنْ يَنْكِحَ
بَعْضُ نِسَائِهِ إِنْ قَبِضَ، وَاخْتَلَفَ فِي الْمَطْلُوقَةِ بَعْدَ الدَّخُولِ، هَلْ تَحِلُّ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، أَمَّا
مَطْلُوقَتُهُ قَبْلَ الدَّخُولِ فَلَا نِزَاعَ فِي حِلِّهَا، «إِنَّ ذَلِكُمْ» إِيْذَاءُهُ وَنِكَاحُ نِسَائِهِ، «كَانَ
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا» كَنِكَاحِهِنَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ، «أَوْ تُخْفُوهُ» فِي
صُدُورِكُمْ، «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا»، قِيلَ : لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ ^(٢) الْحِجَابِ قَالَ
رَجُلٌ : مَا لَنَا نَمْنَعُ مِنَ الدَّخُولِ عَلَى بَنَاتِ أَعْمَامِنَا، فَتَرَلْ قَوْلُهُ : "إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا" الْآيَةُ،
«لَا جُنَاحَ» لَا إِثْمَ، «عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ
إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ» أَيْ : فِي أَلَا يَحْتَجِبْنَ مِنْ هَؤُلَاءِ سِوَى عِكْرَمَةِ وَالشَّعْبِيِّ :
عَنْ سَبَبِ تَرْكِ ذِكْرِ الْعَمِّ وَالْحَالِ؟ فَقَالَا : لِأَنَّهُمَا يَصِفَاهُمَا لِبَنِيهِمَا، وَقِيلَ : لِأَنَّهُمَا بِمِثْلَةِ
الْوَالِدَيْنِ فَلَا حَاجَةَ، «وَلَا نِسَائِهِنَّ» أَيْ : الْمُؤْمِنَاتِ، «وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» :

(١) كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ / ١٢ وَجِيزٌ.

(٢) ذَكَرَهُ بِحَيْ السَّنَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ / ١٢ مِنْهُ.

من العبيد والإماء، وقد مر بسطه في سورة النور، ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ في السر والعلانية، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾^(١) وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ: يترحمونه ويعظمونه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢) قولوا: اللهم صل على محمد وسلم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ فينسبون إليه ما لا يليق بكبريائه كقولهم: "يد الله مغلولة" (المائدة: ٦٤)، ﴿وَرَسُولَهُ﴾ بالطعن فيه وفيما يتعلق به، أو المراد من إيذائهما فعل مايكرهانه، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، يعنى: عذابًا جسدًا وروحانيًا، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغير جناية واستحقاق للأذى، ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ عن مقاتل: نزلت في الذين يؤذون على بن أبي طالب، ويسبونونه، وفي الترمذى "قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قال: أفرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال: (إن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)"^(*).

(١) ولما كان أكثر الآيات المذكورة دالة على شرف نبي الله صرح بما تضمنه فقال: "إن الله وملائكته يصلون على النبي" أى: إن الله يذكر نبيه بالثناء والتبجيل، وملائكته يسألون من ربه ثناء رسوله وتعظيمه، ولا شك أن هذا الطلب منهم عين الثناء والتعظيم / ١٢ وحيز.

(٢) عظموا أنتم نبيكم بأن تطلبوا من فضل الله مزيد ثناء وتنويه قدره فعلى هذا لا اشتراك ولا جمع بين الحقيقة والمجاز، وعند أكثر أهل العلم الصلاة والسلام عليه فرض غير محدود بوقت، وسقوط الفرض بالصلاة عليه في عمره مرة، أما عند الشافعى وأصحابه فواجبة في تشهد الصلاة لا غير / ١٢ وحيز.

(٣) في الصحيحين يقول الله عز وجل: "يؤذيني ابن آدم ويسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره" ومعناه كما أورده الشافعى وغيره، أن أهل الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر، فعل بنا كذا وكذا، وينسبون أفعال الله إليه ويسبونونه، وإنما الفاعل لذلك الله / ١٢ منه.

(*) صحيح أخرجه أبو داود وغيره، وانظر غاية المرام .

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨﴾﴾
 * لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٩﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثِقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا ﴿١٠﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١١﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٤﴾ يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾
 الجلباب: رداء فوق الخمار تستر من فوق إلى (١) أسفل، يعنى يرخيها عليهن ويغطي وجههن وأبداهن، ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾: أقرب، ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾: أنهن حرائر ويميزن من الإماء، ﴿فَلَا يُؤْذِينَ﴾: بالتعرض لهن، كان ناس من الفساق يتعرضون للإماء حين كانت تخرجن في الليالي، فأمرت الحرائر بإرخاء الجلباب لتمييز الحرائر من الإماء، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: لما سلف من ترك التستر، ﴿رَحِيمًا﴾ بعباده حيث يأمرهم بجزئيات مصالحهم، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ﴾: عن نفاقهم، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ: ضعف إيمان، وهم الزناة عن فجورهم، ﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾: المخبرون على غير حقيقة عن فعلتهم، ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهم الذين يخبرون عن سرايا المسلمين بأخبار^(١) سوء، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: نسلطنك عليهم ونأمرنك بقتالهم، ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوكَ فِيهَا﴾: في المدينة عطف على لنغرينك بهم، كأنه قال: لئن لم ينتهوا ليحصل لهم خطبان، عظيمان الثاني أعظم عليهم فإن الجلاء من الأوطان أعظم المصائب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: زمانًا قليلًا وذلك بأن يضطروا إلى الجلاء، ﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصب على الذم، وقيل: حال من فاعل يجاورون بأن دخل إلا على الظرف والحال معًا يعنى: لا يجاورون في زمن من الأزمنة وفي حال من الأحوال إلا قليلًا ملعونين وفيه ضعف، ﴿أَيُّنَمَا تُقِفُوا﴾: وجدوا، ﴿أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ وهذا الحكم فيهم على جهة الأمر، وكأن المنافقين والفجار والمرجفين كانوا قومًا واحدًا هم المنافقون، ذكرهم الله بثلاث خصائلهم^(*)، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أى: سن الله سنته، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ في الذين ينافقون الأنبياء، أن يقتلوا حيث وجدوا، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: تغييرًا، فإنه لا يغير سنته، ﴿يَسْأَلُكَ^(٢) النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾: عن وقت قيامها؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لم يطلع عليه أحدًا، ﴿وَمَا يُذْرِيكَ﴾: أى شيء يعلمك وقتها، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، تذكير قريبًا لأن الساعة بمعنى اليوم، أو لأنه صفة محذوف،

(١) كانوا يخبرون عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم كسروا وقتلوا، وجرى عليهم كيت وكيت، وفي المدينة يحتمل تعلقه بالآخر، وبالثلاثة على سبيل التنازع / ١٢ وحيز.

(*) وفي النسخة (ن): خصائل لهم.

(٢) ولما ذكر خصائص المنافقين وبئس أمرهم، وأن حكمهم كحكم من قبلهم، تعرض بشيء من قبائحهم مثل قبائح الذين خلوا، فقال: "يسألك الناس عن الساعة" سخرية وتعجبًا واستخفافًا، كما كان الأولون يسألون عن أنبيائهم / ١٢ وحيز.

أى: شيئاً أو زماناً قريباً، أو لأنه بوزن فاعيل الذى يستوى فيه الصيغ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ
الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا^(١)﴾: ناراً شديدة الإيقاد، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا
يَجِدُونَ وِلْيَةً﴾: يحفظهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: تصرف
من جهة إلى جهة كلحمة تدور فى القدر إذا غلت، أو المراد طرحها فى النار مقلوبين
منكوسين، ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ناصب يوم: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا
رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾: هم الذين لقنوهم الكفر، ﴿فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ رَبَّنَا
آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أى: من عذابنا، أو من هذا العذاب الذى عذبته به،
فإنهم أحقاء لزيادة لعذاب، ﴿وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا^(٢)﴾: هو أشد اللعن وأعظمه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا
وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا
۝ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾

(١) ولما بين حالهم فى الدنيا، أنهم ملعونون مهانون مقتولون، عقبه بحالهم فى الآخرة فقال:

"إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً" الآية / ١٢ وحيز.

(٢) فإنهم ضلوا وأضلوا عبادك، ولما كان المنافقون وبعض المؤمنين آذوا رسول الله بأنه

تزوج زوجة ابنه وبغير ذلك، أنزل الله تعالى قوله: "يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا

كالذين آذوا موسى" الآية / ١٢ وحيز.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ حين نسبوه إلى برص وأدره لفرط تستره^(١) حياء، أو حين نسبوه إلى قتل أخيه هارون^(٢)، ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، بأن أظهر براءته من مضمون مقولهم مؤداه بمعجزة، ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا وجاهة ومترلة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصداً إلى الحق عدلاً صواباً، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ بالقبول يعنى يتقبل حسناتكم أو يوفقكم للأعمال الصالحة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فإن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣)، أظفر بالخير كله، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾^(٤)، الطاعة والفرائض، ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) رواه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً / ١٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

(٣) لما أرشد إلى ما أرشد من ترك الأذى واتباء الله وسداد القول، ورتب على الطاعة ما رتب، أراد أن يبين أن ما كلفه الإنسان أمر عظيم لا يتبع إلا من له وجاهة ورتبة فقال: "إنا عرضنا الأمانة" الآية / ١٢ وحيز.

(٤) قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور، وقد اختلف في تفاصيل بعضها، فقال ابن مسعود: هي أمانة الأموال كالودائع وغيرها، وقال أبو الدرداء: غسل الجنابة أمانة، وقال السدى: هي ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانتة إياه، في قتله وما أبعد هذا القول، وليت شعري ما هو الذى سوغ للسدى تفسير هذه الآية بهذا، فإن كان ذلك لدليل دله على ذلك فلا دليل، وليست هذه الآية حكاية عن الماضى من العباد حتى يكون له في ذلك متمسك فهو أبعد من كل بعيد وأوهن من بيت العنكبوت، وإن كان تفسيره هذا عملاً بما تقتضيه اللغة العربية، فليس في لغة العرب ما يقتضى هذا ويوجب حمل هذه الأمانة المطلقة على شيء كان في أول هذا العالم، وإن كان هذا تفسيراً منه بمحض الرأي، فليس الكتاب العزيز عرضة لتلاعب آراء الرجال به، ولهذا ورد الوعيد على من فسر =

وَالْجِبَالِ ، بأن قلنا لمن : هل تحملن الأمانة وما فيها ؟ قلن بعد أن أنطقهن^(١) الله : وأى شيء فيها ؟، قلنا : إن أحستن أثباتكن، وإن أسأتن عوقبتن^(٢)، قلن : لا طاقة لنا ولا نريد الثواب، «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ» : خفن، «مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ» : آدم لما عرضنا عليه، «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا» لنفسه بتحملة ما يشق عليها، «جَهُولًا» بوخامة^(٣) عاقبته، عن كثير من السلف: ما كلف بين قبول الأمانة، وبين خطيئته إلا قدر ما بين العصر إلى الليل، ذكر الزجاج وبعض العلماء أن الأمانة في حق السماوات والأرض والجبال الخضوع والانقياد لمشيئة الله وإرادته، وفي حق بني آدم الطاعة والفرائض، ومعنى "أبين أن يحملنها" على هذا: أدين الأمانة ولم يخن فيها، وخرجن عن عهدتها، وحملها الإنسان خان فيها وماخرج عن عهدتها، يقال: فلان حامل الأمانة ومحتملها، أى لا يؤديها إلى صاحبها، وقد نقل عن الحسن مثل ذلك، والظلمية والجهولية باعتبار الجنس، قال الإمام الرازى: أى من شأنه الجهل والظلم،

= القرآن برأيه، فاحذر أيها الطالب للحق عن قبول مثل هذه التفاسير، واشدد يدك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية فهو قرآن عربى كما وصفه الله، فإن جاءك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلتفت إلى غيره، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وكذلك ما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فإهم من جملة العرب ومن أهل اللغة ومن جمع الى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية، ولكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به فى لغة العرب، فعليك أن تضم إلى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، فخذ هذه الكلية تنتفع بها / ١٢ فتح.

(١) هذا كلام أكثر السلف، وهو غير مستحيل كحنين الجذع وتسبيح الحصى وغير ذلك / ١٢ وجيز.

(٢) وعن عظماء السلف أنهم ضجحن إلى الله ثلاثة أيام قائلات: لا طاقة لنا بالعمل / ١٢ وجيز.

(٣) وخامة: ثقالة / ١٢ وجيز.

كما تقول: الماء طهور والفرس جموح، ﴿لِيَعَذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ تعليل للعرض
يعنى عرضناها ليظهر نفاقهم فيعذبهم ويظهر إيمانهم فيتوب عليهم، ويعود بالرحمة
والغفران عليهم إن حصل منهم تقصير وللإشارة إلى تقصير الأكثرين، قال: "ويتوب
الله" أو تعليل للحمل واللام للعاقبة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، حيث يقبل التوبة
ويثيب.

والحمد لله على لطفه وفضله.

سورة سبأ مكية

قيل لإقوله: "ويرى الذين أوتوا العلم" الآية

وهي أربع وخمسون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا
تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ
﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا
مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ
جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا
إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ
الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ

مُنِيبٍ ﴿٩﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلها^(١) منه نعمة وفضلا، فهو الحقيق بالحمد وحده في الدنيا، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ لأن ما في الآخرة أيضا خلقه، وهم^(٢) المنعم عليه فيها بلا وساطة أحد، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: كالدقائق والأموات والبدور، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالحيوان والنبات، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، كالطرر والملك والأرزاق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالملك والأعمال الصالحة، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾: للمقصرين في شكر تلك النعم، ﴿وَقَالَ^(٣) الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: القيامة، إنكاراً للبعث، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ إثبات لما نفوه باكد وجه، ﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾: الساعة، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، بالجر صفة ربي، وبالرفع على تقدير هو عالم وصفه بهذه من بين الصفات لأن الساعة من أدخل المغيبات في الخفية، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾: لا يبعد، ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: مقدار أصغر ثملة، ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو كلام منقطع عما قبله بالرفع، أو الفتح كلا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿لِيَجْزِيَ﴾: الله، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ متعلق بقوله: "لتأتينكم"^(٤) ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنة بلا تعب ومنة، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾: بالإبطال، ﴿مُعَاجِرِينَ﴾: مفوتين على زعمهم يحسبون أنهم يموتوننا، ﴿أُولَٰئِكَ

(*) في النسخة ن: كله.

(*) في النسخة ن: وهو.

(١) لما ذكر تلك الأمور البدائع من خلقه وأثبت العلم الواسع له، فليس لأحد أن ينكر شيئا من بدائعه التي أخبر بها، فقال على سبيل التعجب: "وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة" ١٢/وجيز.

(٢) أي: الساعة ليجزي، وقيل لا يعزب ليجزي، والأول أولى وإن كان الثاني أقرب، وما ذلك إلا حجة ساطعة في صدق ما أقسم عليه لأنه مركوز في العقول ثبوت الجزاء والعقاب للمحسن والمسيء، فكأنه تعليل لتأتينكم ١٢/وجيز.

لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ: سيئ العذاب، «أَلِيمٌ»^(١): مؤلم، «وَيَرَى»: يعلم، «الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ»، كمؤمنى أهل الكتاب، أو كالصحابة ومن تبعهم، «الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»: أي: القرآن، «هُوَ الْحَقُّ»، ثانى مفعولى يرى والضمير فصل، وقراءة الرفع على أهما مبتدأ وخبر والجملة ثانى مفعوليه، قيل ويرى عطف على ليجزى أي: ليرى أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عياناً كما علموه الآن برهاناً، «وَيَهْدِي»: القرآن، أو الذين أوتوا العلم، «إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» هو دين الإسلام، «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا»^(٢) أي: بعضهم لبعض، «هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَعْنُونَ أَصْدَقَ الصَّادِقِينَ - عليه الصلاة والسلام «يُنَبِّئُكُمْ»: يحدثكم بمحال عجيب، «إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ»: فرقتم وقطعتم كل تفريق وتقطيع ولما كان ما بعد إن لا يعمل فيما قبله فعامل إذا محذوف يدل عليه قوله: «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» أي: تنشأون خلقاً جديداً بعد أن تكونوا تراباً، «أَفْتَرَى» أي: أفتري، «عَلَى اللَّهِ كَذِبًا»: اختلق عليه قاصداً للكذب، «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ»: فينفوه بما لا يعقله وجاز أن تكون منقطعة كأنهم قالوا: دعوا حديث الافتراء فإن هاهنا ما هو أهم منه فإن العاقل لا يفتري المحال، بل جنونه يوهمه ذلك، «بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»^(٣) بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ: عن الصواب ولذلك يترددون في أنه مفتر أو مجنون، ولولا ذلك لعلموا أنه أصدق وأعلم الصادقين والعالمين وصف الضلال بما هو صفة للضال حقيقة للإسناد

(١) صاحب ألم، كان الرجز أو العذاب من شدته صاحب ألم فما حال المعذب به ١٢/١٩ وحيز.

(٢) بعد ما أنكروا مجيء الساعة وقالوا لا تأتينا الساعة قال بعضهم لبعض على سبيل التعجب والتعجب "هل ندلكم على رجل" يعنون أصدق الصادقين عليه الصلاة والسلام ونكروا اسمه، وهو أعرف اسم في الأرض والسماء كأنهم لا يعرفونه ١٢/١٩ وحيز.

(٣) أضرب تعالى عن مقالاتهم والمعنى: ليس للرسول مثل ما نسبتم إليه، بل أنتم في العذاب والضلال البعيد ١٢/١٩ وحيز.

المجازي، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَاشِئَ
نُحُفٍ بِهِنَّ الْأَرْضُ أَوْ يُنْسَقِطُ عَلَيْهِنَّ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: أعموا فلم ينظروا إلى
أن السماء والأرض محيطتان بهم لا يستطيعون الخروج من أقطارهما ولم يخافوا أن نُحُفٍ
بهم أو نسقط عليهم قطعة من السماء لكفرهم؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما يرون من السماء
والأرض، ﴿لَايَةً﴾: دلالة، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾^(١): راجع إلى ربه مطيع لكثرة تأمله.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ
الْحَدِيدَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ لَيَالٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧﴾ وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا
شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٨﴾ يَعْمَلُونَ
لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا
قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ
مِنْسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا
لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ
عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ

(١) ولما ذكر إنكارهم البعث لأنه مستحيل عندهم ذكرهم بأشياء كل منها مستحيل عادة
بعضها اتفقت به أخبارهم ونطقت به أشعارهم، ومن اعترف بنبوته ولم يعترف بالبعث
مع أنه اتفق عليه ألسنة الصادقين بالأدلة الواضحة مع البينات الظاهرات من المعجزات
فما هو إلا معاند قليل الحياء، فقال: "ولقد آتينا داود منا فضلا" الآية ١٢-١٢ وجيز.

وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ
يَجَنَّتِيهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِیْ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَىءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِی بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَهَرَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا
فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا
مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ
بِآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِیظٌ ﴿٢١﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ جمع له بين النبوة والملك والجنود والمعجزات الظاهرة،
﴿يَا جِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ﴾ أي: قلنا يا جبال رجعي معه التسييح، أو النوحة أي: سبحي
معه إذا سبح بدل من "آتيناه" ﴿وَالطَّيْرُ﴾، عطف على محل جبال أو مفعول معه لأوبى
كان إذا سبح تسبح معه الجبال والطير وتجاوبه بأنواع اللغات، ﴿وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾:
كالطين والشمع يصرفه بيده من غير نار ولا ضرب مطرقة، ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾
أي: أمرناه أن يعمل دروعًا واسعات، ﴿وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ^(١)﴾: لا تجعل المسامير دقاقًا
ولا غلاظًا قليل أي: قدر في نسجها تناسب حلقها فإن دروعه لم تكن مسمرة،
﴿وَاَعْمَلُوا﴾ أي: داود وآله، ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا يضيع
عملكم، ﴿وَلَسُلَيْمَانَ﴾ أي: وسخرنا له، ﴿الرَّيْحَ﴾، وقراءة رفع الريح على تقدير

(١) والسرود: نسج الدورع/١٢.

ولسليمان الريح مسخرة، ﴿عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾: مسيرها بالغداة إلى انتصاف النهار مسيرة شهر وبالعشى كذلك ففي اليوم الواحد تجرى مسيرة شهرين، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: أسال معدن النحاس فينبع كما ينبع الماء من العين، ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾، حال متقدمة أو خير لقوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، والجملة عطف على الريح، ﴿يَاذِنِ رَبِّي﴾: بأمره، ﴿وَمَنْ يَرِغْ﴾: يعدل، ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذي هو طاعته، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يدركه الصاعقة فتحرقه أو المراد عذاب الآخرة، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ﴾، البناء الرفيع والمساجد والقصور، ﴿وَتَمَائِيلَ﴾: صور الملائكة والأنبياء واتخاذها مباح في شريعتهم، ﴿وَجِفَانَ﴾، جمع جفنة أي: قصعة، ﴿كَالْجَوَابِ﴾، جمع جابية وهى الحوض الكبير، ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: ثابتات كالجبال أتايفها منها قيل كان يأكل في جفنة ألف رجل ﴿اعْمَلُوا^(١)﴾ حكاية ما قيل لهم، ﴿آل^(٢) دَاوُدَ شُكْرًا﴾ أي: الجن يعملون لكم فاعملوا أنتم شكراً، والشكر على ثلاثة أضرب بالقلب وباللسان وبالجوارح فقال:

(١) وإنما قال اعملوا لينبه على التزام جميع أنواع الشكر فإن في قوله عليك بإعمال الفكر مبالغة ليس في قولك تفكر في تلك المسألة، وكان عليه السلام لا يشبع قط من خبز الشعير ولا يطعم ألد الأطعمة/١٢ وحيز.

(٢) أي: قلنا لهم اعملوا يا آل داود شكراً له على ما آتاكم وسئل الجنيد عن الشكر فقال: بذل المجهود بين يدي المعبود، ثم بين بعد أمرهم بالشكر أن الشاكرين له من عباده ليسوا بكثير، فقال: "وقليل من عبادى الشكور" وقال ابن عباس يقول: قليل من عبادى الموحدين توحيدهم، والشكور المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً، وقد جاء عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى/١٢ فتح.

"اعملوا" لينبه على التزام الأنواع الثلاثة أو مصدر لاعملوا لأن فيه معنى اشكروا، أو معناه اعملوا طاعة الله للشكر أو شاكرين، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾: المبالغ الباذل وسعه فيه، ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: على سليمان، ﴿الْمَوْتَ^(١) مَا دَلَّهُمْ﴾ أي: الجن، ﴿عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ﴾: الأرضة، ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: عصاه، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سليمان، ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، كان من عادته أنه يعتكف في مسجد بيت المقدس سنة وستين وأقل وأكثر، فلما علم قرب أجله قال: اللهم غم موتي على الجن حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، ثم دخل الحراب واتكأ على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائماً يحسبونه حياً وهم في أعمالهم الشاقة، فلما أكلت الأرضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة نحواً من سنة فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في أى موضع^(٢) هى فيه، وتبين إما بمعنى ظهر لازم فيكون أن مع صلتها بدل اشتمال من الجن كما تقول تبين زيد جهله أي: ظهر جهل الجن للإنس، وإما متعدٍ أي: علموا أنهم كانوا كاذبين في ادعاء علم الغيب، ولو علموا

(١) أي: أنفذنا عليه ما قضينا في الأزل من الموت وأوقعناه عليه/١٢ وجيز.

(٢) كذا روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره هذا ما في الوجيز ومعنى هذه القصة نقل صاحب الفتح وعزاها إلى البزار، وابن جرير، وابن المنذر والطبراني وابن السني وغيرهم ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك، وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة أربعين سنة، وشرع في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضيئ في ملكه، وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل إن داود أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى، فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقي من عمره سنة سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا عنه ولتبطل دعواهم علم الغيب/١٢ فتح.

لعلموا موته حين وقع فلم يلبثوا في الأعمال الشاقة التي هي العذاب المهين بعد مدة، **﴿لَقَدْ^(١) كَانَ لِسَبَإٍ﴾**: اسم قبيلة، **﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾**: موضع سكنهم، وهو باليمن أو مسكن كل واحدٍ منهم، **﴿آيَةً^(٢)﴾**: دالة على وجود قادر مختار على ما يشاء، **﴿جَنَّاتٍ﴾**، بدل من آية أو خير محذوف هو هي، **﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾** أي: جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها، وكل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة والآية قصتهما، **﴿كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾**، حكاية ما قال لهم الأنبياء أو لسان الحال، **﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾**، كانت أرخص البلدان أو أطيبها في الهواء، ولم يكن فيها ذباب ولا شيء من الهوام، **﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾**: لمن شكره استئناف لبيان موجب الشكر أي: هذه بلدة طيبة، وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور، **﴿فَأَعْرِضُوا﴾**: عن الشكر إلى عبادة الشمس، وكذبوا الأنبياء **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾** العرم: الوادى أو الماء الغزير أو الصعب أو الجرد، وهو نوع من الفأر الذى نقب عليهم السد **﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ﴾**: أراك **﴿٤﴾** قيل: كل شجر ذى شوك أو كل نبت مر فهو خَمْط، والأكل الثمر وأصله أَكُلِ أَكُلِ خَمْطٍ فأقيم المضاف إليه مقام المضاف، **﴿وَأَثَلٍ﴾** هو الطرفاء أو

(١) ولما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين الكافرين لها تذكرة لقريش وعبرة وموعظة لكل من سمعه فقال: "لقد كان لسبأ" الآية/ كذا فى الوجيز والفتح/ ١٢.

(٢) وأما الآية فما هى إلا قصتهم من إعراضهم عن الشكر وخراب ديارهم/ ١٢ وجيز.
(٣) عن وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وقال السدي: اثني عشر ألف نبي فالله أعلم/ ١٢ منه.

(٤) فسرهُ بالأراك جماعة من مشاهير السلف كابن عباس -رضى الله عنه- والحسن وقتادة والسدى الكبير/ ١٢ منه.

شجر يشبهه عطف على أكل، فإن الأثل لا أكل له، ﴿وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ هو أجود أشجارها وتسمية البدل جنة للمشاكلة، وفيه من التهكم، كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيستعملونه على قدر حاجتهم، فلما كذبوا الرسل سلط الله عليه الجرد فنقبه وغرقهم، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: بكفرهم أو بكفرائهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي^(١) إِلَّا الْكَفُورَ﴾: هل يعاقب إلا البليغ في الكفر، أو الكفران أو هل نجازى بمثل هذا الجزاء إلا الكفور، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، هي قرى الشام، ﴿قُرَى ظَاهِرَةَ﴾: متواصلة يرى بعضها من بعض بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل ماء وزاد، ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: بحيث يقلبون من اليمن إلى الشام في قرى ويبيتون في أخرى، ﴿سِيرُوا﴾ أي: قلنا لهم: سيروا، ﴿فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: لما مكنوا من السير في رغدٍ وأمن كأهم أمروا بذلك وأذن لهم إن شاءوا في الليل، وإن شاءوا في النهار فإن الأمن في كلا الوقتين حاصل، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، لما بطروا النعمة وملوا العافية طلبوا مفاوز يحتاجون في قطعها إلى زاد ورواحل وسير في حرور ومخاوف ويمكن أن يكون ذلك لثلا يتمكن الفقراء من تلك السفرة، فيتناولون عليهم وهذا كما طلب بنو إسرائيل الفوم والعسب بدل المن والسلوى، ﴿وَوَظَلُّمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالبطر، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لمن بعدهم فصاروا ضرب مثل يقال: تفرقوا أيدي سبأ، ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ﴾: فرقناهم في الأرض، ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: كل تفريق بعض إلى الشام، وبعض إلى عمان، وبعض إلى العراق، وهكذا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي، ﴿شَكُورٍ﴾: على النعم وهو المؤمن

(١) والحاصل أن الله سبحانه عدد عليهم النعم، ثم ذكر ما نزل بهم من النقم، ثم عاد لتعديد بقية ما أنعم به عليهم مما هو خارج عن بلدتهم من اتصال القرى بينهم وبين ما يريدون السفر إليه، ثم ذكر بعد ذلك تبديله بالمفاوز والبرارى كما سيأتي ١٢/فتح.

فإنه إذا أعطى شكر وإذا ابتلى صبر، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: حقق ظنه فيهم، وأما على قراءة تخفيف الدال فبتقدير في ظنه أو يظن ظنه نحو فعلته جهدك أو لأن صدق نوع من القول عدى إليه بنفسه كصدق وعده، وكلام السلف دال على أن ضمير عليهم لبي آدم لا لأهل سبأ خاصة عن بعض^(١) منهم أن إبليس لما قال: لأضلنهم ولأغوينهم، لم يكن مستيقناً أن ما قاله يتم فيهم، وإنما قاله ظناً فلما أطاعوه صدق عليهم ما ظنه، ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من بيانية أي: فريقاً هم المؤمنون، وقيل للتبعيض والمراد غير العاصين منهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما كان تسليطنا إياه عليهم بالوسوسة والإغواء، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: لتمييز المؤمن من الشاك، أو لنعلم علماً وقوعياً فإنه كان معلوماً بالغيب أو ليتعلق علمنا تعلقاً يترتب عليه الجزاء، فالمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾: محافظ.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٌ﴾ (٢١) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٢) * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٣) قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٤) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٥) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ

(١) قاله الحسن البصري وابن قتيبة/١٢ منه.

شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا
الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُونَ عَنْهُ سَاعَةً
وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿قُلِ (١)﴾: يا محمد لمشركى قومك، ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة،
﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من الملائكة، والأصنام ليكشفوا عنكم ضركم ويعينوكم
ويرزقوكم، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: من خير وشر، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ﴾، جملة لا يملكون إما استئناف جواب عن المشركين لأنه أمر متعين لا يقبل
المكابرة وإما حال عن الذين زعمتم، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾: من شركة، ﴿وَمَا
لَهُ﴾: لله، ﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾: من عوين (٢)، فإنه هو المستقل في جميع الأمور لا شريك
ولا معين له، ﴿وَلَا تَنْفَعُ (٣) الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ أي: شفاعاة شافع لمشفوع، ﴿إِلَّا لِمَنْ
أُذِنَ (٤) لَهُ﴾: أن يشفع، أو أن يشفع له، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: أزيل الفرع

(١) ولما ذكر إنعامه على أهل سبأ ثم تدميرهم لإطاعتهم لإبليس أمر نبيه بأن يبين لقریش
ضلالهم فقال: "قل ادعوا الذين" الآية/ ١٢ وجيز.

(*) في النسخة ن: معين.

(٢) ذكر الرازى تحت هذه الآية مذاهب المشركين وقال: واعلم أن المذاهب المفضية إلى
الشرك أربعة، ثم ذكرها إلى أن قال، ورابعها: قول من قال: إنا نعبد الأصنام التى هى
صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى فى إبطال قولهم: "ولا تنفع الشفاعاة عنده إلا لمن
أذن له" فلا فائدة لعبادتكم غير الله فإن الله لا يأذن فى الشفاعاة لمن يعبد غيره، فبطلبكم
الشفاعة تفوتون على أنفسكم الشفاعاة/ ١٢.

(٣) فى هذه الآية قطع لأصول الشرك ومواده، وقلع لعروقه وهدم لأساسه لأن المشرك إنما
يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا فى من فيه خصلة من هذه
الخصال الأربعة إماماً لك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، =

وكشف عنها، «قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ»، توجيهه على رأى المتأخرين أن حتى غاية لما فهم من السابق من أن ثمة انتظاراً وتربصاً للإذن، كأنه قيل: يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفرع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها رب العزة قال بعضهم لبعض -على وجه السؤال: ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، وأما كلام السلف هو أنه تعالى إذا تكلم بالوحى أرعد أهل السماوات من الهيبة، فيلحقهم كالغشى فإذا جلى عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟

= فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفى سبحانه وتعالى المراتب الأربعة نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للمشرك، وهى بإذن الله تعالى فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها، ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه فى نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه: إنما ينقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذى كان عليه الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حى سليم يرى ذلك عياناً، والله سبحانه هو المستعان وعليه التكلان هذا ما قاله العلامة الحافظ ابن القيم فى شرح المنازل فى باب التوبة/١٢.

قالوا: القول الحق، أي: المطابق للواقع يعني: أخبر بعضهم بعضاً بما قال الله من غير زيادة ونقصان، وفي البخارى والترمذى وابن ماجه أحاديث صريحة فى هذا المعنى، وعلى هذا طباق الآية مشكل ويمكن أن يقال: إن المشركين يعبدون الملائكة زاعمين أنهم شفعاء^(١) لهم فبين سبحانه مقام عظمته وجبروته أن لا يجترئ أحد منهم أن يشفع لأحد إلا بإذنه فهم خلف سرادق الهيبة متحIRON متربضون حتى إذا أزيل عنهم الفرع قالوا: "ماذا قال ربكم" الآية، كأنه قال: لا تنفع الشفاعة إلا لمن لا يثبت عند سماع كلام الحق ولا يقدر التكلم حتى إذا أزيل الفرع وعن بعض السلف^(٢) معناه: حتى إذا نزع الغفلة عن قلوب المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة قالت الملائكة لهم: ماذا قال ربكم فى الدنيا بالوحي؟ قالوا "الحق" فأقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وعلى هذا أيضاً توجيهها مشكل اللهم إلا أن يقال معناها: قل يا محمد للمشركين ادعوا آلهتكم أي: اعبدوهم، فيكون الأمر للتهديد، حتى إذا نزع الغفلة عن قلوبهم، ويكون حتى غاية لعبادتهم، ويكون قوله عن قلوبهم التفات من الخطاب، والله أعلم، ﴿وَهُوَ الْعَلَى الْكَبِيرُ﴾: له العلو والكبرياء، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾: إذ لا يحدد ذلك إلا معاند، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣):

(١) قال تعالى: "وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى" [النجم: ٢٦] وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته ربه مشفقون" [الأنبياء: ٢٨] ١٢ منه، وفى الوجيز، بل أصل عبادة الأحجار أنهم نحتوا كل صنم على مثال ملك بزعمهم/١٢.

(٢) صرح بذلك مجاهد، وعبدالرحمن بتريد بن أسلم والحسن ١٢/منه.

(٣) ولما كانوا فى جواب السؤال بين أمرين إما السكوت فيعلم كل سامع أن الحجة لزمتهم وإما الجواب بوقاحة: نحن على الهدى، وأنتم على الضلال، أمره أن يجيبهم على هذا بما

أى أحد الفريقين ممن يتوحد الرازق بالعبادة، وممن يشرك به الجماد لعلّ أحد الأمرين إما مستعل على ذروة^(١) الهدى أو منغمس في حضيض الضلال، وليس هذا على سبيل الشك، بل على الإنصاف في الحجاج، وهو أبلغ من التصريح في هذا المقام، **﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾**: من الصغائر والزلات، **﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**: من الكفر والمعاصي وهذا أيضاً من الإنصاف في غايته، حيث أسند الإجماع إلى نفسه، والعمل إليهم، **﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾**: في المحشر، **﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾**: يفصل ويحكم، **﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ قُلْ أَرُونِي﴾**^(٢) الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ^(٣) بِهِ شُرَكَاءَ أَي: أروني بأى صفة ألحقتموهم بالله حال كونهم شركاء على زعمكم، وهذا استفسار شبهتهم بعد إلزام الحجة، **﴿كَلَّا﴾** ردع عن المشاركة، **﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**: فأين هؤلاء الأذلاء عن هذه الصفات، وضمير هو لله أو للشأن، **﴿وَمَا﴾**^(٤) أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً^(٥) لِلنَّاسِ: إلا إرسالة عامة، نحو: ما قمت إلا طويلاً، والأظهر ما

= هو أبلغ في الإنصاف من الأول، فقال: قل لا تسألون عما أجرمنا من الذنوب إن كنا على الضلال، ولا نسأل عما تعملون/١٢ وجيز.

(١) هذا المعنى مستفاد من على وفي/١٢ منه.

(٢) ولما كان شأن وقاحتهم أن يجيبوا بأن الضلال عليكم، أمره بأن يبين لهم وقاحتهم فقال: "قل أروني الذين" الآية/١٢ وجيز.

(٣) فيه إشارة إلى أن ألفتهم كشيء في أيديهم يقبلونه حيث ما أرادوا/١٢ وجيز.

(٤) ولما تم دليل بطلان دينهم وأثبت لهم أنهم على الضلال المبين شرع في تحقيق هدايته فقال: "وما أرسلناك إلا كافة للناس"/١٢ وجيز.

(٥) هو من الكف لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم عن أن يخرج عنها أحد منهم قال الزجاج: كافة حال من الكاف، فعلى هذا التاء للمبالغة كناء علامة، وراوية يعني: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار، والإبلاغ/١٢ منه.

اختاره ابن مالك من أنه حال عن المجرور، ولا بأس بالتقدم لأن استعمال الفصحاء وارد عليه، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: القيامة، أو المبشر به والمنذر عنه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾، الإضافة بيانية، ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾، إذا فاجأكم، وهذا جواب إنكارهم القيامة لوحظ في الجواب المقصود من سؤالهم لا ما يعطيه^(١) ظاهر اللفظ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنْتُمْ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالُوا لَنْ أَكْثُرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا لَنْحُنَّ بِمُعْذِبِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾﴾

(١) فإن ظاهر اللفظ أنهم سألوا عن وقت الساعة، وأجيبوا عن أحوالهم، ولكن ليس مقصودهم إلا إنكار الساعة، وأنها لا تأتي البتة، فالجواب مطابق للمقصود، وليس هذا من باب أسلوب الحكيم فلا تغفل/ ١٢ منه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: كالتوراة والإنجيل، أو المراد منه يوم القيامة، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: للحساب، ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾: في التلاوم، والجدال لرأيت العجب، فجواب لو مقدر، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾: الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: المتبوعين، ﴿لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: فإنكم أضللتُمونا، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أنكروا أنهم أضلوهم، وأثبتوا أنهم آثروا الضلال باختيارهم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، إضراب عن إضرابهم أي: بل مكرهم^(١) بنا بالليل، والنهار هو السبب في ضلالتنا والإضافة على الاتساع، ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا﴾ أي: أضمر الفريقان التابع والمتبوع، أو أظهروا فإن الهمزة تصلح للإثبات والسلب، ﴿التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في أعناقهم^(٢) لكفرهم، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) أي: إلا على أفعالهم، فهو بترع الخافض، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أغنياءها ورؤساؤها، وهذا تسليية لنبية - عليه السلام - وإثبات لمبادرة الأغنياء بالإنكار، فهم المضلون، ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، زعموا أن

(١) فيه إشارة إلى أن مكر الليل مبتدأ، والخبر مقدر/١٢ منه.

(٢) فيه إشارة إلى أنه من باب وضع الظاهر موضع المضمحل/١٢ منه.

(٣) ومعنى الاستفهام النفي فلا داخل بعد النفي، والمقصود بيان استحقاقهم، ولما ذكر استحقاقهم للعذاب يذكر ما يدل على ذلك، وفيه إشعار بصدق كلام المستضعفين

فقال: "وما أرسلنا في قرية من نذير" الآية/١٢ وحيز.

ذلك من محبة الله لهم، فلا يعذب المحب حبيبه، ﴿قُلْ﴾: ردًا لحسابهم، ﴿إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء، فلا البسط للرضى ولا التضيق للسخط، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيحسون كثرة الأموال والأولاد شرفًا على البت.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْنَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٢٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِيعَتَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي، ﴿تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾: فإنها خصلة واحدة هي التقوى أو ما جماعة^(١) أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم قربة، ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، كلام السلف يدل على أن الاستثناء منقطع أي: لكن من آمن وعمل صالحا، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾: أن يضاعف حسناهم إلى عشر إلى سبعمائة ضعف، فهو من إضافة المصدر إلى المفعول، والجزاء يتعدى إلى مفعولين، ﴿بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ﴾: غرفات الجنة، ﴿آمِنُونَ﴾: من المكارة قيل: الاستثناء متصل من مفعول تقربكم أي: ما جماعة الأموال والأولاد بالتي تقرب أحدا إلا من آمن فإن أموال المؤمن الصالح تصرف بوجوه الخير، وأولاده بترية أبيه يعلمون الدين، أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف، أي: إلا مال وولد من آمن، ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾: بردها، ﴿مُعَاجِرِينَ﴾: يحسبون أنهم يعجزوننا، ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾^(٢) قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: يوسع عليه تارة، ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: تارة^(٣) أخرى، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: في رضى الله، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(٤) يعوضه في الدارين، أو في أحدهما، ﴿وَهُوَ

(١) فجمع التكسير عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث/١٢ منه.

(٢) هذا في مقابلة "وهم في الغرفات آمنون"/١٢ وجز.

(٣) بحسب المصلحة، فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين كذا

قيل/١٢ وجز.

(٤) والظاهر أن مساق قل إن ربى في المؤمنين سيما مع قوله وما أنفقتم، فهذا مقام الوعظ

والترهيد بخلاف الأول وعلى هذا زاد هنا من عبادته المناسب للإخلاف في الآخرة كما

قاله مجاهد ولا بعد أن يعوضه في الدنيا إما بالمال أو بالقناعة، فهي كثر لا

ينفد/١٢ وجز.

خَيْرُ الرَّازِقِينَ^(١) فإنه هو رازق بلا غرض وعوض، بل هو الرزاق وحده والغير وسط في الإيصال، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾: الكفار، ﴿جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾: توبيخًا للكفرة، ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ^(٢)﴾، فإن كثيرًا من الكفار يدعون عبادة الملك، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: من أن نثبت لك شريكًا، ﴿أَنْتَ وَلَيْنَا﴾: أنت الذي نواليه، ﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾: لا موالاة بيننا وبينهم، فلا نرضى بمحبتهم وعبادتهم، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: فإنهم مطيعون للشياطين في الشرك، فيعبدهم، ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: أكثر الإنس، ﴿بِهِمْ﴾: بالشياطين، ﴿مُؤْمِنُونَ^(٣)﴾ فاليوم لا يملك بغضكم لبغض نفعا ولا ضرا إذ الأمر كله في ذلك اليوم ظاهرا وباطنا بيد الله، ﴿وَنَقُولُ﴾: عطف على "لا يملك" ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

(١) ولما مر مراراً أن ليس للملائكة شفاعتهم، ولكن الأنبياء لا ينكرون قرب بعض الملائكة فربما طرأ لبعض أذهان الجهلة أنهم متفقون معنا في قريهم، ونحن نعبدهم، فكيف لا يشفعوننا، فأقنط المشركين ووبخهم فقال: "ويوم يحشرهم جميعاً" الآية/ ١٢.

(٢) فالخطاب للملائكة، والتفريع للكفرة، فهذا وارد على المثل السائر "إياك أعنى واسمعى يا جارة" كما قال الله تعالى "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" [المائدة: ١١٦]، ونظيره "وإذا الموعدة سئلت بأى ذنب قتلت" [التكوير: ٨-٩] هؤلاء مبتدأ وجملة كانوا خبره، وتقدم مفعول يعبدون، فصار منفصلاً أبلغ في الخطاب مع رعاية الفواصل/ ١٢ وحيز.

(٣) فإن قليلاً من الإنس لا يصدقون الجن فأكثرهم أتباع الشياطين/ ١٢ منه.

وَإِذَا^(١) تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا: القرآنية، ﴿يَتَنَات قَالُوا مَا هَذَا﴾ أي: محمد، ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾: يمنعكم، ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ أي: القرآن، ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ غير مطابق للواقع، ﴿مُفْتَرًى﴾: على الله، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: القرآن، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ^(٢) مُبِينٌ﴾، ينسبونه إلى الاختراع والكذب، ثم إلى السحر لما فيه من الإعجاز الدال على الصدق، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: قريشًا، ﴿مِنْ كُتُبٍ^(٣) يَذَرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾، وكانوا يقولون: لو جاءنا نذير، وأنزل علينا كتاب لكننا أهدى من غيرنا، قيل معناه ليس لهم كتاب ولا رسول قبلك حتى يقولوا نحن نتبع كتابنا ونبينا ولا نتبعك، فليس لهم عذر باطل أيضًا في عدم اتباعك، ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الماضية، ﴿وَمَا بَلَغُوا﴾: هؤلاء، ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: من طول الأعمار وكثرة الأموال وقوة الإجماع، ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾، عطف على كذب عطف مقيد على مطلق أي: فعلوا التكذيب، فكذبوا رسلى كما يقول: أقدمت على الضرب فضربته، قيل: عطف على ما بلغوا والضمير لأهل مكة أي: ما بلغوا معاشرهم فكذبوا رسلى ونفى

(١) لما أخبر أنهم في أشد عذاب شرع يبين استحقاقهم وأهم وجدوا ما عملوا، فقال: "وإذا تتلى" الآية/١٢ وحيز.

(٢) طعنوا أولاً في الثاني، ثم في ما جاء به بأنه كذب مخترع، ثم بأنه سحر واضح وقوله "لما جاءهم" يشير إلى أنهم بادروه من غير تأمل إلى الإنكار/١٢ وحيز.

(٣) يعنى لا وجه لتكذيبهم، ولا شبهة في أيديهم، وإن كانت باطلة كشبهة أهل الكتاب: نحن أهل كتب وشرائع مستندون إلى رسل، فليس لقريش عهد بإنزال، ولا بعثة رسول، فليس هذا القرآن إلا أدل كتاب، وما أنت يا محمد إلا أول نذير، وثم توعدهم بقوله: "وكذب الذين" الآية/١٢ وحيز.

رسول واحد نفى جميع الرسل كما تقول: ما بلغت معشار علم زيد، فتفضل عليه،
﴿فكيف كان نكير﴾ النكير: تغيير المنكر، أي: فحين كذب الذين من قبلهم رسلى
 جاءهم إنكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء عن مثل ما وقع عليهم.

**﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْءٍ وَفَرَدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا
 بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾** ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا
 سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّى يَقْدِرُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا
 يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ
 اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِىَ إِلَيَّ رَبِّى إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا
 فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
 التَّنَافُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ
 بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ
 بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

﴿قل﴾ (١) **﴿إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ﴾**: أرشدكم، **﴿بِوَاحِدَةٍ﴾**: بخصلة واحدة، **﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾**،
 المراد بالقيام لله الانتصاب فى الأمر والنهوض فيه بالهمة، والفكر خالصا له من غير هوى
 ولا عصبية عطف بيان أو بدل من واحدة أو خير لحذف أي: هى أن تقوموا،

(١) ثم لما حذرهم التفت إليهم، ونصحهم فقال: "قل إنما أعظكم" الآية ١٢ وجز.

﴿مَنْشَى﴾^(١) وَفَرَادَى: اثنين اثنين أو واحدًا واحدًا فإن الازدحام يشوش الفكر، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾: في أمر محمد، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾^(٢)، كلام مستأنف للتنبيه من الله على جهة النظر قيل: معناه تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم جنون، وقيل: ما استفهامية، أي: تفكروا أى شيء به من آثار الجنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾: قدام، ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، عن مقاتل معناه: ثم تفكروا في خلق السموات والأرض حتى تعلموا وحدانيته، ثم ابتدأ وقال "ما بصاحبكم من جنة" ﴿قُلْ﴾^(٣) مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ، أي: أى شيء سألتكم من أجر التبليغ وأدعى استحقاقه؟! ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: فذلك الشيء ملككم، وأنا معترف بذلك كما تقول: إن أعطيتنى شيئاً فخذ، فالمراد نفى الطمع بالكلية أو ما موصولة، أي: الذى سألتكم فهو لنفعكم قال تعالى "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى" [الشورى: ٢٣] "قل وما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً" [الفرقان: ٥٧] ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ

(١) فالاثنان يعرض كل محصول فكره على صاحبه وينظران فيه متصادفين على إنصاف، والمتفكر يفكر فى نفسه من غير أن يكابر نفسه ويعرض على عقله/١٢.

(٢) كأنهم لما سمعوا كلام منصف انجروا لهم أن يسألوا أى شيء هذا؟ النظر والتأمل العميق، فقليل لهم: لأن هذا الأمر الذى هو بصده لا يتأتى إلا من شخصين رجل مجنون لا يبالي

من الافتضاح، ولا يتأمل عواقب الأمور، ورجل صادق كامل العقل مبرهن مدعاه بأقوى الحجج، وقد علمتم أن صاحبكم ما به من جنة، بل علمتموه بالعقل الراجح، والرأى الثاقب، فكان مظنة لأن ترجحوا فيه جانب الصدق، وأن تظنوا به الخير/١٢ منه.

(٣) لما انتفى منه ما خيلوه به بقى مكان أن يكون دعواه لغرض دنيوي، فنفاه وقال: "قل ما سألتكم من أجر" الآية/١٢ وحيز.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ: فيعلم صدقي، ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يرمى به ويلقيه على من يشاء من عباده قال تعالى "يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده" ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾، صفة لربي تابع لمحله، أو خير بعد خير، أو خير لمحذوف أو بدل من ضمير يقذف، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن والإسلام، ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ أي: الكفر، ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: هلك الكفر بالكلية، فإن من خاصة صفات الحى إما أن يبدئ فعلا أو يعيده، فإذا لم تكن له تلك الصفة لم تكن له الحياة^(١)، وعن بعض السلف: إن الباطل إبليس أي: هو لا يبدئ أحدا ولا يعيده، بل المبدئ والباعث هو الله، وقيل: لا يبدئ الباطل لأهله خيرا ولا يعيده يعني: لا ينفعهم في الدارين، ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: وبال ضلالى عليها، لأنها هى السبب للضلال، ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾: فإن الخير كله من الله، ولولا توفيق الله لما حصل الاهتداء، فإن النفس والشيطان لا يأمران إلا بالشر، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: فيسمع قول ضال ومهتد، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾: فى القيامة، أو عند البعث، أو عند^(٢) عذابهم فى الدنيا لرأيت أمرا هائلا، فجواب لو مقدر، ﴿فَلَا فَوْتَ﴾: لهم منا ولا نجاة، ﴿وَأَخِذُوا﴾، عطف على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا، ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من الموقف إلى النار، أو من القبور، أو من ظهر الأرض إلى

(١) كما تقول: لا يأكل ولا يشرب، فهذا مثل فى الهلاك ١٢/وجيز.

(٢) وقد ثبت فى الصحيح أنه يخسف بجيش فى البداء من حديث حفصة وعائشة، وخارج الصحيح من حديث أم سلمة وصفية وأبى هريرة وابن مسعود، وليس فى شيء منها أن ذلك سبب نزول هذه الآية، ولكنه أخرج ابن جرير من حديث حذيفة بن اليمان قصة الخسف هذه مرفوعة وقال فى آخرها: فذلك قوله -عز وجل- فى سورة سبأ: "ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت" الآية/١٢.

بطنها قيل: هو كناية عن سهولة الأمر، أي: أخذناهم أخذًا يسيرًا علينا، ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: بالله أو بمحمد أو بيوم القيامة عند البعث، أو عند العذاب، ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾: من أين لهم تناول الإيمان؟ ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، فإن التوبة والإيمان لا تكونان إلا في الدنيا، وهم في الآخرة، وهو تمثيل لطلبهم ما لا يكون فإن التناوش تناول سهل لشيء قريب، فإذا كان الشيء بعيدًا يستحيل الوصول^(١) إليه، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - طلبوا الرجعة إلى الدنيا، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: يرمون بالظن بما لم يظهر لهم، ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: وهو بعدهم عن علم ما يقولون كأنهم رموا إلى شيء بعيد في ظلمة ثم يزعمون أنهم ضربوه يعني: وقد كفروا وظنوا^(٢) ظنونًا واعتقدوها، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: الإيمان أو من شهواتهم الدنيوية، ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: بأشباههم، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من كفره الأمم السالفة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾^(٣): مشكل فيه مبالغة كما لا يخفى، والله أعلم.

(١) يعني من أين لهم تناول الإيمان، والتوبة في الآخرة؟! وما هما إلا في الدنيا/١٢ وحيز.

(٢) كقولهم: لا بعث ولا جنة ولا نار/١٢ وحيز.

(٣) من أرابه إذا أوقعه في الريب، أو من أراب الرجل: صار ذا ريب/١٢ وحيز.

أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: "إنهم كانوا في شك مرِيب" قال: إياكم والشك والريبة فإنه من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين

بعث عليه/١٢ در منشور.

(٤) هذا رد على من زعم أن الله لا يعذب على الشك/١٢ فتح.

سورة فاطر مكية

وهي خمس وأربعون آية وخمس ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَشَىٰ
وَتِلْكَ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ
اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ
لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾
الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ﴾: مبدع، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا﴾: بينه
وبين أنبيائه، قيل: بينه وبين خلقه بإيصال آثار صنعه إليهم، ﴿أُولَىٰ﴾: ذوي،
﴿أَجْنَحَةٍ﴾: متعددة، ﴿مَّتَشَىٰ وَتِلْكَ وَرُبَعَ﴾: يسرعون نحو ما أمرهم الله به، صفات

لأجنحة^(١)، «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ» أى: فى خلق الأجنحة، وغيرها كحسن الصوت والعقل، «مَا يَشَاءُ»، فى الحديث: "رأى ليلة المعراج جبريل عليهما السلام وله ستمائة جناح بين كل حين كما بين المشرق والمغرب"^(٢)، «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ»: ما يرسل ويطلق، «لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ»: كهداية ورزق ومطر، «فَلَا تُمَسِّكْ لَهَا»: بمنعها، «وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ»: يطلقه لما فسر الشرطية فى الأول بالرحمة لبيان رحمته وأهم فى الثانى أنث الضمير فى الأول دون الثانى، «مِنْ بَعْدِهِ»: بعد إمساكه، «وَهُوَ الْعَزِيزُ»: الغالب، «الْحَكِيمُ»: فى أفعاله، «يَا أَيُّهَا^(٣) النَّاسُ اذْكُرُوا»: احفظوا واشكروا، «نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» أنكر أن يكون لغيره فى النعم مدخل يستحق أن يشرك فى الشكر، وقراءة رفع غير بأن يكون صفة تابعاً للمحل، أو فاعل خالق، أو خبره، وخبر خالق محذوف على الأولين، «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، كلام مبتدأ أو صفة بعد صفة، «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»: فهو الخالق الرازق وحده، «فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ^(٣)»: فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد؟ «وَأَن يَكْذُبُوكَ»: فليس ببدع، «فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ»: عظام محترمون، «مِنْ قَبْلِكَ»: فاصبر كما

(١) فى محل الجر يعنى: أجنحة بعضهم اثنان اثنان لكل منهم جناحان، وكذا فى ثلاث ورباع، ونحن نؤمن بما قال الله والعلم بالكيفية ليس علينا، والحمد لله على أن خلصنا فى مثل ذلك من التأويلات البديعة/١٢ وجيز.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(٢) ولما بين أن جميع الأمور منه سبحانه أمر الخلق بشكر إنعامه فقال: "يا أيها الناس اذكروا" الآية/١٢ وجيز.

(٣) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟/١٢ جلالين.

صبروا، ﴿وَالِىَ اللّٰهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١): فيجازى كلا بما يستحقه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ﴾: بالحشر وغيره، ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فيذهلكنم التلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة، ﴿وَلَا يَغُرَّكُم بِاللّٰهِ الْغُرُورُ﴾: الشيطان، فيحثكم على المعاصى بإنكار الآخرة، وبوعد التوبة والمغفرة، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: من قسَم الزمان، ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: ولا تغتروا بأمانيه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾: أشياعه، ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: لأن يشاركوه فى المنزل والمترلة، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، بيان لحال موافقيه ومخالفيه.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٢٨ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنُّشُورُ ٢٩ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ٣٠ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٣١ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ

(١) ولما كان بعث رسول الله من أتم النعم، وأعمها وأكثر الناس أنكروه وما شكروه بين سببه تسليية لقلبه الأشرف فقال: "وإن يكذبوك" الآية/١٢ وحيز.

سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي
الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ *

﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾: رأى الباطل حقًا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾: لا تهلكها ﴿عَلَيْهِمْ﴾، متعلق بلا
تذهب، ﴿حَسَرَاتٍ﴾^(١)، مفعول له وجواب "أفمن زين" محذوف تقديره كمن وفق
فراى الحق حقًا والباطل باطلا، ويدل عليه قوله: "فإن الله يضل" إلى آخره، أو تقديره
ذهبت نفسك عليهم للحسرة، فيدل عليه قوله: فلا تذهب إلخ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ﴾: ليس بغافل عن صنيعهم، وهو الذى أراد فاصبر على مراد الله تعالى،
﴿وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ^(٢) الرِّيحَ فَتُشِيرُ﴾، صيغة المضارع حكاية للحال الماضية
استحضاراً لتلك الصورة البديعة، ونعم ما قيل اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار

(١) كأنه لما قيل لنبىه أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له قال - صلى الله عليه وسلم:
لا قال له فإذا كان كذلك فلا تهلك نفسك حسرة، فإن الله يضل من يشاء ويهدى من
يشاء فقدم وأخر اهتماماً بشأن المقدم/١٢ وجيز.

(٢) ولما قال "يا أيها الناس إن وعد الله حق"، وقال "لا تغرنكم الحياة الدنيا"، ولا الشيطان
ذكر الآخرة وأتى بمثال دال عليه، فقال: "والله الذى أرسل الرياح" الآية/١٢ وجيز.

الفعل، ﴿سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، التفتت إلى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع، ﴿بِهِ﴾: بالمطر، وهو مفهوم من الكلام أو بالسحاب، فإنه السبب أيضًا، ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الثُّشُورُ^(١)﴾، في الحديث^(٢) "يتزل من تحت العرش مطر فيعم الأرض جميعًا، وينبت الأجساد من قبورها كما ينبت الحب في الأرض"، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: فليطلبها منه بطاعته، فإن كلها له قال تعالى "واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا" [مریم: ٨١]، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ^(٣) الطَّيِّبُ﴾: الذكر والدعاء والتلاوة، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾: أداء الفرائض، ﴿يَرْفَعُهُ﴾: أى: يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، ويجعله في محل القبول ولولاه لم يقبل، أو يرفع الكلم الطيب العمل الصالح لا يقبل عمل بدون كلم التوحيد، أو العمل الصالح أى: الخالص لله

(١) ولما أثبت القدرة والوحدانية والحشر والنشر ما بقى لعبادى الصنم مستند عندهم إلا أنهم يتحززون بها كما قال تعالى: "اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا" [مریم: ٨١] أراد تبين ضلالهم في ذلك أيضًا فقال "من كان يريد العزة في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة" فله العزة جميعًا" لا يكون عزيز إلا من أعزه الله/١٢ وجزيز.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبدالله بن مسعود/١٢ در منشور.

(٣) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال: إذا حدثناكم بحديث -أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله- إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، قبض عليهن ملك يضمنهن تحت جناحه ثم يصعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ثم قرأ "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" /١٢ در منشور للسيوطي.

يرفعه، **﴿وَالَّذِينَ^(١) يَمْكُرُونَ﴾** هم المراءون والمنافقون يوهمون أنهم في طاعة الله، وعن بعض نزل فيمن تشاور ومكر في حبس رسول الله، وإخراجه، وقتله، **﴿السَّيِّئَاتِ﴾** أى: المكرات والسيئات، أو مفعول به لتضمين يمكرون معنى يعملون، **﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾**: يبطل، ويفسد ويظهر من يخسر عن قريب، **﴿وَاللَّهُ^(٢) خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾**: بخلق آدم منه، **﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾**: بخلق ذريته منها، **﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾**: ذكرانا وإناثا، **﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾**: إلا معلومة لله حال من أنثى فاعل تحمل، **﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ﴾**: ما يمد في عمره من مصيره إلى الكبر، **﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ﴾**: لغيره بأن يعطى لأحد عمر ناقص من عمر معمر، أو الضمير للمنقوص وإن لم يذكر للدلالة مقابله عليه أو الضمير للمعمر على التسامح المشهور اعتماداً على فهم السامع نحو: لك عندى درهم، ونصفه قيل: معناه لا يطول ولا يقصر عمر إنسان إلا فى كتاب، فإنه مكتوب فى اللوح: إن فلاناً إذا حج -مثلا- فعمره ستون -مثلا- وإلا فأربعون، وإذا حج فقد عمر، وإلا فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو ستون، **﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾**: صحيفة كتب فى بطن أمه أو اللوح المحفوظ، **﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾**: الحفظ، أو الزيادة والنقصان **﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ﴾**، هذا بيان قدرة أخرى عظيمة، **﴿هَذَا عَذَابٌ فُرَاتٌ﴾**: يكسر

(١) ولما بين ما يحصل العزة بين ما يكسب الذلة فقال: "والذين يمكرون السيئات"

الآية/١٢ وجيز.

(٢) ولما ذكر دلائل الآفاق من السماوات وما يرسل منها من الملائكة والأرض، وما يرسل فيها من الرياح شرع فى دلائل الأنفس فقال: "والله خلقكم من تراب" الآية هذا ما فى الكبير وفى الوجيز، ولما بين التفاوت البين فى العمل أتبعه ما هم عليه من وحدة الأصل فقال: "والله خلقكم" الآية/١٢.

العطش، ﴿سَائِفٌ﴾: مريء، ﴿شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: يحرق بملوحته، ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾: من البحرين، ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: السمك، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً﴾: اللآلي، ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: الحلية من الأجاج لا من العذب، ولا يلزم من عطف تستخرجون على تأكلون أن يكون الاستخراج من كل قيل: البحران مثلاً للمؤمن، والكافر، ثم إن قوله "ومن كل" إلخ إما استطراد أو تميم لتفصيل المشبه به على المشبه، ونظيره قوله: "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار" [البقرة: ٧٤]، ﴿وَوَكَّرَى الْقُلُوكَ فِيهِ﴾: في كل، ﴿مَوَاحِرَ﴾: شواق للماء يجريها، ﴿لَتَبْتَغُوا﴾، متعلق بمواخير، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: من فضل الله بالتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: يزيد من هذا في ذاك ومن ذاك في هذا، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى يوم القيامة، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: أى: ذلك الموصوف بتلك الصفات المذكورة الله، ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: وحده، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: من ملك أو صنم، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾: القشرة الرقيقة الملتفة على النواة، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾: فإنهم جماد، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: على الفرض، ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعجزهم عن الإنفاع، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ﴾: يتبرعون منكم قائلين: ما كنتم إيانا تعبدون، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير عالم به، ولا عالم أعلم من الله وهو الذى أخبركم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٥ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ١٦ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ١٧ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَآ لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ

كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٩﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿١٢﴾ إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٤﴾ وَإِن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا^(١) النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنَى الْحَمِيدُ﴾، زيادة قيد الحميد ليعلم أنه جواد منعم فإن الغنى بدون الجود غير محمود، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: فإنه غير محتاج إليكم، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: غير عاصين مطيعين، ﴿وَمَا ذَلِك عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بعسير، ﴿وَلَا تَزُرُ﴾: لا تحمل، ﴿وَأَزْرَةٌ﴾: نفس آثمة، ﴿وَزُرُ﴾: نفس، ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: أى: وإن تدع نفس أثقلتها أوزارها أحداً من الآحاد إلى أن يحمل بعض ما عليها، ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾: من وزره، ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾: المدعو، ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: من أب وأم وابن وأخ وغيرهم، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ^(٢) الَّذِينَ

(١) ولما اختص تعالى بالملك، ونفى عن الشركاء النفع أنتج قوله: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) ولما سبق ما تضمن الوعيد وبعض أهوال القيامة كان ذلك إنذاراً فذكر أن الإنذار إنما يجدى من يخشى الله بالغيب، فقال: "إنما تنذر الذين يخشون ربه" الآية/ ١٢ وحيز.

يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ: غائبين عن الناس في السر، أو غائبين عن عذابه، أو حال عن المفعول^(١)، «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ»: فهم المنتفعون بالإنذار، «وَمَنْ تَزَكَّى»: عن دنس المعاصي، «فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى»: يتطهر، «لِنَفْسِهِ»: نفعها لها، «وَالِىَ اللَّهِ الْمَصِيرُ»: فيجزيه، «وَمَا يَسْتَوِي^(٢) الْأَعْمَى»: الكافر، «وَالْبَصِيرُ^(٣)»: المؤمن، «وَلَا الظُّلُمَاتُ»: الباطل^(٤)، «وَلَا النُّورُ»: الحق^(٥)، «وَلَا الظُّلُ»: الثواب والجنة، «وَلَا الْحُرُورُ»: العقاب والنار، والحرور: السموم، وتكرير لا على الشقين لمزيد التأكيد، «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ»: المؤمنون، «وَلَا الْأَمْوَاتُ^(٦)»: الكفار، تمثيل آخر لهما،

(١) أى: يخشون عذابه غائباً عنهم/١٢ وجيز.

(٢) ولما بين افتقار الناس إلى الله الغني، وبين قدرته وأن كل أحد تحت عمله لا ينفعه قريبه، والنافع خشية الله وإقامة الصلاة، وختم بأن المصير إلى الله أعقبه بما دل على أن المنتفع بالآيات ليس إلا من هو بصير ذو حياة عند الله وما ذلك إلا المؤمنون، فقال: "وما يستوى الأعمى" الآية/١٢ وجيز.

(٣) ولما كان التفاوت بين الجنسين مقطوعاً به لا بين الأفراد، فإنه قد يكون لفرد منه ذكاء يساوى البصير البليد أفراد، الأعمى والبصير/١٢ وجيز.

(٤) وطرقه متعددة/١٢.

(٥) وطريقه واحد/١٢.

(٦) التفاوت بين الأحياء والأموات ثابت سواء قابلت الجنس بالجنس والفرد بالفرد، ولما ذكر المثليين الأعمى والبصير، وبين أن البصير ولو كان حاد النظر لا يبصر إلا في ضوء ذكر ما هو الكافر فيه من ظلمات كفره، وما هو المؤمن فيه من نور إيمانه، ثم ذكر ما آل أمرهما إليه وهو الظل الذى فيه الراحة، والسموم الذى فيه التعب، وتكرير لا على الشقين لمزيد التأكيد ثم ذكر مثلاً آخر هو فوق حال الأعمى والبصير، إذ الأعمى يشارك البصير في إدراك ما، والكافر ليس كذلك ولذلك أتى بلا التأكيدية في الأخير، وما أتى في الأول فإن التفاوت بين الأخير أقوى وأعاد قوله: "وما يستوى" ليعلم أنه مثل آخر/١٢ وجيز.

وقيل المراد العلماء، والجهال، «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ»: سماع قبول، «وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» أى: الكفار المصيرين فإنهم كالأموات فى عدم الانتفاع بالموعظة، «إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ»: فما عليك إلا الإنذار، «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ^(١) بِالْحَقِّ» أى: محققاً أو محققين، وقيل: إرسالاً مصحوباً بالحق، «بَشِيرًا»: للمؤمنين، «وَنَذِيرًا»: للكافرين، «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ»: أهل كل عصر، «إِلَّا خَلَا»: مضى، «فِيهَا نَذِيرٌ»: نبي ينذرهم من عقاب الله، ومتى بقيت آثار النذارة صدق أن تلك الأمة لم تخل عن نذير، ولهذا لما اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله سيد الكونين -عليهما الصلاة والسلام- «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ»: فلا تحزن لأنه ليس ببدع، «فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ»، من باب التنازع والعمل للثاني، «بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ»: الكتب، «وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ»: الواضح المبين، العطف لتغاير الوصفين، «ثُمَّ أَخَذْتُ»: أهلك، «الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ»: إنكارى، وتغييرى لهم بالعقوبة.

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٦٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلَّا نَعْلَمَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٦٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٧٠﴾»

(١) لما قال: "إن أنت إلا نذير" بين أنه ليس نذير من تلقاء نفسه إنما هو نذير بإذن الله وإرساله فقال: "إنا أرسلناك" الآية/ ١٢ وحيز.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ
ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٦١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّتُونَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٦٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٦٣﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ
مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٦٥﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ
صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ
وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٦٦﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ (١) أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا: هِيَ أَلْوَانُهَا كَالصَّفَرَةِ وَالْخَضِرَةِ، أَوْ أَجْناسُهَا كَالرَّمَانِ وَالتَّفَاحِ، ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ أَيْ: ذُو جَدَدٍ أَيْ خَطَطٌ، وَطَرَائِقُ جَمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَيْرٌ، ﴿بَيْضٌ﴾: كَالْعُرُوقِ، ﴿وَحُمْرٌ﴾ يَعْنِي: بَعْضُهَا أَبْيَضٌ، وَبَعْضُهَا أَحْمَرٌ، ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾: أَجْناسُهَا بِالشَّدَةِ وَالضَّعْفِ، ﴿وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ يُقَالُ: أَسْوَدَ غَرِيبٌ أَيْ: شَدِيدُ السَّوَادِ عَطَفَ عَلَى بَيْضٍ أَصْلُهُ سُودَ غَرَايِبٍ حَذَفَ الْمَوْصُوفُ ثُمَّ فُسِّرَ بِهِ، وَعَنْ عِكْرَمَةَ: هِيَ الْجِبَالُ الطُّوَالُ السُّودُ،

(١) ولما قرر وحدانيته بأدلة وأمثال أتبعها بحجج سماوية وأرضية فقال: "ألم تر أن الله أنزل" الآية ١٢/وجيز.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ أى: الأمر كذلك كما بين ولخص، أو مختلف ألوانه اختلافًا كذلك أى: كاختلاف الثمار والجبال، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى^(١) اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، لما قال ألم تعلم إنزال المطر وآثاره، واختلاف هيئات الأجناس الذى هو من آثار صنع الله، أتبع ذلك كذلك "إنما يخشى الله" إلخ، كأنه قال الأمر كما ذكر لكن إنما ينجع الخطاب ويؤثر فيمن يخشى الله بالغيب، فوضع موضعه إنما يخشى الله من عباده العلماء تعريضًا لجهل الكفرة، ومن يدعى العلم ولم يخش الله وتوحيها برفع منزلة العلماء العاملين ويلزم من الجمع المحلى باللام المفيد للعموم أن من لم يخش لم يكن عالمًا قال مسروق: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: فيتمكن من الانتقام، ﴿غَفُورٌ﴾: للعصاة فحقه أن يخشى ويرجى، ﴿إِنَّ^(٢) الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: يداومون قراءته أو متابعتة، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: فى جميع أحوالهم، ﴿يَرْجُونَ^(٣) تِجَارَةً﴾: طلب ثواب طاعة وهو خبر إن، ﴿لَنْ تُبُورَ﴾: لن تهلك بالخسران، ﴿لِيُوقِيَهُمْ﴾:، علة للتلاوة والإقامة والإنفاق، أو متعلق بلى تبور، ﴿أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: على الأجر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾: لفرط أفعالهم،

(١) قوله تعالى: "إنما يخشى الله" الآية، أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد فى الزهد عن العباس العمى، قال: بلغنى أن داود عليه الصلاة والسلام قال: سبحانه تعالىت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من فى السماوات والأرض فأقرب خلقك إليك أشدهم لك خشية، وما علم من لم يخشك، أو ما حكمته من لم يطع أمرك ١٢ تفسير در منشور للحافظ السيوطي.

(٢) لما وصف العلماء أعقبه ببعض أوصافهم فقال: "إن الذين يتلون كتاب الله" الآية/١٢ وجزى.

(٣) فيه إشارة إلى الإخلاص أى: يقصدون وجه الله لا رياء وسمعة/١٢ وجزى.

﴿شُكُورٌ﴾: لطاعتهم، ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، من للتبيين يعنى القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر، ولهذا اجتباك وأنزل عليك هذا الكتاب، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: حكمنا بتوريثه منك أو عبر بالماضى عن المضارع لتحقيقه، ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: آلك وأصحابك ومن بعدهم من أمتك، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: لتقصيرهم فى العمل به، وهم يحبسون فى طول المحشر حتى يصيبيهم الهم الطويل، ثم ^(١) يدخلون الجنة، وفى الحديث ^(٢) "هم الذين يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن" ويدل على ما فسرنا الأحاديث الكثيرة، ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾: لأنهم يعملون به فى أغلب أحوالهم، وهم يحاسبون حساباً يسيراً، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: بالطاعات هم الأولياء والأبرار، ﴿يَاذَنِ اللَّهُ﴾: بأمره، وإرادته وهم يدخلون الجنة من غير حساب، آخر السابقين لقتلهم، وللترقى من الأدنى، وعن عائشة حين سألت ^(٣) عقبة عن تلك الآيات "يا بنى كلهم فى الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه، وأما الظالم فمثلى ومثلكم"، وهذا منها -رضى الله عنها- من باب التواضع، وهضم النفس

(١) كذا رواه الإمام أحمد، وابن أبى حاتم، وابن جرير/١٢ وجيز.

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه والبيهقى عن أبى الدرداء مرفوعاً [رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهى هذه إن كان على بن عبد الله الأزدي سمع من أبى الدرداء فإنه تابعى، كما فى الجمع (٩٥/٧)] قال البيهقى: إذا كثرت الروايات فى حديث ظهر أن للحديث أصلاً/١٢ در مشور ملخصاً.

(٣) رواه أبو داود/١٢ وجيز.

وعن بعض الظالم لنفسه كافر أو منافق فحينئذ ضمير منهم للعباد لا للذين اصطفيوا
والأول أصح، **﴿ذَلِكَ﴾**: التورث، وقيل سبق، **﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾**: العظيم،
﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾، مبتدأ، **﴿يَدْخُلُونَهَا﴾**^(١)، والضمير للمصطفين، وفي الشواذ جنات
بالنصب على شريطة التفسير، **﴿يُحَلُّونَ فِيهَا﴾**، خير بعد خير، أو حال مقدرة من
حلية المرأة إذا جعلت لها حلماً، **﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾** جمع سوار، ومن للتبعيض، **﴿مِنْ
ذَهَبٍ﴾**، بيان لأساور، **﴿وَلَوْثُؤًا﴾** بالنصب عطف على محل من أساور، **﴿وَلِبَاسُهُمْ
فِيهَا خَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾**: هموم الدارين، **﴿إِنَّ رَبَّنَا
لَغَفُورٌ﴾**: للذنوب، **﴿شُكُورٌ﴾**: للطاعة، **﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾**: الإقامة، **﴿مِنْ
فَضْلِهِ﴾**: إذ لا يجب عليه شيء، **﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ﴾**: تعب، **﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
لُغُوبٌ﴾**: كلال، **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾**، مقابل للذين اصطفيوا^(٢)، **﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا
يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾**: يموت فيها، **﴿فَيَمُوتُوا﴾**، جواب النفي منصوب بإضمار أن، **﴿وَلَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ﴾**: مثل ذلك الجزاء، **﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾**: مبالغ

(١) وضمير يدخلونها عائد إلى الأصناف الثلاثة، وهو قول عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وقال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له" [ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٣٢٩٩)] وقال صاحب البحر: إن هذا قول ابن مسعود -رضى الله عنه- وعثمان بن عفان -رضى الله عنه- وأبي الدرداء، وعقبة بن عامر وأبي سعيد، وعائشة، ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق، وكعب الأحبار -رضى الله عنهم/ ١٢ وجيز، وفي الكمالين يدخلونها أى: الثلاثة أى: الظالم والمقتصد والسابق، روى أحمد والترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً في هذه الآية هؤلاء كلها في الجنة [صحيح، وانظر صحيح سنن أبي داود (٢٥٧٧)/ ١٢].

(٢) دال على أن الأصناف في الجنة، والحمد لله أضعاف ما حمده الحامدون/ ١٢ وجيز.

في الكفر أو الكفران، «وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ» من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة، «فِيهَا»: قائلين: «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا» أى: عملاً صالحاً، «غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ»، بدل أو صفة وفائدته التحسر، والاعتراف بالذنب، «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمُ»، جواب من الله لهم، «مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ»، ما موصولة، ومن فاعل يتذكر والأصح الذى يدل عليه الأحاديث^(١) أنه ستون^(٢) سنة وعن زين العابدين: إنه سبع عشر سنة، وعن كثير: إنه أربعون، «وَجَاءَكُمْ»، عطف على معنى أو لم نعمركم كأنه قال عمرناكم وجاءكم، «النَّذِيرُ»: الرسول، أو الشيب^(٣)، «فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ».

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ
الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا
خَسَارًا ﴿٦٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا

(١) المروية في البخاري، والنسائي، والطبراني، وغيرها ١٢/وجيز.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين، وهو العمر الذي قال الله تعالى: "أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر"، وفي إسناد إبراهيم بن الفضل المخزومي، وفيه مقال [ضعيف جداً، وانظر ضعيف الجامع]، وأخرج أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "أعذر الله إلى امرئ أحر عمره حتى بلغ ستين سنة"/١٢فتح.

(٣) وقيل: موت الأقارب/١٢وجيز.

خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى
بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذِرُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنْ أَلَّ اللَّهُ
يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ
بَعْدِي إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٥﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا
زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٦﴾ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ
عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١٨﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا
مِن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٩﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فلا يخفى عليه أحوالهم، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، تعليل له أى: إذا علم مضمرات الصدور فكيف يخفى عليه شيء
آخر؟! ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة أى: خلفاء قوم آخرين
أورثكم أرضهم وملككم مقاليد التصرف، وسلطكم فيها، ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾:
لا يضر غيره، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: أشد البغض، وهم
يحسبون أن آلهتهم شفعاءهم، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: وهم

يحبسون أنهم على شيء إلا أنهم هم الخاسرون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ^(١) شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي﴾ بدل من أرايتم أو تأكيد أرايتم لأنه بمعنى أخبروني عن شركائكم، ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: هل استبدوا بخلق شيء حتى استحقوا العبادة؟! ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: شركة مع الله في خلقها، ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ أَى: الأصنام، أو المشركين، ﴿كِتَابًا﴾: بأهم شركائي، ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِنْهُ﴾: من ذاك^(٢) الكتب، والظاهر أنه للترقى فإن الاستبداد بخلق جزء من الأرض أقل دلالة من أن يكونوا شركاء في خلق السماوات، ثم إتياء كتاب من الله أدل وأدل، وأم منقطعة، ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ﴾: بدل من "الظالمون"، ﴿بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾، فإن الأخلاف والأتباع اعتمدوا على قول الرؤساء والأسلاف بأهم شفعاء عند الله، ﴿إِنَّ^(٣) اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا^(٤)﴾ أَى: كراهة الزوال، أو يمنعها من الزوال، أو يمنعها من الزوال فإن الإمساك منع، ﴿وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾، الجملة المنفية ساد مسد الجوايين، و"من" الأولى زائدة والثانية ابتدائية، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: لا يعاجل بالعقوبة مع تلك القدرة التامة،

(١) بمعنى أخبروني، يطلب مفعولين أحدهما منصوب هو شركاءكم والآخر مشتمل على

الاستفهام "ماذا خلقوا" نحو: أرايت زيدا ما صنع؟! ١٢/وجيز

(٢) فعبادتهم للأصنام لا عقلية ولا نقلية، لأنه لا عقل لمن يعبد ما لا يخلق جزءاً من الأرض

ولا له شرك في السماء، ولا نقل؛ لأنه لم يؤت إليهم كتاب فيه أمر بعبادة

هؤلاء/١٢ وجيز.

(٣) ولما بين فساد أمر الأصنام عقب بذكر عظمته وقدرته ليتأكد حقارة آلهتهم، فقلل: "إن

الله يمسك السموات" الآية/١٢ وجيز.

(٤) تنتقلا من أماكنهما فلا يبقى النظام الذي تراه/١٢ وجيز.

﴿وَأَقْسَمُوا^(١) بِاللَّهِ﴾: قبل مبعث محمد عليه السلام، ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، مفعول مطلق أى قسمًا غليظًا، ﴿لئن جاءهم نذيرٌ﴾: نبي، ﴿ليكوننَّ أهدى من إحدى^(٢) الأمم﴾: أى من الأمة التى هى إحدى الأمم أى: أفضلهم وأهداهم تقول: فلان واحد القوم وأوحدى العصر، ولهذا قال الضحاك: معناه من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل أو من اليهود والنصارى وغيرهم، ﴿فلَمَّا جاءهم نذيرٌ ما زادهم﴾: أى: مجيئه، ﴿إلا نُفوراً﴾: عن الحق، ﴿استكباراً﴾، بدل من نفوراً أو مفعول له وقيل استكبروا استكباراً، ﴿فى الأرض ومكر السيِّ﴾، من إضافة الموصوف إلى الصفة بدليل قوله: ﴿ولا يحقُّ﴾: يحيط، ﴿المكر السيِّ^(٣) إلا بأهله﴾: بالماكر، ﴿فهل ينظرون﴾: ينتظرون، ﴿إلا سنة الأولين﴾: سنة الله فيهم بتعذيب المكذبين جعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم، ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً^(٤)﴾: ولن تجد لسنة الله تحويلاً: فيصل العذاب البتة، ويصل إليهم لا إلى غيرهم، ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾: فإنه يشاهد آثار العذاب من آثارهم، ﴿وكأنوا أشدَّ منهم قوةً وما كان الله ليُعْجزه﴾: ليسبقه، ويفوت عنه، ﴿من شيء فى السموات ولا فى الأرض إله كان عليماً قديراً ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها﴾: ظنير الأرض، ﴿من دابة﴾: بشؤم معاصيهم، وقيل:

(١) ولما بين إنكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسل فقال: "وأقسموا بالله" الآية/١٢ وحيز.

(٢) حكاية لمعنى كلامهم، حيث لم يقل لئن جاءنا نذير لنكونن كانوا يلعنون اليهود والنصارى، حيث كذبوا رسلهم وقالوا: لئن أتانا رسول الله لنكونن أهدى من إحدى الأمم/١٢ وحيز.

(٣) يعنى: المكر لا يحق فى العاقبة بالتدمير إلا بالماكر، وإن كان قد ينفذ ظاهراً/١٢.

(٤) تغيير العذاب إلى غيره فيصل العذاب إليه البتة/١٢ وحيز.

المراد من الدابة الإنس وحده، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يوم القيامة أو إلى أجلهم المقدر المعين، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: فيجازيهم على ما علم من عملهم.

اللهم عاملنا معاملة فضلك لا عدلك،
والحمد لله حق حمده.

سُورَةُ ١١١ يَس مَكِّيَّةٌ
وَهِيَ ثَلَاثٌ وَتَمَازُونُ آيَةً وَخَمْسُ رُكُوعَاتٍ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿يس﴾ أى: يا إنسان، أو هو^(١) من أسماء الله «وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ»: ذى الحكمة، وهو قسم «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ»: إلى جميع الثقلين «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»: دين قسوم

(١) أخرج الدارمى وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وغيرهم عن أبى هريرة عن النبى -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة) قال ابن كثير: إسناده جيد [ذكره الهيثمى فى "المجمع" (٩٧/٧)] وقال: "رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف، وأخرجه أيضا ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعا بلفظ: "من قرأ (يس) كل ليلة غفر له" وهو ضعيف أيضا]/ ١٢ فتح.

وشرع لا عوج له خبر بعد خبر، أو حال ﴿تَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أى: هو منزل، وقراءة النصب بتأويل نزل تزيلا، أو أعنى ﴿تُنْذِرُ﴾ متعلق بتزيل ﴿قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أى: قوماً غير منذر آبائهم الأولون، قيل: ما مصدرية، فيكون مفعولاً مطلقاً أو موصولة، فيكون مفعولاً ثانياً أى: لتنذرهم الذى أنذر آبائهم الأقدمون ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ يعنى: فى أعناقهم لا أيديهم، فإن الغل لا يكون إلا فى العنق دون الأيدي ﴿فَهِىَ﴾ أى: الأغلال ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ أى: واصله إليها ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ المقمح: الذى يرفع رأسه ويغض بصره ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: غطينا على أبصارهم غشاوة ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ مثل تصميمهم على كفرهم، وأنه لا سبيل إلى تجاوزه عنه ؛ بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، وكالحاصلين بين السدين لا يبصرون قدامهم ولا خلفهم فى أنهم متعمون عن النظر فى آيات الله، غير متأملين فى مبدئهم ومعادهم. عن ابن عباس -رضى الله عنهما- إن الأول مثل بخلهم عن الإنفاق فى سبيل الله، قال تعالى: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ" [الإسراء: ٢٩] وعن محبى السنة وغيره إنما فى أبى جهل حين أخذ حجراً ؛ ليدمغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما رفعه لصقت يده إلى عنقه، ولزق الحجر بيده حتى عاد إلى قومه، فقام آخر بأبى أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو عليه السلام يصلي، فأعمى الله بصر الكافر، يسمع صوته ولا يراه (*) ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سبق فى أول سورة البقرة ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾ أى: إنذاراً نافعاً يترتب عليه البغية ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: القرآن

(*) والأولى أن يقال الله أعلم بمراده به/ ١٢ فتح.

(*) أخرجه البيهقى فى "الدلائل" بسند فيه السدى الصغير والكلبى وهما متروكان.

بالتأمل والعمل ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾: غائبًا عنه الرحمن فلا يراه، أو غائبًا عن عذاب الرحمن ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾^(١): حسن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾: عند البعث ﴿وَنُكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: من أعمالهم الصالحة والطالحة التي باشروها بأنفسهم ﴿وَأَثَارَهُمْ﴾: ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة، فعمل بها أحد اقتداء بهم، فيجزون عليها أيضًا، وقريب منه ما قال بعض السلف المراد: ما أرتوا من الهدى والضلال، أو المراد آثار خطاهم إلى الطاعة والمعصية، وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد، فأرادوا أن يتحولوا إلى قرية فتزلت "سنكتب ما قدموا وآثارهم" فثبتوا في منازلهم^(*) وهذا المعنى رواه غير الطبراني^(**)، وفيه إشكال لأنهم صرحوا بأن السورة بكمالها مكية ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: اللوح المحفوظ.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾^(٣) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(٤) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾^(٥) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٦) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧) قَالُوا طَبِّرْكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(٨) وَجَاءَ مِنْ

(١) ولما قال: "إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ" أراد بيان الحشر والجزاء

المورثة للخشية فقال: "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى" الآية/ ١٢ وحيز.

(*) صحيح، أخرجه أحمد في الزهد وابن ماجه، فالعزو إليها أولى.

(**) كالترمذى وانظر صحيح سننه (٢٥٧٨).

أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَفْقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ إِلَّا ذِي فَرْطَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿وَأَضْرِبْ﴾^(١): مَثَلٌ ﴿لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ أى: مثلها بيان أو بدل من مثلاً، أو هما مفعولا اضرب، لما فيه من معنى الجعل، وقدم المفعول الثانى ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ بدل اشتمال من أصحاب ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: رسل الله أو رسل عيسى بأمر الله ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: وادعيا الرسالة ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾^(٢) فَعَزَّزْنَا: قويناها ﴿بِثَالِثٍ﴾ برَسُول ثالث ﴿فَقَالُوا﴾ أى: الرسل الثلاثة ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾: من ربكم، أو من رسول ربكم

(١) ولما دل تعالى على ما له من القدرة الكاملة بالأفعال الهائلة من الإمامة والإحياء، وكان الأمثال بالمشاهدات ألصق شيء بالبال وأقطع للجدال، ضرب مثلاً جامعاً للأصول الثلاثة التوحيد والرسالة والبعث فقال: "واضرب لهم مثلاً" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) مع أنهما أظهرهما المعجزة من إبراء المريض وغيره/ ١٢ وجيز.

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ^(١) مِثْلُنَا﴾ وإنما الرسول ملك، وهذا شبهة أكثر الكفرة أن الرسول لا بد أن يكون ملكاً ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أى: وحياً ورسالة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: فى ادعاء الرسالة ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ^(٢)﴾ استشهدوا بما هو يجرى مجرى القسم وهو علم الله ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: التبليغ الظاهر المبرهن بالمعجزات ﴿قَالُوا^(٣) إِنَّا نَطِيرُنَا﴾: تشاء منا ﴿بِكُمْ﴾ فإنه لم يدخل مثلكم على قرية إلا وعذب أهلها ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾: عن مقاتلتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: بالحجارة أو بالشمث ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ﴾: شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ فإن قبائحكم التى لا تفارقكم سبب الشؤم ﴿أَتَنْ ذُكُرْتُمْ﴾ جوابه محذوف، أى: أئن وعظمت تطيرتم بالواعظ ووعدتموه بالتعذيب؟! ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: قوم عادتكم^(٤) الإسراف فى الضلال، ولذلك تتطيطون بواعظ من الله ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ^(٥) يَسْعَى﴾: يسرع شفقة على الرسل اسمه حبيب يعمل الحبال أو كان

(١) وهذا القول منهم دليل على أن هؤلاء ادعوا أنهم رسل الله إليهم لا أنهم رسل عيسى إليهم/١٢ وجيز.

(٢) "مِنْ رَبِّكُمْ" صرح بذلك ابن عباس وكعب/١٢ وجيز.

(٣) قيل: أحبس عنهم المطر وأسرع فيمن أساء الأدب معهم الجذام ولهذا قالوا: "إنا تطيرنا بكم"/١٢ وجيز.

(٤) إضراب عن مجموع الكلام كأن الرسل قالوا إنا قد جعلنا الله أسباباً للسعادة، وأنتم لسوء صنيعكم محرومون عنها، ثم أضربوا عنه إلى ما فعلوا من التعكيس حيث جعلوا الرسل أسباباً للشقاوة/١٢ وجيز.

(٥) وقد نقل أنه كان مجذوماً يعبد الأصنام مدة متطاولة يسأل عن آلهة تكشف ضره، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله وحده قال: هل من آية؟ قالوا: ندع القادر يفرج عنك ما بك، قال: إن هذا لعجب لى سنون متطاولة أدعو آلهة وما استطاعوا، وربكم فى غداة

نجارًا أو قصارًا، ويتعبد في غارٍ بقرب بلدهم، وكان كثير الصدقة سقيمًا، لما سمع منهم بقتل رسلهم جاء لنصح قومه ونصرة رسل الله **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا﴾**: من لا غرض له **﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾** ف قيل له: أنت تصدق هؤلاء وتذم ديننا فقال: **﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**: بعد الموت، فيجازيكم بأعمالكم، فاعبدوا أتم أيضًا إياه، ووحدوه وصدقوا رسله **﴿أَتَأْخُذُ مِن دُونِهِ﴾**: من دون الله **﴿إِلَهَةٌ إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾** (١) **﴿شَيْئًا﴾**: لا تمنع شفاعتهم عنى شيئًا من العذاب **﴿وَلَا يُنْقِذُونَ﴾**: ولم يقدرُوا على إنقاذي **﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**: إن أعدل عن عبادة قادر نافع ضار إلى عاجز **﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾**: الذى كفرتم به **﴿فَاسْمِعُونَ﴾** أى: قولى أو الخطاب للرسل، ومعناه: اشهدوا لى بذلك عند ربكم، فوطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره، أو رجموه حتى قتلوه، فلما قتلوه **﴿قِيلَ﴾** أى: قال الله له: **﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾**: بشره وأذن له فى الدخول، فلما رأى عناية الله **﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾** ما مصدرية أو موصولة، والباء صلة يعلمون، وقيل الباء صلة غفر وما استفهامية أى: يعلمون أنه غفر لى بأى شيء أراد الإيمان بالله، والمصابرة بإعزاز دينه **﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾**: تمنى علمهم بحاله ؛ ليعلموا أنه على الحق فيردعوا عن الكفر، أراد نصح قومه فى حياته ومماته **﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾**: قوم الحبيب **﴿مِن بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنْ**

= واحدة قالوا: نعم ربنا على ما يشاء قدير، ودعوا فكشف الله ما به كأن لم يكن به بأسًا، فأقبل على كسب والأصح أنه نجار ؛ فنصف ما يحصل منه يصرفه لعياله، والنصف الآخر للفقراء، فلما هم أهل قريته بقتل الرسل أسرع وقال: "يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" الآية/ ١٢ وحيز.

(١) كأنهم مثل قريش يعتقدون أنهم شفعاء لهم عند الله / ١٢ وحيز.

السَّمَاءَ: لإهلاكهم ونصرة رسلنا، ولم نحتاج في إهلاكهم إلى جند، بل الأمر أيسر ﴿وَمَا كُنَّا مُتَرَلِّينَ﴾ الجند من السماء في إهلاك الأمم المكذبة، فإنزال الجند من السماء لنصرة نبيه المصطفى عليه أكمل الصلوات وأفضل التسليمات من خاصته لشرفه، أو معناه، وما صح في حكمتنا إنزال جند عليهم، لأننا قدرنا على إهلاكهم بأهون وجه، وعن^(١) بعض معناه: وما أنزلنا على قومه من بعده برسل أخرى برسالة من السماء إليهم ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أى: العقوبة ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾: من جبريل^(٢) بعثه الله فأخذ بعضادتي باب بلدتهم، فصاح ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾: ميتون كالرماد لم يبق في البلدة روح يتردد في جسد، واعلم أن بعض السلف وأكثر المتأخرين على أنهم رسل عيسى، وأسماءهم يحيى، ويونس، وشمعون، والقرية أنطاكية، وذكروا أن ملك القرية وأكثر أهلها آمنوا بعد تقويتهمما بثالث وظهور معجزاتهم، ومن بقى على الكفر أهلكوا، وكلام بعض السلف دال على أنهم رسل الله وأسماءهم صادق، وصدوق، وشكوك، وهو ظاهر القرآن انظر إلى قوله "مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا"^(٣) وأيضاً ذكر المؤرخون أن أول مدينة آمنت برسل عيسى هو أنطاكية^(٤)، وفي القرآن أن هذه القرية أهلكوا لكفرهم، وأيضاً صرح كثير من السلف في قول الله "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) هو قتادة ومجاهد ١٢/ منه.

(٢) هكذا نقل عن جميع المفسرين/ ١٣ منه.

(٣) فإن هذه شبهة الكفرة مع رسل الله فإنهم يزعمون أنه لا بد أن يكون الرسول ملكاً ولا يزعمون ذلك في شأن رسل الرسل فلا تغفل/ ١٢ منه.

(٤) ولهذا أنطاكية عند النصارى من أحد المدائن الأربع اللاتى تعظمها، وهى القدس لأنها بلد المسيح وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، وإسكندرية، ورومية، وأن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا فى الملة النصرانية ولا قبلها والعلم عند الله سبحانه/ ١٢ وجيز.

أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى" [القصص: ٤٣] أن الله ما أهلك من الأمم عن آخرهم بالعذاب بعد إنزال التوراة، بل أمر المؤمنين بقتال المشركين، فكيف يكون هلاك قرية رسل عيسى والله أعلم ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(١) نداء للحسرة، كأنه قيل تَعَالَى فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري، والظرف إما لغو أو صفة ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ أَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ علق ألم يروا عن العمل لفظاً فيما بعده ؛ لأن كم لا يكون معمولاً لما قبله ﴿أَلَهُمْ إِلَهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢) بدل الكل من جملة كم أهلكنا على المعنى، فإن عدم الرجوع والإهلاك واحد ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ إن نافية ولما المثقلة بمعنى إلا، والظرف لجميع بمعنى مجموع أو لمحضرون أى: ما كلهم إلا مجموعون لدينا يوم الحشر محضرون.

﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْيِيهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾^(٣)
 وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٤﴾ لِيَأْكُلُوا
 مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ
 الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ
 اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ
 الْقَدِيمِ ﴿٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ

(١) والمراد من العباد الجنس إذ شؤم فعل البعض واصل إلى الجميع / ١٢ وحيز.

(٢) قال صاحب البحر: الذى يقتضيه صناعة العربية أن تقديره قضينا أو حكمنا أنهم لا

يرجعون، وبعض القراءات: إنهم بكسر الهمزة دل على ما ذكرنا لأنها مقطوعة عما

قبلها، ولا يخفى بعد أنها بدل، أى بدل من الثلاثة / ١٢ وحيز.

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٤﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤٥﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٧﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٢﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٤﴾

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ﴾: اليابسة التي لا نبات فيها ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالمطر استئناف لبيان كونها آية أو آية لهم مبتدأ وخبر وأحييناها خبر الأرض، والجملة تفسير الآيف، ولا يبعد أن يكون أحييناها، لا بتقدير قد ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أى: جنسه ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: من ثمر المذكور، قيل الضمير لله، فإن ثمر الله بخلقه ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أى: الثمر لم عمله أيدي الناس، بل خلق الله، ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ وعن بعض أن ما موصولة عطف على ثمره، والمراد ما يتخذ منه كالذهب ﴿سُبْحَانَ (١) الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الأنواع ﴿كُلُّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا

(١) ولما أثبت تفرد الإيجاد والإنعام ناسب أن يعقبه تزيهه فقال: "سبحان الذي" الآية/ ١٢

لَا يَعْلَمُونَ: من مخلوقات شتى لا يعرفون، فكأنه قال: الأزواج قسمان معلوم^(١) وغير معلوم «وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ»: نزيل «مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ»: داخلون في الظلام «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» اسم مكان وفسر النبي^(٢) المنزل عليه القرآن أن مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك، وإذا كان العرش كرة محيطة فتحتيها باعتبار مكان خاص من العرش الله ورسوله أعلم به، وظاهر بعض الأحاديث دال على أنه قبة ذات قوائم تحملها الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض، فحينئذ يكون وقت الظهيرة أقرب ما يكون إلى العرش، وفي نصف الليل أبعد فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع، وعن بعض أنه اسم زمان أى الوقت الذى تستقر فيه، وتنقطع جريها وهو يوم القيامة «ذَلِكَ» الجرى الخاص «تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرِ» نصب بشريطة التفسير «قَدَرُ نَاهٍ مَنَازِلَ» هى ثمانية وعشرون يتزل كل ليلة فى واحد، فإذا كان فى آخر منازلها

(١) فمن بيانية والاستيعاب إنما هو باعتبار المعلوماتية وغير المعلوماتية واكتفى فى بيان قسم المعلوم بذكر بعض أفرادها/ ١٢ وجيز.

(٢) كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما بروايات متعددة أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: (مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك وتستأذن فى الطلوع فيقال لها: اطلعى من حيث طلعت، فإذا كان عند القيامة يقال لها: اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا تنفع نفس إيمانها) هذا هو التفسير ويا عجباً لمن عدل، وهو يدعى الإيمان، وأما كيفية ذهابها تحت العرش مع أن العرش كرة محيطة أو قبة ذات قوائم تحملها الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض كما هو ظاهر بعض الأحاديث فعلمه عند الله ورسوله نحن نؤمن به ونكل العلم إليهما كما فى أكثر أمور الآخرة/ ١٢ وجيز.

وذكر فى المنهية أقوالاً ثم قال: وهذه الأقوال كلها كأنه لمن لم يطلع على تفسير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذى فى الصحيحين وغيرهما وإلا فكيف العدول عنه، ويا عجباً أن القاضى مع مطالعته لتفسير المعالم ما تعرض لهذا الوجه بوجه والله هو الموفق.

دق واستقوس ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ﴾: كالعذق وهو العود المعوج الذى عليه الثمر
﴿الْقَدِيمِ﴾: العتيق اليابس ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ يصح لها، وَيَتَسَهَّلُ عَلَيْهَا ﴿أَنْ
تُذَرَ الْقَمَرُ﴾: فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه، فتطمس نوره ﴿وَلَا
الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أى: ولا يطلع القمر بالنهار، وله ضوء يطمس نور الشمس
فسلطانها بالنهار وسلطانه بالليل لا يدخل أحدهما فى سلطان الآخر قبل القيامة، فعلى
هذا المراد من الليل والنهار آيتاهما وهما النيران، أو المراد لا يدخل النهار على الليل قبل
انقضائه ولا يدخل الليل على النهار. أيضاً يتعاقبان بحساب معلوم إلى يوم القيامة، أو
المراد أنهما لا تجتمع معه فى فلك واحد، ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار ﴿وَكُلُّ
فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ﴾^(١) أى: وكلهم، والضمير لهما ولسائر النجوم، فإن ذكرهما مشعر
بهما أو لهما وهما لاختلاف مطالعتهما كأنهما شمس وأقمار، ولإطلاق السباحة التى هى
للعقلاء جُمعا بالواو والنون ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾
المراد سفينة نوح، فإنها مشحونة مملوءة من الأمتعة والحيوانات، والمراد ذرياتهم التى فى
أصلاب آبائهم، أى: حملنا فيها آباءهم الأقدمين، وفى أصلاهم ذرياتهم، وتخصيص
الذرية ؛ لأنه أبلغ فى الامتنان، وأدخل فى التعجب مع الإنجاز، وقيل: حملنا صبيانهم أو

(١) وليست السباحة من خواص ذوى العقول، وهما لاختلاف مطالعتهما كأنهما شمس
وأقمار فلهذا قال: كل ويسبحون، وظاهر القرآن أن لنفسهما سيرا وسباحة، والعلم
عند الله ١٢/ وحيز. وفى الفتح قال العماد ابن كثير فى البداية والنهاية: وحكى ابن حزم
وابن الجوزى وغير واحد الإجماع على أن السماوات كرية مستديرة واستدل عليه بهذه
الآية. قال الحسن: يدورون، وقال ابن عباس: فى فلكة مثل فلكة المغزل. قالوا: ويدل
على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب، ثم تطلع فى آخرها من المشرق قال
ابن حجر: حكى الإجماع على أن السماوات مستديرة جمع، وأقاموا عليه الأدلة
وخالف فى ذلك فرق يسيرة من أهل الجدل ١٢/فتح.

أولادهم الذين يعتنقونهم إلى التجارة، فالمراد السفن مطلقاً «وَوَخَّلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ»: من السفن التي بعد سفينة نوح، أو المراد الإبل فإنها سفينة برّ «وَأَن تَشَاءُ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيخَ»: مغيث «لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ»: ينجون من الغرق «إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ» أى: لا ينجو لجهة إلا لرحمة منا، ولتمتع بالحياة إلى أجل مقدر «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» أى من الوقائع التي مضت «وَمَا خَلَقَكُمْ» (١) «مِن أَمْرِ السَّاعَةِ، أَوِ الْمَرَادِ مَا تَقْدِمُ مِنَ الذُّنُوبِ وَمَا تَأْخُرُ، أى: مِنْ مِثْلِهَا «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»: لتكونوا على رجاء رحمة، وجواب إذا مقدر، وهو مثل أعرضوا عنه، ويدل عليه ما بعده «وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» أى: أمروا بالإِنْفَاقِ عَلَى فُقَرَاءِ الصَّحَابَةِ «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اطَّعِمُوهُمْ مِّن لَّوْ يَشَاءُ» (٢) «اللَّهُ أَطْعَمَهُ»: فمن لم يرزق الله

(١) وعن ابن عباس ما بين أيديكم الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم الدنيا فلا تغتروا بها/ ١٢ وجيز.

(٢) لما أسلم أقارب صناديد قريش، وهم فقراء قطع صناديدهم عنهم ما كانوا يواسونهم، فندبهم المؤمنون إلى صلة أقاربهم فأجابوا أنطعم، وأكثر السلف على أن قولهم هذا استهزاء فإنهم يسمعون المؤمنين يعلقون الأفعال بمشيئة الله خرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولون، وهذا كما تقول لأحد أعطه ديناراً فيجيب لا أعطيه فلساً، فإنهم أمروا بالإِنْفَاقِ فأجابوا بأننا لا نطعمهم/ ١٢ وجيز.

وفى الفتح كأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين، وقالوا: نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقر بعضاً ابتلاءً فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً وأعطى الدنيا للغنى لا استحقاقاً وأمر الغنى أن يطعم الفقير، وابتلاء به فيما فرض له من ماله من الصدقة، ولا اعتراض لأحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه، والمؤمن يوافق أمر الله وقولهم: "من لو يشاء الله أطعمه" هو

مع قدرته لا نعطيه ؛ لنوافق مشيئة الله ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ حيث اتبعتم محمداً، وأمرتمونا بالإلفاق على من أراد الله فقره قيل: هذا قول الله للكفار ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، يعنون البعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: مشغلون في متاجرهم بخصوماتهم، لا يخطر ببالهم القيامة ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾: لمفاجأة القيامة فيموتون في مكان يكونون فيه، ولا يتمكنون من الرجوع إلى بيوتهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ قالوا يُولِينَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ قالَيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَكُونَ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿هَلْ يَدْرِي جَهَنَّمَ الْتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أَصَلَّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ

= وإن كان كلاماً صحيحاً في نفسه ولكنهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله وإنكار جواز الأمر بالإلفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم من هذه الحثية باطلاً/ ١٢ فتح.

وَتَكْلِمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْتَى يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ تعال فهذا أوانك ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ يرفع الله عنهم العذاب بين النفختين، فيحسبون أنهم كانوا نياماً ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ من كلام المؤمنين أو الملائكة في جوابهم كأنه قيل: بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل، أو من كلامهم ردّاً على أنفسهم وتحسراً، وما إما مصدرية أى وعده وصدقهم، أو موصولة أى: الذى وعده الرحمن، وصدقه بمعنى صدق فيه المرسلون ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أى: الفعلة ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: بمجرد تلك الصيحة، وليس الأمر فيها بعسير ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾: من الظلم ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة بعد دخول الجنة ﴿فِي شُغْلٍ﴾: عظيم لا يحيط به الأفهام ﴿فَاكْهُون﴾: متلذذون خير بعد خير، أو الأول ظرف للثانى ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ من أشجار الجنة وقصورها ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ هى السرر فى الحجال ﴿مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: جميع أنواعها ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ يدعون به لأنفسهم، فهو من الدعاء، أو يتمنون من قولهم: ادع على ما شئت، بمعنى: ثمنه على ﴿سَلَامٌ﴾ أى: لهم سلام الله، أو بدل مما يدعون ﴿قَوْلًا مِنْ رَبِّ﴾ ^(١) رَحِيمٍ يقال لهم

(١) روى ابن أبى حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بيننا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم. فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة) فذلك قوله سلام قولاً من رب رحيم، قال: لينظر

قولاً من جهته، أى: يسلم الله عليهم بغير واسطة، تعظيماً لهم، وهذا غاية مناهم
«وَامْتَازُوا^(١) الْيَوْمَ»: انفردوا عن المؤمنين «أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ»: الكافرون عن الضحاك
لكل كافر بيت من النار، يُردم بابه بالنار، يكون فيه أبداً، لا يرى ولا يرى «أَلَمْ أَعْهَدْ
إِلَيْكُمْ» العهد: الوصية، أى: ألم أوصيكم بلسان أنبيائي، وهذا من جملة ما يقال لهم
تقريباً «يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» أن مفسرة أو مصدرية «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي» عطف على أن لا تعبدوا «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»: بليغ في
استقامته، إشارة إلى عبادته «وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا»: خلقاً «كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا
تَعْقِلُونَ»: فتدركوا إضلاله وعداوته، يعنى أنه أمر واضح لمن له أدنى عقل في الحديث^(٢)
"إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم، فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: "أَلَمْ
أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ" إلى قوله: «هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا»:
ادخلوها وذوقوا عذابها «الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»: بكفركم في الدنيا «الْيَوْمَ نَخْتِمُ

= إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب
منهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم) [ضعيف، وأخرجه ابن ماجه فالعزو إليه
أولى، وانظر ضعيف الجامع (٢٣٦٢)/ ١٢ منه ووجيز.

(١) اعلم أن قوله: "وَلَا تُحْزَنُوا إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" يحمل تفصيله قوله: "إن أصحاب
الجنة" إلخ، وقوله: "وامتازوا اليوم" إلخ على طريقة قولهم: زيد يعاقب بالقيّد والإرهاق
وبشر يا فلان عمراً بالغفو والإطلاق من أن المقصود عطف جملة قصة أصحاب النار
على جملة قصة أصحاب الجنة وأوثر هاهنا الطلب زيادة للتهويل والتعنيف ألا ترى إلى
قوله: "اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" ١٢/ منه ووجيز.

(٢) رواه ابن جرير عن أبي هريرة -رضى الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ١٢/ منه [أخرجه ابن كثير في "التفسير" (٥٧٧/٤) وفي سنده ضعيف
ومجهول].

عَلَى أَفْوَاهِهِمْ: نمنعها عن التكلم عن السلف^(١)، إنه يدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه عمله فيجحد، ويقول: أى ربّ وعزتك لقد كتب على الملك ما لم أعلمه فيقول له الملك عملت كذا فى يوم كذا؟ فيقول: لا وعزتك أى رب فحينئذ ختم على فيه، ويشهد^(٢) عليه جوارحه ﴿وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾: بإنطاق الله إياها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا﴾ الطمس: تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ﴿عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا﴾ أى: ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾ أى: الطريق الذى اعتادوا سلوكه نصبه بالمفعولية ؛ لتضمنه معنى ابتدروا، أو بترع الخافض يعنى إلى ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ أى لا يبصرون الطريق ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة أو أزمناتهم ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾^(٣) أى: مكائهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أى لا ذهاباً ولا رجوعاً، ولفواصل الآى قال: ولا يرجعون أو معناه، ولا يرجعون إلى ما كانوا عليه وحاصله أنهم أحقاء بالطمس والمسح، ونحن قادرون لكننا نهملهم لحكمة ورحمة منا.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ وَلَهُمْ

(١) رواه ابن جرير عن أبى موسى الأشعرى ١٢/ منه.

(٢) فى الحديث (إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يحتم على الأفواه فخذة من الرجل اليسرى) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير [أخرجه أحمد (١٥١/٤)]، وقال الهيثمى فى "المجمع" (٣٥١/١٠): "رواه أحمد والطبرانى وإسنادهما جيد" ١٢/ منه.

(٣) المكانة والمكان كالمقامة والمقام واحد ١٢/ منه.

فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٣﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٤﴾ فَلَا يَخْزِنَكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٥﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٧﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٧٩﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨١﴾ فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نطل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ نقلبه ﴿فِي الْخَلْقِ﴾: فتتقص جوارحه بعد الزيادة، وتضعف بعد القوة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾: أن القادر على ذلك قادر على البعث، أو على الطمس والمسخ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ (١) الشعر رد لما قال قريش: إن محمداً شاعر ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ (٢) له: الشعر، عن ابن عباس وغيره: ما ولد عبد المطلب ولداً ذكراً، ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأما نحو: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) (*)

(١) ولما قالت قريش: إن محمداً شاعر وما القرآن إلا شعر فما فيه من التوحيد والبعث والوعد والوعيد خيالات شعرية لا أصل له، بل من المحالات التي تلقى على الناس في صورة حسنة نفاه تعالى فقال: "وما علمناه الشعر" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) فإن أكثر الشعر تحسين ما ليس بحسن، وتقبيح ما ليس بقبيح ومغالاة مفرطة، وما هو إلا موزون مقفى ١٢/ وحيز.

(*) جزء من حديث أخرجاه في الصحيحين، في غزوة حنين.

فهو اتفاقى بحسب سليقته من غير قصد إليه «إِنْ هُوَ» أى: ليس الذى أتى به «إِلَّا ذَكَرَ»: عظة من الله «وَقُرْآنٌ مُبِينٌ»: واضح الدلالة على أنه من الله «لِيُنْذِرَ^(١)»: الرسول «مَنْ كَانَ حَيًّا»: حى القلب والبصيرة فإنه المنتفع به «وَيَحِقُّ الْقَوْلُ»: كلمة العذاب «عَلَى الْكَافِرِينَ»: المصرين على الكفر «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا»: مما عملناه نحن بلا شريك، وإسناد العمل إلى الأيدى استعارة تفيد المبالغة فى التفرد بالإيجاد «أَنْعَامًا» مفعول خلقنا «فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ» أى: خلقناها لهم، وملكانها إياهم فهم لها مالكون متصرفون محتصون بالانتفاع «وَذَلَّلْنَاهَا»: صيرناها منقادة «لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ»: مركوبهم «وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ»: من الجلود والأصواف وغيرهما «وَمَشَارِبٌ» من اللبن جمع مشرب اسم مكان، أو مصدر «أَفَلَا يَشْكُرُونَ»: رب هذه النعم «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ»: طمعاً فى أن يتقوا بهم، والأمر بالعكس لأنهم «لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ»: لأصنامهم «جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ»: فى الدنيا يغضبون للآلهة ويحفظونها، أو فى الآخرة عند الحساب أى: الأصنام لعبادها جند محضرة عند الحساب ؛ ليكون أبلغ فى خزيهم ؛ لأنهم فى هذا اليوم أعداء «فَلَا يَخْزُنكَ^(٢)» قَوْلُهُمْ»: تكذيبهم وكفرهم «إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ»: فنجازيهم «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ» أحس

(١) قراءة التاء وهى من السبعة دالة على أن الضمير فى قراءة الباء للرسول ١٢/ منه.

(٢) الفاء فى "فلا يخرنك" متصل بقوله: "وما علمناه الشعر" إلخ. لما رد عليهم قولهم إنه شاعر أتى بقوله: "إنا خلقنا لهم" الآية، تسلية له صلى الله عليه وسلم يعنى لك التأسى بربك فإنه كيف أولاهم تلك النعم، وعلموا أنه تعالى المنفرد بها، ومع ذلك عاندوا وأشركوا به فإذا كان ذلك حالهم مع ربهم فلا تحزن ؛ لأننا نجازيهم على تكذيبهم إياك وإشراكهم بي ١٢/ منه.

شيء وأمهنة ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾: بين الخصومة لا يتأمل في بدء أمره، ولا يستحي، نزلت إلى آخر السورة حين جاء أبي بن خلف^(١) أو عاص بن وائل^(٢) معه عظم رميم، وهو يذره في الهواء، ويقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه السلام: (نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار). ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: أمرًا عجيبًا ﴿وَرَأَى خَلْقَهُ﴾: ابتداء خلقنا إياه ﴿قَالَ﴾ بيان للمثل: ﴿مَنْ يُخَيِّ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: بالية اسم لما بلى من العظام غير صفة، قيل: هو كبغيا في "وما كانت أمك بغيا" [مریم: ٢٠] في أنها معدولة عن فاعلة فإسقاط الهاء؛ لأنها معدولة عن باغية ﴿قُلْ يُخَيِّهَا﴾^(٣) الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ: يعلم كيف يخلقه، لا يتعاطمه شيء ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ مع مضادة الماء النار، والمراد الزنار التي توري بها الأعراب، وأكثرها من شجرى المرخ والعفار الخضراوين ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ فمن كان قادرا على هذا، كيف لا يقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضًا فيس؟! قيل معناه: الذى بدأ خلق الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا يوقد به النار، قادر كذلك على كل شيء ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: مع عظم شأنهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: في الصغر فإن خلق الصغير أسهل عندكم أو مثلهم في أصول الذات، والصفات وهو المعاد ﴿بَلَى﴾ جواب من الله، وفيه إشعار بأنه لا جواب سواه ﴿وَهُوَ

(١) رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم وغيرهما عن مجاهد وعكرمة وغيرهما [ضعيف لإرساله، وانظر الدر المنثور (٥/٥٠٨)] ١٢/ در منشور.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في البعث والضيء في المختارة عن ابن عباس [أخرجه الحاكم (٢/٤٢٩) وصححه، وأقره الذهبي] ١٢/ در منشور.

(٣) قيل: فيه دليل على أن العظم ذو حياة يؤثر فيه الموت.

الْخَلَّاقُ: كثير المخلوقات ﴿الْعَلِيمُ﴾: كثير المعلومات ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾: شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾: تَكُونُ ﴿فَيَكُونُ﴾ فيحدث أى: لا يعسر عليه شيء، ولا يمنع دون إرادته، وقراءة نصب فيكون للعطف على يقول ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعنى هو المالك المتصرف فيه ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾: للجزاء.

والحمد لله أولاً وآخراً.

سورة الصافات مكية

وهي مائة وإحدى وثمانون وقيل: اثنتان وثمانون آية وخمس مركات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝۱ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝۲ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝۳ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝۴ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝۵ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيقَ الْكَوَكِبِ ۝۶ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝۷ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ الْآعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝۸ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝۹ إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝۱۰ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۝۱۱ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝۱۲ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝۱۳ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝۱۴ وَقَالُوا إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝۱۵ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝۱۶ أَوْ أَبَاؤُنَا أَلَّاؤُلُونَ ۝۱۷ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۝۱۸ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝۱۹ وَقَالُوا يَتَوَلَّيْنَا هَٰذَا يَوْمَ الدِّينِ ۝۲۰ هَٰذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝۲۱﴾ *

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ أقسم سبحانه بطوائف الملائكة^(١) الصافات ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾: الملائكة الذين يزجرون السحاب سوقًا ، أو الآيات القرآنية التي تنهى وتزجر عن القبيح

(١) الملائكة عليهم السلام ليسوا إناثًا ، فلا بد من تأويل لفظ الصافات وما يتبعها فأوله بطوائف ، وقيل: بنفوسهم الصافات ، والمراد صفهم في الصلاة قال تعالى : "وإنا لنحن الصافون" [الصافات: ١٦٥] أو في الهواء انتظاراً لأمر الله/ ١٢ منه.

﴿فَالْتَالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أي : الملائكة الذين يتلون بكلام ، ويتلونه على أنبيائه ، والعطف بالفاء ؛ للدلالة على ترتب الصفات في التفاصيل^(١) قيل : أقسم بالذين يصفون في مقابلة العدو الذين يزجرون الخيل للجهاد ، ويتلون القرآن مع ذلك ، لا يشغلهم عنه تلك الشواغل ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾: جواب للقسم ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خبر بعد خبر أو خبر لمخدوف ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾: مشارق الكواكب أو مشارق^(٢) الشمس في السنة ، واكتفى بذكر المشارق عن المغرب لدالاتها عليها ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قراءة تنوين زينة مع جر الكواكب يؤيدان الإضافة للبيان ، والزينة اسم وقراءة نصب الكواكب يؤيدان الإضافة إلى المفعول ، والزينة مصدر أي : بأن زان الله الكواكب ، وحسنها^(٣) والكواكب ، وإن كان بعضها في غير سماء الدنيا لكن بأسرها زينة للسماء الدنيا زينها للناس الذين يرونها كجواهر مشرقة على سطحها الأزرق ﴿وَحِفْظًا﴾ أي : وحفظناها حفظاً ، أو عطف على بزينة من حيث المعنى ، كأنه قيل : إنا خلقناها زينة وحفظاً ﴿مَنْ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾: خارج عن الطاعة إذا أراد استراق السمع أتاها شهاب ثاقب فأحرقه ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ التسمع : تطلب السماع ، ولتضمنه معنى الإصغاء عُدِّي بآلى ، والملاء الأعلى الملائكة ، وهو كلام منقطع لبيان حالهم ، أو صفة و"لا" محذورة^(٤) معنى " ؛ لأن معناها : لا يمكنون من التسمع ، كما لا يخفى أو استئناف ،

(١) يعني أحررت هذه الصفات على الملائكة ، فعطف بالفاء ليفيد ترتباً لها في الفضل ، فالفضل للصف ، ثم للزجر ، ثم للتلاوة/ ١٢ منه .

(٢) وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً كل يوم لها مشرق/ ١٢ منه .

(٣) فإن الكواكب لو لم تكن مزينة في نفسها لم تزين السماء/ ١٢-١٢-١٢ منه .

(٤) ولا محذور معنى فإنهم مع مبالغتهم في الطلب لا يمكنهم ذلك ، لأنهم ممنوعون ، ومعنى لا يسمعون إليه لا يمكنون مصغين إليه سواء جعل صفة أو لم يجعل فلا يرد ما قاله الزمخشري: لا يجوز أن يكون صفة ؛ لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون لا معنى له ،

معناها : لا يمكنون من التسمع ، كما لا يخفى أو استئناف ، والسؤال عما يكون عند الحفظ^(١) وكيفيته ، لا عن سببه «وَيَقْدُفُونَ»: يرمون «مَنْ كُلِّ جَانِبٍ»: من جوانب السماء حين صعدوا للاستراق «دُحُورًا»: للدحور وهو الطرد أو مدحورين «وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ» مستمر في الآخرة «إِلَّا مَنْ خَطِفَ»: اختلس «الْخَطْفَةَ» استثناء من فاعل ، لا يسمعون بدل منه «فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»: أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي يختلس ويأخذ كلام الملائكة بسرعة ، فيتبعه كوكب مضى ، فيحرقه^(٢) وسيأتي تفصيل ذلك في سورة "قل أوحى" إن شاء الله «فَأَسْتَفْتِهِمْ»: استخبر مشركي مكة «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا» أي : سلهم أخلقهم أصعب أم خلق الملائكة والسماء والأرض ، وما بينهما ، والمشارق والكواكب والشهب الثواقب؟ فإذا اعترفوا أنها أصعب فَلِمَ ينكرون البعث؟! والبعث أسهل «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ»: لاصق لازق بعضه ببعض ، فمن أين لهم أن ينكروا إعادتهم وهم تراب «بَلْ عَجِبْتَ»^(٣): يا محمد من إنكارهم للبعث ، أو من قدرة الله على هذه

ولا استئناف ، فلأن سائلاً لو سأل لِمَ يحفظ منها؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم ١٢/ منه.

- (١) لأن قوله: "وحفظاً" مما يحرك الذهن له ، فقيل : لا يسمعون جواباً عما يكون عنده ، ويقذفون بياناً لكيفية الحفظ ، وهذا أحسن طباقاً لفظاً ومعنى فتأمل ١٢/ منه.
- (٢) ما يدل عليه النصوص الصريحة : أن المحرق كوكب لا الأنبار كما قاله الفلاسفة ١٢/ منه.

(٣) أخرج أبو عبيد ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم وصححه الحاكم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كان يقرأ "بل عجب" ويسخرون" بالرفع وأخرج أبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة عن شريح أنه كان يقرأ هذه الآية "بل عجب" ويسخرون" بالنصب ويقول : إن الله لا يعجب من الشيء ، إنما يعجب من لا يعلم . قال الأعمش :

الخالق العظيمة «وَيَسْخَرُونَ»: منك ومن تعجبك ، وقراءة عجب^(١) بضم التاء بمعنى

= فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي ، فقال : إن شريكاً كان معجباً برأيه وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : كان أعلم منه كان يقرؤها "بل عجب" ١٢/ در منشور.

(١) على قراءة الضم هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- للذي أثر هو وامرأته لضيافتهما: (لقد عجب الله من صنعكما البارحة) وفي لفظ في الصحيح (لقد ضحك الله الليلة) [جزء من حديث أخرجه في الصحيحين] وقال: "إن الرب ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنا" [صحيح، أخرجه أبو داود والترمذي، وانظر صحيح سنن أبي داود (٢٢٦٧)] وقال: (عجب ربك من شاب ليست له صبرة) [ضعيف، أخرجه أحمد والطبراني، وانظر ضعيف الجامع (١٦٥٨)] وقال : (عجب ربك من راعي غنم على رأس جبل شظية يؤذن ويقيم فيقول الله : انظروا إلى عبدي) [صحيح، انظر الصحيحة ، والإرواء] أو كما قال. (كل هذا نقله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام في بعض رسائله وذكر أن قول القائل التعجب استعظام للمتعجب منه . فيقال : نعم وقد يكون مقروناً بجهل بسبب المستعجب منه ، وقد يكون لما خرج عن نظائره ، والله تعالى بكل شيء عليم ، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما يعجب منه ، بل يتعجب منه لخروجه عن نظائره تعظيماً له ، والله تعالى يعظم ما هو عظيم إما لعظمه أو لعظمته فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ، وصف بعض الشر بأنه عظيم ، فقال تعالى : "رب العرش العظيم" [التوبة: ١٢٩] وقال : "ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم" (الحجر: ٨٧) وقال : "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً" (النساء: ٦٦) وقال : "لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم" (النور: ١٦) وقال : "إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان: ١٣) وقول القائل : إن هذه انفعالات نفسانية ، فيقال : كل ما سوى الله مخلوق منفعل، ونحن وذواتنا منفعلة، فكأنها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها، لا يوجب أن =

عجبت^(١) من إنكارهم البعث ، أو بلغ كمال قدرتي أني تعجبت منه ، والعجب من الله تعظم تلك الحالة «وَأِذَا ذُكِّرُوا» وعظوا بشيء «لَا يَذْكُرُونَ» لا يتعظون به «وَأِذَا رَأَوْا آيَةً» كانشق القمر «يَسْتَسْخِرُونَ» يبالغون في السخرية «وَقَالُوا إِن هَذَا» أي: ليس ما نراه^(٢) «إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ» تكرار الهمزة للتأكيد في نفي البعث «أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» عطف على محل إن واسمها ، أو على ضمير لمبعوثون ، وجاز للفصل بالهمزة «قُلْ نَعَمْ» تبعثون اكتفى به في الجواب؛ لظهوره مع ما يدل عليه من المعجزات والدلائل «وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ» صاغرون أذلاء «فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ» أي : إذا كان ذلك فإذا^(*) هي أي : البعثة صيحة واحدة ، وهي النفخة الثانية ، فالفاء جواب الشرط مقدر «فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ» أحياء يبصرون ، ويتنظرون أمر الله «وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا» احضر فهذا أوانك «هَذَا يَوْمُ الدِّينِ» يوم الجزاء «هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ» بين الحق والباطل «الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ»: وهذا من كلام الملائكة ، والمؤمنين تقريراً لهم وتوبيخاً.

«أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿١٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿١٤﴾ مَا لَكُمْ لَا

= يكون الله منفعلاً لها عاجزاً عن دفعها فإن كل ما يجري في الوجود ، فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ، ولا يشاء إلا ما يكون له الملك وله الحمد/١٢ منه.

(١) وفي الوجيز والعجب روعة يعترى الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى متره عن الروعة ، فيحمل على الاستعظام من غير روعة، انتهى ، وكذا في المنهية /١٢.

(٢) فيه إشارة إلى ما يروونه من مثل انشقاق القمر الذي أطلق عليه الآية ولهذا لم يقل إن هذه/١٢ منه.

(*) في النسخة ن: فإنما.

تَنَاصَرُونَ ﴿١٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٢٠﴾ فَحَقَّ
عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٢١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰوِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا
ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٢٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَٰبِقُوا الْعَذَابِ الْآلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٣١﴾ فَوَٰكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٣٢﴾ فِي
جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٣٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٣٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٣٥﴾
بَيَضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٣٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٣٧﴾ وَعِنْدَهُمْ
قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ عِينٌ ﴿٣٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مُّكْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ قَآبِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٤١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنْ
الْمُصْذِقِينَ ﴿٤٢﴾ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ءَأِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٤٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ ﴿٤٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٤٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ﴿٤٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا
فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٥١﴾ أَذٰلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٥٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ

الشَّيَاطِينِ ﴿٦٦﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٩﴾ إِنَّهُمْ أَلفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٧٠﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ مُهْرَعُونَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٤﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿٧٥﴾

«احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا» هذا من أمر الله للملائكة «وَأَزْوَاجَهُمْ»: أشباههم يعني احشروا عابدي الصنم بعضهم مع بعض ، وعابدي الكواكب كذلك ، وعن عمر صاحب كل ذي ذنب مع صاحب ذلك الذنب أو قرناءهم من الشياطين أو نساءهم المشركات «وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ»: من الأصنام «فَاهْذُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ»: عرفوهم طريقها ليسلكوها «وَقَفُّوهُمْ»: في الموقف «إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ»: عن عقائدهم وأعمالهم «مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ»: لا ينصر بعضهم بعضاً ، وهذا للتوبيخ «بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ»: منقادون لعجزهم «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ»: يسأل بعضهم بعضاً على طريق اللوم «قَالُوا»: الأتباع للرؤساء ، أو الكفار للشياطين «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ»: عن قبل الخير فزيتتم الباطل فحسبناه حقاً ، فإن من أتاه الشيطان من جانب اليمين ، أتاه من قبل الدين ، فلبس عليه الحق ، أو عن القوة ، والقهر فألجأتمونا على الضلال . قيل : اليمين الحلف ، فإن رؤساءهم يحلفون أنهم على الحق «قَالُوا» أي : الرؤساء ، أو الشياطين في جواهرهم «بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» أي : الكفر من قبل أنفسكم «وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ»: تسلط «بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ»: ضالين «فَحَقَّ عَلَيْنَا»: جميعنا «قَوْلُ رَبِّنَا»: كلمة العذاب «إِنَّا لَذَائِقُونَ»: العذاب «فَاعْوِيتَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ» أي : أحببنا أن تكونوا مثلنا ، فلا تلومونا ، فقلوه : إنا مستأنفة للتعليل «فَإِنَّهُمْ»: كلهم «يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ

مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ ﴿١﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: بالمشركين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: في الدنيا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن أن يقولوها ﴿وَيَقُولُونَ أَنِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أرادوا به أصدق الخلائق وأعقلهم عليه أكمل الصلاة ، وأفضل السلام ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: أتى بما أتى به الأنبياء ذوو المعجزات ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: مثله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ عن كدر الكفر ، والنفاق استثناء متصل إن كان الخطاب في أنكم ، وفي ما تجزون لجميع المكلفين ^(١) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: خصائصه من طيب الطعم والرائحة وحسن المنظر أو وقته ، قال تعالى : "ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا" [مریم: ٦٢] ﴿فَوَاكِهَ﴾ بدل الكل أو خير محذوف ، ورزق أهل الجنة ليس إلا للتلذذ ^(٢) ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾: بخلاف الكفرة ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ظرف أو حال ، أو خير بعد خير ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾: ناظرين بعضهم بعضاً ، وعلى سرر ظرف مقدم ، أو حال أو خير ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ تسمى الخمر نفسها كأساً ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾: من هجر جارٍ على وجه الأرض كما يجري الماء ﴿بِضَاءٍ﴾: لا كدرة فيها ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ كأن الخمر نفس اللذة وعينها أو تأنيث لـذ بمعنى لذيق ، وهما صفتان للكأس ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ غائلة ، وفساد من فولتج ونحوه كخمر الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتْرَفُونَ﴾ ^(٣): يسكرون هو من عطف الخاص على العلم ،

(١) نحو "والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا" (العصر: ١، ٢، ٣) وإن كان الخطاب للكفار فالاستثناء منقطع أي: لكن المخلصون لا يذوقون/ ١٢ منه ووجيز.

(٢) وليس للتغذي/ ١٢ منه.

(٣) قال في النهر: ذكر أولا الرزق ، وهو ما تتلذذ به الأجسام ، وثانياً الإكرام وهو ما تتلذذ به النفوس ، ثم ذكر المحل الذي هم فيه ، وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرر ،

يعني لا فيها فساد أصلاً سيما أعظم المفاسد ، وهو زوال العقل **﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ﴾** : نساء عفيفات قصرن أبصارهن على أزواجهن ، لا ينظرن إلى غيرهم **﴿عَيْنٌ﴾** : حسان الأعين جمع عينا **﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾** : شُبُهْنَ ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه . قيل : أحسن ألوان البدن بياض مخلوط بأدنى صفرة ، أو المراد القشر الذي بين قشرة العليا ولباب البيضة . نقله ابن جرير^(١) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **﴿فَأَقْبَلَ^(٢) بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾** عطف على يطاف عليهم أي : يشربون فيتحدثون على الشراب بأحوال مرت بهم في الدنيا **﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾** : في أثناء المكالمة **﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾** : جليس كافر **﴿يَقُولُ﴾** : الجليس تعجباً أو توبيخاً **﴿أَأَنْتَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾** : بالبعث عن بعض^(٣) المراد منهما الرجلان اللذان في سورة^(٤)

= ثم لذة التأنس بأن بعضهم مقابل بعضاً وهو أتم السرور وآنسه ، ثم المشروب وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم ، بل يطاف عليهم بالكؤوس ، ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ، ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية ، وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق ، وهي أبلغ الملاذ وهي التأنس بالنساء ، فقال : "وعندهم قاصرات الطرف" الآية/ ١٢ فتح.

(١) عن أم سلمة أنها قالت : قلت : يا رسول الله! أخبرني عن قول الله كأنهن ببيض مكنون. قال : (رقتهن كرقعة الجلد التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشرة) [جزء من حديث طويل ذكره الهيثمي في "المجمع" (١٠/٤١٧-٤١٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه، وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف] . وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء وغيرهما ، واختاره ابن جرير / ١٢ منه ووجيز.

(٢) جيء بالفعل ماضياً لجعل المتحقق كالواقع / ١٢ منه.

(٣) هكذا نقله محيي السنة رضي الله عنه / ١٢ منه.

(٤) أحدهما كافر واسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا / ١٢ فتح.

الكهف "واضرب لهم مثلاً رجلين" (الكهف: ٣٢) ، «إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِيُونُ؟» : مجزون «قَالَ» الله لهم أو ذلك القائل «هَلْ أَنتُمْ مُطْلَعُونَ؟» : إلى النار لأريكم ذلك القرين «فَاطْلَعَ» : هذا القائل «فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» : وسطها ، ولاستواء الجوانب سمي وسط الشيء سواء ، وعن كعب الأحبار : إن في الجنة كوى^(١) إذا أراد أحد أن ينظر إلى عدوه في النار ، اطلع عليها ، فازداد شكراً «قَالَ» : القائل لقرينه «تَاللَّهِ إِنَّ» أي إنه «كِدْتُ لَتُرْدِينَ» : لتهلكني بالإغواء «وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي» : بالهداية «لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» : معك في النار «أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ» أي : نحن مخلصون منعمون ، فما نحن بالذين شأنهم^(٢) الموت فالهمزة للتقرير ، والفاء عطف على محذوف مقول آخر للمؤمن على سبيل الابتهاج^(٣) «إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى» : التي كانت في الدنيا ، منصوب بمفعول مطلق من اسم الفاعل «وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» : كالكفار عن ابن عباس لما قال الله لأهل الجنة «كُلُوا واشربوا هنيئاً» أي : بلا موت فعندها قللوا : "أفما نحن بميتين" إلخ قال الله تعالى : لا . قالوا «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وأما قوله : «لِمِثْلِ هَذَا» : النعيم المقيم «فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ» فهو إما من كلام الله وعليه الأكثرون ، أو من كلام أهل الجنة تحذيراً بنعمة الله وتبجحاً ، ثم قال لهم : «أَذَلَّكَ خَيْرٌ تُرُلًا» منصوب على التمييز أو الحال ، وفيه دلالة على أن لهم غير ذلك من نعم^(٤) الله

(١) جمع كوة / ١٢ .

(٢) يعني حال المؤمن أن لا يذوق مرارة الموت إلا مرة واحدة بخلاف حال الكافر فإنه يتمنى الموت في كل لحظة ، قيل لبعض الحكماء : ما شر من الموت؟ قال : الذي يتمنى فيه الموت / ١٢ وحيز .

(٣) فإن تذكر الخلود في الجنة لذة دونها كل لذة / ١٢ .

(٤) فإن التزل ما حضر للضيف من الطعام حتى يتهيأ له الضيافة . / ١٢ منه .

﴿أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ هي نزل أهل النار ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾: ابتلاء في الدنيا، فإنهم كذبوا الرسل ، وقالوا: كيف يكون في النار شجرة؟! قال تعالى : "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن" (الإسراء: ٦٠) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾: منبتها قعرها، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيه منها غصن ﴿طَلْعُهَا﴾^(١): ثمرها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ في تناهي قبح منظره ، وهو تشبيه تخيلي ، فإن المركوز في طباع الناس أن أحسن الصور صورة الملك ، وأقبحها صورة الشيطان قيل : العرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطاناً ، وقيل هي شجرة قبيحة مرة متنتة ، تسميها العرب رءوس الشياطين ﴿فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا﴾: من طلعتها ﴿فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾: لغلبة الجوع أو يكرهون على تناولها ، فهم يتزقمون ، وفي الحديث^(٢) (لو أن قطرة من الزقوم قطرت على بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم) ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: على الزقوم بعد ما شبعوا منها ، وغلبهم العطش ﴿لَشَوْبًا﴾^(٣) مِّنْ حَمِيمٍ: لشراباً من ماء مغلي أو مشوباً ممزوجاً من حميم يمزج لهم الحميم بما يسيل من فروج الزناة ، وعيون أهل النار ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ﴾ ذلك لأنهم يوردون الحميم لشربه ، وهو خارج من النار أو الحميم في طرف منها وجانب ، والمرجع بعد الشرب إلى أصلها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ أي : وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد ﴿فَهُمْ

(١) سمي الثمر طلوعاً لطلوعه/١٢ منه.

(٢) نقله الترمذي والنسائي وابن ماجه [صحيح، وكذا أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٥٢٥٠)/١٢ منه.

(٣) الشوب الخلط سمي العسل شوباً ، لأنه كان مزاجاً لغيره من الأشربة ، لما امتلأت بطونهم من الزقوم احترقت بطونهم فأخبر سقيهم ؛ ليزدادوا عذاباً بالعطش ، ثم سقوا ما هو أحر وأكره /١٢ وحيز.

عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ: يسرعون كأنهم في غاية مبادرتهم إلى طريق آبائهم مضطرون إلى الإسراع ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبل أمتك ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾: أنبياء أُنذروهم بأس الله ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾: تأمل عاقبتهم ، فإن عاقبتهم هلاك وفضاعة ﴿إِلَّا^(١) عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ كأنه قال تأمل فإن عاقبة جميعهم الهلاك إلا من^(٢) أخلص دينه لله وحده ، والمقصود خطاب الأمة وأخبار الأمم كانت مسطورة في كتب أهل الكتاب مشهورة منهم في العرب.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ ^(٧٦) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ^(٧٧) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ^(٧٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ^(٧٩) سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَلَمِينَ ^(٨٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ^(٨١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ^(٨٢) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ^(٨٣) * وَإِذْ مِنْ شِيعَتِهِ لِبْرَاهِيمَ ^(٨٤) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٨٥) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ^(٨٦) أَفَبِكُلِّ إِلَهَةٍ دُونِ اللَّهِ تَرْيَدُونَ ^(٨٧) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَلَمِينَ ^(٨٨) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ^(٨٩) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ^(٩٠) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ^(٩١) فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ^(٩٢) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ^(٩٣) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ^(٩٤) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ^(٩٥) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا

(١) الأظهر أن الاستثناء منقطع ، ولما ذكر ضلال الأولين شرع في حكاية أولهم شهرة فقال: "ولقد نادانا نوح" الآية ١٢/ وجيز.

(٢) على ما فسرته الاستثناء متصل وجاز الانفصال ١٢/ منه .

تَنْجِتُونَ ﴿٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي
الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ
إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِيْ إِنِّيَ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَكَّتَبَتِ أَعْمَلُ مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٤﴾ وَنَلَدْنَاهُ أُنًى يَتَبَرَّهِيْمُ ﴿١٥﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ سَلَّمَ
عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٣﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ
وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿٢٤﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾: حين أيس من إيمان قومه . فقال : "أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَتَّصِرُ"
[القمر: ١٠] ﴿فَلَنَعَمَ الْمُجِيبُونَ﴾ أي فأجبناه أحسن إجابة ، ووالله لنعم المجيبون نحن
﴿وَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: أذى قومه ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ مات
من كان معه في السفينة ، سوى أولاده وأزواجهم ، وأولاده^(١) ثلاثة: سام ، وهو أبو

(١) روى الترمذي وابن جرير ، وابن أبي حاتم أنه عليه الصلاة والسلام قال في قوله :
"وجعلنا ذريته هم الباقين" سام ، وحام ، ويافث [ضعيف أخرجه الترمذي (٣٢٨٣-
أحودى)] ، ونقل الإمام أحمد أنه قال عليه الصلاة والسلام : (سام أبو العرب ، وحام
أبو الحبش ، ويافث أبو الروم) [ضعيف ، أخرجه أحمد والترمذي والحاكم ، وانظر ضعيف
الجامع (٣٢١٤) / ١٢ / منه .

العرب ، وفارس والروم ، ويافث ، وهو أبو الترك وسقالبة ، ويأجوج ومأجوج ، وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر «وَتَرَكْنَا^(١) عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ»: من الأمم «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ» مفعول تركنا ، وهو من كلام المحكي ، كقرأت سورة أنزلناها ، أي : يسلم جميع الأمم عليه تسليماً «فِي الْعَالَمِينَ» متعلق بما تعلق على نوح به ، والغرض ثبوت هذا الدعاء في كل خلق كما تقول : السلام عليك في كل زمان ومكان ، وقيل : مفعول تركنا محذوف أي : الثناء الجميل ، والجملة بعده استئناف يدل عليه «إِنَّا كَذَلِكَ»: مثل هذه التكرمة «نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»: من أحسن في العبادة «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» علة للإحسان، ومنه علم أن الإيمان هو القصارى في المدح «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ» كفار قومه «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ»: أهل دينه ، وهو من على منهاجه وسنته «لِإِبْرَاهِيمَ^(٢)» وبينهما هود ، وصالح وفي جامع الأصول أن بينهما ألفاً ومائة واثنين وأربعين سنة «إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ^(٣) سَلِيمٍ» من الشك ، أو من العلائق ، ظرف للشيعه لما فيها من معنى المشايعة أي : ممن شايعه على طريقه حين جاء أو تقديره اذكر إذ جاء «إِذْ قَالَ» بدل من الأول أو ظرف لسليم أو جاء «لَأَيِّبُهُ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ»: أنكر عليهم عبادة الأصنام «أَتُنْفِكُوا

(١) أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله : "وتركنا عليه في الآخرين" قال : لسان صدق للأنبياء كلهم. ١٢/ در منثور.

(٢) وإبراهيم أبو العرب وكما جعل الله سلامه على نوح وثنائه عليه إلى يوم الدين كذلك جعل ثنائه على إبراهيم كما قال "وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم" وجعل معجزته ماء، وجعل معجزته ناراً / ١٢ وحيز.

(٣) قال ابن عباس -رضي الله عنه: بقلب سليم يعني شهادة أن لا إله إلا الله ، وعن محمد بن سيرين: يعلم أن الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور/ ١٢ منه.

آلِهَةٌ^(١) دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ أَي: تريدون آلهة دونه للإفك ، أو أفكين أو تريدون الإفك ، وآلهة بدل منه ففيه مبالغة لا تخفى «فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ»: إذا لقيتموه ماذا يفعل بكم ، وقد عبدتم غيره ، أو حتى تركتم عبادته «فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي^(٢) سَقِيمٌ»: خرج قومه إلى عيدهم ، وأرادوا خروجه معهم ، فقال : لا أخرج لأنني سقيم ، أراد التورية أي سأسقم أو سقيم النفس من كفرهم ، ولما كان غالب أسقامهم الطاعون خافوا السراية ، وخلوه ، وكان قومه نجامين أو همهم استدلاله على مرضه بعلم النجوم ، أو المراد أنه تفكر فقال : إني سقيم ، والعرب تقول لمن تفكر نظره إلى النجوم كذا قال كثير من السلف «فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ»: هاربين إلى عيدهم خوفاً عن سراية الطاعون «فَرَاغَ»: ذهب بخفية «إِلَى آلِهِتِهِمْ» بعد ما ذهبوا «فَقَالَ»:

(١) قدم المفعول ، وهو آلهة للعناية والاهتمام ، وقدم المفعول له ؛ لأن الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على إفك وباطل / ١٢ منه.

(٢) في الحديث المخرج في الصحاح والسنن (لم يكذب إبراهيم غير ثلاث كذبات ؛ قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم ، وقوله في سارة : هي أختي / ١٢ منه. أخرج ابن جرير عن السدي قال : قالوا ابنوا له نبياً فألقوه في الجحيم " قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطباً ، حتى إن كانت المرأة لتمرض ، فتقول : لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم ، فلما جمعوا له ، وأكثروا من الحطب حتى إذا كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها ، وشدتها فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء فقالت السماء والأرض ، والجبال ، والملائكة : ربنا إبراهيم يحرق فيك ، فقال: أنا أعلم به. وإن دعاكم فأعينوه ، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : (اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنا الواحد في الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل) فناده : "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم" [الأنبياء: ٦٩] / ١٢ در منشور.

للأصنام سخرية ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: من الأطعمة التي حو اليكم ، فإن قومه يضعون الأطعمة بين أيديهم ويرجعون ويأكلون للتبرك ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: تعديته بعلى للاستعلاء وأن الميل لمكروه ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ مصدر لراغ عليهم ؛ لأنه بمعنى ضربهم أو لمخدوف أو حال بمعنى ضارباً ضربهم باليد اليمنى ، لأنه أشد ، وقيل بالقسم الذي سبق منه ، وهو "تالله لأكيدن أصنامكم" ﴿فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ﴾ إلى إبراهيم بعد ما رجعوا ورأوا إهلاك آلهتهم ، وبجثوا عن كاسرها ، وظنوا أنه هو ﴿يَزِفُونَ﴾: يسرعون ﴿قَالَ﴾: لهم إبراهيم ﴿اتَّعْبُدُونْ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي : وما تعملونه بقرينة ما تنحتون يعني : هل المخلوقات لخالق واحد يعبد أحدهما الآخر ، وكلمة ما عامة تتناول ما يعملونه من الأوضاع والحركات والمعاصي والطاعات وغيرها، والمراد بأفعال العباد المختلف فيها هو ما يقع بكسب العبد ، ويستند إليه مثل الصوم والصلاة والأكل ، والشرب ونحوهما مما يسمى الحاصل بالمصدر لا نفس الإيقاع الذي هو من الاعتبار العقلية كما تقول : يفعلون الزكاة يقيمون الصلاة يعملون الصالحات والسيئات ، ولما غفل عن هذه النكتة كثير من الفضلاء بالغوا في نفي كون ما موصولة والإنصاف أن الآية محتملة لما قررنا ولأن يكون المراد ما تعملونه من الأصنام فلم يبعد الاستدلال مع الاحتمال والله أعلم ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: في النار الشديدة بنوا له حائطاً من الحجر طوله ثلاثون وعرضه عشرون ، وأوقدوا فيه النار بملئه ، وطرحوه فيه ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا^(١)﴾: شرّاً ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾: الأذلين بإبطال كيدهم وتفصيل القصة في سورة الأنبياء ﴿وَقَالَ﴾: بعد خروجه من النار ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾: إلى مرضاة ربي ﴿سَيَهْدِينِ﴾: إلى صلاح داري ، فهاجر إلى الشام ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : بعض الصالحين يعني

(١) لما غلبهم بالحجة مالوا إلى الاستيلاء ، والشوكة كعادة الفراعنة/١٢.

الأولاد «فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» فيه بشارة أنه ابن ينتهي في السن إلى أن يوصف بالحلم، وهو إسماعيل على الأصح نقلاً ودليلاً^(١) فإن إسماعيل هو الذي وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحاق بعد معطوفة على هذه البشارة ، وكيف لا وإسماعيل هو الذي كان بمكة والمناسك ، والذبح ما كانت إلا فيها^(٢) قال بعض العلماء : من

(١) وهذا قول ابن عمر ، والحسن البصري منقول عبد الله بن الإمام أحمد عن والده في كتاب الزهد ، وقال ابن أبي حاتم: هو المروي عن علي وأبي هريرة رضي الله عنه وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي / ١٢ وجيز.

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم "أنا ابن الذبيحين" ، وقد صححه ابن الجوزي في الوفاء وبين معناه ١٢/ منه ووجيز [لا أصل له بهذا اللفظ، انظر كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٢٢٥- ٢٢٦)، والسلسلة الضعيفة] ، وذكر الرازي هذا الحديث وزاد فيه ، وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين ، فتبسم ، فسئل عن ذلك فقال : (إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم ، نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليزبحن أحد ولده ، فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله ، وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل فقدها بمائة من الإبل ، والذبيح الثاني إسماعيل [أخرجته الحاكم (٢/ ٥٥١) وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بقوله: "إسناد واه"، وانظر الضعيفة (١/ ٥٠١-٥٠٢)] انتهى.

وفي الفتح قال ابن كثير في تفسيره : وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة ، وليس في ذلك كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تلقى إلا عن إخبار أهل الكتاب وأخذ مسلماً من غير حجة ، وكتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، وقال بعد ذلك: "وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين" انتهى.

واحتج القائلون بأنه إسحاق بأن الله عز وجل قد أخبرهم عن إبراهيم حين فارق قومه ، وهاجر إلى الشام مع امرأته سارة ، وابن أخيه لوط . فقال : "إني ذاهب إلى ربي سيهدين" إنه دعا فقال: "رب هب لي من الصالحين" وقال تعالى : "فلما اعتزلهم ومما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب" (مریم: ٤٩) ولأن الله قال : "وفديناه

تحريفات اليهود أنه إسحاق ؛ لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب ، ومن زعم من السلف أنه إسحاق ، وهو الذي سمع ذلك من كعب الأحبار حين يروي من الإسرائيليات ، وليس فيه حديث غير ضعيف ، والرواية عن علي ، وابن عباس رضي الله عنهما - مختلفة «فَلَمَّا بَلَغَ»: الغلام «مَعَهُ السَّعْيُ» يعني سنًا يسعى مع أبيه في أعماله ، أو في الطاعات يعني شب وأطاق ما يفعله أبوه من العمل ، ويتصرف معه ، ويعينه ، ومعه

= بذبح عظيم" فذكر أنه في الغلام الحليم الذي بشر به ، وإنما بشر بإسحاق ؛ لأنه قال : "وبشرناه بإسحاق" وقال هناك: "بغلام حليم" وذلك قبل أن يعرف هاجر ، وقبل أن يصير له إسماعيل ، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق ، قال الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيح ، وكل هذا يحتمل المناقشة والمسألة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فلا نسئل عنها في القيامة ، فهي مما لا ينفع علمه ، ولا يضر جهله ، وقد رجح كل قول طائفة من المنصفين كابن جرير ، فإنه رجح أنه إسحاق ، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل ، ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء ، وما روى عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جدًا ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن وهي محتملة ، لا تقوم بها حجة ، فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته ، وفيه السلامة انتهى ما ذكره صاحب الفتح ملخصاً [وهناك ما يؤيد أن الذبيح إسماعيل ، وهو أن الله قد بشر أم إسحاق به ، وبابنه يعقوب ، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: "لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب" فمحال أن يبشرها بأنه يكون له ولد، ثم يأمر بذبحه].

ونقل العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان عن شيخه شيخ الإسلام أنه قال في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ومن زيادات أهل الكتاب في التوراة أن الله سبحانه قال لإبراهيم : اذبح ابنك بكر ، ووحيدك إسحاق قال ، والزيادة باطلة من وجوه عشرة؛ الأول : أن بكره ووحيد إسماعيل باتفاق الملل الثلاث إلى آخر ما بين الوجوه العشرة. ورجح فيها كون الذبيح إسماعيل ترجيحًا لا مرد له ، فمن شاء الاطلاع ، فليرجع إلى خاتمة كتاب الإغاثة / ١٢.

ظرف للسعي المقدر عند من لم يجوز تقدم الظرف أيضاً على المصدر ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء وحي ، ولما تكرر رؤياه ثلاث ليال قال : أرى بلفظ المضارع ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ : من المصلحة هو من الرأي ، لا يطلب إلا مفعولاً واحداً هو ماذا ، اختر صيره من صغره على طاعة الله فشاوره ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي : ما تؤمر به ، يعني : ليس هذا من مقام المشاورة ، فإن الواجب إمضاء أمر ربك ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ : على حكم الله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ : انقاد لأمر الله ، وعن بعض المفسرين : تشهد أو ذكرا اسم الله ؛ إبراهيم على الذبح وإسماعيل شهادة الموت ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ : أكبّه على وجهه ؛ ليدبجه من قفاه ، لتلا يرى وجهه عند الذبح فيكون أهون عليه ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أن مفسرة ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ : يحزم عزمك^(١) وجواب لما محذوف أي : لما أسلما وكذا كان ما كان من وفور الشكر والسرور لهما والثناء الحسن ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ : ليس من تنمة النداء ، بل تم الكلام ثم قال : هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره ، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ : الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) يعني : عظيم القدر ، أو عظيم الجثة ، والأصح أنه كبش أملح أقرن ، وعن كثير من السلف

(١) قال طائفة منهم السدي : ضرب الله على عنقه صفحة نحاس ، فجعل إبراهيم يحز ، ولا يقطع شيئاً ، وهذا كله جائز في القدرة الإلهية ، لكنه يفترق إلى نقل صحيح ، فإنه أمر لا يدرك بالنظر ، وإنما طريقه الخبر ، ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعظيماً لرتبة إسماعيل وإبراهيم ، وكان أولى بالبيان من الفداء/ ١٢ فتح.

(٢) وعن ابن عباس وغيره عظمه لأنه من كباش الجنة. قال محيي السنة : كان رأس الكبش معلقاً في الكعبة إلى زمان عبد الله بن الزبير والحجاج ، واحترق البيت في زمنهما ، وقال الشعبي : رأيت قرنيه معلقين في الكعبة / ١٢ وحيز.

أنه كبش قربه ابن آدم فتقبل منه ، وكان في الجنة فأتى به جبريل ، والمنقول^(١) أن قريشاً توارثوا قرني الكبش الذي فدي به أبوهم خلفاً عن سلف ، وجيلاً عن جيل ، وكان في الكعبة إلى أن بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ قد مر تفسيره في هذه السورة ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ أي: بوجوده ﴿نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ حالان مقدرتان أي: بشرناه به مقدراً نبوته ، وكونه من الصالحين وعند من يقول: الذبيح إسحاق ، فالبشارة الثانية بوجوده مقيداً بنبوته ، والمقصود الأصلي في هذه المرة البشارة بالنبوة ، وأما الصلاح بعد النبوة ، فلتعظيم شأن الصلاح ، وأنه الغاية والمقصود الأصلي ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم في أولاده ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ فإن كثيراً من الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: إلى نفسه بالإيمان والطاعة ﴿وَوَطَّالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: بالكفر ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهر ظلمه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ ﴿١٠﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْتَاوُا هُمُ الْغَالِبِينَ ۖ ﴿١١﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۖ ﴿١٢﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ﴿١٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۖ ﴿١٤﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ ﴿١٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿١٦﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ ﴿١٨﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ ﴿١٩﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ۖ ﴿٢٠﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ ﴿٢١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ

(١) نقله الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- [أخرجه أحمد (٦٨/٤) وفي إسناده

ضعف] ١٢/ منه.

لْمُحْضَرُونَ ﴿١٧٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٧٩﴾
 سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٨٠﴾ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٤﴾
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٨٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٨٦﴾ وَإِنَّا لَتَمُورُنَّ عَلَيْهِمْ
 مُّصْبِحِينَ ﴿١٨٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٨٨﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾: أنعمنا بالنبوة وغيرها عليهما ﴿وَوَجَّيْنَاهُمَا
 وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: تعلّب فرعون ﴿وَوَصَّرْنَاهُم﴾ أي: هما والقوم
 ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾: على القبط ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿الْمُسْتَتِينَ﴾:
 البليغ في بيانه ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ
 سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ سبق في هذه السورة تفسيره ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾^(١) لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ عن

(١) هو نبي من أنبياء بني إسرائيل من أسباط هارون بن عمران ، وأما إنه إدريس ، فلعله لا
 يصح ؛ لأن إدريس قبل نوح ، وفي سورة الأنعام إن إلياس من ذرية إبراهيم ، أو من
 ذرية نوح على اختلاف في مرجع الضمير / ١٢. وجيز ، وأما الحديث الذي أخرجه
 الحاكم ، والبيهقي ، وضعفه في ملاقة أنس مع إلياس وإخباره النبي صلى الله عليه
 وسلم - بإلياس ، ثم إتيان النبي صلى الله عليه وسلم إلى إلياس ومعانقتهما وتحدثهما ،
 ونزول المائدة من السماء ، وأكلهما منه ، ثم صلاحتهما ، ثم معاودتهما ومرور إلياس على
 السحاب نحو السماء ، فقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ، وقال الذهبي : بل
 موضوع قبح الله من وضعه ، وقال: ما كنت أحسب ، ولا أجوز أن الجهل بلغ
 بالحاكم إلى أن يصحح هذا/ در مثور ملخصاً.

بعض^(١): هو إدريس ، وعن بعض^(٢): هو نبي من أنبياء بني إسرائيل من أسباط هارون بن عمران «إِذْ قَالَ» ظرف لمن المرسلين «لِقَوْمِهِ أَلَّا تَتَّقُونَ»: عذاب الله «أَتَدْعُونَ»: تعبدون «بِعَلَّاءَ»: ربًّا ، والبعل الرب ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي بلغة اليمن، أو هو اسم لصنم كان لأهل "بك" من الشام، وهو المسمى حينئذ ببعلك، وقيل: امرأة اسمها بعل يعبدونها «وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ»: تتركون عبادته «اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» وقراءة النصب بالبدل «فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ»: في العذاب «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» استثناء من فاعل كذبوه، لا من ضمير^(٣) محضرون «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» لغة في إلياس، كميكال، وميكائيل، وقيل: جمع منسوب إليه بحذف ياء النسبة كأعجمين، والأشعرين، وقراءة آل ياسين، قيل: ياسين هو أبو إلياس، قال إلياس، وقيل ياس هو الاسم، والياء والنون زائدة في لغة السريانية، فعلى هذا الآل مقحم، كال موسى، وهارون، والمراد من ياسين إلياس، وقيل: آل محمد وهو بعيد جدًا «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَوْ طَأَّ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ» أي: وقعت في الباقيين في العذاب «ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ» قد مرَّ تفسيره «وَإِنَّكُمْ»: يا أهل مكة «لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ»: على منازلهم في طريقكم إلى الشام «مُصْبِحِينَ»: داخلين في الصباح «وَبِاللَّيْلِ» يعني نهارًا وليلاً «أَفَلَا تَعْقِلُونَ»: أليس لكم عقل فتعتبرون بهم.

= قال الحسن البصري: قد هلكا يعني إلياس وخضر، ولا نقول كما يقول الناس أنهما حيان، وهو الراجح نظرًا في الأدلة، والله أعلم/ ١٢ فتح.

(١) هو قتادة ومحمد بن إسحاق، وابن مسعود وضحاك/ ١٢ منه.

(٢) هو وهب بن منبه/ ١٢ منه.

(٣) لفساد المعنى؛ لأنه يلزم أن يكون المخلصين من المكذبين/ ١٢ منه.

﴿وَإِنْ يُوَسَّسْ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٠٠ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٠١﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
 مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٠٢﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ
 ﴿١٠٤﴾ لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٥﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٠٦﴾
 وَأُنَبِّتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٠٧﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٠٨﴾
 فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٠٩﴾ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١١٠﴾ أَمْ
 خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَدَ
 اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٣﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١١٤﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
 ﴿١١٥﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١١٦﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتُّوْا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
 لَمُحْضَرُونَ ﴿١١٩﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٢٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢١﴾
 فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٢٢﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٢٣﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٢٤﴾ وَمَا
 مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّاقُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٢٧﴾
 وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٢٨﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٩﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ
 الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٠﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٣٣﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٣٤﴾ فَتَوَلَّ
 عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٣٥﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٣٦﴾ أَفَعِزَّنَا بِمَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٣٧﴾
 فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٣٨﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٣٩﴾ وَأَبْصِرْ
 فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٤٠﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٤١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ﴾^(١): هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوء ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع أهل الفلك ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ صار من المغلوبين بالقرعة ، وذلك لأن البحر اشتد عليهم ، فقالوا : فينا من بشؤمه اشتد البحر فتساهموا على من يقع عليه القرعة يلقي في البحر، فوقعت عليه ثلاث مرات ، فألقى عليه السلام نفسه في البحر ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: ما يجب أن يلام عليه ، أو مليم نفسه ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾^(٢): لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء ، أو من المصلين في بطن الحوت ، قد نقل أنه لما استقر في بطنه ، ظن أنه قد مات ، فحرك رجله فإذا هو حيٌّ ، فقام وصلى ، وهو في بطنه ، أو من المسبحين بقوله : (لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين)^(*) ﴿لَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ بأن يطول عمر الحوت ، ويكون بطنه سجنًا له ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: طرحناه ﴿بِالْعُرَاءِ﴾: الأرض الخالية التي لا نبات فيها على جانب دجلة ، وقيل : بأرض اليمن ﴿وَهُوَ سَاقِيمٌ﴾:

(١) عبر بأبق ؛ لأنه عبدًا لله هرب عن قومه من غير إذن ربه/ ١٢ وجزير.

(٢) نقل ابن أبي حاتم وغيره أنه لما قال يونس في بطن الحوت : (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين). قالت الملائكة : هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة ، فقال الله : عبدي يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ، ودعوة مستجابة . قالوا : يا رب أو لا ترحم بما كان يصنع في الرخاء ، فتنجيه عن البلاء قال الله : بلى فأمر الحوت ، فطرحه بالعراء ، رواه ابن جرير أيضًا [ذكره بنحوه الهيثمي في "المجموع" (٩٨/٧) وقال: "رواه البزار عن بعض أصحابه، ولم يسمه، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح"] ١٢/ منه ووجيز.

(٥) أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم عن سعد مرفوعًا: "دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له" وانظر صحيح الجامع (٣٣٨٣).

كفرخ ليس عليه ريش ، ومدة لبثه في بطنه ، ثلاثة ، أو سبعة ، أو أربعون ، أو يوم واحد ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ أي : فوقه ﴿شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾^(١) : شجرة الدباء ليتطلل بها ، وعن^(٢) بعض كل شجرة لا ساق لها ، فهو يقطين ، وعن بعض هو^(٣) كل شجرة تمك من عامها ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ هم قومه الذين هرب عنهم ، والمراد إرساله السابق ، أو إرسال ثانٍ إليهم أو إلى غيرهم ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ : بل يزدون ، أو يزدون على تقديركم ، وظنكم كمن يرى قومًا فيقول : هؤلاء مائة أو أكثر ﴿فَأَمُّوا﴾ : المرسل إليهم ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ : إلى وقت آجالهم ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾^(٤) : أي : سل أهل مكة ، وهو سؤال توبيخ عطف على قوله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمَ أَشَدَّ خَلْقًا﴾ الذي وقع في أول السورة ساق الكلام موصولاً ببعضه ببعض ، ثم أمره ثانيًا باستفتائهم ﴿الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ﴾ حيث قالوا : إن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ : لزم من كفرهم هذا التحسيم ، فإن الولادة للأجسام ، وتفضيل أنفسهم على ربه ، حيث جعلوا أرفع الجنسين لهم ، واستهانتهم بالملائكة ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ : خلقنا إياهم بخضرتهم ، فإن الأنوثة مما تعلم بالمشاهدة ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ : هتاهم ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥) : فإنه محال على الله سبحانه ﴿أَصْطَفَى

(١) الأصح أنها الدباء لبرد الظل ونعومة اللمس وعظم الورق ، ولأن الذباب لا يجتمع في ظلها ، وفي قصة يونس هنا جمل محذوفة كما يعلم من سورة الأنبياء / ١٢ وحيز.

(٢) هو قول سعيد بن جبير رضي الله عنه / ١٢ منه.

(٣) قول ابن عباس رضي الله عنه / ١٢ منه.

(٤) لما ذكر قصص الأنبياء ، وأن أمهم كانوا يسارعون إلى متابعة آبائهم في ضلالهم بالشرك وغيره فقلعهم ، وقطع بنيان أكثرهم ؛ لعدم متابعة رسلهم جاء بالفاء عن سؤال أهل مكة كما في قوله في أول السورة : "فاستفتهم أهم أشد خلقاً" الآية / ١٢ وحيز.

(٥) فإنه سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد / ١٢ وحيز.

الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ» استفهام استبعاد ، وأما قراءة كسر الهمزة فعلى حذف همزة الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها ، وقيل بدل من ولد الله ، أو بتقدير القول أي : لكاذبون في قولهم أصطفى «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» بمثل هذا «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» إنه سبحانه مقدس عن مثل ذلك «أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ» حجة واضحة من السماء على ما تقولون «فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ» : الذي أنزل عليكم بهذا «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ» : بين الله «وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا» قالوا الملائكة بنات الله . فقال أبو بكر رضي الله عنه : من أمهاتهن ؟! قالوا : سروات الجن أو زعموا عليهم لعائن الله أن الله سبحانه ، وإبليس أخوان ، أو المراد من الجنة^(١) الملائكة سُمُوا جنة ؛ لاجتماعهم عن الأبصار «وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ» أي : الجن يعلمون أن القائلين بهذا ، أو أن الجنة لمحضرون في العذاب يعني : الكفار يسوون الجن بالله ، والجن يعلمون كذبهم ، وعلى قول من فسر الجنة بالملائكة معناه : ولقد علمت الملائكة أن الكافرين القائلين بذلك لمحضرون في العذاب «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» : من الولد والنسب «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ»^(٢) منقطع من المحضرين أي : لكن المخلصون ناجون ، أو متصل من ضمير جعلوا أو يصفون إن فسر بما يعمهم «فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ»^(٣) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ أي أنتم وأصنامكم ما أنتم بفاتنين على الأصنام يعني : لا تُغْوُونَ ، ولا تضلون أنتم أحداً إلا من هو في علم الله أنه يدخل الجحيم ،

(١) الأول قول مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، والثاني لابن عباس حكاه ابن جرير ، والثالث

لحسن وغيره هكذا نقله ابن كثير في تفسيره/ ١٢ منه .

(٢) فإهم يصفون بصفاته العلى / ١٢ وجيز .

(٣) لما ذكر الدلائل على فساد مذهب الكفار أتبعه بما نبه به على أن هؤلاء الكفار لا يقدرّون على حمل أحد على الضلال إلا إذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب ، والوقوع في النار فقال : "فإنكم وما تعبدون" الآية / ١٢ كبير .

قيل: ضمير عليه الله ، والخطاب في أنتم لهم ، ولآلهتهم على تغليب المخاطب ، أي : ما أنتم على الله بمفسدين الناس بالإغواء إلا من سبق في علمه شقاوته ، وقيل وما تعبدون ساد مسد الخبر ككل رجل وضيعته ، أي : إنكم وآلهتكم قرناء ، ثم ابتداء فقال : "ما أنتم عليه" إلخ «وَمَا مِنَّا»: أحد «إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ»: في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ، أو في القرية ، والمعرفة ، وهذا حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية ردًا على عبدتهم ، وقيل من قوله : سبحان الله من كلام الملائكة كأنه قال : ولقد علمت الملائكة أن القائلين بذلك معذبون قائلين سبحان الله عما يصفون ، لكن عباد الله المخلصين برآء مما يصفونه ، ثم التفوتوا إلى الكفرة ، وجاءوا بالفاء الجزائية أي : إذا صح أنكم مفترون ، والله مآثره فاعلموا أنكم وآلهتكم لا تقدرون على أن تفتنوا على الله عباده إلا أشقياء مثلكم ، ثم رجعوا من الاحتجاج وأظهروا^(١) العبودية واعترفوا بها «وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ»: في طاعة^(٢) الله «وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ»: الله عما لا يليق به ، أو المصلون «وإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ» أي : وإن الشأن كان المشركون ليقولون: «لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا»: كتابًا «مِّنَ الْأَوَّلِينَ»: من كتبهم «لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ»

(١) وعلى هذا المراد من الجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار صرح بذلك الحسن

البصري ، وغيره كما قاله الشيخ ابن كثير في تفسيره/ ١٢/ وجيز .

(٢) أو نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين ، أو منتظرين لأمر الله / ١٢/ وجيز ،

أخرج الترمذي وحسنه وابن ماجه ، وابن مردويه عن أبي ذر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- (إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، إن السماء أظت ، وحق لها أن تنط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله) [حسن، وكذا أخرجه أحمد والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٢٤٤٩)] وأخرج محمد بن نصر وابن عساكر بمعناه ، وزاد ثم قرأ "وإنا نحن الصافون وإنا نحن المسبحون" / ١٢/ در منثور [وسنده حسن في الشواهد، كما في الصحيحة (١٠٥٩)].

لأخلصنا العبادة له ، ولم نخالفه كما خالفوا ﴿فَكْفَرُوا بِهِ﴾ أي: بالذكر لما جاءهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١) عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾: وعدنا بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهذه الكلمة هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: في الدارين ، أو في الآخرة، عن ابن عباس : إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾: إلى وقت مؤجل ومدة يسيرة يأتيك نصرك ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: حيثذ كيف يذلون ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عزك ونصرك ، وسوف للوعد لا للتباعد ﴿أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ﴾ روي أنه نزلت^(٢) حين قالوا عند نزول قوله فسوف يبصرون: متى يكون هذا؟ ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ أي: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم ﴿فَسَاءَ﴾: بئس ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾: صباحهم ، واللام للجنس ، والمراد من الصباح اليوم أو الوقت الخاص فإن البلايا^(*) يطرقن أسحاراً شبهه يجيش أنذر بعض نصاح القوم بهجومه قومه ، فلم يلتفتوا إليه ، وما دبوا تدبيراً حتى أناخ بغتة بفنائهم ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ وعد إلى وعد ووعد إلى وعيد ، قيل: الأول عذاب الدنيا ، والثاني عذاب الآخرة ، وفي إطلاق أبصر ويبصرون عن التقييد بالمفعول فائدة ، وهي أنه يبصر وأبصر ويبصرون ما لا يحيط به الوصف من أنواع المسرة وأجناس المساءة ﴿سُبْحَانَ﴾^(٣) رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَهُ تَعَالَى يَعْزُ مِنْ يَشَاءُ﴾ عَمَّا

(١) ولما هدد الكفار بقوله: "فسوف يعلمون" أردفه بما يقوي قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين" الآية/١٢ كبير.

(٢) رواه محيي السنة وغيره ١٢/ وجيز.

(٣) في النسخة ن الحوادث.

(٣) ولما تقرر لله من العظمة ما ذكر فكان الأمر أمره ثبت تترهه عن كل نقص ، واتصافه بكل كمال ، فلذلك ذكر نتيجة ذلك الختم بمجامع التنزيه ، والتحميد فقال: "سبحان ربك رب العزة" الآية/١٢ وجيز.

يَصِفُونَ^(١) أي: المشركون ﴿وَسَلَامٌ^(٢) عَلَى الْمُرْسَلِينَ^(٣)﴾ الذين سبقت الكلمة لهم لا عليهم ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: على ما أنعم ، وهذا تعليم للمؤمنين عن علي -رضي الله عنه- : من أحب أن يكتال بالملكيات الأولى من الأجر ، فليكن في آخر كلامه من مجلسه سبحانه ربك رب العزة إلى آخر السورة ، وقد رفع هذا المعنى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بوجهين(*) ، وروى الطبراني عنه عليه السلام أنه

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس في العقيدة الواسطية في ذكر عقيدة الفرقة الناجية: وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكيف ، ولا تمثيل ، بل يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفو ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه ، وبغيره وأصدق قيلاً ، وأحسن حديثاً من خلقه ، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليهم ما لا يعلمون ، ولهذا قال : "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" فسيح نفسه عما وصف به المخالفون للرسول ، وسلم على المرسلين ؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب/١٢ انتهى.

(٢) روى ابن جرير ، وابن أبي حاتم أنه عليه الصلاة والسلام قال : (إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين). وزاد في رواية (فإنما أنا رسول من المرسلين)[ضعيف لإرساله/١٢ منه.

(٣) الواصفين له بما يليق جلاله ١٢/ وجيز.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبي مرفوعاً مراسلاً، كما في الدر المنثور (٥٥٤/٥).

قال: (من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة...) إلخ ، ثلاث مرات فقد اکتال بالملكیال الأوفى من الأجر(*) .

والحمد لله على ما هدانا.

(٥) ذكره الهيتمى فى "المجمع" (١٠٢/١٠-١٠٣) وقال: "رواه الطبرانى وفيه عبدالمنعم بن بشير وهو ضعيف جداً.

سُورَةُ ص مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانٌ وَثَمَانُونَ آيَةً وَخَمْسُ رُكُوعَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجْعَلُ آلَ اللَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ الْمَلَةِ الْآخِرَةِ ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ۝ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ۖ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ ۝ أَمْرٌ عَنْهُمْ خِزَابٍ رَحِمَهُ رَبُّكَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ ۝ أَمْرٌ لَهُمْ مِثْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝﴾

﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ إن كانت اسمًا للسورة فتقديره: هذه صاد، ومضمون هذه الجملة، هو المقسم عليه بناء على ما يتضمنه من الأنباء عن الإعجاز والاشتهار به كما تقول: هذا حاتم والله أو معناه صدق الله، أو صدق محمد -عليه السلام-، وعلى كل وجه جواب القسم مقدم، وقيل: قسم حذف حرفه، والواو للعطف، والجواب محذوف أى: إنه لمعجز حق ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ أى: ذى الشرف، والشهرة، أو ذى التذكير والعظة ﴿بَلِ﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ: استكبار عن الحق «وَشِقَاقٍ»: خلاف لله ورسوله، والتنوين فيهما للتعظيم، والإضراب عما يتضمنه الكلام من وجوب الإذعان، كأنه قيل هو معجز والله والكفار لا يقرون، بل يصرون على العناد «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ» وعيد لهم على عدم الإذعان «فَنَادَوْا» استغاثة وتوبة عند حلول العذاب «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»: لا مشبهة بليس، أو للجنس زيدت عليها التاء للمبالغة، كما في ثم ورب، وخُصَّتْ بلزوم الأحيان، وحذف أحد المعمولين، أى: ليس الحين حين فرار ونجاة وتأخر أو لا من^(١) حين مناص لهم، قال البغوي: لات بمعنى ليس بلغة اليمن «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ»: رسول بشر من أنفسهم «وَقَالَ الْكَافِرُونَ» أى: فقالوا لكفرهم^(٢) «هَذَا سَاحِرٌ» لمعجزاته «كَذَّابٌ» لما ينسب إلى الله تعالى «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا» نسب الألوهية التي للآلهة لإله واحد فيقول: لا إله إلا الله «إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ»^(٣) بليغ في التعجب، نزلت^(٤) حين اجتمعت سراة قريش عند أبي

(١) هذا على أن لا نفى جنسى ١٢/ منه.

(٢) إشارة إلى أن وضع الظاهر مقام المضمحل للإشعار بأن كفرهم جرهم إلى ذلك ١٢/ منه.

(٣) قال الرازي: يعنى أسلافهم مع كثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك. فقالوا: من العجيب أن يكون أولئك الأقوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين، وهذا الإنسان الواحد يكون محققاً صادقاً إلى أن قال: فلعمري لو كان التقليد حقاً لكانت هذه الشبهة لازمة، وحيث كانت فاسدة علمنا أن القول بالتقليد باطل ١٢/ منه.

(٤) ذكر السيوطي معنى هذه القصة مفصلاً في الدر المنثور، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وأحمد وعبد بن حميد، والترمذي قال: وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، قال: وصححه، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ١٢/ منه. [أخرجه الترمذي (٣٢٨٥-أحوذى) وقال: "حديث حسن صحيح"، وضعفه الشيخ الألباني].

طالب قائلين: اقض بيننا وبين ابن أخيك بأن يرفض ذكر آلهتنا ونذره وإلهه، فأجاب - عليه من الله أشرف صلاة وألطف سلام- بعد ما جاء وأخبره عمه عنهم: (يا عم أفعلا أدعوهم إلى كلمة واحدة يدين لهم بها العرب، ويعلمون بها العجم) فقال -من بين القوم- أبو جهل: ما هي لنعطينكها وعشر أمثالها، فقال: (قولوا لا إله إلا الله) فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿مِنْهُمْ﴾ من القوم عن محضر أبي طالب قائلين بعضهم لبعض: ﴿أَنْ اْمْشُوا وَأَصْبِرُوا﴾: اثبتوا ﴿عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾: على عبادتها وأن مفسرة ؛ لأن إطلاقهم يدل على القول فإن المنطلقين عن مجالس التناول يتكلمون حال الانطلاق في ذلك الأمر الذي كان فيه تقاؤهم بحسب جرى العادة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أى: هذا الذى يدعوننا إليه لشيء يريدده محمد ويتمناه لكن لا يصل إليه، أو لشيء من ريب الزمان بنا فلا مرد له ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: الذى يقوله ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا أو ملة عيسى، فإن ملة عيسى عند قريش آخر الملل وهم مثلثة، وقيل: فى الملة حال من اسم الإشارة، كأنه قال: ما سمعنا أحداً من أهل الملل، ولا الكهان يقول بالتوحيد كائناً فى الملة المترتبة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: كذب اختلقه ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وليس له علينا مزيد شرف، فكيف يختص بهذا الشرف؟! ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي﴾: من القرآن فى أنه حق أو باطل، وأما قولهم إن هذا إلا اختلاق، وهذا ساحر كذاب، وأمثاله، فلا يتفهون به إلا عناداً^(١) من غير اعتقاد فى صميم قلوبهم ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾: لم يذوقوا عذابي، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك من العناد والحسد وحين

(١) لما كان هذا مخالفاً لقولهم: "إن هذا إلا اختلاق" لدلالته على جزمهم بأن التوحيد المشتمل عليه القرآن المؤسس عليه أكثر أحكامه كذب وافتراء، وأنه يستلزم الجزم بعدم حقيقة القرآن، فأجاب بأن الجزم حسد لا اعتقاد من صميم القلب ١٢/

العذاب لم يبق^(١) عناد ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾: بل أعندهم خزائن رحمته حتى يعطوها من أرادوه، ويصرفوا عمن لم يريدوا، فيتخيروا للنبوة التي هي أعلى رحمة من أرادوا من صناديدهم؟! وإنما رحمته بيده يعطيها من يشاء ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: إن كان لهم ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: فيصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء من أبوابها وطرقها من سماء إلى سماء، وليأتوا منها بالوحى إلى من يستصوبون، وهذا تمكّم بهم، وأى تمكّم ﴿جندٌ ما﴾ أى: هم جند ما من الكفار، وما مزيدة للتقليل ﴿هُنَالِكَ مَهْزُومٌ^(٢)﴾: مكسور ﴿مَنْ الْأَخْزَابِ﴾: هنالك ظرف لمهزوم الذى هو صفة جند، وهنالك إشارة إلى بدر، فإنه مصارعهم أو صفة أخرى لجند، وفيه تحقيرهم ﴿كَذَّبَتْ^(٣) قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: ذو الملك الثابت، وعن الكلبي له أوتاد يعذب الناس عليها إذا غضب، وعن قتادة وعطاء له أوتاد وأرسان يلعب بها بين يديه ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ مبتدأ وخبر أى: الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم بعضًا منهم هم هؤلاء الذين أخبر عنهم بأنه وجد منهم التكذيب ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أى: ما كل واحد منهم مخبرًا عنه^(٤) بخبر إلا

(١) لأن الحسد إنما يكون في حال رفاهية فحين العذاب يزيل الحسد، فيزيل الشك/ ١٢

منه.

(٢) والمشار إليه المكان الذى تعارضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات

السابقة، وهو مكة يوم الفتح/ ١٢ وحيز.

(٣) ولما حقرهم وصغرهم بين حال من هو أعظم وأجل منهم من الأحزاب المتقدمة، فقال:

كذبت قبلهم قريّة نوح الآية/ ١٢ وحيز.

(٤) فيه أن الاستثناء مفرغ من أعم العام/ ١٢ منه.

مخبراً عنه بأنه كذب جميع الرسل ؛ لأن الرسل يصدق كل منهم الكل ، فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ : فوجب عقابي عليهم .

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُولَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٥﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٦﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَإِلَّا شَرَاقِ ﴿١٧﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٨﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴿١٩﴾ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصِمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢٠﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٢﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٣﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٢٤﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ أى: أهل مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هى نفخة الفزع ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾: من رجوع^(١) أى: نفخة واحدة لا تُثنى ولا تردّد أو ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين الحلبتين^(٢) ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾^(٣): نصيينا من العذاب الذى يعد من يدعى النبوة، أو كتابنا الذى فيه أعمالنا ننظر فيه، أو نصيينا من الجنة التى بعدها ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء، فإنهم غير مؤمنين بالجنة ولا بالنار ولا بيوم الحساب ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: من السخرية ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ أى: اصبر واذكر قصته كيف لقى من توبيخ الله تعالى بسبب زلة يسيرة، فصن نفسك عن أن تنزل فيما أمرتك من تحمل أذاهم، وقيل معناه: اصبر وعظم أمر معصية الله تعالى فى أعينهم بذكر قصة داود ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾: ذا القوة فى الطاعة ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجاع إلى الله تعالى فى أموره وشئونه ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ أى مسبحات معه ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ وقت الإشراق حين تشرق الشمس وهو وقت الضحى ﴿وَالطَّيْرِ﴾ عطف على الجبال ﴿مَخْشُورَةً﴾: مجتمعة محبوسة إليه من كل جانب ﴿كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾: مطيع أو رجاع إلى التسبيح كلما رجع داود إلى التسبيح، فهذه الأشياء كانت ترجع إلى تسبيحها ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: قويناه^(٤) بالهيبة وكثرة الجنود ﴿وَأَتَيْنَاهُ

(١) من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة يعنى: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان/ ١٢ منه.

(٢) أى بين حلبتي الحالب، ورضعتي الراضع/ ١٢ وجيز.

(٣) القط: القسط من الشيء/ ١٢ منه.

(٤) قيل: كان يبيت حول محرابه أربعون ألف حارس مسلح يحرسونه، وعن بعض أنه كان يحرسه فى كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً، لا تدور عليهم التوبة إلى مثلها فى ذلك العام/ ١٢ منه.

الْحِكْمَةُ^(١) : الفهم والعقل والإصابة في الأمور أو النبوة «وَفَصَّلَ الْخِطَابَ» :
 الفاصل من الخطاب بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ»
 الخصم في الأصل مصدر، فلذلك أطلق على غير واحد، والمراد من هذا الاستفهام
 التشويق^(٢) إلى استماعه «إِذْ تَسَوَّرُوا^(٣) الْمِحْرَابَ» : تصعدوا سور الغرفة ونزلوا إليها
 وإذ ظرف للنبا^(٤) على حذف مضاف أى : قصة نبا الخصم، أو متعلق بحذف أى : نبا
 تحاكم الخصم، أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل «إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ» بدل من إذ
 تسوروا، أو ظرف لتسوروا «فَفَزَعَ مِنْهُمْ» إذ دخلوا بغير إذن في غير وقت دخول
 الخصوم، فإن له يوماً معيناً للقضاء «قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ» أى : نحن خصمان،
 والتحاكم بين ملكين تصورا في صورة خصمين من بنى آدم، والظاهر أن معهما
 غيرهما^(٥) فمعناه : نحن فوجان متخاصمان^(٦) «بَقِيَ» : ظلم «بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» وهذا

(١) الحكمة هى في التحقيق: العلم بالأشياء والعمل بالأمور كما ينبغي ١٢/ منه.

(٢) والدلالة على أنها من العجائب التى فيها يصل إلى كل واحد فهل وصل إليك؟ وإن لم يصل فاستمع ١٢/ منه.

(٣) عن ابن عباس كان جزأ أيامه أربعة ؛ يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال
 بخواص أمره، ويوماً يعظ بنى إسرائيل ويبيكيهم، فجاء ملكان في صورة رجلين في غير
 يوم القضاء، فمنعهما الحرس، فتسورا عليه المسجد فلم يشعر إلا وهما بين يديه ففزع
 عنهم إذ نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب، والحرس حوله فخاف أن يؤذوه ١٢/ وجيز.

(٤) في قوله: وهل أتاك نبا/ ١٢/ منه.

(٥) لقوله: إذ دخلوا، ومنهم، وقالوا/ ١٢/ منه.

(٦) جعل رفيق الخصم ومصاحبه خصماً أيضاً/ ١٢/ منه.

تمثيل منهم، وتعريض بحال داود، وما صدر عنه، وتصوير للمسألة^(١)، وفرض لها
«فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ»: لا تجر في الحكومة **«وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ
الصِّرَاطِ»**: إلى وسطه وهو العدل **«إِنَّ هَذَا أَخِي»**: في الصداقة **«لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ
نَعْجَةً»** هي الأنثى من الضأن كناية عن المرأة **«وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا»**:
ملكيتها واجعلني أكفلها **«وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ»**: غلبني: في مخاطبته إياي، لأنه أقدر
على النطق فقهرني **«قَالَ»**: داود لما اعترف الخصم الآخر: **«لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ
نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ»** في السؤال تضمين^(٢) كأنه قال: بإضافة نعجتك إلى نعاجه على
وجه الطلب، وقصته أن عين داود وقعت على امرأة رجل فأعجبها، فسأله التزول
عنها، فذنبه مجرد أنه التمس التزول عن امرأته^(*)، وعن بعضهم ذنبه أن زوجها قتل في
بعض الغزوات، فلم يغتم داود اغتنامه بالشهداء، فتزوج^(٣) امرأته، وما يذكره
القصاص ليس له أصل يعتمد عليه، بل منقول عن علي -رضى الله عنه- أنه قال: من
حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين^(**) **«وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنْ**

(١) كما تقول: لى أربعون شاة، ولك أربعون، فخلطناها، فحال عليها الحول، كم يجب
فيها، وليس لكما من الأربعين أربعة، ولا ربعة/١٢ منه.

(٢) لتعديته إلى مفعول آخر مالى يعنى فيه تضمين معنى الإضافة/١٢ منه.

(٥) "موضوع" ورد معناه مرفوعا، وهذا لا يليق بحال النبوة لمكان العظمة، وانظر السلسلة
الضعيفة . وقد نبه العلامة أبو شعبة على كذب هذه الروايات وبطلانها في كتابه
"الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير"، (ص ٢٦٤-٢٦٨).

(٣) هكذا نقله محيي السنة عن ابن مسعود رضى الله عنه / ١٢ منه. [باطل] أخرجه بنحوه
الحكيم الترمذى في نوادر الأصول مرفوعا، وانظر الضعيفة [.

(**) وإن صحت نسبة هذا الكلام إلى علي بن أبي طالب فمن وجهين: الأول، أنه افتراء
وهتان، والثاني: أنه في حق نبي، ومن ذلك حكم عليه بأن يجلد مائة وستين جلدة.

الْخُلَطَاءُ: الشركاء ﴿لَيَبْغِي﴾ يظلم ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ما مزيدة للإيهام، وفيه تعجب^(١) من قلتهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ أَلَمًا فَفَتَاهُ﴾ ابتليناه ذكر أنه لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه، فضحك فصعدا إلى السماء، فعلم أنه تمثيل بحاله ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾: من ذنبه ﴿وَوَخَّرَ رَاكِعًا﴾ سمي السجود ركوعًا ؛ لأنه مبدأه، أو معناه خر للسجود حال كونه راكعًا أى: مصليًا ﴿وَأَنَابَ﴾ رجع إلى الله^(٢) تعالى بالتوبة، وذكر أنه استمر ساجدًا أربعين^(*) يومًا ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾: لقربة ﴿وَوَحَّشْنَا مَآبَ﴾: مرجع ومنقلب ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾: استخلفناك على الملك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أو خليفة ممن قبلك من الأنبياء ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: الذى هو حكم الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ هوى النفس فى قضائك ﴿فَيُضِلَّكَ﴾: اتباع الهوى ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه المستقيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: بسبب نسيانهم يوم القيامة فلم يعملوا له، وقيل ظرف متعلق بلهم، ومفعول نسوا متروك.

(١) مستفاد من المقام وسوق الكلام، وفى تنكير قليل وإفراده موقع الجمع لكونه خبرهم، واقتراحه بما الإيهامية من المبالغة فى القلة ما لا يخفى / ١٢ منه.

(٢) فى البحر: ظاهر القرآن أنهم دخلوا عليه من غير المدخل فى غير وقت حكومته، ففزع منهم ظانًا أنهم يغتالونه فلما اتضح له أنهم جاءوا للحكومة عرف خطأ ظنه، فاستغفر من ذلك الظن، وخرّ ساجدًا والله غفر له ذلك الظن وعلم أن الحافظ هو الله لا الحراس، ولم يتقدم سوى قوله: "وظن داود أنما فتناه" وأما ابتلاؤه بغير ذلك فلا تؤمن بصحته، والله أعلم / ١٢.

(*) وقال: "ذكر أنه" بالبناء للمجهول من باب تضعيف الرواية.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿١٨﴾ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصُّفُوفُ الثَّلَاثُ ﴿٢١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَنُفِثَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٢٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾: خلقاً^(١) باطلاً، بل لأمر صحيح، وحكمة بالغة أو للباطل^(٢) والعبث الذي هو متابعة الهوى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أى: خلقنا إياهم باطلاً ﴿ظَنُّ﴾ أى: مظنون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ أم في الموضعين منقطعة، والهمزة لإنكار التسوية فإنها من

(١) فيكون صفة لمصدر محذوف / ١٢ منه.

(٢) يعنى منصوب بأنه مفعول له بالتحوز به عن العبث / ١٢ وجيز.

لوازم^(١) خلقهما باطلاً ، والإنكار الثاني غير الأول باعتبار الوصف، أو باعتبار الذات، أى: بين المتقين من المؤمنين، والفجار منهم وفي الآية إرشاد إلى المعاد، فإنه ربما يكون المفسد والفاجر أحسن حالاً في الدنيا فلا بد من دارٍ أخرى **﴿كِتَابٌ﴾**^(٢) **﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾** يعنى: القرآن **﴿مُبَارَكٌ﴾**: كثير النفع **﴿لِيَذَّبُرُوا آيَاتِهِ﴾**: يتفكروا فيها **﴿وَلِيَتَذَكَّرُ﴾**: يتعظ به **﴿أَوَلَوْ الْأَلْبَابِ﴾** ذوو العقول السليمة الظاهر أن ضمير يدبروا لأولى الأبواب على التنازع وإعمال الثاني **﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾**: سليمان **﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾**: رجاء إليه بالتوبة، وهو تعليل للمدح **﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾** ظرف لأواب، أو لنعم **﴿بِالْعَشِيِّ﴾**: بعد الظهر **﴿الصَّافِنَاتُ﴾** الصافن من الخيل: القائم على ثلاثة قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وهذه صفة محمودة في الخيل **﴿الْجِيَادُ﴾** جمع جواد وهو المسرع في سيره **﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾** أى: أثرت حب الخيل بدلاً عن ذكر ربي، أو يكون عن متعلقاً بأحببت لتضمين معنى أنبت، والخير: المال، وأراد به هاهنا الخيل **﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾** أى الشمس، ومرور ذكر العشى دال على الشمس **﴿بِالْحِجَابِ﴾** أى حتى غربت^(٣) **﴿رُدُّوَهَا﴾** أى: الصافنات **﴿عَلَى فُطُوقٍ﴾**: جعل يمسح السيف **﴿مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾** أى: بسوقها وأعناقها، والسوق جمع ساق أى: يقطعهما ؛ لأنها شغلته عن ذكر الله تعالى يقال: مسح علاوته، إذا ضرب

(١) لأنه إذا لم يكن خلقهما باطلاً يكون الحساب والثواب والجزاء والعقاب مقرراً فلا يستوى المؤمن والكافر والمتقى والفاجر ١٢/ منه.

(٢) ولما نفى التسوية بينهما بين ما يصلح به، ويحصل لمتبعيه السعادة الأبدية وهو كتاب الله، فقال: "كتاب أنزلناه إليك" الآية ١٢/ وحيز.

(٣) وفي البحر: الظاهر أن الضمير في توارت عائد إلى الصافنات، أى: دخلت اصطبلها فهي الحجاب وقيل: حتى توارت في المسابقة بما يحجبها عن النظر ١٢/ وحيز.

عنقه ذكر أن له عشرين فرساً، أو عشرين ألف فرس ذات أجنحة تعرض عليه للجهاد، فنسى صلاة العصر حتى غربت الشمس، كما وقع على نبينا عليهما الصلاة والسلام يوم الخندق ؛ فاعتم لذلك فطلبها فعفرها غضباً لله تعالى، وكان ذلك مباحاً له، وقيل: ذبحها وتصدق بها، والذبح على ذلك الوجه مباح في شريعته، فعوضه الله تعالى بما هو خير منه، وهو الريح التي تجرى بأمره، وعن بعضهم كوى سوقها، وأعناقها بكبي الصدقة، وحبسها في سبيل الله تعالى، وعن بعضهم يمسحها بيده لكشف^(١) الغبار حباً لها، وهو قول ضعيف بعيد عن مقتضى المقام **«وَلَقَدْ فَتَنَّا»**: ابتلينا **«سُلَيْمَانَ»** بأن سلينا الملك منه أربعين يوماً، وقيل أكثر **«وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ»**: وسلطنا على ملكه **«جَسَدًا»**: شيطاناً^(٢) **«ثُمَّ أَنَابَ»**^(٣) رجع إلى ملكه أو تاب، ثم اعلم أنه لم يصح حديث في تفصيل تلك القصة، وما نقل عن السلف، فالظاهر أنه من الإسرائيليات التي

(١) روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما-، والزهرى، واختاره ابن جرير قال: إنه لم يكن ليعذب حيواناً ويهلك مالا من ماله بلا ذنب منها، ولا شك في بعد هذا القول، والله أعلم/ ١٢ منه.

(٢) كذا قاله ابن عباس -رضى الله عنهما-، وجم غفير من السلف/ ١٢ منه.

(٣) رجع إلى الله، فأزلنا عن ملكه الشيطان، والمفسرون ذكروا أشياء في ابتلائه لا يصح نقلها، وأقرب ما قيل فيه أن فتنته كونه لم يستثن في قوله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله تعالى، فطاف ولم تحمل إلا واحدة، فجاءت بشق رجل، وفي الحديث (والذى نفسى بيده، لو قال: إن شاء الله ؛ لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون) [أخرجاه في الصحيحين وهو الصحيح المتعين في تفسير الفتنة] وأما قول كثير من السلف: فهو أنه سلب الله شيطاناً يخيل أنه سليمان، وجلس مقامه، وتصرف في ملكه حتى مضى أيام ابتلاءه/ ١٢ وحيز.

لا نصدقها، ولا نكذبها(*)، والمنقول عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يتسلط على نسائه، بل عصمهن منه تشريعاً له -عليه الصلاة والسلام-، وأما سبب ابتلائه، فقليل: لأنه أحب امرأة مات أبوها، وهى تجزع أشد جزع، فأمر سليمان عليه السلام الشياطين، فصوروا لها تمثال أبيها تسكيناً لها، فهى مع ذلك التمثال كعابدة صنم، فعوتب سليمان على ذلك، وسلط الله تعالى شيطاناً سرق منه خاتمه الذى فيه ملكه وسلطانه، وجلس مقامه يخيل أنه سليمان حتى مضى أيام ابتلائه(**)، وقيل فيه غير ذلك، والله تعالى أعلم ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾: ذنبى ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغَى لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ كان معجزة زمانه الملك، فسأل من الله تعالى معجزة خاصة، لا يكون له فيها شريك إلى يوم القيامة، والظاهر أنه سأل أعلى المراتب، ولذلك قال: ﴿لَا يَنْبَغَى لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ أى: هب لى ملكاً أنا حقيق به وحدي، وما قال^(١)

(٥) بل نكذبها، لكونها لم تأت من وجه يعتبر، وقد قال أبو شهبه فى هذه القصة وأضرابها: نحن لا نشك فى أن هذه الخرافات من أكاذيب بنى إسرائيل وأباطيلهم. وقد سبق إلى التنبيه إلى ذلك الإمام القاضى عياض فى "الشفاء": لا يصلح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسليطه على ملكه، وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه؛ لأن الشيطان لا يسلط على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله" وكذلك الإمام الحافظ الناقد ابن كثير فى تفسيره. (الإسرائيليات والموضوعات ص ٢٧٢).

(٥٥) هذه أيضاً من جملة القصص التى نبهنا على كذبها.

(١) قال النسفى فى المدارك: وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان فمن أباطيل اليهود انتهى.

وقال الخازن: قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه، وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه، وإن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا انتهى.

لم تعط أحدًا غيري^(١)، وعن بعض^(٢) السلف معناه: ملكًا لا تسلبنيه بعد ذلك وتعطيه غيري كما سلبته مني، وأعطيته شيطانًا، والتفسير الأول هو الذى تدل عليه الأحاديث الصحيحة، فهو الصحيح «إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ»: وهو من جملة ما وهبنا له خاصة «تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً»: لينة لا تُزعزعُ «حَيْثُ أَصَابَ»: أراد وقصد سليمان «وَالشَّيَاطِينَ» عطف على الريح «كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ» بدل منه أشغل^(٣) بعضهم فى المحارب، والتماثيل وجفان كالجواب، وبعضهم فى استخراج اللآلى من البحر «وآخَرِينَ» عطف على كل، كأنه جعل الشياطين قسمين عملة ومردة «مُقَرَّنِينَ»: قرن بعضهم مع بعض «فِي الْأَصْفَادِ»: فى السلاسل «هَذَا»: التسليط «عَطَاؤُنَا فَاْمُنْ»: فأعط ما شئت لمن شئت «أَوْ أَمْسِكْ»: أو احرم من شئت «بِغَيْرِ حِسَابٍ» من غير حرج عليك فى الإعطاء والإمساك فهو حال من فاعل الأمر، وقيل

= وذكر السيوطى حديث الخاتم فى الدر المنثور وقال: أخرجه النسائى وابن جرير، وابن أبى حاتم بسند قوى عن ابن عباس، وقال: أخرجه الفريابى والحكيم الترمذى، والحاكم وصححه عن ابن عباس -رضى الله عنهما. وفى الكمالين قال ابن كثير: إن هذا كله من الإسرائيليات التى لا نصدقها ولا نكذبها قال ابن حجر: كما نقله الخفاجى عنه: إن هذه القصة رواها النسائى وغيره بإسناد قوى، ثم إن تفسير الجسد بالشيطان رواه ابن عباس -رضى الله عنهما- ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وقتادة، والله أعلم/ ١٢.

هذا جواب عما يتوهم فيه كما توهم الحجاج حين قيل له: إنك حسود قال: أحسد منى من قال: وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى، وهذا من شيطنته التى لا يبعد أن يكفر بها/ ١٢ منه.

(١) حتى يكون فيه نوع حسد/ ١٢ منه.

(٢) هو عطاء بن أبى رباح وغيره/ ١٢ منه.

(٣) أى سليمان عليه السلام/ ١٢.

صلة للعتاء أى إنه عطاء غير متناه، وعن عطاء معناه: امن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك فى وثاقل من شئت منهم، لا تَبِعَةٌ عليك ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾: لقربة ورتبة فى الآخرة ﴿وَحُسْنَ مآبٍ﴾ هو الجنة.

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿١٠﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿١١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٢﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٣﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿١٥﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٦﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٧﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿١٨﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٢٠﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٢١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٢٣﴾ هَذَا وَإِىَ اللَّطَّاعِينَ لَشَرِّ مَّآبٍ ﴿٢٤﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٥﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٢٦﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٢٧﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٣١﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٣٢﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ عطف بيان لعبدنا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدل من عبدنا ﴿أَلَيْ﴾ أى: بأنى ﴿مَسْنَى الشَّيْطَانُ بُنْصَبٍ﴾: بتعب ﴿وَعَذَابٍ﴾: ألم، ابتلاه الله تعالى بجسده وماله وولده حتى لم يبق فيه مغرز إبرة سليماً سوى قلبه، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به غير أن زوجته تخدم الناس بالأجر، وتطعمه نحواً من ثمانى عشرة سنة، ورفضه القريب والبعيد حتى آل به الحال أن ألقى على مزبلة من البلدة هذه المدة، فلما طال واشتد الحال، تضرع إلى ربه تعالى (*)، فقال: "مسنى الشيطان" إلخ، فهذه حكاية لكلامه، وأسند إلى الشيطان ؛ لأنه سببه^(١) ﴿ارْكُضْ﴾: اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾: الأرض وهذا حكاية لما أجيب به ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أى فضرها فنبعت عين قيل له هذا مغتسل، أى: اغتسل، واشرب منه تزول منك داءك ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ

(٥) لا يصح هذا قال أبو شهبة: والذى يجب أن نعتقه أنه ابتلى، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب من أنه أصيب بالجذام وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه ألقى على كناسة بنى إسرائيل يرعى في جسده الدود، وتعبت به دواب بنى إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض ينفر الجدرى، وأيوب عليه السلام - أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأى فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التى لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله؟ والأنبياء إنما يعيشون من أوساط قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه وتطعمه؟! بدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع ضفيرتها في سبيل إطعامه!! بل أين كان أتباعه، والمؤمنون منه، فهل تخلوا عنه في بلاءه؟! وكيف والإيمان ينافى ذلك؟! (الإسرائيليات والموضوعات ص ٢٨٠). وانظر فتح البارى لابن حجر (٤٨٥/٦) وقد أورد أصح ما ورد في بلاء أيوب عليه السلام.

(١) فإنه إنما ابتلاه الله بما فعل بوسوسة الشيطان، كما قيل: إنه استغاثه مظلوم فلم يغثه، أو أكل شاة وجاره جائع إلى جنبه، أو أعجب بكثرة ماله/ ١٢ كمالين. [لم يصح في ذلك شيء.]

مَعَهُمْ رَحْمَةً أَى: الرحمة ﴿مَنَّا﴾: عليه ﴿وَذَكِّرْ﴾: تذكرة ﴿لِأُولَى الْأَبَابِ﴾ ليصبروا، وينتظروا الفرج، وقد مرَّ في سورة الأنبياء شرحه ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ حزمة صغيرة من الحشيش^(١) ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ أَى: امرأتك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ روى أنها قطعت دُؤَيْتَهَا*، وباعت بخبز، فأطعمته فلامها على ذلك، وحلف لئن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة ضربة، وقيل بغير ذلك من الأسباب ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾: أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: مقبل بكلية على الله تعالى ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

(١) كان حلف عليه السلام ليضربن امرأته مائة ضربة بسبب ذنب عنده جرى منها، وهى

محسنة، فجعل الله له خلاصًا من يمينه بقوله: "وخذ" الآية / ١٢ وجيز.

وفى الخازن: وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، فشكر الله حسن صبرها معه، فأفتاه فى ضربها وسهل له الأمر، وأمره بأن يأخذ ضغثًا يشتمل على مائة عود صغار؛ فيضربها ضربة واحدة ففعل ولم يحث فى يمينه، وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا، فيه قولان: أحدهما أنه عام، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح. والثانى: أنه خاص بأيوب - عليه الصلاة والسلام -. قاله مجاهد، واختلف الفقهاء فى من حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها، وضربه بها ضربة واحدة، فقال مالك والليث بن سعد وأحمد: لا يبر. وقال أبو حنيفة، والشافعى: إذا ضربه ضربة واحدة فأصاب كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية انتهى.

وفى الفتوح: أخرج أحمد، والطبرانى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: حملت وليدة فى بنى ساعدة من زنا، فقيل لها: ممن حملك قالت: من فلان المقعد، فسئل المقعد. فقال: صدقت. فرفع ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فقال: خذوا عثكولاً فيه مائة شمراخ، فاضربوه ضربة واحدة، وله طرق أخرى / ١٢. [صحيح، وأخرجه أيضا ابن ماجه عن سعيد بن سعد بن عبادة مرفوعا، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٨٧)]

(٥) فى النسخة (ن): ذواتها.

وَيَعْقُوبُ ﴿١﴾ من قرأ عبدنا يكون وإسحاق، ويعقوب عطفًا على عبدنا ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾: ذوى القوة فى العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾^(١): فى معرفة الله تعالى ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾: جعلناهم خالصين لنا ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بسبب خصلة خالصة ﴿ذِكْرِ الدَّارِ﴾ أى: ليس فى قلوبهم هم سوى الآخرة، لا يشوب بهم الدنيا، وهو بدل من خالصة على قصد التفسير والبيان، أو تقديره هى ذكرى الدار، وقراءة إضافة خالصة تكون بيانية، وأما إضافة ذكرى فإضافة المصدر إلى مفعوله، وقيل: باء خالصة صلة لأخلصناهم بمعنى: وفقناهم لاكتسابها ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيْرٍ^(٢) أو خَيْرٍ ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ﴾ أى: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ وقد مر قصصهم فى سورة الأنبياء ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أى: هذا الذى مر شرف لهم، أو هذا نوع من الذكر أى: من القرآن، ثم شرع فى نوع آخر من الكلام، وهو بيان ما أعد لأمثالهم ﴿وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾: مرجع ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ عطف بيان ﴿مُفْتَحَةٍ﴾ حال من فاعل الظرف ﴿لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ مرفوع بأنه معمول مفتحة، وحرف التعريف عوض عن الضمير، أو تقديره الأبواب منها ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا﴾ حال من ضمير لهم ﴿يَدْعُونَ﴾ إما حال أو استئناف ﴿فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ من غير أزواجهن ﴿أُتْرَابٌ﴾^(٣): مساويات فى السن ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أى:

(١) وللإنسان قوتان عالمية، وعاملية، وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى، وأشرف ما يصدر عن القوة العاملة طاعته وعبادته، فعبير عن هاتين القوتين بالأيدى والأبصار/١٢.

(٢) كأموات فى جمع مَيْتٍ أو مَيْتٍ/١٢ وحيز.

(٣) فإن الألفة والتحابب بين الأقران أشد، قيل: هن أتراب لأزواجهن سنهن وسنهن واحد/١٢ وحيز.

لأجله، فإن الحساب سبب الوصول إلى الجزاء **«إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا»**: الذى رزقناهم **«مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ»**: انقطاع **«هَذَا»** أى: هذا كما ذكر أو الأمر هذا **«وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ جَهَنَّمَ»** عطف بيان لشر مأب **«يَصْلَوْنَهَا»**: أى حال كونهم يدخلونها **«فَبِئْسَ الْمِهَادُ»**: جهنم، شبه ما تحتهم من النار بمهاد يفرشه النائم **«هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ»**: انتهى حره **«وَعَسَاقٌ»** انتهى برده، أو هو عين تسيل من صديد أهل النار، وحميم خمر هذا وما بينهما اعتراض نحو: زيد - فافهم - رجل صالح، أو تقديره العذاب هذا، ولفيذوقوه مترتب على تلك الجملة بمتلة الجزاء لشرط محذوف، وحميم خبر محذوف أى: هو جهنم أو هذا منصوب بمضمر تفسيره ما بعده على طريقة ربك فكبر **«وَأَخْرُ»** أى: عذاب آخر **«مِنْ شَكْلِهِ»** أى: من شكل ما ذكر من العذاب فى الشدة **«أَزَوَاجٌ»**: أصناف يحتمل أن تكون صفة لآخر بتأويل كونه ضرورًا، وآخر إما عطف على حميم، أو تقديره: ولهم آخر **«هَذَا فَوْجٌ»** كلام حزنة النار للقادة حين يدخل بعدهم الأتباع **«مُقْتَحِمٌ»**: داخل فى النار **«مَعَكُمْ»** ظرف لمقتحم، أو حال، والمعية تفيد المقارنة فى الحكم لا فى الزمان، فقالت القادة: **«لَا مَرْحَبًا بِهِمْ»**: بالأتباع، والرحب السعة أى: ضاقت عليهم الأرض **«إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ»** لأنهم داخلوها، وقيل: هذا حكاية لكلام بعض الطاغين مع بعض **«قَالُوا»**: الأتباع للقادة **«بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْحَبَّاءُ^(١) بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَّمُّوهُ»** أى: العذاب **«لَنَا»**: بإغوائكم إيانا **«فَبِئْسَ الْقَرَارُ»** أى: المقر جهنم **«قَالُوا»**: الأتباع **«رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا»**: مضاعفًا أى: ذا ضعف

(١) دعوا عليهم ؛ لأن الرئيس إذا رأى الخسيس قد قرن معه ساءه ذلك، والرحب والسعة أى ضاقت عليهم الأرض يعنى أن لا مرحبًا ابتداء كلام هو دعاء على التابعين من المتبوعين، وباء بهم كلام هيت لك، يعنى: هذا الدعاء لاحق بك، فهو بيان للمدعو عليه ١٢/ وحيز.

﴿فِي النَّارِ وَقَالُوا﴾ أى: الطاغون ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾: فى الدنيا ﴿مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ وهم فقراء المسلمين ﴿أَتُخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا﴾ إما بكسر همزة اتخذنا، فصفة أخرى لـ (رجالاً) أو تقديره: اتخذناهم بحذف همزة الاستفهام، وإما بفتح همزته فيكون استفهاماً ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ وحاصله أن (أم) معادلة الهمزة أى: أى الأمرين واقع أننا اتخذناهم سخرية، وهم فى نفس الأمر معظومون أحقاء بالتعظيم، فلم يدخلوا النار أم هم أحقاء بما فعلنا بهم، ودخلوا النار، لكن زاغت أبصارنا عنهم فلا نراهم، أو قوله: "أم زاغت عنهم الأبصار" كناية عن تحقيرهم، أى: فعلنا بهم الاستسحار منهم، أم تحقيرهم فى الدنيا على معنى إنكار الأمرين على أنفسهم، ولذلك قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا، أو الهمزة لإنكار سخريتهم، وأم بمعنى بل، ففيه تسلية لأنفسهم بما لم يكن يعنى هم فى النار، لكن نحن لا نراهم أو معناه: بل زاغت أبصارنا، وكلت أفهامنا حتى خفى عنا مكابهم، وإنهم على الحق المبين، أو معادلة لما لنا أن جعلنا اتخذناهم صفة أى: ما لنا لا نراهم فى النار كأهم ليسوا فيها، بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: ما ذكرنا عنهم ﴿لَحَقُّ﴾: واقع بلا مرية ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أى: هو تخاصم، أو خير بعد خير.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١٧) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٢٠﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٤﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ

الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ أَلْقَوْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿قُلْ﴾: للمشركون ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾: أنذركم عقاب الله تعالى ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾: الذى لا يقبل الشراكة عطف على إنما أنا منذر ﴿الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الْعَفَّارُ﴾: لمن أراد ﴿قُلْ هُوَ﴾ أى: القرآن، أو ما أنبأتكم به من رسالتى وتوحيد الله تعالى ﴿تَبَأً عَظِيمًا أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ وعن بعض المراد من النبأ آدم ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: مبین لنبأ العظيم، أو حجة لنبوته، وإذ متعلق بعلم ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أى: لم يوح إلى إلا لأنى منذر مبین، كما تقول: فوضت الأمر إليك، لأنك عالم مبین، فما بعد إلا منصوب بترع الخافض، والجار والجرور قائم مقام الفاعل أو معناه لم يوح إلى إلا أن أنذر وأبين ولم أؤمر إلا بالإنذار والتبليغ فعلى هذا ما بعد إلا قائم مقام الفاعل ﴿إِذْ قَالَ ^(١) رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِكَةِ﴾ بدل من إذ يختصمون مبین له، والمقابلة بين

(١) ولما كان قريش للحسد والكبر خالفوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر حال إبليس، حيث خالف أمر الله لحسده وكبره، وما آل إليه أمره من اللعنة الأبدية ؛ ليردع من فيه شيء من ذلك، فقال: " إذ قال ربك " الآية ١٢/ وجيز.

الملائكة وآدم وإبليس وهم الملائ الأعلى، ومقاوله^(١) الله بلسان ملك في شأن الاستخلاف مع الكل ومع إبليس في شأن السجود ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ^(٢) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ: عدلت خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي: فأحييته ﴿فَقَعُوا لَهُ: خرّوا له ﴿سَاجِدِينَ: تعظيماً له وتكرمة ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ أَى: في علم الله أو صار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ: بالاستكبار والاستنكار ﴿قَالَ: الله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ^(٣) يَدَيَّ: أوجدته بنفسى من غير واسطة ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ: أى المانع مجرد التكبر أو إنك أعلى وأعظم، فلا يستحق سجودك، وقيل: أستكبرت بنفسك، فأبيت السجود أم كنت من القوم المتكبرين فتكبرت؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ: أجاب باختيار الشق الثانى على التوجيه الأول ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ: لطيف ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ^(٤): كثيف ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا: من الجنة أو السماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ: مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي: أمهلنى ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ

(١) هذا جواب لما يقال يلزم أن يكون الرب تعالى من ملاء الأعلى ؛ لأن للمقاومة بينه سبحانه، وبين إبليس، فأجاب والمقاولة إلخ/ ١٢ منه.

(٢) في آل عمران: "من تراب" [٣] وفي الحجر من صلصال من حمأ مسنون [٢٦، ٢٨، ٣٣]، التراب المادة البعيدة، ثم ما يليه، وهو الطين، ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون، ثم المادة الآخرة وهو الصلصال/ ١٢ وجيز.

أجمع السلف على أن اليمين من صفات الذات أثبتهما السمع، وأبطلوا حمل اليمين بصيغة التثنية على القدرة/ ١٢ وجيز.

(٣) قال الرازى: وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه في التخويف والترهيب/ ١٢.

(٤) لا يستحق أن يكون أعظم مني، بل أنا حقيق بأن يعظمنى/ ١٢ منه.

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ: سلطانك «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» وقد مر مراراً الكلام على مثل هذه الآية في سورة البقرة، والأعراف وغيرهما «قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ» أى: ولا أقول إلا الحق^(١) «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ»: من بنى آدم «أَجْمَعِينَ» الحق الأول قرئ بالنصب بحذف حرف القسم أى: فبالحق، وبالرفع أى: فالحق قسمى فهو مقسم به على الوجهين، وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض، أو تقديره على النصب، فأحق الحق، أو ألزم الحق، وعلى الرفع فالحق منى، أو أنا الحق «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ»: على التبليغ «مِنْ أَجْرٍ»: جُعِلَ «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» فى نظم القرآن، فإنه من عند الله تعالى لا من تلقاء نفسى حتى أتكلف فى نظمه «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ»: عظة من الله تعالى «لِّلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ»: من حقبة القرآن وصدقه «بَعْدَ حِينٍ»^(٢) عند الموت أو بعده، أو عند ظهور الإسلام.

(١) الحصر مستفاد من تقديم مفعول أقول / ١٢ منه.

(٢) كان الحسن يقول: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخير اليقين / ١٢ وحيز.

سورة الزمر مكية

إلا قوله: "قل يا عبادى" الآية

وهى خمس أو اثنتان وسبعون آية وثمانى ركوعات

سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ
اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ
الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ

إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلّٰهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٥١﴾
 أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ آتِلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ
 قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
 الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

﴿تَرْجِيلُ الْكِتَابِ﴾، أى: هذا تزييل الكتاب، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، ظرف للتزييل، أو خبر ثان،
 أو حال، أو تزييل الكتاب مبتدأ، ومن الله خبره، ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

(١) قوله تعالى: " تزييل الكتاب من الله العزيز الحكيم " قال شيخ الإسلام أبو العباس رحمه الله: ومن هي لا ابتداء الغاية، فإن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله، كقوله: " وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه " (الجن: ١٣)، وقوله فى المسيح: " روح منه " (النساء: ١٧١)، وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله: " وما بكم من نعمة فمن الله " (النحل: ٥٣) وأما إذا كان المجرور بها صفة، ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله: " ولكن حق القول منى " (السجدة: ١٣) وكذلك قد أخبر فى غير موضع من القرآن أنه نزل منه وأنه نزل به جبريل منه، قال تعالى: " أفغير الله أبغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق " (الأنعام: ١١٤)، وقال تعالى: " قل نزله روح القدس من ربك بالحق " (النحل: ١٠٢) وكذلك سائر آيات القرآن كقوله: " تزييل الكتاب من الله العزيز الحكيم " (الزمر: ١، الجن: ٢، الأحقاف: ٢)، وقوله: " حم تزييل الكتاب من الله العزيز العليم " (غافر: ١، ٢)، وقوله: " حم تزييل من الرحمن الرحيم " (فصلت: ١، ٢)، وقوله: " الم تزييل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين " (السجدة: ١، ٢)، وقوله: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " (المائدة: ٦٧)، فقد بين فى غير موضع أنه منزل =

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ^(١)، أَى: متلبساً به، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، من الشرك الجلى، والخفى، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: هو الذى يختص بالطاعة الخالصة ويستحقها، ﴿وَالَّذِينَ^(٢) اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: وهم الكفرة، ﴿مَا

= من الله، فمن قال إنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح، والهواء فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزل منه، وما نزل من بعض المخلوقات كالمنزل بأنه قال: " أنزل من السماء ماء "(الأنعام: ٩٩، الرعد: ١٧، النحل: ٦٥، الحج: ٦٣، فاطر: ٣٥، الزمر: ٢١) فذكر المنزل في غير موضع وأخبر أنه نزل من السماء، والقرآن أخبر أنه منزل منه، وأخبر بتزليل مطلق في مثل قوله: " وأنزلنا الحديد "(الحديد: ٢٥) لأن الحديد ينزل من رءوس الجبال لا ينزل من السماء، وكذلك إنزال الحيوان فإن الذكر ينزل الماء فى الإناث، فلم يقل فيه من السماء إلى آخر ما فصل وبين/ ١٢.

(١) قيل: بسبب إثبات الحق وإظهاره / ١٢.

(٢) قال الحافظ عماد الدين بن كثير -رحمه الله- فى تفسيره عند قوله تعالى: " والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " أَى: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم، فعبدوا تلك الصور تزليلاً لذلك منزلة عبادة الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله تعالى، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به، قال قتادة والسدى: " إلا ليقربونا إلى الله زلفى " أَى: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزله ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجا فى جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر، وحديثه، وجاءهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها، والدعوة إلى أفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه، ولا رضى به، بل أبغضه، ونهى عنه كما قال تعالى: " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله =

نَعْبُدُهُمْ^(١)، أى: قائلون مانعبد أولياء، وهم غير الله تعالى، كالملائكة، والأصنام،
﴿إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، اسم أقيم مقام المصدر، أى: تقريباً، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ^(٢)﴾، أى: بين الذين اتخذوا، وبين مقابلتهم، وهم الموحدون، وهو استئناف،
﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين، وجاز أن يكون خبر "والذين" "إن الله
يحكم بينهم"، وقوله: "مانعبدهم" بتقدير: قائلين، حال من فاعل اتخذوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: لا يرشد إلى الهداية من قصد الافتراء على الله

= واجتنبوا الطاغوت "(النحل: ٣٦)، وقال: "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي
إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" (الأنبياء: ٢٥) وأخير أن الملائكة التي في السماوات كلهم
عبيد، خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند
ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنه، "فلا تضربوا لله الأمثال" (النحل: ٧٤) تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً انتهى كلامه / ١٢.

(١) قد جزم الرازي بأن الضمير في "ما نعبدهم"، عائد إلى العقلاء، الذين عُبِدُوا من دون
الله، كالمسيح وعزير والملائكة، واستبعد عوده إلى الأصنام، ثم قال: ويمكن أن يقال: إن
العاقل لا يعبد الصنم من حيث أنه خشب أو حجر، وإنما يعبدونه لاعتقادهم أنها تماثيل
الكواكب، أو تماثيل الأرواح السماوية، أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا،
ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه
التمائيل صوراً لها، وحاصل الكلام لعباد الأصنام أن قالوا: إن الإله الأعظم أجل من أن
يعبده البشر، لكن اللائق بالبشر أن يشتغل بعبادة الأكابر من عباد الله مثل الكواكب،
ومثل الأرواح السماوية، ثم إنما تشتغل بعبادة الله الأكبر، فهذا هو المراد من قولهم "ما
نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" / ١٢.

(٢) قيل: ضمير بينهم لهم، ولأوليائهم، فإنهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم / ١٢ منه
ووجيز.

تعالى، وقلبه كافر بآياته، ﴿لَوْ^(١) أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، كما زعم المشركون، ﴿لَا صُفْطَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أى: لو أراد لاختار الأفضل لا الأنقص، وهو الإناث، لكن لم يرد، فلا ولد له من الذكر والأنثى، أو معناه: لو أراد أن يتخذ ولداً لا يتخذ من المخلوقات الأفضل منها، كالبنين لا البنات كما زعمتم، لكن اللازم محال لاستحالة كون المخلوق من جنس الخالق لتنافي الوجوب، والإمكان بالذات، فكذا الملزوم وهو إرادة الاتخاذ فضلاً عن الاتخاذ، ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: فإنه هو الواحد الفرد، الذى دانت له الأشياء فلا يماثله ولا يناسبه أحد، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ التكوير: اللف، وإذا غشى كل منهما مكان الآخر، فكأنما لف عليه كلف اللباس على اللابس، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: مدة معينة عند الله تعالى، ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الْعَفَّارُ﴾، فلا يعاجل بالعقوبة على من نسب إليه ما لا يليق به، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء عن الضلع الأسفل، وثم للتراخي الرتبى، فإن خلق حواء مقدم فى الوجود على تشعيب الذرية من نفس^(٢) آدم، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾: وقضى لكم فإن قضاياه توصف بالتزول من السماء، ﴿مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، كما هو مسطور فى سورة الأنعام، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حيواناً من بعد عظام من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف، ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة، ﴿ذَلِكُمْ﴾، مبتدأ، ﴿اللَّهُ﴾، خبره، ﴿رَبِّكُمْ﴾، بدل، ﴿لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) ولما كان من الكذب العظيم دعواهم أن الملائكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله: " لو

أراد الله " الآية / ١٢ وحيز.

(٢) وأما إخراج نفس من ضلع شخص، فأمر عجيب غير معهود فهو أدخل فى الآية/ ١٢

وحيز.

هُوَ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ: يُعَدَّلُ بِكُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ، «إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ»، مع أنه كان بإرادته فلا يجرى في ملكه إلا ما^(١) يشاء، ويقابل الرضاء بالسخط، والإرادة بالكراهة، أو المراد من العباد المخلصون كما في قوله: "إن عبادى ليس لك عليهم سلطان" (الإسراء: ٦٥) وحيثُذ معنى الرضاء الإرادة، «وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ»: يرضى الشكر، «لَكُمْ»^(٢)، فإنه سبب فوزكم، «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ: لَا تَحْمِلُ نَفْسُ وَازِرَةً، «وَزِرَ أُخْرَى»، أى: وزر نفس أخرى، «ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»: بالمجازاة، «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»: فلا يخفى عليه شيء، «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا»: راجعاً، «إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ»: أعطاه وأملكه، «نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ»: نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه، أو ما معنى من، وفي يدعو

(١) ومن تأمل وجد في الرضاء معنى ليس في الإرادة، وهو شبه استحسان واستحماذ وابتهاج يعبر عنه بترك الاعتراض، ولا يتعلق إرادة الله بشيء إلا وهو مفعول بخلاف الرضاء، ومتعلق الرضاء لا يكون إلا معنى من المعاني فيعدى إليه بنفسه محلى باللام نحو: رضى الله لكم الشكر، وقد يعدى إليه بالباء، وهو المتعلق تمييزاً نحو: رضيت بالله رباً، وقد يطوى ذكر المتعلق قصداً إلى العموم، ويذكر المحلى يعن نحو: رضى الله عنهم ورضوا عنه، ولا يخلو شيء من الاستعمالات عما ذكرنا من زيادة المعنى فلا تغفل/١٢ منه ووجيز.

(٢) فإنه سبب فوزكم، فقد جعل شرطاً وجزاء فوقوع الشكر شرطه، وحصول الرضاء جزاء، فلزم تقديم الشكر على إرادته إن اتحد الرضاء، والإرادة، ولأن إرادة الله مقدم على وجود الشكر منهم، لكن من كان على الضلال على قلبه رين، وعلى عينه غين، فليتفوه بما لا يرضى به إلا غي زنديق، فنعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع/١٢ ووجيز.

تضمنين معنى التطوع، أى: نسى الكاشف بضر المضطرين الذى كان يتضرع إليه، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل النعمة، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، السلام لام العاقبة، أى: ليفيد وينتج الإضلال والضلال، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾، أمر تهديد، ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، استئناف على سبيل التعليل، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾: قائم بالطاعات، ﴿آثَاءً﴾: ساعات ﴿اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، حالان من ضمير قانت، ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾، جملة حالية، ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾، أم متصلة تقديره أهذا الذى نسى خير أم من هو قانت؟! أو منقطعة، أى: بل أمَّن هو قانت كغيره، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾، وهم القانتون، وفي هذه أدلة واضحة على أن غير العامل كأنه ليس بعالم، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل هذا على سبيل التشبيه، أى: كما لا يستوى العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوى القانتون والعاصون، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ بوعظ الله تعالى، ﴿أَوَّلُوا الْأَلْبَابُ﴾.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ﴾

(١) أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى الموت فقال: "كيف تجدك" ؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الوطن إلا أعطاه الله الذى يرجوا وأمنه الذى يخاف" [حسن، وانظر صحيح سنن الترمذى ١٢/ فتح.

دِينِي ﴿١٢﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُوا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، عن معاصيه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: بالطاعة، ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾، ظرف لأحسنوا، ﴿حَسَنَةً﴾، في الآخرة^(١)، وهي الجنة، ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾، فهاجروا إلى أرض ما دعيتم فيها إلى المعصية، ﴿إِنَّمَا^(٢) يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ﴾: على بلاء الله تعالى، ومفارقة المستلذات الداعية إلى المعاصي، ﴿أَجْرُهُمْ

(١) في الآخرة، لما أحسنوا في الدنيا ففى الآخرة لهم من جنس عملهم / ١٢ وجيز.

(٢) ولما بين ما للمحسنين، وكان لابد في ذلك من الصبر على فعل الطاعات، والكف عن الشهوات، أشار إلى فضيلة الصبر، وعظيم مقداره، فقال: "إنما يوفى الصابرون" الآية / ١٢ فتح.

بِغَيْرِ حِسَابٍ»، لا يوزن لهم، ولا يكال إنما يغرف لهم غرفاً، قيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب، وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم، وصبروا حين اشتد بهم البلاء، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾، أى: بأن أعبد، ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾، من هذه الأمة، واللام زائدة، كما تقول: أمرت لأن أفعل، وقيل: معناه أمرت بذلك لأجل أن أكون مقدم المسلمين في الدارين ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، مع أنى نبي مقرب، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: لعظمة ما فيه، نزلت حين دعى إلى دين آبائه، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾، أمر توبيخ، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، مع أنها رأس ما لهم، ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: الذين هم في الجنة لهم من حور وغللمان، وغيرهما فإن لكل منزلاً وأهلاً في الجنة، فمن عمل بالمعاصي دخل النار، وصار المترل والأهل لغيره أو خسروا أهليهم الذين لهم في الدنيا، لأنهم إن كانوا من أهل النار، فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً أبدياً، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ﴾: أطباق من النار هي ظلل الآخرين، ﴿ذَلِكَ﴾: العذاب، ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ﴾، ولا تتعرضوا لمعصيته، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الأوثان، نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم، ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾، بدل اشتغال، ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى عبادته، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾، في الدنيا والآخرة، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾، أى: القرآن وغيره، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١)، أى: القرآن، أو المراد من يسمع حديثاً فيه محاسن

(١) قال بعض السلف: معناه: الذين يستمعون أوامر الله، فيتبعون أحسنها فإن في القرآن

الانتصار من الظالم، والعفو أحسن / ١٢ منه.

ومساوئ، فيحدث بأحسن ما سمع، ويكف عما سواه، أو يستمعون القول من العزائم، والرخص فيتبعون العزائم، وضع الظاهر موضع المضمّر، فإن الظاهر أن يقال: فبشرهم لأن يصفهم بهذه الصفة أيضاً، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوتُوا الْأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة، ﴿أَفَمَنْ (١) حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ (٢) فِي النَّارِ﴾، الفاء عطف على محذوف تقديره: أنت مالك أمرهم؟ فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، والهمزة في الجزاء كررت لتوكيد معنى الإنكار، أى: لست بقادر على إنقاذ من أراد الله تعالى شقاوته، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: محكمة عالية، كالأسفل بخلاف الدنيا فإن أسفلها أحكم من أعاليها (٣)، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾، أى: الغرف، ﴿الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ﴾، مصدر مؤكد لنفسه، ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾، أى: الوعد، ﴿أَلَمْ (٤) تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ: نظمه، ﴿يَنْبِيعٌ﴾: عيوناً، ومجارى، نصب على الظرف، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، صفة ينبيع، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾: بالماء، ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ (٥): أصفر،

(١) ولما كان في ضمن البشارة، بشارتهم بالنوع الخاص، وإشارة إلى نقيضهم بالخسران والشقاوة، وكان -صلى الله عليه وسلم- مجبولاً على عظيم الرحمة، ومزيد الشفقة يتأسف على من أعرض عن الله، عقبه بقوله: "أفمن حق عليه كلمة العذاب" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وضع الظاهر، وهو من في النار موضع المضمّر، ليدل على أن عذاب الله هو النار، وسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في إنقاذهم منها/ ١٢ منه ووجيز.

(٣) ولو لم يكن معنى مبينة إلا البناء الخاص لكان غير مفيد/ ١٢.

(٤) ولما أخبر بقدرته على البعث، دل عليها بما يتكرر مشاهدته من مثلها فقال: "ألم تر أن الله" الآية / ١٢ وجيز.

(٥) في الصحاح اللون: الهيئة، كالسود، والحمرة، واللون: النوع / ١٢ منه.

وأحمر وأخضر، أو أنواعه من بر وشعير وحمص، ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾: يتم جفافه، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾: خشبة مسودة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾: لعظة، ﴿لأُولَى الْأَلْبَابِ﴾، فيعرف أنه مثل الحياة الدنيا، ويستدل به على كمال حكمته وقدرته.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِمْ قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٧﴾﴾ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَاجِهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ *

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: وسَّعه لقبول الحق، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: يهتدى به إلى الحق، وخبره محذوف، أى: كمن أقسى الله قلبه، ويدل عليه قوله: ﴿قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أى: غلظ وجفا عن قبول ذكره،

كما تقول: أُنخمت من طعام، وعن طعام أكلت، ﴿أَوَّلِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ^(١) الْحَدِيثِ﴾، أى: القرآن، ﴿كِتَابًا﴾، بدل أو حال، ﴿مُتَشَابِهًا﴾: يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة، أو صحة المعنى من غير مخالفة، ﴿مَثَانِي﴾، جمع مثنى مفعول، من التثنية بمعنى الإعادة، والتكرير، فإن قصصه وأحكامه ومواعظه ووعدته ووعيده مكرر معاد صفة لكتابًا، وهو في الحقيقة صفة ما يتضمنه الكتاب من السور، والآيات، وعن بعضهم: إن سياق الكلام إذا كان في معنى واحد يناسب بعضه بعضًا فهو

(١) أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة في قوله: "تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم" قال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله، قال: تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم يعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان، وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدي أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرءوا القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناسًا هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية، قالت: أعوذ بالله من الشيطان، وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت أبي فقلت: وجدت قومًا ما رأيت خيرًا منهم قط يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى تغشى عليه من خشية الله، فقال: لا تقعد معهم، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر، وعمر يتلون القرآن، فلا يصيبهم هذا من خشية الله، أفتراهم أخشى لله من أبي بكر وعمر، وأخرج ابن أبي شيبة عن قيس بن جنت قال: الصاعقة من الشيطان، وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة، وابن المنذر عن إبراهيم في الرجل يرى الضوء قال: من الشيطان لو كان خيرًا لأوثر به أهل بدر/ ١٢ در منثور. [انظر الدر المنثور (٥/٦١٠، ٦١١).]

المتشابه، وإن كان يذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين، ثم الكافرين، والجنة، ثم النار، كقوله تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم" (الانفطار: ١٣، ١٤) فهو من المثاني، ﴿تَقْشَعِرُّ﴾: تضطرب وتشمئز، ﴿مِنْهُ﴾: من القرآن، لأجل خشية الله، ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، وفي الحديث: "إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى، تحات منه ذنوبه كما يتحات عن الشجر اليابسة ورقها" (*) ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، لما يرجون من رحمته، ولطفه، فهم بين الخوف والرجاء^(١)، ولتضمن معنى السكون عداه بإلى، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: الكتاب، أو الخوف والرجاء، ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ أَفَمَنْ يَتَّقِي﴾^(٢) بوجهه سوء العذاب: شدته، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ظرف ليتقى، وخبره محذوف، أى: كمن يأتى آمناً يوم القيامة، والإنسان إذا لقي مخوفاً استقبله بيده، وبقي بها وجهه الذى هو أعز أعضائه، والكافر المغلول لا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه، ﴿وَقِيلَ﴾، حال بتقدير قد، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، أى: لهم، ﴿ذُوقُوا﴾: وبال، ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: القرون الماضية، ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ﴾^(٣) لَا يَشْعُرُونَ: من الجهة التى هم آمنون منها، أى: على حين غفلة، ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ﴾: الذل، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾: المعد لهم، ﴿أَكْبَرُ﴾، من عذاب الدنيا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، لو كانوا من أهل العلم لعلموا ذلك، ﴿وَلَقَدْ

(٥) ذكره الهيثمى فى "المجمع"، (١٠/٣١٠) وقال: "رواه البزار وفيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقيه رجاله ثقات".

(١) لم يكونوا يتصارخون، ولا يرقصون / ١٢ وجيز.

(٢) ولما صرح بذكر من شرح صدره مضمناً ذكر قاسى القلب، كما بينا، عكس الأمر فى

مقابله للتعادل، فقال: "أفمن يتقى" الآية / ١٢ وجيز.

(٣) فليحذر أمتك من يكذب أن تصيروا كالأمم المكذبة / ١٢ وجيز.

ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ، محتاج إليه في الدين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا﴾، حال موطئة من هذا، ثم وصفه بما هو المقصود بالحالية، ﴿عَرَبِيًّا غَيْرَ^(١) ذِي عِوَجٍ﴾: اختلال بوجه من الوجوه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ^(٢)﴾، علة أخرى مترتبة على الأولى، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾، للمشرك والمخلص، ﴿رَجُلًا﴾، بدل من

(١) أخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس وابن مردويه والآجزي في الشريعة عنه في قوله تعالى: "قرأنا عربياً غير ذي عوج"، قال: غير مخلوق [ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٦)]، وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً في قوله: "قرأنا عربياً غير ذي عوج" قال: غير مخلوق [لا يصح، انظر كشف الخفاء للعجلوني (٢/١١٠)]، وأخرج ابن شاهين عن أبي الدرداء مرفوعاً، قال: القرآن كلام الله غير مخلوق وأخرج البيهقي عن أنس أنه قال: القرآن كلام الله، وليس كلام الله بمخلوق، وأخرج البيهقي عن عكرمة قال: "صلى ابن عباس على جنازة، فلما وضع الميت في قبره، قال له رجل: اللهم رب القرآن اغفر له، فقال له ابن عباس: مه لا تقل مثل هذا، منه بدأ وإليه يعود، وفي لفظ فقال ابن عباس: ثكلتك أمك، إن القرآن منه إن القرآن منه إن القرآن منه، وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب قال: القرآن كلام الله، وأخرج البيهقي عن سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وأخرج البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سئل علي بن الحسين عن القرآن؟ فقال: ليس بخالق، ولا مخلوق، وهو كلام الخالق، وأخرج البيهقي عن قيس بن الربيع قال: سألت جعفر بن محمد عن القرآن؟ فقال: كلام الله، قلت: مخلوق؟ قال: لا، فقلت: فما تقول فيمن زعم أنه مخلوق؟ قال: يقتل ولا يستتاب / ١٢ در منشور.

(٢) ولما ذكر أنه ضرب في القرآن من كل مثل، شرع يضرب مثلاً لعباد الآلهة ومن يعبد الله وحده، فقال: "ضرب الله مثلاً" الآية / ١٢ وجيز.

مثلاً، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، مبتدأ وخبر، ﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾: متنازعون، صفة لشركاء، والجملة صفة رجلاً، أى: مثل المشرك كعبد يتشارك فيه جمع، يختلف كل منهم فى أنه عبد له، فيتداولونه فى مهامهم، فهو متحير لا يدري أيهم يرضى، وعلى أيهم يعتمد إذا سنع سانع، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾: ذا خلوص، ﴿الرَّجُلُ﴾: واحد، يعرف أن له سيداً واحداً يخدمه خالصة، ويتكل عليه فى حاله وماله، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾، هذان الرجلان، ﴿مَثَلًا﴾، تمييز، أى: صفة وحالا، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لا حمد لغيره، فإنه هو المنعم وحده، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ^(١) لَا يَعْلَمُونَ﴾، فيشركون به غيره، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، أى: أنتم فى عداد الموتى، فإن ما هو كائن، فكأنه قد كان، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾، فيه تغليب المخاطب، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، أى: إنك وإياهم تختصمون، فتحتج أنت عليهم بما لا شبهة فيه، ويعتذرون بما لا طائل تحته، وأكثر السلف حمل ذلك على اختصاص الجميع حتى الروح والجسد.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

(١) إضراب عن ضرب المثل، وظهور الحالين، كأنه قال: لا ينفعهم المثل، بل أكثرهم كالبهائم، ولما ذكر أن أكثرهم جهلاء لا يتأملون فى المثل ولا يعتبرون بالوعظ، فاقضى الحال أن تتوجه النفوس إلى المال، وما آل الحال إليه، فقال: "إنك ميت" ١٢/ وحيـز.

يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٦٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ
بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٦٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ
ضُرَّتِهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ
يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَتَّقُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٧٠﴾
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٧١﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾: بإضافة الولد، والشريك إليه، ﴿وَكَذَّبَ
بِالصَّدَقِ﴾: بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾، من غير تفكير،
﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: منزلاً، ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، واللام يحتمل العهد والجنس،
﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ﴾^(١) ﴿وَصَدَقَ بِهِ﴾، أى: الفريق الذى جاء به إلخ، فيدخل فيه
الرسول وأتباعه، ويكون المعطوف والمعطوف عليه صلة واحدة على التوزيع، فينصرف
المعطوف عليه إلى الرسول، والمعطوف إلى الصحابة، أو إلى المؤمنين أجمعين، أو المراد
من الذى جاء بالصديق، وصدق به الرسل عليهم السلام، ﴿أَوَّلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي
عَمِلُوا﴾: يسترها عليهم بالمغفرة، يُعلم من تخصيص الأسوأ أن غير الأسوأ أولى

(١) أثبت الله الوحدة في الألوهية ونفى الولد، وصدق به صدق بما جاء به رسول فيدخل

بالتكفير، وقيل: بمعنى السيئ، ﴿وَيَجْزِيهِمْ﴾: يعطيهم، ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فيعد لهم محاسن أعمالهم، بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، لما خوفت قريش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزلت، وفي بعض القراءات "عباده"، فالأولى أن يراد من عبده الجنس، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾، أى: قريش، ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: بأصنامهم أى: من دون الله، يقولون: إنك لتعيبها وستصيبك بسوء، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾، فيخوف حبيب الله بحجر لا يضر ولا ينفع، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب منيع، ﴿ذِي انتِقَامٍ﴾، من أعدائه، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، لا سبيل لإنكارهم تفرد خالقيته، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ عني، وهذا بيان أنها لا تنفع ولا تضر فلا خوف منها، ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: كافى في إصانة النفع ودفع البلاء، إذ قامت الحجة على تفرده فيهما، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(١) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَائِكُمْ: على طريقتكم، اسم للمكان استعير للحال، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾، أى: على منهجى، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾^(٢) معمول تعلمون، ﴿يُخْزِيهِ﴾، صفة عذاب، أى: في الدنيا كما أخزاهم يوم بدر، ﴿وَيَحِلُّ﴾، عطف على يأتیه، ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم في الآخرة، ﴿إِنَّا

(١) ولما كانوا مع هذه الحجج القاطعة، والأدلة القامعة، والبراهين الساطعة كالبهائم

الهائمة، لا يرفعون رءوسهم إليها، فهم على حال لا يرجى منهم الهداية، والدراية،

قال: " قل يا قوم اعملوا " الآية / ١٢ وحيز.

(٢) كالقتل والأسر والفرار / ١٢.

أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ: لأجل نفعهم، ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبسًا به، ﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾: يعود نفعه إلى نفسه، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: وبال الضلال راجع إليها، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: فنجبرهم على الهداية، إنما أنت نذير.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٠٩) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٢١٠﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١١﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٢١٢﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢١٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيلَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٢١٤﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢١٥﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّثًّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢١٧﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢١٨﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١٩﴾ *

﴿اللَّهُ^(١) يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾: يستوفيها^(٢) ويقبضها، ﴿حِينَ مَوْتِهَا وَالتَّيَّ﴾، أى: ويستوفى الأنفس التى، ﴿لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، فتجتمع النفوس كلهن فى الملاء الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذى رواه ابن مندة، وغيره وفى الصحيحين ما يدل^(٣) على ذلك، ﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾: فلا يردها إلى الجسد، ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾، أى: النائمة إلى جسدها، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو وقت

(١) ولما ذكر أنه تعالى أنزل الكتاب على رسوله بالحق، نبه على آية من آياته الكبرى، الدالة على وحدانيته لا شراكة لأحد فى ذلك بالاتفاق، فقال: " الله يتوفى الأنفس " الآية / ١٢ وحيز.

(٢) والأصح: أن الروح والنفس واحد، والأولى أن يكون المراد من الأنفس الجملة كما قال تعالى: " وهو الذى يتوفاكم بالليل " (الأنعام: ٦٠) أى يميتكم به / ١٢ وحيز.

(٣) وهو حديث (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) رواه الشيخان، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى العظمة، وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله: " الله يتوفى الأنفس " الآية، قال: تلتقى أرواح الأحياء، وأرواح الأموات فى المنام، فيتساءلون بينهم ما شاء الله، ثم يمسك الله أرواح الأموات، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى أجل مسمى، لا يغلط بشيء منها، لذلك قوله: " إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " نقله السيوطى فى الدر المنثور، وفى الفتح، وأظهر أن الروح والنفس شيء واحد، وهو الذى تدل عليه الآثار الصحاح، وقال الزجاج: لكل إنسان نفسان: نفس التمييز، وهو الذى تفارقه إذا نام، والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس، قال القشيرى: فى هذا بعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة فى الحالين شيء واحد، ولهذا قال: " فيمسك التى قضى عليها الموت " الآية / ١٢.

الموت، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾**، أى: التوفى والإمساك والإرسال، **﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**، فى عجائب قدرته، **﴿أَمْ^(١) اتَّخَذُوا﴾**: بل اتخذ قريش، **﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾**: من دون إذنه، **﴿شُفَعَاءَ﴾**: عند الله تعالى يزعمهم الفاسد، **﴿قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾**، أى: قل أيشفعون؟! ولو كانوا إلخ فالواو للحال، والعامل يشفعون المقدر بعد الهمزة، **﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾**: فإنهم جمادات لا تقدر، ولا تعلم، **﴿قُلْ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾**: هو مالكها، لا يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذنه، ولا تنفع إلا لمن أذن له، **﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**، فيحكم بالعدل، **﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾**، أى: قيل: لا إله إلا الله، **﴿اشْمَأَزَّتْ﴾**: انقبضت ونفرت، **﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾**، أى: الأوثان، **﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾**، سواء ذكر الله تعالى معهم أو لم يذكر، وعن مجاهد ومقاتل، وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فألقى الشيطان فى أمنيته: تلك الغرائق العلى، وفرح الكفار(*) كما مر ذكره فى سورة الحج، واعلم أن من قال العامل فى إذا الشرطية مضمون الجواب فلا بد أن يقول: العامل فى إذا الثانية الشرطية، وإذا المفاجأة معنى المفاجأة المتضمنة هى إياه، إذ لا يعمل الفعل الذى بعده فيما قبله، أى: فاجأوا فى وقت الذكر، وقت الاستبشار، **﴿قُلْ^(٢) اللَّهُمَّ فَاطِرَ^(٣) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ**

(١) ولما دلت الآية، على أنه تعالى هو المتصرف فى الأمور وحده، فكأنه قال: أذعنوا ذلك وأقروا به أم اتخذوا، أى: بل اتخذ قريش / ١٢ وحيز.

(*) قصة الغرائق لا تصح، وقد جاءت من طرق واهية، وراجع فتح البارى (٢٩٣/٨)، وللشيخ الألبانى رحمه الله رسالة فى هذه القصة اسمها: نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق.

(٢) يعنى: لما تحيرت فى عنادهم، آيساً من انقيادهم، فالجأ إلى الله القادر العالم / ١٢ وحيز.

(٣) وعن الربيع بن خيثم، وكان قليل الكلام، أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه، وقالوا: الآن يتكلم، فما زاد أن قال: آه وقد فعلوا، وقرأ هذه الآية، وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم"، رواه مسلم / ١٢ فتح.

وَالشَّهَادَةَ، أى: التحيىء إلى الله تعالى لما تحيرت فى كفرهم، «أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا»: وهم المشركون، «مَا فِي الْأَرْضِ»، اسم أن، «جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ»، أى: بمجموع ما فى الأرض، والمثل، «مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ»: ظهر، «لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ»: ما لم يخطر ببالهم من الوبال والنكال، «وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا»، أراد بالسَيِّئَاتِ أنواع العذاب، كأنه قيل: سيئات سيئاتهم، نحو: جزاء سيئة سيئة، أو معناه ظهر لهم سيئات أعمالهم التى كانت خافية عليهم، حين تعرض صحائفهم، كما قال الله تعالى: "أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ" (المجادلة: ٦)، «وَحَاقَ»: أحاط، «بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»، أى: جزاؤه، «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ»، أى: جنسه باعتبار الغالب، «ضُرٌّ دَعَاءًا»، عطف على قوله: "وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ" بالفاء ليدل على التسبب، والدلالة على تعكيس الكافر الأمر، وجعله ما هو أبعد الأشياء عن الالتجاء وسيلة إليه، كأنه قال: هم مشتمزون عند ذكر الله تعالى وحده، ومستبشرون بذكر آلهتهم، فإذا مس أحدهم مصيبة دعا من اشمز من ذكره، وترك من استبشر به، وما بين المعطوفين أعنى، قوله: "قُلِ اللَّهُمَّ" إلى قوله تعالى: "يَسْتَهْزِئُونَ" اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم، «ثُمَّ إِذَا خَوْلَانَاهُ»: أعطيناه، «نِعْمَةً مِّنَّا»: تفضلاً، «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ»، أى: شيئاً من النعمة، «عَلَى عِلْمٍ»، أى: على علم منى بأنى سأعطاه لاستحقاقى، أو على علم من الله تعالى باستحقاقى، ولولا أنى عند الله حقيق ما خولنى هذا، فهو حال من أحد معمولى أوتيته، أو خبر، إن جعلت ما موصولة لا كافة، أو معناه أوتيته على خير وفضل عندى، كقولك: أنعمت عليك على كمالك، أى: هو السبب، «بَلْ هِيَ^(١) فَتْنَةٌ»: اختبار، أيشكر، أم يكفر؟ «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، أنها امتحان، «قَدْ قَالَهَا»، أى: هذه المقالة، وهى "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ"، «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»: الأمم السالفة، كقارون، قال: "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي" (القصص: ٧٨)، «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ»:

(١) أنت الضمير بعد ما ذكره، لتأنيث خبره / ١٢.

عن عذاب الله تعالى، ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أى: من أموال الدنيا، أو من أعمالهم وعقائدهم، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾، أى: وبال، ﴿مَا كَسَبُوا﴾، أو جزاء سيئات ما كسبوا، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾، مشركى قريش، ومن للبيان، ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين، ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويقتدر على من يشاء، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، بأن الكل من الله تعالى.

﴿قُلْ يٰٓعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٢﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يٰٓحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٤﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَىٰ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨﴾ وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٩﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾

﴿قُلْ﴾ ^(١) يٰٓعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ: بارتكاب المعاصى، أى معصية كانت، ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾: لا تياسوا، ﴿مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾،

(١) ولما شدد على الكفار، وبين ما أعد لهم من العذاب، وأنهم لو كان لأحدهم ملاأ الأرض، ومثله معه لافتدوا به، أخذ يبين من إحسانه الكامل، والعناية، وأنهم إن رجعوا =

يعني: ليس ذنب لا يمكن أن تتعلق به مغفرة الله تعالى، لكن جرت عادة الله تعالى أنه لا يغفر الشرك من غير توبة، أما سائر المعاصي فيغفر مع التوبة^(١) بتأ وبديها إن أراد، وما نقل من أسباب نزول تلك الآية لا يدل على خلاف ما فسرناها به مع أن العبرة

= وتابوا، رجع عليهم بالعناية والقبول، لئلا يقنطوا من رحمته، فقال: " قل يا عبادي الذين أسرفوا " الآية / ١٢ وجيز.

(١) وفي الفتح: أما ما يزعمه جماعة من المفسرين، من تقييد هذه الآية بالتوبة جمعا بين هذه الآية، وبين " يغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (النساء: ٤٨، ١١٦) فهو جمع بين الضب والنون، وبين الملاح والحادي، وعلى نفسها براقش تجئ، ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة، لم يكن لها كثير موقع، فإن التوبة من الشرك أيضاً مقبولة، فلو كانت التوبة قيد في المغفرة، لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة، وقد قال تعالى: " إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم " (الرعد: ٦) قال الواحدى: المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية في قوم خافوا، إن أسلموا لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك، وقتل النفس، ومعاداة النبي - صلى الله عليه وسلم - قلت: هب أنها في هؤلاء القوم فكان ماذا، فإن الاعتبار للعموم لا لخصوص السبب، كما هو متفق عليه بين أهل العلم، ولو كانت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مقيدة بأسبابها، غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عن الأمة، إن لم ترفع كلها، واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله، وفي الصحيحين وغيرهما، من أحاديث الباب ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته، علم صحة ما ذكرناه، وعرف حقيقة ما حررناه، قاله الشوكاني، وأيضاً قال: يمكن أن يقال: إن إخباره لنا بأنه يغفر الذنوب جميعاً، يدل على أنه يشاء غفرانها جميعاً، وذلك يستلزم أنه يشاء المغفرة بكل المذنبين من المسلمين، فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية / ١٢.

في شرح السنة، بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى قاتل حمزة، يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه يا محمد كيف تدعون، وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا، " يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهاناً " وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لى من رخصة؟ فأنزل الله تعالى: " إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً " (مریم: ٦٠، الفرقان: ٧٠)، فقال الوحشى: هذا شرط شديد، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله: " إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (النساء ٤٨، ١١٦)، فقال وحشى: هذا أرى بعد في مشيئته فلا أدري أيغفر لى أم لا هل غير هذا؟ فأنزل الله: " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم "، الآية، قال وحشى: هذا نعم، فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشى، فقال: هى للمسلمين عامة / ١٢ وجيز، وقال السيوطى: أخرجه الطبرانى وابن مردويه والبيهقى، بسند لين / ١٢. [وذكره =

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كيف وقد وردت بياناً لسعة رحمته تعالى، مع تعليل النهي عن القنوط بأنه يغفر الذنوب بصيغة الجمع مع التأكيد، نزلت في أناس من المشركين حين قالوا: إن ما تدعوننا إليه يا محمد لحسن، لوتخبرنا أن لما عملنا كفارة، أو نزلت في وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه، أو في جماعة من المرتدين، وعن بعض السلف: إن الله تعالى لما سلط إبليس على آدم عليه السلام، شكى آدم ربه فقال الله تعالى: " لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء، فقال: يا رب زدنى، فقال: الحسنه بعشر، والسيئة بمثلها، أو أحوها، قال: زدنى، قال: باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد، قال: يا رب زدنى، فقال: " يا عبادى الذين أسرفوا " الآية، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْبِئُوا^(١)﴾: ارجعوا، ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾، تحريض بالتوبة فإنها جاعلة للمعاصى كالعدم، موثوق معها بالنجاة، ﴿وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾: أطيعوا، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾، الآية نزلت في شأن الكفار، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أى: القرآن فإنه أحسن من جميع الكتب السماوية، قيل: الأحسن العزائم دون الرخص، أى: اتبعوا ما هو أنجى، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾، حال أو مصدر، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، بمجيئه فتداركون، أو فيكون أشد، ﴿أَنْ تَقُولَ﴾، أى: أنذرکم، وأمرکم، وأرشدکم باتباع الأحسن، كراهة أن تقول، ﴿نَفْسٌ﴾، أى: بعض النفوس، وهى النفس الكافرة، أو تقول هى عام لأنها فى سياق النفى معنى لأن، معناه لئلا تقول نفس، ﴿يَا حَسْرَتَى﴾، أى: أقبلى

= الهيثمى فى "المجمع"، (١٠٠/٧، ١٠١) وقال: "رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه أبي بن سفين ضعفه الذهبي". [

(١) ولما كانت فى الآية فسحة عظيمة، ولهذا قيل: هى أرجى آية فى القرآن، إذ أعاد الاسم الأعظم، وأكد الجملة بأن، ثم وصف نفسه بصيغتي المبالغة، وأكد بما هو مقتضى للحصر، أتبعها بأن الإنابة مطلوبة مأمور بها، وتوعد من لم ينب، حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة، والمتكل على الغفران من دون إنابة، فقال: " وأنبيوا إلى ربكم " الآية/ ١٢ وحيز.

فهذا أوانك، ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾: قصرت، ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: جانبه، أى: حقه،
أى: طاعته، وقيل فى قربه، ﴿وَإِنْ كُنْتُ﴾، إن هى المخففة، والواو للحال، ﴿لَمِنْ
السَّاحِرِينَ﴾: المستهزئين بدينه، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾: علمنى الخير،
وأرشدنى، ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾:
رجعة إلى الدنيا، ولو للتمنى، ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فى العقائد، والأعمال، وأو
للدلالة على أنه لا يخلو من هذه الأقوال، ولا يبعد أن يقال: أن تقول بدل اشتمال من
أن يأتيكم العذاب، أى: من قبل أن تقول نفس إلخ، وقد رأيت منقولاً عن بعض أئمة
النحاة، ﴿بَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾،
رد لما تضمنه قوله: " لو أن الله هدانى "، من معنى النفي، وفصل بين الجواب وهو يلي،
وبين ما هو جواب له وهو لو أن الله هدانى، لئلا ينتثر النظم الحاصل بالجمع بين
القرائن الثلاث بتخلل شيء بينها، ولئلا يقدم فى الكلام ما هو مؤخر^(١) فى الوجود،
فإن تمى الرجعة آخر الأمر، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾، كإضافة
الولد والشريك إليه تعالى، ﴿وَوَجْهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾، جملة^(٢) تفسيرية إيضاحاً للمقصود
مما وقعت الرؤية عليه، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مقام، ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، عن طاعة
الله تعالى، ﴿وَيُنَجَّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾، أى: بسبب فلاحهم وسعادتهم، أو
متلبسين بفلاحهم، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، يوم القيامة عند الفزع
الأكبر، جملة مستأنفة على الوجه الأول، ومبينة للفلاح على الثانى، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ﴾: أى: كل ما هو موجود فى زمان، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، فهو

(١) فإنه صدر عنهم أولاً: يا حسرتا، ثم لو أن الله هدانى ثانياً، ثم أن لى كرة آخر الأمر/
١٢ وحيز.

(٢) وفى الوحيز جملة حالية، وترى من رؤية البصر، والجملة الاسمية المشتمة على ضمير ذى
الحال ليس بشاذ على الأصح / ١٢ وحيز.

المتصرف فيه، «لَهُ مَقَالِيدُ»^(۱): مفاتيح، وأصل الكلمة فارسية^(۲)، أى: أو خزائن، «السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، يعنى: أَرْمَةٌ جميع الأمور بيده، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ»: وجحدوا وحدته وتفرد تصرفه، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ۝ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَاءُ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝﴾

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾، نصب غير بأعبد، وتعلق أعبد بتأمروني على وجه المفعولية، أى أن أعبد، فحذف أن ورفع المضارع، لكن هذا عند من يجوز تقديم معمول ما بعد أن، عند حذف سيما، إذا زال أثره الذى هو النصب، وأما عند من لم يجوز التقديم أو لم يجوز حذف، أن، بحيث لا يبقى أثره، فنصبه إما بما يتضمنه مجموع تأمروني أن أعبد من معنى الفعل، أى: أغفر الله تعبدوننى، وتجعلوننى عابداً بمعنى تقولون لى: اعبد، وإما بأعبد، لكن "تأمروني" اعتراض بين الم معمول، والعامل غير متعلق بأعبد ليحتاج إلى تقدير إن نزلت حين قالوا: استلم بعض آهتنا فنعبد إلهك، «وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ»: من الرسل، «لَنْ أَشْرَكَتَ»، إفراد الخطاب باعتبار كل واحد، أى: أوحى إليك وإلى كل واحد منهم،

(۱) جمع إقليد معرب إكليد على الشذوذ كذا كير/ ۱۲ كمالين.

(۲) كما أخرج الفريابي، وابن جرير عن مجاهد / ۱۲ در منشور.

لئن أشركت، **﴿لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** المراد: خسران الآخرة بشرط الموت على الردة، أى: لئن أشركت، وبقيت على الشرك، أو المراد: خسران حبوط العمل، وهو حاصل بكل حال، أو الحكم مختص بالأنبياء، فإن شركهم لا شك أقبح، وهذا خطاب مع الأنبياء، والمراد منه غيرهم، أو كلام على سبيل الفرض، وفائدته تهيج الرسل وإقنات الكفرة، وأدب للأنبياء، وتهديد للأمة، **﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ﴾**، يعنى: لا تعبد ما أمروك، بل اعبد وحده، فهو ردُّ لما أمروه به، ونصبه بفعل يفسره ما بعده عند من لم يجوز تقديم ما فى حيز الفاء، **﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾**، لإنعامه عليك، **﴿وَمَا قَدَرُوا^(١) اللَّهَ﴾**، أى: عظمتهم فى أنفسهم، **﴿حَقَّ قَدْرُهُ﴾**: حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكاً، **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**، هذا إخبار عن عظمتهم، وسهولة

(١) قوله تعالى: " وما قدروا الله " الآية، أخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد الرحمن بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، والدارقطنى فى الصفات، وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن ابن مسعود قال: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يحمل السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة "، ووقع هذا الحديث فى صحيح البخارى.

وأخرج أحمد والترمذى وصححه، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقى عن ابن عباس، قال: مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس قال: كيف تقول يا أبا وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: ما فى السماوات السبع والأرضين السبع فى يد الله عز وجل إلا كخردلة فى يد أحدكم، وأخرج أبو الشيخ فى العظمة، عن أبي ذر قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرى ما الكرسي؟، فقلت: لا، قال: ما السماوات والأرض، وما فيهن فى الكرسي، إلا كحلقة ألغاهما ملق فى أرض فلاة، وما الكرسي فى العرش إلا كحلقة ألغاهما ملق فى أرض فلاة، وما العرش فى الماء إلا كحلقة ألغاهما ملق فى أرض فلاة، وما الماء فى الريح إلا كحلقة ألغاهما ملق فى أرض فلاة، وما جميع ذلك فى قبضة الله عز وجل إلا كالحبة، أو أصغر من الحبة فى كف أحدكم، وذلك قوله " والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة " / ١٢ در منشور مع اختصار.

الأفعال العظام في جنب قدرته، والقبضة المرة من القبض، مصدر بمعنى المقبوضة، أو تقديره: ذات قبضته، وجميعاً حال من المستتر في قبضته إذا قلنا: إنها بمعنى مقبوضته، أو من العامل المحذوف على طريق الحال المؤكدة، أى: والأرض أعنيها، أو أثبتتها مجموعة ذات قبضته، وهو تأكيد لشمول الأفراد، أى الأرضون السبع، أو لشمول الأجزاء، ونحن على طريقة السلف لا نأول اليد، والقبضة، والأصبع، ونؤمن بها، ونكل علمها إلى الله سبحانه وتعالى وهى أقرب من السلامة، وأبعد من الملامة، ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾، من الطي، الذى هو ضد النشر، ﴿يَمِينِهِ﴾، متعلق بمطويات، وفي الحديث^(١) (يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوى السماء يمينه، ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ما أبعد وأعلا من هذه قدرته، عما ينسب إليه من الشركاء، أو عن إشراكهم، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: هى النفخة الثانية، إذ النفخة الأولى ريح باردة^(٢) من قبل الشام، فيموت كل من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ويبقى شرار الناس يعبدون الأوثان في رغد من العيش، ثم ينفخ في الصور، ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾

(١) كما في صحيح مسلم [وهو في البخارى أيضاً] / ١٢ وجيز.

(٢) كما في الأحاديث المعتمدة / ١٢ وجيز. [وهو في البخارى أيضاً]

(٣) أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذى اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فطمه، وقال: أتقول هذا وفيما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: "قال الله: "ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون" فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله" / ١٢ در منشور.

وعن قتادة في الآية قال: ما يبقى أحد إلا مات، وقد استثنى، والله أعلم بشيائه، نقله السيوطى في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم / ١٢.

المراد: بعض الملائكة المقربين فإنهم لا يصعقون عند هذه النفخة، بل يقبض الله تعالى أرواحهم بعدها، حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، فلا يبقى إلا الله تعالى، فيقول: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه، فيقول: لله الواحد القهار، وقد ورد في حديث^(١) أن المراد منهم الشهداء، فإنهم متقلدون أسياهم حول عرشه، وقد مر في سورة النمل، ﴿ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ﴾: في الصور، ﴿أُخْرَى﴾، مرفوع بأنه فاعل نفخ، كما يقال: جاءتني أخرى، أو منصوب بمصدر أى: نفخة أخرى، ونفخ مسند إلى الجار والمجرور، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾: قائمون من مهلكهم، ﴿يَنْظُرُونَ﴾، إلى الجوانب كما كانوا قبل ذلك، أو ينتظرون أمر الله تعالى فيهم، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾: أضاءت أرض القيامة، ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾، الذى خلقها من غير وساطة جرم، وذلك حين تجليه سبحانه للخلق لفصل القضاء، أو معناه أضاءت بما يقام فيهما من العدل، كقولك: أضاءت الدنيا بقسطك، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتاب الأعمال للجزاء، واكتفى باسم الجنس، ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾، يشهدون على الأمم، أنهم بلغوهم رسالة الله تعالى، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾، من الملائكة، الحفظة على أعمال العباد، أو الذين يشهدون للرسول بالتبليغ، وهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَرُفِضَى بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، ولكل من الطرفين صلاحية أن يقوم مقام الفاعل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: فلا يزداد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، أى: جزاءه، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، فلا يفوته شيء مما عملوا.

(١) قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: رواة الحديث كلهم ثقات إلا واحد منهم فإنه غير معروف/ ١٢ منه. [والحديث أخرجه أبو يعلى والدارقطنى فى الأفراد وابن المنذر والحاكم كما فى الدر المنثور (٦٣٠/٥)]

(٢) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة "وأشرفت الأرض بنور ربها" قال: فما يتضارون فى نوره إلا كما يتضارون فى اليوم الصحو الذى لا دخن فيه، "وجيء بالنبيين والشهداء"، قال: الذين استشهدوا / ١٢ منثور.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٦٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦٩﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِقِينَ مِنَ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، كما يفعل بالأسارى يساقون إلى حبس^(١) وقتل، ﴿زُمَرًا﴾: أفواجًا، بعضها على إثر بعض، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: السبعة التي كانت مغلقة قبل ذلك، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، توبيخًا وتنكيلًا، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾: من جنسكم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، أى: وقتكم هذا، أو هو وقت دخولهم النار، ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ﴾: وجبت، ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾، فى قوله: "الأملاؤن جهنم من الجنة والناس" (هود: ١١٩)، أو المراد حكم الله تعالى بشقاوتهم، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، من وضع المظهر بدل المضمّر، أى: علينا، ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾، حال مقدرة، ﴿فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: جهنم، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾، أى: عن الكفر به، يشعر به مقابلته بالذين كفروا، وذلك الإسراع بهم إلى النعيم، والمراد سوق^(٢) مراكبهم، ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾: فوجًا بعد فوج على تفاوت رتبتهن فى

(١) فإن السوق يقتضى الحث على السير بعنف / ١٢ وجيز.

(٢) كما ورد فى الأحاديث الصحيحة / ١٢ وجيز.

الشرف، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: الثمانية، قيل: الواو للحال، أى: وقد فتحت، فهو يدل على أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، بخلاف أبواب جهنم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾: طاب لكم المقام، أو طهرتم من خبث الخطايا، أو كنتم طبيين في الدنيا، ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، أى: مقدرين الخلود، وحذف جواب إذا، إشارة إلى أنه شيء لا يحيط به الوصف، كأنه قال: إذا جاءوها، وكذا وكذا سعدوا وفازوا وفرحوا، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾: بالثواب، ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾، أى: أرض الجنة، نتصرف فيها تصرف الوارث لميراثه، فإن ملكية الميراث أتم، ﴿تَتَّبِعُونَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾: نزل حيث نريد، وقد أغنى الله تعالى كلا منهم عن منازل غيرهم، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: الجنة، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾: محيطين، وهو حال؛ لأن ترى من رؤية البصر، ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾، قيل: مزينة، وقيل متعلق بترى، وقيل لابتداء الغاية، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، أى: متلبسين بحمده تسييح تلذذ لا تعب، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الخلائق، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ^(١) الْعَالَمِينَ﴾: على عدله، القائل للملائكة، أو المؤمنون وأما إذا كان القائل بالحمد حينئذ المؤمنين، والكافرين، ولهذا لم يسند إلى قائل، فحمد الكافر لمعاينة عدله، كما ترى ظالماً استوفى عادلاً منه حق جنايته، يأخذ في مدح العادل التكرار من المؤمنين، فالحمد الأول: على صدق الوعد، وإيراث الجنة، والثاني: على القضاء بالحق.

والحمد لله رب العالمين.

(١) ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين، خاتمة المجالس في العالم، والحمد لله رب العالمين / ١٢ وحيز.

فهرس المجلد الثالث

٣	الأنبياء
٤١	الحج
٧٥	المؤمنون
١٠٤	النور
١٤٤	الفرقان
١٧٠	الشعراء
٢٠٥	النمل
٢٣٥	القصص
٢٦٩	العنكبوت
٢٩٠	الروم
٣٠٩	لقمان
٣٢٥	السجدة (الم. السجدة)
٣٣٥	الأحزاب
٣٧٣	سبأ
٣٩٧	فاطر
٤١٦	يس
٤٣٦	الصفاء
٤٦٦	ص
٤٨٩	الزمر